مع خالص التحية وموفور الود والتقدير أقدم هذه الرسالة
[illegible]
وتوجيهاتك حفظك الله .

إبنك وتلميذك عبدالرحمن بن علي العريني

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية العلوم الاجتماعية
قسم التاريخ

الحياة الاجتماعية

عند حضر نجد

منذ القرن العاشر الهجري إلى قيام دعوة
الشيخ محمد بن عبدالوهاب
" ٩٠١هـ/١٤٩٤م - ١١٥٧هـ/١٧٤٤م "

رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث

إعداد
عبدالرحمن بن علي العريني
المحاضر بقسم التاريخ بالكلية

إشراف

الأستاذ الدكتور/ عبدالله بن يوسف الشبل
الأستاذ بقسم التاريخ بالكلية ووكيل الجامعة

العام الجامعي
١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

تمت مناقشة هذه الرسالة من ١٠ - ١٤ صباحاً

يوم الثلاثاء ١٧ / ١١ / ١٤٠٩هـ الموافق ٢٠ / ٦ / ١٩٨٩م

وحصل مقدمها على مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبع الرسالة على نفقة الجامعة وتبادلها مع الجامعات

والحكم على الرسالة :

١- الأستاذ الدكتور عبد الفتاح حسن أبو علية أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

[illegible]

المقدمة

[illegible]

٢٢ / ١١ / ١٤٠٩

٢٦ / ٦ / ١٩٨٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

تشكل الحياة الاجتماعية اطارا عاما و محورا تلتقي حوله المجالات الحيوية الأخرى تؤثر فيه أو تتأثر به ، ومن هنا فانه لابد لكي تتضح معالم الحياة الاجتماعية لأى مجتمع أن تدرس الجوانب الأخرى سواء تلك التي يقوم بها المجتمع بأسره كالدين أم تلك التي تقوم بها فئات المجتمع كالجوانب العلمية والنشاط الاقتصادى أم تلك التي تشكل مظاهر عامة للحياة الاجتماعية يبدو المجتمع بشكل عام متمسكا بها الا أنها لا تنطبق عليها صفة الالزام كالعادات والتقاليد وبعض النظرات الاجتماعية .

ولقد لقيت أحداث التاريخ السياسى اهتماما أكبر من مؤرخينا المحليين مما تشح معه أو تندر أو تنعدم أحيانا الاشارة الى جوانب التاريخ الأخرى في بعض الفترات ، وليس هؤلاء المؤرخون بدعا من المؤرخين السابقين الذين كانوا يركزون اهتمامهم على القضايا السياسية وأخبار الحكام وبداية ونهاية الدول مما يجعل الباحث في القضايا الانسانية الأخرى يعاني أشد المعاناة على اختلاف بين هؤلاء المؤرخين في درجة الشح لأحداث التاريخ الأخرى ، وتتأكد هذه المعاناة وتزداد حالاتها حين البحث في قضايا التاريخ النجدى غير السياسية ، وخاصة المظاهر العامة للحياة الاجتماعية وبشكل أخص العادات والتقاليد التي يلفها الغموض عند مؤرخي تلك الفترة ، ورغم وجود جذور لبعض المظاهر العامة في جوانب الحياة المختلفة الى وقت قريب فان ذلك لا يغني عن البحث في المصادر القديمة ، ولا يسمح بدراسة هذه المظاهر على أنها أمثلة لتلك المظاهر القديمة الا بمقدار مايتطلبه الربط التاريخي بين هذه المظاهر في الفترات التاريخية المختلفة ، أو حين تشح علينا المصادر القديمة المتنوعة بتفصيل واف أو اشارة عن هذا المظهر أو ذاك .

وبقدر مايعانيه الباحث الاجتماعي المعاصر في دراسته للقضايا الاجتماعية المعاصرة فان معاناة المؤرخ الاجتماعي لمجالات الحياة المختلفة تتأكد وتزداد لان الباحث الاجتماعي يتعامل مع أفراد المجتمع الأحياء وأسره وفئاته الموجودة، وهو اذ يلاقي بعض العنت من جراء رفض بعض الأفراد والأسر والفئات الادلاء بمعلومات صحيحة، أو اعطاء بيانات واضحة ودقيقة فانه يمكنه اللجوء الى عدة أساليب أخرى لتحقيق أهدافه، بينما يفقد المؤرخ الاجتماعي أي أسلوب من هذا القبيل عدا أسلوب البحث والتنقيب في المصادر المكتوبة والمروية سواء كانت العقدية أم الفقهية أم التاريخية أم الأدب الفصيح والعامي، على أن درجة اشباع هذه المصادر لحاجة الباحث تختلف - رغم تنوعها - بحسب قربها أو بعدها من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب اذ تشح هذه المصادر في الفترة التي سبقت تلك الدعوة، ويعدم الباحث المعلومات التفصيلية الا في بعض الجوانب التي توجد معلومات عنها في بعض المصادر الأخرى غير التاريخية كالفقهية مثلا .

وتختلف معاناة الباحث سواء الباحث الاجتماعي المعاصر أم المؤرخ الاجتماعي في بحثهما لبعض الفئات الاجتماعية في نجد عن بعضها الآخر كالمشقة التي يلقاها كل منهما في دراسة مظاهر الحياة الاجتماعية عند البدو، وهي مشقة لاشك أنها أشد من تلك التي يلقاها كل منهما عند دراسة جوانب الحياة الاجتماعية في حضر نجد، الا أنه رغم ذلك فكلما كانت الفترة الزمنية للدراسة الاجتماعية الحضرية أقدم أضفى ذلك مشقة قد تصل الى تلك المشقة التي يلقاها الباحث والمؤرخ الاجتماعي عند دراستهما لجوانب حياة البدو في هذه المنطقة اذ تتفق الدراستان في شح المصادر فيما يتعلق بجوانب الحياة عموما أو مجالات معينة منها .

وفي ضوء ذلك كله تم اختياري موضوعا لرسالة الدكتوراه هو "الحياة الاجتماعية عند حضر نجد منذ القرن العاشر الهجري الى قيام دعوة

الشيخ محمد بن عبدالوهاب" وقد تم هذا الاختيار بعد مشاورات متعددة مع عدد من المختصين فى التاريخ النجدى أبرزهم أستاذى المشرف الأستاذ الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل الذى كانت معاناته معى فى مرحلة الاختيار لا تقل عن معاناته فى جوانب البحث الأخرى حتى خرج هذا البحث بعنوانه هذا .

وترجع أهمية هذا الموضوع - فى رأيي - الى كونه يدرس حقبة مهمة من تاريخ نجد ومحاولة لطرق باب التكامل بين الدراسات التاريخية السياسية المتوفرة عن المنطقة الى حد ما وبين الدراسات الحضارية التى يشكل هذا الموضوع جانبا من الدراسة فيها والتى تفتقر المكتبة التاريخية الى أمثالها ، ثم هو يندرج فى اطار الدراسات التاريخية الحديثة التى تتجه نحو دراسة الحياة الاجتماعية بجوانبها الدينية والعلمية والاقتصادية وغيرها .

ان المطلع على تاريخ نجد يواجه بالحقيقة المرة فى قلة وجود دراسات تفصيلية موثقة لجوانب الحياة العامة فى المنطقة عبر المراحل التاريخية خاصة تلك التى سبقت قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى تسهل المقارنة مستقبلا بين تلك المرحلة وبين مرحلة مابعد قيام تلك الدعوة والنقلة الهائلة التى حصلت لجوانب تلك الحياة ، ومن هنا كانت الضرورة ملحة فى أن تنفرد هذه الجوانب - كل جانب على حدة - بدراسة مفصلة عبر جهد علمي يضع فى حسبانه الاطلاع على المصادر التاريخية المحلية وغير المحلية المجاورة ، علاوة على الروافد الأخرى ككتب التوحيد والفقه ، والمرويات والمكتوبات من المأثورات العامية كالشعر والأمثال والقصص.

وتزداد المرارة لدى الباحث المنصف حينما يرى ولع بعض الكتاب المحدثين بما ذكره المؤرخون المحليون السابقون لبعض مظاهر الانحراف عن العقيدة الصحيحة عند النجديين بل محاولة بعض هؤلاء الباحثين تضخيم تلك الصورة لهذه المظاهر وصولا الى هدفهم فى تشويه الصورة

العامة لمجالات الحياة الأخرى عند حضر نجد قبل الدعوة.

ان ابراز الباحث للجوانب الحسنة في الحياة الاجتماعية عند حضر نجد في تلك الفترة لا يجوز أن يفهم منه - بأى حال من الأحوال - التقليل من المهمة العظيمة التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمؤازرة من الامام محمد بن سعود رحمهما الله، بل ان دراسة الحياة العامة في نجد في تلك الفترة يعطيها بعدا جديدا اذ أن وجود ذلك الكم من العلماء حينذاك يؤكد هذا البعد حيث لم يستطع هؤلاء العلماء - رغم جهودهم الاصلاحية المحدودة - أن يقوموا بذلك الدور الرائد الذى قام به الامامان الجليلان حتى تم صبغ المجتمع في وسط شبه الجزيرة - وكل البلاد السعودية فيما بعد - بالصبغة التى يراها المنصف فيجدها أقرب الصبغة الاسلامية.

واذا كنا نلتمس لأولئك المؤرخين السابقين العذر في عدم توفر المصادر التى يستقون منها مادتهم التاريخية فضلا عن خوفهم من أن يؤثر ذلك على درجة تمسك الناس بمبادئ تلك الدعوة في بداية قيامها، انا كان لهؤلاء العذر في ذلك فلن يعذر الباحث المعاصر الذى تهيأت له الوسائل الكثيرة للاطلاع على روافد متعددة لمصادر تاريخ تلك الفترة، خاصة بعد أن أشرب الناس حب هذه الدعوة وعرفوا فضلها وفضل دولتها بعد ما رأوا الوضع الأمثل الذى تحقق للمجتمع بعد تمكنها في النفوس.

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع وتحديد فترته الزمنية بالقرن العاشر الهجرى الى انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقيام الدولة السعودية الأولى، دفعني الى ذلك عدة أسباب منها :

١- أن هذه الفترة تشكل جزءا من الفترة التى درستها في رسالة الماجستير عن بادية نجد منذ القرن العاشر حتى سقوط الدرعية، وهذا ماجعلني والمطلعين على تلك الرسالة نحس بفقدان الجزء المكمل لهذا الموضوع وهو

بحث الحياة الاجتماعية عند حضر نجد ، وهذه المسألة كانت احدى التوصيات التى أوصت بها لجنة المناقشة للماجستير حرصا على وجود نوع من التكامل بين دراسة الحياة الاجتماعية عند هاتين الفئتين الرئيستين فى نجد وصولا الى بروز دراسة شاملة للحياة الاجتماعية عند حضر نجد وبدوها كل فئة على حدة.

٢- شح المصادر فى تاريخ تلك الفترة مما يجعل الباحث يغوص فى المصادر المساندة لايضاح معتقد دينى أو مظهر اجتماعى مما يضفى على البحث مشقة ومتعة علمية فى الوقت ذاته تجعل للبحث - اذا خرج بالصورة المرجوه - قيمة علمية ، فعلى الرغم من كون الرسالة متخصصة فى التاريخ الاجتماعى الا أنها على صلة بالعلوم والفنون الأخرى ، فضلا عن اثرائها لجوانب الحياة الأخرى كالدينية والعلمية والاقتصادية.

٣- دخول المنطقة بشكل واسع فى المذهب الحنبلى منذ القرن العاشر الهجرى ، فرغم أنها قد عرفت هذا المذهب قبل القرن العاشر الا أن انتشاره فى المنطقة بشكل واسع كان منذ هذا القرن فما بعده وكانت بدايات هذا الانتشار على يد الشيخ شهاب الدين أحمد بن عطوة الجبيلى النجدى (ت ٩٤٨هـ) / ١٥٤١م).

٤- دخول بعض المستجدات على حياة النجديين الاجتماعية حاضرة وبادية كالقهوة والتبغ والنارجيل وتلك المشروبات جدت على المجتمع النجدى وتستحق رصد بداية دخولها المنطقة وكيفية انتشارها ومواقف العلماء والعامة فى نجد منها ودرجة تأثيرها على مجريات الأحوال الاجتماعية.

٥- ان القرن العاشر هو بداية التاريخ الحديث بالنسبة لتاريخ العرب حيث انضوت البلاد العربية تحت الحكم العثمانى .

٦- أن هذا القرن هو بداية وصول الكتابة التاريخية إلينا ، ولهذا

فليس مصادفة أن تبدأ السنوات السابقة لتاريخ ابن بشر (السوابق) بالقرن العاشر.(١)

٧- ان معرفتنا بالمأثور العامي بدأت تزداد منذ القرن العاشر الى قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حيث يصور هذا الشعر أصدق تصوير بعض نواحي الحياة الاجتماعية قبل قيام هذه الدعوة التي بدأ تاريخنا المحلي ينتظم شيئا فشيئا بعدها.

٨- أنه لكي تصبح الدراسة الاجتماعية ذات قيمة ومردود علمي فلابد أن تقف عند المتغيرات الاجتماعية الكبرى التي تؤثر جذريا في الحياة الاجتماعية بمجالاتها الدينية والعلمية والاقتصادية، ومن هنا فان قيام هذه الدعوة وتأسيس الدولة السعودية يعد حدا فاصلا بين حياة اجتماعية متوارثة وحياة اجتماعية جديدة قامت على أسس ومبادئ مستمدة من الأسس والمبادئ الاسلامية، وهذا ماجعل المجتمع بعد هذا التغيير العظيم يعيش حالة من التنظيم في كل مجالات الحياة لم يعرفها منذ أمد بعيد.

٩- أن تكثيف الدراسة فيما قبل الدعوة يمكننا من ادراك حاجة المجتمع لها وتأهله في الوقت نفسه لقبولها والتفاعل مع ماجاءت به من متغيرات اجتماعية في المجالات الحيوية العامة.

وقد قسمت البحث الى مدخل وأربعة أبواب يندرج تحتها عشرة فصول وفي البداية تحدثت في المدخل عن أبرز الفئات الاجتماعية في نجد سواء كانت رئيسة كالبدو والحضر أم فرعية تدخل في اطار هذا التقسيم، وعرضت لأبرز العوامل المكونة لبعض تلك الفئات عبر الفترات التاريخية.

---

(١) الواقع أن السوابق بدأت عام ٨٥٠هـ وهو بدء عمران العيينة الا أنه حصل انقطاع في السوابق حتى عام ٩١٢هـ ثم بدأت سنوات السوابق تتابع تقريبا.

ومامن شك أن فهم الأوضاع الدينية لأ ى مجتمع يعين على فهـــم أوضاعه الاجتماعية العامة الأخرى ،كما أن التنظيم الديني يؤثر في المجتمـع الذى يسود فيه ويتأثر فيه ،وتلك حقيقة قررها علماء الاجتماع ويستطيـع أن يتلمسها كل راصد للحياة الاجتماعية عند سائر الأمم والشعوب في مختلف فترات التاريخ ،لكل هذا فقد أفردت الحياة الدينية قبل دعوة الشيـخ محمد بن عبد الوهاب بباب مستقل يشكل الباب الأول ويضم فصلين تحدثت في الفصل الأول عن مظاهر الانحراف عن الدين الاسلامي ومهدت لـه بتمهيد موجز عن أبرزمظاهر الانحراف عن الدين في بعض المناطق المجاورة آنذاك ،ثم فصلت بعض الشئ في تلك المظاهر عند حضر نجد قبل الدعوة ، وقسمتها الى قسمين عرضت في القسم الأول تلك المظاهر في أصول الديـن وقمت فيه باستعراض تفصيلي للأمور الشركية والبدعية كالاعتقاد ببعض قبـور شهداء الصحابة في معركة اليمامة ، وبعض الكهوف والأشجار والأشخـاص وبعض البدع الأخرى كقراءة القرآن على القبربعد الدفن ،والذبح لدفـع ضرر الجن والاعتقاد بليلة النصف من شعبان ،وقصد المدينة المنورة لزيـارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير هذه البدع ،ورغم أن الاشـارات التاريخية تلمح الى تركز كثير من هذه البدع في مناطق معينة الا أنـي حرصت على البحث عن بعض البدع في المناطق النجدية الأخرى .

أما في الفروع فقد بسطت القول عن بعض مظاهر الانحراف عن الديـن في هذا الجانب التي من أبرزها رشوة الحاكم(القاضي) والتي عرف بهـا بعض علماء نجد قبل الدعوة بدافع عدم وجود مخصصات مالية ثابتة للقاضـي مقابل الفصل بين الناس،وقد فصلت القول في هذا الجانب مبينـا رأى بعض علماء نجد فيه منذ القرن العاشر الهجرى ،ورأى الشيخ محمـد ابن عبد الوهاب ونقاشه مع معارضيه حولها مما يبدو معه أنها كانت مـن أبرز الانحرافات الدينية في الفروع تغلغلا في المجتمع، وقد تحدثـت عنها في بداية هذا البحث لأنها تشكل أهم مظهر لتلك الانحرافات،وسبب

رئيسى لها ، وحتى لا يطول هذا البحث عن مباحث الرسالة فقد اكتفيت بعد ذلك بعرض أمثلة لهذه العادات فى أحكام المياه والسقيا من الوديان وبعض أساليب البيوع والأوقاف والوصايا المخالفة للشرع والتى كانت مثار جدل حاد بين الشيخ محمد وخصومه .

وفى الفصل الثانى من هذا الباب عرضت لبعض مظاهر الالتزام بالدين عند الحضر كأداء الشعائر التعبدية ، والاهتمام بتعلم القرآن ونسخة ووقفه ووجود عدد من الأوقاف التى تنطلق من احتساب الأجر عند الله وغير هذه المظاهر التى تؤكد أن قطاعا عريضا من المجتمع الحضرى النجدى كان يعيش على فطرة الاسلام ، وقد حرصت فى هذا الصدد على استعراض بعض النصوص التى تؤكد هذا الجانب وتقرره وتفصله وخاصة من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذى يدل على تأهل هذا المجتمع لقبول هذه الدعوة سواء بوجود مظاهر الانحراف التى دفعت الشيخ للاصلاح والتجديد أم بوجود مظاهر الالتزام بالدين التى كونت أرضية جيدة لهذا الاصلاح والتجديد ، وقد أشارت بعض النصوص الى ثناء الشيخ على بعض جوانب هذه الحياة ، ونقده وملاحظاته على البعض الآخر ، وفى هذا الفصل عرض لبعض القصائد العامية والتى تدل على وجود مظاهر التزام أخرى .

ولقد كانت الحياة العلمية أحد أبرز الأنشطة الاجتماعية فى المنطقة حيث تقوم بها فئة لا يستهان بها من المجتمع انطلاقا من قول الله عز وجل " وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون" التوبة آية ١٢٢ ، فضلا عن التأثيرات الواضحة للحياة العلمية على كثير من مجالات الحياة الاجتماعية بحيث يمكن اعتبارها الموجهة للحياة الاجتماعية ، ولهذا فقد أفردت لها بابا مستقلا يضم فصلين قمت فى الفصل الأول باعطاء عرض عام لأبرز الملامح العامة للحياة العلمية قبل الدعوة مما يجعل منه ممهدا للفصل الثانى فقط ، اذ أن موضوع الحياة العلمية موضوع واسع

والبسط في الكلام عنه سيكون على حساب مباحث الرسالة الأخرى ، وما عرضه هنا الا بمقدار كونه يشكل نشاطا اجتماعيا تقوم به تلك الفئة المهمة في المجتمع، ويشمل هذا الفصل عدة مباحث أولها سبل التعلم التي عرفها طلاب العلم في نجد كالتعليم المحلي وهو الذي يتم داخل بعض البلدان النجدية التي يوجد فيها من يستطيع تعليم أبناء بلدته مهما كانت درجة تعليمه، ثم الرحلات العلمية الى المراكز العلمية داخل نجد وتتبعت فيه أهم هذه المراكز وأبرز العلماء التي رُحِل اليهم فيها ، ثم الرحلات الى المراكز العلمية خارج نجد داخل شبه الجزيرة كمكة والمدينة والاحساء وعرضت فيه لبعض الذين تلقى النجديون عليهم العلم فيها ، ومنها الرحلات الى خارج شبه الجزيرة كالعراق والشام ومصر، وطرقت فيها لأبرز العلماء في هذه المناطق وبعض طلاب العلم النجديين الذين تتلمذوا عليهم فيها .

ومن مباحث هذا الفصل محاولة بعض الطلاب النجديين الاستفادة من مرور بعض العلماء على نجد في طريقهم الى أي منطقة داخل شبه الجزيرة وخاصة الحجاز، وقد أبرزت بعض الأمثلة التي توافرت لدي على هذا الجانب سواء من النجديين أم من العلماء المارين بنجد .

ويصور مبحث العلاقة بين الطلاب وأساتذتهم درجة تلك العلاقة وكونها قد حفظت للأستاذ كرامته وتقديره وللعلم حيويته ونقاشه حيث حفلت مظاهر تلك العلاقة بالعديد من المسائل التي كان الطلاب يتحاورون فيها مع أساتذتهم بأسلوب هادئ أحيانا وحاد أحيانا أخرى .

أما مجالات التأليف فقد عرضت لأبرزها وهي الفقه والتاريخ والتوحيد وعلوم الآلة وقمت بايراد بعض الأمثلة على بعض هذه المجالات، وفي طريقة التأليف بينت عدم اختلاف المؤلفين النجديين عمن سبقوهم أو عاصروهم في هذا السبيل في أي من مجالات التأليف، وبحثت في أبرز ملامح تلك

الطريقة عند النجديين وهى توفر الأمانة العلمية المنطلقة من خوف اللـــه ومراقبتـــه .

وأعددت فى مبحث النساخ والخطاطين وكتّاب العدل بيانا ببعـــض هؤلاء ودرجة اتقان خطوطهم وضبطها على ضوء المعلومات المتوافرة لـــدىّ عنهم ، ومثلت لبعض ماقاموا به فى هذا الصدد سواء لنسخ القرآن الكريـــم أم الكتب الفقهية والتاريخية واللغوية وغيرها ، كما قمت بايراد بعض المكتبات لبعض علماء نجد فى تلك الفترة وهى تصوّر درجة حرص طالب العلم النجدى على اقتناء الكتب سواء عن طريق الشراء أم الاستنساخ ، ورغم كون هـــذه المكتبات ذات طابع خاص الا أنها أدت دورا جيدا فى تنشيط الحركـــة العلمية ، وختمت هذا الفصل بعرض بعض سبل الأوقاف العلمية سواء كـانت كتبا أم سبل انفاق ، وسواء كانت على طلاب العلم عامة أم على هؤلاء مـــن ذرية الواقف خاصة .

وفى الفصل الثانى بحثت فى الآثار الاجتماعية للحياة العلمية حيـــث مهدت له بعرض موجز عن المكانة الاجتماعية لعلماء نجد قبل الدعوة ، ثـــم أوردت بعض الأمثلة التى تبين حرص الفقيه النجدى على طرق الموضوعـــات ذات الصلة المباشرة بالمجتمع والبعد عن المسائل التى لا مساس له فيهـــا انسجاما مع أن العرف عامل تجب مراعاته مالم يتعارض مع نص أو اجمـــاع أو قياس ، وعرضت بعض الأمثلة التاريخية والفقهية التى تبين حرص الفقيـــه النجدى كذلك على مراعاة أوضاع بعض الفئات الاجتماعية خاصة العاملـــة فى تخفيف الفتوى انطلاقا من يسر الدين وسماحته مع التحرز الكامل فى عدم استغلال مثل هذا الجانب للتفلت من بعض الأحكام الشرعية .

وناقشت عند بحث العلماء لبعض العادات الوافدة على المجتمع موقـــف علماء نجد من عادتين رئيسيتين برزتا فى تلك الفترة وهما عادة شرب القهوة وعادة التدخين ، وبينت فى هذا المجال أن هؤلاء العلماء لم يكونوا بمعزل

عن المستجدات على المجتمع النجدى .

ومن خلال بعض الأحداث التاريخية عرضت بعض جهود العلماء الاصلاحية فى المجتمع لاصلاح ذات البين حقنا للدماء ومنعا للفتن من الانتشار، وأشرت الى أن هذه الجهود ـ رغم أهميتها ـ تبقى محدودة التأثير بجانب الجهد الكبير الذى قام به امام الدعوة فى الاصلاح .

ولقد حرصت على تلمس مساهمات بعض العلماء فى سبل الخير عن طريق تشجيعهم للأوقاف الشخصية ذات المردود العام وقيامهم فى الوقت نفسه ببذل ماتجود به أنفسهم وما تسمح به مقدرتهم المالية فى هذا الجانب .

ومن وجود عدد من الرحلات العلمية عرضت لبعض الآثار الاجتماعية لها سواء تلك التى أعقبها استقرار فى البلد المرتحل اليه أم تلك التى تلتها عودة الى نجد ،وهى آثار تبين درجة تأقلم النجدى مع البلد المهاجر اليها ، وتبرز مكانة لبعض النجديين فيها .

وانسجاما مع نقد العلماء لبعض المظاهر الاجتماعية فقد مثلت على ذلك ببعض القصائد الفصيحة التى تبين أن بعض الجوانب الاجتماعية قد توجد عنها معلومات فى الأدب الفصيح الذى يشتهر نقده لتلك المظاهر بالتوجيه الشرعى نظرا لكون القائمين به من فئة العلماء .

ولئن كان النشاط العلمى يعد أحد أبرز الأنشطة الاجتماعية كما مر فان النشاط الاقتصادى لا يقل أهمية عن ذلك فى هذا المجال اذ يقوم به قطاع عريض من المجتمع نظرا لتنوع مجالاته الحيوية فى تسيير دفة كافة الأمور التى تكفل للمجتمع بقاءه واستقراره فضلا عن أهمية مايحدثه هذا الجانب من تأثيرات واضحة على الحياة الاجتماعية نتيجة تلك العلاقات الاقتصادية الواسعة سواء بين أفراد وفئات المجتمع النجدى أم بين النجديين والبلدان

المجاورة وغير المجاورة .

لكل هذا فقد خصصت بابا مستقلا لهذا الجانب يضم فصلين وقسمت البحث فى الفصل الأول الى ثلاثة مباحث حيث تحدثت فى المبحث الأول عن الرعى والثروة الحيوانية باعتبار هذه المرحلة تعد الأولى فى قيام الناس بها عبر التاريخ ، وتعد كذلك مما يشترك فيها البدو مع الحضر ، وفى هذا المبحث عرض لأهم الحيوانات الموجودة فى نجد ، ونظرة المجتمع لرعى بعض الماشية كرعاء الشاء (الشاوية) وتأصل تلك النظرة عند العربى منذ القدم ، كما تحدثت فى المبحث الثانى عن الزراعة ونظرة المجتمع لها وأهم المحاصيل الزراعية والمشكلات التى تعيق الحركة الزراعية آنذاك وحرصت فى هذا المجال على بيان قدم هذه المحاصيل فى نجد ، والاستفادة من كتب الفقهاء فى عرض بعض المشكلات الزراعية ، أما المبحث الثالث فقد خصصته للحرف اليدوية والمهن حيث أعطيت عرضا عاما لأبرز هذه الحرف وفائدتها للمجتمع ، وقدم بعض هذه الحرف فى المجتمع .

وقد أفردت التجارة بفصل مستقل نظرا لتنوع الأنشطة التجارية وبروز الآثار الاجتماعية فيها بشكل واضح حيث عرضت فى هذا الفصل لابرز أساليب التجارة المحلية داخل البلدان النجدية ، والتجارة الاقليمية داخل نجد بين البلدان والأقاليم النجدية ، والتجارة بين البدو والحضر ، والتجارة الخارجية بين نجد والبلدان المجاورة وغير المجاورة ، وفيه حديث عن هذه البلدان وحركة الاستيراد والتصدير بين نجد وبينها ، كما عرضت لنظام الأسعار السائدة فى تلك الفترة وأعطيت أمثلة لهبوط الأسعار وارتفاعها

وفى مبحث المكاييل والموازين والمقاييس قمت بعرض عدد من المكاييل النجدية مبتدءا بذكر عدد من الآصع التى عرفت فى بعض المناطق النجدية كصاع العارض وصاع سدير وصاع وادى الدواسر مع الحرص على مقارنة هذه الآصع بالصاع النبوى (وحدة الكيل الشرعية) ومقارنتها ببعض وحدات

الكيل في بعض المناطق المجاورة وضمنت الحديث عن الآصع عرضا لوحدات الكيل الأصغر التابعة للصاع كالمد والنصيف والربيع وكذلك وحدات الكيل التقديرية الكبيرة كالوسق ، أما الموازين فقد طرقت لبعض أدوات الوزن وحرصت على أن أتلمس وجود شبه بين هذه الأوزان وأوزان العرب الأوائل والبلدان المجاورة ، وعرضت لأنواع القياسات المعروفة آنذاك كالباع والذراع والشبر والفتر ، ولم أغفل تاريخ الغاء العمل بهذه المكاييل والموازين والمقاييس واستبدالها بالوحدات العشرية .

وقمت باحصاء عدد من العملات التي تداولها النجديون في تلك الفترة وتتبعت مراحل سكها على ضوء ماتوافر لديّ من معلومات ، كما أوضحت درجة تعامل النجديين ببعض العملات ، وكذلك أوجه الشبه ـ ان وجدت ـ بين نجد وبعض البلدان في تداول هذه العملات ، وحرصت على أن أبين انتماء هذه النقود الى سلات العملات المختلفة .

ولما كانت المظاهر العامة للحياة الاجتماعية تعد من أهم موضوعات الرسالة فقد أفردت لها بابا يضم أربعة فصول ، فقد خصصت الفصل الأول للهجرات النجدية وأعطيت فيه ملامحا عامة لهذه الهجرات مبتدءا بالأسباب الرئيسية والمباشرة لهذه الهجرات كالأسباب الأمنية التي كانت نتيجة لتلك الصراعات بين الأفراد والأسر ، وقمت بايراد بعض الأمثلة التاريخية في هذا الجانب مؤكدا على أن نجدا لم تكن بدعا في تلك الصراعات ، ثم عرضت لبعض الأسباب الاقتصادية التي كانت تدفع بعض النجديين الى ترك بلدانهم ، ومن أهم هذه الأسباب عدم هطول الأمطار أو قلتها في بعض الأحيان وكذلك بعض الكوارث الطبيعية وغزو الجراد للأرض الزراعية ، ثم قسمت أنواع الهجرات الى نوعين هما الهجرة الداخلية التي تنطلق من وجود مناطق خصب ونماء في داخل نجد كان يلجأ اليها بعض سكان المنطقة اذا اشتد الحال بهم ، على أن بعضهم كان لا يرضى بغير الهجرة الخارجية بديلا للخروج من أزماته الأمنية والاقتصادية وقمت بعرض أمثلة تاريخية على تلك الهجرتين .

وفى الفصل الثانى عرضت لبعض نظرات المجتمع تجاه بعض الفئات كنظرة الحضرى للبدوى التى مهدت لها بنظرة البدوى للحضرى للتلازم بين النظرتين مؤكدا قدم هاتين النظرتين الناشئتين عن اختلاف أسلوب معيشة كل منهما عن الآخر ثم أوردت بعض الأمثلة التاريخية والاشعار والأمثال العامية التى تبين نظرة الحضرى وفصلت فيها ، ثم عقبت فى المبحث الثانى بنظرة المجتمع نحو المرأة مبينا أنها تلقى التكريم عند بعض النجديين والاحتقار عند البعض الآخر وأن هذين الجانبين لتلك النظرة متأصلة عند العربى ، وأوردت بعض الأمثلة التاريخية على بروز نساء شهيرات فى المجتمع مما يدل على أن جانب التكريم كان أكثر بروزا من غيره اذا توفرت فى المرأة صفات تفرض ذلك ، وختمت هذا الفصل بالمبحث الثالث منه باعطاء تصور عن وضع الرقيق ونظرة المجتمع لهم تلك النظرة التى لا تختلف عن النظرة السابقة ، وقارنت فى بعض بعض مظاهر تلك النظرة بين الرقيق عند البدو وعند الحضر ، مبينا الأعمال التى يقوم بها الارقاء فى المجتمع.

وقد بحثت فى الفصل الثالث عددا من العادات والتقاليد كالعادات الخاصة بالزواج حيث حرصت على تلمس تلك العادات فى الزواج من خلال كتب الفقهاء والأمثال العامية مع الحرص على مقارنة بعض تلك العادات بما لدى العرب قبل الاسلام ، ثم اتبعت ذلك بالاساليب المتبعة فى السكن التى تبين درجة استغلال النجدى لمواد بيئته فى توفير سكن له ومكونات هذا السكن ودرجة تكييف النجدى له مع عوامل الموقع والمناخ ، وعرضت بعد ذلك لأسلوب الملبس وأنواع الملبوسات كالألبسة الرجالية والنسائية ومن تظهر عليهم علامات الصلاح ، ثم طرقت بعض أنواع الحلى مع الحرص - ما أمكن ذلك - على تلمس مظاهر شبه بين ذلك وبين ما لدى المرأة العربية القديمة ، وتحدثت بعد ذلك عن أبرز أنواع الأكل والمواد الغذائية المتخذ منها ، وبعض المظاهر الاجتماعية المتعلقة بذلك ، وبينت بعض أوجه الشبه فى هذا المجال بين النجديين والعرب الأوائل ، أما المشروبات

فقد عرضت لبعض العادات المتعلقة بالمشرب المتأصلة عند العربى منذ القدم مع بيان لبعض المشروبات المألوفة الى أن طرقت لبعض المشروبات المستجدة كالقهوة والتبغ والنارجيل مبينا درجة تغلغل كل منها فى المجتمع.

وقد حرصت على أن يكون ختام هذا الباب بل ختام الرسالة كلها فصلا عن التكافل الاجتماعى والأعمال الخيرية حيث مهدت له بعرض موجز لبعض ملامح التكافل الاجتماعى فى الاسلام من خلال عرض بعض الآيات والأحاديث التى تبين هذا الجانب وتقرره، ثم فصلت الحديث - بعض الشئ - عن أبرز مظاهر التكافل الاجتماعى عند حضر نجد قبل الدعوة عن طريق أداء الزكاة الواجبة والاكثار من صدقات التطوع واستغلال المواسم الزراعية لها كالجداد والحصاد وغيرها، وكذلك الأوقاف الشخصية التى برزت فيها مظاهر التكافل أكثر من غيرها بشمولها سائر فئات المجتمع الأحياء والأموات منهم، ثم الوصايا بأنواعها وقد بينت فيها وفى الأوقاف أن النجدى لم يقصر صرف منافعهما على منطقة نجد بل كان يمد ذلك لبعض المناطق كمكة والمدينة اذا أتاحت له الظروف ذلك، ثم ختمت هذا الفصل بعرض عن طرق الخير والاحسان الأخرى كالامهال عن المعسر وتخفيف الدين عنه والغائه أحيانا، وبينت أن هذه الجوانب تضفى اشراقا على الحياة الاجتماعية يخفف من تلك الضوائق الاقتصادية، ويعطى توازنا مع بعض المظاهر السلبية فى التعامل الاجتماعى أحيانا .

وقد رجعت فى ذلك كله الى بعض المصادر والمراجع الرئيسية والفرعية، فقد استفدت كثيرا من مؤلفات الشيخ محمد بن أحمد المنقور وخاصة كتاب " الفواكه العديدة فى المسائل المفيدة " الذى طبع أول مرة عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م بواسطة المكتب الاسلامى بدمشق بتمويل من الشيخ على بن عبد الله آل ثانى حاكم قطر آنذاك، وآخر طبعة اطلعت عليها هى الرابعة عام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م بواسطة مركز الطباعة الحديثة ببيروت

بتمويل من الأستاذ عبد العزيز المنقور الذى كرم فأهدانى نسخة من الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م نشر دار الآفاق الجديدة ببيروت على نفقة الاستاذ عبد العزيز نفسه ويبدو أن هذه الطبعات قد عوّلت على الأولى اذ لا تعدو أن تكون تصويرا لها، وميزة هذا الكتاب جمع فتاوى علماء نجد قبل الدعوة مع بعض العلماء الآخرين، وللمؤلف فيه بعض الآراء الخاصة، ويستطيع الباحث أن يرصد فيه كثيرا من القضايا الدينية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية عن مجتمع نجد فى تلك الفترة، ويعرف فى الأوساط الفقهية بمجموع المنقور، وقد استفدت من تاريخه الذى حققه الدكتور عبد العزيز الخويطر، وقد اعتمدت على هذا التاريخ المحقق المنشور الا أنى أفدت من احدى النسخ الخطية له فيما أجد فيه اختلافا بين النسختين، كما رجعت الى منسكه المسمى جامع المناسك الثلاثة الحنبلية الذى طبع بواسطة المكتب الاسلامى أكثر من مرة، وقد أفدت منه فى عرض بعض الأمور الخاصة بالمناسك مما يعد من البدع، ورجعت كذلك الى تاريخ ابن لعبون، وأفدت منه فى جوانب من هذا البحث، وكانت استفادتى مباشرة من الأخبار النجدية للفاخرى الذى قام استاذى المشرف باعداد دراسة وتحقيق وتعليق عليه، وكانت هذه الاستفادة من تعليقات المحقق لا تقل عن استفادتى من الكتاب نفسه، وهو الأسلوب الذى اتبعته فى الاستفادة من تاريخ ابن ربيعة والذى حققه كذلك أستاذى المشرف، كما أفدت من تاريخ ابن عباد وابن يوسف المخطوطين وأوراق خطية بقلم عثمان بن منصور، وهى مع غيرها من المخطوطات التى أثبتها فى نهاية الرسالة قد كرم أستاذى الكريم بتزويدى بنسخ منها، وهذا جزء من الفضل العميم الذى شملنى به حفظه الله .

وقد رجعت الى تاريخ ابن غنام المسمى "روضة الأفكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام" وقد اعتمدت على طبعة المكتبة الأهلية بالرياض عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م حرصا منى على تأصيل البحث وتوثيقه لانها كتبت بأسلوب المؤلف، كما أفدت كثيرا من تاريخ ابن بشر

" عنوان المجد في تاريخ نجد" وقد اعتمدت على النسخة التي حققها الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ وطبعتها وزارة المعارف عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م على انى أقارن أحيانا بين الطبعات الأخرى وهذه الطبعة، ولم أكن بعيدا عن ملاحظات الباحثين على ابن بشر كملاحظات الشيخ مقبل الذكير، والدكتور عبد العزيز الخويطر في دراسته عن ابن بشر، واستاذى المشرف في دراسته لأهم المصادر النجدية.

ومن أهم المصادر التي رجعت اليها مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي نشرتها جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كما أفدت من البحوث التي أعدت لهذا الأسبوع، والبحث والتعمق في مؤلفات الشيخ محمد ضرورى لكل من يريد أن يبحث في التاريخ النجدى باعتبار أن الدعوة محور هذا التاريخ في عصره الحديث، وعلى اعتبار أن نظرات امامها تشكل عمقا تحليليا في رصد كثير من نواحي الحياة العامة في نجد سواء قبل الدعوة أم بعدها .

ومن مراجع هذا البحث كتاب " تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق " للشيخ عبد الله بن محمد البسام وهو مخطوط ، وميزته وجود بعض الأحداث التاريخية في فترة ماقبل الدعوة منذ ماقبل القرن العاشر ومابعده قد لا توجد في غيره من مصادر تاريخ نجد ، كما أني أفدت من كتاب " علماء نجد خلال ستة قرون" للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام والذى يعد سجلا جيدا لتراجم علماء نجد قبل الدعوة وبعدها .

وتشكل المأثورات العامية من أمثال وقصص وقصائد مصدرا رئيسا من مصادر هذا البحث، وحرصا منى على تأصيل كلمات ماأستفيده منها فقد رجعت الى بعض المعاجم اللغوية كالقاموس والتاج ، وقاموس رد العامى الى الفصيح ،على أن هذه المعاجم قد أفدت منها في تلمس مظاهر الشبه بين بعض العادات النجدية وعادات العرب القديمة، وهي الفائدة

التى حصلت عليها كذلك من دراسة تاريخ العرب قبل الاسلام وخاصة كتاب المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد على .

ومن المصادر التى رجعت اليها كذلك " لمع الشهاب فى سيرة محمد ابن عبد الوهاب " تأليف حسن بن جمال الريكى(نسبة الى بندر رَيْك على الساحل الايرانى من الخليج العربى) .

أما الكتب الصادرة باللغة الانجليزية فقد أعطانى أستاذى المشرف مشكورا جزءا من رسالة الدكتور محمد الثنيان التى قدمها لجامعة اكسترا فى بريطانيا ، وأفدت منها ، كما طلبت بعض الكتب والرسائل الجامعية التى تتحدث عن نجد ونوقشت فى أمريكا فكرم الأخ الدكتور عبد الله الوليعى ببعث بعضها الىّ أثناء دراسته فى أمريكا ، وجلب بعضها الآخر معه فى رحلة العودة الى الوطن ، واهدى الىّ مشكورا الدكتور عويضة الجهنى رسالته للدكتوراه التى قدمها لجامعة واشنطن ، وقد ترجمت أجزاء من هذه الكتب والرسائل وأفدت منها فى مراحل البحث.

---

(١) رغم أن محققي هذا الكتاب - أبو حاكمة وآل الشيخ - لم يكشفا لنا عن اسم هذا المؤلف وشخصيته ، وهل هذا الاسم - الريكى - للناسخ فقط أو للمؤلف كذلك ، ولم يكلفا نفسيهما فى بذل جهد من هذا القبيل - وهو من أهم قواعد التحقيق - رغم ذلك فقد ترجح لدى أن الريكى هذا هو مؤلف الكتاب وربما ناسخه كذلك وذلك للأسباب الاتية :

١- ترجيح الشيخ حمد الجاسر لذلك فى مقالة عن هذا المؤلف فى مجلة العرب ج ١٠ / س ع / ص ١٩٤٠ .

٢- ترجيح الدكتور منير العجلانى لذلك فى كتابه البلاد العربية السعودية ١ / ٤٤ .

٣- تأكيد عبد الواحد راغب فى مقالة نشرها عن هذا الكتاب ومؤلفه فى مجلة الدارة ع ٢ س ٣ / ص ٢٣٨ - ٢٤٩) .

٤- أن التعمق فى قراءة الكتاب يؤيد هذا الرأى وعلى سبيل المثال انظر ص ٧١، ١٩٧ .

وكنت خلال رحلاتى العلمية وزياراتى للبلدان خارج المملكة حريصا على جمع بعض المعلومات عن هذا البحث سواء كانت هذه المعلومات تمسه بصفة مباشرة أم غير مباشرة حيث قمت بزيارة للعراق ودول الخليج ، وانتهزتها فرصة لجمع عدد من الكتب التى تبحث فى تواريخ هذه البلدان من المكتبات التجارية فيها مما له صلة مباشرة أو غير مباشرة بالتاريخ النجدى .

هذا عرض عام لأهم المصادر والمراجع التى رجعت اليها فى اعداد هذه الرسالة ، ولن أتحدث عن الصعوبات التى واجهتنى أثناء اعداد هذا البحث فان أى جهد علمى لا يكون له لذة الابتكار وطعم العلم الا اذا واكبته مصاعب ومتاعب تاركا تقدير ذلك للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة ومن يطلع بعدهم على هذه الرسالة .

ولا يسعنى - وقد أنهيت هذا البحث - الا أن أرجو أن يكون قد خرج بالصورة المطلوبة أو قريبا منها ، كما أتوجه بخالص الشكر وعظيم الامتنان الى الرجل الذى كانت له اليد الطولى فيما خرج به هذا البحث من فِكَر استاذى المشرف الاستاذ الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل حيث كان لى نعم الموجّه والمعين بعد الله عز وجل ، ولا أذكر أننى جئت اليه بمشكلة تتعلق بهذا البحث الا خرجت منه بمخطوط أو مطبوع يعيننى على فهمها أو توجيه كريم يذللها .

ومازالت هذه الكلمات لمسئول كبير أفدت منه فى بعض الموضوعات " ان أهمية هذا الموضوع وكون المشرف عليك فيه الدكتور عبد الله الشبل يلقى عليك تبعة كبيرة فهو رجل له باع طويل فى هذا الموضوع " مازالت هذه الكلمات عالقة فى ذهنى سواء وأنا فى طور الاعداد لهذا البحث أم بعد كتابته والانتهاء منه ، فان أكن قد وفقت الى بعض الصواب فيه فذلك بتوفيق الله عز وجل ثم بعون ومساعدة وتوجيه أستاذى الكريم ، وان تكن الأخرى - لا قدر الله - فذلك بسبب قصور فهمي عن ادراك بعض

الجوانب الخفية عليّ فيه ، سائلا الله جلت قدرته أن يجزى أستاذى عنى خير ماجزى استاذا عن تلميذه ، وأن يمنّ عليه بنعمة الصحة والعافية وطول العمر فى الأعمال الصالحة ، وأن يعيننى على رد بعض الجميل الذى شملني به حفظه الله .

كما أشكر عمادة كلية العلوم الاجتماعية ممثلة فى عميدها السابق الدكتور محمد سالم العوفى وعميدها الحالى بالنيابة الدكتور ناصر الداود والى الأخ الدكتور رئيس قسم التاريخ الدكتور سليمان الرحيلى ووكيل القسم الأخ الدكتور حمد السحيبانى وكل من أسدى الىّ معروفا يتعلق بأى مرحلة من مراحل هذا البحث ، والله يجزى الجميع كل خير . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

المدخل
الفئات الاجتماعية
في نجد

ينقسم المجتمع النجدى حسب الخصائص الاجتماعية الى قسمين رئيسين وهو التقسيم نفسه الذى كان عليه العرب فى جاهليتهم وبعد الاسلام كذلك .

١- البادية : أو من تسميهم المصادر العربية أهل الوبر (١) لأن بيوتهم تتخذ من وبر الابل فى الغالب والا فقد تتخذ من أصواف الغنم وأشعار الماعز وهم ينتجعون مواطن الكلأ وموارد المياه ، وتتشابه حياتهم الاجتماعية مع حياة بدو الجاهلية فى كثير من مجالاتها ان لم تتطابق معها تماما بساطة فى المسكن وتواضعا فى المأكل والمشرب والملبس وتماثلا فى كثير من العادات والتقاليد بل وبعض المعتقدات الدينية ، وتمسكا بأهم مستلزمات حياة الصحراء من الكرم والفخر والشجاعة ، وهذا القسم أصل للقسم الثاني (٢) .

٢- ألحاضرة (٣) : أو من تسميهم المصادر العربية القديمة أهل المدر والسبب فى وجود هذا القسم أن التحضر يكون غاية لبعض البدو وتحت قسوة الأحوال المناخية فى الفترات فيحصل من جراء نقص الأمطار أوعدم هطولها

---

(١) الوبر محركة : صوف الابل والأرانب ونحوها والجمع أوبار لأن البدو يتخذون بيوتهم منها الغالب وقد ورد فى الحديث : " أحب الىّ من أهل الوبر والمدر " أى أحب الىّ من أهل البوادى والقرى (محمد الزبيدى ، تاج العروس من جواهر القاموس : نسخة مصوّرة عن الطبعة الخيرية ، القاهرة ١٣٠٦هـ نشر دار الحياة - بيروت ٣/٥٩٤١٣ باب الراء فصل الواو) .

(٢) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة نشر دار الأعلمي بيروت ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م ١٠١ ، ١٠٣ ، د : جواد علي ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ط (١) دار العلم للملايين بيروت نشر مكتبة النهضة بغداد ١٩٦٨م ٤/٢٧٢ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، أيوب صبرى : مرآة جزيرة العرب ، ترجمة وتعليق د . أحمد فؤاد متولي ، والصفصافي أحمد المرسي ط (١) دار الرياض للنشر والتوزيع ، الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ١/٤٥ ، ٤٦ ، فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ط (١) المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م ، ٩٢ ، ٩٣

(٣) المدر محركة : قطع الطين اليابس ويطلق على أهل القرى والمدن لأن مبانيها من الطين ومنه قول عامر بن الطفيل العامرى (ت ١١هـ/ ٦٣٢م) لرسول الله صلى الله عليه وسلم : " لنا الوبر ولكم المدر "

(=)

أن يقطن بعض البدو قريبا من أحد البلدان ريثما تتحسن الأحوال في البادية، وقد يطول ذلك فيطيب له المقام فيتحضر مبتدئا بامتهان بعض الأعمال الحضرية فممارسة الزراعة على نطاق ضيق ثم التجارة بعد ذلك.(١)

وبين هذين القسمين توجد فئة المخضرمين التي تعيش حياة البداوة بعض الوقت وتمتهن أعمالها من رعي ورحيل لمواطن الكلأ وموارد المياه، وتقطن البلدان الوقت الآخر في مساكنها الحضرية حيث تقوم بأعمالها السابقة من الزراعة والتجارة وتربية الماشية على الطريقة الحضرية في المزارع.(٢)

والنظرة القبلية تظهر واضحة لدى هذين القسمين وحتى فئة المخضرمين بحفظ النسب، وقصر بعض أنماط التعامل الاجتماعي على أساسه، الا أن هذه النظرة تتعرض أحيانا لمايقلل منها، وقد حصل هذا في كثير من القبائل منذ فترة متقدمة عن الاسلام اذ عرف من أساليب التعامل الاجتماعي بين القبائل

(=) ومدرتك محركة : بلدتك أو قريتك، وبنو مدراء : أهل الحضر (الزبيدى : المصدر السابق ٣/ ٣٥ باب الراء فصل الميم) وتعطي الآية ٨٠ من سورة النحل تصويرا موجزا للمكونات التى يعمل منها العرب بيوتهم، وفي هذا يقول سبحانه :" والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين".

(١) ابن خلدون ١٠١ - ١٠٣ وذكر أن من أسباب التحضير غنى بعض البدو وميلهم للترف وحب الراحة نتيجة مللهم من عيشة الصحراء القاسية، د : جواد على ٤/ ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٨، ٢٨٤، ٨٩، فؤاد حمزة ٩١، ٩٢، وقد اشار مؤرخو نجد الى عدد من حالات الاستقرار التى يقوم بعض البدو قرب البلدان النجدية وكانوا يعبرون عنها بكلمة " هثل" التى تعني الضعف والاستقرار (محمد الفاخرى :الأخبار النجدية. تحقيق د . عبد الله بن يوسف الشبل، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، نشر الجامعة نفسها ص ٧٣، ٩٩ عثمان بن بشر: عنوان المجد فى تاريخ نجد تحقيق : عبد الرحمن ابن عبد اللطيف آل الشيخ ط (٣) طبع ونشر وزارة المعارف السعودية، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م ٢/ ٢٠٩.

(٢) د . جواد على ٤/ ٢٨٨

الجوار والحلف والولاء ، وكلها أساليب تتيح للفرد الانضمام الى قبيلة غير قبيلته مما نشأ معه دخول أفراد وأسر وأفخاذ من قبائل معينة الى قبيلة أخرى فعدت منها ، وهذا ما جعل تسمية بعض الأفخاذ تتشابه بين قبيلة وأخرى .

على أنه بعد ظهور الاسلام طرأ على هذه الفئات تغيير حضرى أرقى بحيث تحضّر قسم من البادية ، وازداد قسم من الحاضرة تحضرا وصاحب ذلك أن شاب نقاءها القبلي دخول بعض العناصر الأخرى فى تكوينها الاجتماعى نتيجة انضوائها تحت لواء الدعوة الاسلامية ، واحتكاكها الحضارى بسكان البلدان المفتوحة ، وهذا مايفسر اختفاء أسماء بعض القبائل العربية من أماكنها وظهورها فى أماكن أخرى ، علاوة على اختفاء بعض الأسماء لقبائل أخرى وظهورها بأسماء أخرى وهى لا تزال فى مرابعها نتيجة لبروز اسم فخذ على الأفخاذ الأخرى حتي ينسى اسم القبيلة الأم ويظهر اسم هذا الفخذ مكانه.(١)

والى وقت قريب فان غالبية أهل نجد ترجع فى أصولها الى القبائل العربية الأولى سواء كانت بدوية أم حضرية(٢) ، وقد دعم هذا انعزال أهل نجد فى الغالب عن بقية سكان البلدان المجاورة رغم وجود علاقات تجارية واسعة النطاق بين أهل نجد والبلدان المجاورة بل وغير المجاورة أحيانا غير أنه من المعلوم أن فئة التجار التى تمارس تجارة خارجية ليست فئة

---

(١) فؤاد حمزة: ١٢٣ ، ١٢٤ ، مكي الجميل : البداوة والبدو فى البلاد العربية ، مطابع الشركة الثلاثية. عمان ، الأردن ١٩٨٣هـ/١٩٦٣م، ص ٣٥ ، ٣٦ ، د . محمود أبو العلا : جغرافية شبه جزيرة العرب (ط ٣ مؤسسة سجل العرب : القاهرة ١٩٧٥م ٢ / ١٧٠

(٢) د . عبد الله الصالح العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مطبعة نهضة مصر. القاهرة ، نشر دار العلوم. الرياض ص ١١ ، نجد منذ القرن العاشر الهجرى حتى ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية. مجلة الدارة ، العدد الثالث السنة الثالثة ص ١٢ .

كبرى ذات تأثير في المجتمع اضافة الى كون المقام قد يطيب لها في البلد المتاجرة معه أو فيه، أو قد تعود منه بعد فترة قصيرة بحيث لا يؤثر ذلك على الحقيقة القائلة بانغلاق المجتمع النجدى عرقيا آنذاك.

واذا كان قسم من أهل نجد يتعرض للجلاء عنها الى البلدان المجاورة أو غير المجاورة أحيانا تحت الظروف القاسية التى تستتبع حالات القحط وانكسار الحال من جوع وخوف ومرض، مما يتوقع معه أن تتأثر نجد سلاليا بهذا الجلاء الا أن هذا القسم ينطبق عليه ما ينطبق على فئة التجار.

هذا بالاضافة الى عدم وجود مايغرى سكان المناطق المجاورة بالقدوم الى نجد سواء كان ذلك للاتجار أو الاستقرار، وعدم تعرضها لغزوات كبيرة من تلك التى تحدث تغييرا اجتماعيا، كما أنها لم تخضع لحاكم من غير أهلها جعل قاعدة حكمه فيها، وبالتالي فلم تتعرض لتلك المؤثرات الاجتماعية العرقية التى تأتى نتيجة لمجيء ذلك الحاكم أو ذاك.(١)

هذه العوامل وغيرها حافظت على الأصالة السلالية لعرب منطقة نجد مما جعلهم أقل العرب تأثرا بالمؤثرات الخارجية لغويا واجتماعيا، ومما جعلهم كذلك يحافظون على وحدة واستقلال كيانهم الاجتماعي واللغوى، اذ لم يحصل لسكانها اختلاط واسع بالعناصر غير العربية لبعد منطقة نجد عن مراكز الامتزاج السكانى سواء كان ذلك فى غرب الجزيرة حيث الأماكن المقدسة وما ينشأ فيها من اختلاط طبيعى مع الأجناس الأخرى من سائر أنحاء العالم الاسلامي، أم كان ذلك فى شرقها حيث تبدو مؤثرات الأجناس الشرقية وخاصة الفارسية واضحة، أم فى شمالها حيث يمكن أن يحصل تأثير تركي على بعض القبائل العربية فيه.(٢)

---

(١) فؤاد حمزة: ٢٤٤، ولهذا فان تلك الحملات الكبيرة التى شنها محمد علي على نجد وماتبعها من بقاء بعض القادة والجنود قد ترك بعض الآثار العرقية واللغوية والاجتماعية فى نجد.

(٢) المرجع السابق ٨٠ - ٨٣، د. أبو العلا: مرجع سابق ٣/١٦٢، ١٦٣، والعثيمين: المرجع السابق ص ١٢

ومن هنا يمكن القول ان مجتمع نجد يرجع فى غالب أصوله الى قبائل معروفة النسب ويمكن ارجاعها الى أصولها العربية القديمة التي تتوقف على معرفتها معرفة أصول القبائل الحديثة وهذا ماجعل سكان نجد يعدون من أنقي السلالات السامية اذ يمثلون احدى مجموعات العرب الخلص، ولم يكن الحضرى النجدى بأقل تمسكا بقبليته ونسبه من البدوى ذلك لأن هذين الفريقين الأصليين تتشابه نظراتهما الاجتماعية التى تنطلق من المفاهيم القبلية فى سائر أمور الحياة كالزواج والوضع الاجتماعي فى المجتمع وغيرها (١).

ورغم ماسبق ، ومع أن نظرة النجديين قبلية تماما تتفق فيها البادية والحاضرة فقد ضم المجتمع النجدى فئات اجتماعية تتبع فى بعض أساليب حياتها الاجتماعية البادية أو الحاضرة ومن أبرز هذه الفئات الصلب التي يمكن اطلاق صفة البداوة عليها على اعتبار أنها فئة خلوية تتفق مع البدو فى عدم سكنى البلدان والعيش فى الفيافي والقفار على اختلاف بينهم وبين البدو فى شكل السكن وقربه وبعده عن المساكن الحضرية ، كما أنها لاتربطها بالقبائل البدوية الصريحة النسب أى رابطة عرقية اضافة الى أن العادات والتقاليد عند البدو والصلب تختلف اختلافا لا مجال لعقد المقارنة بينهما وبعد هذا وذاك فالصلب يختلفون عن البدو أشد الاختلاف فى الملامح الجسمية اذ أن الصلب يكثر فيهم بياض البشرة وربما حمرتها فى بعض الأحيان ، وزرقة العيون ، وشقرة الشعر ، ورقة الجلد (٢).

ولقد كان رجال القبائل البدو والحضر لا يستغنون عن تلك الأعمال والمهن التى يقوم بها الصلب كبعض الحرف والصناعات اليدوية ، والقنص ،

---

(١) حمد الجاسر ، أصول القبائل العربية الحديثة مجلة الحرس الوطني ، ع ١١/٣ س محرم ١٤٠٣ ص ٢ ، د. أبو العلا ١٦٢/٣ ، وانظر: *Uwaidah Al Juhany, The History of Najd to the Wahhabis p. 173.*

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ١٤/ ٣١٤ ، ٣١٨ ، مادة صليب.

والدلالة على المفاوز، ومعرفة النجوم والاهتداء بها في ظلمات البر على الاتجاهات، اضافة الى معرفتهم القوية والدقيقة بقيافة الأثر، وبعض مجالات الطب الشعبي (١).

وما من شك أن الصلب بممارستهم لهذه الأعمال التي يحتاجها المجتمع النجدي حضره وبدوه انما ينطلقون في ذلك من وعي اجتماعي مستغلين أنفة واستنكاف أبناء القبائل النجدية لهذه الأعمال ومحاولين في الوقت ذاته أيجاد مكان بارز لهم في المجتمع النجدي يعوّض عن تلك النظرة المتدنية من عامة النجديين تجاههم، ولا أدل على ذلك من اصطفاء بعض رجال القبائل بعض الصلب من أجل القيام ببعض المهمات، وتكوين صداقات معهم على أساس ذلك، وعلى أساس تلك الأعمال الاجتماعية المهمة (٢).

ومن هنا فيمكن اعتبار الصلب فئة اجتماعية نجدية بما تقدمه للمجتمع من تلك الخدمات وتعد خلوية بدوية لتلك الأسباب السابقة، كما قد يتحضر أفراد أو أسر منها ويعدون من الفئات الاجتماعية الحضرية في نجد (٣).

ومن أبرز الفئات الاجتماعية فئة الرقيق اذ كان للأرقاء في نجد قبل الدعوة وبعدها مكانة اقتصادية في المجتمع ولهذا كان اقتناء الرقيق دلالة

---

(١) حمد الحقيل: كنز الأنساب ط (٥) ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ص ٢١٠، محمد أسد: الطريق إلى الاسلام ترجمة عفيف البعلبكي ط (٢) دار العلم للملايين، بيروت ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ص ٢٨٠، ٢٨١، محمد العبودي: الأمثال العامية في نجد: المطابع الأهلية للأوفست الرياض نشر دار اليمامة ١٣٩٩هـ/١٩٧١م ٢/٧٣٤، دائرة المعارف الاسلامية ١٤/٣١١، ٣١٥ - ٣١٧

(٢) عمر كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ط (٢) دار العلم للملايين، بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ٢/٦٤٧، سعد بن نفيسة اضمامة من التراث، مطابع الفرزدق ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص ٢٧٠، ٢٧١

(٣) قمت باعداد فصل خاص عن الصلب هو الفصل الثاني من الباب الأول من رسالة الماجستير من ص ١٤١ - ١٦٨.

أكيدة على غنى مالكهم[1]، ويبدو أن النجديين كانوا يحصلون على الرقيق شراء من أسواق الحجاز أثناء حجهم وامتيارهم منها اذ وجدت أسواق للنخاسة فى مدن الحجاز الكبرى وربما حصلوا عليهم من بقايا رقيق الأوربيين فى شرق افريقيا حيث يجلبون الى الجزيرة عبر موانيء شرق الجزيرة أو اليمن[2] على أن بعضا من هؤلاء ربما كان قد أبق من مسترقيه الأوربيين أو غيرهم أثناء ترحيله عبر موانئ شبه الجزيرة العربية فيأتى الى منطقة نجد ليعيش منعزلا فيها بأمان محتميا باحدى الأسر أو القبائل البدوية والحضرية سواء تعرّض للرق أو لم يتعرّض له، وقد يعمل فى مهن يحتاج اليها المجتمع النجدى ويأنف منها أبناء القبائل فيستغل هذه الأنفة ليمارس أعمالا اجتماعية تحقق له البقاء أو يرضي بالاسترقاق من هؤلاء النجديين مفضلا ذلك على استرقاقه من غيرهم[3].

ومن المراكز التى يحصل النجديون منها على الرقيق أسواق النخاسة فى العراق والشام ومصر وهي مراكز كان يجلب منها رقيق جورجيا[4] وأرمينيا[5]،

---

(١) أحمد المنقور: التاريخ، تحقيق الدكتور عبد العزيز الخويطر ط(١)، مطابع الحزيرة، الرياض ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ص ١٩، ٥٨، د. عبد الله العثيمين، المرجع السابق ص ١٤.

(٢) حسن الريكي: لمع الشباب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ. المطابع الأهلية للأوفست. الرياض، نشر دارة الملك عبد العزيز ١٨٣، ١٨٤.
Al Juhany p. 175

(٣) مجلة الدارة العدد السابق ص ١٣، مجلة العرب العدد ٣، ٤/س ١٢ ص ١٩٥

(٤) جورجيا: هى احدى جمهوريات قفقاسيا السوفيتية المعروفة عند الجغرافيين المسلمين ببلاد القبق، وجورجيا معروفة قديما بالكرج بالتحريك وعاصمتها تفليس على نهر كورا (ياقوت الحموى: معجم البلدان " دار صادر ودار بيروت ٤/٤٤٦، ٤٤٧، محمود شاكر: قفقاسيا. مؤسسة الرسالة والشركة المتحدة للتوزيع، بيروت ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ٦٧، ٧٢، الموسوعة العربية الميسرة ٦٦٢).

(٥) أرمينية: من مراكز الازدهار البشرى القديمة وهى احدى جمهوريات الاتحاد السوفييتى غزاها المسلمون سنة ١٩هـ، ٢١هـ، ٢٤هـ/ ٦٣٩م، ٦٤٢م، ٦٤٥م حكمها الأتراك السلاجقة فالمغول فالصفيون ثم

(=)

وقد وجد فى نجد نتيجة لهذا الرقيق الكرج والرقيقات الكرجيات والجركسيات نسبة الى جورجيا وكذلك الأرمن والأرمنيات نسبة الى أرمينيا (١).

ولقد كان بعض الرقيق يعتق بعد فترة من الخدمة وكان بعض الأسياد يسمح له بالحاق نسبه بأسرته أو قبيلته ونيشأ بعد ذلك تزاوج بين الأرقاء المحررين مع ابقاء نوع من العلاقة مع أسيادهم، وبمرور الوقت يندمج هؤلاء ضمن فئة الخضيرين ذات الوجود الاجتماعى الكبير فى حاضرة نجد (٢).

والخضيريون اسم جامع يندرج تحت مفهومه الاجتماعي عدة أسر تنتمي الى أصول شتى بعضها عربية نجدية أو غير نجدية، كما أن بعضها ربما يكون قدم شبه الجزيرة للحج أو العمرة أو الزيارة أو المجاورة فى مكة والمدينة ولئن كان أفراد هذه الفئة غالبا ما يستقرون فى مدن الحجاز الا أن قسما منهم قد يتسلل الى بعض البلدان النجدية متخذا منها مسكنا له اما فى طريق عودته الى بلاده أو تحت عوامل أخرى، ولعل مايشجع اقامة هذا القسم فى نجد أنفة الصرحاء من أهل نجد من بعض الحرف، أو جهل بعض أفراد المجتمع النجدى لبعض أساليب التجارة فيتخذ هذا القسم منها مصدر رزق له لا ينافسه فيه أحد من النجديين، وربما برز فى مجال العلم الشرعى، وكانت فيه صفات محمودة من التقوى والورع، وهى أمور يلقى حاملها التقدير والاحترام من حضر نجد، وهذا مايفسر بروز علماء أجلاء من فئة

(=) العثمانيون حتى ضمت للاتحاد السوفييتي عام ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م عقب معاهدة ستيفر وعاصمتها أريفان (ياقوت ١/١٥٩، ١٦١، دائرة المعارف الاسلامية ١/٦٣٧، ٦٧١، محمود شاكر ٦٦ الموسوعة العربية الميسرة ١٢٣، ١٢٤).

(١) الريكى ١٨٣، ١٨٤، دائرة المعارف الاسلامية ١/٦٦٠ ويبدو أن الاسترقاق من تفقاسيا كان قديما (غوستاف لوبون : حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر ط (٣) دار احياء الكتب العربية، القاهرة، نشر دار احياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ص ٤٦٠

(٢) Al Juhany p. 175.

(١)
الخضيريين

أما تلك الفئات العربية الأصل سواء النجدية منها أم غير النجدية التى اندمجت تحت مسمى الخضيريين فانها قد جهلت انسابها أوتحوهلت أو سلبت تحت أي سبب من الأسباب، اذ كان لضياع النسب وترك الديار لدى النجديين قديما وحديثا عدة أسباب منها :

١- قد يضطر تحت ضغوط اقتصادية أو احتماعية الى الاستدانة وربما أفلس ولا يجد من يساعده على وفاء دينه فيضطر للهرب (٢) والاختفاء من بلده غير آبه بالانتساب الى قبيلته، فينشأ خلفه جاهلين لنسبهم وقد أشار الخلاوى أن من أسباب تركه منازله ونسبه وقبيلته (تخلويه) دين لحقه ولم يستطع سداده وخوفه من غرمائه الذين يطلبون دينهم فقال فى هذا :

تخلوبت مديون للاشبال خامد والدين شين والمدايين طالبه
وركنى وهى من شدة النار وانشوى ولاصحاب الا تدانت مذاهبه

الى أن قال :

---

(١) عبد الله البسام: علماء نجد خلال ستة قروط ط(١) مؤسسة الخدمات الطباعية ،بيروت، نشر مكتبة النهضة الحديثة. مكة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ٣٦٦/٢، ٥١٤، ٥٣٧، ٥٥٣، ٥٨٠، الحقيل ٢٠٤ ، فؤاد حمزة ١٤٨، ١٤٩، كحالة ٣٤٧/١، د. العثيمين . المرجع السابق ،ص ١٣ ، العرب ،العددان السابقان ،ص ١٩٥

(٢) ذكر الاصبهاني فى الأغاني وأسامة بن منقذ فى المنازل والديار أن يحي بن طالب الحنفي اليمامي وكان أديبا كريما حمالا لأثقال قومه ومغارمهم، فابتاع من عامل السلطان على اليمامة غلة ضيعته يريد بها الربح فأصاب الناس باليمامة قحط ففرق يحي تلك الغلة لاطعام المحتاجين فحان وقت السداد فهرب الى الرى وبها توفي ،وكان قد قال في عجزه عن سداد دينه وحنينه الى اليمامة أبياتا منها :

أحدث عنك النفس أن لست راجعا اليك فهمي فى الفؤاد دخيل
أريد رجوعا نحوكم فيصدني اذا رمته دين عليّ ثقيل

(أبو الفرج الاصبهاني ،الأغاني ،تحقيق ابراهيم الابيارى ، طبعة دار الشعب ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ٢٨/ ٩٥٥٥-٩٥٦٥ ،أسامة

(=)

فاخترت لي أسم الخلاوى صيانة (١) عن كل ماتخشاه نفسي وفات بـه

وهذا من أبلغ التصويرات لغلبة الدين التى استعاذ منها رسول الله صلي الله عليه وسلم ،ومن هنا ندرك ضياع النسب وتناسيه هو من أبرز مسببات الذل الذى ينتج عن ثقل كاهل المدين .

٢ - قد يقوم بتنفيذ ثأر قديم فى قبيلته أو حولها أوقد يرتكب جريمة ما سواء كانت قتلا أم غيره ، فيضطر للهرب من منطقته وهو يخفى نسبه وموطنه حتي على أولاده الذين ينشأون جاهلين لأصلهم وقد يحتاج للعمل لدى احدى الاسر الأصيلة فيعد مجاورا أو محالفا لها (٢) .

٣ - قد يكون لدى قبيلته أعراف وتقاليد غير مقتنع بها كفرض الضرائب المرهقة التى تتطلبها الحماية الجماعية أحيانا ،أو تحمل دية أحد أفراد القبيلة الذى قد يكون محترفا للقتل ،أو غير ذلك ، وربما كان غير مستطيع على المجاراه فى ذلك كله ويخشى من سطوة قومه اذا عرف بذلك فيتعرض للذل الذى

(=) منقذ : المنازل والديار ط (١) المكتب الاسلامى ، دمشق ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م ٢/ ١٥ - ١٧ ، محمد بن بليهد : صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار ، مراجعة وضبط محمد يحي الدين عبد الحميد ط(٢) ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ١/ ١٣٣ ، ١٣٤ ، ٥/ ٨) .

(١) شين : أى موطن عيب من الشين ضد الزين وهو الحسن ، المداين : أصحاب الدين ، ركني : جانبي والمقصود كرامتي بدأت تنزل ، شدة الناس: مطالبتها والحاحها فى ذلك ، انشوى : من شي النار والمقصود قلة الاحتمال ، تدانت: تنازلت وعن الأبيات : عبد الله بن خميس: راشد الخلاوى ط(٢) مطابع الفرزدق ، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، وانظر حمد الجاسر: جمهرة انساب الأسر المتحضرة فى نجد ط(١) مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، نشر دار اليمامة ، الرياض ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ١/ ٧

(٢) ابن خلدون ١١٠ ، حمد الجاسر: المرجع السابق ٦ ، ٧ عبد الله ابن رداس ، شاعرات من البادية ، نشر دار اليمامة ، الرياض ١/ ٣٧١ ، صحيفة الجزيرة ٢١ رجب ١٤٠٢هـ عدد ٣٥٤٠ ص ٥ من مقابلة مع أحد ضيوف الجزيرة أكد فيها انتماءهم الى احدى القبائل النجدية المعروفة الا أن جدهم الأعلي هرب مخفيا اسمه وقبيلته لانه كان مطلوبا بدم .

يدفعه للهرب ونسيان أصله وموطنه فتعد أسرته من الأسر مجهولة النسب بعد ذلك.(١)

٣- قد يكون لديه طموح قيادى وهو ليس من أسرة المشيخة المتوارثة في القبيلة رغم أصالته فيها وقد ينشأ من جراء ذلك الطموح خلاف يخشى أن يتطور الى تطاحن ومقاتلات فيؤثر البحث عن مكان أو قبيلة يعيش لديها حرا بعيدا عن الخلافات والمنازعات.

وقد تمنى أحد أبناء القبائل أن يعيش حتي مع الصلب لعدم استطاعته تحقيق طموحاته فى قبيلته ثم حقق ذلك بالهرب عن موطنه فقال فى ذلك بعض الأبيات مبينا فيها أنه لم يعد يأبه للاصل القبلي وأنه على استعداد للجلاء عن أرضه العزيزة عليه :

ليتنى مع الصلبان والأصل مأبيه   لا سايل عنى ولانى بسايل

الى أن قال :

نويت أهوم وكافل العبد واليه   والبعد طب للقلوب الغلايل(٢)

٥- طول فترة الاستيطان والارتباط بالأرض نتيجة لبروز وتكثف ظاهرة التحضر فى المجتمع النجدى منذ القرن السابع تقريبا حيث برز في هذا القرن وبعده تعمير عدد من البلدان النجدية ابتداء أو اعادة عمران(٣)، وهذا ماجعل

---

(١) حمد الجاسر: المرجع السابق : ٧

(٢) الصلبان : الصلب، الأصل : النسب المعروف، مأبيه : لا أريده لا سايل : تخفيف سائل أى لن يسأل عني ولست بسائل عنه، أهوم: من الهيام بمعني الضياع فى مفازة بلا ماء، والمفروض أن يقول أهيم، وكافل العبد واليه : أى كافل الانسان ربه فهو على كل شئ وكيل، البعد طب الخ : أى أن الفراق عن بلاد لا ترى لك فيها قدرا ومقاما يليق بك فيه علاج للقلب الذى يحس أن فى ذلك غلائلا تخنقه، عن البيتين: محمد الأحمد السديرى : أبطال من الصحراء مطابع دار الكتب ،بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ص ٢٠٨، ٢٠٩

(٣) عرفت اشيقر كبلدة متحضرة منذ أواخر القرن السادس وأوائل السابع الهجريين ، وعمرت عنيزة سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م تقريبا وفى سنة

(=)

الانتساب الى الأمكنة أوضح من الانتساب الى القبائل عند بعض الأسر النجدية، وهذه ظاهرة طبيعية نمت مع نمو تلك البلدان، وهي وان تشابهت مع ماحصل للعرب الفاتحين من اختلاطهم بأهل البلدان المفتوحة الا أنها هنا ظاهرة اجتماعية اقليمية في أكثر الأحيان (١)

٦- النظرة الاجتماعية المتباينة نوعا ما بين المستوطنين القدامى للبلدان النجدية والقادمين الجدد اليها مما غذى ذلك التقسيم العرقي في حاضرة نجد، اذ أن تملك القدامى للبلد جعلهم يشعرون بنوع من السمو الاجتماعي أمام الوافدين الجدد لايمنعهم من الاستيطان معهم فان شيئا من هذا لم يؤثر حدوثه في أي من البلدان النجدية بل كان التعامل الاجتماعي بين هذين الفريقين جيدا، وانما برز هذا السمو في قضية التزاوج وهي رغم أهميتها فلم تعكر صفو العلاقات الاجتماعية الطيبة بين هذين الفريقين (٢)

وقد أشار ابن خلدون في مقدمته الى بعض تلك الأسباب فعقد فصلا في اختلاط الانساب كيف يقع قال فيه : " اعلم أنه من البيّن أن بعضا من أهل الأنساب يسقط الى أهل نسب آخر بقرابة اليهم أو ولاء أو لفرار من قومه بجناية أصابها فيدعي بنسب هؤلاء ويعد منهم في ثمراته من النعرة والقود وحمل الديات وسائر الاحوال، واذا وجدت ثمرات النسب فكأنه وجد لأنه لا معنى لكونه من هؤلاء وهؤلاء الا جريان أحكامهم وأحوالهم عليه، وكأنه التحم بهم ثم انه قد يتناسى النسب الأول بطول الزمان ويذهب أهل العلم به فيخفى على الأكثر، ومازالت الانساب تسقط من شعب الى شعب ويلتحم قوم بآخرين في الجاهلية والاسلام والعرب والعجم، وانظر خلاف الناس في نسب آل المنذر وغيرهم يتبين لك شيء من ذلك، ومنه شأن بجيلة (٣)

(=) ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م تقريبا أعيد بناء التويم في سدير، وعمرت المجمعة سنة ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م، وعمرت العيينة سنة ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م وكذلك بلدة الدرعية ثم توالى بعد ذلك عمران كثير من بلدان نجد واعادة تعمير بعضها فعمرت بريدة سنة ٩٨٥ هـ / ١٥٧٧ م.

(١) ابن خلدون ١٠٣، ١٠٩، الجاسر: ٦ *Al Juhany p. 174*

(٢) *Al Juhany p. 174.*

(٣) بجيلة : بفتح الباء وكسر الجيم هي بنت صعب بن سعد العشيرة من كهلان ينسب اليها البجليون، وهي أن جاهلية أخت لباهلة، استوطن البجليون الحجاز والبحرين قبل الاسلام، ومنهم ذو الخلصة، وتفرق قسم كبير منهم مع الفتوحات الاسلامية (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب . تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف . القاهرة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م ص ٣٨٧ - ٣٩٠ وحدد أماكن وجودهم في الأندلس بمنطقة أريونه، دائرة المعارف الاسلامية ٣ / ٣٦٤، الزركلي الاعلام ٢ / ١٠)

في عرفجة بن هرثمة لما ولاه عمر عليهم فسألوه الاعفاء منه وقالوا : هو فينا لزيق (أي دخيل ولصيق) وطلبوا أن يولي عليهم جريرا (٢) فسأله عمر عن ذلك فقال عرفجة : صدقوا يا أمير المؤمنين : أنا رجل من الأزد أصبت دما في قومي ولحقت بهم ، وانظر منه كيف اختلط عرفجة ببجيلة وليس جلدتهم وادعى بنسبهم حتى ترشح للرياسة عليهم لولا علم بعضهم بوشائجه ، ولو غفلوا عن ذلك وامتد الزمن لتنوسي بالجملة وعد منهم بكل وجه ومذهب فافهمه واعتبر سر الله في خليقته ، ومثل هذا كثير لهذا العهد ولما قبله من العهود (٣) .

ورغم أن الأرقاء المحررين يعدون ضمن فئة الخضيريين كما مر في بعض مناطق نجد الا أنه في مناطق أخرى يفرق بين هؤلاء وأولئك فيلحق الأولون بساداتهم لان مولى القوم منهم وعلى هذا فهم يأخذون اسم القبيلة بعد التحرر ولهم مالها وعليهم ماعليها .

---

(١) ذكره ابن حزم في المجهورة باسم عرفجة بن هرثمة وأنه هو الذى جند الموصل بينما ذكره الزركلي ونقل هذه المعلومة عن ابن حزم على أنه هرثمة بن عرفجة بن عبد العزى البارقي الأزدى من رجال الفتوحات الاسلامية ، وجهه أمير البحرين العلاء بن الحضرمي لفتح جزيرة في الخليج ، وأمر العلاء أن يمد به عتبة بن غزوان لغزو الأبلة فشارك في فتحها ثم وصل الى الموصل ، توفي بعد سنة ٢٠هـ / ٦٤٠م (ابن حزم : ٣٦٧ ، الزركلي ٩ / ٧٦) .

(٢) هو جرير بن عبد الله البجلي صحابي تقدم في اسلامه وقيل أنه أسلم قرب وفاة النبي صلي الله عليه وسلم قبل هدم ذا الخلصة صنم بجيلة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قاد جمعا من بجيلة في حرب القادسية وكان لهم أثر في فتحها سكن الكوفة بعد ذلك وأرسله علي رسولا الى معاوية ، سكن قرقيسيا حتى توفي قبل سنة ٥١هـ وقيل ٥٤هـ ٦٧١ ، ٦٧٣ (ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأنساب ، نشر دار الكتب العربي ، بيروت ١ / ٢٣٤-٢٣٧ أحمد بن حجر العسقلاني الاصابة في تمييز الصحابة ، نشر دار الكتب العربي بيروت ١ / ٢٣٣ ، ٢٣٤) .

(٣) المقدمة ١١٠ ، وذكر مؤرخو السيرة أن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه كان لصيقا في قريش وهناك عدة حالات مثل تلك الحال (ابن قيم الجوزيه ، زاد المعاد . مراجعة طه عبد الرؤف ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ٢ / ٢١٨) .

ويبدو أن قسطا من الذين يعودون الى أصول عربية نجدية أو غير نجدية قد يضطر الى مصاهرة طبقة أدنى من طبقته اما من الأرقاء المحررين أو غيرهم ، فينسى أصله أو يتناساه خاصة اذا كان بعيدا عن بني قومه بحيث لا يعلمون عن هذه المصاهرة ، وبمرور الزمن يعد من فئة الخضريين ، وقد حفل تاريخ العلاقات الاجتماعية في نجد بالكثير من محاولات الرغبة في الزواج من هذه الفئة ، الا أنها تقابل بمنتهى الرفض والحيلولة دون اتمامها (١) .

وليس من المعروف نجديا سبب اطلاق اسم الخضريين على تلك الفئات الحضرية السابقة ، ويبدو أن له مستند لغوى ، اذ لما كان النجديون يعتقدون أن أغلب هذه الفئة من الموالي - وهو اعتقاد ليس دقيقا - فقد أطلقوا عليها ماكان يطلق على الموالى عند العرب بأنهم خضر القفا (٢) ، على أن البعض يطلق على هذه الفئة أو بعضها صفافير ، وهى تعنى أحيانا فى اللغة السواد كما قال تعالى : (جمالت صفر) (٣) لأن العرب تسمى سود الابل صفرا وعلى هذا فهى تتفق مع اللفظة السابقة فى المفهوم ، وربما أطلقت (صفافير) عليهم أو على بعضهم لامتهانه طرق النحاس أو تصفيره لأن الصفر هو جيد النحاس ، أو ضرب من النحاس ، أو ما صفر منه بعد الجلو ، وصانعه

---

(١) الجاسر ٧/٨ محمد الأحمد الشيرى : الفنون الشعبية فى الجزيرة العربية المطبعة العمومية بدمشق ١٣٩٢هـ/١٩٧٢ ص ١٧٠-١٧٤ وقد أورد فيها قصة قديمة فحواها أن أحد أئمة المساجد فى أشيقر تزوج خضرية حتى اذا أرغمه أهله على الطلاق منها مات قهرا وقال أبياتا فى ذلك ، وقد رد أحد العلماء على قضية عدم التزاوج من هذه الفئة موجها الأحاديث التى وردت فى قضية التكافؤ بالنسب (الجزيرة عدد ٣٣٨٥ الخميس ١٤/٢/١٤٠٢هـ ص ٢١ ، وانظر الحقيل ٢٠٥) واذا ثبتت تلك القصة فهى تشير الى أن محاربة تلك الظاهرة قد جاءت من أهل الدين انسجاما مع تعاليمه .

(٢) الزبيدى : التاج ١٧٩/٣ ، ١٨٠ ، ١٨٣ وأورد بيتا من الشعر هو :

وأنا الأخضر من يعرفني   أخضر الجلدة فى بيت العرب

ومراده أنا خالص لأن الوان العرب السمرة وأراد بالخضرة سمرة لونه وأنه عربي محصن لأن العرب تصف ألوانها بالسواد وتصف ألوان العجم بالحمرة .

(٣) سورة المرسلات آية ٣٣ .

الصفار (بتشديد الفاء) وجمعها صفافير، وهي لا تعنى أن لونهم أصفر والا قيل صفران وهو لفظ لم يطلق عليهم بهذه الصيغة. (١)

ومن أوضح معالم التعايش بين الفئات الاجتماعية فى نجد عموما ولدى حضرها بشكل خاص ذلك الاحترام المتبادل لمظاهر الحياة العامة لدى كل فئة فيها بممارستها لمهنها فى حرية اجتماعية مثالية، ولا أدل على ذلك من خلو كتب التاريخ النجدى المحلية من أى اشارة تبين حدوث مايعكر صفو الحياة فى نجد من هذا الجانب كحدوث فتن عرقية أو فئوية من تلك التى تحدث فى كثير من البلدان، ولم تجر صور الاحتقار لبعض المهن التي تقوم بها بعض الفئات من قبل القبليين فى نجد أى فتنة من هذا القبيل نظرا لعدم تطور مثل هذا الاحتقار الى درجة الفتنة الخطيرة، بل قد أعطت بعض مظاهر احتقار تلك المهن أمانا نسبيا لبعض الفئات فيه نظر لحاجة المجتمع الماسة لها.

ونتيجة لذلك فقد وجد لأفراد وأسر تعد من فئة الخضريين مقامات عالية فى المجتمع، وجاها عظيما بين الأسر المتحضرة فى نجد، وقد استولت هذه الفئة على مراكز تجارية اشتهر منها أفراد وأسر بذلك، كما امتهنوا كالأسر الأصيلة الزراعة والحرث، وكان لبعضهم أعمالا اجتماعية فى مجالات التكافل الاجتماعي وأفعال الخير منذ فترة متقدمة فى المنطقة، وكل هذا نتيجة لحبهم للخير، ووجاهتهم فى المجتمع، وكبر أملاكهم الزراعية، هذا على ما أشتهر به بعض أفراد وأسر من هذه الفئة بالعلم الشرعي والتقوى والورع كما سبق. (٢)

---

(١) الزبيدى ٣/ ٣٣٧، مجلة العرب جـ ٥، ٦/ س ١٤ ص ٤٧٢

(٢) من أبرز هؤلاء صبيح أحد الموالي فى بلدة اشيقر فى القرن الثامن الهجرى الذى كان له عدد من المزارع فيها وأوقف قسما كبيرا منها على عدد من مجالات الخير وسيمر عرض لبعض هذه المجالات فى فصل التكافل الاجتماعى عند حضر نجد قبل الدعوة (مجلة العرب جـ ١ ٢ س، رجب ١٣٨٧هـ ص ٥٧).

واذا كان قسم من هذه الفئة ينتسب الى احدى القبائل بحلف أو جوار أو ولاء ، فان قسما منهم يستطيع معرفة قبيلته الأصلية ، ولكنه تحت تأثير الأسباب السابقة التى خفى نسبه بسببها ، وقناعته بالوضع الذى هو فيه لا يأبه لمثل هذه الأمور منصرفا الى أداء دوره فى المجتمع بكل تفان واخلاص وقد حدثنى أكثر من شخص عن معرفته بأسر من هذه الفئة تعرف القبيلة التى تنتسب اليها كما أكد ذلك الشيخ حمد الجاسر ، وليس فى هذا المدخل مجال لذكر أنساب الأسر التى تعود الى هذه الفئة لأن هذا يدخلنا في متاهات الأنساب ويتطلب استعراضا لكثير من الأسر المتحضرة الأصيلة وغير الأصيلة ، ويعد تكرارا لما حفلت به كتب الأنساب عامة ، وأنساب الأسر المتحضرة فى نجد بصفة خاصة (١).

وبعد : فان لنا فى نظرة الاسلام للأنساب خير مبدأ يجب أن ننظر الى الأنساب على أساسه ذلك أن هذه النظرة توائم بين ضرورة معرفة كل انسان لأصله وحسبه وبين عدم الغمط لحقوق بعض الناس فى حال جهل أنسابهم أو تناسيها تحت أى سبب من الأسباب ، علاوة على محاربته للتفاخر البغيض فى الأنساب ، وهذا ما يفسر النصوص الحاثة على معرفة النسب والنصوص التى تنهى عن الطعن فى الأنساب (٢) والغلو فى العناية بها وتوجيه مجالات الحياة على أساسها .

---

(١) العرب ، جـ٥ ، ٦ / ١٤ س ص ٤٧٠

(٢) من أبرز هذه النصوص قول الله عز وجل : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) الحجرات آية ١٣ والتى تحمل معنى الحث على معرفة النسب وتسخيره للتعارف لا التباغض والتدابر ، ومنه الحديث الذى رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " تعلموا من أنسابكم ماتصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة فى الأهل ، مثراة في المال منسأة فى الأجل ، مرضاة للرب) رواه الامام أحمد فى مسنده والترمذى فى سننه وحسنه (مسند الامام أحمد ط(٣) دار الفكر الاسلامى بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م

(=)

....

(=) ٢/٣٧٤، محمد بن عيسى الترمذى : الجامع الصحيح المسمى بالسنن تحقيق وتصحيح عبد الرحمن عثمان دار الفكر. بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ٣/٣٧، واثنى ابن حجر فى فتح البارى ٢٢/١٩٥ على سنده، كما أثنى الالبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/١٥٣-١٥٥ على سنده وذكر أكثر من مصدر له، وذكر أحاديث مؤيدة له) وقد قمت باعداد نبذة موجزة عن نظرة الاسلام للأنساب فى رسالة الماجستير من ص ٦٨-٨٢

الباب الأول

الحياة الدينية عند حضر وبواد نجد قبل الدعوة

الفصل الأول

مظاهر الانحراف عن الدين الإسلامي

أ - في أصول الدين .

ب - في الفروع :-

١ - رشوة الحاكم .

٢ - أمثلة لبعض العادات النجدية المخالفة للشرع .

توطئـــة :

أتى على العالم الاسلامي حين من الدهر انتشرت فيه البدع بين فئات من المسلمين فى مختلف بلدانهم، وخلف من بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم والسلف الصالح خلف من المسلمين فشت بينهم الخرافات والمعتقدات الضالة المخالفة لسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم وأصحابه كالاعتقاد بالأولياء والصالحين والبناء على قبورهم والتبرك بها ، وقد استمر قسم من المسلمين يؤمن بهذه الخرافات وأشباهها عبر العصور الاسلامية يغذى هذا الاعتقاد تلك العلاقات التى حفل بها تاريخ الاسلام مع الأمم والأديان المختلفة ، ومن هنا فقد غشي المسلمين ماغشيهم من بعد عن منهج الله سبحانه حتى بلغ هذا الانحراف ببعضهم حد الاعتقاد ببعض البهائم والتبرك بها والايمان بوجود كرامات لها ، واستأسد غلاة الصوفية حتى عم شرهم كثيرا من أنحاء العالم الاسلامى فملكوا أزمّة الفتوى فى بعض البلدان وغلا فيهم اتباعهم غلوا كبيرا ، وقد ازدادت تلك المعتقدات فى القرون المتأخرة.(١)

١ - في أصول الديـن :

لقد رسمت بعض المصادر التاريخية صورة قاتمة للحياة الدينية فيها قبل الدعوة، ورغم تركيز هذه المصادر على هذه الصورة - ولها أهدافها في ذلك - فقد كان ولع الباحثين فى تاريخ نجد والدعوة السلفية والدولة السعودية وخاصة من غير أهل المنطقة - كبيرا اذ ضخموا هذا التصوير حتى توهم كثير من المطلعين على هذا التاريخ شمول هذه الصورة القاتمة

---

(١) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار. مطبعة سميا . بيروت، نشر دار الفارس. بيروت ١/٣٣٩-٣٤١ ، ٤٠١-٤٠٣
عبد المتعال الصعيدى ،المجددون فى الاسلام طبع دار الحمامي نشر مكتبة الآداب ،القاهرة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م ص ٤٢٢- ٤٢٤

لكل أقاليم وبلدان نجد ، وعموم مجالات الحياة الدينية فى العقيدة والعمل بأركان الاسلام حتى بدا المجتمع النجدى وكأنه لا يعى من أمر الاسلام - صغيره وكبيره - شيئا ، على أن الباحث المنصف يلمس بوضوح - من خلال تعدد المصادر - عدم شمول هذه الصورة لكل اقاليم وبلدان نجد وفئاته الاجتماعية وكذلك كافة مجالات الحياة الدينية فيها اذ أن تعدد تلك المصادر كما سيأتي يعطى بعض التصوّر عن تركز بعض مظاهر الانحراف عن العقيدة الصحيحة فى منطقة معينة حيث وجد فيها بعض الاعتقاد ببعض القبور والأشجار والكهوف والأشخاص ، وان كان هذا لايمنع من وجود بعض الاعتقادات البدعية فى بعض مناطق نجد الأخرى .

ومن هنا فلا بد من استعراض موجز لمظاهر الانحراف عن العقيدة الاسلامية الصحيحة فى نجد كما صورتها المصادر التاريخية المحلية مايمكن اضافته عن تلك المظاهر أو غيرها من المصادر الأخرى كرسائل ومؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب أو علماء نجد قبل الدعوة وبعدها كذلك المصادر الأخرى للتاريخ النجدى لعلنا نخرج بتصور أكثر وضوحا عن الحياة الدينية لدى حاضرة نجد قبل الدعوة .

لقد تمثلت مظاهر الانحراف عن العقيدة الصحيحة فى منطقة العارض فى ممارسة بعض الناس لبعض الشركيات كتعظيم بعض القبور وبعض الأشجار والأحجار وبعض الأشجار والأحجار وبعض الأشخاص :

١ - القبور: من أبرز هذه القبور قبر زيد بن الخطاب (١) رضي الله

(١) هو أبو عبد الرحمن زيد بن الخطاب بن نفيل العدوى أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما من أبيه ، أسن من عمر ، شهد المشاهد كلها من أهل الصفة ، كانت راية المسلمين معه فى اليمامة الى أن استشهد سنة ١٢هـ/٦٣٣م ، قال فيه عمر: سبقنى الى الحسنيين : الاسلام والشهادة روى له حديث واحد ، (أبو نعيم أحمد الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ط(٣) دار الكاتب العربى ، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ٣٦٧/١ ، ابن عبد البر: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ٥٤١/١-٥٤٤ ، ابن حجر العسقلاني : الاصابة فى تمييز الصحابة ٥٦٥/١ الزركلى . الاعلام ٩٧/٣) .

عنه في الجبيلة. وكذلك قبر ضرار بن الأزور (١) في وادي غبيراء (٢) وبعض قبور (٣) الصحابة في قريوة (٤) بالدرعية، ولقد أثر وجود مسجد حول قبور الصحابة

---

(١) قرية على ضفة وادي حنيفة قامت على أنقاض عقرباء القديمة، كان لها شأن يذكر في تاريخ نجد السياسي والعلمي في القرون ١٠، ١١، ١٢ الهجرية ومن أبرز من أنجبتهم الجبيلة أحمد بن يحي بن عطوة كبير علماء نجد في عصره (ابراهيم الحربي: المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة. تحقيق حمد الجاسر/ مطبعة المتنبي. بيروت نشر دار اليمامة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ص ٦١٦ حاشية المحقق، عثمان ابن بشر: ٢/ ١٩٤، وللتفصيل في أخبارها فيه انظر: أحمد مرسي عباس: فهارس عنوان المجد، مطبعة المدينة: الرياض، نشر دارة الملك عبد العزيز ط(١) ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ص ١٢٠، ابراهيم بن عيسى تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، نشر دار اليمامة: الرياض ص ٤٦، ٤٧، ٨٢، ٨٣، عبد الله بن خميس: معجم اليمامة ط(١)، مطبعة الفرزدق: الرياض ١٣٩٨هـ/١٩٧٨ ١/ ٢٦٤-٢٦٧).

(٢) هو ضرار بن مالك (الأزور) الأسدي: أحد أبطال الجاهلية والاسلام شاعر، صحب النبي صلى الله عليه وسلم، روى له حديث واحد، هو قاتل مالك بن نويرة بأمر خالد بن الوليد، قيل استشهد في اليمامة سنة ١١هـ/٦٣٣ م وقيل سنة ١٣هـ/٦٣٤م وقيل توفي في غيرها (ابن عبد البر ٢/ ٢١١، ابن حجر ٢/ ٢٠٨، ٢٠٩، الزركلي ٣/ ٢١١).

(٣) وادي غبيراء: واد صغير يقع في وسط وأعلى الدرعية من روافد وادي حنيفة، فيه آثار مساكن قديمة، وغبراء اسم قرية بين عرقة والعمارية ويرجح محمد العبسي أن الدرعية يطلق عليها قديما غبراء ثم العودة ثم الدرعية (د. عبد الله الشبل. أهم المصادر النجدية: تاريخ الدولة السعودية، رسالة دكتوراه لم تنشر حاشية ص ١٠٩، ابن خميس معجم اليمامة، ٢/ ٢١٣، ٢١٤، محمد الفهد العيسى، الدرعية القاعدة الأولى للدولة السعودية، مجلة العرب ج٣/س ١ ص ٢٣٣)

(٤) قريوة أو قريوى واد صغير يقع في الدرعية يقال ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب دفن فيه كذلك، ولعله كان مقبرة لأهل الدرعية (عبد الرحمن ابن عبد اللطيف آل الشيخ. مشاهير علماء نجد وغيرهم ط(١) دار اليمامة: الرياض ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ص ٨٠ الحاشية).

فى الجبيلة، ولعل هذا هو ما أضفى نوعا من التقديس على هذه القبور وجعلها من مزارات أهل المنطقة [1].

ولما كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قد قام في المرحلة الثانية من جهره بدعوته فى العيينة بهدم القبة المبنية على القبر المعتقد أنه لزيد بن الخطاب فقد استغل هذه القضية معارضه سليمان بن سحيم [2] فأثارها مع عدد من القضايا الأخرى فى رسالته لعلماء المسلمين وكانه بذلك

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب الرسائل الشخصية، مطابع جامعة الامام ص ٢٣٢، العقيدة والآداب الاسلامية، رسائل فى التوحيد والايمان. مطابع جامعة الامام ص ٣٦٩). حسين بن غنام: روضة الأفكار والأفهام، مطبعة البابى بمصر ط (١) ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م نشر المكتبة الأهلية، الرياض ١/٧، عبد الرحمن ابن قاسم: الدرر السنية فى الأجوبة النجدية ط (٢) دار الافتاء السعودية ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م، ١/١٨٦، ١٨٧، د. عبد الله الشبل: الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ص ١٢.

(٢) هو سليمان بن محمد بن أحمد بن على بن سحيم من السبعة من الحبلان من عنزة ولد فى المجمعة ١١٣٠هـ/١٧١٧م وقرأ على بعض علماء نجد ومنهم والده، ثم ارتحل الى الرياض فصار مدرسها وخطيبها وفقيهها ومفتيها هي ومعكال أيام دهام بن دواس وبعد صدع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته في العيينة عارضه بن سحيم فى أشياء كثيرة، وبعد انتقال الشيخ الى الدرعية بدأت المعارضة النجدية العلمية تضعف تدريجيا مما دفع بها لتأليب أمراء البلدان ضدها فساعد سليمان هذا دهاما فى معارضته للدعوة والدولة ووالد بن سحيم من معارضي الدعوة وبعد ضعف المعارضة النجدية. انتقل الى الدرعية عام ١١٦٨هـ/١٧٥٤م ولم يطب له المقام فيها فارتحل الى الزبير وتوفى فيها عام ١١٨١هـ/١٧٦٧م وخلف فيها ابنه ناصر من علمائها البارزين، للتفصيل (الشيخ محمد عبد الوهاب. الرسائل الشخصية ٦٢ - ٧٦، ٨٨-٩١، ٢٢٦، ٢٣٧، ابن غنام روضة ١/٣١، ١١١، ١٢٤، ١٣٨، ١٤٠، ٢/٤٦، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة فى نجد ١/٣٧٠، عبد الله البسام علماء نجد خلال ستة قرون، ١/٣٢٢، ٣٢٣، أمين سعيد: سيرة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، طبع سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ص ٧٧-٩١، ١٠٤، ١١٣، د. عبد الله العثيمين: موقف سليمان بن سحيم من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مقال منشور فى مجلة كلية الآداب جامعة الرياض (الملك سعود حاليا) مجلد ٥ عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ص ١-٢٠).

بريد أن يضرب على الوتر الحساس على هذه القضية بالذات على اعتبار أن تقديس القبور والقباب عليها يلقى اهتماما كبيرا في بعض الأمصار الاسلامية .

ولقد كان أسلوب بن سحيم مثيرا في طرقه لهذه القضية وعرضها على من أرسل رسالته اليهم من علماء المسلمين حيث صور الشيخ محمد بن عبد الوهاب بصورة المستهين بشهداء اليمامة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أمر لا يمكن للباحث المنصف المطلع على حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب القبول به .

يقول بن سحيم عن الشيخ محمد : (فمن بدعه وضلالته أنه عمد الى شهداء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الكائنين في الجبيلة زيد بن الخطاب وأصحابه وهدم قبورهم وبعثرها لأجل أنهم في حجارة ولا يقدرون أن يحفروا لهم فطووا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع والدافن لهم خالد وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمد أيضا الى مسجد في ذلك وهدمه وليس له داع شرعي في ذلك الا اتباع الهوى) (١) .

ولقد كان رد الشيخ على هذه المسألة غير مباشر نظرا لثبات حصول هذه الحادثة بل ان هدم القباب على القبور والمساجد حولها من أهم المبادئ التي قامت عليها دعوته ولهذا فقد ذكر الشيخ في رسالة له الى عبد الله بن سحيم (٢) وجوب هدم واضع الشرك مشيرا الى دخول المشاهد

(=) ابن غنام : روضة ١١٢/١

(١) هو عبد الله بن أحمد بن سحيم ولد في المجمعة وتعلم على علماء سدير والوشم حتى فقه في الفروع علاوة على اطلاعه الواسع في التاريخ وأنساب أهل نجد وكان خطه حسنا حتى صارت هوايته نسخ الكتب لنفسه وكوّن بسبب ذلك مكتبة كبيرة غالبها بخط يده حتى لقب " الكاتب" ثم آل اليه قضاء منطقة سدير وما لبث أن أصبح عمدة لها في التدريس والامامة والفتيا والتعليم بالاضافة الى القضاء ، أدرك دعوة

(=)

التى بنيت على القبور فى هذه المسألة، كما أشار الى هذه القضية التى يبدو وأن سليمان بن سحيم قد أقنع فيها قريبه عبد الله بن سحيم يقول الشيخ : لكن العجب من قولك : أنا هادم قبور الصحابة ، وعبارة الاقناع فى الجنائز ، يجب هدم القباب التى على القبور لأنها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم "(١).

وما من شك أن الشيخ بهذا القول قد حاول الرد على معارضه سليمان ابن سحيم فى هذا الموضوع كما حرص على اقناع عبد الله بن سحيم بصواب ما فعل موافقته ذلك لما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى رسالة للشيخ أرسلها الى علماء مكة يبرر فيها هدم هذه القبور يتبين للباحث من خلالها أن تقديس هذه القبور يأتى فى المقام الأول بين مظاهر الانحراف عن العقيدة الصحيحة فى المجتمع النجدى قبل الدعوة .

قدم الشيخ محمد نفسه الى هؤلاء العلماء بالأسلوب المتبع فى التراسل بين العلماء بأن أظهر التواضع من جانبه معظما لهؤلاء العلماء.

" من محمد بن عبد الوهاب الى العلماء الأعلام فى بلد الله الحرام نصر الله بهم سيد الأنام وتابعى الأئمة الأعلام ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

جرا علينا من الفتنه ما بلغكم وبلغ غيركم وسببه هدم بنيان فى أرضنا على قبور الصالحين فلما كبر هذا على العامة لظنهم أنه تنقيص للصالحين

(=) دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكان بينه وبين الشيخ محمد بعض الخلاف فى مبتدأ الدعوة الا انه فى الواقع من أخف أسرة آل سحيم عداء للدعوة ، وقد راسله الشيخ محمد أكثر من مرة ، توفى سنة ١١٧٥هـ ١٧٦١م (الشيخ محمد بن عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ٦٢-٧٦ ، ١٣٠-١٤١ ، ابن غنام : روضة ١/ ٩٧-١٠٣ ، ١١٣-١٢٢ ، الفاخرى ١٢٢ ، ابن بشر ١/ ٥٥ ، ابن عيسى ١١١ ، عبد الله البسام : علماء ٢/ ٥١٢ ، ٥١٣ ، محمد القاضى : روضة الناظرين ١/ ٣١٦ ، ٣١٧)

(١) محمد بن عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ٧٥-٧٦ ، ابن غنام : روضة الأفكار ١/ ١٢٢

و مع هذا نهيناهم عن دعواهم و أمرناهم باخلاص الدعاء لله ، فلما أظهرنا هذه المسألة مع ما ذكرنا من هدم البنيان على القبور كبر على العامة جدا وعاضدهم بعض من يدعى العلم لأسباب أخر التى لا تخفى على مثلكم أعظمها اتباع هوى العوام مع أسباب . أخر فأشاعوا عنا أنا نسب الصالحين و أنا على غير جادة العلماء " (١) .

و لقد صور الشيخ محمد فى رسالته الى معارضه سليمان بن سحيم درجة اعتقاد بعض الناس فى العارض بقبر زيد بن الخطاب حيث جعلوه وسيلة للتقرب الى الله زلفى كما أنه فى الوقت نفسه نعى على الذين يعتقدون بحصول نقص و ضرر على زيد من اعتقاد الناس به ، فقال : " و أما الثانية و هى أن الذى يجعل الوسائط هو الكافر ، و أما المجعول فلا يكفر فهذا تلبيس و جهاله ، ومن قال ان عيسى و عزيرا و على بن أبى طالب و زيد بن الخطاب و غيرهم من الصالحين يلحقهم نقص بجعل المشركين اياهم وسائط حاشا و كلا (ولا تزر وازرة وزر أخرى) (٢)

و يقرر الشيخ محمد رحمه الله فى احدى مسائله أن بعضا ممن كان يعتقد بقبر زيد بن الخطاب قد فاق مشركى الجاهلية الأولى الذين كانوا يشركون مع الله فى الرخاء فاذا مسهم الضر أخلصوا الدعاء لله وحده ، يقول الشيخ فى هذه المسألة : (قال الله تعالى : " و اذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم و كان الانسان كفورا " (٣)) فقد سمعتم

---

(١) محمد بن عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ٤٠ ، ابن غنام : المصدر السابق ١٤٤/٢ ، عبد الرحمن بن قاسم : الدرر السنية ١/٤٢ ، ٤٣

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ٢٣٢ ، ابن غنام : المصدر السابق ١٤٢/١ ، ابن قاسم : الدرر ٦٥/٨ ، ومن أبرز الادلة فى هذا المجال قول الله سبحانه فى سورة الأنبياء (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ، الى قوله تعالى " ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ") الآيات ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، وقد أورد ابن كثير فى تفسيره أسباب نزول هذه الآيات حينما اعترض المشركون على الآيات ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، زاعمين أن عيسى و عزيرا و غيرهم يلحقهم اثم و نقص بسبب عبادة الناس لهم فردت الآيات بعد ذلك على قولهم (ابن كثير : التفسير ، ط١ ، دار الفكر ، نشر مكتبة الرياض الحديثة ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ٣/١٩٨ - ٢٠٠) .

(٣) الأسراء آية ٦٧

أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم اذا مسهم الضر تركوا السادة و المشايخ فلم يدعوا أحدا منهم ولم يستغيثوا به بل أخلصوا لله وحده ولا شريك لـه و استغاثوا به وحده ، فاذا جاء الرخاء أشركوا ، و انت ترى المشركين من أهل زماننا ، و لعل بعضهم يدعى أنه من أهل العلم وفيه زهد و اجتهاد و عبادة اذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله مثل معروف (١) أو عبد القادر الجيلاني (٢)

---

(١) هو أبو محفوظ معروف بن فيروز أو الفيرزان الكرخي نسبة الى كرخ بغداد أحد أعلام الزهاد كان من موالي علي الرضى بن موسى الكاظم ، ولد في بغداد و نشأ و توفي فيها علا فيه أرباب الصوفية فكانوا يقصدونه للتبرك مع بعض العامة ، و كان واسع العلم على زهده فكان الامام أحمد بن حنبل يقصده للاستفادة من علمه و زهده ، ينسب الى كثير من الكرامات ، وعدد من كلمات الزهد ، توفي سنة ٢٠٠ / ١٨١٥م و قيل ٢٠١ هـ و قيل ٢٠٤ هـ ، و كان قبره يزار حتى غلي فيه فبني عليه مسجد لا يزال معروفا ببغداد حتى الوقت الحاضر بجامع الشيخ معروف الكرخي ، وقد جدد مؤخرا و يعد من مزارات بغداد المعروفة (أبو الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء الحنبلي : طبقات الحنابلة ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، لبنان (بدون تاريخ ١ / ٣٨١-٣٨٩ ، الزركلي : الاعلام ٨ / ١٨٥ ، يونس ابراهيم السامرائي : تاريخ مساجد بغداد الحديثة مطبعة الأمة بغداد ، نشر وزارة الأوقاف العراقية ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م ص ٢٩٥)

(٢) هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست ينسب الى الحسن ابن علي رضي الله عنهما يلقب بالجيلاني أو الكيلاني أو الجيلي ، ولد في منطقة جيلان قرب بحر قزوين سنة ٤٧٠ ، ٤٧١ هـ / ١٠٧٧ ، ١٠٧٨م ، و قيل ٤٩٠ ، ٤٩١ هـ / ١٠٩٦ ، ١٠٩٧م و انتقل الى بغداد شابا وتلقى العلم على يد كبار علمائها على مذهب الامام أحمد بن حنبل حتى برع فيه و أصبح شيخ الحنابله و فقيههم في عصره ، لما توفي شيخه أبو سعيد المغربي تولى التدريس مكانه في مدرسة باب الأزج ببغداد الى أن توفي سنة ٥٦١هـ / ١١٦٦م فدفن فيها وسميت المدرسة و المسجد باسمه و تولى التدريس فيها بعده ابنه عبد الوهاب ، ويذكر عن عبد القادر أقوالا وأفعالا و مكاشفات و كرامات أكثرها مبالغ فيها وقد غلا فيه اتباعه من الصوفية القادرية حتى عد قبره و مسجده من كبار مزارات بغداد بحوى مكتبه ورباطا لطلاب العلم ، (ابن الأثير : الكامل في التاريخ

و =)

وأجل من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزبير (١)، وأجل من هؤلاء مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله المستعان (٢).

وقد أورد بعض المؤرخين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قصة تبين هذا الاعتقاد بزيد بن الخطاب رضي الله عنه وتؤكد ماقرره الشيخ محمد من أن درجة هذا الاعتقاد قد جاوزت اشراك زيد مع الله سبحانه في بعض أنواع العبادة في وقت الرخاء عند بعض الناس الى الاستغاثة به اذا مسهم الضر، وفحوى هذه القصة أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان جالسا فوق سطح بيته ذات ليلة وقد رأى رجلا قد أضاع بعيره وكان يستغيث بزيد ليرد له بعيره، فسأله الشيخ محمد أن يستغيث برب زيد، وانتشرت القصة بين الناس وانقسموا الى فريقين : فريق يعتقد بزيد وفريق يؤمن

(=) ط(٢) نشر دار الكتاب العربي ١٣٨٧هـ ٩/ ٩٤ وذكر وفاته في ربيع الآخر سنة ٥٦١هـ ،ابن كثير: البداية والنهاية ط(٢) مكتبة المعارف، بيروت ١٩٧٧م/ ١٢/ ٢٥٢هـ، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي : الذيل على طبقات الحنابلة نشر دار المعرفة، بيروت، ١/ ٢٩٠ - ٣٠١، ٣٨٨ - ٣٩٠، الزركلي : المرجع السابق ٤/ ١٧١، ١٧٢، يونس السامرائي : المرجع السابق ٢٧٨).

(١) هو الزبير بن العوام الأسدى ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد سنة ٢٨ ق.هـ/ ٥٩٦م اسلم وله ١٢ سنة شهد بدرا وأحد واليرموك ، جعله عمر فيمن يصلح للخلافة بعده، كان موسرا، استشهد غيلة يوم الجمل بوادى السباع قرب البصرة سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م، وهذا الوادى هو الذى أسست فيه بلدة الزبير غرب البصرة بحوالى ٨ أميال حيث أقيم على ضريح الزبير مسجد بأمر السلطان العثمانى سليم ابن سليمان الثانى فى رجب ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م وعد هذا الضريح والمسجد من مزارات منطقة البصرة حتى أن كثيرا من موتى البصرة ينقلون الى الزبير، (الزركلي ٣/ ٧٤، ٧٥ يوسف حمد البسام: الزبير قبل خمسين عاما. المطبعة العصرية. الكويت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ص ٣٣، ٦٣).

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب : العقيدة والآداب الاسلامية. مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ص ٣٦٨، ٣٦٩، ابن غنام: المصدر السابق ١/ ١٧٧، ١٧٨ .

بما يدعو اليه الشيخ محمد .(١)

واذا كان جزء من هذه القصة ربما وقع فعلا في تصوير درجة الاعتقاد بزيد بن الخطاب فان اظهارها على أنها أمر انقسم فيه سكان العيينة ومنطقة العارض عموما تجاه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، واعتبار بداية حركة الشيخ محمد والتطبيق العلني لدعوته أمر غير مقبول تاريخيا ، ذلك أن دعوة الشيخ محمد قد عرفت واشتهرت مذ كان في حريملاء ، ووجد لها مؤيدون ومعارضون في هذه البلدة التي يعد نشاط الشيخ في الدعوة

---

(١) د . عبد الله العثيمين ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ٤٨ ، وقد أورد القصة باسم سعد ورجح أن المقصود زيد ، وذكر بروكلمان: (تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي ، ط (٧) دار العلم للملايين ١٩٧٧ ص ٥٥٠) أن سعدا من أولياء المنطقة ولعل المقصود زيد كذلك ، وقد أورد القصة المؤرخ التركي سليمان شفيق على أن الشيخ كان جالسا أمام بابه اذ رأى بدويا يستغيث ويقول : (ياسعاد (كذا) أوجد لي ناقتي ، وذكر أن سعاد هذا من رؤساء العرب وشجعانهم في قديم الزمان وأوله من قبل القبائل فلما سمعه الشيخ قال له : أسكت والا كفرت : من سعاد؟ استغث بالله واطلب من خالق الكون ولا تطلب من مخلوق خسيس مثل سعاد ، وذكر المؤرخ أنه قد قامت قيامة القبائل والبلدان المجاورة أثر هذه المحاورة ولم تهدأ الا الأحوال الا بتدخل ابن معمر (د . عبدالفتاح أبو علية : دراسة حول المخطوط التركي : (حجاز سياحتنامه سي) دار المريخ ، الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ص ٣٨٠) وقد أوردت بعض المراجع الرواية باسم زيد صراحة (د . ابراهيم الفوزان : اقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة . مطابع الفرزدق . الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ص ١٧٩ ، وورد ذكر اسم سعد في بيت لراشد الخلاوي في قوله :

محا الله سعد يامنيع وقومه ... كما قد محا من صفحة اللوح كاتبه

(عبد الله بن خميس : راشد الخلاوي ص ٢٩٣) وينتفي أن يكون المقصود بسعد هنا زيد بن الخطاب رضي الله عنه لعدم وجود دواعي الترجمة من لغة الى أخرى والتي قد تحرف بعض الأسماء والكلمات وربما كان المقصود به هنا أحد رؤساء القبائل وشجعانهم كما ذكر

(=)

فيها المرحلة الأولى لقيام الدعوة السلفية. (١)

ويبدو أن أهل الجبيلة والعيينة والمناطق المحيطة بهما كانـــوا يدفنون موتاهم قريبا من قبر زيد وشهداء الصحابة في معركة اليمامة بحيث أصبحت منطقة هذه القبول مقبرة عامة لأهل هذه البلدة وما جاورها ولعل ذلك كان في مبدأ الأمر لكون هذه المنطقة أرضا سهلة منخفضة بينمـــا المناطق المحيطة بتلك المقبرة من جميع الجهات أراض وعرة وهذا ما يكفي للرد على ابن سحيم في قوله ان سبب ارتفاع القبور كونها في أرض وعرة. (٢)

(=) ذكر ذلك المؤرخ التركي، أو قد يكون قاضيا عرفيا من قضاة البدو، وقد يكون أحد الأشخاص الذين يعتقد بولايتهم وهذا الاحتمال وارد ويؤيده أن هذا البيت ضمن أبيات تصور الحياة الدينية في نجد، وقـــد وردت القصة في مخطوط تركي آخر باسم سعد بتفصيل أكثر مـــن السابقة على أن البدوي كان يستغيث بقبر سعد - مما يشير بـــأن المقصود قبر زيد (د. محمد حرب: تقرير رسمي عثماني عن بدايـــة ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، المجلة العربية العـــدد ١٢٣ السنة ١١ ربيع الثاني ١٤٠٨هـ ص ٨٠).

(١) د. عبد الفتاح أبو علية: المرجع السابق ٣٨، د. العثيميـــن: المرجع السابق ٤٩

(٢) ابن غنام ١/١١٢، ١٢٣، وقد تولى ابن غنام فيها الرد على ابـــن سحيم بأن موضع القبور سهل ليّن وهو مقبرة لأهل المنطقة والأرض الوعرة عنها شمالا وجنوبا، وقد قرر عدد من الجغرافيين القدماء والمحدثين أن منطقة عقرباء - مكان هذه القبور - أرض ليّنة في منبسط وادي حنيفة وتعد عقرباء احدى رياض منطقة العارض وكلهم يجمعون على سهولـــة أرض المنطقة (الحربي: المناسك، وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيـــرة ص ٦١٦، الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمـــد الأكوع، نشر دار اليمامة. الرياض ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ص ٢٨٤، ٣٠٧، ٣٠٨، عبد الله البكري معجم ما استعجم تحقيق مصطفى السقا نشر دار عالم الكتب، بيروت ١/٩٤، ياقوت الحموي: معجم البلدان نشـــر دار صادر ودار بيروت ١/٦٠، ٦١ محمد بن بليهد صحيح الاخبار ٥/٩٣، حمد الجاسر: مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ط (١) نشـــر دار اليمامة. الرياض ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م ص ٥٥ - ٥٧، أبـــن خميس: معجم اليمامة ١/٤٩ - ٢/٥٢، ١٦٣، ١٦٨).

واذا كان من غير المعروف تاريخ الاعتقاد بقبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه فانه من المحتمل أن يكون ذلك فى فترة متقدمة من التاريخ الاسلامي بعد القرون المفضلة اذ ذكر بعض الجغرافيين المسلمين الأولين والآخرين مكان قبر زيد وشهداء الصحابة على وجه التقريب وعلى اختلاف فيما بينهم فى تحديد منطقة القبور ذاتها (١)، كما ذكر بعض مؤرخي الطبقات اعتقاد بعض المسلمين فى البلدان المجاورة لنجد ببعض قبور الصالحين فى القرن الرابع الهجرى ولا يستبعد أن يكون بعض سكان المنطقة التى فيها قبور شهداء اليمامة قد تأثروا بهم فى الاعتقاد بقبر زيد رضي الله عنه منذ ذلك التاريخ (٢).

---

(١) ابن غنام ١٢٣/١ وقد قال فيها : "ان قبر زيد رضي الله عنه ومن معه من الشهداء لا يعرف أين موضعه بل المعروف أن الشهداء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا فى أيام مسيلمة فى هذا الوادى- ويقصد وادى عقرباء - ولا يعرف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم، ولا يعرف قبر زيد من قبر غيره، وانما كذب ذلك بعض الشياطين وقال للناس: هذا قبر زيد فافتتنوا به وصاروا يأتون اليه من جميع البلاد بالزيارة ويجتمع عنده جمع كثير ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات)، والجغرافيون بعضهم يذكر مكان القبور فى عقرباء وهو واد واسع وبعضهم يقول انه فى اباض وهى رحبة واسعة ضمن عقرباء وقد حاول ابن بليهد فى صحيح الأخبار تحديد مكان المعركة على وجه الدقة الا أنه قال ان أبعاد هذا المكان مسافة نصف يوم، وبين منطقة عقرباء وثنية (الحيسية) غرور-المكان التقريبى للمعركة-مسافة نصف يوم، وغرور قريب من أباض (الهمدانى: ٢٨٤، ٣٠٧، ٣٠٨، البكرى ٩٤/١، الحموى ٦٠/١، ٦١، ٤/ ١٣٥، ١٩٦، ابن بليهد ٧٣/١، ٧٤، ١٩٦، ١٦٩/٢، ٩٣/٥، حمد الجاسر: المرجع السابق ٥٥ - ٥٧، ابن خميس ٤٩/١ - ٥٢، ٥٢/٢، ١٦٣ - ١٦٨، ٢٢٠/ ٢٢١).

(٢) ذكر ابن أبى يعلى الفراء الحنبلي فى طبقات الحنابلة (٣٨٨/١) أن عامة الناس فى بغداد كانت تتجه لزيارة قبر معروف الكرخي والامام أحمد بن حنبل بجموع كثيرة وقد خصصوا لقبر معروف يوم السبت ولقبر الامام أحمد بن حنبل يوم الاثنين منذ ذلك القرن، وما من ريب فى أن الاعتقاد بالقبور أو أى بدعة خرافية قد تنشأ وتروّج عند العامة من تمويهات وأخبار عن بعض من يعتقد بولايتهم يرويها ويموه بها بعض الرواة كما أشار الى ذلك ابن غنام فيما سبق.

على أنه من المحتمل كذلك أن يكون الاعتقاد بقبر زيد وغيره من شهداء اليمامة قد تركز وانتشر في المنطقة حوالي القرن الثامن الهجري حينما بدأ المذهب الحنبلي في الانتشار في منطقة نجد ورحل في سبيل التعمق فيه عدد من علماء المنطقة الى المدارس الحنبلية في دمشق والقاهرة، وعاد قسم منهم متأثرين بما في هذه المدن من تقديس لبعض القبور فيها اذ من المعتقد اخبار بعض علماء تلك المدن لهؤلاء النجديين بمكان قبر زيد وضرورة تقديسه، أو أن هؤلاء النجديين قد قرأوا في تلك المدن عن قبر زيد ورجعوا الى بلادهم يحملون في أنفسهم الشعور بضرورة تقديس هذا القبر وغيره من قبول الصحابة في المنطقة وأن تكون منطقة هذه القبول مقبرة عامة لأهل الجبيلة وما حولها.

وفي هذا الصدد وفي نطاق الاعتقاد بقبور شهداء الصحابة عامة في المنطقة وقبر زيد بشكل خاص ونظرا لاعتقاد بعض أهالي تلك البلدان بضرورة دفن الموتى قرب قبر زيد للتبرك به تذكر بعض المصادر النجدية أن الشيخ أحمد بن عطوة (١) دفن في الجبيلة ضجيعا لزيد بن الخطاب رضي

---

(١) هو شهاب الدين أحمد بن يحي بن عطوة بن زيد من آل رحمة من نواصر تميم ولد في العيينة في النصف الأخير من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ونشأ فيها وقرأ الفقه على عدد من فقهائها ورغب في التزود من العلم فرحل الى دمشق وسكن في مدرسة أبي عمر الحنبلية في الصالحية، وتتلمذ على عدد من علماء الحنابلة فيها ومن أبرزهم يوسف بن حسين بن عبد الهادي (ت ٩٠٩هـ) وعلي ابن سليمان المرداوي (ت ٨٨٥هـ) وأحمد بن عبد الله العسكري (ت ٩١٢هـ) ثم عاد الى بلاده فأصبح مرجعا للتدريس والقضاء والفتيا، ورغم أنه من أنصار المذهب الحنبلي فقد كان يأخذ ببعض الآراء من المذاهب السنية الأخرى له مؤلفات أبرزها: التحفة الأنيقة الروضة البديعة درر الفوائد وعقيان القلائد. يعد رائد الحركة العلمية في نجد في القرن العاشر الهجري ويبدأ بعض مؤرخي نجد قبل الدعوة تاريخهم بوفاته تتلمذ عليه عدد كبير من العلماء تولوا مناصب القضاء في نجد والأحساء، لازال العلماء يستفيدون من أقضيته وفتاويه، وقد ضم مجموع المنقور عددا كبيرا منها توفي ليلة الثلاثاء الثانية من شهر رمضان ٩٤٨هـ/ ٢٠ ديسمبر ١٥٤١م (أحمد المنقور: الفواكه العديدة في المسألة المفيدة ط (٢) نشر

(=)

الله عنه خلفه وجه أحمد ورأسه حيال كتفي زيد ، ولا تفيدنا المصادر هل كان ذلك بوصية من ابن عطوة أو أن ذلك من دافنيه التماسا للبركة بقرب قبر زيد - كما كانوا يعتقدون - أو أن ذلك جاء نتيجة تلقائية لكون منطقة هذه القبور هي المنطقة الصالحة للدفن.(١)

ولما كانت أماكن قبور الصحابة الآخرين غير معروفة للناس بالقدر الذى عرفوا به قبر زيد فقد ظنوا أن قبر ضرار ابن الأزور فى غبيراء(٢) وأن مقبرة قريوة بالدرعية تحوى قبور الصحابة كما مر، ونتيجة لقلة معرفتهم بها فلم يولوها من التقديس ما كانوا يولونه لقبر زيد بن الخطاب ومن هنا نفهم سر تركيز الشيخ محمد بن عبد الوهاب على اعتقاد الناس بقبر زيد(٣) أكثر من غيره اذ يبدو أنه هو المعلم البارز لدى القبوريين فى المنطقة الذين لم تشر المصادر الى أنهم قد بلغوا فى تقديسها الكثرة والدرجة التى وصل اليها القبوريون في

(=) دار الآفاق الجديدة بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ١/١٥٠، محمد بن ربيعة العوسجي: تاريخ ابن ربيعة . دراسة وتحقيق الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل مطابع الشرق الأوسط، الرياض نشر النادى الأدبى فى الرياض ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ص ٢٥، ٥٧، محمد بن عمر الفاخرى: مصدر سابق، ص ٦٢، ابن بشر ٢/١٩٤، محمد بن عبد الله بن حميد : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة: مخطوط ورقة ٧٢، ابراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد نشر دار اليمامة، الرياض ص ٤٦، ٤٧ عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق مخطوط ورقة ٢٣، ٢٤، ابن قاسم: الدرر ٦/٤٨٩، عبد الله بن عبد الرحمن البسام: علماء نجد ١/١٩٩ - ٢٠٣

(١) المنقور: المصدر السابق ١/١٥٠، ابن حميد : السحب ورقة ٧٢ ، ابن عيسى : المرجع السابق ص ٤٦، عبد الله بن محمد البسام تحفة المشتاق ورقة ٢٣، عبد الله بن عبد الرحمن البسام: علماء نجد ١/٢٠٣

(٢) لم يثبت استشهاد ضرار بن الأزور فى اليمامة بل قيل انه اشترك في معركة اليرموك بالشام سنة ١٣هـ (ابن عبد البر ٢/٢١١، ٢١٢، ابن حجر ٢/٢٠٨، الزركلي ٣/٢١١، كما مر فى ترجمته

(٣) لقد كان تركيز الشيخ على الاعتقاد بهذا القبر كثيرا فكان كثيرا ما يعترض للذين يقدسون هذا القبر كما حدث مع ذلك الاعرابى وكان اذا رأى مايفعل عند هذا القبر يقول بصوت مسموع: (الله خير من زيد) حتى هدم ماعلى هذا القبر من بناء (مجلة العرب ج٩، ١٠ س ١٢ ص٦٦٤).

البلدان المجاورة وغير المجاورة .

٢ـ الأشجار: من أبرز الأشجار التى ورد فى بعض المصادر اعتقاد بعض الناس بها الفحل أو الفحال وهو ذكر النخل الذى يأتيه الرجال والنساء للاعتقاد به ، وتأتيه العوانس خاصة ، وكان الاعتقاد به متركزا فى الدرعية وما حولها ، وليس من المعروف هل المقصود فحالا بعينه أو أن ذلك شاملا لجنس الفحال وكذلك السبب وراء هذا الاعتقاد ليس واضحا ، ولعل لقربها من قبور بعض الصحابة أثر فى هذا الاعتقاد ،أو أنه لعل ذلك لأن النخلة هى الشجرة الوحيدة التى لها ذكر ، ولا يستفاد من ثمرها الا بتلقيح كما ورد فى بعض الآثار، أو لعل ذلك للمنزلة العالية التى تحظى بها النخلة[1] لدى النجديين عموما[2] .

وقد ورد أن بعض أهالى المنطقة كانوا يعتقدون بشجرة الطرفية وكانت النساء بشكل خاص يأتين اليها ، وتعلق الواحدة منهن عليها خرقا اذا ولدت ذكرا اعتقادا منها بأن ذلك وسيلة لحمايته من الموت أو الامراض[3]

---

(١) ورد فى الحديث الضعيف أو الموضوع الذى ذكر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(أكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من الطين أو الطينة التى خلق منها آدم، وليس من الشجر أو الشجرة يلقح غيرها ، ثم قال ،أطعموا نساءكم الولد الرطب فان لم يكن رطب فالتمر ، وليس من الشجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران ، رواه أبو يعلي ، وقال بعض المحدثين : فيه مسرور بن سعيد التميمي وهو ضعيف (على بن أبى بكر الهيثمى مجمع الزائد ومنبع الفوائد ط(٣) نشر دار الكاتب العربى ، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ٨٩،٣٩/٥ حيث أورده بروايتين مختلفتين فى بعض الكلمات جمعت بينهما ، ناصر الدين الألباني : الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٢٨٢/١ - ٢٨٤ وقد طعن فى سنده ، وقال : انه حديث موضوع) .

(٢) ابن غنام ٧/١ ، ابن قاسم: الدرر ١٨٧/١ ، د . عبد الله الشبل : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٣ ، عبد الله بن سعد الرويشد الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى التاريخ ط دار احياء الكتب العربية نشر مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م وقد ذكر وجود الاعتقاد بهذا الفحال فى منفوحة ولم أر أحدا ذكر ذلك غيره فيما بين يدى من المصادر.

(٣) ابن غنام ٧/١ ، ابن قاسم: الدرر ١٨٧/١ ، د . الشبل ١٣ ٥ .

ونظرا لكون هذه الشجرة شبيهة بالأثل الذى يستفيد منه النجديون فلعل لهذا أثر فى هذا الاعتقاد ، وقد تركز الاعتقاد بهاتين الشجرتين فى بليدة (١) الفداء فى المنطقة غير المعمورة بين الدرعية والعيينة .

ومن أبرز الأشجار التى يعتقد بها بعض أهالى المنطقة شجرة الذيب (الذئب) وليس من المعروف نوع هذه الشجرة ولعلها من الأشجار البرية فى المنطقة القريبة من العيينة ويذكر أن الاعتقاد بها يكثر فى أوساط بعض النساء ، والعوانس خاصة تماما كما كن يفعلن عند شجرة الفحال ، ولا تذكر المصادر شيئا عن جذور هذا الاعتقاد الذى ربما كان بسبب حماية هذه الشجرة لأحد أهالى المنطقة من سطوة أحد الذئاب (٢) .

وقد ورد الاعتقاد ببعض الاشجار فى منطقة قريوة فى الدرعية ، ولما كانت هذه المنطقة فيها قبور بعض شهداء الصحابة فى اليمامة فلعل لهذا أثر فى تركز الاعتقاد بهذه الأشجار الذى لم تسعفنا المصادر بدرجته (٣) .

كما أن من الأشجار المعظمة فى هذه المنطقة شجرة أبى دجانة (٤) وواضح من اضافة هذه الشجرة الى أبى دجانة أنها ربما كانت بجوار قبر الصحابى أبى دجانة (٥) الشهيد فى منطقة اليمامة فى حروب المرتدين ، ومن المعتقد أن هذا هو السبب فى تقديس هذه الشجرة .

---

(١) شعب غرب الدرعية فيه نخل ومزارع وقد جرت فيه بعض الوقعات فى معارك الدرعية ، (ابن بشر ١/ ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ابن خميس ، معجم اليمامة ١/ ١٧٩م د . الشبل : اهم المصادر النجدية ١١٠) .

(٢) ابن غنام ١/ ٣٠ ، ٣١

(٣) ابن غنام ١/ ٣٠ ، ٣١

(٤) ابن غنام ١/ ٣٠

(٥) هو أبو دجانة سماك بن خرشه وقيل ابن أوس بن خرشة الخزرجى الأنصارى ، كان شجاعا شهد بدرا ، وثبت يوم أحد وأبلي فيها بلاء حسنا حينما دافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها حتى كثرت فيه الجراحات وأعطاه فيها رسول الله سيفه فسمى بذى السيفين لقتاله بسيفه وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمي بذى المشهرة وهي درع يلبسها للحرب ، له مشية خيلاء فى الحرب معروفة يضرب بها المثل اشترك فى قتل مسيلمة ، استشهد فى معركة اليمامة سنة ١١هـ/ ٦٣٢ م

(=)

وتذكر بعض المصادر أن منطقة وادى الدواسر كان يوجد فيها بعض مظاهر الشرك بتقديس الأشجار، والأحجار، وقد أثر وجود شجرة كبيرة في المنطقة اتخذها بعض الأهالي رمزا يجلسون عندها ويستظلون بها معتقدين فيها جلب النفع ودفع الضرر.(١)

٣ - الكهوف: وأبرزها غار بنت الأمير وهو فى الدرعية حيث يعتقد بعض الناس أن الله فلقه لها لتلتجيء اليه من أحد الفسقة لما أراد هتك عرضها فكان الناس يهدون فيه الطعام تبركا به على حمايته لهذه الفتاة، واعتقادا منهم بأنها تخرج فتأكله،(٢) ولا غرابة فى نشوء مثل هذا الاعتقاد فى فترات الجهالة عند بعض الفئات فى مجتمع يقدس الشرف والفضيلة ويحترم من يحترمها.

٤ - الأشخاص: وأبرز هؤلاء تاج - وهو من أهل الخرج وقد عظموه واعتقدوا فيه ويبدو أن منشأ هذا الاعتقاد كونه أعمي ويملك قدرة على المجيء من الخرج الى الدرعية بدون قائد ليجبى ماله من مخصصات مالية تدفع له بسبب أوبآخر والواقع أن هذه المقدرة توجد فى بعض الأكفاء فليس فى وجودها فيه ميزة تبرزه بهذه الصورة.(٣)

(=) وقيل عاش بعد هذه المعركة وشهد صفينا مع على بن ابن أبي طالب رضي الله عنه. (ابن عبد البر: ٤/ ٥٩، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ٢/ ٢٤٨، ابن كثير، البداية والنهاية ٦/ ٣٣٧، ابن حجر: الاصابة ٤/ ٥٩، الزبيدى: تاج العروس ٩/ ١٩٦ باب النون فصل الدال، الزركلي: الاعلام ٣/ ٢٠٢، ٢٠٣).

(١) ابن غنام ٢/ ١٣١، ابن بشر ١/ ١٠١، ١٠٢، رسالة الماجستير للباحث: الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد وأثر الدعوة السلفية فيها لم تنشر بعد ص ٢٠٩

(٢) ابن غنام ١/ ٨٠٧، ابن قاسم: الدرر ١/ ١٨٧، د. الشبل: أهم المصادر النجدية ١١٠

(٣) الشيخ محمد بن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية ٨٩، التفسير ١٢، ١٦، العقيدة والآداب الاسلامية لكشف الشبهات، ١٣، ابن غنام ١/ ٨، ابن قاسم: الدرر ١/ ١٨٧، وقد ورد فيه أن الحكام يخافونه مع أنه غير ملتزم بأحكام الدين.

ومن هؤلاء الأشخاص شمسان الذى ذكره الشيخ مع ذكر أولاده أحيانا كما أنه يذكر أحيانا اسم (محمد بن شمسان) كما يذكره فى بعض الرسائل مع آله اذ قال : " فأما الكلام فى الطواغيت أمثال : ادريس وآل شمسان فالكلام على هذا طويل ، وليس من المعروف هل كان تاج من أولاد شمسان اذ ورد اسم تاج عقب شمسان مباشرة فى احدى حالات ذكرهما ، كما أن الشيخ يذكره منفردا عن تاج .(١)

ومن هؤلاء الأشخاص الذين أشار الشيخ الى اعتقاد بعض الناس فيهم شخص يقال له يوسف الذى كان الشيخ يذكره بشخصه أحيانا وأحيانا يذكر أن الاعتقاد فى قبره مما يوحي بأن هذا الشخص كان قد توفي قبل قيام الدعوة السلفية بزمن ، وأنه كان يعتقد بشخصه فى حياته ولما توفي استمر

---

(١) الشيخ محمد : الرسائل ٢، ٥٢، ٦٣، ٧٥، ٨٩، ١٤٧، ١٤٨، ١٧٢، ٢٢٨، ٢٤٠، ٢٤١ ، كشف الشبهات ١٧٣ ، مجموعة رسائل فى التوحيد ٣٦٩ ، الفتاوى ٢٤ ، التفسير ٢، ١٢، ١٦ ، ووصفه الشيخ أحيانا بأنه طاغوت، وانظر ابن غنام ١/ ٢٢٥ ، وابن بشر ١/ ٣٠ الذى أورده معطوفا على تاج وأن دهام بن دواس قرر ذبح جذور نذر لهما ان غزاه الامام محمد بن سعود ، وقد ذكر ابن خميس : (معجم اليمامة ١/ ١٣٦) قبة تاج بن شمسان ضمن آثار الرياض التى اندرست وانظر
Rents, Georges, Muhammad, Ibn Abdul Wahhab (1703/04 - 1792) and The Bdginngs of Unitatian Empire in Arabia, p: 60

وقد ذكر فيها أن من أسباب حروب الدولة السعودية الأولي لدهام بن دواس اقدام دهام على ذبح النذر لتاج بن شمسان ، مما يدل على وجود هذين الشخصين فى الرياض وتركز الاعتقاد فيهما فى هذه البلدة وماحولها ، وأن خوف هذا الأمير من سطوتهما من أسباب هذا الاعتقاد ، أو أنه أراد أن يخالف الدعوة ودولتها فى أهم ماتدعو الى تركه ، وقد ذكر خالد السلطان أن القبة بناها تاج بن شمسان وأنها قرب ام العصافير التى حدثت فيها معركة بين دهام والدولة السعودية الأولى سنة ١١٧١هـ وهى فى منطقة معكال شرق حي سلام فى الوقت الحاضر(ابن بشر ١/ ٤٩ ، خالد بن احمد السلمان معجم مدينة الرياض ط (١) مطابع الفرزدق ، الرياض ، نشر الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ص١٨٩، ١٩٠).

الاعتقاد في قبـــره.(١)

وقد أورد الشيخ ذكر شخص آخر يلقى نوعا من التقديس لغى بعض سكان المنطقة وهو ادريس الذى أوضح الشيخ فى احدى كتاباته أنه يقال له (الأشقر) فيكون اسمه على هذا (ادريس الأشقر) وليس من المعروف هل هذا لقب له خاصة أو أنه ينتمي الى أسرة تسمى الأشقر، وفى بعض الرسائل كان الشيخ يقرن معه أولاده ويبدو أن أولاده يساعدونه في جبى مايصرفه له المعتقدون فيه من أموال.(٢)

وممن ذكر الشيخ اعتقاد بعض الناس فيهم حطاب الذى أوضح أن اعتقاد بعض الناس فيه مساو لاعتقادهم فى تاج وشمسان مما يبدو معه أنه يلقى بعض التقديس من هؤلاء بصرف شئ من الدعاء له.(٣)

وقرن الشيخ شخصا يقال له حسين بادريس بجامع الاعتقاد فيهما بالنفع والضر والندب اذ صرف لهما المعتقدون فيهما شيئا من الربوبية وشيئا من الألوهية مما يبدو معه أن حسينا يشبه ادريسا فى اعتقاد بعض الناس فيه بما كان يقوم به أعمال تجعل هؤلاء المعتقدون يظنون فيه الولاية.(٤)

---

(١) الشيخ محمد : الرسائل الشخصية ٢٠٦، ٢١٦، كشف الشهاب ١٧٣، مجموعة رسائل فى التوحيد ٣٦٩، الفتاوى ١٠.

(٢) الشيخ محمد : الرسائل ٥٢، ٨٩، ١٧٢، ٢٤٠، ٢٤٢، مجموعة رسائل فى التوحيد ٣٦٩، الفتاوى ١٠، ٢٤، وقد أورد الشيخ في هذه الصفحات ذكره تحت عدة ألفاظ كادريس فقط، وأولاد ادريس وادريس وأولاده وادريس الأشقر، والأشقر فقط، ووصفه فى بعض الحالات بأنه من الكفرة والطواغيت والمردة.

(٣) الشيخ محمد : الرسائل ٨٩

(٤) الشيخ محمد : المصدر السابق ٨٩، ٢٤٢

ورمز الشيخ لشخص يعتقد فيه بعض النجديين اذ ذكر أن الزاهد يشبه شمسانا في درجة الاعتقاد ، وربما كانت دواعي الاعتقاد به في نظر الجهّال متوفرة فقد يكون أحد الزهّاد الذين يقدمون الى نجد في بعض الأحيان على شكل دراويش وتجرى منهم بعض التصرفات في القول والعمل يعتقد معها هؤلاء الجهّال أن تلك كرامات أولياء فيصرفون لهم شيئا من العبادة ويغدقون عليهم الأموال ، وما من شك أن رمز الشيخ له بصفته بغض النظر عن وجودها فيه حقيقة - يدل على اشتهاره بها في المنطقة أكثر من اسمه الحقيقي الذي لم يمدنا لا الشيخ ولا غيره من المصادر به ، على أن الشيخ قد ذكر مع الزاهد وشمسان في سياق واحد (المطوية) هكذا بصيغة التأنيث ، وليس من المعروف هل هي امرأة يعتقد فيها كما يعتقد في شمسان والزاهد وغيرهما ، وربما كانت كذلك فقد تكون طبيبة شعبية حاذقة منتمية لاحدى القبائل النجدية فقد يكون اسمها (المطيرية) أو أنها جماعة دينية تمارس مهاما دينية واجتماعية تلقى من خلالها بعض التقديس لدى جهّال المنطقة.(١)

وقد أورد الشيخ ذكر شخص يقال له (عثمان) في الوادي ولعله يقصد وادي الدواسر ، وأشار الى أن بعض الناس يعتقدون فيه وأنه من الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله.(٢)

وقد قرن الشيخ ذكر عثمان هذا مع ذكر أبي حديدة(٣) مما يبدو معه

---

(١) الشيخ محمد : المصدر السابق ٢٤١ .

(٢) المصدر السابق ٥٤

(٣) يبدو أن هذا اللقب اسم لأسرة ، ورغم بحثي فيما بين يدي من كتب أنساب أهل نجد ، وسؤالي من أعرف عن وجود أسرة بهذا الاسم فلم أستطع العثور على شئ من هذا ، الا أني تمكنت من العثور على أسرة في منطقة الخليج تحمل هذا الاسم ، ولم أتبين وجود صلة نسبية بينها وبين هذا الشخص الذي أورد الشيخ اسمه ، فان كان من هذه الأسر المعروفة فلعلها رحلت جميعها أو بعضا منها الى منطقة الخليج من نجد تحت أي سبب من الأسباب. كما هي عادة كثير من

(=)

بأن الاثنين من الوادى أو أن أبا حديدة فى منطقة قريبة من الوادى وقد ذكره الشيخ بصيغة التشنيع أحيانا فقال (كالكلب أبى حديدة) وقرنه أحيانا بشمسان وادريس وأحيانا بالعيدروس[1] الذى يقدس قبره أهل حضرموت وما حولها فى تلك الفترة.[2]

ولما كانت قضية الاعتقاد بالاشخاص ممن تزعم ولايتهم هى احدى المظاهر الرئيسية للانحراف عن العقيدة الصحيحة عند حضر نجد قبل الدعوة فقد ثار حولها نقاش حاد بين الشيخ وخصومه من ناحية، كما كانت محورا هتمام الشيخ فى رسائله الى أتباعه أو من يرجو اتباعهم للدعوة من ناحية أخرى، ومن هنا فرسائل الشيخ الشخصية حافلة بالحديث عنها،

(=) الأسر (صحيفة السياسة الكويتية عدد ٦٦٢٠ السنة العشرون الأحد ١١/٥/١٤٠٧هـ/١١ يناير ١٩٨٧ م ص ١٠)

(١) هو أبو بكر بن عبد الله الشاذلي العيدروس من آل باعلوى الحسينيين الذين منهم السقاف ولد فى تريم بحضرموت سنة ٨٥١هـ/١٤٤٧م وهو أول من قام باتخاذ القهوة كمشروب حيث وجد فيه تجفيفا للدماغ واجتلابا للسهر وتنشيطا للعبادة فاتخذه لذلك وأرشد اتباعه اليه فانتشر في اليمن ثم الحجاز فالشام ومصر وغيرها، يعد العيدروس من أئمة التصوف على الطريقة الشاذلية وله كتاب فى التصوف سماه (الجزء اللطيف فى علم التحكيم الشريف) حدد فيه تاريخ لبسه الخرقة الشاذلية، وله ثلاثة أوراد، ونظم ضعيف جمع فى ديوان، أقام بعدن ٢٥ سنةوبها توفى سنة ٩١٤هـ/١٥٠٩م، ألف جمال الدين بحرق الحضرمي كتابا فى سيرته سماه (مواهب القدوس فى مناقب العيدروس) ويقدس قبره أهل حضرموت والشحر ويافع وعدن الى الآن ومن الفاظ دعائهم له: (شئ لله ياعيدروس شئ لله يامحي النفوس). (نجم الدين محمد الغزى: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة تحقيق الدكتور جبرائيل سليمان جبور ط(٢) نشر دار الآفاق الجديدة ١٩٧٩م ١/١١٣، ١١٤، ابن غنام: روضة الأفكار والافهام ١/١١، الزركلي: الاعلام ٢/٤١، الموسوعة العربية الميسرة ١٢٤٧، مجلة العربى الكويتية عدد ٢٠٤ شوال ١٣٩٥هـ ص ٨٨، عدد ٣٤٢ رمضان ١٤٠٧هـ ص ١٢٣).

(٢) الشيخ محمد: المصدر السابق ٥٤، ١٧٢، ٢١٧، ووصفه الشيخ مع عثمان وغيره ممن فى الخرج بالشياطين، كما عده من المقامات المعبودة، كما ذكر شخصا يقال له عبد الله بن عون يقدس أبا حديدة وانظر ابن غنام ١/٢١٧، وربما كان اسمه أبا جديدة.

علاوة على أن تقريرات الشيخ العلمية فى بعض فتاويه ورسائله العلمية الأخرى لا تخلو من شرح وتوضيح لهذه القضية وربطها بالقضايا المشابهة لهـا سواء فى الجاهلية أو التي طرأت على حياة بعض المسلمين أو تلك التى تكثر عند أصحاب الأديان الأخرى (١).

ويستفاد من تقريرات الشيخ وبعض اشارات المصادر الأخرى حول هذه القضية اقتصار وجود هؤلاء الأشخاص وكثرة الاعتقاد بهم فى منطقة العارض وما يليها جنوبا مرورا بمنطقة الخرج حتى وادى الدواسر على أن الشيخ كان دقيقا فى ذكر أسماء لبعض من كانوا يوغلون فى الاعتقاد بهؤلاء الأشخاص مما يبدو معه عدم استفحال الاعتقاد بهم لدى جميع أهل هذه المناطق ، وأن بعضا من هؤلاء السكان ما كانوا يولونها أى تقديس عدا أفراد أو مجموعات محدودة منهم (٢)، فيذكر الشيخ أن طالب الحمضي قد اعتقد فى بعض هؤلاء كحسين وادريس وأولاده وشمسان وأولاده ، ولا يبعد أن يكون قد اعتقد ببقية قدرة الأشخاص على تفاوت فى درجة هذا الاعتقاد ، ولقد أكد الشيخ مرة أخرى اعتقاد طالب فى حسين وادريس مما يوحي بأن طالبا هذا من اتباع هذين الشخصين وأن اعتقاده ببقية الأشخاص بدرجة ثانية ، وأوضح الشيخ درجة اعتقاد طالب بهذين الشخصين فى كونهما ينفعان أو يضران وذلك جانب

---

(١) على سبيل المثال انظر: المصدر السابق ص ١٤٧ ، ١٤٨

(٢) المصدر السابق ٥٤ ، ١٨٨ ، ٢٣٢ ، ٢٧٨ ، وقد قال الشيخ فيهـا : " هؤلاء الطواغيت الذين يعتقد الناس فيهم من أهل الخرج وغيرهم" وقال ، " وانما كفّرنا هؤلاء الطواغيت أهل الخرج وغيرهم بالأمور التى يفعلونها هم منها أنهم يجلعون آباءهم وأجدادهم وسائط ، وقال (ولا تنكرون هذه الأوثان التى تعبد فى الخرج وغيره" . وقد سبقت اشارة الشيخ لاعتقاد أهل الوادى بعشان وأبى حديدة ، أما فى منطقة العارض فشمسان وادريس وتاج وغيرهم وقبور بعض الصحابة الشهداء فى معركة اليمامة وبعض المشاهد والأشجار والأحجار التي مر ذكرها .

من الربوبية ، وكونهما يندبان ويستغاث بهما وذلك جانب من الألوهية ، وقد أشار الشيخ الى وجود مؤيدين لطالب فى هذا الاعتقاد الا أنه لم يحدد اسماء غير أن ذكر شخص يقال له عبد الكريم وآخر يقال له موسى بن نوح مع ذكر طالب يشعر بأن هذين الشخصين من أبرز مؤيدى طالب الحميضي فى هذا الاعتقاد (١).

وتشير رسائل الشيخ الى وجود أفراد متصوفة فى بلدة معكال القديمة (٢) وقد ذكر الشيخ بعض الأسماء وهم (ولد موسى بن جوعان وسلامة بن مانع) وهذان شخصان مغموران مما يشعر بمحدودية هذا المعتقد بالنسبة للمؤيدين كما هو محصور فى بلدة معكال وان كان الشيخ قد قال : (فى معكال وغيره) وفى الفتاوى ذكر أن بعضا من هذا المعتقد يوجد فى الرياض فان من المعتقد أن الشيخ يقصد هذين الشخصين لقرب معكال من الرياض (٣).

---

(١) الشيخ محمد : المصدر السابق ٨٩، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤٠، ٢٤٢، وقد ذكر الشيخ موسى بن نوح مرة بهذا الاسم ومرة قال عنه ابن احمد بن نوح ولعله هو المقصود ولو لم يذكر اسمه وذكر عنه الاستهزاء بكلام الله ورسوله .

(٢) كانت احدى قرى حجر اليمامة (الرياض حاليا) ثم ضعفت حجر فاصبحت عدة قرى منها معكال ومقرن اللتان كان يحدث بينهما حروب فى بعض الاحيان ، وكانت معكال هدفا لبعض غزوات الأشراف على نجد كما فى سنة ٩٨٦هـ/١٥٧٨م ، ومن أبرز علمائها سليمان بن سحيم من ابرز معارضي دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. تقع معكال فى الوقت الحاضر بين شارع آل فريان شرقا وشارع مكة غربا وشارع الأعشى جنوبا وميدان دخنة شمالا ومنذ عرفت الرياض كمدينة حديثة ومعكال احد أحيائها القديمة (ابن عيسى ٥١ ، حمد الجاسر ، مدينة الرياض ٨٧ - ٩٠ ، عبد الله بن خميس معجم اليمامة ٢/ ٣٧٩، ٣٨٠ ، خالد السليمان : معجم مدينة الرياض ٢٢٧ - ٢٣١) .

(٣) الشيخ محمد : الرسائل الشخصية ١٨٩ ، الفتاوى ٢٥ ، وقد ذكر فى الأولى أن هذين الشخصين على مذهب ابن الفارض وابن عربي (من أئمة الاتحادية) وفى الثانية لم يصرح باسمي هذين الشخصين (بن موسى وبن جوعان) بل قال : " مثل مايفعله أناس من الظالمين

(=)

٥- مظاهر البدع الأخرى :

ويستفاد من رسالة الشيخ الى معارضة سليمان بن سحيم أنه كان يذهب لحضور المولد وأنه يقرأ لدى المجتمعين ويأكل من الطعام المعد لذلك، واذا كانت عبارة الشيخ تنص صراحة على قيام سليمان بهذا العمل فانها الاشارة الوحيدة التي قد يفهم منها حدوث هذا الأمر في المنطقة ومن المعتقد أن هذا محدود ربما في معكال وفي أوساط تلك الفئة المتصوّفة المحدودة.(١)

(=) في الرياض يمدحون طريقتهم - ويقصد بعض الأشخاص الذين يلقون تقديسا في المنطقة ممن مر ذكرهم - ويمدحونهم ويذمون دين الاسلام ويسبونه وأهله يسمونهم السبابة، ومنهم من ينصر مذهب ابن عربي وابن الفارض ويدعون اليه" وانظر ابن غنام ١٤٧/١، ولم يشر احد من علماء نجد لهذين الشخصين بأي صفة علمية أو دينية (د. العثمين، بحثه السابق في مجلة الدارة ٣٤ س ٤ ص ٤٢) الا أن قاضي الدرعية عبد الله بن عيسى علّق على رسالة للشيخ محمد التي ذكر فيها هذين الشخصين وارسلها لأهل منفوحة والرياض عن طريق ابن عيسى ابان تأييده للدعوة قائلا : (فمن تمذهب بمذهبهما - ابن عربي وابن الفارض - فقد اتخذ مع غير الرسول سبيلا، وانتحل طريق المغضوب عليهم والضالين المخالفين لشريعة سيد المرسلين، فان ابن عربي وابن الفارض ينتحلان نحلا تكفرهما، وقد كفرهم كثير من العلماء العاملين، فهؤلاء يقولون كلاما أخشى المقت من الله في ذكره فضلا عمن انتحله، فان لم يتب الى الله من انتحل مذهبهما وجب هجره وعزله عن الولاية ان كان ذا ولاية من امامة أو غيرها، فان صلاته غير صحيحة لا لنفسه ولا لغيره، فان قال جاهل أرى عبد الله توّه يتكلم في هذا الأمر، فيعلم أنه انما تبين لي الآن وجوب الجهاد في ذلك علي وعلى غيري" (الرسائل الشخصية ١٩٣) وفيها اشارة الى هذين الشخصين (ابن موسى وبن جوعان) وربما الى غرهما ممن يعتقد بمذهب ابن عربي وابن الفارض في الرياض وما حولها.

(٢) الشيخ محمد : الرسائل ٢٢٧، ابن غنام ١٣٩/١، والمقصود بذلك المولد النبوي، وقد ذكر الشيخ عن عبد الله المويس - وهو من معارضي الدعوة - أن شيخ مشائخه يلقب بالعارف بالله وأنه على دين ابن عربي (الرسائل ٧٢، ابن غنام ١٢٠/١) كما نقل ابن حميد في السحب (ورقة ٧٢) عن ابن قائد قوله عن ابن عطوة : (العارف بالله تعالى ذي الكرامات الظاهرة، والآيات الباهرة الذي فتح الله به مقفلات القلوب وكشف به معضلات الكروب) واذا علما أن ابن قائد عاش بعضا من عمره في الشام ومصر التي توفي فيها أمكننا القول أن هذا التعبير ربما كان من آثار وجوده فيهما.

وقد أشار الشيخ الى أن ابن سحيم كان يكتب الحجب المشتملة على طلاسم ليعلقها الناس تمائم ضد الأمراض، وأنه كان يأخذ على ذلك أجرا، وقد أكد الشيخ ذلك بأن ذكر أن ابن سحيم كتب لامرأة حجابا لعلها تحبل ووافقت على أن تدفع مبلغ أحمرين (١) ومن المعتقد وجود فئة لا يستهان بها من النجديين كانت تؤمن بالحجب والطلاسم كأسلوب علاجي لبعض الأمراض المستعصية، وما من شك أن غياب الوعي الديني وقلة الامكانات الصحية وراء انتشار هذا الاعتقاد، وقد رآها الشيخ شركا لأن ما فيها لا يعدو أن يكون طلاسما وهي من جملة السحر. (٢)

وقد وجد في منطقة العارض وربما في غيرها من مناطق نجد عادة التذكير ليلة الجمعة وهي من البدع المستحدثة، وقد ورد أكثر من سؤال للشيخ عن هذه المسألة فأكد لهم أنها بدعة وأن الرسول صلى الله عليه وسلم سن الأذان ونهي عن الزيادة، وكان مردّ تلك الأسئلة أن هناك من لا يعرف الجمعة الا بهذا التذكير، وقد نعى الشيخ على معارضة سليمان ابن سحيم أنه قال: (ان التذكير ليلة الجمعة لا ينبغي الأمر بتركه (٣)) وقال:

---

(١) الأحمر: عملة نقدية سيرد ذكرها ضمن مبحث العملات المتداولة في باب الأوضاع الاقتصادية

(٢) الشيخ محمد: الرسائل ٢٢٧، ٢٣٠، ابن غنام ١/١٣٩، ١٤١، ابن قاسم ٨/٦٢، ٦٤، وقد ذكر المنقور في الفواكه (١/١٤٩، ١٥٠) نقلا عن أحد العلماء من خارج نجد قوله: ان الطلاسم تكره ولا تحرم، لكنه وضع على هامش الأصل تعليقا للشيخ عبد الله بن ذهلان قوله: الصحيح أنها تحرم مطلقا، وهذا يرينا الى أنه ليس كل علماء نجد يبيحون الطلاسم.

(٣) الشيخ محمد: المصدر السابق ٢٣١، ابن غنام ١/١٤١، ابن قاسم: ٨/٦٤، وأشار الشيخ في رسالته لابن عيسى أنه كان يقوم بهذه البدعة (الرسائل ص ٣١٤).

انه بدعة حسنة ورد عليه الشيخ بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار)(١) ولم يستثن شيئا ،علما أن ابن سحيم قد ذكر فى بعض المناقشات أن التذكير بدعة مكروهة ،وهذا تراجع من ابن سحيم (٢) ٠

وقد ورد تعريض من الشيخ بأهل القصيم وهو فى واقع الأمر ثناء عليهم حين قال فيهم: (وأهل القصيم غارهم ان ماعندهم قبب ولا سادات)(٣) مما يشير الى عدم تأثر هذه المنطقة وماحولها بذلك التأثير الصوفى المحدود ولا بتلك الشركيات التي عرفت فى المناطق السابقة ،الا أن الشيخ أخذ عليهم عدم معادات معارضي الدعوة حول منطقتهم كما قد أشار الى أن رسالة ابن سحيم التي أثار فيها بعض القضايا ضد الدعوة قد وصلت الى المنطقة وأن بعض المنتمين للعلم فيها قد قبلها وصدقها ،ولا يستبعد أن يكون لهذه الرسالة بعض التأثير لدى بعض أهالى المنطقة لا فى معارضة الدعوة فحسب بل فى تأييد بعض البدع التي كان ابن سحيم يمارسها أو يدعو اليها ،وما يقال عن هذا التأثير من ابن سحيم يمكن أن يقال عن عبد الله

---

(١) رواه الامام مسلم فى صحيحه والامام أحمد فى مسنده٠

(٢) الشيخ محمد : المصدر السابق ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،الفتاوى ٨٦ وقد رد فيه على سؤال من مقرن بن عبد الله ويبدو من هذا السؤال والاجابة عليه أن هذه البدعة كانت تمارس لدى فئة من النجديين وأنها تسربت الى المنطقة من خارجها ،ذلك أنها معروفة فى بعض البلدان المجاورة ،وكان أول ماحدث فيه هذه البدعة بعد السبعمائة الهجرية فى زمن الناصر بن قلاوون (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) وانظر ابن غنام ١٤٣/١ ، ١٤٤ ،ابن قاسم ٦٦/٨ ، ٦٧٠

(٣) الشيخ محمد : المصدر السابق ٣٢٢٠

المويس (١) الذى أشار الشيخ الى وجود مؤثرات له فى المنطقة (٢) ومن هنا جاء الذم القاسي لأهل القصيم فى المسألة السابقة وهي عدم معاداة معارضي الدعوة السلفية حولهم حيث قال لأحد سائليه حينما عرض لبعض الأفكار عن أن بعض أهالي الشام ومصر قاموا بمعاداة من حاولوا العودة بالناس للنهج السلفي ، وأن كثيرا من العلماء قد كفّروا هؤلاء المعادين لانهم لم يبغضوا هؤلاء المجددين الا حينما قاموا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال (وأظنك تقطع أن أهل القصيم ليسوا بخير من أهل الشام ومصر (٣) ويقصد الشيخ

---

(١) هو عبد الله بن عيسى المويس الوهيبي التميمي نسبا الحرمي النجدى بلدا ، ولد فى حرمة احدى بلدان سدير المعروفة ونشأ فيها وقرأ على علماء نجد ، ثم ارتحل في طلب العلم الى الشام فأخذ عن علمائها وخاصة العلامة محمد بن أحمد السفاريني (ت ١١٨٩/٨٨هـ / ١٧٧٤م) حتى برع فى الفقه فعاد الى نجد فصادف قيام الدعوة السلفية فوقف فى وجهها تماما كما فعل سليمان بن سحيم ، وصار من أكبر المعادين لها ، وكان مما أ نكره على الشيخ محمد وأتباعه قنوتهم فى الصلاة على أعدائهم بينما أخذ الشيخ يحذر منه الناس لجلبه كتبا من الشام بطرق غير مشروعة ، وأنه تتلمذ على بعض متصوفة الشام ويسخر منه ويقال ان المويس يثبط عن الصلاة جماعة ويقلل من شأنها ، وقد جلس يفتى ويدرس ويقضي في حرمة حتى صار معتمد أهل سدير الى أن توفى فيها سنة ١١٧٥هـ/ يوافق أولها ٢/٨/١٧٦١م وتوجد بعض الأسر تحمل هذا الاسم فى القصيم والاحساء ترجع التي فى القصيم الى مطير قبيل نسبا وقيل حلفا ، وترجع التى فى الأحساء الي العجمان ، (الفاخرى : ١١٢ ، ابن بشر ١/ ٥٥ وقد ذكر الكتاب اسم والده على أنه عمر بينما المشهور عيسى ، ابن حميد : السحب ورقة ١٦١ ، ابن عيسى ١١١ ، عبد الله البسام: التحفة ورقم ٨٣ ، حمد بن ابراهيم الحقيل : كنز الأنساب ، ١٠٢ ،
عبد الله البسام: علماء نجد ٣/ ٦٠٤ - ٦٠٦ ، محمد القاضي : روضة الناظرين ١/ ٣١٧ ، ٣١٨ ،
مجلة العرب ، ج ٩ ، ١٠ / ٢ ١س/ ص ٦٩٢) وقد زخرت رسائل الشيخ وتقريراته بالحديث عن معارضته للدعوة تضمنت رأى الشيخ فيه . انظر الرسائل ٢٠ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٧٥ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٣٠٠ ، الفتاوى ٦٣ ، ابن غنام ١/ ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١٢١)

(٢) الشيخ محمد : الرسائل ١١ ، ٢٠٥ ، ابن غنام ١/ ١٦١ ، ابن قاسم ، ٣٠/ ٨ ، ٨٢/ ٨

(٣) الشيخ محمد : الفتاوى ٦٣ ، ابن غنام ١/ ٢٠٥

ومن الطبيعي في فترة ماقبل الدعوة ألا تسلم أي منطقة من مناطق نجد من بعض المؤثرات البدعية ولكنها لا تصل في هذا الى ماوصلته المناطق السابقة التي هي الأخرى أخفت كثيرا في بدعياتها وشركياتها مما يقوم بعض المبتدعة في سائر أنحاء العالم الاسلامي في تلك الفترة، وفي هذا الصدد وعن منطقة القصيم خاصة يذكر بعض أصحاب التراجم أن قبر الشيخ عبد الله بن عضيب (١) - وهو من أبرز علماء القصيم قبل الدعوة - كان يزاد لشهرته في المنطقة وبركته وآثاره وعلومه، ولا شك أن الشيخ جرى على يديه ازدهار

---

(١) هو الشيخ عبد الله بن أحمد بن محمد بن عضيب الناصري العمري التميمي ولد حوالي سنة ١٠٧٠ هـ التي يوافق أولها ١٨/٩/١٦٥٩م قيل في الداخلة وقيل في الروضة وكلتاهما من بلدان سدير، وقرأ على علماء بلدته ثم رحل الى أكبر المراكز العلمية في نجد آنذاك (أشيقر) فلازم كبير علمائها بل كبير علماء نجد الشيخ أحمد بن محمد القصير (ت ١١٢٤هـ/١٧١٢م) فتتلمذ عليه حتى مهر في الفقه والفرائض، ثم بعد ذلك توجه الى المذنب لوجود بعض من أسرته فيها فاستوطنها، وطلبه أهل عنيزة للافادة من علومه فاستوطنها وتلقى عليه العلم فيها عدد كبير من طلاب العلم من القصيم وسدير، قام ببناء العضيبية في الضبط بعنيزة، وكان يقتات من بستان له في الضبط صارفا جل اهتمامه ووقته للتعليم ونسخ الكتب، كان حريصا على جلب الكتب من مظانها، حدثت مجادلات علمية بينه وبين الشيخ عبد الوهاب ابن سليمان - والد الشيخ محمد - يعد ابن عضيب رائد الحركة العلمية الواسعة التي ازدهرت في عنيزة خاصة وفي القصيم عامة راسله الشيخ مع مجموعة من علماء القصيم وسدير والوشم ولكن لم يعرف موقفه من الدعوة ولعل ذلك لانه توفي ولما تنتشر الدعوة اذ توفي في شعبان ١١٦١هـ/ يولية ١٧٤٨ في عنيزة له بعض الكتب والرسائل (الشيخ محمد: الرسائل ١٢٤، ولم يكثر الشيخ محمد من ذكره مما يدل على عدم معاداته للدعوة كما فعل بعض العلماء الآخرين، ابن غنام ١/٩٥، ابن حميد: السحب ورقة ١٥٢ - ١٥٥، وقد ذكر ان ولادته في حدود ١٠٧٥هـ ابن عيسى ١٠٨ وقد ذكر رأيين في وفاته ١١٦٠هـ/ ١١٦١هـ، عبد الله البسام: علماء نجد ٢/٥١٧ - ٥٢٢، محمد القاضي: روضة الناظرين ١/٣١٣ - ٣١٥ وقد ذكر ان ولادته سنة ١٠٧٥هـ، منصور الرشيد: قضاة نجد، بحث منشور في مجلة الدارة ع٢/س٤ ص ٢٥، ع٣/ س٤، ص ١٠٥، ١٠٩).

للعلم في المنطقة ، ويقال انه قد أوصى اثنين من أقرب تلامذته اليه بأبيات لا تخلو من بعض البدعيات حيث يقول فيها :

أقيما بقبرى اذا ما دفنتما ورشيتما بالما ترابا سنمتما
ونادا على رأسى بتلقين حجتي ولا تنسيا ذكرى اذ ما ختمتما
وفى الليلة الغراء اقرءالى فانني أفاخر جيراني بما قد قرأتما
وأوصيكما بالقبر خوف اطماسه وباللحد عن ضيق وأن يتهدما (١)

وقد ورد أن فئة من النجديين كانت تعتقد بليلة النصف من شعبان حيث يخصونها بطول التهجد وقد يناموت عن فريضة صلاة الفجر (٢) ، كما

---

(١) ابن حميد : السحب ١٥٤ ، عبد الله البسام: علماء ٢/ ٥٢٠ وقد أورد ثلاثة أبيات فقط وعدل آخر كلمة فى البيت الثانى من ختمتما الى دعوتما ، مجلة العرب: العددان السابقان ص ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، وقد ذكر البسام كذلك فى كتاب علماء نجد ١٩/١ أن أحد علماء عنيزة وهو عثمان بن مزيد ينسب نفسه فى وثائقه وتحريراته بقوله : (النقشبندى) وهي احدى طرق الصوفية الا أن هذا العالم غير معروف بين علماء نجد ويبدو أنه كان مقيما خارجها ، أما بخصوص القراءة عند القبور فقد ذكر عدد من علماء الدعوة أبرزهم حسين وعبد الله ابنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن ذلك من البدع وخاصة مايفعله بعض الناس من حمل المصاحف لذلك والجلوس سبعة أيام يسمونها الشدّة وفند غيرهما الآراء التى تجيز قراءة سورة يس في المقبرة وللاستزادة انظر : (ابن قاسم : الدرر ٤/ ٢٧٩-٢٨٤) ، ويبدو من ذكر علماء الدعوة لذلك مع هذه الأبيات وجدد هذه البدعة لدى بعض النجديين .

(٢) عبد الله البسام: علماء نجد ٢/ ٦٠٦ ، من رسالة أرسلها محمد بن غيهب ومحمد بن عيدان وهما من تلاميذ الشيخ محمد الى عبدالله المويس يدعوانه الى اتباع الدعوة السلفية ويذكرانه ببعض مظاهر الانحراف عن العقيدة الصحيحة فى نجد قبل الدعوة ، والواقع أن احياء ليلة النصف من شعبان عرفت فى بعض أنحاء العالم الاسلامي منذ العصر المملوكي ولا يبعد أن تكون بعض مناطق نجد قد عرفت هذه البدعة عن طريق الحجاز الذى كان يخضع للمماليك فى بعض الفترات ولازال لهذه البدعة وجود فى بعض بلدان العالم الاسلامي (محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد بن قلاوون سلسلة أعلام العرب

(=)

يقدمون قبل صلاة العصر أدعية تؤخرها عن وقتها ، وورد استعمالهم لبعض ألفاظ الصوفية في بعض خطب الجمعة منها : (اللهم صل على سيدنا ووليّنا وملجأنا ومنجانا ومعاذنا وملاذنا) علاوة على تعطيل الصفات الالهية في بعض الخطب الأخرى (١) ومامن شك أن قلة التأليف في الخطب لدى علماء نجد قبل الدعوة جعلت أئمة المساجد في المنطقة يلجأون الى خطب بعض علماء البلدان المجاورة التي تكثر لدى بعض أهلها مثل تلك الاعتقادات فكان هؤلاء الأئمة يرددون ماقاله هؤلاء العلماء دون وعي لخطر ذلك على المجتمع وهذا ماحدا بالشيخ محمد رحمه الله الى وضع خطب ضمن مؤلفاته (٢).

(=) ٢٨ مطبعة مصر نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ص ٩ ، د . مصطفى السباعي : أحكام الصيام وفلسفته ط (٢) دار القرآن الكريم والمكتب الاسلامي ، دمشق بيروت ١٣٩٢ هـ ١٠٨-١١٠) .

(١) عبد الله البسام: المرجع السابق ٢ / ٦٠٦ ، وقد أشار الشيخ الى هذه الرسالة في عدة مواضع من رسائله الشخصية وعلى سبيل المثال انظر الصفحات ٧٤ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، وكان الشيخ يذكر ابن عيدان بشكل خاص ويشير الى أن ابن غيهب بقوله (صاحبه) وكان يركز على قضية مداراة بعض علماء نجد لعامتها وعدم قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان يشير كذلك الى ماورد في بعض هذه الخطب من الألفاظ الصوفية وتعطيل بعض الصفات الالهية مما يدل على انتشار مثل هذه الخطب لدى النجديين ويؤكد عدم العثور على ديوان خطب لأحد علماء نجد قبل الدعوة كذلك .

(٢) تمتاز خطب الشيخ بقصرها مع الاتيان بشروط صحتها ويلاحظ فيها عدم تمجيد الحكام لأنه في نظر الشيخ بدعة (د . عبدالله العثيمين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١٠٧ ، ١٠٨) الا أن أبرز الخطب التي وضعت بعد انتشار الدعوة السلفية واستمر الخطباء يلقونها حتى وقت قريب هي خطب الشيخ عبد الله بن حسين المخضوب الهاجري (ولد ١٢٣٠ هـ وقيل ١٢٣٥ هـ / اللتين يوافق أولهما ١٤ / ١٢ / ١٨١٤ ، ٢٠ / ١٠ / ١٨١٩ م ، وتوفي في جمادى الأولى ١٣١٧ هـ سبتمبر ١٨٩٩ م) وقد ورد ذكر بدعة صلاة الخمسة فروض بعد آخر جمعة من رمضان في فتوى للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب على أنها موجوده في بعض البلدان وليس من المعروف هل المقصود

(=)

ويبدو أن بعض البدع الأخرى قد تسربت عبر بعض مؤلفات علماء البلدان المجاورة وبعض العلماء النجديين الذين تتلمذوا عليها أو على أصحابها فيذكر أحدهم نقلا عن هذه الكتب " أن التسبيح بالسبحة مستحب مستحسن، ومازال أكابر المشايخ من أهل التصوف والعلم يفعلون ذلك" (١).

ومن أبرز الأمور الشركية التي عرفت في منطقة نجد الذبح لدفع ضرر الجن، وقد نقل بعض علماء نجد فتوى تقول أنه اذا سمي (أي ذكر اسم الله عليها) تباح الذبيحة على أن لا يقصد الجن بدمها فان قصدهم بدمها حرّم الذبح لأنه اعانة على محرم وعلى هذا فهم يرون جواز الذبح تقربا لله تعالى لدفع ضرر الجن، وهذا تناقض واضح لأن الذبح لدفع ضرر الجن سببه الخوف منهم والاستعانة بهم وهذا هو جوهر العبادة، وذكر اسم

(=) بها لأحد البلدان النجدية أو تلك التي ضمتها الدولة السعودية الأولى في غرب الجزيرة أو شرقها أو شمالها أو جنوبها. وأكد الشيخ عبد الله على أنها من البدع المنكرة اجماعا ويجب زجرهم عنها أشد الزجر(ابن قاسم: الدرر ٤ / ٢٣٥).

(١) أورد المنقور في الفواكه ١ / ٧٧ هذا الرأي من كتاب جمع الجوامع للشيخ يوسف بن عبد الهادي أحد مشائخ ابن عطوة ولا يبعد أن يكون بعض من تتلمذ عليه قد سرّب هذه العادة الى نجد ولئن كان المنقور قد ذكر في الهامش قوله : (الظاهر المنع من السبحة) فانه لا يدل على وقوف بعض علماء نجد قبل الدعوة في وجه هذه العادة، وهي وان لم تكن بدرجة خطورة البدع السابقة واللاحقة فقد كرهها بعض علماء الدعوة وأكدوا على منعها بقصد التسبيح أما للأغراض الأخرى فلم يرد أنهم منعوها، وكانت وجهة نظرهم أن التسبيح بالأصابع أفضل كما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث روى عنه أنه أمر بعقد التسبيح والتهليل بالأنامل وقال : (انهن مسئولات مستنطقات) أخرجه أبو داود (مجلة الدعوة السعودية عدد ٩٠٦ الاثنين ١٤ / ١١ / ١٤٠٣هـ / ٢٢ أغسطس ١٩٨٣م ص ٢٧ من اجابة الشيخ عبد العزيز بن باز).

الله على الذبيحة وعدم ذكره لا يغير من المسألة شيئا .[1]

ولعل اشتراطهم التسمية واستشعار التقرب لله عز وجل هو قطع الطريق أمام محاولات بعض متطببة البدو والصلب الذين يقطنون قرب البلدان النجدية وقت صرام النخيل وحصاد الزروع بسبب قحط الصحراء ويعرضون في هذه الأثناء خدمات طبية يعتقد بجدواها بعض النجديين ويشترطون عليهم ذبح تيس أصمع أو خروف أسود دون تسمية لله عليه ويحددون له مكانا لذلك ليلا وبهذه الشروط يطمئن الجهلة الى أنها شروط طبيب حاذق وقد يحين وقت الشفاء من أي مرض نفسي أو عصبي أو عضوي فترسخ عقيدة الذبح لدفع ضرر الجن في النفوس، وكان هذا المعتقد مما اشترك فيه بعض الحضر والبد وعلى حد سواء.[2]

وقد حدث نقاش حاد بين الشيخ ومعارضيه الرئيسين سليمان بن سحيم وعبد الله المويس حول هذه القضية حيث كان الشيخ **يقرر** حقيقة يعرفها العلماء المحققون في هذه المسألة وهي أن الذبيحة حرام ولو سمي عليها وأنها مما أهل لغير الله به وأنها ذبيحة مرتد بينما كان رأى المويس وابن سحيم أنها منهي عنها فقط، ولا شك أن فتح بعض علماء نجد قبل الدعوة لهذا الباب رغم وضعهم تلك الشروط جعل قسما من أهل نجد بادية

---

(١) المنقور: الفواكه ٢ / ٨٧، ٨٨ ، وقد أورد ناشر الكتاب تعليقين على الآراء التي أوردها المنقور وعزا أحدها الى الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري وهو من علماء الدعوة السلفية (ولد سنة ١٢٨٧ ١٨٧٠م، وتوفي في صفر ١٣٧٣هـ/ ١٠/ ١٠/ ١٩٥٣م) أما الثاني فلم يعزه الى أحد ويبدو أنه لأحد علماء الدعوة ان لم يكن للشيخ العنقري نفسه، لأنهما تعليقان يردان على هذه الآراء التي أوردها المنقور بأن ذلك من الوسائل المفضية الى الشرك.

(٢) ابن بشر ١ / ١٩، ٢٠ ، وأصمع : مقطوع الأذنين أو القرنين أوهما معا أو صغيرهما (الفيروزابادى باب العين فصل الصاد).

وحاضرة تمارس هذه البدعة السيئة اذ أن مبدأ القبول به وسيلة لترك التسمية" وجعل القصد من الذبح الخوف من الجن أو الاستعانة أو الاستعاذة بهم، ولهذا قامت الدعوة بسد الذرائع المفضية اليه وجاءت تقريرات وفتاوى امامها وعلمائها من بعده مؤكدة تحريم هذا العمل.(١)

(٢)
ونقد نقل المنقور فى مجموعه ومنسكه بعضا من البدع فى الحج والعمرة

---

(١) الشيخ محمد : الرسائل الشخصية ٢٩، ٦٤، ٩١، ١٣٨، ١٣٩، الفتاوى ٥٨، ٥٩، ٦٦، ٦٧، ابن غنام ١/٢/١٠٢، ١١٠، ١١٥، ١٣٦ - ١٣٨، ابن قاسم، الدرر ٢/ ٢٥، ٨/ ٥٤، ٧٠، ١٠١، ١٠٢، وقد ذكر الشيخ فى أحد هذه المواضع أن ابن سحيم كان يناقض نفسه حين قال أن الذبح لدفع الضرر يكفر، ويبدو من تأكيد علماء الدعوة بعد الشيخ على هذه المسألة أن فئة من النجديين حاضرة وبادية كانت تتحين الفرص لممارسة هذا العمل بسبب عدم تمكن الدعوة من نفوس هذه الفئة فى بعض الفترات.

(٢) هو الشيخ احمد بن محمد بن أحمد بن حمد المنقور من بنى سعد ابن زيد مناة بن تميم ولد فى ١٢/٣/١٠٦٧هـ// ٣٠/١٢/١٦٥٦م فى حوطة سدير فقد أمه وعمره ١٢ سنة، وأباه وعمره ٢٢ سنة، وقد جد واجتهد فى طلب العلم على عدد من العلماء أبرزهم قاضي الرياض الشيخ عبد الله بن ذهلان وقد رحل لتلقي العلم عليه خمس مرات حدد سنواتها فى تاريخه، وكثيرا ما ينقل عنه قضايا فقهية فى مجموعة اشتهر المنقور بالورع، وكان يعمل مزارعا فى بلدته، وحج أربع مرات وتتلمذ عليه عدد ممن صاروا علماء بعد ذلك وألف عددا من الكتب أبرزها مجموعة المعروفة باسم : الفواكه العديدة فى المسائل المفيدة الذى يعتبر مرجعا شاملا لعدد من الموضوعات عن منطقة نجد، ويبدو أن هذه التسمية لهذا الكتاب جاءت متأخرة فقد ذكر ابن حميد في السحب الوابلة له اسمين ١- القيد الجامع لغرائب الفوائد، ٢- النقولات الجليلة من الكتب العربية، ومن كتبه التاريخ الذى حققه الدكتور عبد العزيز الخويطر، وكذلك منسك شامل، توفى فى بلدته الحوطة فى ١٦/٥/١١٢٥هـ - ١/٦/١٧١٣م وهذا هو المشهور الا أن أستاذى المشرف ذكر أنه اطلع على وثيقة كتبها عام ١١٢٨هـ مما يدل على تأخر وفاته، من أبنائه الشيخ ابراهيم، وتوجد أسرة تنتمي للمنقور في بلدة الوسيطى قرب حائل لكنهم يضيفون ياء فى آخر النسب وذكر لى أحدهم أنهم نزحوا من سدير الى سميراء فالمستجدة فالوسيطى حيث أصبح لهم مكانة فيها. (المنقور: الفواكه ص هـ - ز

(=)

وزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن المعتقد فعل بعض النجديين لها نظرا لما لقيه مجموع المنقور ومنسكه من قبول لدى النجديين، ورغم أن هذه البدع لم تكن بدرجة خطورة البدع والشركيات السابقة الا أنها مخالفة لسنة النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الموضوع.

ومن هذه البدع تخصيص دخول مكة وكذا المسجد الحرام وأركان الكعبة وغيرها من المواضع داخل الحرم وخارجه بأدعية خاصة، ومن الثابت لدى العلماء المحققين عدم ورود أدعية خاصة لهذه المواضع ولا لدخول مكة أو المسجد الحرام الذى ورد للدخول اليه والى غيره من المساجد الدعاء المعروف (١).

ومما ورد فى منسك المنقور ذكره أفضيلة زيارة بعض المواضع المشهورة فى مكة، كالبيت الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغار حراء وبيت خديجة بنت خويلد رضى الله عنها، ودار الأرقم بن أبى الأرقم، والغار

(=) من مقدمة الشيخ محمد المانع، جامع المناسك الثلاثةالحنبلية تحقيق زهير الشاويش ط(٣) المكتب الاسلامى بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص هـ، و من المقدمة، تاريخ المنقور ط(١) مطابع الجزيرة، الرياض ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م من ص ١١-٢٠ من مقدمة الدكتور الخويطر، تاريخ ابن ربيعة ص ١٢ من مقدمة محققه الدكتور عبد الله الشبل، ابن حميد: السحب الوابلة ورقة ٦٤، عبد الله البسام، علماء نجد ١٩٥-١٩٧، محمد القاضي: روضة الناظرين ١/ ٦١، ٦٢، عبد الله ابن صقيه: بنو تميم في بلاد الجبلين ص ٥٥، مجلة العرب ع ٩، ١٠ س/ ٢ ص ٦٦٣).

(١) المنقور: جامع المناسك الثلاثة الحنبلية ٦٥ - ٧٠، أما الدعاء المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم لدخول المساجد فهو (بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم اللهم افتح أبواب رحمتك مع تقديم الرجل اليمنى (الشيخ عبد العزيز بن باز، التحقيق والايضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة ط (٢٠) المطابع الأهلية الرياض ص ٢٨).

الذى بجبل ثـور (١)، والمنقور وان كان قد ذكر أن ذلك تابع للقدوم للحـج ولا يقصد لذاته، فانه لم يرد دليل لزيارة هذه المواضع لا فى موسم الحـج ولا فى غيره (٢).

وفى الحديث عن استقبال الحجر الأسود واستلامه ذكر المنقـور أن على الحاج بعد التقبيل - ان أمكن - السجود علـى هـذا

---

(١) أ - قيل ان المكان الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكان مكتبة الحرم المكى الآن.

ب - اما غار حراء فهو الذى تعبد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلـم قبل البعثة وهو المعروف الآن بجبل النور فى منطقة المعابدة أحـد أحياء مكة.

جـ - بيت خديجة بنت خويلد رضى الله عنها غير معروف الآن ولعلـه دخل فى احدى توسعات الحرم.

د - كانت دار الأرقم بن أبى الأرقم معروفة الى وقت قريب لكنها ادخلت فى التوسعة الأخيرة للحرم.

ز - غار جبل ثور هو الغار الذى اختبأ فيه رسول الله صلى الله عليـه وسلم مع الصديق رضى الله عنه وهما فى طريقهما للهجرة الى المدينة (جامع المناسك الثلاثة الحنبلية هامش ص ٧١).

(٢) انظر تعليق الشيخ محمد بن مانع على ماورد فى منسك المنقـور هامش ص ٧٠، وقد أورد المنقور قسما من منسك الامام ابن تيميـة فى كتابه الفواكه ١/ ٦٥-٧٢، وفيها أن قصد زيارة أى موضع أو مسجـد فى مكة غير المسجد الحرام ليس من السنة، وكذلك ليس من السنـة زيارة الجبال التى حول مكة عدا المشاعر (عرفة، ومزدلفة ومنى)، ومن المعلوم أن المنقور فى منسكه قد جمع بين ثلاثة مناسك لثلاثة من متأخرى الحنابلة وهم: ١- الشيخ منصور البهوتى (ت ١٠٥١/ ١٦٤١م ٢- الشيخ محمد الخلوتى ت ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م ٣- الشيخ محمـد البلبانى ت ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م، وكتب بعض متأخرى الحنابلة لاتخلـو من بعض البدع، وفى شرح منتهى الأرادات للشيخ منصور البهوتى ورد ذكر عدد من هذه البدع، فلا يبعد أن تكون البدع الموجودة فى جامع المناسك الثلاثة من وضع أحد هؤلاء العلماء الثلاثة لذكر المنقـور ماينا قضها فى الفواكه، الا أن هذا المنسك وقد لقى قبولا مـن النجديين لايبعد أيضا أن يكون لهذه البدع أثر لدى بعض النجديين.

الحجـــر(١)، وهذا من البدع المحدثة اذ لم ينقل عن رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم فعله بل ثبت عنه الاستلام باليمين والتقبيل تارة، واستلامه بمـــا معه من عصا ونحوه وتقبيل ما استلمه به تارة أخرى(٢).

ونقل المنقور كذلك أفضلية الاحرام للحج للحل بمكة من تحت ميـــزاب الكعبة، وهذا من الأمور البدعية علاوة على مافيه من مشقة على النـــاس وتزاحمهم حول الميزاب ولم يرد أن الرسول صلى الله عليه وسلم فعله أو أمـــر به، وكذلك أصحابـــه(٣).

ومما نقله المنقور عن بعض علماء البلدان المجاورة ذلك الاطراء المبالـغ فيه والمنهي عنه شرعا في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي مدينتـــه، والحث على بعض الأفعال في هذا السبيل مثل الترجل من المركوب تنكـــس الرأس وخلع النعال اذا أشرف الزائر على المدينة النبوية، وعند المشي فـــي شوارعها وغير ذلك من الأمور التي كرهها رسول الله صلى الله عليه وسلم فـــي حياته وأكد على عدم فعلها في أي وقت من الأوقات، ومعلوم أن هناك فـــرق بين المغالاة في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحبه الحب الشرعـــي المتمثل في اتباع هديه واكثار الصلاة عليـــه(٤).

---

(١) المنقور: جامع المناسك الثلاثة الحنبلية ص ٧٢، ولم يذكر ذلك فـــي الفواكه ١/ ١٧٥

(٢) محمد بن قيم الجوزيه: مناسك الحج والعمرة. تحقيق وتعليق محمـــد حسيني عفيفي ط (١) دار الثقافة للجميع، دمشق نشر مكتبة الحرميـــن بالرياض ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ص ١٨٨، ١٨٩، وهذه الرسالة هـــي مبحث (هدى الرسول صلى الله عليه وسلم في حجه وعمره) مـــن زاد المعاد الا أنها محققة، وانظر منسك المنقور هامش ص ٧٢.

(٣) المنقور: المصدر السابق ٨٧، ابن باز: التحقيق والايضاح ٣٥.

(٤) المنقور: المصدر السابق ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، الفواكه ١/ ١٧٩

ورغم أن المنقور قد وضح في منسكه أن الزيارة للمدينة هي للمسجد الذي ورد في السنة جواز شد الرحال اليه ،الا أنه نقل نصا لأحد العلماء بأن الزيارة المقصودة انما هي للقبر النبوي وأنه في حال السلام على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء يستقبل وجهه ويستدبر القبلة ،علاوة على تخصيص دعاء لدخول المسجد النبوي يضاف بعد دعاء الدخول للمساجد عامة ، ومما ورد فيه: (وارزقني في زيارة رسولك ما رزقت أولياءك وأهل طاعتك) (١) .

على أن المنقور نفسه قد ذكر في تاريخه سنة ١٠٩٦ هـ (٢) أنه بعد حجته الرابعة زار النبي صلى الله عليه وسلم مما يدل على أن لدى بعض النجديين اعتقادا بجواز قصر قصد الزيارة للمدينة على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، أو اعتبار الزيارة القبر ثم الصلاة في المسجد في قصد واحد (٣) .

ومما يؤكد اعتقاد قسم من النجديين بزيارة القبر النبوي وما يندرج تحت ذلك من الاطراء المبالغ فيه أبيات للشيخ راشد بن خنين (٤) تشير الى دور بعض

---

(١) المنقور: المنسك ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩ ، وقد نقل عن جمع الجوامع للشيخ يوسف بن عبد الهادي أن من مواضع اجابة الدعاء عند النبي صلى الله عليه وسلم ، ولعل المقصود عند قبره أو في مسجده أو في المدينة عامة (الفواكه ١/ ١٧٨)

(٢) ١/ ١٢/ ١٠٩٦هـ/- ٢٩/ ١١/ ١٦٨٤م

(٣) المنقور : التاريخ ٦٠ ونص كلامه : (وفي سنة ستة وتسعين وألف حجتي الرابعة وزيارتي النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي النسخة الثانية من تاريخه (منها - السنة نفسها - زرت النبي صلى الله عليه وسلم) وقد كره الامام مالك وغيره من الأئمة أن يقال : (زرت النبي صلى الله عليه وسلم لان الزيارة انما هي للمسجد ثم السلام على النبي صلى الله عليه وسلم بعد أداء حق الله (منصور البهوتي ، شرح منتهى الارادات، ١/ ٥٠٠ من كلام المعلق على قول الشيخ منصور بجواز ذلك) .

(٤) هو الشيخ راشد بن خنين العائذي القحطاني نسبا الخرجي موطنا قاضي الخرج في وقته ، كان مالكي المذهب ويشير بعض مؤرخي نجد أن الغالب على أهل الخرج المذهب المالكي وربما كان لاتصالهم بالاحساء دور في ذلك ، كان ابن خنين معاصرا للشيخ محمد بن

(=)

العلماء من المذاهب السنية الأخرى في تركيز ذلك الاعتقاد وهو الدور الذى قام به بعض متأخرى الحنابلة كذلك، يقول الشيخ راشد :

وكن قاصدا بالسير منك زيارة ... لمن حلها رغما لأنف المماذق (٢)

فمن قال لا تشدد رحالك نحوه ... على القصد بل فى ضمن شئ مطابق

فقد خالف الاجماع منه ضلالة ... فسحقا لمن يتبع ضلالة مارق

فزر قبره ان الزيارة سنة ... على كل مشتاق اليه وشائق

ونافس بها أيام عمرك كلها ... تفقها وفاقا عند أهل التوافق

توجه الى وجه الوجيه مقابلا ... وشاهد لأنوار الحبيب البوارق

وقف من بعيد مطرقا متأدبا ... ولا تتفكر فى نقوش السرادق

وسلم بلا صوت رفيع على الذى ... تلوذ به من كل خطب مضائق

محمد الجالي عن القلب رينه ... ومن فاق حقا فى العلى كل فائق (٣)

(=) عبد الوهاب ومعارضا له، ويعد من أبرز شعراء العلماء فى نجد وقد درس عليه الأدب والفقه عدد من العلماء، وذكر الدكتور عبد العزيز الخويطر أنه تميمى وليس كذلك، له تاريخ أشار اليه ابن بشر وابن عيسى وربما كان له دور فى مطاولة حكام الخرج للدولة السعودية الأولى، وبرز من آل خنين غير الشيخ راشد الشيخ محمد بن عبد الله بن خنين (١٣٢٨هـ - ١٣٥٤هـ) والشيخ راشد بن صالح بن خنين رئيس تعليم البنات سابقا (ابن بشر ٢/ ١٥، ابن عيسى ٤٥، عثمان ابن سند : سبائك العسجد فى أخبار أحمد نجل رزق الأسعد مخطوط ورقة ١٢، سليمان بن سحمان : الأسنة الحداد فى الرد على علوى الحداد ط(٢) مطابع الرياض ١٣٧٦هـ، ٢٧٣ ونقل عن علوى أن ابن خنين حنفى المذهب، حمد الجاسر، انساب الأسر المتحضرة ١/ ٢٣٧، ٢٣٨، عبد الله البسام، علماء نجد ١/ ١٨، ١٩، ٢/ ٥٦٧، ٣/ ٨٨٥، د. عبد العزيز الخويطر : عثمان بن بشر : منهجه ومصادره ص ٩، ١٠، محمد القاضي : روضة الناظرين ٢/ ٢٣٥-٢٣٧).

(١) مطلع القصيدة :

خليلي هل لى فيكما من مرافق ... صديق صدوق فى المودة رافق

(٢) المماذق بالميم والذال مكررة : غير المخلص (الفيروزابادى والزبيدى باب القاف فصل الميم).

(٣) ابن سحمان : المرجع السابق ٢٧٣، ٢٧٤ وفى طبعة المطبعة المصطفوية بمباى ورد قوله توجه الى وجه الوجيه : توجه الى وجه الحبيب.

ان هذه الأبيات تحمل فى ثناياها غلوا واضحا فى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا علمنا مكانة ابن خنين فى الخرج أدركنا مدى ماوصل اليه اعتقاد بعض أهالى المنطقة فى مثل ذلك كما أن هذه الأبيات تتضمن ردا على دعوة الشيخ محمد فى هذه القضية.[1]

ومامن شك فى أن مثل هذه الاشارات كذلك قد أوجدت فى فئة من النجديين غلوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث دلت بعض المصادر على ذلك، ومن أبرز مايمكن أن يشار اليه بعض الأبيات للشاعر الشعبى المعروف راشد الخلاوى[2] الذى يستطيع الباحث فى شعره تطبيق بعض ماجاء به

---

(١) وقد تولى الشيخ سليمان بن سحمان الرد على ابن خنين بقصيدة على روى قصيدته وتبلغ ثلاثين بيتا وأوردها بعد قصيدة ابن خنين مباشرة (الأسنة الحداد ص ٢٧٤، ٢٧٥).

(٢) هو الفلكى وشاعر الحكمة الشعبى راشد الخلاوى النجدى، وقد اختلف النسابه ورواة الشعر الشعبى فى نسبه هل هو صلبى أو خالدى أو رشيدى أو هاجرى، وأشهرها أنه صلبى من تواتر ذلك لدى الناس ومن استفاضة الحديث عن الصلب فى شعره، قيل عاش فى القرن التاسع وقيل العاشر أو الحادى عشر وقيل عاش بين الحادى عشر والثانى عشر وثار جدال بين عدد من الكتاب حول هذا الموضوع الا أن اشارة الخلاوى لأحداث وقعت سنة ١١٣٥هـ/ ١٧٢٣م وسنة ١١٣٩هـ/١٧٢٧م وهى معارك وقعت بين آل مشرف وأهل أشيقر عامة وبين النواصر أهل الفرعة، هذه الاشارة من الخلاوى فى أبيات رثى فيها صديقة رئيس آل مشرف تدل على أن الشاعر كان حيا عام ١١٣٩هـ كما قرر ذلك أستاذى المشرف وعلى هذا فيكون قد عاش أواخر القرن الحادى عشر وأوائل القرن الثانى عشر الهجريين، والشاعر ملم بعلم الأنواء ومواعيد البروج والفصول، وأوقات هبوب الرياح ومواسم الأمطار فى نجد، وقد لازم منيع بن سالم أحد أمراء بنى خالد، كما مدح أحد رؤساء قبيلة بنى حنيفة، ومدح محمد الربيعى من بنى خالد كذلك الا أن صداقته لمنيع كانت واضحة، والشاعر طويل النفس فى شعره، ويعتبر شعره مصدرا من مصادر الحياة الاجتماعية فى نجد عامة وخاصة لدى البدو والصلب. (الفاخرى ١٠٠، ابن بشر ٢/ ٢٣٤، ٢٣٨، عبدالله الحاتم، خيار مايلتقط من الشعر النبط ط(٣) نشر دار ذات السلاسل الكويت ١٩٨١م/ ١/ ١٩-٢٩، عبد الله بن خميس راشد الخلاوى ط

على بعض جوانب الحياة الاجتماعية لدى الحضر والبدو على حد سواء ، يقول الخلاوى فى اطراء النبى صلى الله عليه وسلم :

وأصلى صلاة تملأ الأرض والسما   صلاة وتسليم من الله واجبه
على المصطفى سر الوجود الذى سرى   الى حضرة ما نالها كود جانبه (١)
هو الشافع المقبول فى كل ماجرى   وان شبت النيران عنها يلاذ به
خذ فى يدى أقولها فى وغى الحشر   وفى يد منيع صاحبى هو وأقاربه (٢)

(=) (١) ص ٥ - ٣٩ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، وانظر ط (٢) من هذا الكتاب حيث أورد فى ملاحقه بعض الوثائق الحديثة التى تثبت نسب الخلاوى على أنه من بنى هاجر ، عبد المحسن أبابطين ، المجموعة البهية من الأشعار النبطية ط (٣) مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ١٣٩٨هـ / ١٩٨٧م ص ٢٣ - ٣٠ ، محمد القاضى : روضة الناظرين ٢ / ٣٦٧ وذكر فيها أنه من بنى هاجر وانه توفى سنة ١٠١٠هـ ، د . عبد الله الشبل : تاريخ ابن عباد : بحث منشور فى مجلة البحوث التابع لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، العدد الثانى محرم ١٤٠٤هـ / اكتوبر ١٩٨٣م ص ١١٠-١١١-١١٢) .

(١) كود أداة استثناء بمعنى الا وتأتى بمعنى لعل الا أنها هنا استثنائية (ابن خميس. راشد الخلاوى ١٦٤ ، ١٦٥ ، ٤٥١)

(٢) قوله خذ فى يدى ، يبدو أن المقصود بهذا الطلب النبى صلى الله عليه وسلم وهذا لايجوز علما ان ابن خميس قد حذف بيتا قبله فيه مغالات أشد من هذا البيت والذى يعده فى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر ص ١٦٧ ، ١٧٠ ، ومنيع هو ممدوح وصديق الخلاوى وقد ذكر أبوعبد الرحمن بن عقيل أن منيع بن سالم هذا من احفاد أجود بن زامل وأن نسبه على هذا منيع بن سالم بن زامل بن سيف بن أجود بن زامل العامرى الجبرى ونقل هذه المعلومات عن العزاوى فى كتابه عشائر العراق الذى ذكر أن منيعا هذا قد حكم الأحساء والقطيف ونجدا وأنه آخر أمراء بنى جبر وهو الذى رحل الى العراق ودخل فى عشيرة الأجود ضمن تحالف عشائر المنتفق ، كما ذكر ابن عقيل أن محمد الربيعى ابن أخ لمنيع ورجح على هذا أن الخلاوى عاش فى القرن العاشر ، الا أن هذه الآراء لا ترقى الى مستوى ذكر الخلاوى لأحداث عام ١١٣٥هـ و ١١٣٩ ، والله أعلم. (ابو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهرى : أنساب الأسر الحاكمة فى الأحساء ط (١) مطبعة نهضة مصر القاهرة ، نشر دار اليمامة. الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ١ / ٢٣٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٧٢ ، ٢٩١) .

على ذاتك العليا صلاة مدى الدهر ماكور الله الجديدين دايبـــه
تفشاك ياغيرالورى كل مــاذرى هبوب وماسحت بالانواسحا يبـــه
على القبةالخضراء تروى وتنثنـــي على الآل والصحب الكرام الأطايبـه
ومدح الورى للمصطفى مثل ماتشـا حبة رشاد فى طوامى غبايبـــه (١)

وقد وجدت اشارات فى الشعر الشعبى كذلك تلمح الى وجود ظاهـرة الحلف بغير الله لدى بعض الشعراء ، وقد يعطى هذا انطباعا بوجود مثـل هذه البدع عند بعض العامة ومن الأمثلة على ذلك الأقسام بأركان الحــج فى قول الهزانـي (٢) :

لا تحسب انى ياعريب المجانى (٣) ناسيك لا واركان حج بها طفـت

---

(١) راشد الخلاوى ط (٢) ص ١٧٠ ، ١٧١

(٢) هو الشاعر النجدى (ابن ابى ربيعة نجد فى زمنه) عبد المحســن واشتهر بمحسن بن عثمان الهزاني -بكسر الهاء وفتحها - مــن الهزازنة من عترة وهم أول من ابتدأ عمران الحريق سنــة ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م ، اشتهر بالغزل والتشبيب بالنساء ، عاش أواسـط القرن الثانى عشر وقد برع فى أبواب الشعر التى طرقها خاصة الغـزل والفخر ، والوصف ، والمدح ، والتضرع الى الله تعالى ، هو أول مـن أدخل الأوزان الشعرية المسماة بالسامرى ، تولى امارة الحريق فتـرة لكنه تركها ليتفرغ لشعره ، أخرج فى آخر عمره دررا من القصائد الوعظية قل أن يوجد مثلها فى الشعر الشعبى ، توفى فى أوائل القرن الثالـث عشر وقيل سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م ، وموقفه من الدعوة غير واضــح الا أن تكون قصائده الوعظية صدى لها (ابن بشر ٢/ ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، عبد الله الحاتم: خيار مايلتقط ١/ ١٧٧ ، خالد الفرج : ديــوان النبط ١/ ٨ ، ٩ ، محمد سعيد كمال : الأزهار النادية من أشعــار البادية. نشر مكتبة المعارف. الطائف ١٢/ ٨ ، ٩ ، ١٠ ، محمــد القاضى : روضة الناظرين ٢/ ٣٦٧ ، محمد بن سعد بن حسين. محمد ابن بليهد وآثاره الأدبية ط (١) مطابع اليمامة ، الرياض ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ١/ ٣١٢ ، حمد الحقيل : كنز الأنساب ١٦ ، عبدالعزيــز الشنار: مختارات من الشعر الشعبى لمشاهير شعراء الحريــق ط (١) ١٤٠١هـ ص ٢٥) .

(٢) عريب: أصيل ، المجانى جمع مجانة أى مستورة وهى صفة مدح للمـرأة انظر (الزبيدى : تاج العروس باب النون فصل الجيم) وعن البيـت الازهار النادية ١٢/ ٥٤

وكذلك الأقسام بالبيت والمدعى في قولـه :

(١)
وأقسمت له بآيات عم وبالبيت والمدعى واللي بنى سبع الاطباق

وسؤال الله بالنبى صلى الله عليه وسلم في قوله :

(٢)
سل الله بالانفال والحج والضحى وباللي الى أحياه نلقاه شافـع

(٣)
وشبيه بهذا قول الكليف في الأقسام بحق البيت والرسل عامـة والنبى صلى الله عليه وسلم خاصة :

(٤)
فالله بحق البيت والحل والحـرم وباللى الى احياه نلقاه شافـع

---

(١) المدعى : شارع قريب من الحرم وهو المسمى بشارع أبى سفيان ،عن البيت : المرجع السابق ١٢/١٣٧

(٢) المرجع السابق ١٢/١٢٣

(٣) هو أحد شعراء القرن العاشر الهجرى والحادى عشر ولم أجد له ترجمة فيما بين يدى من المصادر الشعبية وينطقه بعضهم (الجليف) وقد مدح مقرن بن أجود بن زامل أحد أمراء الدولة الجبرية التي بسطت نفوذها على الأحساء ونجد (قتل سنة ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م)في حروبه مع البرتغاليين في منطقة الخليج ،وكان مدح الكليف لمقرن بقصيدة طويلة سميت(الدامغة) . (عبدالله الحاتم : خيار مايلتقط ١/٥٣،٥٥ سعد بن نفيسة منوعات شعبية ،مطابع الفرزدق بالرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص ٦٧ وقال انها في ١٣٠٠هـ وهذا وهم أو خطأ مطبعى ،عبد المحسن ابابطين : المجموعة البهية ٩٩ وذكر أنه من مشاهير القرن الحادى عشر ،ابو عبدالرحمن بن عقيل : أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء ٢٤٢ ،ديوان الشعر العامى ط(١) ، مطبعة المتوسط. بيروت نشر دار العلوم ،الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ١/٦٧) .

(٤) هذا البيت من قصيدة طويلة مؤثرة قالها بعد أن خرجت والدته من بيته الى بيت أخيه وقال في أولها :
الى الله مشكى ليعة مادرى بها جماد ولا عند البرايا حكى بها
والقصيدة جزلة المعانى ثرة بالأساليب العاطفية تجاه الأم تعد من غرر الشعر الشعبي . عن البيت السابق في المتن وهذا البيت
(عبد المحسن ابابطين ٩٩-١٠١ ،عبدالله الحاتم ١/٥٣-٥٥)
وهناك عدد من الأبيات التى تحمل في مضمونها بعض الأمور البدعية الا أنى أردت الاكتفاء بعرض الأبيات السابقة كأمثلة اذ لا ضرورة للاسترسال مع الأبيات الشعبية وهناك من النصوص الفصيحة ماهى أولى بالعرض.

هذه أبرز مظاهر الانحراف عن العقيدة الصحيحة عند حضر نجد قبل الدعوة وغني عن البيان هنا التأكيد على تركز بعض هذه الانحرافات في مناطق معينة وعدم شمولها لكافة سكان المنطقة، وقد ذكر الشيخ محمد أن من أسباب تركز بعض الشركيات بالنسبة للقبور والأشخاص في منطقة العارض هو مداراة بعض علماء المنطقة لعوامها في عدم نهيهم عن هذه الشركيات وخص الشيخ بالذكر معارضه سليمان بن سحيم حين قال عنه: (وذلك أن العامة قالوا له وأمثاله اذا كان هذا هو الحق فلأى شئ لم تنهونا عن عبادة شمسان وأمثاله، فتعذروا: أنكم ماسألتمونا، قالوا: وان لم نسألكم كيف نشرك بالله عندكم ولا تنصحونا وظنوا أن يأتيهم في هذا غضاضة وأن فيه شرفا لغيره)(١) كما أن من أبرز أسباب تركز هذه الشركيات في هذه المنطقة كونها كانت مسرحا لمعارك المرتدين ومقبرة لعدد من شهداء الصحابة فيها كما أن تركز الاعتقاد بقبر زيد بشكل خاص مرده كون زيد رضي الله عنه قد ثبت استشهاده في هذه المنطقة أما أبو دجانة وضرار ابن الأزور وبعض الشهداء الآخرين فقد وجدت بعض الأقوال التي تشير الى أنهم لم يستشهدوا فيها كما مر وهي وان لم تكن بدرجة قوة للأقوال التي تذكر استشهادهم في المنطقة الا أنها على أى حال تلقي ظلالا من الشك حول دفنهم في المنطقة، كما أن وجود بعض الأشخاص ممن ينتمون لآل البيت جعل الاعتقاد بهؤلاء الأشخاص واضحا في هذه المنطقة عن غيرها من مناطق نجد، ويبدو أن هؤلاء فيهم من مظاهر الولاية مع نسبهم الشريف ماحدا بهم الى أخذ النذور من الناس الذين حرصوا من جانبهم على تقديمها لهم بنفوس راضية يدفعها هذا الاعتقاد بولايتهم ونسبهم، وقد أشار الى هذا السبب سليمان بن سحيم في رسالته التي أرسلها الى علماء المسلمين يحرضهم فيها على الشيخ محمد بن عبد الوهاب. حيث قال في أحد مآخذه على الشيخ محمد : (ومنها أنه قاطع بكفر سادة عندنا

---

(١) الشيخ محمد : الرسائل الشخصية ص ٦٣ .

من آل الرسول لأجل أنهم يأخذون النذورومن لم يشهد بكفرهم فهو كافـــــر عنـــده)[١] .

ب : <u>في الفروع:</u>

لقد انتشرت دراسة الفقه في منطقة نجد منذ فترة متقدمة قبل القـــرن التاسع الهجرى ، وكان هدف التخصص فى الفقه التأهيل للقضاء والفتيـــا والتعليم ومعالجة قضايا الناس الاجتماعية ، ومن هنا فقد حظيت نجد قبـــل الدعوة بتراث فقهى جيد طرق العديد من المسائل التى كان النـــاس يتداولونها فى سائر مجالات حياتهم ، ويبدو أن اقتصار علماء نجد علـــى دراسة الفقه بشكل موسع أتاح لهم الاجادة فى دراسته وتعليمه والتأليف فيـه سواء بنقل بعض الأحكام الفقهية عن العلماء الذين سبقوهم أو الاجتهـــاد فى القضايا المحلية وطرق مايجد منها وايجاد الأقضية اللازمةعلى الـــرأى الفقهى القائل : (يجد للناس من الأقضية ما يجد لهم من القضايا) .

ولقد كانت الكتابة والفتيا فى مجال الفقه عند علماء نجد قبل الدعـــوة تسير فى غالب أحكامه على المشهور من المذهب الحنبلي[٢] ، ونظرا لأن هـــذه الكتابة الفقهية لم تتطرق الى أكثر البدع المنتشرة لدى بعض أهل نجـــد بالتأييد ، فقد لقيت الكتابة الفقهية لعلماء نجد قبل الدعوة قبولا لدى علماء الدعوة السلفية ولا أدل على ذلك من أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه كان يمضى كثيرا من الأحكام التى عقدها علماء نجد قبل الدعوة[٣].

---

(١) ابن غنام ١/ ١١٢ ، الدكتور عبد الله العثيمين : موقف سليمان بن سحيم من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجلة كلية الآداب جامعة الملك سعود ص ١

(٢) وقد وجد عدد من علماء نجد قبل الدعوة يخرجون عن هذا المذهـــب الى بعض المذاهب السنية الاخرى وخاصة الشافعى اقرب المذاهـــب الى المذهب الحنبلي ، انظر المنقور ، الفواكه ١/ ٢٢٣ ، ٤٧٨ ، ٥٠٤ ، ٢/ ٤٨ ، ٢١٦ ، وذلك على سبيل المثال لا الحصر ، وانظرد . العثيمين الحياة الدينية فى نجد منذ القرن العاشر الهجرى حتى ظهـــور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مجلة الدارة ع ٣/س٤ ، ص٣٨ ، ٣٩

(٣) ابن قاسم: الدرر ٦/ ٥١٢

وبينما يجد الباحث فى بعض مظاهر الحياة الاجتماعية فى نجد قبل الدعوة بعض الأقضية والفتاوى الشرعية التى توجه هذه المظاهر توجيها شرعيا فانه يجد أن بعضها قد يحرف بعض هذه المظاهر عن سلوك سبيل الشرع ومرد ذلك الى عاملين أكدت المصادر النجدية وجودهما لدى بعض علماء وعامة أهل نجد قبل الدعوة: وهما ١- أخذ بعض القضاة أجورا من المتخاصمين مقابل النظر فى قضاياهم أو ما سماه الشيخ (رشوة الحاكم) ٢- مداراة بعض القضاة لأهل نجد فى اقرار بعض المظاهر الاجتماعية ولو كان ذلك بخلاف الشرع.

١- رشوة الحاكم (١): لم يكن للقضاة فى نجد قبل الدعوة رزق من بيت المال ، ومن هنا اختلفت مصادر دخلهم فهناك الأوقاف المحلية التى تذهب منفعتها أو جزء من منفعتها للقاضى اذا تولى الاشراف على تنفيذ هذه الأوقاف، وقد نصت بعض وثائق الأوقاف الشخصية على تخصيص جزء من ريع هذه الأوقاف - وغالبها نخيل - للولي على الوقف الذى يكون فى الغالب قاضى البلدة أو امام مسجدها (٢).

وكان بعض هؤلاء القضاة يتعاطون التجارة أو يمارسون الزراعة وهى الأكثر، اعتقادا منهم أن خير الناس عيشا هم أولئك الذين يملكون زراعة ينفقون منها على أنفسهم وأهليهم وفى سبيل الخير (٣).

---

(١) المقصود بالحاكم هنا القاضي وهذا تعبير فقهى ، أما ولي الأمر فيطلق عليه الأمير أو الخليفة أو السلطان الا أن لفظ الحاكم توسع فيه بعد ذلك فأصبح يطلق على الأمير كما يطلق على القاضي بحسب قرينة كل لفظ.

(٢) انظر مثلا وصية صبيح المنشورة فى مجلة العرب جـ١/س ٢ ص ٥٧ ، د. العثيمين ، المرجع السابق ص ٣٧.

(٣) لقد كان عدد من علماء نجد وقضاتها قبل الدعوة يمتهنون الزراعة ومن هؤلاء المنقور وابن ربيعة وابن عضيب ، انظر تاريخ المنقور ص ١٨، ١٩، ٦٩، ٧٣، ٧٦، ٧٧، تاريخ ابن ربيعة ص ٢١، ٨٠، ٨٢، ٨٧، ابن حميد : السحب الوابلة ورقة ١٥٣ ، والعثيمين ص ٣٧.

ولما كانت هذه المصادر ليست شاملة لكل القضاة وكذلك غير ثابتة فقد وجد قسم من فقهاء وقضاة نجد قبل الدعوة السلفية فى الأخذ من المتخاصمين أجرا ثابتا وحجتهم فى ذلك عدم ثبات مصادر الدخل السابقة،[(١)] وعدم وجود بيت مال يخصص موردا ثابتا لهؤلاء القضاء، على أن الشيخ ابن عطوة كان قد أجاب على سؤال عن حكم أخذ القاضى الأجرة على كتابة السجلات والمحاضر وغيرها بجواز ذلك لانه غير الواجب اذ الواجب عليه القضاء وايصال الحق الى مستحقه، وأما كتابة الوثائق فعمل يعمله القاضي للمقضي له، وليس له ذلك، فيجوز له أخذ الأجرة على ذلك، ولكن مايطيب له الا قدر مايجوز أخذه لغيره.[(٢)]

ثم وضّح تقدير المبلغ الذى يؤخذ على كتابة الوثائق فقال: " ان كانت الوثيقة بمال يبلغ ألفا، ففيه خمسة دراهم، وفى ثلاثة آلاف خمسة عشر، الى عشرة آلاف، كل ألف خمسة حتى تكون خمسين فى عشرة آلاف، ثم **مازاده ففى كل** ألف درهم يضم الى الخمسين الواجبة فى عشرة الآلاف فان كانت أقل من الألف ينظر ان لحقه من المشقة قدرمايلحقه فى وثيقة الألف، ففيه خمسة دراهم وان كان ضعفه، فعشرة، وان كان نصفه فدرهمين ونصف".[(٣)]

وأورد المنقور فى مجموعه نصا لأحد العلماء يؤيد رأى ابن عطوة وهو " صرح العلماء أن أجرة الكتابة على القاضى مباحة، فانه ليس عليه أن يكتب" وعلى هذا فهو مسئول عن القضاء الشفوى والاشهاد على ذلك أما الكتابة فليس مسؤولا عنها، **الا أنه لايجوز أن يأخذ** مالا مقابل ماوجب عليه من القضاء بأى وجه من الوجوه فهو سحت حرام.[(٤)]

---

(١) د. العثيمين ص ٣٧.
(٢) المنقور ٢ / ٢٢٤
(٣) المصدر السابق ٢ / ٢٢٤، ٢٢٥
(٤) المصدر السابق ٢ / ٢١٨ وهو لأحد علماء الشافعية.

ورغم هذه الاحترازات التي وضعها العلماء بشأن أخذ القاضي أجرة على الكتابة فقط، وتلك التقديرات الدقيقة لهذه الأجرة، فانه تحت دعوى عدم ثبات مصادر الدخول السابقة لقضاة نجد قبل الدعوة كان بعضهم يخرج عن هذه الاشتراطات ويقبل بعض مايقدم اليه من أموال وقد يشترط ذلك في ابتداء النظر في أي قضية، مستندا في ذلك الى تجويز بعض العلماء قول القاضي للخصمين :" لا أقضي بينكما الا بجعل " ولوجود مايستدعي ذلك في نظرهم وهو عدم وجود بيت مال للمسلمين في المنطقة.(١)

وقد أكدت ردود الشيخ محمد بن عبد الوهاب على تحريم هذا الاستغلال من قبل بعض القضاة في نجد ، وذلك حين رد هو وابن غنام(٢) على رسالة ابن سحيم التي عارضه في هذه القضية ضمن عدد من القضايا

---

(١) ابن غنام ١/١١٣ من رسالة ابن سحيم لعلماء المسلمين ، وقد ورد سؤال للشيخ حول هذه المسألة من محمد بن صالح (ولعله قاضي منفوحة المؤيد للدعوى الذى طرده أهلها بعد تحولهم عن الولاء للدعوة عام ١١٦٦هـ/١٧٥٢م) وذكر ابن صالح أنه وقع بينه وبين سليمان بن سحيم مجادلة في أخذ القاضي جعل من المتخاصمين (الشيخ محمد : الفتاوى ص ١٦ ، المسألة الرابعة ، ابن بشر ١/٤٢)

(٢) هو الشيخ حسين بن أبي بكر بن غنام التميمي نسبا **العبرزي** الاحسائي مولدا ونشأة ، قرأ على علماء الاحساء والبحرين وفقه في المذهب المالكي الا أنه نبغ في العلوم العربية وخاصة النحو والعروض والبلاغة والأدب وكذلك الفرائض رحل الى الدرعية فتتلمذ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولما كان مالكي المذهب وأهل نجد في غالبهم حنابلة طلب اليه قادة الدرعية تدريس النحو وعلوم العربية كلها وكذلك **الفرائض** تتلمذ عليه عدد كبير من علماء الدرعية من ابرزهم سليمان بن عبد الله ابن محمد بن عبد الوهاب وعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، وحمد بن ناصر بن معمر وابنه عبد العزيز ، وعبد العزيز الحصين وغيرهم ، ألف عددا من الكتب أرزها تاريخ نجد ، والعقد الثمين في شرح أصول الدين ، حقق في رسالة ماجستير في أصول الدين بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، توفي في ذي الحجة ١٢٢٥هـ/١٨١٠م، ١٨١١م في الدرعية (الفاخرى ١٤٠ وذكر انه مفتي الأحساء ، ابن بشر ١/١٩٩ ، ٢٠٠ ، عبد الرحمن بن

(=)

الأخرى ، واعتبر الشيخ ما أخذه القاضي بأى صورة من الصور المرتبطة بالقضاء ، انما هى رشوة ، وانتقد معارضه الذى قال عنها : " انها مايأخذه القاضى اذا حكم بغير الحق واما اذا أخذ الرشوة من صاحب الحق وحكم له به فهى حلال[1] وقد أكد الشيخ موافقته لابن سحيم على أن من أنواع الرشوة : ماأخذ على ابطال حق ، أو اعطاء باطل ، ولكنه ذكر أن من أنواعها كذلك : " **مايأخذه** الانسان على ايصال حق الى مستحقه حين يسكت ولا يدخل فيه حتى يعطيه رشوة ، وكذلك الهدايا التي تدفع للحاكم بسبب الحكم **ولو** لم يكن لصاحبها غرض حاضر ، لا أعلم أحدا من العلماء رخص فى مثل هذا".[2]

وقد غمز الشيخ معارضه ابن سحيم فى أن أقواله تعارض أفعاله فقال فيه : " والعجب اذا كان فى كتابكم الذى تحكمون فيه : يجب العدل بين الخصمين فى لحظه ولفظه ومجلسه وكلامه والدخول عليه ، فأين هذا من أكل عشرة حمران على أحد الخصمين ، وان لم يعطه أخذ بدلها من صاحبه

(=) المغيرى : المنتخب فى ذكر أنساب قبائل العرب . تحقيق د . ابراهيم محمد الزيد ط (١) دار الحارثى للطباعة والنشر الطائف ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ٣٩٨ ، حمد الجاسر : معجم أنساب الأسر المتحضرة فى نجد ٢/ ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، د . عبد الله الشبل أهم المصادر النجدية ص ٩٩-١٥٦ ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ : مشاهير علماء نجد وغيرهم ١٤٧-١٥٦ ، محمد القاضى : روضة الناظرين ، ١/ ٧٦-٧٨) .

(١) ابن غنام ١/ ١١٣ ، ١٣٣

(٢) الشيخ محمد : الفتاوى ٢٠ ، ابن غنام ١/ ١٨٥ ، ١٨٦ ، وقد نعى الشيخ من يأخذون أجورا من المتخاصمين ولا يلتزمون بشروط الأخذ كما قررها الفقهاء وسماهم : "المردة آكلي أموال الناس بالباطل ومذهبي أديانهم مع أموالهم" ويبدو من حدة هذا الجدال واقتصاره بين الشيخ وابن غنام من ناحية وابن سحيم من ناحية أخرى أن ابن سحيم كان يمارس القضاء بجعل غير ملتزم فيه بشروط الفقهاء ، وأنه من أكثر قضاة نجد قبل الدعوة فى العمل بهذه القضية .

وحكم لـه ؟ سبحان الله أى شريعة حكمت بحل هذا ؟ أم أى عقل أجازه ؟ ما أجهل من يجادل فى مثل هذا ، وأقل حياءه ، وأقوى وجهه"(١).

ولما كانت هذه القضية من أبرز مظاهر الانحراف فى المجالات الدينية غير العقدية فقد كانت معارضة الشيخ رحمه الله لها شديدة وحججه فيها قوية وأسلوبه حادا اذ لما استدل ابن سحيم بأن المسلمين فرضوا لأبى بكر رضي الله عنه لما ولى عليهم كل يوم درهمين ، قال عنه الشيخ : "فهذا من أعجب جهله ومثل هذا مثل من يدعى حل الزنا الذى لاشبهة فيه ، ويستدل على ذلك بأن الصحابة يطأون زوجاتهم وهذا الاستدلال مثل هذا سواء بسواء"(٢) ثم بيّن بعد ذلك أن أبابكر جعل له من بيت مال المسلمين ماخصص لأنه وضع ماله فى بيت المال واحترف للمسلمين فيه فهو أخذ بسبب ماله وبسبب الحرفة ثم قارن بين ذلك وبين مايفعله بعض قضاة نجد قبل الدعوة فقال : " فأين هذا من أكل الرشوة التى حرمها الله ورسوله ؟ **وأين هذا من الحاكم الذى اذا** وقعت الخصومة فأكثرهم برطيلا(٣) يغلب صاحبه (سبحانك هذا بهتان عظيم)(٤).

---

(١) الشيخ محمد : المصدر السابق ٢٠ ، ابن غنام ١/١٨٦ ، والأحمر عملة سيأتى الحديث عنها ضمن العملات المتداولة.

(٢) الشيخ محمد : المصدر السابق ٢٢ ، ابن غنام ١/١٨٧

(٣) البرطيل : بفتح الباء وسكون الراء أطلق فى الأصل على حجر أوحديد صلب مستطيل ثم أطلق على الرشوة وقيل فى سبب ذلك أن رجلا وعد آخر بحجر اذا قضى له حاجته فلما قضاها جاءه به فأطلق البرطيل على كل رشوة ، واختلف علماء اللغة فى اطلاقه على الرشوة هل هو عربى أم لا ؟ فظاهر كلام صاحب القاموس المحيط (الفيروزابادى) أنه عربى وقال آخرون أنه بهذا المعنى غير عربي وللبرطيل عدة معان اخرى الا أن أشهرها اطلاقه على الرشوة. يقال : ألقمه البرطيل أى الرشوة وقالوا : **البراطيل** تنصر الأباطيل (الفيروزابادى والزبيدى باب الراء فصل الباء ، احمد رضا العاملي : قاموس رد العامى الى الفصيح ط (٢) دار الرائد العربى بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ٣٨ ، ٣٩).

(٤) الشيخ محمد : المصدر السابق ٢٣ ، ابن غنام ١/١٨٧ وفى كلام الشيخ سقط عند ابن غنام كما أن برطيلا وردت باطلا وهو من الاغلاط المطبعية وفى النسخة التى حررها ناصر الدين الأسد ص ٤٨٨ جاءت العبارة سليمة.

ثم رد على ابن سحيم ومن يمارس هذا العمل الذين يحتجون بعدم وجود بيت مال للمسلمين فقال : " فان قالوا : لما عدم بيت المال أكلنا من هذا ، قلنا : هذا مثل من يقول : أنا أزني لأني أعزب لا زوجة لي فهو هذا من غير مجازفة "(١).

ثم أكد الشيخ أن أخذ هذه الأموال مقابل الفصل بين المتخاصمين قد جر على الناس مشكلات من جراء ما يصاحب التقاضي على هذه الوسيلة من حيث وتحيز لمن يدفع ضد من لا يدفع ، أو لمن يدفع أكثر ضد من يدفع أقل وردا على تأول الممارسين للقضاء بهذه الطريقة أنها لمصلحة الناس وحل مشكلاتهم التي تفرغوا لها قال الشيخ ضاربا مثلا على كره المجتمع النجدي لهذه الظاهرة : " وقولهم : نفعل هذا لأجل مصلحة الناس، فنقول : ماعلى الناس أضر من ابليس ومنكم ، أذهبتم دنياهم وآخرتهم والناس يشهدون عليكم بذلك ، هؤلاء أهل شقراء شرطوا لابن اسماعيل(٢) كل سنة ثلاثة وثلاثين أحمر ،

---

(١) المصادر السابقة على التوالى ٢٣ ، ١٨٧/١

(٢) لقد بحثت فيما بين يدى عن تراجم العلماء من آل اسماعيل فى الوشم المعاصرين للشيخ محمد بن عبد الوهاب فلم أحد معاصرا له منهم الا الشيخ ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن الشيخ محمد بن أحمد ابن اسماعيل الذى يرجع فى نسبه الى زهرى بن جراح البكرى فالثورى نسبا فالسبيعى حلفا أصل بلدتهم عنيزة ثم رحلوا الى أشيقر ورجع بعضهم الى عنيزة ، ولد الشيخ ابراهيم فى اشيقر فتلقى العلم على العلماء فيها وخاصة والده حتى تأهل للقضاء والفتيا والتعليم فعين قاضيا فى القرائن قرب شقراء وتتلمذ عليه طلاب العلم فيها ومن أبرز تلاميذه الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين (ولد ١١٥٤هـ / ١٧٤١م وتوفى فى ١٢/٧/١٢٣٧هـ - ٦/٤/١٨٢٢م) قاضى الوشم فى عهد الامام سعود بن عبد العزيز وابنه عبد الله بن سعود ، توفى الشيخ ابن اسماعيل سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م فى القرائن يعد من كبار معارضي دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويقرن بالمويس حيث كان على اتصال بمعارضي دعوة الشيخ فى نجد والاحساء والبصرة ، ويذكر الشيخ أنه زار قبة أبي طالب فى مكة مع بعض رموز المعارضة من علماء نجد وأيد المقدسين لها ضد الشيخ وأتباعه (الشيخ محمد : الرسائل ٢٠ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ١٦٧ ، ٢٠٥ ، ٣٠٠ ، الفتاوى ٢٣ ، ٦٣ ، عبد الله البسام : علماء نجد ١٣٩/١ ، ١٤٠) .

ويسكت عن الناس ويريحهم من أذاه، ولا يحكم بين اثنين ولا يفتي، فلم يفعل واختار حرفته الأولى".(١)

وتشير بعض القصائد الشعبية الى أن قطاعا عريضا من المجتمع النجدى كان ضد امتهان بعض القضاة للقضاء بقصد الاثراء بسبب ما بدر من بعضهم من تحيز فى الحكم فهذا حميدان الشويعر(٢) (حطيئة نجد)

---

(١) الشيخ محمد : الفتاوى ٢٣، ابن غنام ١/١٨٧ وقد وردت شقراء خطأ (شقه) بينما وردت سليمه فى الفتاوى وتاريخ ابن غنام، تحرير الأسد ٤٨٩، ولم ترد (سنة) الا فى الفتاوى وابن غنام تحريرا لأسد .

(٢) هو أشهر شعراء العامية فى نجد واسمه على ماذكر أحد رواة الشعر الشعبى مؤخرا - حمد بن ناصر السيارى من الجبور من بنى خالد ولقب بحميدان الشويعر تصغير حمد وتحقيرا لشعره لسلاطة لسانه فيه ولد فى القصب - احدى بلدان الوشم - وفيها نشأ وبدأ يقرض الشعر الذى من أبرز ملامحه خلط الجد بالهزل فى أى مجال يريد طرقه، يعد حميدان حطيئة نجد فى عصره لانه هجا كل المحيطين به بل هجا نفسه ووالدته وزوجته وابنه وزوجة ابنه، وهو من شعراء الحكمة، قيل انه على درجة من العلم، وشعره مصدر من مصادر الحياة الاجتماعية فى نجد قبل الدعوة، كانت نظرته للمجتمع سيئة وهذا ما جعل هجاءه شاملا لأغلب بلدان نجد وفئاتها الاجتماعية والعلمية، وهذا جر عليه المتاعب حتى لقب (كليب القصب) وهرب الى الزبير للعمل فيها ثم عاد الى نجد ليملأ الدنيا ويشغل الناس بما قاله عن البلدان النجدية التى مر بها من هجاء لبعضها ومدح للبعض الآخر حتى عد ما قاله عنها وعن أهلها سجلا يفتخر به الممدوح ويتوارى منه المهجو غطت شهرته على شخصيته فلا نعرف تفاصيلها، يقال انه هجا عبد الله ابن معمر أمير العيينه (ت ١١٣٨هـ/١٧٢٦م) فأهدر دمه فتوسل بزوجة ابن معمر وأخرج فيه قصيدة عصماء حتى عفا عنه وأجازه، أدرك بدء الدعوة وقومها تقويما صادقا وقيل انه سبها، عاش حتى هرم وتوفى سنة ١١٦٠هـ/١٧٤٧م أو بعدها بقليل الا أن المقارنة بين بعض شعره وبعض الأحداث التاريخية تثبت أنه عاش بعد ذلك فقد شهد أو عاصر معركة الوطبّه قرب ثرمداء بين عبد العزيز بن محمد وأهل ثرمداء سنة ١١٦٣هـ/١٧٤٩م وأشار اليها فى شعره، كما أشار الى وقعة الغضيلي بضرماء سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م، كما ذكر وقعة الصحن قرب ثرمداء سنة ١١٨٠هـ/١٧٦٦م وهذه الاشارات تدل على أن حميدان كان عام ١١٨٠هـ لا يزال على قيد الحياة (ابن غنام

يحذر من بعض هؤلاء القضاة الذين اعتادوا الاشتراط على المتخاصمين دفع أموال مقابل الفصل بينهم وشبههم بالحلاق الذى يحلق الدافعين له بآلة حلاقة حادة سريعة فى الحلاقة غير مؤذية، وغير الدافعين يحلقهم بآلة كالّة تؤذى، ثم هو بعد ذلك يحذر المتاجرين بالدين الذين مامن شك أن خطورتهم على المجتمع أشد وضررهم أكبر فقال :

وبالناس من هو يدعى بديانة	متمسك بديانته وأوراده
عن الخلايق غافل ويحسّن	باخذ شريطه مثل جارى العادة
عنده لراعى الصاع موسى جديد	واللي بلا صاع له **المكرادة**
فاحذر خداع الخاين المتعبد	لو دام ليله والنهار اعباده (١)

وقد أجاد هذا الشاعر تصوير ماقرره الشيخ محمد بن عبدالوهاب عن هذه الظاهرة حيث أكد وجود فئة من هؤلاء **القضاة الذين يأكلون أموال الناس**

(=) ٢/١٥، ٤٤، ٤٥، ابن بشر ١/٤٠، ٤٤، ٦٤ عبد الله البسام تحفة المشتاق ورقة ٨١، ٨٥ خالد الفرج : ديوان النبط ١/١٤-٧٨ محمد سعيد كمال : الازهار النادية ٩/٣ - ٥٥، عبد المحسن أبابطين : المجموعة البهية ٦٤-٧٨، محمد القاضى : **روضة** الناظرين ٣/٣٦٧ وذكر فيها وفاة حميدان سنة ١٠٨٨هـ/١٦٧٧م وهذا غير معقول وربما كان تحريفا مطبعيا لسنة ١١٨٨هـ، حمد الجاسر معجم أنساب الاسرة المتحضرة فى نجد ١/٤٦٤، حمد الحقيل : كنز الأنساب ١٤٢، عبد الرحمن المغيرى ٢٩٦، سعد بن نفيسه : اضمامة من التراث ١٦٨-١٧٢، عبد الله الحاتم : خيار مايلتقط ١/١٣٩ - ١٧٣، د . عبد الله الشبل : تاريخ ابن عباد مجلة مركز البحوث ص ١١٣، ١١٤ والعثيمين : الشعر العامى مصدر من مصادر تاريخ نجد بحث منشور ضمن مصادر تاريخ الجزيرة العربية مطابع جامعة الملك سعود ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ١/٣٨٥، ٣٨٦، صحيفة الجزيرة عدد ٣٨٥٣ الجمعة ٢٥ جمادى الثانية ١٤٠٣هـ/٨ ابريل ١٨٣م، ص ١٥ العدد ٣٩٣٠، الجمعة ١٤ رمضان ١٤٠٣هـ ص ١٤ من مقال بقلم الراوية الشعبى ابراهيم اليوسف) .

(١) أوراده : جمع ورد وهى أذكار الصباح والمساء، الخلايق : تخفيف الخلائق، يحسن : يحلق من الحلاقة التى هى التحسين للرأس بحلاقته **يطه** : تصغير شرط وهو ماتم الاتفاق عليه، راعى الصاع : صاحب الصاع والمقصود به الغنى الذى يقدم **للحلاق** الصاع من القمح أوالتمر

باسم التقاضي بينهم بينما لا يحمون حقوقهم بالقضاء العادل النزيه ، وأنه قد وجدت بعض الفروق بين أمراء بعض البلدان وبعض القضاة فيها اذ ان بعض الأمراء يفيدون بلدانهم باقراء أهلها وضيوفها وحمايتها من الأعداء بينما بعض القضاة لا يفيدون الا أنفسهم وشبههم ببعض الكلاب التى تأكل مايلقى اليها ولا تحمى ما يوكل اليها حمايته ، وهم يأكلون هذه الرشاوى من مال الغير بينما هم محرومون من أموالهم ، وقد ظهرت فيهم صفة الظلم واضحة مبينا لابنه أنه لكى يضمن أن الحق سيكون فى صالحه فلابد اذا جلس هو وخصمه عند من اتصف بهذه الصفة من هؤلاء القضاة أن يرشيه حتى لا ينقلب حقه باطلا عليه ، يقول حميدان فى هذا :

والله دين باثر دين   من باب الغاط الى ضرما (١)

(=) اذ كان يكال أحيانا كما سيأتى فى المكيلات والموزونات ، موس : آلة الحلاقة ، والمكرادة : تشبه المنحل أو المخلب (المحش) وتكون فى الغالب غير حادة وهى فصيحة قال فى القاموس والتاج " شارب مكرود أى مقطوع (باب الدال فصل الكاف) .
وعن الأبيات : خالد الفرج : ديوان النبط ١/ ٢٦ ، ٢٧ ، محمد سعيد كمال : الأزهار النادية ٩/ ١٣ ، عبد الله الحاتم : خيار ما يلتقط ١/ ١٤٧ ، عبد المحسن أبابطين : المجموعة البهية : ٧٦ ، د. العثيمين : المرجع السابق ١/ ٣٨٦ **وقد روى** (ديانته) (قرايته) ولم أر أحدا من المصادر الشعبية ذكرها وهو قد رجع الى الأزهار النادية التى وردت فيها بلفظ (ديانته) .

(١) الدين هنا المقصود به اليمين أو القسم ولم أجد لذلك أصلا فيما بين يدى من كتب اللغة الا أنه أشتهر عن النجديين وخاصة البادية اطلاق الدين على اليمين ، الغاط قيل ان اسمها قديما (لغاط) غير محلاة من لغط السيل اذا أحدث صوتا حين نزوله من السماء أو من الجبال الى الوديان القريبة ، وقيل اسمها مأخوذ من الغط أى الانخفاض ، وهى احدى بلدان سدير وقد ورد ذكرها فى معاجم البلدان القديمة على أنها أحد منازل بنى تميم ، وقد تمت عمارتها على يد سليمان السديرى جد آل السديرى **أبرز** الأسر فيها والذى مدحه حميدان الشويعر وتعد الآن من أهم مدن منطقة سدير ، وتقع

ان الحاكم ينشر منشـــــار   والعالم من ليل اجهمـــا (١)
الحاكم ياكل ويوكـــــل   ويفك الدار من العدمـــا (٢)
ولا ضره ماينفد كفـــه   في بيته نعمه وانعمـــا (٣)
والعالم يدخل مايطلـــع   سحما تاكل ولا تحمـــي (٤)

(=) قرب طريق الرياض سدير القصيم تبعد عن الرياض حوالى ٢٥٠ كيلا ضرما : تعرف قديما بقرما ويجوز مدها وقصرها ، كانت من منازل بني نمير ثم سكنها فى حوالى القرن الحادى عشر الهجرى ابناء لابراهيم ابن موسى بن ربيعة بن مانع المريدى ، حدثت فيها عدة وقعات فى عهد الدولة السعودية الأولى ، وصمد أهلها أمام حملة ابراهيم باشا فسلط عليها نيرانه فدمرها وأجلى قسما من أهلها ، وهى تقع الى الجنوب الغربى من الرياض وتبعد عنها حوالى ٨٠ كيلا عن البلدتين انظر (الحسن الأصفهانى : بلاد العرب . تحقيق حمد الجاسر ، د . صالح العلى ط (١) نشر دار اليمامة . الرياض ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م ص ٢٦٣ ، البكرى : معجم ما استعجم ٢/ ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٣ / ١٠٦٦ ، ٤/ ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ياقوت ٤/ ٣٢٩ ، ٥/ ١٩ ، الفاخرى ص ٨٠ من تعليقات المحقق ، ابن خميس : معجم اليمامة ٢/ ٩٢ - ٩٧ ، ٢٠٩ - ٢١٢ ، صحيفة الجزيرة العدد ٢٧٣١ الاثنين ٣/ ٣/ ١٤٠٠هـ ٢١ يناير ١٩٨٠م ص ١٢ من مقابلة مع أمير الغاط) .

(١) ينشر منشار : أى يخرج صباحا للعمل والحاكم هنا المقصود به أمير البلدة ، أجهم : خرج فى الجهمة وهى نصف الليل الآخر .

(٢) ياكل ويوكل أى يكرم نفسه وضيوفه وفقراء البلد ، يفك الدار : أى يحمى البلدة وأهلها من الهلاك

(٣) ولا ضره : البيت : أى لا يضيره ماتنفقه يمينه لأن هذا يجعل فى بيته نعمة بل نعما كثيرة .

(٤) والعالم يدخل : كناية عن عدم افادته الآخرين والعالم المقصود به القاضي ، وسحما : السحم : السواد فصيحة ويقصد بها هنا الكلبة السوداء التى تأكل مايلقى اليها ولا تحمي مايوكل اليها حمايته وهذه نظرة قاتمة لا يمكن تعميمها على أغلب قضاة نجد قبل الدعوة الا أنه وجد من يتصف بها كما يوجد بعض الحالات المشابهة فى تاريخ القضاء وفى هذا الصدد يروى عن القاضي يحي بن أكثم (ولد ١٥٩هـ/ ٧٧٥م وتوفى ٢٤٢هـ/ ٧٥٧م) قوله : (القاضي يأخذ ولا يعطي ويرتزق ولا يرزق) . (الفيروزابادى والزبيدى باب الميم فصل الميم ديوان النبط ١/ ٧٥ ، محمد العبودى : الأمثال العامية فى نجد ٢/ ٦٣٢ ، ٦٣٣) .

يحب الحامد والجامـــــد من مال الغير الى ولمــــــا (١)
والا من ماله محــــروم ربى رزاق للحرمــــــا (٢)
ولقيت الظلم يا مانـــــع من عام لموه العلمـــــا (٣)
لاجتك الطلبة فى حلقـــك وتقابلت انت ويا الخصمـــا (٤)
ودلى بسمع نبط الخصيـــم ولحقتك الشكة والتهمـــا (٥)

---

(١) الكامد : الساخن أو الحار (فصيحة) والجامد : عكسه وهو الثلج غير المذاب فصيحة ، الى : اذا ، ولم: جهز فصيحة (الفيرزابادى والزبيدى باب الدال فصل الجيم والكاف وباب الميم فصل والـــواو.

(٢) للحرما : أى المحرومين عن الابيات السابقة. خالد الفرج : ديوان النبط ٧٥،٥٦/١ ،عبد الله الحاتم: خيار مايلتقط١ /١٥٢/ محمد سعيد كمال ٩ /٥٦ ، والبيت الرابع الذى أوله :" ضره " غير موجود فـــي خيار مايلتقط ووضع بدله مع تقديم وتأخير فى الأبيات:

واحدهم فى كبر اللحيـــة حبّال حط فيه اطعمـــه
وفى قوله : " والا من ماله " رويت فى خيار:" والا من كيسه"والمعنـــى واحـد

(٣) الظلم : كذا عند الحاتم فى خيار بينما عند الفرج فى ديوان النبط وكذا فى الازهار النادية (الظالم) ، مانع: ابن الشاعر ، من عـــام أى من سنة والمقصود من قديم فكأنه يشير الى قول القاضي يحي بـــن أكثم السالف ، لموه : اجتمعوا عليه .

(٤) لا : تخفيف الى وفى بعض مناطق نجد تنطق لي بالياء ، جتك : مخففة من جاءتك ، الطلبة : الخصومة والمخاصمين ويا ، الخصما : أى المخاصم

(٥) دلى : أخذ : فصيحة ، نبط الخصيم : أى خلاصة الكلام من الخصـــم (فصيحة) ولحقتك الشكة : أى التهمة وعلى هذا فهى تكرار لمابعدهـا (الفيروزابادى

باب الطاء فصل الباء وباب الألف فصل الدال)

فالغز فى كفه دينـــــــا   لياه ايضرابك اليهمـــــا (١)

ومع أن حميدان الشويعر اشتهر بنظرته القاتمة تجاه المجتمع النجدى وبالتالى فقد لا يؤخذ كلامه هنا على حقيقته، الا أن مقارنته بين بعض الأمراء النجديين العادلين الذين يحلون أمور اتباعهم بطريقة شرعية واستفادة عموم الناس مما يأخذونه لأمور الضيافة ومتطلبات الدفاع عن البلد وبين القضاة المرتشين الذين لايفيدون مجتمعهم لا فى فتح أبوابهم لاكرام المحتاجين ولا فى الدفاع عن البلد، هذه المقارنة لها سند من الواقع التاريخي سواء من بعض القضاة أو من بعض أمراء البلدان النجدية قبل الدعوة، اذ وجد بعض الأمراء بتلك الصفات الطيبة (٢).

---

(١) اللغز : تعنى اعطاء الشئ بخفيه ولم أجد لها أصلا فيما بين يدى من كتب اللغة : الا أنها بمعنى الدس والدعس التى هى فصيحة الدينار سيأتى الحديث عنه فى العملات المتداولة فى نجد وربما كان المقصود به هنا الاطلاق فيشمل أى قطعة نقدية كبيرة، كما أن كل قطعة نقد صغيرة يطلق عليها درهم أحيانا، لياه : مجموعن لا واياه والمعنى حتى لا ، يضربك ضرب بتشديد الراء من معانيها البعد أى ابعدك و صرفك، كما أن من معانيها : الليل البهيم اليهما : الفلاة الواسعة لا يهتدى بها أى لايبعدك ويصرفك عن حقك الى الفلاة الواسعة فى الليل البهيم وهذا منتهى التضييع (الفيروزابادى الزاى فصل الفاء والميم فصل الياء وعن الأبيات خالد الفرج ٧٦/١ عبد الله الحاتم ١٥٢/١، محمد سعيد كمال، الأزهار النادية ٥٧/٩، وقد ضم الضاد فى لا يضربك على أنها من الضرر ولا يستقيم المعنى على هذا.

(٢) من أبرز هؤلاء الأمراء عبد الله بن محمد بن معمر الذى استمر حكمه من سنة ١٠٩٦هـ/١٦٨٤م الى ١١٣٨هـ/١٧٢٥م واستقرت العيينة فى عهده ونمت وزاد د سكانها وأصبحت منطقة جذب بما توفره من فرص العمل والتجارة ومدحه حميدان الشويعر بقصيدة ، ومن أبرز هؤلاء كذلك الامام محمد بن سعود الذى تولى امارة الدرعية سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٦م وتوفى سنة ١١٧٩هـ/١٧٦٥م والمقصود هنا أنه كان قبل الدعوة مؤهلا لاحتضانها فقد كان حسن السيرة كريم المعاملة لرعيته سخيا (ابن غنام ٣/٢، ابن بشر ٢٦٣/١، ٢١٦/٢، ٢٣٦، ٢٣٧، حسن الريكى : لمع الشهاب ص ٤٤، ٤٥، خالد الفرج ٥١/١-٥٦).

وقد أكد الشيخ أحمد بن عطوة وجود فئة من هؤلاء القضاة في نجد منذ فترة متقدمة حينما قال: " ان كبار نجد المطاعين في قراهم الحاكمين عليهم، اذا اتفق كل واحد منهم هو وعدول قريته ووجوهم على بيع تركة وقضاء دين على الوجه الشرعي، أن الصادر منهم في ذلك أصح وأولى وألزم وأثبت مما يصدر عن قضاتهم الذين عليهم، وعلى من تقليدهم دينهم وأموال المسلمين، مايستحق خراب الشريعة لأكثر الله منهم، ولا من يمضي أقوالهم أسأل الله أن يطفئ شرهم عن مذهبنا وعن المسلمين (١) ".

وما من شك في أن كلام ابن عطوة - وهو معتمد أهل نجد في وقته - قد أكد على خطورة هذه المسألة وخاصة حينما تستغل طائفة من القضاة لمناصبها في الاثراء غير المشروع وعدم العدل بين الناس، ولا أدل على ذلك من أن ابن عطوة قد حكم بصحة مايصدر عن أمراء وعدول نجد **وأولويته** والزامه وثباته في أي قضية على الوجه الشرعي عما يصدر عن القضاة المرتشين.

ويذكر ابن بشر في تاريخه أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب حينما عاد من رحلاته العلمية خارج نجد وبدأ ينكر مايراه مخالفا لجوهر الدين في العقيدة والعمل وقع بينه وبين أبيه كلام، وبينما لا يوضح ابن بشر سببا لهذا الخلاف ولا درجته، فان مصدرا لايزال مجهول المؤلف ينكر أن الأب كان من القضاة الذين يأخذون أجورا على المتخاصمين وأن خلافا قد دار بين وأبيه حول هذه القضية مما ولّد غضبا لدى الشيخ عبد الوهاب على ابنه وأخرجه من بيته وقد أيدت بعض المرويات الشفوية ماذكره هذا الكتاب (٢).

---

(١) المنقور ٢/٧٦

(٢) ابن بشر ١/٢١، مؤلف مجهول: كيف كان ظهور شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب دراسة وتحقيق وتعليق د: عبد الله العثيمين، مطابع دار الهلال، الرياض نشر دارة الملك عبد العزيز ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٤٥، ٤٦، ولكنه يذكر أن ذلك كان قبل ذهابه الى البصرة، وهذا فيه نظر، وانظر د. العثيمين: مقاله السابق في مجلة كلية الآداب ص٢

واذا كنا نعتقد بنزاهة الشيخ عبد الوهاب، وأنه لم يكن يأخذ من المتخاصمين أجورا تؤثر على الحكم، وربما أنه لم يكن يعتقد أن ذلك رشوة كما كان يعتقد ابنه محمد، بل هو فى هذا يرى رأى بعض علماء نجد قبل الدعوة الذين أباحوا ذلك اذا توفرت دواعيه بالشروط والاحترازات التى ذكرها هؤلاء **العلماء**، أو أن عبد الوهاب كان يرى أنها رشوة فعلا ولكنه لا يريد لابنه الاصطدام مع علماء نجد وقضاتها المؤيدين لهذا العمل أو الممارسين له أو أن هذا الخلاف كان حول أسلوب تطبيق مبادئ الدعوة فى عمومها **ورغبته** أخذ أهل نجد بالتدرج فى تطبيق هذه المبادئ وترك ماعليه بعضهم من مخالفات للدين فى مجاله العقدى والعملى، وأن مرد هذا الخلاف خوف الشيخ عبد الوهاب على ابنه من جراء الأسلوب الذى اتبعه فى بداية دعوته مما أدى الى تحزب الناس ضده.(١)

وعلى أى حال فان هذا الخلاف قد أظهر اشاعة أن عبد الوهاب كان يتعاطى الرشوة لأن المؤرخين لم يجدوا سببا لهذا الخلاف، اذ أن عبد الوهاب - شأنه شأن بعض علماء نجد - لم يؤثر عنه التأييد لتلك الانحرافات العقدية فى المنطقة علاوة على الإعجاب المطلق بابنه فى مرحلة تعلمه الأولي عليه.(٢)

---

(١) د. العثيمين : المرجع ص ٢، د. محمد جميل غازى مجدد القرن الثانى عشر الهجرى الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب، نشر مكتبة المدنى ومطبعتها، القاهرة، جدة ص ٢٥-٢٧.

(٢) ابن غنام ١/ ٢٥، ٢٦، بل أثر عنه معارضته لها وقد ورد ذلك في رسالة للشيخ عبد الوهاب الى عبد الله بن أحمد بن سحيم عن الذين يسمون أنفسهم الفقراء وهم من كانوا يأتون ببعض الحركات السحرية التى يموّهون بها على الناس عن طريق مايسمونه (الزار) وما يتبعه من عبث بذكر الله وصد عن الصلاة وأكد الشيخ عبد الوهاب فيها أن بعض البلدان النجدية قد اعتادوا التسلية بمثل هذه الأمور مشددا النكير على ذلك بأن لا يصلي خلف من حضر مثل هذه الاجتمعات ولا تقبل شهادته : (محمد جميل غازى المرجع السابق ٢٦).

والمهم أن هذا الخلاف مهما كان سببه فليس بمأخذ على الدعوة أو صاحبها الذى كان محترما لأبيه طيلة حياته فخفف من حدة مواجهته للأوضاع السيئة التى يريد اصلاحها واستمر على دعوته بصورة أقل مما أصبحت عليه بعد وفاة والده، وركز على التعليم وتأليف كتابه التوحيد (١)، حتى اذا توفى والده سنة ١١٥٣هـ/١٧٤٠م أصبح الشيخ محمد أبرز شخصية علمية فى حريملاء (٢)، وانتشرت سمعته فى البلدان الأخرى، وبدأت وفود بعض الطلبة تصل اليه وهو فى حريملاء لتلقي العلم على يديه فى مسجدها وسماع دعوته، وبدأ الشيخ بالصدع بدعوته فى حريملاء وهو ما اعتبره المؤرخون المرحلة الأولى لتطبيق الدعوة السلفية (٣).

والواقع أن عرضا لهذه القضية بهذا القدر من التوضيح من الشيخ محمد وعلماء نجد قبل الدعوة، والشعر العامى الذى يصور جانبا من مظاهر الحياة الاجتماعية لدليل على ممارسة فئة لا يستهان بها من قضاة نجد قبل

---

(١) قيل انه ألفه فى البصرة وقيل فى حريملاء وربما أنه بدأ فيه فى البصرة وأكمله فى حريملاء (ابن غنام ١/٣٠، ابن قاسم ١/١٨٥، د. العثيمين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٤٦).

(٢) حريملاء: ذكرها البكرى باسم حرملاء وذكر أنها موضع تلقاء ملهم وسميت بهذا الاسم لانه يكثر فيها وحولها شجر الحرمل الذى يستعمله أهل نجد لعلاج بعض الأمراض الجلدية ثم صغرت بعد ذلك، عمرت بعد القرن العاشر الهجرى على يد آل أبى رباع من عنزة ثم أصبح لها مكانة تنافس العيينة مما حدا بالشيخ عبد الوهاب بن سليمان للرحيل اليها اثر خلافه مع محمد بن حمد بن معمر (خرفاش) ثم وصل اليها ابنه محمد بعد انتهاء رحلاته العلمية، وتعد الآن قاعدة منطقة الشعيب المعروفة قديما بقران وهى تتبع امارة منطقة الرياض وانجبت عددا من العلماء ولها تاريخ حافل (البكرى ٢/٤٤٠، ابن بشر ٢/٢٠٥، ابن عيسى ٥٢، ٥٣، ابن بليهد صحيح الأخبار ٣/٢٢، ٢٣، ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه تحقيق د. محمد بن سعد بن حسين مطابع الاشعاع ص ١٣٣، ١٣٤، حمد الجاسر: مدينة الرياض ٤٧، ٤٨، عبد الله بن خميس، معجم اليمامة ١/٣١٣، ٣٢٢، ناصر الطعيس: مدينة حريملاء ط (١) مطابع المجد التجارية الرياض ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م الكتاب بأكمله).

(٣) د. عبدالله الشبل: الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب ص ٤٤، د. العثيمين: المرجع السابق ٤٦.

الدعوة لهذا العمل على اختلاف فيما بينهم فى درجة هذه الممارسة وتأثير ذلك على سير أحكامهم الشرعية عدلا أو حيفا ، وهذا بدوره انعكس على استغلال بعض النجديين لهذه الظاهرة فى توجيه بعض الأقضية أو الفتاوى لتساير أهواءهم وعاداتهم.

٢ - أمثلة لبعض عادات النجديين المخالفة للشرع:

لقد وجدت بعض المظاهر الاجتماعية التى خالف فيها بعض النجديين تنظيم الشرع لها ، وداراهم فيها بعض علماء نجد تحت تأثير العامل السابق أو تحت تأثير حقيقة مراعاة الشريعة للعرف فى القضايا التى لم يرد فيها نص أو اجماع أو قياس، وأبرز هذه المظاهر تندرج تحت أحكام المياه واحياء الموات والبيوع والوقف.

ففى مجال الزراعة وفى موضوع الرى عن طريق المطر جرت عادة أهل نجد منذ وقت متقدم وحتى الآن أن أغلب مزارع المنطقة تروى مما يقابلها من مياه الوديان بلا تدخل من أحد فيه وبالتالى فهى تملك ماقابلها الى الوادى ولو لم يتم احياء للأرض وهذا مايسمى فى عرف النجديين (القبالة أو القبلة أو المسابل) أخذا من كون الأرض قبالة الوادى الذى هو مسيل لها ويتحكم صاحب الأرض فى مياه الوادى المقابلة له مماقد يحدث ضرارا في بقية الأراضى الزراعية الأخرى التى تصل الى الوادى بشح المياه عنها وقد ذكر المنقور فى مجموعه أن هذه العادة بخلاف الشرع وأنه وجد مسألة لشيخه ابن ذهلان (١) فى حكم المياه واستغلالها على الوجه الشرعي الصحيح

---

(١) هو الشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان من آل سحوب (سحبان) الذين يرجعون فى نسبهم الى زعب من بنى سليم أو الى بنى خالد - على خلاف بين النسّابة - ولعل السحوب من زعب ودخلوا فى حلف مع بنى خالد فترة ضعف زعب وقوة بنى خالد ، ولد الشيخ عبد الله في العيينة وتتلمذ على علمائها وعلى قاضي الرياض الشيخ أحمد بن ناصر ابن مشرف والشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن مشرف والشيخ محمد أحمد بن اسماعيل والشيخ سليمان بن على بن مشرف ثم تولى بعد ذلك قضاء الرياض وقام بذلك مع الافتاء والتدريس والامامة

بين فيها أن الماء مما يشترك فيه الناس كما ورد في الحديث (الناس شركاء في ثلاث: الماء والهواء والكلأ)[1] .

يقول المنقور في هذا الموضوع: " وهذه مسألة وجدتها بخط شيخنا (ويقصد ابن ذهلان) وأشار لنا بكتابتها ، وقال : العمل عليها ، لكن لا نقدر على العمل بها ، لأن عادات أهل نجد في السيل بخلاف الشرع فنترك الكلام

(=) والخطابة وتتلمذ عليه عدد من العلماء من أبرزهم الشيخ عثمان بن قائد والشيخ محمد بن ربيعة العوسجي والشيخ محمد بن أحمد المنقور وعدد غير هؤلاء العلماء ، وكان المنقور خاصة ينقل كثيرا من آرائه وفتاويه وتقريراته في كتابه : (الفواكه العديدة) وتكاد لا تخلو صفحة من هذا الكتاب من نقل أو أكثر فهو المقصود بقوله : (شيخنا) توفي في ٨/١٢/١٠٩٩هـ/٤/١١/١٦٨٨م وذكر ابن ربيعة أنه في آخر ليالي الحج ونقل البسام في علماء نجد أنه ثاني الاضحى عن المنقور ويبدو أنه خطأ مطبعي عن ثامن التي وردت في المنقور (المنقور التاريخ ١٤، ١٥، ١٧، ٣٤، ٥٩، ٦٠، ٦٤، ٦٥ ، الفواكه العديدة ٣٩٢/٢ ، ابن ربيعة: التاريخ : ١٢، ١٣، ٦٨، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٥، ٧٦ ، ابن حميد : السحب الوابلة ورقة ١٦٤، ١٦٥ ، ابن بشر ٢١٨/٢، ٢١٩ ، ابن عيسى ٧٣، ٧٤ وقد ذكر أن وفاة الشيخ عبد الله مع أخيه عبد الرحمن في ٩/١٢/١٠٩٩هـ ، عبد الله محمد البسام: تحفة المشتاق ورقة ٥٥ ، حمد الجاسر: أنساب الأسر المتحضرة ٢٨٢/١، ٢٨٣ ، عبد الله بن عبد الرحمن البسام: علماء نجد ٦٢٠/٢ - ٦٢٢ ، محمد القاضي : روضة الناظرين ٣١٠/١، ٣١١) .

(٢) المنقور : الفواكه ٣٩٢/١ وقد ورد هذا الحديث في مسند الامام أحمد بن حنبل بسنده عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولم يسمه - بلفظ (المسلمون شركاء في ثلاث: في الماء والكلأ والنار) ، ورواه أبو داود بلفظه عن رجل من المهاجرين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا أسمعه يقول : (الناس .. الحديث) وساقه بلفظه مع تقديم وتأخير بين هذه الثلاث ، ورواه ابن ماجة بسنده بلفظ المسند وبعد : (الناس النار) " وثمنه حرام) . وراويه هنا ابن عباس رضي الله عنهما ، كما رواه بسند آخر عن أبي هريرة بلفظ: (ثلاث لا يمنعن

بسبب ذلك"(١) ومقصوده هو ترك اعلان هذا الحكم على عامة النجديين لما قد يحدثه من زيادة فى المنازعات الا أن المنقور أثبت اجابة شيخه الذى قال : " اعلم أيها السائل عن حكم المياه أنها لا تخلو من حالتين : اما أن تكون فى نهر، أو واد كبير لا يتشاح الناس فى الشرب منه فلكل من الناس أن يسقى ماشاء كيف شاء، وأما مياه الأمطار والأنهار الصغار فلمن فى أعلاه أن يسقي ويحبس الماء الى الكعب، ثم يرسله الى جاره الأعلى فالاعلى على هذه الصفة، واذا أحيا سابق فى أسفله ثم ثان فوقه ثم ثالث، سقى المحيي أولا ثم الثانى بعده، ثم الثالث، ولو كان أقرب الى فوهة النهر، فالمحيي أولا أولى، ولا يملكه بالسبق، لان الماء لا يملك، لكنه أحق بالبداية بالشرب منه لأجل سبقه، فلا يملك اجارة فضله، ولا يخرجه على مشيئته بل يجب لمن أحيا بعده أن يشرب الفاضل عنه بغير خلاف فى المذاهب لقول النبى صلى الله عليه وسلم : " الناس شركاء فى ثلاث: الماء والهواء والكلأ" لا يملك منه الا ماقبضه وحازه فان استوى اثنان فى القرب، اقتسما على قدر الأرض ان أمكن

(=) الماء والكلأ والنار) كما رواه بسند آخر عن عائشة رضى الله عنها قالت : يارسول الله : ما الشيئ الذى لايحل منعه؟ قال : (الماء والملح والنار) وذكر الحديث بتمامه فى حوار بين عائشة وبين النبى صلى الله عليه وسلم عن سبب حرمة منع هذه الثلاث. (الامام أحمد ابن حنبل المسند ٥/٣٦٤، أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستانى : السنن تعليق عزت الدعاس، عادل السيد ط (١) نشر وتوزيع دار الحديث حمص ٣/٧٥٠، ٧٥١ كتاب البيوع والاجارات، ابن ماجه : محمد بن يزيد : السنن تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبدالباقي نشر دار احياء التراث العربى . بيروت ١٣٩٥هـ/١٩٧٨م ٢/٨٢٦، ٨٢٧، كتاب الرهون، باب المسلمون شركاء فى ثلاث) .

(١) المنقور: الفواكه ١/٣٩١، وقد أشار الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الرسائل الشخصية ص ٦٣ الى صعوبة مخالفة العادة على العلماء فضلا عن العوام.

والا أقرع، وعلى كل وجه لا يملك المحيي أولا من هذا الماء غير شرب أرضه منه، وزرعه، ثم هو للآخر ، ولا يملك ماقرب من العامر الى آخره، فليس لأهل هذا السهل الا ممر سيلهم من غير ملك وهذا بغير خلاف علمته في المذهب" ثم نقل تأكيدا لأحد علماء نجد أن هذا الجواب على قاعدة صحيح المذهب، ونقل عن عالم آخر: " نظرت في هذه الفتيا فاذا هي على ضابط الشرع الشريف موافقة للصواب"(١).

وتشير المصادر التاريخية الى أن الأمطار اذا هطلت على بعض مناطق نجد التي تعتمد اعتمادا كليا عليها فانه تحصل منازعات حول توجيه هذه المياه مما يؤدى الى ضياع حقوق بعض الأسر الضعيفة في الاستفادة من هذه الأمطار وهذا مايدفع بها الى ترك مجال الزراعة للأقوياء أو هجر بلدانها تماما كما تفعل في سني الشدة وانكسار الحال(٢)، ومامن شك أنه

(١) المنقور: المصدر السابق ١/ ٣٩١، ٣٩٢، وهذه الفتوى جاءت مباشرة بعد تلك الاشارة عن صعوبة العمل بها فهي المقصودة بتلك المسألة، وكانت من تقريرات الشيخ اسماعيل بن رميح (ت حوالي ٩٧٠هـ/ ١٥٦٢م) والذى أكد عليها الشيخ زامل بن سلطان (ستأتي ترجمته في هذا الفصل ان شاء الله) وأكد عليها ثانية الشيخ سليمان بن محمد بن شمس (من علماء القرن العاشر).

(٢) لقد حفل التاريخ النجدى بعدة منازعات حول توجيه مياه الأمطار للمزارع ومن أبرز هذه المنازعات في هذا المجال قصة محمد وقيل راشد أبي دباس في بلدة العودة في سدير، وفحواها أن ابنه دباسا اضطر للسفر خارج نجد للعمل في العراق فصرف جيرانه مياه الأمطار الى مزارعهم فأصبح في ضيق من العيش علاوة على تعدى هؤلاء الجيران وتطاولهم عليه فأرسل لابنه قصيدة تعد من أشهر القصائد في الشعر العامي قبل الدعوة وهي قصيدة مؤثرة مليئة بمعاني الوجد على ابنه وشكوى الحال لله ثم لابنه الذى أرسل لأبيه بعد ذلك قصيدة على نسق قصيدة أبيه يعده فيها بالقدوم والثأر له، ثم لما عاد قام بصرف الماء الى نخيل والده ثم حدثت مذبحة بعد ذلك بين دباس وجيران أبيه. (عبد المحسن أبابطين ٣١-٣٥، ابن نفيسة منوعات شعبية ٧٣ - ٧٨، ويروى أن هذه القصة كانت عام ١١٥٠هـ / ١٧٣٨م ،
الحاتم: خيار ١/ ٢٦٣ - ٢٦٨، الأزهار النادية ١/ ١٩٠-٢٠١).

لولا مداراة بعض علماء نجد قبل الدعوة للأقوياء لما تمكنوا من هضم حقوق الذين لاحول لهم ولا قوة لان هؤلاء العلماء قد قرروا فى مؤلفاتهم الفقهية - مستندين فى ذلك على القواعد الشرعية - أن السيل من المصالح العامة فلا يكون ملكا وان كان الأول فى مجراه أحق بالتقدم فى الاستفادة منه لاحجبه عن المسلمين.(١)

وقد أدت مداراة بعض فقهاء نجد قبل الدعوة لبعض أهلها الى كثير من المنازعات والمقاتلات فى موضوع احياء الموات اذ يحصل كثيرا أن تحمي أسرة أو قبيلة أرضا مواتا فى أصلها وتستمر على ذلك الحمى فترة طويلة ولا تفعل فيها أى علامة من علامات الاحياء الشرعية حتى اذا جاء من يريد احياءها احياء شرعيا ويفيد المجتمع منها عن طريق زراعتها فانهم يقاتلونه وينازعونه مهما كان معه من حجج شرعية معروفة، ومن هنا ندرك أن هذه المداراة فى هذا الباب عامل من عوامل عدم استقرار الحياة الأمنية فى نجد قبل الدعوة بسبب مايحصل من نزاع بين بعض الأفراد والأسر أو بين بعض البلدان النجدية المتقاربة.(٢)

---

(١) المنقور: المصدر السابق ١/ ٣٩١، وأساس هذا قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سيل وادى **مهزوز** فى المدينة حينما حصل حول توجيه مياهه نزاع فقضى فيه صلى الله عليه وسلم أن يسقى الأعلى الى الكعبين ثم يرسل الى الأسفل، كما حصل بين الزبير بن العوام وأحد الانصار حول أحد المسايل التى تسقى منها نخيل المدينة فقضى النبى صلى الله عليه وسلم أن يسقى الزبير ثم يرسله الى جاره فغضب الانصارى قائلا: يارسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يازبير اسق ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر، فقال الزبير: **والله انى لأحسب هذه الآية نزلت فى ذلك** (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية ٦٥ سورة النساء). (ابن ماجه: السنن ٢/ ٨٢٩، ٨٣٠، البكرى: معجم ما استعجم ٤/ ١٢٧٥، ياقوت ٥/ ٢٣٤، ٢٣٥).

(٢) ابن قاسم: الدرر ٥/ ٢٣٣

ولما كان أسلوب البيع والشراء يخضع لتقريرات علماء نجد وفقهائها قبل الدعوة كما سيأتي بيان ذلك[1] فقد وجد بعض أهل نجد في مدارات بعض العلماء لهم مدخلا للتعامل ببعض أنواع البيوع غير الشرعية، وأبرز مثل على ذلك استغلال أحد أنواع البيوع الشرعية وهو بيع الذمة الذي كان منتشرا في نجد والذي كان الغرض منه امهال ذي العسرة الى الميسرة بتوفير مايحتاج اليه من مؤن أو نقود، وقد تمثل هذا الاستغلال برفع السعر عاليا بدل التأجيل، وقلب الدين بزيادة اذا حل ولم يستطع المدين الوفاء حيث يجعلون الدين السابق بربحه رأس المال ويضاف اليه الربح للسنة القادمة وهكذا الى أن يثقل ذلك كاهل المستدين فلا يستطيع الوفاء ويستولي البائع أو الدائن على ماتم رهنه من حيوانات أو عقار أو مزارع، وكانوا يتحيلون على الربا بقلب الدين بما يسمونه (التصحيح) وهو أن يحضر المدين بضع دراهم من الدين السابق المراد قلبه ويتم العقد عليه، وقد أشار الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى هذا التحيل بالبطلان ناعيا على بعض علماء نجد مداراة بعض أهلها في اقرار مثل هذه الحيل التي وصفها الشيخ بالحيلة الملعونة مغلظ الربا مؤكدا أن بعضا من أهل المنطقة قد استمرأ هذا النوع من البيوع ونشأ عليه نشأة يصعب عليه تركها بسبب فعل الآباء والأجداد لها وتأييد بعض علماء نجد لهم أو سكوتهم عن انكاره مع اقرارهم بحرمته في كتبهم الفقهية.[2]

وفي مجال الوقف أثر عن بعض النجديين قبل الدعوة ايقال ماله كله أو بعضه والقصد من ذلك حرمان بعض أولاده من الاناث ونسلهن، أو يحرم أولاد الاناث خاصة ويخص بماله الذكور وأولادهم، وقد حدث نقاش علمي حول

---

(١) انظر أساليب البيع والشراء ضمن الباب الثالث

(٢) الشيخ محمد : الفتاوى ١٥، ٨٢- ٨٤ ابن غنام ١/ ٢١٤، ٢١٥ ، ابن قاسم : الدرر ٥/ ٦١، ٦٢، ١٠٢

هذه القضية فى القرن العاشر الهجرى فى وثيقة جليلة بنت عبد المحسن ابن سعيد فى بلدة مقرن (١) التى أوقفت خمس مزرعتها على اختها مريم وعلى نسلها وما تناسلوا، وقد حدث نزاع بين ابن مريم وهو راشد، وزوج ابنة لأخيه عساكر فى شمول أولاده من ابنة عساكر فى هذا الوقف، وقد حكم الشيخ ناصر بن محمد بن بريد (٢) بدخول أولاد بنات عساكر بن مريم فى هذا الوقف بينما حكم الشيخ زامل بل سلطان (٣) بصحة الوقف على راشد وعساكر

---

(١) مقرن: بلدة قديمة وكانت مع معكال وبعض الأحياء الأخرى تنتظمها حجر اليمامة (الرياض) ثم انفصلت عنها، وكانت قاعدة الحكم والادارة فى الرياض وقد اتحدت مع معكال فى عهد دهام بن دواس، وانضمت بعد ذلك منفوحة وبقية أحياء الرياض الحالية، وتشير بعض الأبيات الشعبية الى وجود بعض المعارك بينها وبين معكال، وبرز فيها عدد من العلماء منذ القرن التاسع الهجرى (حمد الجاسر: مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ٨٧-٩٤، ابن خميس: معجم اليمامة ٢/٣٨٤، ٣٨٥، خالد السليمان: معجم مدينة الرياض ص٢٣٣-٢٤٢)

(٢) هو الشيخ ناصر بن محمد بن عبد القادر بن راشد بن بريد بن مشرف ولد فى أشيقر ونشأ بها وتعلم على علمائها ومن أبرز مشائخه والده تلميذ ابن عطوة وتتلمذ عليه عدد من العلماء أبرزهم ابناه محمد بن ناصر، وأحمد بن ناصر (ت ١٠٤٩هـ/١٦٣٩م) ولم أقف على تاريخ وفاته لكنه من علماء أشيقر فى القرن العاشر الهجرى، وقد أورد المنقور فى الفواكه عددا من احكامه وأقضيته يشير بعضها الى نقله من علماء الشافعية وتمذهبه بالمذهب الشافعى أحيانا فقد قال بعد اثبات كلامه على الوثيقة السابقة ١/٤٧٨: (كاتبه ناصر من أهل العلم الشافعى) (المنقور: الفواكه ١/٢٢٣، ٤٧٨، ٤٨٠، ٤٩٨، ٥٠٤، ٢/٥١٨، ٤٨، ١٠٥، ٣٢٠، ٣٤٦ وكان تاريخ وثيقة جليلة سنة ٩٦٩هـ، وأورد رأيه فى وثيقة أخرى بخطه تاريخها رجب ٩٨٣هـ، عبد الله البسام: علماء نجد ٣/٩٦٥).

(٣) هو الشيخ زامل بن سلطان بن زامل الخطيب اليزيدى الحنفى نسبا المقرنى بلدا، ولد فى مقرن وتلقى العلم الأولى فيها ثم رحل الى الشام ولازم شيخ المذهب الحنبلي موسى الحجاوى ثم تفقه عليه واجازه ثم مد رحلته الى مصر فالتقى بقاضى الحنابلة فيها الشيخ محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار، فتتلمذ عليه حتى أدرك فى الفقه الحنبلي وأصح من المحققين فيه ثم رجع الى نجد

وعلى نسلهما فقط ولا يدخل في الوقف المذكور أولاد بناتهما . (١)

هذا ملخص موجز لهذه الوثيقة ويبدو أن علماء نجد قبل هذه القضية وبعدها قد انقسموا الى قسمين . قسم يدخل أولاد البنات في الوقف اذا وجدت قرينة صريحة في وثيقة الوقف على دخولهم وقسم لا يرى دخولهم في ذلك مهما وجد من قرائن ، وما من شك أنه في اطار النظرة المتدنية للمرأة عند حضر نجد قبل الدعوة كما سيأتي وجد أناس من هؤلاء يستغلون رأى القسم الثاني من علماء نجد في حرمان زوجاتهم وبناتهم ونسلهن من أى وصية يوصون بها . (٢)

وقد أفاد أحد علماء الدعوة أنه لم يقل أحد من العلماء أن أولاد البنات غير داخلين في الذرية الا متأخر والحنابلة ، وقولهم هذا ضعيف مخالف للدليل وليس معهم الا قول الشاعر :

بنونا بنو أبنائنا ، وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

وهذا دليل ساقط لا يعارض به الكتاب والسنة ، وهذا قول شيخ

(=) فأخذ في نشر ما تحصل عليه من علم في بلدته مقرن ونجد عامة فرحل اليه الطلاب واستفادوا منه ورجح الشيخ البسام في علماء نجد أن الشيخ زامل بن موسى بن سلطان بن زامل الخطيب ، حفيد له ، وتولى الشيخ زامل ابن سلطان قضاء الرياض ، ويبدو أن وفاته في أواخر القرن العاشر أو أوائل القرن الحادي عشر . (المنقور : الفواكه ١/ ١٣١ ، ٢٩٥ ، ٣٩٢ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٤ ، ٢/ ١٠٤ ، ٣١٦ ، ٣٨٦ ، ابن بشر ٢/ ١٩٥ ، البسام : علماء نجد ١/ ٢٦١ ، ٢٦٢ وذكر أنه لم يصل الينا من اجوبته وفتاويه وأقضيته الا حكمه في وثيقة وقف جليلة بنت عبد المحسن والواقع أن المنقور قد جمع في الفواكه عددا من أقضيته وأحكامه في كثير من المواضع وما ذكرته هنا فليس الا على سبيل المثال لا الحصر)

(١) المنقور : المصدر السابق ١/ ٤٧٨-٤٨١

(٢) المنقور : المصدر السابق ١/ ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨٥ .

الاسلام وقدماء الأصحاب وقد تشبث بهذا البيت قسم من النجديين (١)، وداراهم فيه بعض علماء نجد قبل الدعوة انسجاما مع نظرتهم للمرأة، هذه النظرة التى شنع عليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلماء الدعوة بعده وخاصة فى رسالة الشيخ عن وقف الجنف والاثم، (٢) والتى كتبها ردا على معارضه سليمان بن سحيم الذى ذكر من جملة القضايا التى أخذها على الشيخ وذكرها فى رسالته الى علماء المسلمين أن الشيخ يقطع بفساد الوقف ويكذب المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم وقفوا، (٣) والواقع أن الشيخ كان هدفه ابطال الوقف المقصود به التحيل لحرمان الزوجة أو اعطاء بعض الأولاد أو حرمان نسل البنات، ولما انكر ذلك قامت قيامة بعض علماء نجد ممن انساقوا مع العامة فى هذه النظرة لانه خالف عاداتهم وأقوال متأخرى الحنابلة فى اقرارهم لهذا الوقف الذى ليس له غاية الا تغيير فرائض الله بحيلة الوقف (٤).

هذه أمثلة لبعض العادات النجدية المخالفة للشرع وسيرد ذكر أمثلة أخرى فى مواضعها فى هذه الرسالة، (٥) وهى تصور جانبا من الانحراف

---

(١) المقصود بشيخ الاسلام ابن تيمية وقدماء الأصحاب أى متقدمى المذهب الحنبلى، ابن قاسم: الدرر ٥/ ٢٧١، ٢٧٢، وقد نقل هذا الرأى عن الشيخ حمد بن عبد العزيز - ولعله العوسجى - (ت ١٣٣٠هـ / ١٩١١م) الذى تتلمذ على الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) ونقل عنه هذه الفتوى.

(٢) أخذ الشيخ عنوان هذه الرسالة من قول الله عز وجل (فمن خاف من موصى جنفا أو اثما فأصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم) البقرة آية ١٨٢

(٣) ابن غنام ١/ ١١٢.

(٤) الشيخ محمد : الرسائل الشخصية ص ٧٨، ٧٩، ابن غنام ١/ ١٢٤، ١٢٥، ابن قاسم : الدرر ٥/ ٢٦٦، وسيرد الحديث عن جوانب من هذه المسألة عند بحث وضع المرأة فى حاضرة نجد قبل الدعوة.

(٥) توجد بعض أساليب البيع والشراء غير الشرعية سيرد الحديث عنها ضمن الباب الثالث ان شاء الله.

فى الحياة الدينية غير العقدية عند حضر نجد قبل الدعوة، وما من شك أن وراء ذلك عاملين رئيسيين: الأول ذكره الشيخ محمد نفسه وهو التمسك بالعادات ولو كانت مخالفة للشرع وسبب ذلك الجهل والغفلة والاعراض عن تعلم دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا العامل أشار الشيخ الى كونه سببا رئيسا لانتشار بعض الشركيات، وهو سبب لوجود بعض العادات المخالفة للشرع كذلك (١)، والمقصود من ذلك أن غالب النجديين سيطرت عليهم الأمية قبل الدعوة، لأن التعليم كان محدودا بين العلماء وأسرهم أو من يستطع التفرغ له.

وأما العامل الثانى فهو مداراة بعض علماء نجد لعامتها فى اقرار بعض العادات ولو كانت بخلاف الشرع (٢)، وهذا مرتبط بأخذ بعض القضاة أجورا مقابل الفصل بين المتخاصمين كما مر.

---

(١) الشيخ محمد : الرسائل الشخصية: ٦٢، ٦٣، ١٧٢، ١٧٣، ابن غنام ١/١١٣، ١١٤، ابن قاسم : ١/٧٢، ٨/٥٢، ٥٣.

(٢) الشيخ محمد : المصدر السابق ٦٣، ابن غنام ١/١١٤، ابن قاسم ٨/٥٣.

الفصل الثاني

مظاهر الالتزام بالدين

لقد سبقت الاشارة الى أن الحال الدينية لم تكن بالصورة التى أبرزتها بعض المصادر المؤيدة للدعوة فى أن أهل نجد قد خلعوا ربقة الاسلام والدين وأنهم فى جاهلية جهلاء وأنهم يضيعون الصلوات ويمنعون الزكاة ويشربون المسكرات وأن كافة أنواع الشرك موجودة فيهم، وسائر الطرق البدعية والصوفية متغلغلة فيما بينهم.(١)

وقد سبق ذكر بعض البدع فى منطقة نجد قبل الدعوة مع بيان اقتصار كثير منها على منطقة معينة وفئات محدودة من السكان فى هذه المنطقة كذلك، وأنه لولا موقف بعض العلماء السلبى والمدارى أحيانا لما وجد لهذه البدع أثر فى المنطقة(٢) لأن أكثر سكانها اما بادية أو حاضرة يغلب عليهم الطابع البدوى ويمارسون حياة متداخلة بين البداوة والتحضر ومعروف

---

(١) ابن غنام ١/ ٧، محمد بشير السهسوانى : صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان ط (٤) مطابع القصيم. الرياض نشر دار الافتاء السعودية ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م ص ٤١٥، احمد عبد الغفور عطار محمد بن عبد الوهاب ط(١) ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م مطابع دار العلم للملايين بيروت ص ٢٥ - ٣٥ ، وقد اطلق العنان لقلمه الادبى ليصور حياة أهل نجد الدينية تصويرا ادبيا لايمت الى الحقيقة اذ صورها على انها مسرح تؤدى عليه ادوار الهمجية وسائر اخلاق الرذيلة مما يتيح للخيال أن يتصور مايشاء عنها واغفل او تغافل كل خلق كريم لاهلها او تمسك الدين وان لم يكن بالصورة المثلى التي اصبحت الحال عليها بعد قيام الدعوة السلفية المباركة، ولقد كان ولعه كبيرا فى تلك الصورة التى رسمها ابن غنام للحياة الدينية فى نجد قبل الدعوة اذ ضخمها واضفى عليها من اسلوبه الادبى ماجعله يصورها اشد جاهلية وكفرا من الجاهلية الاولى، ورحم الله امام هذه الدعوة فقد كان واقعيا فى ذكره للجوانب السيئة والحسنة للحياة الدينية عند حضر نجد، وكان ابن غنام كذلك مقتصدا فى ذكره للجوانب السيئة لهذه الحياة فى حدود معرفته لبعض المناطق.

(٢) ولعل ذلك لحكمة أرادها الله عز وجل حتى تبقى منطقة نجد بكرا لاى محاولة اصلاح، وحتى تلقى هذه الدعوة مجالا رحبا لتجديد ما اندرس من معالم الدين اذ لو قامت محاولات محدودة من هذا القبيل لتعود الناس عليها ولم يتفاعلوا مع تلك الحركة القوية الشاملة التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد حدث مثل هذه المحاولات المحدودة في بعض البلدان المجاورة فكان مصيرها الفشل (الجبرتى : عجائب الآثار ١/ ٨٣ - ٨٦ عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الاسلام ٤٣٠).

أن البدوى وشبه البدوى هما أقرب الناس الى الفطرة وصفاء العقيدة وسلفية المنهج (١) .

وهدف هذه المصادر واضح وهو التأكيد على فضل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على المجتمع النجدى ، ذلك الفضل الذى لا ينكره الا مكابر لأنه فضل عم هذا المجتمع بجميع فئاته علما أن فضل دعوة الشيخ محمد رحمه الله قد عم سائر المناطق التى شملتها الدولة السعودية فى أدوارها الثلاثة وكذلك انتشرت هذه الدعوة المباركة فى مناطق أخرى من العالم الاسلامى مما لا مجال للتفصيل فيه هنا (٢) .

---

(١) يروى فى هذا المجال عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قوله : " ماقوم أشبه بالسلف من الأعراب لولا جفاء فيهم" وقوله : " عليك بدين الصبى الذى فى الكتّاب والاعرابى واله عما سواهما" كما يروى عن أحد العلماء قوله : " اذا أردت أن تسمع الدعاء فاسمع دعاء الأعراب" ويقول المستشرق دارفيو : " ان البدو متدينون ولا ريب ولكنهم يأتون فى أغلب الأحيان على ذكر الله ولا يقرنون بذكره الا القليل من الدين لأن أحدا لم يلقنهم اياه" والمقصود أن عناصر التدين متأصلة فى حياة النجديين عموما لأن أغلبهم اما بادية أو يعيشون حياة متداخلة بين البداوة والحضارة (أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى : العقد الفريد دار الفكر بيروت ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م ٤/ ٣ ، عبد الرحمن بن على بن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز مطبعة الامام . القاهرة ص ٥٤ ، جاكلين بيرين ، اكتشاف جزيرة العرب دار الكاتب العربى بيروت ، مكتبة النهضة : بغداد ص ١٢٤ ، رسالة الماجستير للباحث الفصل الثانى من الباب الثانى ص ٢٨٨ ، ٢٨٩) .

(٢) د . عبد الله الشبل : الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب ٦٧-٧٢ ، أحمد بن حجر آل ابو طامي : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ط (٢) مطبعة الحكومة بمكة ١٣٩٥هـ ص ٧٧-٨٠ ، سيرتوماس ، أرنولد : الدعوة الى الاسلام ترجمة د . حسن ابراهيم حسن وزميليه ط (٣) ١٩٧٠م مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ٣١٥ ، ٣٦٠ - ٣٦٤ ، ٤١٠ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، محمد كمال جمعه : انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية ، مطابع نجد التجارية ، نشر دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م الكتاب بأكمله والواقع أن تأثر بعض الحركات الاصلاحية فى العالم الاسلامى بدعوة الشيخ

(=)

وقد فات هذه المصادر وغيرها أن الشيخ محمد نفسه كان من أبرز من قرر أن قطاعا عريضا من المجتمع النجدى الحضرى ملتزم بأحكام الشريعة وأركان الدين ، ويبدو أن الشيخ كان يرى أن هذا الالتزام يمكن أن يكون أرضية جيدة نحو تجديد الدين واصلاح المجتمع مما حدا به الى الثناء على الحضر فى أكثر من موضع.

وكان هذا الثناء واضحا فى عقد الشيخ مقارنة بين الحياة الدينية عند بدو نجد وحضرها حيث ذم الأولين ومدح الآخرين فى عدة تقريرات له عن الدين عند البدو ، ففى احدى رسائله الشخصية يؤكد الشيخ : " أن البوادى يفعلون من النواقض مع علمهم أن دين الرسول صلى الله عليه وسلم عند الحضر". (١)

وفى رسالة أخرى أكد الشيخ حقيقة اشتهر بها البدو فى فترات الجهالة ويمكن ادراجها فى نطاق النظرة المتبادلة بين البدو والحضر

(=) محمد بن عبد الوهاب. قد أسئ فهمه لدى بعض الباحثين فعلى سبيل المثال أكد عدد من الكتاب أن السنوسية فى ليبيا متأثرة بتلك الدعوة ومنهم محمد جمعه فى هذا الكتاب ٢١٥-٢٢١ ورغم أنه أبرز صوفية السنوسيين وأنها تتعارض مع جوهر دعوة الشيخ الا أنه حاول ايجاد نقاط لقاء بين الحركتين لا تكفى لاثبات ذلك التأثر، على أنه قد ورد سؤال لأبناء الشيخ محمد والشيخ حمد بن ناصر بن معمر (ت ١٢٢٥هـ/ ١٨١١م) حول السنوسى مؤسس السنوسية وهل هو من أهل السنة والجماعة ؟ فأفتوا بأنه ليس منهم لأن كتابه (أم البراهين) صنف على مذهب الأشاعرة وأوردوا أدلة من كتابه على ذلك (ابن قاسم : الدرر ٣/ ١٩١-١٩٣)

(١) الشيخ محمد : الرسائل ٢٥، ٢٦ ،ابن غنام ١/ ١٠٨ ، ابن قاسم الدرر ٨/ ٩٩، ١٠٠ من رسالة الشيخ الى محمد بن عيد-أحد أئمة المساجد فى ثرمداء كما قال عن البدو: (انهم يقولون ان كتاب الله عند الحضر وأنهم عائفوه ومتبعون ما أحدث آباؤهم مما يسمونه الحق ويفضلونه على شريعة الله) والسبب أن الحضر يحتكمون الى هذه الشريعة.

وهى أن من أسباب كفر بعض البادية وبعدهم عن الدين كون الحضر متمسكين به مما يعطى دليلا بأنه لو كانت الأوضاع الدينية كما صورتها تلك المصادر لما أثنى امام هذه الدعوة نفسه على الحياة الدينية عند حضر نجد، قال الشيخ فى رسالته تلك " وأعظم وأطم أنكم تعرفون أن البادية قد كفروا بالكتاب كله وتبرءوا من الدين كله واستهزءوا بالحضر الذين يصدقون بالبعث وفضلوا حكم الطاغوت على شريعة الله واستهزءوا بها مع اقرارهم بأن محمدا رسول الله وأن كتاب الله عند الحضر لكن كذبوا وكفروا واستهزءوا عنادا (١)".

وتأكيدا لقول الشيخ هذا فقد أثر فعلا عن بعض البدو فى فترات الجهالة سواء منها ماكان قبل الدعوة أو ما يعقب الانتكاسات التى تعرضت لها الدولة السعودية فى دوريها الأول والثانى، أثر عن بعض هؤلاء البدو تندرهم على الحضر بتمسكهم بتعاليم الدين الحنيف حيث يطلقون على الحضر عموما بعض الصفات (كمقومي الصلاة) وعلى الحضرى (مصلي الخمس) والمقصود الصلوات الخمس وربما كانت هذه الصفات قد أطلقت ابتداء من بعض عقلاء البدو لمدح الحضر وذم من كانوا غير متمسكين بالدين من البدو ثم أصبحت تندر وسخرية من بعض البدو على الحضر (٢).

وفى هذا الصدد كان الشيخ رحمه الله حريصا على التأكيد **بأن حضر**

---

(١) الشيخ محمد : المصدر السابق ٢٠٩، ابن غنام ١/١٦٣، ١٦٤، ابن قاسم ٨/٨٥ من رسالة الشيخ الى أحمد بن ابراهيم امام مسجد مرات فى الوشم.

(٢) الأزهار النادية ٤/١٢، ابن خميس : الأدب الشعبى فى جزيرة العرب ط (٢) مطابع الفرزدق ، الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ص ٣١٥، صحيفة الرياض عدد ٥٤٢٤ فى ٩/٧/١٤٠٣هـ ص ١٥، وكان بعض البدو يستنكفون من تسمية أبنائهم بأسماء الحضر التى أغلبها أسماء الأنبياء ، وترمز الى الاتباع لهم. (ابن بليهد : صحيح الأخبار ٤/٧٧، مجلة العرب جـ ١/س٨ رجب ١٣٩٣هـ ص ٢٦) الا أن هذا ليس حكما عاما فمن يتتبع أسماء بعض الأسر البدوية يجدها تتسمى باسماء الانبياء وتسمى أبناءها بذلك.

نجد قبل الدعوة كانوا يعرفون كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويلتزمون بهما على تفاوت فيما بينهم فى هذه المعرفة والالتزام ولو كانوا كما صورتهم بعض المصادر التاريخية ومن حذا حذوها بعد ذلك لما أكثر الشيخ الحديث عن كفر البوادى وكرههم للدين لأن الحضر متمسكون به ولا شار الى مظهر سيئ واحد من المظاهر الدينيةعلى أنه شامل للبدو والحضر خاصة وأن الشيخ كان يركز على نقد الحياة الدينية عند البدو مؤكدا فىأكثر من رسالة شخصية الى بعض العلماء وأئمة المساجد فى نجد ،وفى عدة تقريرات له فى بعض كتبه ،على أن بدو نجد قبل الدعوة **كانوا** على العموم **يعيشون** جاهلية جهلاء سواء فيما يتعلق بالعبادات أو المعاملات التي يتحاكمون فيها الى العرف ،وأن الحضر فى الغالب على النقيض من ذلك فى كثير من مظاهر الحياة الدينية.(١)

والباحث فى مؤلفات الشيخ ورسائله الشخصية يلمح بوضوح عدم تعرضه للحياة الدينية عند حضر نجد بأى ذم عدا بعض الاشارات التى سبق ذكرها فى مجال العقيدة والعمل لدى بعض الأفراد والفئات فى منطقة معينة ، أو لدى أفراد فى مناطق أخرى من نجد بدت منهم المعارضة بعد أن فقد الشيخ كل وسيلة لضمهم لصف الدعوة ،فكان أن وقف أمام ذلك عنادهم ورغبتهم فى عدم الانصياع لما جاء به الشيخ من الحق .

وعلى العكس من ذلك فقد أشار الشيخ فى رسالة شخصية له أرسلها لأحد علماء المدينة أنه لا ينقم على بعض الناس فى نجد بشئ فيما يتعلق

---

(١) الشيخ محمد : مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم٣٩-٥٠ ، الرسائل الشخصية ٢٥، ٢٦، ٢٠٩، ٢٣٥-٢٣٧ ابن غنام ١/ ١٠٨، ١٦٣، ١٦٤، ابن قاسم : الدرر ٨/ ٨٥، ٩٩، ١٠٠ ،رسالة الماجستير للباحث،الفصل الأول من الباب الثانى (ملامح الحياة الدينية فى بادية نجد قبل الدعوة ص ١٩٩-٢٠٨).

بشرائع الاسلام من صلاة وصوم وزكاة وحج بل هم ملتزمون فيها ولكنه كان حريصا على شمول ذلك الالتزام لقطاع عريض من المجتمع ومعاقبة المتخلف عن أدائها أو **المعارس** لبعض المخالفات الشرعية، فقال بعد **الحمد لله** والثناء على المرسل اليه: " وان سألت عن سبب الاختلاف الذى هو بيننا وبين الناس فما اختلفنا فى شئ من شرائع الاسلام من صلاة وزكاة وصوم وحج وغير ذلك ولا فى شئ من المحرمات، الشئ الذى عندنا زين هو عند الناس زين، والذى عندهم شين هو عندنا شين الا انا نعمل بالزين ونغصب الذى يدنا عليه وننهى عن الشين ونؤدب الناس عليه" (١).

ان هذا النص يعطى دليلا آخر على تمسك فئة لايستهان بها من النجديين بشرائع الاسلام والابتعاد عن المحرمات، وأن الشيخ نفسه كان يرى أن هذا يمكن أن يشكل أرضية جيدة نحو شمول مثل هذه المظاهر الحسنة للمجتمع كله عن طريق تعليم الجاهل وتأديب المعاند.

وتتوالى صور ثناء الشيخ على مظاهر الحياة الدينية عند حضر نجد قبل الدعوة لتقرر حقيقة تمسكهم بتلك العبادات لكنها تنعى فى الوقت نفسه على بعض حضر نجد انقلاب تلك العبادات لديهم الى عادات، ولا شك أن الشيخ كان يهدف من وراء نعيه لصيرورة هذه العبادات عادات الى نقد هذه المظاهر الحسنة فى الحياة عند حضر نجد تمهيدا لتوجيهها **نحو حكمتها والهدف** من تشريعاتها وتحقيق التوحيد من جراء القيام بها، وهذا يرينا الى أى مدى كان وعي الشيخ محمد رحمه الله قويا فى نقده للأوضاع الدينية فى نجد، وأنه كان يؤمن بوجود مظاهر حسنة فى الحياة الدينية عند الحضر

---

(١) الشيخ محمد : الرسائل ٤٤، ابن قاسم: ١/ ٤٣، ومعنى قول الشيخ " ونغصب الذى يدنا عليه" نقسر ونرغم الذى لنا سلطة عليه فنلزمهم بالزين.

لا تحتاج الا الى ايقاظ الناس نحو روحها وحكمتها والهدف من تشريعاتها ، وما من شك أن شخصا نشأ على عبادة الله عز وجل لابد أن يتوافر لديه الاستعداد لتلك النقلة الهامة التي يريد امام الدعوة ايصاله اليها بفهم هذا الحكم لابراز هذه العبادات وهى الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر، وقبل هذا وذاك تحقيق العبودية والتوحيد من هذه الصلاة، يقول الشيخ فى هذا :" فاعلم أن أهمها وأولاها - ويقصد أركان الاسلام - الشهادتان وما تضمنتا من النفى والاثبات من حق الله على عبيده، ومن حق الرسالة على الأمة، فان بان لك شئ من ذلك ما ارتعت (١) وعرفت ما الناس فيه من الجهل والغفلة والاعراض عما خلقوا له وعرفت ماهم عليه من دين الجاهلية وما معهم من الدين النبوى ، وعرفت أنهم بنوا دينهم على ألفاظ وأفعال أدركوا عليها اسلافهم نشأ عليها الصغير وهرم عليها الكبير، ويؤيد ذلك أن الولد اذا بلغ عشر سنين غسلوا له أهله وعلموه ألفاظ الصلاة وحيي على ذلك ومات عليه" (٢).

---

(١) ما ارتعت: من الروع وهو الخوف

(٢) الشيخ محمد : الرسائل الشخصية ١٧٠، ١٧١، ابن قاسم : الدرر ١/ ٧١، وما من شك أن الشيخ كان حريصا على استثارة همم المخاطبين لتنقلب عاداتهم فى الشعائر الى عبادات بمفهومها العام حتى يستعدوا للسؤال فى القبر وعند العرض ولهذا قال بعد هذا النص:" فما ظنك به اذا وضع فى قبره وأتاه الملكان وسألاه عما عاش عليه من الدين بماذا يجيب ؟ : " هاه هاه ، لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلته" وماظنك اذا وقف بين يدى الله سبحانه وسأله : ماذا كنتم تعبدون ، وبماذا اجبتم المرسلين ، بماذا يجيب؟ رزقنا الله واياك علما نبويا وعملا خالصا فى الدنيا ويوم نلقاه.
فانظر يارجل حالك وحال أهل هذا الزمان أخذوا دينهم عن آبائهم ودانوا بالعرف والعادة".

ويمكن فهم كلام الشيخ هنا على أنه يصور حرص حضر نجد على اقامة الصلاة مما يعطى بعض التصور كذلك على كونهم متمسكين بأركان الاسلام منفذين لتعاليمه وان لم يكن هذا التمسك كما هو بعد قيام الدعوة فقد كون أرضية جيدة لانتشار هذه الدعوة فيما بعد بما لقيته من قبول من كافة حضر نجد توارت من أمامه كل فئات المعارضة المحلية .

وبالاضافة الى ذلك فان أغلب المصادر المحلية سواء كانت تاريخية أم غير تاريخية مؤيدة للدعوة ، أم غير مؤيدة ، علاوة على سير أعلام فقهاء نجد وقضاتها قبل الدعوة ، كل هذه المصادر تبرز نجدا على أنها حظيت بكم وافر من العلماء الذين كان قسم كبير منهم يتحلى بالتقوى والورع ، ولئن لم يقم بعضهم بالتوجيه والاصلاح وتحمل الأذى فى سبيلهما كما فعل الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فقد كان لاحكامهم الفقهية وفتاويهم فى العبادات والمعاملات الأثر الأكبر فى بقاء المجتمع النجدى الحضرى محتفظا بالكثير من العبادات والمعاملات المتفقة مع أحكام الشرع ذلك أن هؤلاء العلماء كانوا مطلعين على بعض كتب السلف الصالح من أهل السنة والجماعة ، وقد حفل مجموع المنقور وغيره من المجاميع الفقهية قبل الدعوة ببعض التقريرات الفقهية المنقولة من كتب هؤلاء المحققين الحريصين على احياء السنة واماتة البدع (١) وان لم يصل ذلك الى مستوى الشيخ الذى كان حريصا منذ مرحلة الطلب على الاستنارة بأفكار هؤلاء المحققين من السلف

---

(١) لقد أورد المنقور فى مجموعه عددا من النقول عن شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وخصوصا فى التحذير من بعض البدع (١/٨ - ١٠ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٣٢-٣٦ ، ٣٩ ، ٥٧ ، ٦١-٧٤ ، ٨١ ، ٨٥ ، ١١١ - ١١٥ ، ١٣٣) وهذا على سبيل المثال والا فالكتاب ملئ بالنقل من كتب هذين المحققين وخاصة منسك ابن تيمية وفتاويه واعلام الموقعين لابن القيم كما نقل بعضا من رد " ابن عبد الهادى على السبكى فى معارضته لابن تيمية فى عدد من القضايا (١/٤٨٦-٤٩٠)

الصالح ، ومن هنا فقد جاءت تقريرات علماء نجد قبل الدعوة متفقة في غالبها مع أفكار هؤلاء المحققين علاوة على ما كانوا يجتهدون في بعض القضايا التي لها طابع اجتماعي خاص بالمنطقة مما كان له أبلغ الأثر في تأهيل قطاع عريض من هذا المجتمع لقبول الدعوة السلفية والتفاني في الجهاد لنشرها (١) ، ومن هنا يفهم سر امضاء الشيخ لكثير من أحكام بعض علماء نجد قبل الدعوة كما مر ، ولولا تلك السلبية التى اتسم بها هؤلاء العلماء في عدم انكار المنكرات لما تمكنت تلك الشركيات والبدع والمخالفات الشرعية من التغلغل في أوساط بعض الفئات والأفراد ، ولقام كل هؤلاء العلماء بمؤازرة الشيخ وضم أيديهم الى يده ولتضافرت جهودهم مع جهد الشيخ في سبيل الاصلاح والتجديد اللذين ينشدهما الا أن تردى الأوضاع الأمنية وسطوة بعض أمراء البلدان كانا من أبرز أسباب تلك السلبية بين هؤلاء العلماء (٢) .

وتصور بعض تلك المصادر كذلك أغلب حضر نجد على أنهم حريصون

---

(١) يقول الدكتور عبد العزيز الخويطر في مقدمة تحقيقه لتاريخ المنقور ص ٢٣ ، " وما الذهلان والمنقور وأمثالهما الا توطئة لما انبلجت عنه الدعوة السلفية حفظوا التراث ، وأبقوا صلة العلم ، ما **أمكنهم الجهد وما** سمح لهم به الوقت **والظرف**" .

(٢) لعل أبرز ما ذكره المؤرخون عن سطوة بعض هؤلاء الأمراء وتدخلهم في شئون القضاء عزل محمد بن حمد بن معمر الملقب خرفاش (قتل ١١٤٢هـ/ ١٧٣١،٣٠م) للشيخ عبد الوهاب بن سليمان - والد الشيخ محمد - عن قضاء العيينة سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧،٢٦م فرحل الشيخ عبد الوهاب الى حريملاء ولا تعطينا المصادر سببا لهذا العزل ، وربما كان الشيخ عبد الوهاب يقوم بنقد بعض الأوضاع السيئة في العيينة كما سبقت الاشارة الى تعرضه لبعض البدع والخرافات بالنقد الشرعي ، علاوة على ما أثر عن الشيخ عبد الوهاب من حدة في **نقده لمخالفيه** (الفاخرى : ١٠١ ، ١٠٢ ، ابن بشر ٢/ ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ابن حميد : السحب ورقة ١٥٥ ، البسام : تحفة المشتاق ورقة ١٠٤ ، ١٠٥ ، ابن عيسى ١٠١ ، ١٠٢) .

على تنفيذ سنن الدين وواجباته من خلال تلك الاستفتاءات التي زخرت بها الكتب الفقهية والتي تدل على حرص هؤلاء على أن تكون أعمالهم مطابقة للشرع بسؤال أهل الذكر والعلم عما لا يعلمونه، ويرى الباحث في تلك الاستفسارات شمولها لأغلب مناطق نجد، ومرد ذلك كون نجد تشكل وحدة اجتماعية تتماثل عاداتها وتقاليدها (١)، كما أن شمول تلك الاستفسارات لكافة الشعائر التعبدية وأساليب التعامل الاجتماعي يعد دليلا على أن قسما من حضر نجد كان يعيش على فطرة الاسلام وأنه متلهف لتشجيع أي محاولة تهدف الى تطبيق أحكام الاسلام بصفائه في المجتمع النجدي **بأكمله في كافة** مجالات الحياة وهو الذي قامت به الدعوة السلفية (٢).

وتعطي وثائق الأوقاف الخيرية سواء تلك التي ضمتها بعض **المجاميع الفقهية أم تلك التي** وجدت لدى بعض الأفراد (٣)، تعطي هذه الوثائق دليلا على توافر عناصر الخير لدى حضر نجد واحتساب أجره عند الله عز وجل مما أوجد في المجتمع النجدي تكافلا اجتماعيا **واستعدادا لفعل الخير وكانت هذه الأوقاف شاملة لكافة مجالات الخير من**

---

(١) ورد للشيخ عبد الله بن ذهلان سؤال من عنيزة في القصيم عن أحد الأوقاف الشخصية فيها كما ورد سؤال من القصيم للشيخ محمد بن اسماعيل كما أفتى الشيخ ناصر بن محمد بن عبد القادر بن مشرف في وقف من قرية صبيخ، وقد أوجد الثقل العلمي لمنطقة العارض طبقة من الفقهاء سموا (فقهاء العارض) كانت ترد اليهم الأسئلة من مختلف البلدان النجدية (**المنقور ١/ ٢٧٥، ٤٩٨**، ١٠٥٠١، ٢/٣٨٦) وكانت الأسئلة ترد من القصيم خاصة قبل رحيل الشيخ عبد الله ابن عضيب الى المذنب فعنيزة حيث سكن وتوفي فيها كما مر، (الدارة ع ١ س ٤/ ص ٢٥).

(٢) المطلع على مجموع المنقور يجد أن كل باب من أبواب الفقه لا يخلو من عدة استفسارات في العبادات والمعاملات.

(٣) هناك مبحث عن التكافل الاجتماعي في نجد قبل الدعوة ضمن الباب الرابع وفيه عرض لبعض هذه الأوقاف.

رعاية لليتامى والمساكين والأرامل والمنقطعين للعبادة والاطعام فى أوقات المجاعات وعلى البدو والحضر، وتوفير أكفان للموتى من الفقراء الذين لم يوفروا لأنفسهم ذلك أو لم يستطيع وارثهم أو أحد أقربائهم توفير ذلك، هذا بالاضافة الى الأوقاف الخاصة ببناء المساجد والنفقة على الامام والمؤذن وتفطير الصوّام للفرض والنفل، ونسخ الكتب، وقراءة القرآن الكريم وحفظه، وحفر الآبار لسقيا الناس، أو بناء البرك والمساجد قرب الآبار الزراعية للغرض ذاته، والوقف على الحرم المكى أو المدني بارسال ثمر النخل الموقوف والتأجير على ايصاله بسهم منه، أو يباع كله ثم يقسم ثمنه فى مكة أو المدينة.(١)

وما من شك أن تطرق الأوقاف لهذه السبل الخيرية كان على قدر ما تسمح به الظروف الأمنية والاقتصادية التى كانت كثيرا ما تضيق على هذا المجتمع(٢) ولكنها على أى حال كانت مظهرا من المظاهر الايجابية للحياة الدينية عند حضر نجد قبل الدعوة لأن هذه الأوقاف تنطلق من منطلق ديني خالص

---

(١) انظر نص وصية صبيح ووصية صقر بن قطام، ووصية رميثة بن قضيب والدراسة عنها من قبل الأستاذ عبد العزيز بن فيصل المبارك، مجلة العرب جـ ١/ س ٢ رجب ١٣٨٧هـ (تشرين أول ١٩٦٧م ص ٥٦-٥٩، جـ ٦/ س ٢ - ذو الحجة ١٣٨٧هـ/ آذار ١٩٦٨م ٥٥٤-٥٦١، وانظر المنقور: الفواكه ١/ ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٧٣، ٤٧٦، ٥٣٣، ٥٤١-٥٤٥، ٥٥٣، ٥٥٦، ٥٥٨ وعموما فكتاب الوقف فى الفواكه ١/ ٤١٣ - ٥٥٩ مليئ بمجالات الخير التى طرقتها الأوقاف النجدية من خلال بعض الاستفسارات من أهل نجد والفتاوى من علمائها.

(٢) بل كانت بعض الأوقاف تصرف فيما ينجم من أضرار اقتصادية واجتماعية كالجراد والامطار الغزيرة (مجلة العرب جـ٦/ س ٢ ص ٥٥٤ ٥٥٧ من وصية صقر بن قطام).

باحتساب الأجر والثواب من الله عز وجل ، ولئن كان لها بعض المظاهر السلبية التي مر ذكر جانب منها وسيأتي الحديث عن بعضها في بحث وضع المرأة ان شاء الله ، الا أن هذه الأوقاف كذلك قد أفادت المجتمع النجدى باحتفاظه بعناصر الخير الموجهة توجيها دينيا ، وأفادت الدعوة السلفية التي جاءت لتجديد ما اندرس من الدين ، واتمام ماكان عليه هذا المجتمع من مكارم الأخلاق .

أما الشعر الشعبى - وهو مصدر تاريخى لتلك الفترة - فقد صور جانبا من الحياة الدينية عند حضر نجد كما سبق ذكر بعض من ذلك في المظاهر السلبية ، وهو هنا يزيد الصورة ايضاحا عن الحياة الدينية بجوانبها الحسنة والتى من أبرزها العناية بالقرآن الكريم بتجويد قراءته وحفظه ، فكما كانت بعض الأوقاف تخصص لهذا السبيل ، فقد كان بعض النجديين يفرّغ أولاده لذلك ممن كانت صحته لا تحتمل الكد والنصب ، أو كان يلقى من أهله محبة أكثر وودا أعظم ، وقد صوّر هذه الحقيقة عبد المحسن **الهزاني** حين يقول عن محبوبته : (١)

له حاجبين قدزهاها القرانا ومعلمسيه من غلاه القرانا

ويصور **الهزاني** كذلك تكثيف العبادة لله عز وجل في شهر رمضان المبارك بأداء التراويح وملازمة المساجد والانقطاع للعبادة خاصة في ليالي

---

(١) محمد سعيد كمال : الأزهار النادية ٣١/١٢ ، عبد العزيز الشنار : مختارات من الشعر الشعبي لمشاهير شعراء مدينة الحريق ص ٤٠ ، ولما كان الشعر الشعبى لا يتقيد بقواعد اللغة العربية فقد جاءت الحاجبان مجرورة والمفروض أن ترفع فيقال له حاجبان ولايختل وزن البيت اذا رفعت ، زهاها : زانها ، القرانا : بكسر القاف شعر الحاجب ، غلاه : حبه ، وقد قال بعد هذا البيت مباشرة :
لو ان مجلى الثنايا القرآنا أبو ثليل فوق الامتان سباح
ففى القرانا **بكسر القاف** بمعنى شعر الحاجب وفى القرانا بضم القاف : كلام الله عز وجل ، وفى القرانا بفتح القاف بمعنى المقترنين فيها جناس تام مماثل ، وهذا دليل على جزالة الشعر الشعبي فى تلك الفترة اضافة الى سهولة نطقه بالفصحى .

هذا الشهر الكريم، ولئن كان الشاعر قد جاء بهذه الصورة ليبين أسلوب **وصاله بحبيبته** فانه كذلك يرينا الى مدى كان قسم من النجديين يفرغ نفسه من سائر أعماله الدنيوية لهذا الموسم الكريم حتى أن بيوتهم تخلو منهم فى ليالى هذا الشهر المبارك رجالا ونساء، يقول **الهزاني** فى ذلك :

الى جوا للمسجد بليل يصلون فانا المجمول الحلايا توليت

قامت تواعدنى بشهر يصومون ساعة يصلون التراويح فانت ايت (١)

والأبيات التالية لهذا الشاعر ترينا الى أن **الهزاني** رغم ما اشتهر به من اسفاف فى غزله فقد اشتهر بالعفاف ومن ثم فان البيتين السالفين واشباههما فى شعره لا تعدو أن تكون خيال شاعر ولهان لكنه عفيف، أما الأبيات التالية فتعد من أبرز القصائد الوعظية فى الشعر العامى النجدى قبل الدعوة اذ أنها تحث على اتباع سبيل الخير والابتعاد عن طرق الهوى والشر وضرورة الاستعداد للرحيل من هذه الحياة الفانية، والتأكيد على أداء صلاة الوتر، قال فى ذلك : (٢)

سرح القلب فى عشب روض الندم وامزج الدمع من جفن عينك بدم

واغتنم يافتى صحتك والفراغ فان لابد ذو صحة من سقم

---

(١) محمد كمال : المرجع السابق ١٢/١٩، عبد العزيز الشنار ٣٠، الى : اذا، جوا : تخفيف جاءوا، المجهول الحلايا : جميل الصفات، توليت قصدت، ايت: مخففة من ائت أى تعال .

(٢) فى البيت الأول التأكيد على الندم على فعل المعاصى باعتباره سبيلا للخلاص منها، وانظر الى تصويره الرائع لجو الندم بالروضة الفناء المعشبة باطايب الحشائش البرية التى فيها غذاء طيب وروائح زكية وشبه قلب الانسان الذى لابد وأن يكون قد مارس المعصية - فهو محتاج للتوبة والندم - بالبهيمة الجائعة التى تحتاج من صاحبها أن يسرح بها فى هذه الأعشاب الممرعة، وهو فى هذا يريد أن يصور الراحة النفسية التى تعقب الندم الذى يتلو ارتكاب أى معصية، أو عدم فعل أى طاعة، ثم فى الشطر الثانى يريد أن يؤكد أن هذا الندم لا يتأتى بالكلام أو النية فقط بل لابد من أن تصاحبه مظاهر تدل عليه من شدة البطاء على فعل الذنوب حتى تنتهى دموع العين وتختلط بدماء الجفون من كثرة عركها وتقرحها، والمقصود المبالغة فى الندم من الذنوب

وأحبس النفس عن تبع طرق الهــوى	قبل أن يافتى بك تزل القـدم (١)
اترك الغي وامسك بكف الهـدى	العروة اللى أبد قط ماتنفصم (٢)
والبس أردان جنح الدجـى	واوتر لربك وارتهب واستقم (٣)
ثم صل أربع باربع يافتـى	ثم بعد هن بالوتر اختتم
ثم بعد الفراغ اسأله : يامـن	أوجد سبع وسبع بعد العدم (٤)
جامع الناس ابيوم لا ريب فيـه	جابر العظم من بعد ماينفصم (٥)

---

(١) فى هذين البيتين تأكيد على اغتنام أوقات الصحة والفراغ قبل الشغل والسقم، وقد وردت الفراغ فى الأزهار النادية، كذا وعند الشنار (الفراق) ويبدو أن راوى القصيدة من سكان شرق شبه الجزيرة الذين يقلبون الغين قافا وربما نقلا هذه القصيدة من خيار مايلتقط للحاتم، بك تزل القدم : كناية عن الكوارث والمرض والموت. وفى البيتين اقتباس معنوى من الحديث الذى رواه ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل وهو يعظه : (اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك) أخرجه الحاكم وابن المبارك فى الزهد بسند صحيح (أحمد بن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٢٤/١٠).

(٢) فى هذا البيت اقتباس معنوى من قول الله عز وجل : (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها والله سميع عليم) آية ٢٥٦ من سورة البقرة.

(٣) فى قوله : والبس اردان جنح الدجى : كناية عن التهجد فى وسط الليل وآخره.

(٤) فى قوله : اسأله : يامن : اى اسأله وقل يامن، أوجد سبع وسبع المقصود السموات السبع والأرضون السبع.

(٥) فى قوله :" جامع الناس ليوم لا ريب فيه" اقتباس لفظي من قول الله سبحانه وتعالى :" ربنا انك جامع الناس ليوم لاريب فيه . انك لاتخلف الميعاد" آية ٩ سورة آل عمران، والألف قبل بيوم يدخلها عامة نجد على أول الكلمة توصلا للنطق بالساكن، كما أنهم قد يتركون الألف فى أوائل بعض الكلمات تسهيلا عن قطعها بالسكون مثل (أهل تنطق (هل) . وعن الأبيات : خالد الحاتم : خيار مايلتقط ١٨٧/١، ١٨٨، محمد كمال : المرجع السابق ٤٢/١٢ - ٤٤، الشنار: المرجع السابق ٤٩، ٥٠.

ودالية **الهزاني** التالية تصور قطاعا من مجتمع حضر نجد قبل الدعوة مؤمنا بحقيقة حياة البرزخ بعد الموت والعرض على الله **سبحانه** وتعالى يوم القيامة كما وردت فى الكتاب والسنة ومجازاة أهل الأعمال على قدر أعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر، يقول الهزانى فيها :

أبى الله مايبقى من الخلق واحد	وكل نعيم ماسوى الخلد نافد (١)
لكل امرىء فيها مقام وينقضي	وكل عمل ماهوب لله فاسد (٢)
الى اغتالنا حمّال الارواح للبلى	وجدنا لنا عما اكتسبنا ناشد
الى ماظهرنا جملة من قبورنا	معا كل نفس سابق ثم شاهد (٣)
سيقوا هل التقوى من الله برحمة	لهم سيد الكونين هاد وقايد
الى جنة عليا رفيع مقامها	لذيذ ومن تحت الآرايك مساند
وحور حسان كن صافى خدودها	قطع صافى بلور به التبر جامد (٤)
وسيقوا هل الشرك والظلم والبدع	بكرب الى حامي وطيس الوقايد (٥)

---

(١) هذا البيت أبلغ من بيت لبيد بن ربيعة العامرى (ت ٤١هـ/ ٦٦١م) الذى يقول فيه :

ألا كل شيء ماخلا الله باطل   وكل نعيم لامحالة زائل

اذ يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " كذب لبيد بل نعيم الجنة لا يزول" أو كما قال صلى الله عليه وسلم فكأن **الهزاني** قد ضمن بيته استدراك رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيت لبيد فقال : كل نعيم ماسوى الخلد الذى هو نعيم الجنة نافد أى زائل

(٢) فيها : أى فى الدنيا ، ماهوب : ماهو : ليس والباء زائدة ، حمّال الأرواح : ملك الموت ، البلي ، الفناء ، ناشد : سائل

(٣) فى هذا البيت اقتباس لفظي من قول الله سبحانه وتعالى : " وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد" آية ٢١ سورة ق .

(٤) فى أول هذه الأبيات الثلاثة اقتباس لفظي ومعنوى من قوله عز وجل : " وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين" آية ٧٣ من سورة الزمر، وفى بقية الأبيات ذكر لبعض أوصاف الجنة ونعيمها الذى ورد فى كثير من الآيات والأحاديث.

(٥) فى هذا البيت اقتباس لفظي ومعنوى من قول الله سبحانه وتعالى " وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم

(=)

فياويلنا من حشرنا يوم نشرنا … آه لنا من مانبي له انكابد (١)

يسوقوننا سوق ولا يرحموننا … لفصل القضا جد واحد بعد واحد (٢)

وانت يارب قلت: (ألست بربكم) … بلى شهدنا انك الله واحد (٣)

رحمن فى الأرضين والبحر والسما … وبالغيث غثنا عند كرب الشدايد

وفى هذا الصدد يبين جبرين سيار (٥) جانبا من مفهوم الثواب والعقاب من الله عز وجل حيث يقول :

(=) لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين" آية ٧١ سورة الزمر، ولعل فى اشارته الى أهل البدع مايوحى الى أن قسما من أهل نجد يتمتع بصفاء عقدى لابأس به وأنهم غير مؤيدين لبعض البدع والخرافات فى المنطقة متحينين الفرصة للانضمام لأى حركة تهدف الى تصحيح العقيدة.

(١) فى هذا البيت تصوير لاجتماع الناس فى عرصات يوم القيامة للحشر، مما نبى له انكابد : أى مما سوف نكابده من الأهوال .

(٢) جوا : جاؤا .

(٣) فى هذا البيت اقتباس لفظى من قول الله سبحانه وتعالى : " اذأخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذاغافلين" آية ٧٢ سورة الأعراف .

(٤) عن الأبيات السابقة : الحاتم: المرجع السابق ١/ ٢٠٢، ٢٠٣، محمد كمال : المرجع السابق ١٢/ ٨٥ - ٨٧، الشنار ٨٤-٨٦

(٥) هو جبر بن سيار بن حزمى وقيل ان حزمى والده من السيايرة من الجبور من بنى خالد وعلى هذا فهو قريب للشاعر حميدان الشويعر تولى امارة القصب أواخر القرن الحادى عشر الهجرى وهو خال الشاعر المعروف رميزان بن غشام آل أبى سعيد التميمى أمير روضة سدير وقد حفظ لنا الشعر الشعبى عدة محاورات بين رميزان وأخيه رشيدان وخاله جبر، كما عاصره حميدان الشويعر وطلب شفاعته لدى عبد الله بن معمر حينما أهدر دمه وهذا دليل على تقدير ابن معمر لجبر، كف بصره أواخر عمره وقيل فى سبب ذلك أنه قبل امرأة وهى تحاول تقبيل الحجر الأسود فدعت عليه بالعمى فعاقبه الله على ذلك، عمّر طويلا وقد جمع نبذة فى أنساب أهل نجد قيل توفى

(=)

والله عنده الجنان منـــــازل   قصور وحور كالبدور الكمّـــل
يجزى بهن من طاع يوم اللقـــا   ومن ضل يجزى النار بيس المنزل (١)

وكانت محبة أهل الدين المخلصين من المظاهر السائدة عند حضر نجد فيقول حميدان الشويعر:

ولا فاه من فاهى على الغير كلمـــة   حذا حب من أحيا من الدين دراسه
وأنا كنت للدين الحنيفى تابـــع   قولى لفعلى فيه والحق آنســه (٢)

وكان وقار أهل الدين وسمتهم من الأمور المحببة فى هذا المجتمع وفى هذا المجال يقول أحد الشعراء مجاوبا جبر بن سيار الذى كان يشتكى ظهور آثار المشيب عليه

يشتكى الشيب والشيب فيه افتخـــار   مع وقار هل الدين ينبونـــه
ثواب المشيب ياجبر أمر عظيـــم   قسمة الشيب بالعز مضمونـة (٣)

(=) سنة ١١٢٠هـ/٨ر١٧٠٩، وقيل سنة ١٠٨٥هـ/٧٤ر١٦٧٥م، (عبد الرحمن المغيرى: المنتخب ٣٩٦، البسام: علماء نجد ٥٤٢/٢، الحاتم: ١/ ١٢٥-١٣٦، محمد القاضى روضة الناظرين ٣٦٧/٢، حمد الجاسر: معجم أنساب الأسر المتحضرة ١/ ٤٢٣ - ٤٢٥، ٤٦٤، أبابطين ١٠٤-١١٠)

(١) من طاع: من أطاع، بيس: بئس: وعن البيتين: أبابطين ١٠٨ وفيه خطأ مطبعى فى بيس حيث رسمت بين، الحاتم ١/ ١١٠، ووجد حرف فى بين طاع ويوم اللقا عند الحاتم وأسقطت أو هكذا أصلها عن أبابطين.

(٢) ولافاه من فاهي: أى ولا خرج من فـمي، **حذا: غير أو الا** ويوحى هذا البيت بقيام أشهر أمراء آل معمّر عبد الله بن محمد بن معمّر ممدوح الشاعر فى هذه القصيدة ببعض الاصلاحات الدينية المحدودة وربما كان ذلك بتأثير بعض علماء العيينة المعاصرين له، قولي لفعلى الخ: أى قولى مطابق لفعلى فيه والحق اتبعه وأرتاح لهـ عن البيتين: خالد الفرج ديوان النبط ١/ ٥٦، الحاتم ١/ ١٤٤، ابابطين ٦٩، محمد كمال ٩/ ٤٠، وقد وردت فاه **عند أبابطين** والحاتم فاض.

(٣) مع وقار هل الدين ينبونه: أى ينادونه مع أهل الدين بوقارهم، وهذا البيت شبيه بقول الشاعر:

(=)

وينظر النجديون الى الدين على أنه أغلى مكاسب الانسان فى هـــذه الحياة باستعداده لما بعدها لأن هذه الحياة كماء أنزله الله من السمـــاء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح ، وفى هذه النظرة يقـــول حميدان :

النفس ان جت لمحاسبهـــــا فالدين خيار مكاسبهـــــا
كانك للجنة مشتـــــــاق تبغى النعيم بجانبهـــــا
والدنيا روضة نــــــوار صيور الريح تطير بهـــــا
وان جاك من الدنيا طـــرف فاشكر مولاك الموجبهـــا (١)

(=) تمنيت أن الشيب عاجل لمتى وقرب منى فى صباى مـــزاره
فآخذ من عصر الشباب نشاطه وآخذ من عصر المشيب وقـــاره
وشبيه بقول الشاعـر :
عيرتنى بالشيب وهو وقـــار ليتها عيرت بما هو عـــار
(ابن خميس: الشوارد ، نشر دار اليمامة ، الرياض ١/٢٥٦ ، ٢٥٧)
أما البيت الثانى فأشار فيه الى أجر الشيب فى الاسلام **الذى ورد فى قول رسول** الله صلى الله عليه وسلم : (لا تنتفوا الشيب فانه نور المسلم ، ما مـــن مسلم يشيب شيبة فى الاسلام الا كتب له بها حسنة ورفع بها درجـــة أو حط عنه بها خطيئة) رواه الامام أحمد فى مسنده ٢/١٧٩ ، وعـــن البيتين : الحاتم ١/١٢٩

(١) معنى البيت الأول : **جاءت** فى النفس للمحاسبة على مكسبها وخسارتها فالدين أهم مكاسبها .
ومعنى البيت الثانى ان كنت للجنة مشتاق وتريد النعيم **فيها** ، ويـروى الحاتم والبابطين بعد هذا البيت قوله فى جواب للشرط الذى فـــى أول هذا البيت:
اتبع ماقال الوهابـــــي وغيره بالك تغر بهـــــا
وعلى هذا فهذه الأبيات صدى للدعوى السلفية ويرى بعض المؤرخيـــن أن كلمة (الوهابى) أول اطلاق للوهابية فى نجد على دعـــــوة الشيخ محمد (د . العثيمين ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١١١ ولم يثبت هذا البيت الفرج ولا محمد سعيد كمال .
ومعنى البيت الثالث: الدنيا روضة تزهر وتنور ثم ماتلبث أن تطيـــر بها الرياح وهذا تعبير عن قصر هذه الحياة الدنيا مقتبس من قول اللـه سبحانه : " واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط

(=)

وشعر الخلاوى حافل بتصوير الحياة الدينية بجانبيها السلبي والايجابي فى نجد حاضرة وبادية، وحينما يرى المطلع على شعره بعض الصور الحسنة للحياة الدينية يتملكه الاعجاب من هذه المظاهر التى ما من شك أن قسما من النجديين على اعتقاد فيها فمما قاله فى هذا المجال وهو كثير :

والعبد فى الدنيا للاخطار والفنا	على جرف هار والشياطين واثبة
فسل منه توفيق على الدين والهدى	واخلاص صدق مايرى فيه شايبه
والعبد بالنيات يجزى بما نوى	فى نص قول الله والشرع قال به
ومن عرف ربه يافتى راح نفسه	ودانت له الدنيا وهانت مصايبه (١)

ويقول :

فاجهد وجاهد واغنم الروح يافتي	وحافظ على خمس من الله واجبه
وصلاتك عماد الدين، والدون للملا	ويرفع بها من شاء أعلى مراتبه
صلاة يبين بها الفتى نور وجهه	وتوسيع رزق فى مساعي مكاسبه
ولا راس مال المرء الا صلاته	فان ضاع رأس المال فالحال خاربه
واخشع وفكر عند من انت ترتجي	واعرف بها من انت فيها تخاطبه
وحذرا الريا ياصحبي لا يغرك	من غر جدك وأخرجه من مراتبه (٢)

(=) به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا" آية ٤٥ سورة الكهف
ومعنى البيت الرابع أن جاءك من الدنيا جانب حسن فاشكر مولاك على أن اوجبها لك. عن الابيات خالد الفرج ١/ ٣٥، ابابطين ٧٤ ، الحاتم ١/ ١٤٥، محمد كمال ٩/ ٢٠

(١) معنى البيت الاول : الانسان فى الدنيا معرض للأخطار والموت فهو على جرف هار فيها والشياطين من الجن والانس مستعدون لاغوائه وفى اخلاص وصدق ترادف، شايبه تخفيف شائبه والمقصود نفاق أو رياء ومعنى البيت الثانى يجزى الله الانسان بنيته وهو فى هذا يشير الى الايات والاحاديث الكثيرة التى تؤكد على اخلاص النية، وراح فى البيت الرابع مخففة من اراح

(٢) المقصود فى البيت الأول التأكيد على المحافظة على الصلوات الخمس، وقد اقتبس فى البيت الثانى من الحديث الذى رواه معاذ بن جبل رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه : " أما رأس الأمر فالاسلام فمن أسلم سلم وأما عموده فالصلاة : " الحديث رواه الامام أحمد فى مسنده بسندين مختلفين وروايتين متشابهتين (٥/ ٢٣١ ، ٢٣٧) . ، وأما البيت الثالث فيشير فيه الى الفوائد العظيمة من اقامة

(=)

وكان النجديون يوصون أبناءهم ممن تضطرهم الظروف الاقتصادية للاغتراب عن المنطقة بالبعد عن سلوك سبل الرذيلة والفساد ، والحرص على التقوى واقامة الشعائر التعبدية والتمسك بحسن الخلق ، وفى هذا السبيل يوصي الشاعر محمد أبو دباس (١) ابنه بهذين البيتين ضمن قصيدة طويلة حيث يقول :

يادباس أنا أوصيك عن درب الأدناس ترى الذى مثلك يناظر مسيره
عليك بالتقوى ترى العز يادباس فى طاعة اللي ماينجيك غيره (٢)

(=) الصلاة باضفاء نور على الوجه وسعة فى الرزق أو مايجب أن يكون عليه المصلى بأن يكون له سيماء فى وجهه من أثر السجود ، وفى البيت الخامس والسادس تأكيد على الخشوع فى الصلاة والتدبر فيما يتلى فيها من القرآن والذكر واستشعار الوقوف أمام رب العالمين ومخاطبته بها والحذر من الرياء فيها لأنه من أساليب الشيطان الذى أخرج آدم وحواء من مراتبهما العليا فى الجنة ، عن الأبيات جميعا (ابن خميس : راشد الخلاوى ٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨-٣٣٠)

(١) سبقت الاشارة الى الخلاف فى اسمه وهل هو راشد أو محمد واشتهر بأبى دباس وهو من آل دباس من عودة سدير الذين يرجعون فى نسبهم الى آل **شماس** من آل سابق من الوداعين من الدواسر ، وقد كانت امارة العودة فيهم ويروى أنه لم يذكر لأبى دباس الا تلك القصيدة ولذا سميت اليتيمة كما لم يؤثر لابنه دباس الا تلك القصيدة الجوابية على قصيدة والده ورغم يتم القصيدتين والغموض الذى أحاط بشخصية أبى دباس وابنه فقد كانتا علما واضحا جعل أبا دباس وابنه يسير بقصيدتيهما وقصتهما الركبان ويتناقل خبرهما الرواة فى نجد وغيرها **ومما يذكر** أن تلك القصة وهاتين القصيدتين قيلتا عام ١١٥٠هـ (الفاخرى ١٠٦ ، ١٠٨ ، ابن بشر ١/ ٤٠ ، حمد الجاسر : معجم أنساب الاسر المتحضرة ١/ ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، أبابطين ٣١-٣٥ ، عبد الله الحاتم : خيار ١/ ٢٦٣ - ٢٦٨ ، محمد كمال : الأزهار ١/ ١٩٠ - ٢٠١ ، سعد بن نفيسه : اضامة من التراث ٧٣- ٧٨) .

(٢) درب : سبيل والأدناس جمع دنس والمقصود به هنا الاخلاق الرذيلة ، يناظر مسيره : أى ينظر طريقه والمعنى يسعى لتحقيق هدفه ، ترى بمعنى (لأن) أو (اذ) اللي : الذى ، ماينجيك غيره : أى لاينجيك غيره والمقصود الله عز وجل . عن الأبيات : أبابطين : ٣١ ، الحاتم ١/ ٢٦٤ ، محمد كمال ١/ ١٩١ ، ابن نفيسه ٧٤ ولم يورد الاالبيت الثاني) .

ومرد ذلك ماكانو يتداولونه من أخبار سيئة عن بعض المناطق المجاورة ممن تقصد للعمل أو التجارة من النجديين ، بوجود بعض الانحرافات الخلقية علاوة على وجود بعض الشركيات فى بعضها الآخر وهذا يرينا الى أى مدى كان بعض حضر نجد فى تلك الفترة على وعى بشركيات هذه المناطق مما يعطى انطباعا عن هذه الفئة أنها كانت تعيش على فطرة الاسلام عقيدة وسلوكا وان لم يكن بالصورة التى كان عليها الوضع بعد قيام الدعوة السلفية .

يقول أبو دباس عن احدى هذه المناطق :

عبادة الاصنام شرابة الكاس الخمر والتنباك (١) فيها وغيره

ثم يتحدث عن البصرة التى قصدها ابنه للعمل فيها ومافيها من البدع والخرافات لقربها من المراكز الشيعية فى العراق ، وهو اذ يثنى على الرخاء الاقتصادى فيها بالمقارنة مع الأوضاع الاقتصادية السيئة فى نجد فى تلك الفترة ، فانه ينعي على هذه البلدة وجود بعض مظاهر الشرك والبدع فيها أو حولها ، فكأنه قد قارن بين البصرة ونجد اقتصاديا ودينيا وذلك فى هذه الأبيات التى يقول فيها :

---

(١) التنباك : المقصود به شراب التبغ وسيرد الحديث عنه فى الفصل الثانى (الحياة العلمية وأثرها على الحياة الاجتماعية) لبيان موقف علماء نجد قبل الدعوة منه كما ساتطرق اليه فى مبحث المشرب فى المظاهر الاجتماعية ، ويبدو أن المقصود بهذا البيت من ورد ذكرهم فى البيت السابق له مباشرة الذى يقول فيه :

لو كنت فى نزوى وديرة بنى باس أهل الموازى والوجوه الغبيرة

ثم أورد البيت السابق وقال :

لاركب على وجنا من الهجن عرماس فجا النحر ياادباس حمرا ظهيره

ونزوى بلدة من بلدان عمان ، وديرة بنى ياس : نسبة لقبيلة بنى ياس احدى قبائل ساحل الخليج العربى والمعروف بدولة الامارات العربية حاليا حيث تنقسم الى قسمين : بوفلاح فى أبو ظبى ومنهم أمراؤها وبوفلاسة فى دبي ومنهم امراؤها كذلك (عائشة السيار : دولة اليعاربة ط (١) نشر دار القدس . بيروت ١٩٧٥ م ص ١٤٣) وعن البيت أبابطين : ٣٢ ، الحاتم ١ / ٢٦٤ ، محمد كمال : ١ / ١٩٣ .

الى ا لبصرة الفيحا بها الخير محتاس لولا الكفر والشرك ياوى ديرة
عز الله انها ديرة مالها أجناس لولا بها يعبد مع الله غيره
لولا بها يشرك علي وابن عباس وايضا بها الفاروق سبه بريره (١)

---

(١) الفيحاء لقب للبصرة ، وتطلب على الواسعة من الدور والأرض الخصبة والرياض الغناء ويجوز أن تكون مأخوذة من الفيح بمعنى ظهور الرائحة الزكية اذ لا يقال ذلك فى الرائحة الكريهة ، ويطلق هذا الوصف فى سدير على المجمعة كما يطلق فى القصيم على عنيزة ، وفيحاء مؤنث لفيحان الذى يطلق على بعض المواضع فى نجد ويتفاءل البدو بهذا الوصف فيسمون ابناءهم فيحان وبناتهم فيحاء وفيحة ، محتاس من الحوس والحيس فصيحة بمعنى مختلط والمعنى هنا كثير ومن كثرته يختلط بعضه ببعض **ياوى ديرة وتروى أوى** ديرة كلمة تعجب تعنى ما أمثلها أو ما أحسنها من بلد ، عز الله : قسم مخفف من وعزة الله أجناس : جمع جنس شبيه أى مالها اشباه ، لولا بها يشرك على وابن عباس : يشير الى وجود كثير ممن ينتسبون للمذهب الشيعى فى البصرة وقربها من مراكز الشيعة فى النجف وكربلاء ، أما قوله ابن عباس فلم اطلع على وجود أناس يقدسون عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى البصرة أما فى غيرها فقد وجد أناس كانوا يقدسون قبره فى الطائف قبل ضمه للدولة السعودية الأولى وبيدو أنه أتى به هنا لسياق البيت وأيضا بها الفاروق سبه بريره : بريره من البر والاحسان ، وهو هنا يشير الى بغض الشيعة لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أجل ذلك سموا بالنواصب وتخصيصهم عمر الفاروق رضى الله عنه بالسب والشتم (**الفيروزابادى والزبيدى** باب الحاء فصل الفاء **وباب السين** فصل الحاء ، محمد العبودى : بلاد القصيم مطبعة نهضة مصر ، القاهرة نشر دار اليمامة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨١م ، ٤/ ١٦٤٢-١٦٤٥ ، ٥/ ١٨٨٧-١٨٨٩) وعن الأبيات : أبابطين ٣٢ وروى البصرة : مسقط الفيحاء الحاتم ١/ ٢٦٥ ورواها مسقط كذلك ولكنه رسمها مسكت ، محمد كمال ١/ ١٩٤ ورواها مسقط كذلك ، ابن نفيسه ٧٥ ورواها البصرة ، ورغم أن أغلبية المصادر الشعبية روتها مسقط الا أنى ملت الى رواية ابن نفيسه لأن سياق الأبيات بعدها يؤيدها اذ لم يؤثر وجود شيعة فى منطقة عمان ، ولان ابن نفيسه روى القصة بتفصيل أوفى من المصادر الأخرى وأكد أن دباسا ذهب للبصرة ، وذكر أن تاريخ القصة كان عام ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م .

ولو ذهبت أتتبع الأبيات التى تحمل معان دينية لدى شعراء نجد قبل الدعوة لضاق بى المجال عن مباحث الرسالة الأخرى ، لأن الشعر كان خير معبر عن مشاعر الناس وأحاسيسهم وقضاياهم الاجتماعية فى وقت كانت الكتابة التاريخية محدودة فى رصدها لمجالات الحياة العامة فى المنطقة .

ان هذا العرض لمظاهر الالتزام بالدين الاسلامى عند حضر نجد قبل الدعوة لا يجوز أن يفهم منه - بأى حال من الأحوال - على أنه تقليل للدور الضخم والأثر العظيم لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على جميع مجالات الحياة العامة فى نجد ، ومن أبرزها آثارها الضخمة على الحياة الدينية ، اذ أن تصحيح العقيدة بذلك الشمول الذى أوضحته الدعوة والحرص على اقامة الشعائر التعبدية ومعاقبة المتخلفين عنها ، واقامة الدولة المسلمة لهو فى الحقيقة عمل جليل لا يستطيع القيام به الا ألوا العزم من الرجال الذين يوفقهم الله للاهتداء بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدى لأى عقبة تعترض سبيلهم ، وهذا ماحصل من الشيخ رحمه الله ومن أئمة آل سعود الذين جاهدوا حتى تحققت هذه الدعوة فى عالم الواقع وعلى مستوى الدولة واستطاعوا أن يعيدوا للعقيدة الاسلامية صفاءها ونقاءها ، وأن يظهر هذا المجتمع بالصورة التى يراها المنصف فلا يجدها تختلف عن الصبغة الأصلية للاسلام .(١)

لقد حاولت هذه الدعوة أن تقضي على جميع المصاهر السيئة للحياة الدينية فى مجاليها العقدى وغير العقدى تلك التى نمت خلال العديد من الفترات التاريخية للاسلام بفعل عدة مؤثرات داخلية وخارجية ، وهى محاولة وصلت من الوضوح درجة لا يرقي اليها الشك ، وكان يمكن أن تؤدى مع الزمن الى تحرير أغلب مناطق العالم الاسلامى من جميع الخرافات التى حجبت نور رسالة الاسلام بزيادة التأثير فى الحركات الاصلاحية التى كان للدعوة

---

(١) تاريخ ابن ربيعة ص ٤٨ من مقدمة المحقق الدكتور عبدالله الشبل .

بعض المؤثرات عليها ، وهذه حقيقة أشار اليها عدد من الدارسين لهذه الدعوة المباركة. (١)

انه لا مجال للمقارنة بين تلك الأوضاع الدينية في نجد قبل الدعوة وتلك النقلة الهائلة التي حدثت في هذه المنطقة بعد قيام الدعوة ، ولولا تلك الانتكاسات التي منيت بها الدولة السعودية في دوريها الأول والثاني لانطلقت هذه الدعوة الى مجالات أرحب في العالم الاسلامي ، ولولا ذلك الحقد من بعض القوى السياسية والفكرية ضد الدعوة ، علاوة على بعض الممارسات الخاطئة من بعض أتباع الدعوة الذين لم يفهموا حقيقتها وأهدافها والسبل الكفيلة بتحقيق ذلك ، (٢) وعدم الرصد

---

(١) ليس هنا مجال العرض لأقوال بعض الكتاب والمفكرين عن الدعوة السلفية الا أن رأى الدكتور رضا توفيق بك المستشار الأول للملك عبد الله بن الحسين ملك الأردن الأسبق (قتل ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م) هذا الرأى جدير بالتسجيل هنا لأنه رأى كبير مستشارى الملك عبد الله بن الحسين الذى يعد في ذلك الحين من خصوم الدعوة السلفية ، ولانه تركي وأغلب الأتراك في تلك الفترة لا يكنون للدعوة أى مودة يقول د. رضا : " لم يكن بالامكان رفض آراء الوهابيين الدينية بداهة وارتجالا ذلك أنها في الحق أقرب الى روح القرآن من الأفكار المنتشرة بين عامة الناس في معظم الأقطار الاسلامية ، ويمكن بالتالي أن تحدث مع الزمن تأثيرا خيّرا مفيدا في التطور الاسلامي الثقافي" (محمد أسد : الطريق الى الاسلام ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠) .

(٢) لقد انكر بعض اتباع الدعوة على من لبس من الأشراف لباسا أخضر تمميزا لهم وكذلك تقبيل أيديهم ولكن الشيخ رحمه الله رد على هؤلاء الاتباع في رسالته لأحمد بن محمد بن سويلم وثنيان بن سعود مؤكدا عليهم أن الانسان " لايجوز له الانكار الا بعد المعرفة فأول درجات الانكار معرفتك أن هذا مخالف لأمر الله ، واما تقبيل اليد فلا يجوز انكار مثله وهى مسألة فيها اختلاف بين أهل العلم ، وقد قبل زيد بن ثابت يد ابن عباس وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ، وأما لبس الأخضر فانها أحدثت قديما تمييزا لأهل البيت لئلا يظلمهم أحد أو يقصر في حقهم من لا يعرفهم" ويبدو أن هذه القضية قد انتشرت بين اتباع الدعوة حتى الخاصة منهم لاعتقادهم أن لها مساس بقضية التوحيد يدفعهم في ذلك انكار

(=)

القريب من الواقع للحياة العامة فى نجد قبل الدعوة ، لولا ذلك كله لكان للدعوة تأثير أكبر ليس فى نجد فحسب بل فى كثير من المناطق المجاورة وغير المجاورة .

ان اغفال الجوانب الخيّرة فى الحياة الدينية فى نجد قبل الدعوة فيه سلب وغمط لما كان يزخر به هذا المجتمع من هذه الجوانب ، وذكرها لن يضير الدعوة بشئ (١) ولا يجب أن يستغل للمساس بها بل يجب أن يدفع للحماسة

(=) الدعوة للغلو فى أهل البيت الذى قد يؤدى الى صرف شئ من أنواع العبادة لهم وهنا أبان الشيخ أن بين هذا وذاك خيط رفيع يجب الانتباه له فقال : " فلا يجوز لمسلم أن يسقط حقهم ويظن أنه من التوحيد بل هو من الغلو ونحن ما أنكرنا الا اكرامهم لاجل ادعاء الأولوهية فيهم أو اكرام المدعى لذلك" . كما أن بعض اتباع الدعوة وبيدو انهم من العامة قاموا باتلاف بعض الكتب العلمية عند ضمهم للطائف سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٢هـ فانتقد ذلك الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وقريب من هذا ما ذكره وليم بلجريف - ان صدق - من أن شخصا اسمه عبد الكريم ذكره على أنه أحد علماء الرياض - قال له ان أكبر الكبائر بعد الشرك التدخين ، ورغم تشدد الدعوة فى موضوع التدخين فلا يمكن أن يصدق الباحث صدور مثل هذا الكلام من عالم ولم يعرف شخص بهذا الاسم فى أوساط علماء الرياض ، وربما صدر من عامى ، على أن أغلب العامة كانوا يقفون عند تحريم التدخين فقط ، ويندرج تحت هذا اعتقاد بعض اتباع الدعوة من العوام كذلك أن لبس العمامة دليل على التدين واتباع الدعوة يوالى عليه ويعادى عليه ولكن علماء الدعوة المحققين وقفوا ضد هذا الاعتقاد وشددوا النكير على معتقده ، كما أن بعض الممارسات الخاطئة فى موضوع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقف ضدها علماء الدعوة المحققون بدءا من الشيخ محمد نفسه ، ورغم هذه الوقفات من هؤلاء العلماء فقد أخذها الخصوم على الدعوة السلفية (الشيخ محمد الرسائل الشخصية ٢٨٤ ، ٢٩٦ ، ابن قاسم : الدرر ٤/١٢٩ - ١٣١ عبد الله البسام علماء نجد ٢/٥٤٥ ، ٥٤٦ ، د . العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١١٣ ، ١١٤) .

(١) ومما يستأنس به عنا عدم اغفال مؤرخي السيرة النبوية لتلك الروايات الكثيرة عن عصر الجاهلية الأولى ، ووجود تلك الكتب والدراسات

(=)

لها بوعى واخلاص وهو ماكان يهدف اليه امامها ومؤيدوه من آل سعود الذين ليسوا فى الواقع الا أبناء برره من ذلك المجتمع هزتهم الجوانب المشرقة فيه فاعجبوا بها وشجعوها ونظموها وفق الشريعة ، وأثارت الجوانب السيئة فى أنفسهم محاولات الاصلاح فقاموا بها وفق هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعثه الله ليتم مكارم الأخلاق .

وبالرجوع الى تلك المظاهر المنحرفة فى الحياة الدينية فى المجالين العقدى وغير العقدى وتلك المظاهر الحسنة للحياة الدينية يتبين لنا أن نجدا كانت بحاجة ماسة لهذه الدعوة المباركة ، توضح لجهّال الناس ماكان خافيا عليهم من أمور دينهم ، وتقضى على الوسائل التى تخل بعقيدتهم ، وتلزم فى الوقت نفسه من كانوا يستهينون بأداء الشعائر التعبدية على أدائها والتأكيد على هذا الأداء جماعة فى أهم شعيرة منها وهى الصلاة ، ثم بعد هذا كله تقوم بتنظيم تلك الجوانب الحسنة فى الحياة الدينية والمظاهر

(=) والبحوث الوفيرة عن هذا العصر بما فيه من الجوانب المشرقة والمظلمة بل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يتناقلون الشعر الجاهلى - سجل ذلك العصر - فى مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم خيره وشره (محمود محمد شاكر : الشعر الجاهلى بحث منشور فى مجلة العرب ج ٧ ، ٨ / س ١٠ ص ٥٠١ ، ٥٠٢) واذا كان اغفال دراسة الأوضاع العامة فى نجد قبل الدعوة بما فيها من مظاهر حسنة وجوانب سيئة ضروريا لدى علماء وأئمة الدعوة ابان كون الناس حديثي عهد بقيامها وبالتالي يخشي أن يحنّوا الى ذلك الماضى ، فان هذا الآن لم يعد ليضر الدعوة ومبادئها بشئ من هذا القبيل اذ أنها مضت وتغلغلت فى النفوس وأشرب الناس فى قلوبهم حبها لما انطوت عليه من مبادئ سلفية صافية وعم فضلها سائر المناطق التى تضمها البلاد السعودية .

الاجتماعية وفق تعاليم الشريعة الاسلامية .(١)

كما أنها بحاجة الى دولة تجمع شتات الامارات المتناحرة فيها وتؤاخي بين القبائل المتصارعة فيما بينها حول موارد المياه ومواطن الكلأ من ناحية ، وفيما بينها وبين حاضرتها من ناحية أخرى ، وسيمر بنا عند الحديث على الوضع الأمنى فى نجد قبل الدعوة مدى حاجة المنطقة الى هذه الدعوة ودولتها من هذه الناحية بالذات وهذا ماوعته الدولة السعودية فى أدوارها الثلاثة حيث قامت بجمع تلك الامارات والقبائل فى دولة واحدة يسودها الأمن والاستقرار اللذين جعلهما قادة هذه الدولة هاجسهم الأول .

---

(١) د . عبد الله العثيمين : المرجع السابق ٢٢ .

الباب الثاني

الحياة العلمية وأثرها على الحياة الاجتماعية

الفصل الأول

الحياة العلمية : استعراض عام

١ - سبل التعلم :-

(أ) التعليم المحلي .

(ب) الرحلات العلمية داخل نجد وخارجها .

الرحلات العلمية إلى المراكز العلمية داخل نجد .

الرحلات العلمية إلى المناطق الأخرى في شبه الجزيرة العربية .

الرحلات العلمية إلى المراكز العلمية خارج شبه الجزيرة العربية .

(ج) الاستفادة من مرور بعض العلماء على نجد

٢ - العلاقة بين الطلاب وأساتذتهم .

٣ مجالات التأليف :-

(أ) الفقه .

(ب) التاريخ .

(ج) التوحيد .

(د) علوم الآلة .

٤ - طريقة التأليف .

٥ - النساخ والخطاطون وكتاب العدل .

٦ - المكتبات .

٧ - الأوقاف العلمية .

توطئـــــة :

لقد سبقت الاشارة الى أن منطقة نجد قد حظيت بكم وافر مـــن العلماء منذ فترة متقدمة عن قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوتــه المباركة، كما سبقت الاشارة الى أثر بعض علماء نجد السلبي والمداري والمؤيد أحيانا لبعض أهل نجد في عاداتهم المخالفة للعقيدة والشرع، وأثــر بعضهم الآخر في الحفاظ على القيم الخيّرة في المجتمع وتوجيهها الوجهــة الشرعية على قدر ماسمحت لهم به الظروف المواتية، وخاصة الظـــروف السياسية في عهد الامارات السابقة للدعوة، وماكانت تعاني فيه المنطقة مـن هم أمني وفراغ قيادى، الا أن هؤلاء العلماء استطاعوا بجهودهم - رغــم تفرقها ومحدوديتها - أن يحفظوا العلم الشرعي ويبقوا على صلته فيما بينهـم كل في بلدته التي لا تعترف سياسيا بالبلدة الأخرى، والأهم من هذا تأهيلهم لذا المجتمع لقبول ماقامت به دعوة الشيخ محمد من اصلاح عقدى وتوحيــد سياســي.

وتدل الوثائق النجدية المنشورة على وجود حركة علمية في المنطقــة منذ ماقبل منتصف القرن الثامن الهجرى فقد كانت أولى كتابات وصيــة صبيح المشهورة في أشيقر(١) سنة ٧٤٧هـ(٢)، ويدل أسلوب كتابتها على سعــة

---

(١) هي احدى وثائق الأوقاف الخيرية في نجد وواقفها هو الحاج صبيح عتيق عقبة بن راجح بن عساكر بن بسام بن عقبة بن رهس ابن زاخر الوهيبي التميمي، ويذكر البسام في (علماء نجد ٣/٧١٦)، أن صبيحا ابان رقه كان يخدم في بستان عقبة في أشيقر وكان لعقبة زوجتان احداهما تكرم صبيحا والأخرى تهينه، فلما عتق صبيح وأصبح من أهل الثراء جعل وقفه على أولاد عقبة من زوجتــه التي كانت تكرمه، وحرم أولاد الزوجة الثانية.

(٢) يوافق أولها ١٣٤٦/٤/٢٤م.

علم كاتبها فى المشهور من مذهب الامام أحمد بن حنبل ، وبالتالي فقد وجد علماء قبل ذلك التاريخ (١) .

واذا كانت أسرة آل مشرف تعد كبرى الأسر العلمية فى نجد قبل قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فقد وجدت أسر علمية أخرى ساهمت فى اثراء الحركة العلمية بالعديد من العلماء الذين كان لجهودهم التعليمية وآرائهم وفتاويهم أثرا كبيرا على حركة التعليم فى نجد منذ القرن العاشر ، ورغم أن عدد العلماء المنتمين لهذه الأسر لم يكن بالقدر الذى كان عليه عدد العلماء المشرفيين ، فقد برز من هذه الأسر علماء أجلاء يشار اليهم بالبنان بين علماء نجد (٢) .

وليس هنا مجال التأريخ التفصيلي لجوانب الحياة العلمية قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فذلك موضوع طويل يحتاج البحث فيه الى البسط والايضاح ولا تتسع مباحث الرسالة له بهذه الصورة ، الا أنه لابد من استعراض لبعض هذه الجوانب على اعتبار أن الحركة العلمية هى أحد الأنشطة الاجتماعية ان لم تكن أهمها لأنها الموجّه لكثير من أوجه الحياة العامة فى المجتمع كما سيأتي .

١- سبل التعليم :

لقد طرق النجديون فى تلك الفترة كافة السبل التى كان بمقدورهم سلوكها للتزود بالمعرفة والتعمق فى العلم واستغلال أى فرصة تحقق لهم

---

(١) عبد العزيز المبارك : وثائق الأحوال الشخصية من الناحية التاريخية مقال منشور فى مجلة العرب ج ١/ س ٢ رجب ١٣٨٧هـ ص ٥٨ ،
د . عبد الله العثيمين : نجد منذ القرن العاشر الهجرى حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب : (الحالة الدينية) بحث منشور فى مجلة الدارة ع ٣/ س ٤ شوال ١٣٩٨هـ ص ٣٣

(٢) من أبرز الأسر العلمية غير آل مشرف أسرة آل بسام وآل اسماعيل وآل ذهلان وآل فيروز وآل شبانة وآل سلوم وآل سحيم وغيرهم.

الاستفادة ممن سبقوهم فى مضمار العلم والتحصيل وكان من أبرز هذه مايمكن أن يسمى بالتعليم المحلي كل داخل بلدته ، والرحلات العلمية داخل نجد وخارجها ، والاستفادة من القوافل المارة بنجد سواء في طريق الذهاب الى الحج أو العودة منه ، أو تلك القوافل التجارية ، ويصادف في كلتى الحالتين أن يكون من أفراد هذه القوافل علماء أجلاء يستفيد منهم النجديون سواء بالتتلمذ عليهم ولو لفترة قصيرة أو يكون معهم كتب تحقق لهم الفائدة العلمية من جانب آخر.

١ - التعليم المحلي :

وهو ذلك النوع من التعليم الذى يتلقاه المتعلم داخل بلدته ويجمع فيه التلميذ بين التعليم الأولي والتعليم المتقدم (١) وقد يقتصر على الأولى حسب ميوله واستعداده ودرجة حاجة أهله اليه فى أمورهم الحياتية ، وحسب درجة علم من يمارس مهنة التعليم فى البلدة .

ولما كانت نجد الى قبيل قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد وجدت فيها مراكز علمية توافر فيها كم لا بأس به من العلماء فقد استغل ذلك قسم كبير من طلاب العلم فى نجد فى تلك الفترة **بالاقتصار** على تحصيل العلم كل فى بلدته التي ولد وعاش فيها حتى يدرك ويعد من علماء المنطقة المرموقين ، وتأييدا لهذا يجد الباحث فى سير علماء نجد فى تلك

(١) التعليم الأولي هدفه تعليم مبادئ القراءة والكتابة والحساب والتركيز فى هذه المرحلة على القرآن الكريم ، ولا تنتهى هذه المرحلة باعطاء أى مؤهل ، أما التعليم المتقدم فهو الذى يواصل فيه الطالب مادرسه فى المرحلة الأولى على كبار العلماء فى المسجد أو فى بيت أحد هؤلاء العلماء والذى ينهى هذه المرحلة يعطى اجازة من شيخه ويختلف أسلوب الاجازات باختلاف المستويات العلمية للدارسين ، عن هذين النوعين من التعليم ، انظر (د . عبد الله الشبل : التعليم فى نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب : بحث منشور في مجلة كلية الشريعة **والدراسات الاسلامية بالاحساء ع ٤ / س ٢ ، ١٤٠٢ / ١٤٠٣ هـ ص ٥٠٩ ، ٥١٠)**

الفترة أن عددا من كبار العلماء فيها قد تلقوا العلم فى بلدانهم وأن بعضهم لم يغادرها الا لتولى أعمال علمية أو قضائية فى بلدان أخرى (١)، أو لأسباب ليس من بينها الرغبة فى الاستزادة من العلم (٢)، كما يجد الباحث أن عدد العلماء الذين تلقوا العلم داخل بلدانهم فقط يفوق العدد الذى رحل لتلقى العلم ابتداء أو للاستزادة منه الى مراكز علمية داخل نجد أو خارجها وهذا يرينا الى أى مدى كانت الرغبة قوية فى الاقتصار على التعليم المحلي لدى عامة النجديين بما يحقق لهم الاكتفاء الذاتي فى المجال العلمي دون التأثير على مجريات الحياة العامة بمجالاتها الأخرى وهو مايحصل لو قام الطالب برحلات علمية خارج بلدته مغتربا فى سبيل ذلك متعرضا لعدد من العقبات التى قد تعيقه عن العمق فى العلم الذى يتطلب لدى بعض طلاب العلم الاستقرار النفسى ببقائه فى بلدته وبين أهله وعشيرته قائما بما ينوبه تجاههم من أعمال أخرى .

ب : <u>الرحلات العلمية داخل نجد وخارجها :</u>

وقد شهدت منطقة نجد فى تلك الفترة رحلات علمية قام بها عدد من طلبة العلم على غرار تلك الرحلات العلمية التى حفل بها تاريخ العلم والعلماء فى الاسلام اذ أن تلك الرغبة القوية فى التعليم المحلي لم تقف عائقا أمام الراغبين من بعض الطلبة فى الرحيل للاستزادة من العلم والنهل من مشاربه المتعددة ومن هنا فقد كانت تلك الرحلات العلمية ذات اتجاهات ثلاث: الى المراكز العلمية داخل نجد ، والى المراكز العلمية داخل شبه الجزيرة العربية ، والى المراكز العلمية خارج شبه الجزيرة العربية (٣).

---

(١) كالشيخ محمد بن أحمد بن اسماعيل ، والشيخ سليمان بن على بن مشرف ، والشيخ عبد الله بن ذهلان ، والشيخ أحمد القصير وغيرهم .

(٢) كالشيخ أحمد بن شيخ الذى رحل للمدينة للتعليم فيها والمجاورة بعد أن اشتهر أمره كأحد كبار العلماء فى نجد (البسام (١/ ١٩٠) .

(٣) د . الشبل : المرجع السابق ص ٥١٠، ٥١١

- الرحلات العلمية الى المراكز العلمية داخل نجد :

وهذه الرحلات كان يقوم بها بعض طلبة العلم ممن لا يتوافر في بلدانهم علماء أو يوجد في هذه المراكز من هم أقوى علما من علماء بلدانهم، وقد برز في نجد عدد من المراكز منذ ماقبل القرن العاشر الى قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن هذه المراكز : أشيقر التي عرفت مركزا علميا منذ القرن الثامن ووجد فيها حتى النصف الثاني من القرن الثاني عشر عدد من العلماء شدت اليهم الرحال طلبا للعلم وكان يجتمع فيها في فترة من فترات هذه الحقبة أربعون عالما أو يزيدون كلهم يصلحون للتدريس والقضاء والفتيا في وقت لا يؤهل لهذه المناصب الا فطاحل العلماء.(١)

ومن هذه المراكز العيينة التي بدأت تنافس أشيقر منذ القرن العاشر الهجري بما توافر لها من علماء بارزين رحل اليهم طلاب العلم النجديون وخاصة في فترات الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي الذي نعمت فيهما في بعض الأحيان.(٢)

وفضلا عن هذين المركزين الكبيرين فقد برز في أغلب المناطق النجدية مراكز علمية أخرى كالرياض التي وجد فيها منذ القرن العاشر عدد لا بأس به من العلماء، ومنها المجمعة التي عرف فيها عدد من العلماء منذ أواخر القرن الحادي عشر وخلال الثاني عشر، وكذلك روضة سدير وحوطتها والدرعية وعنيزة خاصة بعد رحيل الشيخ عبد الله بن عضيب اليها وازدهار الحركة العلمية فيها اثر ذلك.(٣)

---

(١) البسام: علماء نجد ١/١٥، د. الشبل : المرجع السابق ٥١١

(٢) البسام: المرجع السابق ١/١٥

(٣) د. الشبل : المرجع السابق ٥١١

- الرحلات العلمية الى المناطق الأخرى في شبه الجزيرة العربية :

ولقد حرص طلاب العلم النجديون على الاستفادة من علماء المناطق القريبة لهم داخل شبه الجزيرة العربية فوجود مراكز علمية كبيرة فى مكة والمدينة والاحساء (١) جعل هؤلاء الطلاب يرنون بأنظارهم اليها ويشدون رحالهم نحوها بغية الاستزادة مما لدى علمائها من علم واسع بعد أن يكونوا قد تلقوا قسطا من التعليم داخل نجد ، واذا كان بعض هؤلاء الطلاب يعود الى نجد بعد ادراكه فى العلم فان البعض الآخر يطيب له المقام فى أحد هذه المراكز فيرحل بأسرته أو يكوّن أسرة بعد رحيله وهذا عامل اجتماعى مهم أثمر وجودا أسريا نجديا فى هذه المراكز.

ومن أبرز علماء نجد الذين رحلوا الى مكة (٢) وتلقوا العلم فيها الشيخ حسن بن عبد الله أبا حسين (٣) من أشيقر وغيره ممن ينتهزون فرصة

---

(١) د. الشبل ١١٥.

(٢) ولعل من مظاهر الاتصال العلمي بين مكة ونجد رجوع بعض علماء نجد لكبار علماء مكة لأخذ آرائهم حول بعض الفتاوى الصادرة فى نجد واستفتاء بعض النجديين لعلماء مكة ومن الأمثلة على ذلك موافقة جماعة من فقهاء مكة لفتوى من الشيخ سليمان بن على فى مسألة وقف السعدوني فى العيينة(المنقور: الفواكه العديدة ١/ ١١٥، ٥١٤)

(٣) هو الشيخ حسن بن عبد الله بن حسن أبا حسين الوهيبي التميمي ولد فى أشيقر وتلقي العلم فيها ثم على علماء مكة حتى أدرك وعد من كبار فقهاء نجد ، ولما حاصر الشريف سعد بن زيد اشيقر سنة ١١٠٧هـ/ ١٦٩٥م طلب خروج الشيخين أبا حسين والقصير اليه فخرجا فحبسهما فافتيا لأهل أشيقر بالفطر فى رمضان لحصد الزروع حتى يتمنوا من الصمود أمام الشريف ، ولى قضاء اشيقر وتلقى العلم عليه عدد كبير من علماء نجد ، توفي سنة ١١١٣هـ/ ١٧٠١م وقيل ١١٢٣هـ/ ١٧١١م (ابن ربيعة ٨١ وذكر وفاته عام ١١١٣هـ، تاريخ محمد بن يوسف (مخطوط) حوادث عام ١١٢٣هـ وذكر وفاته فى ١٧ شعبان من هذا العام، ابن بشر ٢/ ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٦ وقد ذكر فيها أن وفاته عام ١١١٣هـ أو ١١٢٣هـ أو ١١٢٤هـ، ابن حميد ٩١ ، البسام : التحفة ورقة ٩٥ وذكر فيها أن الوفاة كانت فى ٢٧ شعبان ١٢٢٣هـ، البسام: علماء نجد ١/ ٢١٧، ٢١٨ وقد

(=)

الحج للاستفادة من العلماء المكيين ، وممن رحل الى المدينة الشيخ صالح ابن عبد الله أبا الخيل (١) وصالح بن عبد الله الصائغ (٢) وهما من عنيزة ، ويبدو أن وجود عدد من العلماء النجديين المجاورين فى المدينة للعبادة والتعليم كان سببا فى رحيل الطلاب النجديين الى هذه المدينة أكثر من غيرها ، ومن هؤلاء العلماء الشيخ أحمد بن خيخ (٣) الذى بعد أن أصبح من كبار علماء نجد وأشتهر أمره رحل الى المدينة للمجاورة والتدريس فى الحرم النبوى فانتفع بعلمه عدد كبير من الطلاب حتي توفي فيها ، ومن أبرز هؤلاء

(=) نقل عن ابن عيسى فى أحد مخطوطاته أن الوفاة فى ٢٠ شعبان ١١٢٣ هـ

(١) هو الشيخ صالح بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم أبا الخيل من المصاليخ من **عنزة** ولد فى عنيزة وتتلمذ على عدد من علمائها وأبرزهم الشيخ عبد الله بن عضيب ورحل الى المدينة وتتلمذ على العلماء فيها وخاصة الشيخ عبد الله بن سيف ثم عاد وتولى قضاء عنيزة وتتلمذ عليه عدد من العلماء منهم محمد بن سلوم وحمد بن شبانه ومحمد بن على بن زامل وغيرهم توفى عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م (**الفخارى** ١١٦ ، ابن بشر ١٣٣،٧٤/٢، ٣٥ ، البسام: التحفة ٨٥ ، البسام : علماء نجد ٣٦٢/٢ ، ٣٦٣ ، محمد القاضى : روضة الناظرين ١٦٥/١ ، ١٦٦ ، وقد شكك فى توليه قضاء عنيزة رغم ذكر ابن **بشر والبسام** فى تحفة المشتاق لذلك والله أعلم

(٢) هو الشيخ صالح بن محمد بن عبد الله الصائغ ولد فى عنيزة وكان ضرير البصر ، تلقى العلم على علامة القصيم الشيخ عبد الله بن عضيب وغيره ثم رحل الى المدينة وتلقى العلم على الشيخ عبد الله بن سيف حتى ادرك ادراكا جيدا فى الفقه ، وتولى قضاء عنيزة وقيل الرس كذلك بعد وفاة زميله محمد بن على ابن زامل ، تلقى عليه العلم عدد من العلماء كالشيخ محمد بن سلوم وأحمد بن شبانه والأمير دخيل بن رشيد ومنصور أبا الخيل وغيرهم توفى ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م وله قصائد جيدة ، ورسالة فى علم النحو ، وأثر عنه معارضته لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وقد رد على قصيدة الصنعانى المشهورة (ابن عيسى ٢٤٠ ، ابن حميد ١٠٦ ، البسام: علماء ٣٦٤/٢ ، ٣٦٥ ، محمد القاضي روضة ١٦٧/١) .

(٣) هو الشيخ أحمد بن محمد بن خيخ (بكسر الخاء الأولى ولد فى مقرن (الرياض) وتلقى العلم فى نجد حتى أدرك وعد من كبار علماء المنطقة ومن ابرز تلاميذ أحمد بن بسام ، جاور في المدينة للعبادة والتعليم حتى توفي فيها وهو من علماء النصف الأول من القرن الحادى عشر **المنقور: الفواكه ٢١٧/١ ، ٥١٠ ، ٢٥٩/٢ ، ٣٨٦ ، البسام : علماء** ١٩٠/١) .

العلماء النجديين فى المدينة الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف الذى عد (١) من كبار علمائها ، وضربت اليه آباط الابل لتلقي العلم عليه ليس من نجد فقط بل من مناطق أخرى علاوة على تلقي عدد كبير من الطلاب المجاورين في المدينة العلم عليه ، ومن أبرز تلاميذه النجديين الشيخ محمد بن عبدالوهاب امام الدعوة والشيخان السابقان أبا الخيل والصائغ .

أما الأحساء فكان الاتصال العام بينها وبين نجد قديما ومن المتوقع أن يرافق هذا اتصال علمي الا أن بعض الاشارات التاريخية تذكر وجود اتصال علمي ابان حكم السلطان العالم أجود بن زامل (٢) الذى مد نفوذه الي

---

(١) هو الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف الشمرى ولد فى المدينة المنورة وقرأ على علمائها والوافدين اليها ثم رحل الى الشام وتتلمذ على بعض علمائها حتى مهر فى عدد من العلوم الشرعية وجمع مكتبة حافلة بنفائس الكتب ، وجلس للتدريس في المسجد النبوى وفي بيته بظاهر المدينة ورحل اليه عدد من الطلاب من بعض المناطق كالشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيره من نجد ، والشيخ محمد بن عفالق من الاحساء ، له نظم جيد فى ذم الدخان ، وهو موجود لدى مع أرواق خطية الا أنه باسم عبد الله بن ابراهيم المالكى علما أن الشيخ قد اشتهر عنه أنه حنبلي وتوفى عام ١١٤٠هـ/١٧٢٧م ، **ابن بشر ، ٢٠/١ ، ابن حميد ١٢ ، ابن عيسى ٣٤ ، البسام : علماء ، ٥٠١/٢ - ٥٠٤ ، محمد القاضي : روضة ٣١٢/١ ، ٣١٣) .**

(٢) هو السلطان أجود بن زامل بن حسين بن ناصر بن جبر العامرى العقيلى ولد فى رمضان ٨٢١هـ/اكتوبر ١٤١٨م فى بادية الاحساء والقطيف وتولى امارة الجبور شرق شبه الجزيرة بعد وفاة أخيه سيف الذى قضى على آخر ولاة الجراونة ، واتسع ملك آل جبر فى عهده حتى شمل كل شرق شبه الجزيرة مع نجد كان مالكى المذهب ولقب بالشيخ لسعة علمه يذكر له حرصه على أمن طرق الحج وخدماته للحجيج في منطقة المشاعر ، ليس من المعروف تاريخ وفاته الا أن الدكتور عبد اللطيف الحميدان رجح أن يكون بعد سنة ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م بما لا يتجاوز السنة ، تولى بعده ابنه محمد ثم ابنه مقرن الذى مدحه بعض شعراء العامة فى نجد (عبد القادر الجزيرى : الدرر الفرائد المنظمة ط (١) مطبعة نهضة مصر نشر دار اليمامة ، الرياض

(=)

وكان لعلماء الأحساء فى وقته مناظرات علمية مع علماء نجد ، كما يذكر بعض المؤرخين استعانة هذا السلطان ببعض العلماء النجديين لتولي القضاء فى بعض نواحى مملكته ، وكان المتخاصمون من بعض البلدان النجدية أحيانا يرفعون قضاياهم الى قاضى الأحساء اذا لم تحل فى بلدانهم(١).

ولقد كانت الرحلات العلمية الى هذا المركز العلمى من أبرز مظاهر الاتصال العلمى بين الأحساء ونجد نظرا لوجود عدد من كبار العلماء فيها ، وكان بعض الطلاب النجديين يعود بعد حصوله على قدر من العلم الى بلده وبعضهم يطيب له المقام فيها فيتخذها سكنا له ولأولاده من بعده والبعض الآخر يتخذها محطة للتزود من العلم فيها ثم يرحل منها الى مركز علمى آخر وخاصة الى العراق اما بدافع اقتصادى للبحث عن عمل أو يذكر له بعض العلماء فيرحل للاستفادة منهم وقد يعود الى نجد بعد ذلك وربما آثر البقاء فيها .

ومن أبرز العلماء الذين رحلوا الى الأحساء لتلقي العلم فيها ثم عادوا الى نجد الشيخ منيع العوسجي(٢) الذى تتلمذ على

(=) ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ١/٧٦٢، ٢/٧٩١، ٣/١٧٢٩، الفاخرى ٦١ ، ابن بشر ٢/ ١٩١، ١٩٢ ، ابن عيسى ٤٦ ، أبو عبد الرحمن عقيل : انساب الأسر الحاكمة فى الاحساء ١/ ٢٠٤-٢٦٠ ، دكتور عبد اللطيف الحميدان : مكانة السلطان أجود بن زامل الجبرى في الجزيرة العربية : بحث منشور فى مجلة الدارة ع ٤/س٧ رجب ١٤٠٢ ص ٥٦-٧٧)

(١) المنقور: الفواكه ١/ ٥٣١، ٢/ ٢٠١ ، البسام: علماء نجد ٢/ ٤٩٢

(٢) هو الشيخ منيع بن محمد بن منيع العوسجي وتنطق عاميا بالجمع (العواشز) البدراني الدوسرى ، ولد فى ثادق وهي بلدة أسرته ، وتلقى العلم الأولى فيها ثم رحل الى الرياض والعيينة وتتلمذ فيها على الشيخين عبد الله بن ذهلان وسليمان بن على ثم رحل الى الاحساء فدرس على الشيخ محمد بن عفالق ثم عاد الى بلاده بعد ادراكه فى العلوم الشرعية والعربية وتولى قضاء ثادق مع التعليم والفتيا وتوفى فيها فى أواخر شهر ذى الحجة عام ١١٣٤هـ /

(=)

الشيخ محمد بن عبد الرحمن عفالق (١) وأثر ذلك في مستوى الشيخ منيع اللغوي حيث عد من كبار علماء نجد الذين لهم اهتمام بعلوم العربية مع اهتماماتهم الفقهية، ومن تتلمذ على الشيخ ابن عفالق وعاد بعد ادراكه الى نجد الشيخ أحمد بن محمد التويجري (٢) الذي عد من كبار علماء سدير في القرن الثاني عشر بعد عودته من رحلته العلمية الى الاحساء .

(=) سبتمبر ١٧٢٢م(ابن ربيعة ٢٠ / ٨٧ ،الفاخري ٩٧ ،ابن عيسى ٩٣ ، البسام: تحفة المشتاق ٩٢ ،البسام: علماء نجد ٣/٩٥٦، ٩٥٧) .

(١) هو الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن حسين بن محمد بن عفالق القحطاني ، ولد في الأحساء عام ١١٠٠هـ/١٦٨٨م رحل الى الحرمين ودمشق وبغداد والبصرة والزبير لتلقي العلم على علمائها في عدد من العلوم ومن أبرز أساتذته عبد القادر التغلبي الدمشقي وجمعه الهلالي النجدي وحسين بن ميمن البصري وابراهيم البغدادي وعبد الله بن ابراهيم بن سيف النجدي المدني وغيرهم حتى أدرك ومهر في الفقه والعربية والفلك والحساب والمنطق وغيرها من أبرز تلاميذه محمد بن فيروز وعبدالرحمن الزواوي وأحمد التويجري وقد أدرك ابن عفالق دعوة الشيخ محمد وعارضها الا أنه توفي قبل انتشار هذه الدعوة فلم يصطدم بها بشكل واسع اذ توفي عام ١١٦٣هـ وقيل ١١٦٤هـ/١٧٤٩، ١٧٥٠م الا أن تلميذه بن فيروز ذكر أن وفاته في ٢٥ من صفر عام ١١٦٣هـ/ ٤ فبراير ١٧٥٠م(ابن حميد ٢٤٤ ،البسام: علماء ٣/٨١٨-٨٢١ ،الزركلي : الاعلام ٧/٦٩، ٧٠) .

(٢) هو الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن مبارك ابن حمد التويجري العنزي نسبا المجعي مولدا ومنشأ **ووفاة** تلقى العلم على عالم المجمعة الشيخ عبد القادر العديلي ثم رحل الى الاحساء لتلقي العلم على ابن عفالق حتى أدرك وعاد الى المجمعة وتولى قضاءها وتصدى للتدريس والافتاء فيها وتتلمذ عليه عدد من العلماء كمحمد بن سلوم وعثمان بن عبد الجبار بن شبانه وعبدالله ابن داود وغيرهم ،توفي عام ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م(عثمان بن سند : سبائك العسجد ٤٣ ،الفاخري ١١٩ ، ابن بشر ١/٨٩، ٩٠ ابن عيسى ١١٧، ١١٨ ، البسام : علماء ١/١٨٩ ،القاضي : روضة ١/٦٤، ٦٥) .

ويبدو أن اشتهار عدد من الأسر النجدية في الأحساء بعدد من العلوم كان من أسباب رحيل بعض النجديين الى هذا المركز العلمي لتلقي العلم والاستقرار فيها ومن أبرز هؤلاء الشيخ سيف بن أحمد العتيقي (١) الذى نشأ من عقبه أسرة علمية تلقى بعض أفرادها العلم فى نجد ثم رحلوا الى الأحساء وبقى بعضهم فيها ورحل البعض الآخر الى بلدان أخرى كالزبير والبصرة والمدينة وغيرها (٢).

ومن أبرز تلك الأسر العلمية فى الأحساء التى تعود الى أصل نجدى أسرة آل فيروز تلك الأسرة التى انتقلت من أكبر مركز علمي نجدى فى تلك الفترة (أشيقر) الى الأحساء وعدت من كبار الأسر العلمية فيها ، وقد التقى الشيخ محمد بن عبد الوهاب أثناء مروره بالأحساء لتلقى العلم فيها بأحد أفرادها واستفاد منه وأثنى عليه لمعرفته ببعض جوانب العقيدة ووجود بعض الكتب العقدية لمحققي السلف لديه ، الا أن بعض أفراد هذه الأسرة ناوأوا الدعوة فيما بعد فرحلوا عن الأحساء الى البصرة عند ما ضمت للدولة السعودية الأولى سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م ، وأثّروا على بعض تلاميذهم فى هذا الاتجاه (٣).

---

(١) هو الشيخ سيف بن أحمد العتيقي ولد فى **حرمة** - احدى بلدان سدير - وتتلمذ على علماء المنطقة حتى أجاد فى الفقه وتولى امامة أحد مساجد المجمعة ثم سافر لزيارة ابنه صالح الذى يدرس فى الأحساء فأخذ فى التعلم على بعض علمائها وخاصة آل فيروز ثم توفى فى الأحساء عام ١١٨٩هـ/**١٧٧٥م** ويعد من معارضي دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ابن حميد ١٠٤ ، البسام: علماء ٣٢٧/١، ٣٢٨).

(٢) كالشيخ صالح بن سيف بن أحمد العتيقي (ولد فى حرمة ١١٦٣هـ/ ١٧٤٩م وتوفى فى الزبير ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م ، والشيخ محمد بن سيف ابن أحمد العتيقي المولود فى حرمة والمتوفى فى المدينة فى أواخر القرن الثاني عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى (ابن حميد ٢٤٢ ، البسام: علماء ٣٥٢/٢، ٣٥٣، ٨٠٠/٣، ٨٠١)

(٣) ابن بشر ١٣١/١ ، ابن حميد ٢٥٧-٢٦١ ، البسام : المرجع السابق ٨٨٢/٣-٨٨٦.

وقد رحل الى هذا المركز العلمي لتلقي العلم على علماء هذه الأسرة عدد من طلاب العلم النجديين ومن أبرزهم الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن عدوان (١) والشيخ عبد المحسن بن علي **الشارخي** (٢) الذى رحل الى الزبير **للعمل فيها اماما وخطيبا ومفتيا .**

---

(١) هو الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن رزين بن عدوان الرزيني الحنظلي التميمي ولد في أثيثية - احدى بلدان الوسم - ثم رحل الى الأحساء لتلقي العلم على آل فيروز، وكان اسمه عدوان فحولوه الى عبد العزيز وأدرك ادراكا جيدا في الفقه وعلوم العربية، كان شاعرا وشعره جزل ليس كالنظم الذى اشتهر به بعض العلماء، يعد من معارضي دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وله رسالة حول هذا الموضوع، سافر بصحبة شيخه محمد بن فيروز للحج وتوفى بعد الحج في بلدة العظيم من بلدان منطقة حائل في ٢٥ صفر سنة ١١٧٩هـ / ١٤ أغسطس ١٧٦٥م (ابن حميد ١٣٥، ١٣٦، البسام: المرجع السابق ٢ / **٤٧٣** - ٤٧٥) .

(٢) هو الشيخ عبد المحسن بن علي بن عبد الله بن نشوان الشارخي التاجر نسبة الى أسلافه (التجار) من آل مشرف من وهبة تميم ولد في الفرعة - احدى بلدان الوشم - عام ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م ونشأ وتلقى تعليمه الأولى فيها ثم رحل الى أشيقر فتعلم على علمائها، ثم استوطنها عام ١١٤٠هـ/ ١٧٢٧م اثر فتنة نشبت **بين** النواصر والمشارفة في الفرعة، ثم سافر الى الاحساء للتزود من علمائها، ثم طلبه من آل فيروز أهل الزبير للامامة والخطابة والفتيا والتعليم عندهم فرحل اليهم حيث لقى التكريم هناك اشتهر بسعة علمه في الانساب والفقه وخاصة الفرائض، يعد من المعارضين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وله رسالة في هذا الموضوع، توفى في آخر ذى الحجة عام ١١٨٧هـ/ ١٣ مارس ١٧٧٤م في الزبير في الطاعون الذى عم العراق في هذه السنة حيث قيل انه مات من الزبير فقط نحو ستة آلاف (الفاخرى ١١٦، ابن بشر ١/ ٧٧، ٧٨، ٢ / ٣٥، وذكر أنه تولى قضاء الكويت تبعا للزبير، ابن حميد ١٦٩، ابن عيسى ١١٤، ١١٥، ٢٠٩، ٢١٢، البسام، تحفة المشتاق ١١٩ ، البسام: علماء نجد ٣ / ٦٦٧، ٦٦٨، القاضي: روضة ٢ / ٥١ - ٥٣ ، الزركلي: الاعلام ٤ / ٢٩٥) .

ومامن شك فى أن نبوغ علماء هذه الأسرة فى عدد من العلوم وتهيئة سبل التعلم أمام تلاميذهم بالانفاق عليهم وتوفير الكتب العلمية لهم بالنسخ حيث فرغوا نساخا لهذا الغوض، فضلا عن حرصهم على مصاحبة النابهين من تلاميذهم في رحلاتهم خارج الأحساء للحج أو غيره ، كل هذه عوامل أثرت على حماسة طلابهم للعلم مما انعكس على مستواهم العلمي ، كما أثرت من جانب آخر على كثرتهم العددية، وبروز أسر علمية تنتمى علميا لهذه الأسرة. (١)

- الرحلات العلمية الى المراكز العلمية خارج شبه الجزيرة العربية :-

ولقد رنا طلاب العلم النجديون بأنظارهم الى المراكز العلمية خارج شبه الجزيرة العربية هادفين الى الاستفادة من المدارس الحنبلية الموجودة فيها ، ومن أبرز المراكز العلمية التى توجه بعض هؤلاء الطلاب اليها الشام ومصر حيث وجد فيهما عدد من عمد المذهب الحنبلي ، وكان بعض الطلاب النجديين يقتصر فى رحلته على أحد هذين المركزين وبعضهم لا يكتفي بذلك بل يحرص على الاستفادة من العلماء فيهما

وممن اقتصر فى رحلته العلمية على الشام فقط الشيخ أحمد بن يحيي ابن عطوة الذى يعد رائد الحركة العلمية التى ظهرت فى نجد فى أول القرن العاشر الهجرى (١٦م) ويبدو أنه أول من رحل الى الشام ولفت أنظار طلاب العلم النجديين الى تلقى العلم على علماء الحنابلة فيها ، وجاور فى مدرستها المشهورة (٢) حتى أدرك وعاد بعد أن جمع كتبا كثيرة فى دمشق

---

(١) كآل سلوم وآل العتيقي .

(٢) هى مدرسة أبى عمر والمنسوبة الى أبى عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة (ولد ٥٢٨هـ/١١٣٤م وتوفى بدمشق ٦٠٧هـ/١٢١٠م) وهو فقيه حنبلي أخ لامام المذهب المعروف موفق الدين بن قدامة ووالد الشيخ عبد الرحمن بن أبى عمر صاحب الشرح الكبير، وتقع المدرسة فى حي الصالحية بدمشق (البسام: علماء نجد ١/١٩٩، ٢٠٠).

بطريق الشراء والاستنساخ وأوقف بعضها على مدرسته فيها وحمل الباقي معه الى نجد فأصبح مرجع العلماء فيها وكلمته النافذة فيما يختلفون فيه من مسائل شرعية.(١)

ومن العلماء الذين رحلوا الى الشام فقط الشيخ حسن بن على بن بسام(٢) الذى تتلمذ على كبار العلماء فيها من أساتذة وزملاء ابن عطوة، وقد اغتنم فرصة اطلاعه على عدد من الكتب فى المدرسة الحنبلية فيها فقام بنسخ عدد كبير منها ووقفها على طلبة العلم فى نجد.(٣)

ولقد تتلمذ على هذين العالمين الشيخ أحمد بن ابراهيم(٤) **بن أبى حميدان** وربما أثرا عليه فرغّبا له السفر الى دمشق حيث رحل اليها وتزود بالعلم من كبار علماء الحنابلة فيها، وقد فعل كما فعل شيخاه بتحصيل بعض

---

(١) البسام: المرجع السابق ١/ ٢٠٠، ٢٠١، د. الشبل: المرجع السابق ص ٥١٢، وقد سبقت ترجمة ابن عطوة.

(٢) هو الشيخ حسن بن على بن عبد الله بن بسام بن منيف الوهيبي التميمى ولد فى أشيقر وتتلمذ على علمائها والمارين بها وخاصة معين الدين محمد بن صفي الدين الحسينى الأيجى صاحب جامع البيان فى تفسير القرآن حيث مر بأشيقر فى طريقه للحج واستفاد منه الشيخ حسن، ثم سافر بعد ذلك الى الشام لتلقي العلم على علماء الحنابلة فيها فتتلمذ على الشيخ موسى الحجاوى فلما تفقه عاد الى أشيقر فجلس للقضاء والفتيا والتعليم حتى توفى فيها عام ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م وله أبناء خمسة كلهم علماء الا أن أبرزهم الشيخ طلحه كاتب وصية صقر بن قطام (البسام: المرجع السابق ١/ ٢١٥، ٢١٦)

(٣) البسام: المرجع السابق ١/ ٢١٦

(٤) هو الشيخ أحمد بن ابراهيم بن محمد بن أبي حميدان ولد أول القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى وتعلم على عدد من علماء نجد ثم رحل الى الشام وتلقى العلم على علماء الحنابلة فيها وخاصة موسى الحجاوى، وعاد الى نجد فتصدى للتعليم فيها وهو من علماء القرن العاشر (البسام: المرجع السابق، ١/ ١٥٤).

الكتب من هذه المدينة وأوقف بعضها على طائفة الحنابلة بدمشق ، ومن أبرز ما أوقفه فيها الفروع والزركشي والانصاف وهي مؤلفات لبعض مجتهدي الحنابلة .

ويعد الشيخ أحمد بن محمد بن مشرف (١) ممن اقتصروا في رحلتهم على الشام اذ بعد أن تلقى تعليمه على علماء أشيقر رحل الى دمشق بعد عودة ابن عطوة منها وقبل اشتهاره في نجد فتتلمذ على علماء الشام ثم عاد الى نجد ليجد الشيخ ابن عطوة قد اشتهر فلازمه وتتلمذ عليه .

ومن رحل الى الشام فقط الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن ذهلان (٢) الذى بعد أن تلقى تعليمه في العيينة ، وبعد أن تتلمذ على عدد من كبار علماء الحنابلة في الشام عاد ورحل مع أخيه الشيخ عبد الله من العيينة الى الرياض ولازم أخاه عبد الله واستفاد منه ، كما تتلمذ على الشيخ عبد الرحمن عدد من العلماء النجديين .

ولقد اشتهر الشيخ عبد الله المويس المعاصر والمعارض للشيخ محمد ابن عبد الوهاب برحلته الى دمشق لتلقي العلم على علمائها حتى اذا أدرك في العلم عاد الى نجد وأصبح من العلماء المعدودين فيها ، وكانت رحلته

---

(١) هو الشيخ أحمد بن محمد بن مشرف الوهيبي التميمي ولد في أشيقر وتلقى العلم على علمائها ثم سافر الى دمشق فلازم علماء المذهب الحنبلي فيها لاسيما العلامة الشيخ موسى الحجاوى حتى مهر في الفقه ثم عاد الى نجد فواصل تعليمه على الشيخ ابن **عطوة فعد** من كبار الفقهاء النجديين ورحل اليه الطلاب للتعلم عليه ومن أبرز تلاميذه الشيخ محمد بن اسماعيل وابن عمه سليمان بن علي وابنه الأديب عبد الله بن أحمد وغيرهم توفي عام ١٠١٢هـ/١٦٠٣م ، (البسام : المرجع السابق ١/١٩٣، ١٩٤ ، منصور الرشيد : قضاة نجد ، بحث نشر في مجلة الدارة ع ٢/ س ٤ رجب ١٣٩٨هـ ص ١٩)

(٢) هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن ذهلان ولد في العيينة وأخذ عن علمائها ثم رحل الى الشام فدرس على علمائها ولازم الشيخ محمد ابن بدر الدين البلباني (ت ١٠٨٣هـ/١٦٧٢م) ثم عاد الى نجد واستفاد من أخيه ثم جلس للتدريس حتى توفي مع أخيه في

(=)

الى الشام وجلبه كتبا كثيرة منها مجال جدال بينه وبين الشيخ محمد .(١)

أما الذين قصروا رحلتهم العلمية على مصر فقط فمنهم الشيخ أبو نمى بن عبد الله بن راجح(٢) الذى بعد أن تلقى العلم على كبار العلماء النجديين رحل الى القاهرة ولازم مجتهدى المذهب الحنبلي فيها وخاصة الشيخ مرعى بن يوسف الكرمي(٣) ثم عاد الى نجد لنشر ماحصل عليه من علم

(=) ١٠٩٩/١٢/٨هـ/ ٤/١١/١٦٨٨ فى وباء أصاب الرياض، من أبرز تلاميذه أحمد القصير (المنقور: التاريخ ٦٥، ابن ربيعة ٧٥، ٧٦، الفاخرى ٨٣، ابن بشر ٢/٢١٩، ابن حميد ١٦٥، ابن عيسى ، ٧٣، ٧٤، البسام: علماء نجد ٢/٤٠٨).

(١) ابن حميد ١٦١، البسام : المرجع السابق ٢/٦٠٤، ٦٠٥، القاضى روضة ١/٣١٧.

(٢) هو الشيخ أبو نمي بن عبد الله بن راجح العرني ، ولد فى عودة سدير ورحل الى أشيقر فتلقى العلم فيها على الشيخين محمد بن اسماعيل وسليمان بن على ثم رحل الى القاهرة فتتلمذ على الشيخ مرعي بن يوسف الكرمى الحنبلي وأجازه فى الفقه ثم عاد الى نجد فجلس للتعليم والافتاء والتأليف حيث ألف منسكه فى الحج وغيره، وهو من علماء النصف الأول من القرن الحادى عشر(ابن بشر ٢/١٩٨ ، البسام : المرجع السابق ١/١٥٢، ١٥٣).

(٣) هو الشيخ مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن ابي بكر بن يوسف الكرمي نسبة لطور كرم فى فلسطين التى ولد فيها ثم رحل الى القدس فالقاهرة يعد من كبار فقهاء الحنابلة كما أنه مؤرخ وأديب له عدد من المؤلفات فى كثير من العلوم عد منها ابن حميد سبعين كتابا وأثنى عليه ، كان يعرف لعلماء نجد قدرهم اذ أرسل احدى نسختي كتابه (غاية المنتهى) الى نجد مع رسالة تقدير لعدد من علماء نجد ، توفى فى القاهرة في ربيع الأول ١٠٣٣هـ/يناير١٦٢٤م ، له شعر جزل ضم فى ديوان الا أن فى بعضه غلو فى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه قوله :

ياساحرالطرف يامن مهجتى سحرا كم ذا تنام وكم أسهرتنى سحرا

الى أن قال :

أشكوك للمصطفى زين الوجود ومن أرجوه ينقذنى من هجر منهجرا

(ابن بشر ٢/١٣٧، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٧، ابن حميد ٣٠٤ - ٣٠٧ ونقل رأيا آخرا فى وفاته عن ابن سلوم أنه

(=)

فيها فجلس للتعليم والتأليف والافتاء.

كما رحل الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن مشرف (١) الى مصر بعد استفادته من علماء المنطقة، وفى مصر تتلمذ على عمدة المذهب الحنبلي فى عصره الشيخ منصور البهوتي (٢) وغيره من علماء الحنابلة فى مصر حتى اذا بلغ مبلغ العلماء عاد الى نجد ليتولى قضاء العيينة وقد خلف من بعده عددا من العلماء من الأبناء والأحفاد فأصبحت أسرته من الأسر العلمية فى نجد قبل قيام الدعوة وهذا ماجعل بعض مؤرخى نجد يطلق عليه لقب (أبي العلماء) (٣).

(=) فى ٢٤ أو ٢٥ من ذى القعدة من العام نفسه، ابن ضويان : رفع النقاب ٦٩ ، الزركلي : الأعلام ٨/٨٨).

(١) هو الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن موسى بن عبد القادر بن مشرف الوهيبى التميمى تتلمذ على والده والشيخ على الفضلي وأحمد بن البسام، ثم رحل الى مصر للاستزادة ثم عاد الى نجد بعد ادراكه فى الفقه فجلس للقضاء فى العيينة والتدريس والافتاء حتى توفى فيها عام ١٠٥٦هـ/١٦٤٦م (المنقور: الفواكه ١/١٢٥، التاريخ ٤٦، ابن ربيعة ٦٢، ابن بشر ٢/٢٠٧، ابن حميد ١٧٢، البسام: تحفة ٤٣، البسام: علماء ٢/٥٩٢، ٥٩٣).

(٢) هو الشيخ منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن أحمد بن علي بن ادريس البهوتي نسبة الى بهوت فى مصر الغربية، ولد سنة ١٠٠٠هـ/١٥٩١م، وتلقى العلم على عدد من العلماء أبرزهم الشيخ عبد الرحمن ويوسف البهوتيين، والشيخ محمد المرداري وغيرهم حتى أدرك فى الفقه الحنبلى وعد من كبار مجتهديه ورحل اليه الطلبة من عدد من البلدان، واليه مرجع الحنابلة حتى الآن، من أبرز تلاميذه الشيخ مرعى بن يوسف وحمد الخلوتي وغيرهم له مجموعة من المؤلفات الفقهية أبرزها (شرح منتهى الارادات) اثنى ابن حميد على كرمه وحبه للخير وتقديره لطلبته توفى فى القاهرة فى القاهرة فى ١٠ ربيع الثانى سنة ١٠٥١هـ/ ٢٠ يولية ١٦٤١م (ابن بشر ٢/١٩٧، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠ وذكر وفاته سنة ١٠٥٢هـ وهو غير المشهور، البسام: تحفة ٤٣ وقد نقل عن ابن بشر هذا التاريخ ابن حميد : ٣٠٩، ٣١٠، الزركلى: ٨/٢٤٩).

(٣) البسام: علماء ٢/٥٩٣.

وقد جمع بعض علماء نجد بين الرحلة الى الشام ومصر، ومن أبرز هؤلاء العلماء الشيخ زامل بن سلطان الخطيب (١) حيث رحل الى الشام ولازم شيخ المذهب الحنبلي في عصره العلامة موسى الحجاوي (٢) حتى تفقه عليه وأجازه ثم مد رحلته العلمية الى مصر فاستفاد وتفقه على قاضي الحنابلة فيها الشيخ محمد بن أحمد بن النجار الفتوحي (٣) ومن أجل ذلك اشتهر بأنه تلميذ الشيخين الحجاوي والفتوحي، ولما عاد بعد ادراكه في الفقه

---

(١) سبقت ترجمته في الفصل الأول من الباب الأول.

(٢) هو الشيخ موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي الدمشقي الصالحي ولد بحجّة من أعمال نابلس وبها نشأ وتعلم العلم الأوّلي ثم رحل الى دمشق فسكن في مدرسة أبي عمر بحي الصالحية وقرأ الفقه الحنبلي على علمائها حتى تمكن فيه وعدّ شيخ الحنابلة في الشام في وقته وكان امام الجامع المظفري بسفح قاسيون خلفا للشيخ أحمد العرداوي (ت ٩٤٠هـ/١٥٣٣م) له عدد من المؤلفات أبرزها الاقناع وتتلمذ عليه جمع غفير من علماء الحنابلة توفي بدمشق في ربيع الأول سنة ٩٦٨هـ/ ديسمبر ١٥٦٠م.
(نجم الدين **الغزي**: الكواكب السائرة ٢/٩٧، ٣/٢١٥، ٢١٦، ابن ربيعة ٦٤ وذكر وفاته عام ١٠٦٧ **الفاخري ٦٢: وذكر أن وفاته عام ٩٤٨هـ وهو** خلاف المشهور، ابن بشر ٢/١٩٤، ١٩٥ وقد اتفق مع الغزي في أن الوفاة كانت في ١٧ ربيع الأول عام ٩٦٨هـ، ابن حميد ٣١٠، ٣١١، وذكر أن الوفاة في ١٢ ربيع الأول من السنة السابقة، البسام: تحفة ٢٧، الزركلي ٨/٢٦٧، وذكر وفاته عام ٩٦٠هـ ونقل ذلك عن ابن العماد في شذرات الذهب ٨/٣٢٧).

(٣) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي بن ابراهيم ابن رشيد الفتوحي يلقب بتقي الدين بن شهاب الدين بن النجار ولد في القاهرة عام ٨٩٨هـ/١٤٩٢م وتتلمذ على والده عمدة الحنابلة في مصر حيث مهر في الفقه وأصوله كما درس على الشيخ أحمد البهوتي وأحمد المقدسي وعبد القادر الجزيري ثم رحل الى الشام واستفاد من علماء الحنابلة فيها ثم عاد وقد أدرك ادراكا جيدا فألف (منتهى الارادات) في الفقه الحنبلي في حياة والده حيث اثنى على قدرة ابنه في التأليف، وبعد وفاة والده عام ٩٤٩هـ/١٥٤٢م وبعض عمد الحنابلة في الحجاز والشام انتهى اليه الفتيا في المذهب الحنبلي، وقد أثنى عليه عدد من العلماء المعاصرين في عدد من الخصال توفي في يوم الجمعة ١٨ صفر ٩٧٢هـ/ ٢٦ سبتمبر ١٥٦٤م، (الغزي: المصدر السابق ٣/٩٤، ابن حميد ٢٢٠-٢٢٢، الزركلي ٦/٢٣٣).

من هذين المركزين العلميين أخذ في التدريس في منطقة العارض وتولى قضاء الرياض، وكان ضمن من يطلق عليهم (فقهاء العارض)(١) .

ومن هؤلاء كذلك الشيخ محمد بن ابراهيم بن أبي حميدان(٢) ، وقد استفاد في رحلته الى الشام من الشيخ موسى الحجاوي الذي أجازه باجازة مطولة بعد ملازمته له أكثر من سبع سنين وقد أثنى عليه في هذه الاجازة وأذن له أن يفتي ويدرس على مذهب الامام أحمد بن حنبل ، ولما أراد الشيخ محمد بن أبي حميدان الزيادة في العلم رحل الى القاهرة وأخذ عن بعض علمائها ولازم المحدث الشافعي محمد بن أحمد الغيطي(٣) الذي أجازه في الحديث، وهذا يرينا أن بعض علماء نجد لم يقتصروا على الفقه في دراستهم

---

(١) المنقور: الفواكه ١/ ١٣١، ٢٩٥، ٢/ ٣٨٦، البسام : علماء نجد ١/ ٢٦١، ٢٦٢ .

(٢) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن برهان الدين ابراهيم بن محمد بن أبي حميدان ولد في حدود ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م وتتلمذ على بعض علماء نجد ثم رحل الى الشام فتعلم على العلامة موسى الحجاوي حيث قرأ عليه كتابه الاقناع أكثر من مرة كما قرأ عليه عدد من كتب الحنابلة، ثم مد رحلته الى مصر للاستزادة من العلم فاستفاد من الغيطي في الحديث وأجازه فيه عام ٩٦٨هـ/ ١٥٦٠م فلما أدرك في عدد من العلوم عاد الى نجد فصار من كبار علمائها وقصده الطلبة للتعلم عليه حتى توفي في أواخر القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي (المنقور، الفواكه ٢/ ٣٨٩- ٣٩١، البسام: المرجع السابق ٢/ ٧٦٩، ٧٧٠)

(٣) هو محمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر يلقب بنجم الدين الغيطي نسبة الى (غيط العدة) أو (أبي الغيط) في مصر الاسكندري الشافعي ولد ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م تتلمذ على والده في الحديث وكذا غيره من العلماء حتى مهر في عدد من العلوم الا أنه برز في الحديث والتفسير حتى عد من كبار المحدثين والمفسرين ، وكان فيه تصوف الا أنه كان أمارا بالمعروف ناهيا عن المنكر وخاصة مع الأمراء والأكابر وله في هذا أدوار جيدة في اخماد كثير من الفتن ، واشتهر بالحلم حتى أحبه الناس، تتلمذ عليه عدد من العلماء من أكثر الأقطار وألف مجموعة من الكتب ، توفي في ٨١ وقيل ٨٣ وقيل ٩٨٤هـ/ ٧٣، ٧٥ ، ١٥٧٦م (الغزي ٣/ ٥١-٥٣، ٨٢، الزركلي ٦/ ٢٣٤) .

بل كانوا يحرصون على الالمام ببعض العلوم المساعدة له كالتفسير والحديث، كما أن دراسته على امام شافعي تدل على **وعي** فقهي بعدم الاقتصار على علماء المذهب الحنبلي في التعلم، وبعد ذلك عاد بن أبي حميدان مدركا لعدد من العلوم فأصبح من كبار علماء نجد وقصده الطلبة للاستفادة منه(١).

وممن جمع في رحلته العلمية بين هذين المركزين الشام ومصر وتوفي في الثاني الشيخ عثمان بن أحمد بن قائد(٢) الذي تلقى تعليمه في نجد على علماء العيينة ثم رحل الى دمشق ولازم علماءها خاصة الحنابلة منهم حتى أدرك في عدد من العلوم كالفقه وأصوله والنحو الى أن احتدم النقاش بينه وبين مفتي الحنابلة بدمشق في بعض المسائل الفقهية فقرر الرحيل الى مصر

---

(١) البسام: المرجع السابق ٢/ ٧٧٠

(٢) هو الشيخ عثمان بن أحمد بن سعيد بن عثمان بن أحمد بن قائد النجدي ثم الدمشقي فالقاهري ولد في العيينة وهو المشهور الا أن القاضي ذكر أنه رأى بعض المراجع تذكر أن ولادته كانت في حوطة سدير وأن ذلك عام ١٠٢٢هـ/ ١٦١٣م، تتلمذ على الشيخ عبدالله آل ذهلان وهو ابن عمته ثم استفاد **من علماء الحرم المكي في عدد** من العلوم ثم رحل الى دمشق ولازم شيخ الحنابلة فيها **أبا المواهب محمد بن عبد الباقي** واستفاد منه في **الفقه الحنبلي** كما استفاد من غيره من علماء **الحنابلة** ثم رحل الى مصر فاستفاد من العلماء الحنابلة فيها الى أن أدرك ادراكا جيدا في عدد من العلوم فألف فيها مؤلفات جيدة كما استفاد منه عدد من العلماء فيها توفي في مساء الاثنين ١٤ جمادى الأولى عام ١٠٩٧هـ/ ٩ ابريل ١٦٨٦م. (عثمان بن قائد: هداية الراغب لشرح عمدة الطالب ص ٥٧٦، ٥٧٧ من مقدمة **الشيخ عبد الملك بن ابراهيم** آل الشيخ وذكر أحمدا آخر بعد سعيد كما ذكر سعيدا آخر بعد عثمان الثاني وانظر كذلك ص ٣ من مقدمة الشيخ حسنين مخلوف التي أثنى فيها على الشيخ عثمان ولكنه ذكر أن وفاته في ١٤ جمادى الأولى عام ١١٠٠هـ وهو خلاف المعروف، **الفاخري ٨١**، ابن بشر ٢/ ٢١٧، ابن حميد ١٧٥، ١٧٦، ابن ضويان: رفع النقاب ٧٠، الزركلي ٤/ ٣٦٣، البسام: علماء نجد ٣/ ٦٨٣-٦٨٦، القاضي روضة ٢/ ٦٧ - ٧٠).

وتتلمذ على علمائها حتى أدرك ادراكا جيدا فاشتهر فى مصر بالعلم والتحقيق وأصبح فيها مرجعا للعامة والخاصة فى كثير من المسائل الفقهية وطاب له المقام فى القاهرة حتى توفى فيها (١) .

جـ : الاستفادة من مرور بعض العلماء على نجد :-

ولقد كان طلاب العلم النجديون حريصين على اهتبال أى فرصة تحقق لهم الاستفادة من علماء المناطق المجاورة وغير المجاورة الذين سبقوهم فى مضمار العلم والتحصيل ، وعدا تلك الرحلات السابقة فقد كانوا يستغلون مرور بعض العلماء المصاحبين لقوافل الحج أو التجارة ليتتلمذوا عليهم ولو لفترة قصيرة أو قد يقومون بنسخ بعض ما معهم من كتب ، وربما أهدى أو باع بعض هؤلاء العلماء شيئا من هذه الكتب الى طلبة العلم فى نجد .

ومن أبرز من مر فى نجد فى طريقه الى الحج وتأخر فيها العلامة محمد الجزرى (٢) الذى اضطر لهذا التأخر عن حج عام ٨٢٢هـ/١٤١٩م بعد أن عرض للقافلة التى هو فيها قطاع الطرق (٣) بعد مغادرتها عنيزة ونهبوا ما فى القافلة من أموال وخاصة ما مع الجزرى من تحف وهدايا كان يريد اهداءها

(١) ابن قائد : هداية الراغب ص ٥٧٦ من مقدمة الشيخ عبد الملك آل الشيخ ، ابن حميد ١٧٦ ، ابن ضويان ٧٠ ، البسام ٣/٦٨، القاضى روضة ٢/٦٩ .

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن على الشهير بالجزرى نسبة الى جزيرة ابن عمر على الفرات ، ولد بدمشق عام ٧٥١هـ/١٣٥٠م ونشأ بها وحفظ القرآن وعمره ١٢ سنة ، ثم أصبح من كبار أهل القراءات فيها اذ ابتنى فيها دارا للقرآن ، رحل الى مصر مرارا وكذلك بلاد الروم (تركيا) وما وراء النهر والقى عصا التسيار فى شيراز حتى تولى قضاءها وتوفى فيها ٨٣٣هـ/١٤٢٩م يعد شيخ القراء والمحدثين فى وقته ، كما يعتبر من أئمة التصوف ، له مجموعة من المؤلفات تتركز فى القراءات وطبقات القراء والمناقب والحديث ، وله نظم وأراجيز كثيرة فى القراءات (الغزى ١/٢٠٥، ٢/٣٣ ، الزركلى ٧/٢٧٤ ، ٢٧٥، دائرة المعارف الاسلامية ١/١١١٨-١١٢٠) .

(٣) من قبيلة لام الطائية التى كان لها نفوذ واسع فى نجد وما حولها منذ فترة متقدمة عن القرن العاشر الهجرى .

لأعيان الحرمين حيث رجع وصحبه الى عنيزة وجلس فيها قرابة شهر وكان معه بعض الكتب التى ردها له بنو لام، وقد نظم فى عنيزة خلال هذا الشهر: (الدرة المضية فى قراءات الأئمة الثلاثة المرضية) التى صور فيها هذه الحادثة التى تبين جانبا مهما لأحوال نجد الأمنية فى تلك الفترة حيث قال فيها :

غريبة أوطان بنجد نظمتها	وعظم اشتغال البال واف وكيف لا
صددت عن البيت الحرام وزور الـ	مقام الشريف المصطفى أشرف العلا (١)
وطبقنى الأعراب بالليل غفلة	فما تركوا شيئا وكدت لأقتلا
فأدركنى اللطف الخفى وردني	عنيزة حتى جائنى من تكفلا
بحملى وايصالى لطيبة آمنا	فيارب بلغنى مرادى وسهلا

ومن المعتقد حصول فائدة علمية من هذا العلّامة لبعض أهل عنيزة التى عرفت كبلدة منذ القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى سواء كانت هذه الفائدة بتلقي العلم على الجزرى خلال الشهر الذى جلسه فى عنيزة أو نسخ بعض مامعه من الكتب (٢)، كما أن اكرام أهل عنيزة لهذا العالم بقبوله لاجئا لديهم والقيام بما ينوبه خلال ذلك الشهر دليل على معرفة لقدر العلم والعلماء فى هذه البلدة التى عرفت بهذه الناحية

---

(١) انتشر فى تلك الفترة الاعتقاد بقصد الزيارة للقبر النبوى والمبالغة فى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن القصد لزيارة المدينة انما هو للمسجد للصلاة فيه ثم زيارة القبر اثر ذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد وقال فيه : (ومسجدى هذا) ولحديث ، (لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم) وغيرها .

(٢) عن هذه الحادثة : محمد بن أحمد الفاسى : العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين. تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ١٨٤/٤ ، محمد **العبودى** : بلاد القصيم ١٦٤٨/٨.

منذ فترة متقدمة عن قيام الدعوة (١)، وهذا أيضا لابد أن يكون قد انعكس على نفسية الجزرى بمنح ما معه من كتب، ونشر مايستطيع نشره من علم خلال بقائه فى عنيزة.

ولقد مر العلامة معين الدين بن صفى الدين الأيجى الحسينى (٢) ببلدة أشيقر سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٨ هـ فى طريقه الى المدينة المنورة فأقام بعض الوقت فى أشيقر ولازمه خلال ذلك بعض طلبة العلم فى أشيقر واستفادوا بما لديه من علم وربما قاموا بنسخ بعض ما معه من كتب، وكان من أبرز المتلقين عليه العلم فى أشيقر الشيخ حسن بن على بن بسام فى الفقه والعقائد اذ عرض عليه خلال اقامته ثلاثين سؤالا محررة فى هذين العلمين، وقام الشيخ معين الدين بتحرير أجوبته عليها، ولما كان الشيخ حسن بن بسام من نساخ نجد قبل الدعوة فمن المعتقد نسخه لبعض الكتب وضمها لمكتبته التى وقفها على طلبة العلم فى أشيقر، كما أن من المعتقد استفادة طلبة آخرين من هذا العلامة فى أشيقر (٣).

وما من شك أن مرور علامة الأحساء فى وقته الشيخ محمد بن عبد الرحمن ابن عفالق على عنيزة فى طريقه الى الحج كان فرصة للاستفادة العلمية قد

---

(١) من الأمثلة على ذلك رحيل أمير وأعيان أهل عنيزة للشيخ عبدالله ابن عضيب حينما قدم المذنب وطلبوا منه أن يرحل عندهم لينتفعوا بعلمه حيث وافق على ذلك وأقام بينهم معززا مكرما (ابن حميد ١٥٣، البسام: علماء نجد ٢/٥١٨، القاضى : روضة ١/٣١٤).

(٢) هو معين الدين محمد بن صفي الدين عبد الرحمن بن محمد الحسينى الأيجى ولد عام ٨٣٢هـ/١٤٢٩م وهو من أهل ايج احدى بلدان فارس قريبة من شيراز، شافعى المذهب يلقب نفسه بالسنى لحرصه على التمسك بالسنة رغم أنه من المنتسبين لعلي رضى الله عنه من أئمة التفسير والفقه المحققين له مجموعة كتب منها : (جامع البيان في تفسير القرآن) و(بيان المعاد الجسمانى والروح) و(**شرح** الأربعين)) قدم مكة فجاور بها **للتعليم والعبادة** حتى توفي فيها سنة ٩٠٥هـ وقيل ٩٠٦هـ/١٥٠٠، ١٥٠١م (الغزى ١/٣٠٧، ٣٠٨، المنقور: الفواكه ٢/١٤٨، ٢٧٤، الزركلى :الاعلام : ٧/٦٨).

(٣) البسام : المرجع السابق ١/٢١٥، ٢١٦.

استغلها عدد من طلبة العلم فيها، كما أن مصاحبة أبرز تلاميذه له وهو الشيخ محمد بن عبد الله بن فيروز (١) كان عاملا من عوامل توسيع مجال هذه الاستفادة اذ كما يستفيد منه عدد من الطلاب يستفيد من تلميذه عدد آخر سواء كانت هذه الاستفادة بالتلقى المباشر أو عرض أسئلة علمية عليهما، أو نسخ بعض مايحملانه من كتب، ولقد كانت مصاحبة بعض العلماء للنابهين من تلاميذهم مظهرا من مظاهر الملازمة العلمية والتقدير والتشجيع لهؤلاء التلاميذ، ويذكر فى هذا الصدد أن بعضا من أهل عنيزة لما رأوا من ابن عفالق تقديما وتعظيما لتلميذه ابن فيروز سألوه عن سبب ذلك فقال: تفرست فيه شيئا عظيما، وأطنب فى مدحه (٢).

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله بن فيروز ابن محمد بن بسام من بنى وهيب من تميم ولد فى الأحساء فى ١٨ ربيع الأول عام ١١٤٢هـ/ ١١ أكتوبر ١٧٢٩ وكف بصره وعمره ثلاث سنين اثر صابته بالجدرى تتلمذ على عدد من العلماء أبرزهم والده وابن عفالق وعبد الله بن عبد اللطيف ومحمد حياة السندى وغيرهم كل فى العلم الذى مهر فيه حتى أدرك ادراكا جيدا فى عدد من العلوم، وقد أثنى ابن حميد على حفظه وذكائه، وتأهل للتعليم فى حياة والده حيث رحل اليه الطلاب من كثير من البلدان وتفرغوا للتعليم اذ وفر لهم السكن والغذاء، له مكتبة ضخمة فرع نساخا لتأمين الكتب لها، له عدد من المؤلفات لكنها ليست على قدر علمه، وله نظم فى عدد من المناسبات، يؤخذ عليه أنه من كبار معارضي دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى كاتب السلطان العثمانى يستثيره ضد الدعوة والدولة السعودية ثم لما ضمت الأحساء عام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م رحل الى البصرة مع طائفة كبيرة من أسرته وتلاميذه وقال مودعا فى قصيدة مؤثرة مطلعها:

سلام فراق لا سلام تحية على ساكني نجد وأرض اليمامة

توفى فى البصرة فى ليلة الجمعة ١ محرم ١٢١٦/ ١٤ مايو ١٨٠١م، وصلى عليه فى البصرة ثم فى الزبير حيث دفن فيه (الفاخرى ١٣١، ابن بشر ١/ ١٣١، ١٣٨، ١٣٩ وذكر المحقق أن ولادته عام ١١٤٦هـ، ابن حميد ٢٥٧-٢٦١، البسام: علماء نجد ٣/ ٨٨٢ - ٨٨٦، القاضى: روضة ٢/ ١٧٦ - ١٧٨).

(٢) ابن حميد ٢٦٠، البسام: المرجع السابق ٣/ ٨١٩، ٨٢٠

ولقد أثر عن الشيخ عبد الله بن عضيب حرصه على الاستفادة من العلماء المارين بنجد من سائر البلدان الاسلامية، وتلقى العلم عليهم كل فى حقل تخصصه واهتمامه حتى عرف علوما لم يعرفها كثير من العلماء النجديين قبله أو بعده كالمنطق. (١)

٢ - العلاقة بين الطلاب وأساتذتهم :-

يؤكد تاريخ التربية الاسلامية أن الطلاب المسلمين قد أحلوا معلميهم مكانا رفيعا وتأدبوا بالأدب الجم ابان تلقيهم العلم على معلميهم وبعد ذلك واستمدوا ذلك من التوجيه الالهى لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يتأدبوا أمامه وهم يتلقون منه التعاليم الاسلامية، وأن يوقروه التوقير اللائق بشخصه، وهذا التوجيه بينه قول الله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون، ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) (٢) ومن هنا فقد تجاوز المسلمون بهذا التوجيه شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كل أستاذ وعالم لأن العلماء ورثة الأنبياء فيروى عن أحد العلماء قوله : " ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج فى وقت خروجه " (٣) وقيل فى ذلك : " الآباء ثلاثة : أب ولدك، وأب رباك، وأب علمك، وخير الآباء من علمك " ويروى عن الامام الشافعى قوله عن تلقيه العلم على الامام مالك : " كنت أقلب الورق بين يدى مالك تقليبا رقيقا هيبة أن يسمع وقعه " وقال أحد تلامذة الشافعى : " والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعى ينظر الى هيبة منه " وقد عد من الآداب التى يجب على الطالب أن يلاحظها

---

(١) ابن حميد ١٥٢، ١٥٣، البسام : المرجع السابق ٢/ ٥١٧، وقد نسخ شرح التهذيب فى المنطق وكتب عليه هوامش تدل على قراءته له قراءة عمق وفهم.

(٢) سورة الحجرات آية ٢، ٣

(٣) سيد قطب، فى ظلال القران ط ١٠، دار الشروق . بيروت، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ٦/ ٣٣٤٠

مع أستاذه : ألا يمشي أمام معلمه، ولا يجلس مكانه، ولا يبتدئ الكلام عنده الا باذنه، ولا يكثر الكلام عنده، ولا يسأله عن ملالته، ويجتنب سخطه، ويتمثل أمره في غير معصية.(١)

ولقد اقتدى الطلاب النجديون بأسلافهم المسلمين في هذه الناحية فكانوا في مرحلة الطلب ومابعدها يعاملون شيوخهم بمنتهى التواضع والأدب يدفعهم في ذلك الحرص على الاستفادة القصوى من معلميهم وتلك ناحية نفسية وعاها هؤلاء الطلاب اذ بقدر مايمنح الطالب أستاذه تقديرا واحتراما صادقا بقدر مايقابل الأستاذ ذلك بالبذل العلمي الواسع، ثم مايلبث هذا الأدب وذلك التقدير والاحترام أن يكيف العلاقة بين المعلم والطالب طيلة حياتهما مع ملاحظة أن ذلك لم يمنع من حصول نقاش علمي واختلاف أحيانا حول عدد من المسائل الا أنهم يلتزمون بالمبدأ القائل (اختلاف الرأى لا يفسد للود قضية).

وان فيما أطلقه الشيخ أحمد بن بسام(٢) على نفسه في سؤاله لأستاذه أحمد بن خيخ مايدل على منتهى التواضع والأدب مع الشيخ عند الطلبة

---

(١) د . أحمد شلبي : تاريخ التربية الاسلامية ط (٥) طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ص ٣١١

(٢) هو الشيخ احمد بن محمد بن عبد الله بن بسام بن عساكر من آل زاخر الوهيبي التميمي ولد في أشيقر عام ٩٧٨هـ/١٥٧٠م وتتلمذ على علمائها ثم رحل الى الرياض وتتلمذ على ابن خيخ ثم رحل الى القصب فتولى القضاء فيها ثم انتقل الى ملهم وصار قاضيا فيها كذلك ومنها رحل الى العيينة وتولى القضاء فيها، مهر في الفقه والتاريخ والانساب وتعد نبذته في التاريخ أولى المحاولات النجدية لكتابة التاريخ توفي في العيينة عام ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م وهو جد **آل بسام المعروفين في عنيزة وغيرها** (المنقور: الفواكه ٢١٥/١، ٥١٠، ٢٤٥/٢، ٢٤٧، ٢٥٩، ٢٦٤، ٣٤٩، ٣٨٦، التاريخ ٧، ٨ ابن ربيعة ١٢، ٥٨، الفاخرى ٦٥، ابن بشر ١٩٦/٢، ٢٠٧، ٢٠٨، ابن عيسى ٢١، ٢٦، ٥٠، ٥٢، ٥٩، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٢، البسام تحفة ٥٦، ٦١، البسام: علماء ١٨٦/١-١٨٨، القاضي : روضة ٥٨/١، ٥٩).

النجديين فى تلك الفترة ، يقول ابن بسام فى هذا : " ورفع الأمر الى خويدم نعالكم " (١) .

وفى المقابل فقد كان هؤلاء الطلبة يضفون على أساتذتهم ألقاب التفخيم أثناء تعليقهم على الاجابات الفقهية لهؤلاء الاساتذة ومبعث ذلك اعجابهم الشديد بتلك الاجابات السديدة واحتقار علمهم أمام علم أساتذتهم وهذا كله عائد الى تلك العلاقة الحميمة بين الطلاب والأساتذة النجديين اذ أن هذه الألقاب مهما بلغت درجة فخامتها فهى تعبير عما يكنه هؤلاء الطلاب تجاه أساتذتهم من محبة وتقدير ، وفى هذا الصدد قال الشيخ سليمان بن على (٢) تحت اجابة فقهية لشيخه محمد بن أحمد بن اسماعيل (٣)

---

(١) المنقور: الفواكه ١/ ٥١٠ ، وابن خميخ سبقت ترجمته .

(٢) هو الشيخ سليمان بن على بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن مشرف من آل زاخر الوهيبى التميمى جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب امام الدعوة - ولد فى أشيقر وتلقى العلم على علماء نجد كالشيخ أحمد بن ناصر بن مشرف والشيخ عبدالله بن عبد الوهاب بن مشرف والشيخ محمد بن اسماعيل حتى أدرك ادراكا جيدا فى الفقه ، طلبه أهل روضة سدير لتولى القضاء فرحل اليهم ثم تركها اثر خلاف مع بعض أهلها الى العيينة حيث تولى القضاء فيها وانتشرت سمعته فى نجد فانتهت اليه الفتيا فيها وقصده طلاب العلم من كل مكان ، ألف منسكا فى الحج وهم بشرح المنتهى لولا علمه بشرح الشيخ منصور البهوتى له ، له عدة اجابات فقهية نقل المنقور بعضها فى الفواكه ، توفى عام ١٠٧٩ هـ/١٦٦٨م فى العيينة (المنقور: الفواكه ١/ ٢٦٥ ، ٣١٩ ، ٣٢٨ ، ٣٥٠ ، ٤٤٣ ، ٥٠٦ ، ٢/ ٢١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٩٦ ، ٣٢٠ ، التاريخ ٥٢ ، ٥٣ ، ابن ربيعة ٥١ ، ٥٢ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٦٦ ، الفاخرى ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ابن بشر ٢/ ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ابن حميد ١٠٣ ، ابن عيسى ٥٤ ، ٦٢ ، البسام: تحفة ٧٣ ، البسام : علماء نجد ١/ ٣٠٩ - ٣١٣) .

(٣) هو الشيخ محمد بن أحمد بن اسماعيل بن عقيل بن زهرى بن جراح الثورى نسبا السبيعى حلفا ولد فى أشيقر وتتلمذ على علمائها ومن أبرزهم الشيخ أحمد بن محمد بن مشرف ، وواصل تعليمه حتى صار علامة الديار النجدية وقصده الطلاب والعامة للتعلم والاستفتاء وكان عمدة فى الفقه والأنساب ، كما أثر عنه الكرم وحب الخير ، وهو

(=)

(١)
جوابى كما أجاب به الشيخ الأمين والشامة البيضاء فى العالمين" ، ومما يندرج تحت ذلك تخصيصهم أساتذتهم بالدعاء حين ذكرهم أحياء أو أمواتا ، ومن الأمثلة على ذلك قول الشيخ أحمد بن محمد البجادى (٢) معلقا على **جواب** شيخه ابن اسماعيل والشيخ سليمان بن على : " جوابى كما أجاب به الشيخان ، ألبسهما الله التقوى والايمان (٣)" وكذلك قول الشيخ أحمد المنقور **فى مقدمة مجموعه مبينا أن ما ذكره فيه من مسائل قد استفاد أغلبها من شيخه عبد الله** ابن ذهلان فقال : (غالبها بعد الاشارة من شيخنا وقدوتنا الشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان بل الله بالرحمة ثراه ، وجعل جنة الفردوس مأواه (٤) .

(=) مؤسس بيت العلم فى آل اسماعيل حيث وجد من أبنائه وأحفاده واخوته علماء أجلاء أثنى عليه الشيخ مرعى بن يوسف وغيره توفى فى ٨ ذى الحجة عام ١٠٥٩هـ/ ١٤ ديسمبر ١٦٤٩م فى مكة بعد أن عقد نية الاحرام بالحج (المنقور: الفواكه ١/ ٢١٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٥٠٦ ، ٥١٥ ، ٥٢٠ ، ٢/ ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٩ ، ٣٤٧ ، ٣٨٦ ، ٣٩٢ ، التاريخ ٤٦ ، ٤٩ ، ابن ربيعه ٥١ ، ٦٣ ، ابن بشر ٢/ ١٩٨ ، ٢٠٨ ، ٢١٨ ، ابن عيسى ٥٩ ، البسام : تحفة ٦٧ ، البسام: علماء نجد ٣/ ٧٨٨ - ٧٩٠ ، القاضى : روضة ٢/ ١٦٠ - ١٦٢) .

(١) المنقور: الفواكه ١/ ٥٠٦

(٢) هو الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن بجاد وينسب أحيانا فيقال البجادى الوهيبى التميمى ولد فى أشيقر وكان والده من وجهاء البلدة وأثريائها وله سمعة فيها وما حولها ، فتعلم القراءة والكتابة فيها ثم طلب العلم على كبار علمائها وأشهرهم الشيخ محمد بن اسماعيل حتى أدرك فى الفقه ، وله فيه مسائل عديدة وأجوبة سديدة وقد أورد المنقور فى الفواكه بعضا منها ، وله معرفة فى الأنساب ، توفي عام ١٠٧٨هـ/ ١٦٦٧م (المنقور ١/ ٥٠٦ ، ٢/ ٢١ ، ابن عيسى ٢١٢ ، البسام : علماء نجد ١/ ١٨٤ ، ١٨٥) .

(٣) المنقور: المصدر السابق ١/ ٥٠٦

(٤) المنقور: المصدر السابق ١/ ٣

ولقد كانت دواعي الاعجاب بهؤلاء الاساتذة متوافرة حيث كانوا يعاملون طلابهم معاملة أبنائهم أو قد تزيد من البذل العلمي الواسع بالتعليم وتوفير الكتب أحيانا فضلا عن الانفاق المادي وتوفير سبل العيش الكريم لطلابهم وفوق هذا وذاك العطف والرعاية الذي يلقاه الطلاب من أساتذتهم يدفعهم في ذلك النظر الى أن سلسلة النسب العلمي خير من سلسلة النسب العرقي (١)، وقد عبر الشيخ محمد بن علي بن سلوم (٢) عن اعجابه المطلق بشيخه محمد بن عبد الله بن فيروز حين قال: " وفقه الامام أحمد أرويه عن مشائخ أمجاد وهداة نقاد أعلاهم قدرا وأنبههم ذكرا وأوسعهم جاها وفخرا وأكثرهم في العلوم تفننا وألطفهم بالطالبين تحننا استاذي **وقدوتي** من عليه جل اشتغالي في مدة ارتحالي الشيخ محمد بن عبد الله ابن فيروز روّح الله تعالى روحه ونور ضريحه (٣)".

وفي حالات غضب الأساتذة على طلابهم كان هؤلاء الطلاب حريصين

---

(١) مما يندرج تحت هذا الموضع - وان كان متأخرا عن فترة هذا البحث - قول الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل (ولد ١٢٥٧هـ/ ١٨٤٠م وتوفى عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م) في اجازته لتلميذه عبدالله ابن خلف الدحيان (ت ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م) بعد ذكر سلسلة العلماء الذين أخذ عنهم: (وهذا النسب خير من نسب الابوة لان الاب ابو الجسم والشيخ ابو الروح (كذا؟) وانت بالعقل والروح انسان لا بالجسم) البسام: المرجع السابق ٣/ ٨٤٥.

(٢) هو الشيخ محمد بن علي بن سلوم بن عيسى بن سليمان بن محمد بن خميس بن سليمان الوهيبي التميمي ولد في العطار - احدى بلدان سدير - في روضان ١١٦١هـ/ أغسطس ١٧٤٨م وتعلم فيها تعليما اوليا ثم رحل الى المجمعة فدرس على الشيخ احمد التويجري ثم رحل الى عنيزة وقرأ على الشيخ صالح الصائغ كما قرأ على بعض علماء الوشم والحرمين ثم رحل الى الاحساء فتتلمذ على عدد من علمائها الا انه لازم الشيخ محمد بن فيروز حتى ادرك في عدد من العلوم **مع بروزه في** الفقه خاصة **الفرائض** والف **مجموعة** من الكتب في **الفرائض** والعقيدة والانساب والتاريخ، رحل مع شيخه الى البصرة فسكن الزبير ولما رحل ابنه عبد اللطيف لقضاء سوق الشيوخ - شمال شرق البصرة - رحل بعائلته معه، وقد تتلمذ عليه عدد من العلماء من نجد والاحساء والعراق، وهو من **الموالين** لمعارضي الدعوة كابن فيروز الا انه لم يعثر له على كتب او رسائل رد بها على الشيخ محمد بن عبدالوهاب او دعوته، توفي في سوق الشيوخ في ١٢ رمضان سنة / ٢٥ فبراير ١٨٣١م (الفاخري ١٦٨، ابن بشر ١/ ١٦، ابن حميد ٢٦٨-٢٧٠، البسام: تحفة ١٦٦، البسام: علماء نجد ٣/ ٩٠٩-٩١٤، القاضي روضة ٢/ ١٨٠ - ١٨٣).

(٣) البسام: علماء نجد ٣/ ٩١٢

على استدرار عطف ورضا أساتذتهم عليهم استمرارا لتلك العلاقة الحميمة بينهم وكانوا ينطلقون من منطلق اعطاء كل ذى فضل فضله وأن ماحصلوا عليه من علم انما هو بسبب توجيهات وآراء أساتذتهم فشرف الطالب شرف لاستاذه وما قد ينتابهم من جهل لبعض القضايا العلمية انما بسبب قصور فهمهم وادراكهم وهذا مايجب أن يكون محل توجيه هؤلاء الاساتذة ونصحهم لا غضبهم وتخطئتهم لطلابهم، وقد عبر عن هذه القضية الشيخ محمد بن ربيعة[(١)] فى رسالة عتاب رقيق لشيخه منيع بن محمد حيث قال :

" من محمد بن ربيعة الى شيخنا وقدوتنا وبركتنا الشيخ الأجل الأوحد منيع بن محمد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

انى لم أبلغ هذا المبلغ الا من بركة الله ولطفه ثم بركتك، وحين رأيتك تنسبنى الى الخطأ ساءنى ذلك، فلو أنك اذا ظهر لك خطئى تنبهنى عليه سرا ولم تظهره جهرا كان أحسن لأن شرفى شرف لك لأنى تلميذك وناشيء على يديك"[(٢)].

---

(١) هو الشيخ محمد بن ربيعة العوسجى البدرانى الدوسرى ، قيل ولد ثادق الا أن أستاذى المشرف شكك فى ذلك وساق بعض المبررات فى مقدمة تحقيقه لتاريخ ابن ربيعة، وتاريخ ولادته عام ١٠٥٦هـ / ١٦٥٤م، تلقى العلم على عدد من العلماء كالشيخ عبد الله بن ذهلان، واحمد القصير، وعبد الوهاب بن عبد الله بن مشرف، ومنيع ابن محمد العوسجى، ومحمد بن عبد الله بن سلطان العوسجى وغيرهم حتى أدرك فى الفقه فتولى قضاء ثادق عام ١١٤٠هـ/١٧٢٧م له تاريخ موجز فى تاريخ نجد قام بتحقيقه أستاذى المشرف ونشره النادى الأدبى فى الرياض، توفى عام ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م، وقيل ١١٥٦هـ/١٧٤٣م(المنقور : الفواكه ٢/ ٣٣٠، التاريخ ٥٩، ابن ربيعة: التاريخ ١٩-٢٢ من مقدمة المحقق، الفاخرى ١٠٥، ابن بشر ٢/٢١٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٩، ٢٤١ وذكر فيها وفاته عام ١١٥٦هـ بينما فى ٢٧/١ ذكر أن ذلك عام ١١٥٨هـ، ابن حميد ٢٤١، ابن عيسى ١٠٧، حمد الجاسر: معجم أنساب الأسر المتحضرة فى نجد ٢/ ٦٤٦، البسام : تحفة ١٠٩، البسام: علماء نجد ٣/ ٧٩٧، ٧٩٨ القاضى : روضة ٢/ ١٦٢ - ١٦٤).

(٢) البسام: علماء نجد ٣/ ٧٩٨

وكانت هذه العلاقة الحميمة وسيلة الى تحقيق الاستفادة العلمية القصوى للتلميذ من أستاذه بطرق كافة السبل الكفيلة بتحقيق تلك الاستفادة كالمراسلة اذا نأى التلميذ عن أستاذه مع الحرص على استغلال الفرص التى قد يتسنى للشيخ فيها زيارة بلد تلميذه ليقوم هذا التلميذ بواجب التكريم تجاه شيخه مع الاستفادة العلمية منه.

وتصور رسالة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن اسماعيل (١) الى شيخه حسن بن عبد الله أباحسين الرغبة الأكيدة لدى الطالب النجدى فى تلك الفترة بملازمة شيخه حتى بعد الادراك تحقيقا لمبدأ استمرارية التعلم ووصلا لتلك العلاقة الحميمة والحب المتبادل بينهما فى مرحلة الطلب.

يقول الشيخ ابن اسماعيل فى رسالته:

• من عبد الله بن عبد الرحمن بن اسماعيل الى جناب شيخنا المكرم حسن بن عبد الله أبا حسين. سلمه الله تعالى

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والباعث لذلك ابلاغ شيخنا أتم السلام وأن يبلغ جميع أهل بيته عنا السلام، والكتاب الذى مع الدرويش وصل، ومكتوب سيف ماوصلنى، وهذا

---

(١) هو الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن الشيخ محمد بن أحمد بن اسماعيل بن عقيل بن ابراهيم بن موسى بن زهرى بن جراح الثورى ولد فى أشيقر وتتلمذ على علماء آل اسماعيل وعلى العلماء الآخرين فيها كالشيخ حسن أباحسين وأحمد القصير وغيرهما حتى أدرك فى الفقه قتل عام ١١١٩هـ/١٧٠٧م. (ابن ربيعة ٨٣، محمد ابن عباد: تاريخ مخطوط حوادث سنة ١١٢٠هـ، ابن بشر ٢/٢٢٨ البسام: علماء نجد ٢/٥٧٦، ٥٧٧، وتتفق هذه المصادر فى أن القاتل هو الشريف عبد العزيز بن هزاع (شريف نجد فى زمنه حيث تولى شرافتها عام ١١٠٨هـ/١٦٩٦م كما ذكر المنقور وابن عباد فى حوادث هذه السنة)، وقد وهم ابن بشر حينما ذكر أنه من زعماء بنى خالد واكتفى البسام بذكر كونه من الأشراف، وبينما يذكر ابن ربيعة أن الشيخ عبد الله حفيد لعلامة نجد فى زمنه محمد بن اسماعيل وهو الأقرب للصحة، يذكر البسام أنه ابن لأخى الشيخ محمد).

الرجل الواصل اليك بالمراسيل هو ولد أبى داود من أهل العيينة، وسألته عن مكتوب الأجوبة فقال نسبتها فى كربة نخلة فى الفرعة فالمرجو من احسانك تسأل عنها أ هل الفرعة ربما تجدها ان شاء الله ولي رغبة وشوق الى رؤية وجهك والمذاكرة معك فمن احسانك تخبرنا بقدومك علينا أويستدعي بقدومنا عليك، وأبلغ سلامنا الشيخ أحمد (١).

ولم تقف تلك العلاقة الحميمة حائلا أمام بروز ظاهرة النقاش العلمى بين التلاميذ وأساتذتهم بكثرة المفاوضات العلمية بل كان الأمر يتعدى ذلك أحيانا الى النقاش العلمى الحاد والاختلاف الشديد حول بعض المسائل العلمية.

وتعد المفاوضات العلمية أسلوبا من أساليب ترسيخ المادة العلمية فى ذهن التلميذ علاوة على كونها وسيلة الى كثرة المناقشات العلمية واحتدامها أحيانا بين التلميذ وأستاذه ذلك أن بعض تلك المفاوضات كانت تتكرر حول مسألة واحدة على درجة من الأهمية (٢).

ولئن كانت بعض تلك المفاوضات قد ساعدت على تمكين تلك العلاقة الحميمة بين التلميذ وأستاذه فقد أدى بعضها الى الحدة فى الأسلوب وبروز ظاهرة الجدل العلمي الذى يحرص أصحابه على تأييده بما لديهم من أدلة وبراهين، وكان ذلك يتم أحيانا بين التلميذ - بعد ادراكه - وبين شيخه، كما يحصل بين العلماء أنفسهم.

ومن صور ذلك الجدل العلمي ما وقع بين الشيخ أحمد بن محمد بن بسام وبين شيخه محمد بن أحمد بن اسماعيل فى مسألة خيار الشرط فى البيع ويلمح المطلع على هذه المراجعة حدة أسلوب ابن بسام بينما يتسم أسلوب

---

(١) البسام: علماء نجد ٢/٥٧٦، ٥٧٧

(٢) هى مراجعة الطالب لأستاذه فى بعض المسائل العلمية التى يكون عنده شك فيها أو لم يفهمها بسرعة أو يطلع على رأى مخالف لها، ومن الأمثلة على ذلك ما أورده المنقور فى الفواكه ١/١٩٤، ٢/٢٥٩، ٢٦٤.

شيخه بالرقة والسهولة والحرص على بقاء العلاقة الطيبة بين الشيخ ابن اسماعيل وتلاميذه.

وقد قال الشيخ ابن اسماعيل فى هذه الرسالة ردا على رسالة تلميذه: " وقولك - وفقك الله - انك ساد باب الخيار فحاشا لله، ومعاذ الله أن أسد بابه، وأنكر صوابه، بل أنا ساد باب فعل أهل هذا الزمان من أهل هذه الديرة (١)، لأني لم أره موافقا لما ذكره أهل العلم بل مخالف له شرعا أصلا وفرعا) (٢).

ويستثير ابن اسماعيل فى تلميذه علمه وفقهه فى هذه المسألة فلا يسفهه أو ينتقصه حيث يقول: " فأنت تعلم أن أهل العلم مصرحون فى باب الخيار أن البائع بشرط الخيار لا يستحق قبض الثمن الا بعد انقضاء مدة الخيار وان قبضه حرم عليه التصرف فيه (٣).

ويؤكد النص التالى تحلي الشيخ ابن اسماعيل بالتواضع العلمي فى هذا الجدال الفقهى بينه وبين تلميذه، ويصور بالتالى جانبا من جوانب العلاقة بين العلماء النجديين وتلاميذهم فى حرصهم على أن يعي طلابهم هذه الناحية ليقتدوا بهم فيها، وفى هذا يقول ابن اسماعيل: وأما قولك: انك لا ترفع الى قول القائل به رأسا، فوالله ان جائنى منك على صحة فعلهم دليل - من كلام أهل العلم - واضح قاطع، وبرهان صريح ساطع، لأقبلنه بالآماق ناشرا له على الأحداق (٤)، ولأعلنن بقبوله، ولأعملن بمدلوله،

---

(١) وهو خيار الشرط فى بيع الحيلة.

(٢) المنقور: الفواكه ١/ ٢١٥

(٣) المنقور: المصدر السابق ١/ ٢١٥

(٤) الآماق: جمع مأق وموق مجرى الدمع من العين أو مقدمها أو مؤخرها، والأحداق: جمع حدقة محركة سواد العين (الفيروزابادى باب القاف فصل الميم والحاء) والمعنى أقبلنه قبولا تاما وأنشره على الناس ليروه بأعينهم.

فالحق أحق أن يتبــــع.[1]

وقد ختم الشيخ ابن اسماعيل جوابه على تلميذه ابن بسام بتأكيد هذه الناحية وحرصه على استمرار الود والوفاء بينه وبين تلميذه والتحلي بـــروح الحوار العلمي الهادئ ،فقال في ذلك: " وقولك : في كتابك غلظ ،فان كان شئ لا يصلح الكلام الا به ،والا فوالله لا أزال لك على الوفاء والصفاء برئ من الغلظة والجفاء".[2]

ويبدو أن حالات الخلاف العلمي المقرونة بالأساليب الرقيقة أحيانـــا والحادة أحيانا أخرى قد تكررت في أكثر من مسألة فقهية بين الشيخ محمد بن اسماعيل وتلميذه ابن بسام ففي رسالة من ابن بسام لشيخه حول مسألـــة الادعاء والبيّنة قال :" وأعلم أني فهمت منك مسألة وقت الدرس، وهـــي ماذا ادعى شخص على آخر عقارا بيده ،لقد مات مورثه وهو في ملكه فقـــال المدعى عليه : ملكي بيدي ،فهات بينة أني غاصب أو غير ذلك أو أنا غير رشيد ، وأقام ولي البينة: لقد مات مورث موليي هذا وهو في ملكه.. " الى أن قـال : (فالمفهوم وقت الدرس أن القول قول صاحب اليد ، وقد لاح مفهوم لمحبـــك القاصر غير ذلك[3] وذكر أنه راجع بعض فقهاء نجد المعاصرين له فأيـــدوه في فهمه ،وأن فتاوى بعض علماء نجد السابقين كذلك تؤيد **هذا الفهم كمــا يؤيده جميع فقهاء أهل العارض الذين يعدون من أبرز الفئات الفقهيـــة في نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.**[4]

كما ذكر في رسالة أخرى الى شيخه قائلا : " وتراكم مقيمين علـــى

---

(١) المنقور: المصدر السابق ١/ ٢١٥
(٢) المنقور: المصدر السابق ١/ ٢١٨
(٣) المنقور: المصدر السابق ٢/ ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، وقد كرر هذه المسألة فـي الصفحة الثانية باختصار
(٤) المصدر السابق ٢/ ٢٦٠.

مسألة - ويعلم الله - ماهيب كلام أهل العلم (١)، وصورتها : اذا كان في يدك عين ، وادعيت عليك أن هذه العين خلفها أبي تركة ، وأقمت بذلك بينة ، فقولكم : القول قول صاحب اليد ، وكذلك اذا ادعى شخص على آخر في عين بيده أن زيدا باعه اياها وهي ملكه ، تقولون : القول قول صاحب اليد الا أن يقيم بيّنة نحو غاصبه ويذكر السبب" ثم بعد أن ذكر ما يؤيد كلامه من أبرز مصادر المذهب الحنبلي قال :" اذا ذكرت السبب ، فالمفهوم على خلاف فهمكم حين الدرس والله أعلم" (٢).

ويمكن القول ان ظاهرة الاختلافات العلمية في بعض المسائل الفقهية بين العلماء النجديين وتلاميذهم تعد سمة من سمات الحياة العلمية في نجد قبل الدعوة برزت لدى أكثر من عالم فيذكر بعض المؤرخين أن **سليمان بن عبد الله بن زامل** (٣) وابن عمه محمد بن علي بن زامل (٤) - وهما زميلان في الدراسة

---

(١) ماهيب كلام : تعبير نجدي لجملة (ماهي بكلام)

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٦٠ ، ٣٨٦ ، وقد كرر هذه المسألة مع تغيير بسيط في كلماتها .

(٣) هو الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن زامل الزهري الثوري نسبا السبيعي حلفا ولد في عنيزة على علمائها ومن أبرزهم الشيخ عبد الله بن عضيب ، ثم رحل الى الوشم واستفاد من علمائها وعاد الى عنيزة فلازم شيخه حتى أدرك ادراكا جيدا في الفقه وغيره ، ولما ترك الشيخ عبد الله بن عضيب عنيزة ونزل الضبط ، تولى بعده قضاء عنيزة والامامة والخطابة والفتيا والتعليم وذلك عام ١١٣١هـ / ١٧١٨م فصار مرجع البلدة ، ولقب بالامام لسعة علمه ، في عام ١١٤٥هـ/١٧٣٢م طلب الاعفاء من منصبه وتجرد للعبادة والافتاء والتعليم حتى توفي عام ١١٦١هـ/١٧٤٨م ، (ابن عيسى ٢٤٠ ، البسام : علماء نجد ١/ ٣٠٠ ، ٣٠١ ، القاضي : روضة ١/ ١١٩ ، ١٢٠)

(٤) هو الشيخ محمد بن علي بن محمد بن زامل الزهري الثوري ، ولد في عنيزة ويلقب بأبي شامة لشامة في شعره ، تعلم تعليما أوليا حتي اذا قدم عنيزة الشيخ عبد الله بن عضيب لازمه حتى أدرك في العلوم الشرعية وألم ببعض العلوم كالعربية ، كما زامل وتتلمذ على قريبه

(=)

على الشيخ عبد الله بن عضيب في عنيزة - كانا يتباريان مع شيخهما في مناقشة بعض المسائل الفقهية، واذا احتدم الخلاف حكم ثلاثتهم علماء أشيقر أو علماء العارض، ولم يحل ذلك دون القيام بواجب الاحترام والتقدير لشيخهما. (١)

وقد أورد المنقور في مجموعه (٢) جوابا من الشيخ سيف بن عزاز لبعض

(=) الشيخ سليمان بن زامل، راسله الشيخ محمد بن عبد الوهاب ضمن من راسل من علماء نجد، تولى قضاء عنيزة بعد زميله الشيخ عبد الله بن احمد بن اسماعيل (ت ١١٩٦هـ/١٧٨١م) بعد تركه للقضاء كما خلفه على امامة الجامع والخطابة، وقام بالتدريس كذلك حتى توفي في حوالي ١١٩٠هـ/١٧٧٦م. (ابن غنام ١/ ٩٥، **ابن قاسم: الدرر** ٢/ ٢٠، ٢١ وقد أسقط فيهما اسم محمد فورد على بن زامل، ابن عيسى ٢٤٠، البسام: علماء نجد ٣/ ٩٠٨، القاضي ٢/ ١٦٦).

(١) البسام: المرجع السابق ١/ ٣٠٠

(٢) هو الشيخ سيف بن محمد بن عزاز من آل مشرف من الوهبة من تميم خال امام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولد في أشيقر وتلقي العلم على بعض علمائها الا أن أبرزهم الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن مشرف - قاضي العيينة وجد في التحصيل حتى مهر في الفقه وتولى قضاء أشيقر وتصدى للتدريس والافتاء، وتتلمذ عليه عدد من العلماء وأشهرهم الشيخ محمد بن فيروز - أول قاض للكويت وجد محمد بن عبد الله بن فيروز (ت ١١٣٥هـ/ ٢٢، ١٧٢٣م)، توفي أشيقر عام ١١٢٩هـ/ ١٦، ١٧١٧م (المنقور: الفواكه ١/ ٣٦٢، ٢/ ١٥-١٩ وقد أورد فيها ملخص سؤال موجه من الشيخ سيف الى الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن ناصر أحد علماء الشافعية بالأحساء سنة ١١٠٢هـ/ ٩٠، ١٦٩١م وهو يشير الى تلقى الشيخ سيف العلم على هذا العالم سواء بالمشافهة أو المراسلة، ابن ربيعة ٧٠، ابن بشر ٢/ ٢١٤، ٢٣١، ابن حميد ١٠٤، البسام: علماء نجد ١/ ٣٢٩، ٣٣٠).

لبعض مشائخه وزملائه فى احدى مسائل المساقاة وهى الرغبة فى التفاسخ من أحد المتعاقدين على المساقاة اذا تضمن ضررا على أحدهما فقال الشيخ سيف فى هذا : " وبعد ، فوصل المكتوب وهو مشعر بشدة تمضفكم بذلك المكتوب ، وليس فيه مايوجب ذلك لأنى مبالغ فى التلطف فى الخطاب ، وقابلتموه بهذه الغلظة الشديدة ، ونسبتم أنه جمع بين الغث والسمين ، والصواب وضده ولم يظهر لكم ذلك بصريح من النقل ، وقد عن لى ألا أجيب مكتوبكم لما فيه من الأيحاش ، ثم بدا لى بالاجابة بما لا أيحاش فيه سواء قابلتم ذلك بالقبول أو الرد "(١).

ويبدو أن الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن مشرف(٢) لم يترك تلميذه سيف بن عزاز أو مؤيد به على آرائهم بجواز فسخ المساقاة بعد ظهور الثمرة اذا تلف شئ منها وعدم الزام العامل اتمام العمل فقال فى ذلك ردا جاء فيه : وبعد : ، فقد وقفت على ماذكرت من التمثيل بما لا طائل فيه ، واعلم أن المفهوم حل العبارات بالمفهوم الموافق للمنقول ، واما القياس فممنوع محرم فوظيفة متفقه الزمان الاخبار بما رآه مسطورا لمن سأله ، وماسواه يكف عنه ، والا كان آثما خائنا ، مع أن ماذكرتم غير مطابق لحكم المساقاة ، ولا موافق ، فكيف يصدر هذا من متفقه ، سبحانك ، هذا افتراء على مذهب الامام أحمد ، الى أن قال : " هذا هو الذى عليه قدماء متفقهة قطرنا ، ومن عرفنا وعرفه غيرنا ،

---

(١) المنقور: المصدر السابق ١/٣٦٢

(٢) هو الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب بن موسى بن عبد القادر من آل مشرف من وهبة تميم ، من بيت علم اذ أن والده من علماء نجد البارزين ، كما أن أبناءه وأحفاده برز منهم علماء ، تلقى العلم على والده ، ثم على الشيخ سليمان بن علي والشيخ علي بن محمد بن بسام(ت ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م)حتى أصبح مرجعا فى القضاء والفتيا والتعليم ومنح الاجازات العلمية ، ولى قضاء العيينة - فى أزهى فترات تاريخها - حتى توفى عام ١١٢٥هـ/١٧١٣م ، له تلامذة كثيرون كالمنقور ، وابن ربيعة ، وسيف بن عزاز وعبد الله بن فيروز ، وله اجابات فقهية تنم عن سعة أفق فى هذا العلم ، وقد أورد المنقور كثيراً منها

(=)

فأنت تدارك نفسك (١) ".

وبعد مراجعته مرة ثالثة أجاب ردا على تلميذه ومؤيديه بقوله: لقد وقفت على هذا الجواب وما تضمنه من زكاة الخطاب، من استدلاله بكلام الأصحاب، وحمله على غير الصواب، فانا لله وانا اليه راجعون، **فهذه مصيبة في الدين** (٢) " وأنهى الشيخ عبد الوهاب جوابه هذا بعد ايراد بعض الحجج والبراهين بقوله: "ولا يجوز التفصيل الا بدليل، وأئمة المذهب مطلقون وأنتم تفصلون، ليت ما كان منكم ما كان، وكانت حالكم عندنا مستورة، وليت لكم سلف في القضية وقد أرسلت اليكم رسالة نصحية فقابلتموها بهذه المفاهيم الواهية والله أعلم (٣) ".

واذا كانت الاختلافات العلمية بين الطلاب النجديين وأساتذتهم داخل المنطقة لم تؤد الى القطيعة التامة رغم حدة أساليبها أحيانا فان هذه الاختلافات بين هؤلاء الطلاب وأساتذتهم خارج نجد قد جرت الى امتناع هؤلاء الطلاب من الاستمرار في تلقي العلم على من اختلفوا معه بل والرحيل عن بلده الى بلد آخر طلبا للعلم، وفي هذا الصدد تحدثنا المصادر أن الشيخ عثمان بن قائد رحل من الشام الى مصر اثر خلاف علمي في مسألة فقهية بينه وبين أحد شيوخه في الشام الشيخ محمد بن عبد الباقي أبي المواهب (٤) حول الحرير اذا تساوى وغيره في الظهور أو زاد الحرير اذا كان

(=) في مجموعه. (المنقور: الفواكه ١/ ٣٤٥، ٣٦٤، ٣٦٥، ٥١٤، ٥٤٢، ٥٥٣، ٥٥٥، ٢/ ٢٥٣، ٢٥٤، ٣٣٠، ابن ربيعة ٢٠، ٨٥، الفاخري ٩٥، ابن بشر ٢/ ٢٠٧، ٢٣١، ابن حميد ١٧٢، البسام: تحفة ٩٤، البسام: علماء نجد ٣/ ٦٧١، ٦٧٢).

(١) المنقور: المصدر السابق ١/ ٣٦٥، ٣٦٦

(٢) المنقور: المصدر السابق ١/ ٣٦٦.

(٣) المنقور: المصدر السابق ١/ ٣٦٧

(٤) هو الشيخ محمد أبو المواهب بن تقي الدين عبد الباقي بن عبد القادر الحنبلي البعلي (نسبة الى بعلبك اذ أصل عائلته منها) الدمشقي ولد بدمشق عام ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٥م قرأ على والده وعدد من العلماء الحنابلة الدمشقيين، ثم رحل الى مصر سنة ١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م وتتلمذ

(=)

الثوب مسدى بالحرير وملحما بغيره كصوف وقطن لكن أخرجته الصناعة فظهر السدى وخفيت اللحمة، فقال أبو المواهب بالحل وقال عثمان بن قائد بالحرمة وطالبت بينهما المنازعة والمناظرة فاحتد أبو المواهب على ابن قائد حتى رحل من الشام الى مصر.(١)

ويبدو أن بعض الاختلافات العلمية من العمق وتنوع الموضوعات بحيث كان التحكيم فيها يتطلب عرض بعض مسائلها على فقهاء البلدان المجاورة ممن هم أطول باعا من العلماء النجديين في محاولة من هؤلاء العلماء لتدعيم آرائهم ضد مخالفيهم المحليين، وكان الفقيه النجدى فى هذا حريصا على أن يعرض آراءه على مجتهدى المذاهب الأربعة مع التركيز على عمد المذهب الحنبلي فالشافعى، ومن الأمثلة على ذلك سؤال الشيخ أحمد بن بسام شيخه أحمد بن خسيخ عن صحة فتوى أفتى بها فى احدى مسائل الوقف وخالفه فيها بعض العلماء، وتطلب الأمر بعد ذلك عرض الموضوع على بعض فقهاء الشافعية بل على مفتى الأحساء فى زمنه الشيخ ابراهيم بن حسن،(٢) ولما حكم الشيخ منصور البهوتى أيّد ابن بسام فى رأيه مؤكدا أنه

(=) على عدد من علمائها وعلماء الحرمين كذلك، وقد أعد ثبتا بأسماء مشايخه وتراجمهم، أدرك فى الفقه وعلوم القرآن والحديث وانتهت اليه فتيا الحنابلة بالشام اثنى عليه ابن حميد وتتلمذ عليه مجموعة من العلماء، له رسائل فى تفسير بعض الآيات، وتعليقات على صحيح البخارى، توفي فى دمشق فى شوال ١١٢٦هـ/أكتوبر ١٧١٤م.
(عبد الرحمن الجبرتى: عجائب الآثار ١٢٧/١، ابن حميد ٨٦-٨٩، الزركلى: ٥٥/٧).

(١) ابن قائد: هداية الراغب ص٥٧٦، من مقدمة الشيخ عبد الملك بن ابراهيم آل الشيخ، ابن حميد ١٧٦، البسام: علماء نجد ٦٨٣/٣، القاضى: ٦٩/٢

(٢) هو الشيخ ابراهيم بن حسن الأحسائي موطنا الحنفى مذهبا، كان ضليعا فى الفقه والأدب والنحو وعلوم أخرى كثيرة، تتلمذ على علماء الأحساء ثم على مفتى مكة الشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدى (ت ١٠٣٧هـ/١٦٢٨م) وأجازه، وأخذ التصوف على الطريقة

سر بما أفتاه وأوضحه.(١)

ولما كان الشيخ سليمان بن علي قد خطّأ مخالفيه في بعض مسائل الوقف كذلك فقد حرص على أن يدعم رأيه بموافقة عدد من فقهاء مكة من مجتهدى المذاهب الأربعة وأئمة وخطباء المسجد الحرام، وكانت هذه الموافقة بخط هؤلاء الفقهاء الذين يعدون عمد تلك المذاهب فى الحجاز.(٢)

والمتأمل فى مظاهر تلك العلاقة بين طلاب العلم النجديين ومعلميهم يدرك الى أى مدى كانت هذه العلاقة عاملا مهما من عوامل ازدهار الحركة العلمية فى نجد قبل الدعوة رغم الظروف السياسية والاقتصادية السيئة، ولئن لم يقرن ذلك بالازدهار العظيم الذى تحقق للحياة العلمية بعد الدعوة، الا أنه فى تلك الظروف فان جهود العلماء النجديين تعتبر جيدة، ومن أسباب ذلك تلك العلاقة الحميمة بين الطلاب ومعلميهم، هذه العلاقة التى لم توجد جوا من الرهبة والتعالى من الشيخ أمام تلاميذه وفرض

(=) النقشبندية على الشيخ تاج الدين بن زكريا الهندى (ت ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م)، وتتلمذ عليه جمع من الأحسائيين من أبرزهم أمير القطيف العثمانى يحيى بن على باشا (ت ١٠٩٥هـ / ١٦٨٤م) وللشيخ نظم جيد، وكتب منها (شرح نظم الأجرومية) فى النحو، و(دفع الأسى فى أذكار الصبح والمسا مع شرحها، توفى فى ١٠/٧/١٠٤٨هـ الموافق ١٢/٢/١٦٣٩م) فى الأحساء (محمد بن فضل الله المحبى : خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر، نشر دار صادر، بيروت ١٨/١، ١٩، الزركلى : الاعلام ٢٨/١).

(١) المنقور: الفواكه ٥١٠/١، والعثيمين : الحياة الدينية فى نجد، مجلة الدارة ع ٣/س ٤ ص ٣٦.

(٢) وذلك فى وقف السعدونى فى العيينة والذى أفتى فيه بعض علماء نجد غير الشيخ سليمان، عبد الوهاب بن عبد الله بن مشرف وأحمد ابن بسام وعبد الله بن ذهلان وغيرهم، وكان البحث فيه يدور حول استحقاق أخ الميت أو أعمامه لوقف مات موقفه عن أخ وأعمام فقط (المنقور ٥١١/١ - ٥١٤).

الآراء العلمية فى ظل ذلك الجو بل أتاحت لتلك المناقشات العلمية الجادة أحيانا الانطلاق بحركة التعليم الى مستوى لا بأس به، ذلك أن العلم لا ينمو ولا يزدهر الا فى ظل المناقشات والمجادلات والردود ، وهذا أمر قد كيف العالم النجدى وطلابه علاقتهما على ضوئه مع حفظ حق المعلم فى النهاية بالاحترام والتقدير، ولعل هذا من أسباب رحيل الشيخ عثمان بن قائد عن الشام الى مصر أثر احتداد المناقشة بينه وبين شيخه أبى المواهب اذ ربما أن أبا المواهب حاول فرض رأيه على تلميذه أو منعه من نشره، وهو أمر لم يتعوده مع أساتذته النجديين .

٣- مجالات التأليف :

لقد طرق العلماء النجديون فى مجال التأليف بعض العلوم على اختلاف فيما بينها فى كثرة التأليف والعمق فيه اذ تتدرج مؤلفاتهم كثرة وعمقا من الفقه الى التاريخ الى التوحيد فعلوم اللغة، ورغم أنه لم تصل الينا مؤلفات أو رسائل فى غير هذه التخصصات فمن المعتقد أن يكون لدى بعض العلماء النجديين محاولات ولو محدودة فى مجالات أخرى اذ أثر عن بعضهم دراسة الحديث والاجازة فيه حتى أشير اليه بالامامة فى الفقه والتوحيد والتفسير والحديث والنحو والبلاغة(١)، وما من شك أن هذا سوف ينعكس بدوره على اهتمام من بلغ هذه الدرجة فى أى من هذه العلوم فيساهم فيها ولو برسائل صغيرة، الا أن من الواضح أن جل اهتمام علماء نجد فى تلك الفترة كان منصبا على تلك العلوم الأربعة بدرجة متفاوتة فيما بينها .

أ - الفقه :

لقد كان الفقه ولايزال أبرز العلوم التى تلقى القبول فى المجتمع

---

(١) البسام: علماء نجد ٣/ ٧٧٠، د . عبد الله الشبل : مجلة كلية الشريعة بالاحساء عدد سابق ص ٥١٥، وقد مر بنا حصول الشيخ محمد بن أبى حميدان على اجازة فى الحديث من المحدث محمد الغيطى .

النجدى ويجد حامله التقدير والاحترام نظرا لأس أساس الفقه استنباط القواعد الأساسية والأحكام الفرعية من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لحل جميع القضايا المستجدة ، ولأن اتقان هذا العلم كان كافيا لامداد البلدان النجدية بحاجتها من القضاة (١).

ومن هذا المنطلق فقد حظي هذا العلم بمؤلفات تفوق فى كثرتها وعمقها وتخصصها الدقيق سائر العلوم الأخرى ، وأخذ كثير من علماء نجد ـ ممن لديهم قدرة ومعرفة ـ القيام بتأليف بعض الكتب والشروحات والرسائل الفقهية اضافة الى قيامهم بأعمال التدريس والقضاء والامامة والحسبة وما الى ذلك (٢).

ولما كان الانتماء المذهبى لعلماء نجد فى الأغلب الى المذهب الحنبلي ، ولوجود اتصال علمي جيد بين هؤلاء العلماء والمدارس الحنبلية فى الشام ومصر والعراق ، فقد كان يحصل تنسيق أحيانا بين علماء نجد وعلماء تلك البلدان فى مجال التأليف بغية الحيلولة دون تكرار بعض المؤلفات حول موضوع واحد أو تعدد الشروحات حول كتاب واحد ، ومن أبرز الأمثلة فى هذا الصدد عدول الشيخ سليمان بن على بن مشرف ـ جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ عن شرحه للاقناع أو المنتهى فى الفقه الحنبلى ، أو اتلافه لشرحه حينما علم بقيام الشيخ منصور البهوتى بهذا العمل (٣).

---

(١) المنقور: التاريخ : مقدمة المحقق الدكتور عبد العزيز الخويطر ، ١٦ ، ١٧ ، د . العثيمين : مرجع سابق ٣٦ ، منصور الرشيد : المرجع نفسه ص ١٠٧

(٢) المرجع السابق ص ١١٠

(٣) ذكر ابن بشر أن الشيخ سليمان شرح الاقناع وأخذه معه الى الحج فالتقى بالشيخ منصور فى مكة فذكر له أنه شرحه فأتلف الشيخ سليمان ماشرحه ، بينما ذكر ابن حميد أنه هم بشرح المنتهى وليس الاقناع ـ وكلاهما شرحه الشيخ منصور ـ فقدم عليه بعض الطلبة بشرح الشيخ منصور عليه فأعرض عما عزم عليه وقال : كفانا الشيخ هذا المهم ، ويقال انه طالعه بتأمل فقال : وجدته موافقا لما أردت أن أكتب ماعدا ثلاثة مواضع أو نحوها ، ويذكر البسام أن الشيخ سليمان فى حجته

(=)

وليس هنا مجال العرض التفصيلي للمؤلفات الفقهية لعلماء نجد قبل الدعوة الا أن المطلع عليها يجد أنها ضمت المجاميع الفقهية (١) كما ضمت الرسائل الصغيرة لتفصيل أحكام أحد أبواب الفقه (٢)، وهذا ما جعل التأليف الموسوعي للفقه يسير جنبا الى جنب مع تلك المؤلفات التخصصية.

ب - التاريخ :

على ضوء المعلومات المتوافرة حتى الآن يمكن القول أن علم التاريخ يلي الفقه مباشرة من ناحية اهتمام بعض

(=) المعروفة عام ١٠٤٩هـ/١٦٤٠م وجد الشيخ منصور حاجا في ذلك العام فاجتمع به، وأطلعه الشيخ منصور على شرحه للاقناع وكان الشيخ منصور لم ينته من شرحه الا ذلك العام فتأمله الشيخ سليمان ثم قال وجدته مطابقا لما عندي الا مواضع يسيرة وأتلف شرحه عليه (ابن بشر ٢/٢١٠، ابن حميد ١٠٣، البسام : علماء نجد ١/٣١١).

(١) كمجموع المنقور الفقهي المسمى : الفواكه العديدة في المسائل المفيدة، ولم يذكر ابن حميد هذه التسمية له مما يوحي بأنها ليست من وضع المؤلف بل ذكر له اسمين هما : ١- القيد الجامع لغرائب الفوائد ٢- النقولات الجليلة من الكتب العربية (ابن حميد ٦٤)، ومن الكتب الفقهية الشاملة : هداية الراغب شرح عمدة الطالب للشيخ عثمان بن قائد والمجموع فيما هو كثير الوقوع للشيخ عبد الرحمن ابابطين وغيرها (د. عبد الله الشبل : مرجع سابق ٥١٨، ٥١٩).

(٢) أبرز ما ألف في هذا الموضوع عدد كبير من المناسب التي تفصل موضوع الحج والعمرة ومنها ١- منسك الشيخ أحمد بن عطوة ٢- منسك الشيخ أبي نمي بن راجح ٣- منسك الشيخ سليمان بن علي ٤- منسك الشيخ أحمد المنقور وغيرهم، ومما ألف في هذا الموضوع كذلك ١- رسالة في موقف الشيخ عبد العزيز بن عدوان (ت ١١٥٧هـ) - ٢ رسالة الاسعاف في اجازة الأوقاف للشيخ عثمان بن قائد - ٣ - رسالة في أحكام الرضاع للشيخ عثمان بن قائد وغيرهم.

علماء نجد قبل الدعوة باعداد بعض المؤلفات المحدودة فيه، وقد وضعت بمثابة رصد لبعض الأحداث التاريخية المحلية على شكل مذكرات تدور بعض أحداثها حول شخص معدها أو أسرته أو بلده، الا أن الباحث يجد فيها أحداثا يمكن الاستفادة منها لكتابة التاريخ النجدى عموما.(١)

ولعل من أبرز أسباب اهتمام بعض علماء نجد النسبى بهذا العلم هو شعورهم بضرورة تسجيل بعض الأحداث المتعلقة بأشخاصهم أو بلدانهم أو أسرهم ، وهى وان كانت قليلة الا أنها تفيدهم فى معالجة بعض القضايا الفقهية(٢) ، ومن الأمثلة على ذلك ذكر المنقور وابن ربيعة لتأسيس وشراء بعض المزارع، وشراء ابن ربيعة لكتب شيخه ابن ذهلان، وهذا التاريخ يفيد في تقرير الملكية الخاصة بهذه المزارع أوالكتب لهما أو لأبنائهما فى حال وجود من يعترض على ذلك.(٣)

كما أن ذكر بعض الأحداث المهمة فى المنطقة ضرورى لمعرفة قرب أو بعد حالات الولادة والوفاة والزواج من هذه الأحداث، وتلك ناحية وعاها بعض مؤرخي نجد قبل الدعوة فأولوها اهتمامهم، ومن الأمثلة على ذلك ذكر المنقور وابن ربيعة كذلك لبعض حالات الزواج والولادة والوفاة الخاصة بهما أو ذريتهما مع بعض الأحداث المهمة والظواهر الطبيعية.(٤)

---

(١) تاريخ المنقور ٧ - ١٠، ٢١، ٢٢ من مقدمة المحقق الدكتور عبد العزيز الخويطر، تاريخ ابن ربيعة ٢٣، ٣٦ من مقدمة المحقق الدكتور الشبل.

(٢) مقبل الذكير: مسودة تاريخ لم يقرر مؤلفه عنوانا له مخطوط بمكتبة الدراسات العليا جامعة بغداد تحت رقم ٥٦٩ ورقة ١٧١، ٢١٨، وانظر: *Dr. Mohammed Then Al- Thenayan History Writing in Nagd. p. 56.*

(٣) المنقور: التاريخ ٦٩، ٧٣، ٧٦، ٧٧، ابن ربيعة : التاريخ ٧٦، ٨٠، ٨٢، ٨٧.

(٤) المنقور: المصدر السابق ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٣، ٧٦، ٧٧ - ٧٩، ابن ربيعة المصدر السابق ٨٥، ٩٠، ٩١.

وما من شك فى أن طرق بعض الفقهاء النجديين مجال التاريخ بجانب اهتمامهم الرئيسي فى دراسة الفقه جعلهم يتميزون عن غيرهم ممن اقتصروا على الفقه بالحس التاريخى المكمل لصفات الفقيه الناجح [١] ، ولئن كان هذا الطرق على استحياء منهم فمردّ ذلك الى استنكاف الفقهاء السابقين وبعض المعاصرين لهم من الخوض فى مجال التاريخ .

ومن هذا المنطلق فان الكتابات التاريخية فى تلك الفترة على أهميتها لم ترق أو تقارب تلك المؤلفات التاريخية الكبيرة التى قام بها المؤرخون المسلمون السابقون أو المعاصرون لعلماء نجد قبل الدعوة سواء فى مجال التاريخ العام أو المحلى ويرجع ذلك الى أسباب فصّلها بعض المختصين فى تاريخ نجد ولا ضرورة لذكرها هنا [٢] .

ج - التوحيد :

لقد سبقت الاشارة الى أن قسما من علماء نجد قبل الدعوة كان لديهم بعض الاهتمامات العقدية المحدودة ، وقد تمثلت فى نقد بعض البدع والخرافات ، كما برزت فى نقل بعض التقريرات العقدية من كتب بعض المحققين من السلف الصالح من أهل السنة والجماعة وخاصة المشهورين بالحرص على اماتة البدع واحياء السنة ، على أن ذلك كما مر لم يرق الى المستوى الرائع الذى قام به امام هذه الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وبالاضافة الى ذلك فقد كان لبعض العلماء النجديين بعض الرسائل العقدية التى توضح عقيدة السلف فى بعض المسائل كمعرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل وما يندرج تحت ذلك من أصول الدين كاثبات العلو والاستواء والكلام لله سبحانه اثباتا يليق بجلاله .

---

(١) Dr. M. Then Al- Thenayan, p. 56.

(٢) مقبل الذكر: المرجع السابق ١٧١ ، د. عبد العزيز الخويطر: ابن بشر، منهجه ومصادره ص ٥ ، ٦ ، الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص ١٩ - ٢٤ من مقدمة المحقق الدكتور عبد الله الشبل .

ومن أبرز ما أعد فى هذا المجال رسالة للشيخ عثمان بن قائد أسماها (نجاة الخلف فى اعتقاد السلف) وقد طبع هذه الرسالة وقدم لها ونشرها الشيخ مجمد جميل الشطي - مفتي الحنابلة بدمشق - سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م، وقد أثنى على تقريرات الشيخ عثمان فى هذه الرسالة ذلك أنه كان يعتمد في نقولاته وتأييد آرائه على ماقاله كبار محققي عقيدة أهل السنة والجماعة.(١)

على أن الشيخ عثمان بن قائد قد ضمّن بعض كتبه الفقهية آرا عقدية على طريقة السلف الصالح تبين أنه من المحققين فى هذا المجال، وأنه ليس على طريقة أكثر الفقهاء المعاصرين له فى صفات الله عز وجل فى عدم اهتمامهم بالتحقيق فيها على رأى أهل السنة والجماعة، ومن أوضح الأمثلة فى هذا الصدد ماذكره فى مقدمة كتابه الفقهي (هداية الراغب شرح عمدة الطالب) حيث قال: (والحال أن الصفة تارة تعتبر من حيث هى، وتارة من حيث قيامها به تعالى، وتارة من حيث قيامها بغيره تعالى، وليست الاعتبارات الثلاثة متماثلة اذ ليس كمثله شئ لا فى ذاته ولا في شئ من صفاته ولا شئ شئ من أفعاله وهو السميع البصير، فاحفظ هذه القاعدة فانها مهمة جدا بل هى التى أعنت السلف الصالح عن تأويل آيات الصفات وأحاديثها وهى العاصمة لهم أن يفهموا من الكتاب والسنة مستحيلا على الله من تجسيم أو غيره).(٢)

وقد قام الشيخ عثمان بذلك بانتقاء بعض الآراء العقدية من كتاب (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) لابن حجر العسقلانى ووضعها في كتاب سماه (التوحيد)(٣)، ويدل ذلك مع ماسبق على اهتمام خاص من الشيخ عثمان بموضوع العقيدة مع تبحره بعلم الفقه ادراكا منه بضرورة مواكبة

---

(١) عثمان بن قائد : نجاة الخلف ص ٢ من مقدمة الناشر.
(٢) البسام : علماء نجد ٣/ ٦٨٤.
(٣) ابن بشر ٢/ ٢١٧ هامش ٣، الدارة ع ٢/ س ٤/ ص ٢٨

التعمق في أصول الدين للدراسات الفقهية .

ولئن كان ابن قائد قد عاش بعضا من عمره خارج نجد حيث توفي في مصر فربما كان اهتمامه بهذا المجال نتيجة مناقشاته مع العلماء في الشام ومصر، الا أن كونه من العلماء النجديين الذين لقيت مؤلفاتهم (١) المتنوعة رواجا في نجد قد يجعل لهذه المؤلفات العقدية قبولا لدى بعض النجديين قبل الدعوة ، ورغم أن لهذه الأفكار العقدية ظلت حبيسة كتبه التي لم تنشر في المنطقة الا بعد وفاته فمن المعتقد وجود نية لديه لنشرها في نجد بعد عودته من القاهرة غير أن الموت عاجله فتوفي بها (٢) .

وممن وجد لديهم اهتمام ببعض مسائل التوحيد الشيخ منيع بن محمد العوسجي الذى وضع رسالة في مسألة الرضا بالقضاء - وهي قضية عقدية - وسمى هذه الرسالة (النقل المختار من كلام الأخيار) والشيخ منيع في هذا أضاف اهتماما آخر الى جانب بروزه في علم الفقه والعربية (٣) .

د - علوم الآلة (٤) :

لقد نعى أحد علماء الأحساء على بعض علماء نجد عدم تعمقهم في علوم العربية بعد الشيخ سليمان بن علي ، ومعنى هذا أن الشيخ سليمان بن علي كان من المهتمين بعلوم العربية الى جانب تضلعه في الفقه (٥) .

---

(١) د . عبد الله العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٩ ، بحثه في الدارة ع ٣ / س ٤ ص ٣٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩

(٣) البسام : المرجع السابق ٣ / ٩٥٦ ، منصور الرشيد : بحثه في الدارة ، العدد السابق ص ١١٩ .

(٤) علوم الآلة هي علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة لانها تقوّم اللسان الذى يطلق عليه الآلة أحيانا .

(٥) البسام : المرجع السابق ٣ / ٩٥٦ ، ٩٥٧ .

وقد امتدح هذا العالم الشيخ منيع بن محمد العوسجي تعمقه في علم النحو بعد أن تباحثا فيه فقال : (ان كان في نجد مثلك يفهم فهو يسمى نحوياً) [١] ولاغرو في ذلك فالشيخ منيع قد تلقى علوم العربية حتى أدرك فيها على عالم الأحساء الكبير محمد بن عبد الرحمن بن عفالق المشهور بتبحره في هذه العلوم.[٢]

على أن الشيخ منيعا نفسه قد عاب على بعض علماء نجد في وقته قصورهم في علوم العربية وعدم اهتمامهم بها وذلك في رسالة أرسلها الى معاصره الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل[٣] وهذا دليل على معرفة من الشيخ منيع وابن اسماعيل بعلم النحو اذ لا يعيب أحد أحدا في شئ الا أنه غير موجود فيه أو أنه متحل بضده.[٤]

والواقع أنه قد وجد لدى بعض علماء نجد في فترات متفاوته قبل الدعوة اهتمام لا بأس به بعلوم الآلة وقد برز ذلك في تأليف بعض الرسائل لتوضيح بعض الموضوعات اللغوية ، والقيام باختصار بعض المؤلفات القديمة .

ومن أبرز الذين أدلوا بدلوهم في هذا المجال الشيخ عثمان بن قائد الذى ألف رسالة في آيّ المشددة تحتوى على ثلاثة فصول وخاتمة ولاتزال مخطوطة ويوجد لها ثلاث نسخ : نسختان في دار الكتب المصرية احداها منقولة عن خط المؤلف وهما تحت رقم ٧٠م نحو ، والثالثة في المكتبة

---

(١) البسام: المرجع السابق ٣/ ٩٥٧

(٢) البسام: المرجع السابق ٣/ ٨٢٠ ، ٩٥٦

(٣) هو الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن اسماعيل الزهرى الثورى ولد في أشيقر ونشأ فيها وقرأ على علماء آل اسماعيل وغيرهم من علماء أشيقر حتى تأهل للتدريس والافتاء ، وكان حسن الخط مضبوطه توفي في أشيقر عام ١١٣٥هـ/١٧٢٢م (البسام: علماء نجد ٣/ ٨١٤ ، ٨١٥) .

(٤) البسام: المرجع السابق ٣/ ٨١٤ ، ٨١٥ .

الظاهرية بدمشق تحت رقم ٢٠٤ نحو، كما وضع رسالة أخرى في النحو سماها (كشف الضو في معنى لو) وتوجد نسخة منها في المكتبة الظاهرية برقم ٢٠٩ نحو، وله رسالة في ان وتوجد في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية.(١)

وقد قام الشيخ عبد الله بن عضيب باختصار القاموس المحيط للفيروزابادي علاوة على قيامه بنسخه كاملا، وألف تلميذه الشيخ صالح بن عبد الله الصائغ رسالة في النحو لا تزال مخطوطة، وهذه المؤلفات دليل اهتمام جيد من علماء نجد بعلوم العربية، والمعتقد وجود وسائل أو كتب غير تلك.(٢)

ان تزايد العلماء في نجد كلما قرب الزمن من قيام الدعوة، واهتمام هؤلاء العلماء بالتعلم والتأليف في مجالات أخرى غير الفقه وخاصة علم التوحيد، ان ذلك كله كان ارهاصا لظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ذلك أن كثيرا منهم كان يعرف في قرارة نفسه السلوك الديني لأهل نجد بجانبيه السلبي والايجابي، وضرورة محاربة بعض البدع والخرافات على ضوء تلك الدراسات والمؤلفات في مجال التوحيد.(٣)

٤- طريقة التأليف:

لقد اتبع المؤلف النجدي طريقة من سبقه من المؤلفين في المجالات التي طرقتها الا أن المطلع على بعض المؤلفات النجدية قبل الدعوة يجد أساليبا لطريقة التأليف استلزمتها طبيعة الحياة العلمية التي هي صورة من صور الحياة الاجتماعية.

ففي مجال الفقه اتبع شراح الكتب المعتمدة في المذهب طريقة مؤلفيها في التبويب ولكنهم كانوا يحرصون على تقريب أفكار هؤلاء المؤلفين

---

(١) البسام: المرجع السابق ٦٨٦/٣، مجلة العرب جـ ٩، ١٠/ س ١٢، ص ٧٠٧ من تعليق الشيخ حمد الجاسر على ترجمة ابن قائد من السحب الوابلة.

(٢) ابن حميد ١٥٤، البسام: المرجع السابق ٣٦٥/٢، ٥٢٠، ٥٢١، القاضي، روضة ١٦٧/١، ٢١٥

(٣) د. العثيمين: المرجع السابق ١٨، أبحاثه في الدارة ع ٢/ س ٤، ص ٢٨، ع ٣/ س ٤ ص ٣٤

بما يصنفونه من سلاسة العبارة وجودة السبك وقياس بعض القضايا المستجدة على ما ذكره المؤلف السابق ، وايراد بعض الأدلة لتوضيح حكم أورده المؤلف ، ومن هنا فقد لقيت بعض الشروحات النجدية قبولا لدى الفقهاء فى نجد والبلدان المجاورة (١).

أما المجاميع الفقهية ذات الطابع المحلي فانها تتبع التبويب الفقهي الذى درج عليه الفقهاء السابقون الا أنها تركز على الأبواب الفقهية التى يكون فيها أسئلة من عامة النجديين ولهذا فقد تغفل أحد أبواب الفقه مما لم يرد حوله أسئلة ذات أهمية ، ومن أبرز هذه المجاميع مجموع المنقور الفقهي (الفواكه العديدة فى المسائل المفيدة) الذى وجد فيه علماء نجد (٢) مايساعدهم على حل بعض قضايا الناس ، ولقى قبولا لديهم الى الوقت الحاضر .

وتتمثل طريقة المنقور فى ايضاح حكم أى مسألة بعرض آراء مجتهدى المذهب الحنبلي السابقين والمعاصرين ثم ذكر آراء العلماء النجديين ولا يغفل بعض اجتهادات أصحاب المذاهب السنية الأخرى وخاصة المذهب الشافعى .

ويعوز هذا المجموع التنظيم فى بعض المسائل ففى كتاب الطهارة وكتاب الصلاة وضع مباحث من منسك شيخ الاسلام ابن تيمية علما أن مكانها هو كتاب الحج الذى أفرد له مبحثا مستقلا ، كما يجد المدقق فى هذا الكتاب

---

(١) قال الشيخ محمد حسنين مخلوف فى مقدمة كتاب هداية الراغب لابن قائد : جمع هذا الشرح بين الاختصار وسهولة العبارة ودقة البحث ووضوح الاشارة) الى أن قال : " أما الشارح (ابن قائد) فيظهر من شرحه أنه فقيه متبحر وعالم ضليع فى مذهب الامام أحمد ابن حنبل رضى الله عنه ، حسن التأليف جيد السبك والتصنيف " الصفحات ٣ ، ٥ ، ٦ .

(٢) بينما يجد المطلع على هذا المجموع التفصيل فى باب الوقف والبيوع وأحكام النساء لا يجد لباب الصيام افرادا ببحث مستقل وما ورد عن هذا الباب فهى أحكام محدودة جدا ضمنت بعض الأبواب : انظر على سبيل المثال ١/١٥١ ، ١٦٣ - ١٦٥ ، ولعل من أبرز مظاهر

(=)

تكرارا لبعض المسائل وأحكامها وهو تكرار ربما فرضته طبيعة تأليف هـذا المجموع اذ كان فى أصله تسجيلا للدروس التى كان المنقور يتلقاها مع مجموعة من طلاب العلم على الشيخ عبد الله بن ذهلان فكان أحيانا يكتب وقت الدرس وأحيانا بعد انتهائه ثم يضيف اليها مايجده مكتوبا من أجوبة شيخه وغيره من العلماء السابقين والمعاصرين.(١)

أما الكتابة التاريخية فقد اتبعت طريقة المدرسة الاسلامية التى سلكها معظم المؤرخين المسلمين فى اتباع نظام الحوليات المتضمنة أخبار الحروب والاغارات بين القبائل، وبين القرى، وبين الحضر والبدو، وحوادث القتل الفردية وشبه الفردية، وبعض حالات الولادة الخاصة ووفيات الأعيان والظواهر الجوية، والأوبئة والآفات التى تتلف المحصولات الزراعية، وارتفاع الأسعار وانخفاضها، وبعض النواحى الزراعية والعمرانية، ومن أوضح معالم هذه الطريقة الاغراق فى الايجاز، وعدم وحدة الموضوع.(٢)

ولم يخرج التأليف فى المجالات الأخرى عن طريقة المؤلفين السابقين ففى مجال العقيدة التزم المؤلف النجدى طريقة المحققين من سلف هذه الأمة فى وحدة الموضوع وايراد الأدلة والبراهين النقلية والعقلية لاثبات أو نفى أى مسألة تتعلق بالتوحيد(٣)، كما أنه فى الكتابة اللغوية حرص على الالتزام بهذه

(=) قبول علماء نجد لهذا المجموع تعويلهم على كثير من أحكامه، واختصار بعض العلماء له كالشيخ محمد بن سلوم، والشيخ عبد الله العنقرى (ت ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م) (ص"ج" من مقدمة ناشر الفواكه، تاريخ المنقور ص ١٧ من مقدمة الدكتور الخويطر، ابن حميد : السحب ورقة ١٦٩، البسام: علماء نجد ٣/ ٩١٠).

(١) الفواكه ١/ ٤، ٥، ٤٠، ٦٥، ٨٤، ١٤١، ١٨٣، ٢٤٠، ٢٥٤، ٤١٧، ٤٤٥.

(٢) مقدمة تاريخ المنقور ٣، مقدمة تاريخ ابن ربيعة ٣٥، مقدمة تاريخ الفاخرى ٢٥، ٣٥.

(٣) تجد هذا واضحا فى رسالة نجاة الخلف التى قسمها المؤلف الى موضوعات عقدية هامة وحرص على شمول الحديث فيها لمفهوم العنوان موردا الأدلة النقلية من كتاب الله عز وجل ثم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقوال صحابته وأئمة المذاهب الأربعة والمحققين من سلف الأمة المتقدمين منهم والمتأخرين كعبد الله بن المبارك والأوزاعى وابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

الطريقة سواء فى تلك الدراسات التفصيلية، أو المؤلفات العامة، واختصار بعض المؤلفات القديمة.

ويقف الباحث معجبا حين يرى التزام بعض المؤلفين النجديين ببعض مظاهر الأسلوب العلمي فى الكتابة - وان لم يكن ذلك بالطريقة الحديثة فى كتابة البحوث العلمية - وقد تمثل ذلك فى التبويب الوافى لعناصر الموضوع، والتحلي بروح الأمانة العلمية فى نسبة المعلومات الى أهلها، وما يندرج تحت ذلك من التخلق بالتواضع العلمي فى اعطاء كل ذى فضل فضله وعدم الادعاء الكاذب بنسبة مالم يفعله الى نفسه.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك التبويب الذى وضعه الشيخ عثمان بن قائد لرسالته (نجاة الخلف) حين وضع لها مقدمة جيدة فى وجوب معرفة الله تعالى وسبيل تلك المعرفة وقسم الرسالة بعد ذلك الى ثلاثة فصول: الأول: فى مسألة العلو، والثانى فى مسألة الكلام والثالث: فى قواعد نافعة ثم ختم الرسالة بخاتمة أبرزت أهم الأفكار التى تضمنتها المقدمة والفصول الثلاثة، وقد وضع تبويبا شبيها بذلك لرسالته فى النحو عن آى المشددة.(١)

وقد اتبع المنقور فى منسكه (جامع المناسك الثلاثة الحنبلية) طريقة أخرى حيث رتبه على مقدمة ثم خمسة أبواب يندرج تحت كل باب مجموعة من الفصول ثم خاتمة، وهاتان الطريقتان تتمشيان مع الطريقة الحديثة فى كتابة البحوث والكتب والرسائل العلمية.(٢)

وكان مبعث حرصهم على نسبة النصوص والآراء الى أصحابها ماكانوا يتحلون به من تقوى وورع وخوف من الله سبحانه من تحمل تبعة تلك الآراء أمامه عز وجل يوم القيامة، وتلك بلاشك قمة الأمانة العلمية.

---

(١) البسام: علماء نجد ٣/٦٨٦.

(٢) المنقور: جامع المناسك الثلاثة الحنبلية ١٥٣-١٥٩ وقد طبع هذا المنسك أكثر من طبعة وآخر طبعة اطلعت عليها الثالثة عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م وكلها بواسطة المكتب الاسلامى، بيروت ودمشق.

وفى هذا الصدد فقد رجع المنقور فى الفواكه العديدة الى ستة وخمسين وثلاثمائة كتاب شملت مختلف العلوم وقد أحسن الناشر صنعا حين أثبتها فى آخر الكتاب، هذا عدا الوثائق الخطية والأجوبة المتفرقة والمعلومات الشفوية، وكانت عبارة (ومن خطه أو من كتبه نقلت) للمكتوب، والمفاوضة مرارا للشفوى من وسائل التثبت عند المنقور (١) حتى اذا تحقق من ذلك عزى المعلومة الوارة الى صاحبها.

وقد أشار الى حرصه الشديد على ذكر مصادره فى قوله : (وكذلك كتبت ما أشار اليه - ويقصد شيخه ابن ذهلان - من الفوائد الشوارد، وأضفت الى ذلك ماوجدت من أجوبته، وما اطلعت عليه من أجوبة غيره من العلماء الأفاضل، وأبين قائله خروجا من تبعته، وأضفت كل شئ الى مايشابهه أو يقاربه ليسهل تناوله على من طلب) (٢).

على أن المنقور قد فعل الشئ نفسه فى منسكه فلم يشأ أن يضع له عنوانا يوحى بنسبته الى نفسه بل بين فى خاتمته أن دوره فى هذا المنسك هو الجمع والاختصار للمناسك الثلاثة المشهورة فى المذهب الحنبلي، وأنه قد أضاف بعض الزيادات عليها، وذكر مصادرها للخروج من تبعتها كذلك (٣).

٥- النساخ والخطاطون وكتاب العدل :

لقد كان انتشار الخطاطين والنساخ فى العالم الاسلامي فى فترة متقدمة مفخرة من مفاخر تاريخ التربية الاسلامية، وكان أسلوبا وحيدا دفع حركة النشر والتوزيع فأسهمت فى اثراء المكتبة الاسلامية بالعديد من الكتب

---

(١) المنقور: الفواكه ١/ ١٩، ٢٠، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٢، ٣٦، ٥٥، ٦١، ٩٤، ٢/ ٢٥٩، ٢٦٤، وهذا على سبيل المثال، علما ان هذه الوسيلة يتبعها جل فقهاء نجد ان لم يكن كلهم فى العزو ولاغرو فالفقيه شخص موثوق عند الناس.

(٢) المنقور: المصدر السابق ١/ ٥ من مقدمة المؤلف.

(٣) المنقور: جامع المناسك الثلاثة الحنبلية ١٥٠، ١٥١، وقد ورد ذكر نسبة هذه المناسك الى مؤلفيها فى ترجمة المنقور فى الفصل الاول من الباب الاول.

وأمد الخطاطون والنساخ المكتبات بكل جديد وطريف دون تأخير أو تقصير وبكل دقة واتقان.(١)

وقد حظيت نجد في فترة ماقبل قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والى وقت قريب كذلك بكم جيد من النساخ والخطاطين الذين أسهموا في اطلاع النجديين وحصولهم على الكثير من الكتب القديمة والمعاصرة لهم، فضلا عن تخصص بعضهم بكتابة الوثائق والعقود الشخصية على الطريقة الشرعية، أو مايمكن أن يطلق عليهم " كتاب العدل".(٢)

ومن أبرز خطاطي ونساخ نجد في القرن العاشر الشيخ عبدالرحمن ابن محمد بن عتيق الوهيبي الأشيقري(٣) الذي يعد من فقهاء نجد في ذلك القرن، وقد ذكر بعض المؤرخين أن خطه كان غاية في الحسن والاتقان، ومن الكتب التي نسخها كتاب (الرد على الجهمية) للامام أحمد بن حنبل وقال في آخره: (علقة لنفسه عبد الرحمن بن عتيق بن بسام الحنبلي تاريخ ستة عشر ربيع الثاني في سنة ست وخمسين وتسعمائة هجرية(٤)).

---

(١) د. أحمد شلبي: تاريخ التربية الاسلامية ١٦٤، ١٦٥

(٢) المطلع على التاريخ التفصيلي للتعليم في نجد منذ ماقبل القرن العاشر الهجري الى قبيل النهضة العلمية الحديثة وانتشار المطابع يستطيع الحصول على عدد كبير من الخطاطين والنساخ الذين تختلف درجة خطوطهم بين الفائق في الحسن والضبط والاتقان، والمتوسط والردئ ، وهذا موضوع يستحق الاهتمام، ومن يرغب البحث فيه سيجد معلومات جيدة سواء فيما يتعلق بالترجمات لهؤلاء الخطاطين والنساخ، أو لأمثلة من خطوطهم وكتاباتهم، وأغلب هؤلاء الخطاطين من العلماء على اختلاف درجة علمهم، وبعضهم من أنصاف المتعلمين أو من يجيدون القراءة والكتابة فقط.

(٣) هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عتيق بن بسام ولد في أشيقر في أول القرن العاشر فقرأ على علماء أشيقر التي كانت حافلة بعدد من العلماء حتى أدرك في الفقه. (البسام: علماء نجد ٢/٤٠٥).

(٤) الموافق ١٣ ابريل ١٥٤٩م، وانظر البسام: ٢/٤٠٥، ونسخ هذا الكتاب العقدي للامام أحمد مظهر من مظاهر الاهتمام بالمؤلفات

(=)

وقد نسخ الشيخ حسن بن علي بن بسام كثيرا من الكتب بخطه الحسن الفائق فضلا عن تحريره للكثير من الوثائق والمسائل الفقهية، وهو بهذا يعد من كبار نساخ وخطاطي القرن العاشر، وقد خلف عددا من الأبناء كلهم فقهاء الا أن أبرزهم الشيخ طلحة[١] الذى كان من النساخ المعدودين في أشيقر وهو الذى حرر وثيقة وقف صقر بن قطام[٢] فى شوال سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة هجرية[٣].

وتبعا لاتساع نطاق التعليم فى نجد بعد القرن العاشر مما زاد في عدد العلماء، فقد صاحب ذلك زيادة فى عدد النساخ والخطاطين فى القرن الحادى عشر عن العاشر، وأوضح معطيات هذه الزيادة التقدم المستمر فى حركة التعليم، والتوسع الجيد في توزيع الكتب ونشرها .

ومن خطاطي القرن الحادى عشر الشيخ على بن جعفر الفضلي الأشيقرى[٤] وقد اشتهر بحسن الخط مع امتهانه القضاء والتدريس، وقام بنسخ بعض الرسائل وكتابة بعض الوثائق الشرعية نظرا لكونه قاضي أشيقر فى وقته[٥].

(=) العقدية للمحققين من السلف الصالح، وهو مظهر من مظاهر الحرص على تصحيح العقيدة فى تلك الفترة على قدر ماسمحت به الظروف.

(١) ولد الشيخ طلحة فى أشيقر وتتلمذ على والده - سبقت ترجمته - حتي صار أفقه اخوته بل عد من فقهاء أشيقر وله احكام شرعية توفى عام ٩٧٠هـ/١٥٦٢م فى أشيقر (البسام : المرجع السابق ٢/٣٨١ ، مجلة العرب جـ ٦ / س ٢ ص ٥٥٩)

(٢) هى احدى وثائق الأحوال الشخصية ذات الطابع الخيرى وقد صدرت فى أشيقر وكانت كتابتها الأولى فى ٥ شعبان عام ٩٤٠هـ / ٢٠ فبراير ١٥٣٤م، وقد كتبت على فرار وصية صبيح .

(٣) الموافق مارس وابريل ١٥٣٦م.

(٤) هو الشيخ على بن جعفر الفضلي اللامي الطائي القصبي أصلا، ولد فى أشيقر ونشأ فيها واخذ عن علمائها حتى مهر فى الفقه وجلس للتدريس فتلقى العلم على يديه عدد من علماء نجد أبرزهم الشيخ محمد بن أحمد بن اسماعيل - علامة نجد فى وقته - والشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن مشرف، وتولى قضاء أشيقر حتى توفي عام ١٠١٥هـ/١٦٠٦م (البسام: المرجع السابق ٣/٧٠٩-٧١١ ، ابن ربيعة ٥١، ٦٢، هامش ٧٣، ١٢٦).

(٥) البسام : ٣/٧١١.

وممن اشتهر بجودة الخط في ذلك القرن محمد بن عبد الله بن مشرف (١)
الذى كان خطه فائقا مضبوطا نيرا ، وقد كتب بخطه كثيرا من العقود والأحكام
ابان قضائه لاشيقر ، ومن المعتقد أنه قد قام بنسخ بعض الكتب والرسائل .

ويعد الشيخ عبد الله بن محمد بن بسام (٢) من أشهر خطاطي ونساخ
هذا القرن ، فقد كان فقيها أجاب على كثير من المسائل اجابات سديدة بخط
يده ، فضلا عن نسخه لعدد من الكتب التى منها شرح الشنشورى (٣) فى الفرائض (٤)
الذى فرغ منه فى السادس من شهر ذى الحجة عام أربعة وأربعين وألف (٥) ، وقد
وصف خطه بأنه جيد فائق على درجة جيدة من الضبط والاتقان (٦) .

وكما كان الشيخ محمد بن اسماعيل من أشهر علماء هذا القرن فقد كان
كذلك من النساخ البارزين فيه ، وقد قام بنسخ عدد من الكتب منها (التبيان
فى آداب حملة القرآن) (٧) للنووى (٨) الذى فرغ من كتابته سنة ثلاث وتسعين

---

(١) هو الشيخ محمد بن عبد الله بن حسن بن منصور بن مشرف الوهيبي التميمى ولد فى أشيقر وقرأ على علمائها واجتهد حتى صار من فقهاء نجد وولى قضاء أشيقر الى ان توفى عام ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م ، (البسام : علماء نجد ٣ / ٨٩٣) .

(٢) هو الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن على بن محمد بن عبد الله ابن بسام بن منيف الوهيبي التميمي ولد فى أشيقر ونشأ بها وقرأ على علمائها حتى أدرك فى الفقه وهو من علماء النصف الأول من القرن الحادى عشر (البسام ٢ / ٦١٦) .

(٣) هو الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن على الشنشورى (نسبة الي شنشور من قرى المنوفية) الشافعى ولد عام ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م ، وتلقى العلم على والده الفقيه الفرضي وعلى عدد من العلماء حتى مهر فى الفقه وتولى خطابة الجامع الأزهر واختص فى الفرائض حتى أن أغلب مؤلفاته فيه توفى عام ٩٩٩هـ/ ١٥٩١م (الغزى ٣ / ١٦١ ، الزركلي : ٤ / ٢٧٣) .

(٤) للشنشورى أكثر من شرح فى الفرائض ولكن لعل المقصود (الفوائد الشنشورية فى شرح المنظومات الرحبية) .

(٥) يوافق ٢٤ مايو ١٦٣٥م (٦) البسام : علماء نجد ٢ / ٦١٦ .

(٧) طبع هذا الكتاب فى ١٢٨ صفحة من القطع الصغير وقد نشرته مكتبة الاحسان بدمشق .

(٨) هو الامام يحيى محي الدين ابو زكريا بن شرف بن مرى بن حسن بن حسين بن حزام النووى الشافعي ، ولد بنوا (قرية قريبة من حوران

(=)

وتسعمائة[1]، هذا بالاضافة الى اجاباته العديدة على الكثير من المسائل الفقهية التي ترده من طلاب العلم وعامة الناس.[2]

وقد كتب الشيخ عبد الله بن أحمد بن مشرف[3] بخطه وثائق عديدة تتضمن أحكاما فقهية كان قد حكم بها ابان قضائه لأشيقر، ومن المعتقد أن يكون قد نسخ بعض الكتب، وقد وصف أحد مؤرخي نجد خطه بالحسن الفائق.[4]

ومن مشاهير الخطاطين والنساخ في هذا القرن الشيخ عبد الرحمن ابن أحمد بن اسماعيل[5] - أخو الشيخ محمد - فقد وصف خطه بأنه حسن متقن مضبوط نير، وقد نسخ به العديد من الكتب الا أن أبرزها (المطلع على أبواب الفقه) لابن مفلح[6]، وقد طبع هذا الكتاب على نسخة فرغ منها

(=) بسورية) عام ٦٣١هـ/١٢٣٣م ثم رحل الى دمشق لتلقي العلم على العلماء فيها بحبب اليه القرآن والعلم منذ صغره، أثنى عليه عدد من عارفيه بهذا الخصوص، لما أدرك في علوم القرآن والسنة والفقه تأهل للتدريس والتأليف فتخرج على يديه عدد كبير من العلماء، وألف مجموعة من الكتب ابرزها شرحه على صحيح مسلم، تهذيب الاسماء واللغات، وعدد من كتب الفقه والتوحيد والطبقات، له مواقف جيدة مع الملوك في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، عاد الى نوا فتوفى فيها في ٢٤ رجب سنة ٦٧٦هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٢٧٧م (مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي ١/هـ-ح ، مقدمة رياض الصالحين للنووي، مقدمة دليل الفالحين لابن علان ١/٦-٩، الزركلي ٩/١٨٤، ١٨٥).

(١) يوافق أولها ٣ يناير ١٥٨٥م.

(٢) البسام: المرجع السابق ٣/٧٨٨، ٧٨٩، القاضي ٢/١٦١

(٣) هو الشيخ عبد الله بن احمد بن محمد بن مشرف الوهيبي التميمي ولد في أشيقر وتلقى العلم على والده العلامة - سبقت ترجمته - وعلى عدد من العلماء حتى ادرك في الفقه، ويعد من ادباء الفقهاء اذ وجدت لها أشعار عديدة، ولي قضاء اشيقر وتوفي فيها عام ١٠٥٣هـ/ ١٦٤٣م تقريبا (البسام ٢/٥٢٣، ٥٢٤).

(٤) البسام: المرجع السابق ٢/٥٢٤.

(٥) هو الشيخ عبد الرحمن بن احمد بن اسماعيل بن عقيل الزهري الثوري ولد في أشيقر فدرس على أخيه الشيخ محمد وغيره من علماء اشيقر حتى أدرك في الفقه، توفي في اشيقر عام ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م (البسام: علماء نجد ٢/٣٨٤).

(٦) هو ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح ولد في دمشق سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م ونشأ بها ودرس الفقه والقراءات واللغة على عدد من علمائها حتى تأهل للقضاء فتولى قضاء دمشق وطلب لقضاء مصر فرفض، وحمدت سيرته في القضاء وباشره اكثر من اربعين سنة (=)

سنة ست وألف هجرية.(١)

وللشيخ سليمان بن علي شهرة في هذا القرن في مجال الخط والكتابة توازي شهرته الفقهية فقد كان من أحسن خطاطيه ونساخه اذ نسخ كثيرا من كتب الفقه، كما كان يعلق بخطه على الكتب التي لديه بتهميشات وإلحاق فوائد، فضلا عن قيامه بتأليف عدد من الكتب والاجابة على العديد من المسائل بخط يده،(٢) ويذكر الدكتور العثيمين أن خطه موجود في مكتبة برلين لكتاب (جلاء الافهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام) تأليف الامام ابن القيم تحت رقم ٤/٢٢، وقد نسخه الشيخ سليمان في ٢٢٠ ورقة.(٣)

وممن وصف بجمال الخط واتقانه مع سعة علمه وفقهه في هذا القرن الشيخ علي بن محمد بن بسام(٤) حيث نسخ كتبا كثيرة بخطه من أهمها (غاية المنتهى في الجمع بين الاقناع والمنتهى) للشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي وذكر أنه فرغ منه في الثاني من شعبان سنة أربع وستين وألف،(٥) هذا بالاضافة

(=) من محاسنه اخماد الفتن التي كانت تقع بين الحنابلة وغيرهم ولم يتعصب لأحد، من كتبه (المبدع بشرح المقنع) وغيره توفي بدمشق في ٤ شعبان ٨٨٤هـ/٢٢ اكتوبر ١٤٧٩م) (ابن حميد ١٤، ١٥، وذكر ولادته سنة ٨١٥هـ، الزركلي ٦٢/١، ٦٣).

(١) يوافق أولها ١٤ أغسطس ١٥٩٧م، البسام: المرجع السابق ٣٨٤/٢ وقد ذكر في ترجمة أخيه الشيخ عبد الله بن أحمد (٥٠٩/٢) بأن خطه كان حسنا متقنا مضبوطا نيرا وأنه نسخ المطلع كذلك وتوفي عام ١٠٦٧هـ كذلك.

(٢) البسام: المرجع السابق ٣١٠/١، ٣١١هـ. العثيمين: الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ٢٦.

(٣) د. العثيمين: المرجع السابق ص ٢٦.

(٤) هو الشيخ علي بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن منيف ابن بسام من آل زاخر الوهيبي التميمي، ولد في اشيقر وتتلمذ على عدد من العلماء حتى أدرك في الفقه وتأهل للتعليم والقضاء فولي قضاء أشيقر وكان يلقب (رميزان) توفي عام ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م، (البسام: المرجع السابق ٧٢٥/٣).

(٥) الموافق ١٩ يونية ١٦٥٤م والشيخ مرعي سبقت ترجمته.

الى وجود عدد من المسائل الفقهية التى أجاب عليها بخط يده وعدد من الأحكام والوثائق التى كتبها كذلك ابان توليه قضاء أشيقر.(١)

وجدير بالذكر أن علماء القرن الثاني عشر قد زادوا زيادة ملحوظة عن علماء القرن العاشر والحادى عشر،(٢) وهذا فى حد ذاته أوجد زيادة مطردة كذلك فى عدد النساخ والخطاطين الذين اشتهروا مع حسن الخط واتقانه بالسرعة فى نسخ الكتب، وادخال بعض التحسينات الخطية، والقيام بخط بعض الخطوط الخاصة التى تتطلب تنميقا وتزويقا وعناية فائقة وبها تمكن بعض خطاطي هذا القرن من نسخ القرآن الكريم.

ومن أوائل نساخ هذا القرن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن أحمد بن اسماعيل(٣)، وقد كتب كثيرا من الوثائق العقارية بخطه الجميل وبشهادة والده على مكانته العلمية فى أشيقر كما نسخ كثيرا من الكتب وضمها الى المكتبة العلمية الضخمة التى ورثها عن والده العلامة.(٤)

ويبدو أن ابنه الشيخ محمد بن عبد الله(٥) قد ورث عنه العلم مع جمال الخط واتقانه اذ أثر عنه أنه قد كتب كتبا كثيرة بخطه مع مجموعة من الوثائق والاحكام الشرعية، ويبدو كذلك أنه ورث تلك المكتبة الضخمة عن والده وضم

(١) البسام: المرجع السابق ٣/ ٧٢٥

(٢) د. العثمين المرجع السابق ١٨، مقاله عن الحياة الدينية فى نجد المنشور فى الدارة ع ٣/ س ٤ ص ٣٤.

(٣) ولد الشيخ عبد الله بن محمد بن اسماعيل فى أشيقر وتعلم على والده العلامة وغيره من علماء أشيقر وقد ادرك اول القرن الثانى عشر الهجرى (البسام: ٢/ ٦١٢).

(٤) المرجع السابق ٢/ ٦١٢، ويعد الشيخ ابراهيم ابن الشيخ محمد من خطاطى هذا القرن كذلك اذ كان خطه فائقا مضبوطا وكتب كتبا كثيرة منها متن الاقناع وقد توفى عام ١١٠٨هـ/ ١٦٩٦م (المرجع السابق ١/ ١٣٨).

(٥) ولد الشيخ محمد بن عبد الله بن اسماعيل فى أشيقر فتتلمذ على

(=)

اليها مانسخه من تلك الكتب.(١)

ومن أبرز نساخ وخطاطي هذا القرن الشيخ حسن بن عبد الله أبا حسين الوهيبي الأشيقري حيث نسخ كثيرا من الكتب القيمة في كثير من العلوم بخطه الذي وصفه صاحب السحب الوابلة بأنه حسن متقن مضبوط كما انه قد تمكن من الحصول على كتب كثيرة مهمة بخط غيره في كثير من الفنون وعلى كل كتاب منها بخطه تهميشات وتصحيح واضافة فوائد وتنبيهات مما يدل على أنه قرأها كلها قراءة تأمل وفهم، هذا فضلا عن كتابته لكثير من الأحكام الفقهية والوثائق حينما كان قاضيا في أشيقر.(٢)

وقد وصف خط الشيخ أحمد بن محمد القصير الوهيبي الأشيقري(٣) بأنه حسن نير مضبوط، وبه نسخ عددا كبيرا من كتب الفقه وغيره، كما قام بكتابة اجابات عديدة على بعض المسائل الفقهية بخطه، علاوة على ماكان يعلق بخطه على كثير من كتب المذهب تدل على قراءاته لها بفهم وادراك.(٤)

ورغم أن خط الشيخ أحمد بن محمد المنقور ليس في مستوى الخطوط السابقة الا أنه قام بنسخ عدد كبير من الكتب في مجالات مختلفة من العلوم

(=) والده وعمه الشيخ ابراهيم، ولازم الشيخ سليمان بن علي حتى ادرك، وعد من علماء بلده وتولى قضاءها وتصدى للتدريس فتتلمذ عليه جملة من طلبة العلم منهم ابنه ابراهيم قاضي القرائن المتوفي ١١٨٥هـ/١٧٧١م، واستمر الشيخ محمد في قضاء اشيقر مع ممارسة التعليم والافتاء الى ان توفي فيها عام ١١٠٩هـ/١٦٩٧م (ابن بشر ٢/٢٢٣، ابن عيسى ٧٨، البسام ٣/٨٥٤، ٨٥٥).

(١) البسام : المرجع السابق ٣/٨٥٤، ٨٥٥

(٢) ابن بشر ٢/٢٢٥، ابن عيسى ٢١٣، ابن حميد ٩١، البسام : علماء نجد ١/٢١٧، ٢١٨

(٣) هو الشيخ احمد بن محمد بن حسن بن سلطان القصير الوهيبي التميمي ولد في اشيقر ونشأ بها وتتلمذ على علمائها حتى ادرك ادراكا تاما في الفقه وصار من كبار علماء نجد في زمنه ورحل اليه الطلبة من سائر بلدان نجد للاستفادة منه، خرج للشريف سعد بن زيد حينما حاصر اشيقر ومعه تلميذه حسن ابا حسين حيث حبسهما الشريف وافتيا للناس بالفطر في رمضان لحصد الزروع، توفي في اشيقر في جمادى الاولى عام ١١١٤هـ/ سبتمبر ١٧٠٢م (ابن ربيعة ٥٢، ٨٢، ابن يوسف: حوادث عام ١١٠٧هـ، ١١٢٤هـ، الفاخري ٩١، ابن بشر ٢/٣٥، ٢٠٨، ٢١٠، ٢٢٥، ٢٢٦، ابن حميد ٥٧، ابن عيسى ٥٩، ٢١٢، ٢١٣، البسام: تحفة ٩٤ أ، البسام: علماء ١/١٦٧-١٦٩، القاضي روضة ١/٥٩، ٦٠، ويتفق ابن ربيعه والفاخري وابن بشر - في احدى رواياته - على ان وفاته عام ١١١٤هـ، بينما شك ابن بشر هل كان ذلك أيضا عام ١١٢٤هـ او ١١٢٣هـ، ويتفق ابن يوسف وابن بشر، والبسام في التحفة، والبسام في علماء نجد على ان الوفاة كانت عام ١١٢٤، والله اعلم).

(٤) البسام : المرجع السابق ١/١٦٧، القاضي : المرجع السابق ١/٥٩

مما أوجد لديه مكتبة ضخمة غالبها بخط يده، وكان كذلك يعلق على مايقوم بقراءته من الكتب التي تخط بخط غيره ، وله كثير من الاجابات بخطه على عدد من المسائل الفقهية، ولكونه عمدة في التوثقات والأنساب فقد كتب كثيرا بخطه فيهما (١).

ومن نساخ هذا القرن الشيخ ابراهيم بن سليمان بن علي (٢) (عم الشيخ محمد بن عبد الوهاب) فقد نسخ كثيرا من كتب الفقه بخطه الحسن المضبوط، كما حكم في بعض القضايا العقارية التي وردت اليه وكتبها بخطه (٣).

ويعد الشيخ عبد الوهاب بن سليمان (٤) (والد الشيخ محمد) من نساخ هذا القرن كذلك اذ كتب عن بعض المسائل الفقهية كتابات جيدة بخط يده، كما وجد له بعض التعليقات على عدد من كتب الفقه ولا يبعد أن يكون قد نسخ كتبا كاملة (٥)، ويبدو أنه وأخاه الشيخ ابراهيم قد ورثا مع العلم حسن الخط واتقانه عن والدهما الذي اشتهر بذلك كما مر.

---

(١) ابن بشر ٢/٢٣١، ابن حميد ٦٤، البسام : المرجع السابق ١/١٩٦، القاضي : المرجع السابق ١/٦١

(٢) هو الشيخ ابراهيم بن سليمان بن علي بن محمد بن مشرف ولد في العيينة عام ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م وتتلمذ على عدد من العلماء فيها حتى أدرك في الفقه، وولي قضاء أشيقر وتصدى للتدريس حيث تتلمذ عليه عدد من طلبة العلم توفي عام ١١٤١هـ/١٧٢٨م (المنقور التاريخ ٥١، ابن ربيعة ٦٥، الفاخرى ١٠٢، ابن بشر ٢/٢٣٩، ابن حميد ٨، ٩، البسام : المرجع السابق ١/١١٠، ١١١).

(٣) ابن حميد ٩، البسام : المرجع السابق ١/١١٠

(٤) ولد الشيخ عبد الوهاب بن سليمان في العيينة وتلقى العلم على والده وعلى كبار علمائها حتى مهر في الفقه فأفتى ودرس وتولى قضاء العيينة الى أن عزله محمد بن حمد بن معمر عام ١١٣٩هـ/١٧٢٦م فانتقل الى حريملاء وسكنها وتولى قضاءها مع قيامه بالافتاء والتعليم الى ان توفي فيها عام ١١٥٣هـ/١٧٤١م (ابن ربيعة ٨٩، الفاخرى ١٠١، ١٠٤، ابن بشر ١/١٩، ٢١، ٢٢، ١١٤، ٢/٢٣٨، ابن حميد ١٧٠، ١٧١، ابن عيسى ١٠١، ١٠٥، البسام: المرجع السابق ٣/٦٦٩، ٦٧٠).

(٥) ابن حميد ١٧٠، ١٧١، البسام ٣/٦٦٩.

وقد برز من آل اسماعيل في مجال النسخ والخط مع العلم والفقه غير من سبق : الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل اذ اشتهر بحسن الخط وضبطه ، ومن المتوقع قيامه بنسخ عدد من الكتب بخط يده.(١)

ومن نساخ هذا القرن البارزين الشيخ محمد بن ربيعه العوسجي الذى نسخ كثيرا من كتب الفقه بخطه الحسن وضمها الى مكتبته التي اشتراها من تركة شيخه عبد الله بن ذهلان ، كما قام بكتابة نبذة عن تاريخ نجد وأسلوبه الذى ذكر أستاذى الدكتور عبد الله الشبل فى تحقيق له أنه خال من الصنعة والتكلف ، ولغته سليمه ، والاخطاء اللغوية والنحوية محدودة وخاصة عند مقارنتها ببعض الكتابات التاريخية المعاصرة له.(٢)

وكان الشيخ عبد الله بن أحمد بن عضيب دور فى نسخ كثير من الكتب فى عدد من العلوم بخطه المتوسط فى الحسن الفائق في الضبط ، وقد قرر صاحب السحب أنه كان كثيرالادمان على النسخ وأنه لم ير ولم يسمع منذ أعصار بمن يضاهيه أو يقاربه فى كثرة ماكتب ، وقد شملت العلوم التى قام بنسخ بعض مؤلفاتها : علوم القرآن ، والحديث ، والفقه ، واللغة ، والمنطق وغيرها.(٣)

ولقد لقب الشيخ عبد الرحمن بن محمد السحيمي(٤) بالخطاط وعرف

---

(١) البسام ٣/٨١٤.

(٢) ابن ربيعه ٣١- ٣٣ من مقدمة المحقق ، الفاخرى ١٠٥ ، ابن بشر ١/٢٧ ، ابن حميد ٢٤١ ، البسام : المرجع السابق ٣/٧٩٨ ، القاضي ٢/١٦٣.

(٣) ابن حميد ١٥٣ ، ١٥٤ ، البسام ٢/٥١٨ ، ٥٢١ ، القاضي ١/٣١٤ ، ٢١٥.

(٤) هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عثمان - الملقب بالسحيمى - ابن محمد بن عبد الله بن احمد بن اسماعيل الزهرى الثورى ولد في أشيقر وتلقي العلم على علماء آل اسماعيل وغيرهم فى أشيقر ، وهو جد أبي ناصر السحيمى امير عنيزة فى ١٢٦٤هـ ، ١٢٦٥هـ/١٨٤٨ ، ١٨٤٩م اذ رحل عبد الله بن عبد الرحمن من اشيقر الى عنيزة ، وهو من علماء النصف الثانى من القرن الثانى عشر (ابن بشر ٢/١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ابن عيسى ١٧٣ ، ٢٣٧ ، البسام المرجع السابق ٢/٤٠٦ ، ٤٠٧.

به بين علماء نجد فى هذا القرن حيث فاق ببز أقرانه فى حسن الخط وجمال الكتابة، ولتوفر ذلك فى خطه فقد حرص على أن يسخره لنسخ القرآن الكريم، والتقرب الى الله بنشر وتوزيع مجموعة منه، وقد نسخ أربعة عشر مصحفا بخط منمق جميل راجيا من الله أن يعينه ليزيد هذا العدد الى مافوق المائة، فقد علق على المصحف الرابع عشر قائلا: " فرغت من تنميق هذا المصحف الشريف فى جمادى الأولى سنة ١١٦٣هـ (١) بقلم الفقير الى الله عبد الرحمن بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن اسماعيل الملقب - السحيمي - البكرى نسبا الأشيقرى بلدا ، وكان رابع عشر مصحفا يسر الله كتابتها ، وأرجو من الله مائة أو أكثر والمد فى العمر والعون على طاعة مولانا الكريم" (٢) ، ومن المتوقع أن يكون قد نسخ بعض الكتب اضافة الى تخصصه فى نسخ القرآن الكريم.

ومن كبار نساخ هذا القرن الشيخ عبد الله بن أحمد بن سحيم الذى كان نسخ الكتب سمة بارزة فيه وهواية من أبرز هواياته اضافة الى تخصصه فى الفقه وتوليه القضاء فى سدير، وقد أطلق عليه لقب (الكاتب المشهور) لكثرة مانسخه من كتب حتى جمع من ذلك مكتبة كبيرة غالبها بخط يده الذى وصف بأنه حسن واضح ، ومن أبرز الكتب التى نسخها (منظومة ابن عبد القوى فى الفقه) اضافة الى عدد من الوثائق التى تتضمن بعض الأحكام فى كثير من القضايا (٣).

ان ذكر هؤلاء النساخ والخطاطين فى نجد قبل دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب لايعنى اقتصار هذه المهمة الجليلة عليهم فقط، اذ من المعتقد أن جل علماء نجد فى تلك الفترة كانوا نساخا على اختلاف فيما بينهم فى درجة حسن الخط واتقانه، وفى الهدف من نسخ الكتب كذلك

---

(١) غرة جمادى الأولى توافق ٨ ابريل ١٧٥٠م

(٢) البسام : المرجع السابق ٢/ ٤٠٦

(٣) ابن بشر ١/ ٥٥، ابن حميد ٣١٤، ابن عيسى ١١١، البسام ٢/ ٥١٢- ٥١٣، القاضي ١/ ٣١٦

فقد كان بعضهم يشكل النسخ مصدرا معيشيا له ، وبعضهم كان يكتب كتابا معينا ليتملكه حتى يكوّن مكتبة خاصة به ، ويفيد الآخرين بايقافها أو بالاعارة أو نسخها مرة ثانية ، ومنهم من كان يهدف بنسخه التقرب الى الله تعالى كنسخ القرآن الكريم وبعض الكتب الفقهية والوعظية .

وكما برز فى الناحية العلمية عموما فى نجد فى تلك الفترة أسر علمية ، فقد اشتهر بالنسخ والخط خاصة أفراد من بعض هذه الأسر توارثوا هذه المهمة فيما بينهم ، ومن أبرز هذه الأسر - كما مر - أسرة الشيخ حسن بن على بن بسام فى القرن العاشر ، وأسرة آل اسماعيل فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر حيث عرف منهم سبعة نساخ ولعل من أهمهم خطاط القرن الثانى عشر : الشيخ عبد الرحمن بن محمد السحيمى ، وكذلك أسرة الشيخ سليمان بن على بن مشرف التى برز منها الشيخ سليمان نفسه وابناه عبد الوهاب وابراهيم ، ولا يبعد أن يكون قد برز غيرهما من أبنائهما ، فقد أثر عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب حسن الخط مع سرعة الكتابة (١) .

---

(١) ابن غنام : روضة ١/٢٦ ، د . العثيمين : المرجع السابق ٣٥ ، القاضي : روضة ٢/١٦٨ ، ومما يندرج تحت موضوع النساخ الحديث عن المجلدين ولولا عدم وجود أمثلة للمجلدين وطريقة التجليد فى تلك الفترة لأفردت له مجالا فى هذا الفصل الا أن طريقة المجلدين المعروفة فى نجد حتى قبيل النهضة الحديثة يمكن تطبيق بعض مظاهرها على طريقة التجليد فى تلك الفترة بحكم التشابه العام فى أساليب الحياة العامة ، فكان المجلدون حتى عهد قريب يستخدمون قطعا من الجلد المدبوغ لتجليد الكتب به ، وفي هذه الحالة يكتفى بوضع مادة لاصقة تمسك الكتاب بالجلد وتتكون من عجين البر الرخو المخلوط بدبس التمر أو السكر ليجعله أكثر لصقا ، أما فى حالة وضع جلد من القماش فان قاعدة الكتاب وحروفه تشد بالجلد مع الحبك بالخيط أحيانا ، أما الوسط فانه يغلف بقطعة من القماش ذات الشكل الجميل ويشد هذا الوسط مع القاعدة بالمادة اللاصقة السابقة الى قطعة خفيفة من الخشب أو الورق المقوى كما كانوا يصنعون محافظ من القماش لكل كتاب على حدة ، وأكثر ما يختص بهذه المحافظ القرآن الكريم ، ويصنعون محافظ أكبر لعدد من الكتب والأقلام على شكل حقائب مشدودة بسيور

(=)

٦- المكتبات:

لقد استتبع وجود هذا الكم من النساخ والخطاطين أن عرفت منطقة نجد في تلك الفترة عددا لا بأس به من المكتبات حوت مجموعة من الكتب في مختلف العلوم والفنون .

والملاحظ على هذه المكتبات كونها مكتبات خاصة غير أنه يمكن اعتبار بعضها مكتبات عامة أو شبه عامة بما كانت تتيحه من فرص الاعارة ، ونسخ ما فيها من كتب الى عدة نسخ فضلا عن دخول بعض هذه المكتبات في بعض سبل الأوقاف الخيرية العامة أو الخاصة .

ومن فرط حرص المتعلم النجدي على ملازمة الكتاب فقد حرص بعض العلماء النجديين على ايجاد مكتبات خاصة بهم وهم في مرحلة الطلب خارج نجد ، وقد يصطحبونها معهم في رحلة العودة ، وبعضهم يوقفها على المركز العلمي الذي تلقى العلم فيه ، وقد يقوم بنسخ أو شراء بعض الكتب من منطقة دراسته خارج نجد .

وعلى ضوء هذه الملاحظات يمكننا ذكر أمثلة لمكتبات بعض علماء نجد في تلك الفترة سواء منها ما كان في نجد أم ما أقامه بعض هؤلاء العلماء في أحد المراكز العلمية خارجها ، مما يعطي تصورا بوجود نشاط جديد في تكوين المكتبات وحبها والاستفادة منها .

١- مكتبة الشيخ حسن بن علي بن بسام:

نظرا لكون الشيخ حسن من خطاطي القرن العاشر كما مر فقد تحصل على عدد كبير من الكتب عن طريق النسخ ، وربما زاد عليها من طرق أخرى مما كون لديه مكتبة جيدة وقد وقفها على طلاب العلم في أشيقر ، الا أنها

(=) من الجلد أو خيوط من القماش ، وقد بلغت قوة التجليد وجماله عند بعض المجلدين النجديين مستوى يوازي مستوى التجليد الحديث.

تشتت بعد موته ولم يبق منها الا القليل فى أشيقر، ولكون ابنه الشيخ طلحة أفقه اخوته وأكثرهم ولعا بالعلم فلا يبعد أن يكون هو الآخر قد كون مكتبة خاصة به (١).

٢- مكتبة الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة:

وأثناء اقامة الشيخ أحمد فى دمشق لتلقى العلم على أئمة المذهب الحنبلي فيها كون مكتبة لابأس بها، وعند انتهاء فترة دراسته حمل بعض هذه الكتب معه الى نجد، ولعلها كونت نواة مكتبة له فيها، أما باقى تلك الكتب وهو أكثرها فقد وقفها على المدرسة التي تلقى العلم فيها وهى مدرسة أبى عمر بحى الصالحية بدمشق، وقد ضم كثير من كتب هذه المدرسة الى المكتبة الظاهرية بدمشق، ويذكر الشيخ عبد الله البسام أنه وجد كثيرا من كتب الشيخ أحمد فى هذه المكتبة وقد علق على كل كتاب منها عبارة: (وقف أحمد بن يحي النجدى . المحل مدرسة أبى عمر بالصالحية) (٢).

٣- مكتبة الشيخ أحمد بن ابراهيم بن أبى حميدان:

وقد تتلمذ على الشيخين السابقين ثم رحل الى دمشق لتلقى العلم على عمد المذهب الحنبلى فيها وجاور فى المدرسة السابقة، وأثناء ذلك كون مكتبة أوقف بعضها على طائفة الحنابلة بحى الصالحية بدمشق وجعل ابن عمه محمد بن ابراهيم بن أبى حميدان ناظرا لهذا الوقف اثناء اقامته بدمشق ثم النظر من بعده لطائفة الحنابلة، ومن المعتقد أنه حين عاد الى نجد اصطحب بعض كتبه مكونا له مكتبة فى المنطقة كذلك (٣).

٤- مكتبة الشيخ عبد الله بن محمد بن بسام:

والشيخ عبد الله - كما سبق - يعد من خطاطى القرن الحادى عشر وقد كتب كتبا كثيرة كوّن منها مكتبة جيدة، وربما ضم اليها كتبا أخرى اما بطريقة الشراء أو الاهداء أو غير ذلك (٤).

---

(١) البسام: المرجع السابق ١/٢١٦، ٢/٣٨١

(٢) المرجع السابق ١/٢٠٠ (٣) المرجع السابق ١/١٥٤

(٤) المرجع السابق ٢/٦١٦

٥- مكتبة الشيخ محمد بن أحمد بن اسماعيل :

ولكون الشيخ محمد أبرز عالم عرفته نجد خلال القرن الحادى فقد أثر وجود مكتبة ضخمة لديه نسخ بعض كتبها بخط يده ، وتحصل على البعض الآخر بطرق أخرى ، وقد ورث ابنه الشيخ عبد الله هذه المكتبة وزادها مما كتبه بخطه أو أهديت اليه ، أو اشتراها ، ومن المعتقد أن يكون ابنه الآخر الشيخ ابراهيم قد أضاف اليها مما نسخه بخط يده ، فضلا عن أنه ربما كوّن مكتبة خاصة به مما كان قد نسخه من الكتب الموجودة فى مكتبة والده ، ويبدو أن الحفيد محمد بن عبد الله قد زاد هذه المكتبة بما تحصل عليه من كتب بطرق مختلفة (١).

٦- مكتبة الشيخ سليمان بن علي :

تعتبر مكتبة الشيخ سليمان احدى كبريات المكتبات فى نجد فى القرن الحادى عشر اذ وجد له فتاوى وتقريرات لو جمعت لجاءت فى مجلدات ضخمه فضلا عن تأليفه الآخرى ، كما كتب بخطه الجميل كتبا كثيرة فى الفقه وغيره ، وتحصل على كتب أخرى نفيسه فى مختلف العلوم مما كون لديه مكتبة كبيرة وربما ورثها عنه أبناؤه وأضافوا اليها ما استطاعوا الحصول عليه (٢).

٧- مكتبة الشيخ علي بن محمد بن بسام:

تمكن الشيخ علي من تكوين مكتبة جيدة بما كتبه بخط يده من كتب كثيرة فى الفقه وغيره ولكونه من كبار العلماء والفقهاء وأحد قضاة أشيقر فى أواخر القرن الحادى عشر فقد وجدت له مسائل عديدة وأحكاما ربما ضمتها مكتبته تلك (٣).

---

(١) ابن بشر ٢ / ١٩٨ ، البسام: المرجع السابق ١ / ١٣٨ ، ٢ / ٦١٢ ، ٣ / ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، القاضي : المرجع السابق ٢ / ١٦١

(٢) ابن بشر ٢ / ٢١٠ ، ابن حميد ١٠٣ ، البسام: المرجع السابق ، ١ / ٣١٠ ، ٣١١

(٣) البسام ، ٣ / ٧٢٥

٨- مكتبة الشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان :

وفى النصف الثانى من القرن الحادى عشر عد الشيخ عبد الله من كبار علماء نجد ، وهذا ماتطلب تكوين مكتبة كبيرة لديه ، وقد وجدت كتبا كثيرة فى مختلف العلوم وخاصة كتب الفقه الحنبلي وقد عرضت للبيع بعد وفاته بعام واشتراها تلميذه محمد بن ربيعة وقد وصفت الكتب التى ضمتها هذه المكتبة نفيسة وقيمة (١).

٩- مكتبة الشيخ حسن بن عبد الله أبا حسين :

وكما مر فقد أثر عن الشيخ حسن اتقان الخط وحسنه وضبطه ، فاستطاع أن ينسخ به كتبا كثيرة نفيسه مما كون لديه مكتبة غالبها بخط يده ، فضلا عن تمكنه من الحصول على كتب كثيرة أخرى قيّمة فى مجالات متعددة من العلوم والفنون (٢).

١٠- مكتبة الشيخ أحمد بن محمد القصير:

تمكن الشيخ أحمد من نسخ عدد كبير من كتب الفقه وغيره بخطه الحسن المضبوط، ونتيجة لذلك كون مكتبة حوت كثيرا من الكتب مما خطه أو تحصل عليه بطرق أخرى ، وكانت هذه الكتب مجال استفادة لكثير من فقهاء نجد بعده ، وخاصة تعليقات الشيخ أحمد على بعض مافى مكتبته من كتب المذهب (٣).

١١- مكتبة الشيخ أحمد بن محمد المنقور:

وقد بلغ من حرص الشيخ أحمد على ايجاد مكتبة له أنه رغم رداءة خطه مقارنة بخطوط بعض النساخ النجديين - فقد استطاع بهذا الخط نسخ كثير من الكتب كون منها مكتبة وصفها بعض مؤرخي نجد بأنها كبيرة ، وليس

---

(١) ابن ربيعه ٢٠، ٧٦، ابن حميد ٢٤١، البسام: المرجع السابق ، ٧٩٧/٣

(٢) ابن بشر ٢٢٥/٢، ابن حميد ٩١، البسام: المرجع السابق ٢١٧/١، ٢١٨

(٣) ابن عيسى ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، البسام: ١٦٧/١، القاضي ٧٩/١

من المعروف مصير تلك المكتبة وربما ورثها عنه ابنه الشيخ ابراهيم فقد اشتهر بنشاطه العلمي ، وربما أوقفت بعد ذلك فتشتت كتبها.(١)

١٢- مكتبة الشيخ محمد بن ربيعة العوسجي :

وكان هذا العالم زميلا للشيخ أحمد المنقور وغيره في التتلمذ على الشيخ عبد الله بن ذهلان ، ويبدو أنه كان أغنى تلاميذ ابن ذهلان مما مكنه من شراء كتبه بعد وفاته وضمها لمكتبته التي كان قد نسخ بعض كتبها بخطه الحسن ، كما أنه قد تحصل على مجموعة أخرى من الكتب بطرق أخرى كالشراء والاهداء ، ويمكن على هذا أن تعد هذه المكتبة من كبريات مكتبات نجد في القرن الثاني عشر ، ويشير المؤرخون أنها حوت كتبا نفيسه في عدة مجالات من العلوم ، ويبدو أن هذه المكتبة قد آلت بعد وفاته لابنه الشيخ عبد الرحمن الذي ورث عن أبيه العلم كذلك.(٢)

١٣- مكتبة الشيخ عبد الله بن أحمد بن عضيب :

ونظرا لكون الشيخ عبد الله من كبار نساخ نجد في القرن الثاني عشر ومن المكثرين في هذا السبيل كما مر فقد استطاع تكوين مكتبة ضخمة حوت مجموعة من الكتب القيّمة التي قام بنسخها في مختلف العلوم ، وكان من أسباب ضخامة هذه المكتبة حث طلبته على نسخ مايستطيعون نسخه من الكتب اذ يبتدئ لهم في أي كتاب ويساعدهم على اتمام نسخه ويكافئهم على ذلك حتى استطاع الحصول على نوادر من الكتب.(٣)

ومن مظاهر اهتمام الشيخ ابن عضيب بتجميع الكتب لكثرة شرائه لها من داخل نجد وخارجها والبذل في ذلك بسخاء رغم فقره حتى

---

(١) المنقور: التاريخ ١٦ ، ١٧ ، ابن بشر ٢/ ٢٣١ ، ابن حميد ٦٤ ، البسام: ١/ ٩٨ ، ١٩٦ ، القاضي ١/ ٦١ ، ٦٢

(٢) ابن ربيعه ٢٠ ، ٢١ ، ٧٦ ، ابن بشر ١/ ٢٧ ، ابن حميد ٢٤١ ، البسام ٣/ ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، القاضي ٢/ ١٦٣ ، ١٦٤

(٣) ابن حميد ١٥٣ ، البسام ٢/ ٥١٨ ، ٥١٩ ، القاضي ١/ ٣١٤

أن المسافرين الى العراق والشام وغيرهما من أهل عنيزة يحرصون على أن تكون هداياهم للشيخ فى عودتهم كتبا قيّمة لعلمهم باهتمامه في جمع الكتب لتحقيق الاستفادة منها فى تنشيط الحركة العلمية التى بدأها فى القصيم.(١)

ومامن شك أن تعاون أهل عنيزة مع الشيخ عبد الله كان عاملا مهما فى هذا الصدد ، وكما برز ذلك من الأهالى فان الامارة كان لها دور جيد فى تسهيل هذه المهمة الجليلة على الشيخ ، وفى هذا المجال يذكر المؤرخون أنه اذا كان الطريق مخوفا أمام حصول الشيخ على أى كتاب من أى مكان فان الأمير يرسل فارسا أو أكثر من فرسانه للحصول عليه سواء بالشراء أو الاهداء أو الاعارة لقراءته أو نسخه واعادته لصاحبه.(٢)

والذى يبدو أن هذا الاهتمام قد أثمر عن تمكن الشيخ ابن عضيب من ايجاد مكتبة يمكن اعتبارها من كبريات المكتبات النجدية فى القرن الثانى عشر وأكبر مكتبة عرفتها منطقة القصيم قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.(٣)

وعلى كثرة كتب هذه المكتبة فقد تفرقت بعد وفاته فى البلدان القريبة والبعيدة الا أن أكثرها وأنفسها اشتراها أشهر تلاميذه الشيخ حميدان بن تركى(٤) وقد نقلها معه الى المدينة حينما رحل اليها وضم اليها مااستطاع الحصول عليه من الكتب بطرق مختلفة ، وقد أوقفها بعد وفاته الا أنها تفرقت وضاعت بين أيدى الناس ، ويوجد بعض منها فى مكتبة عنيزة وهى من

---

(١) ابن حميد ١٥٤ ، البسام ٢/ ٥٢١ ، القاضي ١/ ٣١٤

(٢) ابن حميد ١٥٤

(٣) ابن حميد ١٥٤ ، البسام ٢/ ٥٢١ ، القاضي ١/ ٣١٤ ، ٣١٥

(٤) هو الشيخ حميد بن تركى بن حميدان بن تركى بن على بن مانع ابن نغامش من آل تركى من بنى خالد المشهورين فى عنيزة وبالبكيرية والهلالية ، انتقل نغامش الى عنيزة ، ولد الشيخ حميدان في حدود عام ١١٣٠هـ/ ١٧١٨ ، ١٧م فى عنيزة وتعلم فيها تعليما أوليا الى أن قدم الشيخ عبد الله بن عضيب ولازمه حتى أدرك فى كثير من العلوم فتصدى للتدريس والافتاء ، واشترى كتب شيخه وكتب أخيه منصور بن تركى بعد وفاتهما فكون مكتبة ضخمة مع مانسخه/ له

(=)

بقايا مكتبة ابن عضيب[1]

١٤- مكتبة الشيخ عبد الله بن أحمد بن سحيم:

لما كانت أبرز هوايات الشيخ عبد الله بن سحيم نسخ الكتب حتى لقب بالكاتب فقد استطاع أن يجمع من ذلك مكتبة كبيرة، وكانت من أهم مكتبات منطقة سدير بما ضمته من نفائس الكتب الفقهية وغيرها، ومن المعتقد حصول الشيخ عبد الله على مجموعة من الكتب بطرق أخرى غير النسخ[2].

هذه أمثلة لبعض المكتبات فى نجد قبل قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب اذ أن المجال هنا يضيق عن رصد أغلب المكتبات فى تلك الفترة

وقد فرض شح الحياة الاقتصادية أن يكون النسخ أهم مورد لتكوين هذه المكتبات مع حرص العلماء على جلب الكتب بطرق أخرى بقدر ماتسمح لهم ظروفهم آنذاك، كما أن ظاهرة شراء بعض التلاميذ القادرين مكتبات مشايخهم دليل على حرص هؤلاء العلماء على تنمية حب الكتاب واقتنائه فى نفوس تلاميذهم، كما هو دليل على وجود تنافس بينهم فى تكوين المكتبات والاكثار من الكتب التى تضمها.

وعلى الرغم من أن بعض هذه المكتبات لا تعدو أن تكون خزانات كتب وليست كالمكتبات فى الوقت الحاضر من حيث تخصيص أماكن واسعة لها الا أن بساطة الحياة العامة فى تلك الفترة، والحرص على الاستفادة الكاملة

(=) أرجوزه فى الفقه وأجوبة فقهية سديدة، راسله الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع مجموعة من العلماء فلم يؤيد الدعوة حتى اذا ضمت عنيزة للدولة السعودية الأولى رحل باسرته الى المدينة وأوقف كتبه كلها، توفى فى المدينة عام ١٢٠٣هـ/١٧٨٩،٨٨م (الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الرسائل الشخصية ١٢٤، ابن غنام ٩٥/١، الدرر السنية ٢٠/٢، ابن حميد ٩٦، ٩٧، البسام: المرجع السابق ٢٤٦/١ - ٢٤٨، القاضى: روضة ١٠١/١).

(١) ابن حميد ٩٧، البسام ٢٤٦/١، ٢٤٧، ٥٢١/٢، القاضي ١٠١/١

(٢) ابن حميد ٣١٤، البسام ٥١٢/٢، ٥١٣، القاضي ٣١٦/١

من الكتب، جعلت هذه المكتبات تقوم بدور قوى فى تنشيط الحركة العلمية بما قد لا تستطيع القيام به بعض المكتبات فى الوقت الحاضر.

٧- الأوقاف العلمية :

تشكل الأوقاف العلمية - وهى جزء من الأوقاف العامة كما سيأتى (١) عاملا رئيسا فى تشجيع التعليم فى نجد قبل الدعوة سواء كانت هذه الأوقاف مادية أم عينية وسواء كانت على عامة طلبة العلم أم على المتعلمين من ذرية الواقف فقط.

وكما سبقت الاشارة اليه فقد كانت بعض المكتبات تعتبر من أبرز مجالات الأوقاف العلمية اذ كان أصحابها يحرصون على أن ينص فى وصاياهم ايقاف مالديهم من كتب على طلبة العلم فى بلدانهم أو غيربلدانهم ادراكا منهم لأهمية توافر الكتاب لأى حركة علمية (٢).

ومن المظاهر الجيدة فى هذا الصدد حرص بعض أمراء البلدان النجدية على ايقاف بعض الكتب على العلماء أو طلبة العلم احتسابا منهم للأجر العظيم من وراء نشر العلم، ومن الأمثلة فى هذا المجال ايقاف أمير عنيزة فوزان بن حميدان (٣) نسخة من القاموس المحيط على الشيخ أحمد القصير فى أشيقر وقد أشهد على هذا الوقف عالم عنيزة الشيخ عبد الله بن عضيب (٤)

---

(١) يبحث الفصل الرابع من الباب الرابع فى التكافل الاجتماعى والأوقاف الخيرية العامة.

(٢) البسام ١/ ٢٠٠، ٢١٦.

(٣) هو فوزان بن حميدان بن حسن بن معمر آل جراح الزهرى الشورى وكال زهرى هم الذين انشأوا عنيزة، تولى الامارة بعد والده، يعد من اقوى امراء عنيزة فقد حرص على توحيد اجزاء عنيزة تحت أمير واحد وغزا بريده عام ١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م الا أن قتل عام ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م قتله آل الجناح من بنى خالد واستولوا على عنيزة حتى اخرجهم منها ابنه حميدان بن فوزان (ابن بشر ٢/ ٢٢٢، ٢٢٦، ابن عيسى ٧٩، ٨٤، ٢٣٤، البسام، علماء نجد ١/ ٢٥٣- ٢٥٥ ، ٢/ ٥١٨، ٣/ ٧٦١، محمد العبودى : بلاد القصيم ٤/ ١٦٨٨-١٦٩٠)

(٤) البسام ٢/ ٥١٨

ومن المتوقع وجود أمثلة أخرى في هذا السبيل ترينا الى أي مدى كان بعض الأمراء حريصين على تشجيع الحركة العلمية في نجد قبل الدعوة بما تسمح لهم الظروف العامة آنذاك.

وبالاضافة الى كون المساجد أبرز أمكنة التعليم في تلك الفترة فقد كان بعض الموسرين الراغبين في الخير يوقف بيتا ليكون مدرسة تلقى فيه الدروس العلمية جنبا الى جنب مع تلك الدروس التي تلقى في المسجد، وفي هذه الناحية يذكر المؤرخون أن بعض أهالي عنيزة أوقف بيتا ليدرس فيه الشيخ عبد الله بن عضيب.(١)

ولم يكتف بعض النجديين بايقاف أماكن للدراسة بل كانوا يوقفون عليها الكتب وشيئا من ريع البساتين كالقمح والتمر، الا ان ايقاف النخل على طلبة العلم هو المظهر السائد لأن الواقف يضمن فيها استمرار التعيين والاستفادة منها أكثر من أنواع الزراعة الأخرى، وهذه الغلال شاملة للطلبة ومدرسيهم.(٢)

على أن بعض الأسر العلمية النجدية التي رحلت الى بعض المناطق المجاورة كانت لها اسهامات كثيرة في مجال الأوقاف العلمية، فيذكر المؤرخون أن آل فيروز في الاحساء قد أقاموا مقرا علميا كبيرا تحملوا فيه السكن والاعاشة للطلاب الذين يتلقون العلم على علمائهم وكان يصل مجموع هؤلاء الطلاب أحيانا الى نيف وسبعين طالبا كلهم قد كفوا مهمة الانفاق على أنفسهم في جميع مايلزمهم.(٣)

---

(١) ابن حميد ١٥٣

(٢) ابن حميد ١٠٤، البسام : المرجع السابق ١/٣٢٦

(٣) ابن حميد ٢٥٨، البسام ٣/٨٨٤.

وحرصا من العلماء على استمرار الناحية العلمية فى عقبهم فقد كان بعضهم يوقف شيئا مما يملك على طلبة العلم من ذريته بحيث يكون طالب العلم فقط هو المستفيد من هذه الأوقاف نظارة واستحقاقا ، ويذكر فى هذا الصدد أن الشيخ محمد بن ابراهيم أبا الخيل (١) قد أوقف مجموعة من عقاراته وبساتينه فى عنيزة على طلبة العلم من ذريته (٢)، وهذا وقف علمي خاص الا أن مردوده لابد أن يكون قد انعكس على الحياة العلمية فى المنطقة واستفاد منه طلاب العلم الآخرون من قريب أو بعيد .

ورغم أن النجديين قد طرقوا أغلب مجالات الأوقاف العلمية الا أن ايقاف القرآن الكريم يأتى فى مقدمة هذه المجالات ، وما خط الخطاط عبد الرحمن السحيمي أربعة عشر مصحفا ورجى الله أن يمكنه من زيادتها - كما سبق - الا من أجل أن يوقفها على بيوت الله وعلى القراء والحفاظ والمدرسين للقرآن الكريم

وفى اطار ايقاف الكتب العلمية فقد حرص علماء نجد فى تلك الفترة على تنظيم الاستفادة منها بما نقلوه عمن سبقهم من العلماء خوفا من العبث فى هذه الكتب أو ضياعها ، ولما كانت التحشية على الكتب الموقوفه أبرز ما يؤثر على الاستفادة منها سلبا أو ايجابا فقد نقل المنقور فتوى تقول بمنع ذلك الا إن اكان الخط حسنا ، وعاد من التحشية مصلحة على الكتاب المحشى عليه لتعلق الحواشي بما فيه تصحيحا أو بيانا أو ايضاحا أو نحو ذلك مما يكون سببا لكثرة المطالعة فيه للناس، أو انتفاعهم به ، لأن الواقف لو اطلع على ذلك لأحبه لما فيه من تكثير الثواب له بتعميم النفع لوقفه ، ومتى انتفى شرط مما ذكر لم تجز التحشية (٣) .

---

(١) هو الشيخ محمد بن ابراهيم بن عبد الله أبا الخيل ولد فى عنيزة وتعلم فيها مبادئ القراءة والكتابة حتى قدم الشيخ بن عضيب فلازمه حتى أدرك ، وكان من العلماء الاثرياء، راسله الشيخ محمد بن عبد الوهاب ضمن من راسل من علماء نجد الا أن موقفه من الدعوة تأييدا أو معارضة غير واضح تولى قضاء عنيزة فهو القاضي الثالث بعد ابن عضيب وسليمان بن زامل ، علاوة على توليه مهام التدريس والافتاء والامامة والخطابة حتى توفى خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر الشيخ محمد بن عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ٢٤ (، ابن غنام ١ / ٩٥ ، الدرر السنية ٢ / ٢٠ ، البسام ٣ / ٧٧١-٧٧٣ ، القاضي ٢ / ١٦٤ ، ١٦٥) . (٢) البسام ٣ / ٧٧١ ، ٧٧٢ القاضي ٢ / ١٦٥

(٣) المنقور : الفواكه ١ / ٥٣٠

الفصل الثاني

الآثار الاجتماعية للحياة العلمية

- المكانة الاجتماعية لعلماء نجد قبل الدعوة.

١- طرق الموضوعات الفقهية ذات الصلة المباشرة بالمجتمع النجدي.

٢- مراعاة أوضاع بعض الفئات الاجتماعية.

٣- بحث العلماء لبعض العادات الوافدة على المجتمع النجدي:-

«أ» شرب القهوة.

«ب» التدخين.

٤- جهود العلماء الإصلاحية في المجتمع.

٥- مساهمة العلماء في سبل الخير.

٦- الأثر الاجتماعي للرحلات العلمية.

٧- نقد الأدب الفصيح وتصويره لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية.

المكانة الاجتماعية لعلماء نجد قبل الدعوة:

على ضوء ماسبق يمكن القول أن النشاط العلمي في نجد يعتبر أحد أبرز الأنشطة الاجتماعية في المجتمع ان لم يكن أبرزها ، اذ تقوم به فئة لايستهان بها من المجتمع وتؤدى دورها في توجيه الكثير من مجالات الحياة فيه .

ومن المفيد بدرجة كبيرة قراءة سير العلماء لمريد سبر أغوار الحياة الاجتماعية لأن هذه السير تكشف عن جوانب حياة عصرهم الذى معظم أنشطته الاجتماعية والعلمية يقوم بها العلماء ، ففى كتاتيبهم يتعلم الناس القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، وفى منتدياتهم يلتقي طلاب العلم والعلماء فيتناقشون في العلوم والفنون المتعددة ، وعن طريق علمهم ومكانتهم يتم القضاء بين الناس اذا تخاصموا ، والصلح اذا اختلفوا ، وعن طريق وعظهم وارشادهم وحكمتهم يتم غرس الكثير من المثل العليا والقيم الاجتماعية وضوابط السلوك وفق أحكام الاسلام .

ولكونهم أكثر صلة بالناس وتأثيرا فيهم فان سائر فئات المجتمع تحرص على التقرب منهم واستشارتهم والاستفادة من آرائهم وكسب ودهم (١) ، وهم في مقابل ذلك يحرصون على أن تكون توجيهاتهم وفتاويهم وفق حاجة المجتمع وطرق المستجدات عليه سواء بدعوتهم الى نبذها أو الأخذ بها ، ومراعاة أوضاع سائر الفئات في المجتمع حين اصدارهم لأى فتوى أو حكم مالم يتعارض ذلك مع أصل من أصول الشرع .

ثم ان دراسة التحركات الأسرية لبعض العلماء تفيد في تلمس وجود علاقات اجتماعية بين نجد والبلدان التى يرحل اليها بعض

---

(١) صالح السليمان العمرى : علماء آل سليم وعلماء القصيم ط(١) مطابع الاشعاع ، الرياض ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ص ٣ من مقدمة الدكتور اكرم ضياء العمرى .

هؤلاء العلماء وهذا جانب مهم يصور المكانة الاجتماعية لهؤلاء العلماء وأسرهم والتأثير الاجتماعي المتبادل بينهم وبين أهل تلك البلدان .

ورغم أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد رفعت من مكانة العلماء في المجتمع، وازداد بالتالي تأثيرهم فيه، فان هذه المكانة كانت متأصلة في المجتمع النجدي، ولا أدل على ذلك من أن الشيخ محمد نفسه حينما أراد دعوة أهل الرياض ومنفوحة أرسل لهم رسالة وطلب من قاضي الدرعية الشيخ عبد الله بن عيسي (١) أن يسجل تحتها مايراه من القول المؤيد لها لعل ذلك أن يكون أدعى لقبولها، وقد أثنى الشيخ على ابن عيسى في هذه الرسالة مما يدل على وجود مكانة اجتماعية عالية يتمتع بها هذا القاضي في منطقة العارض كلها اذ قال عنه الشيخ محمد في هذه الرسالة : (وشاهد هذا أن عبد الله بن عيسى مانعرف في علماء نجد ولا علماء العارض ولا غيره أجل منه، وهذا كلامه واصل اليكم

---

(١) لم أجد ترجمة لهذا الشيخ فيما بين يدي من كتب تراجم علماء نجد أو مصادر التاريخ النجدي الا انه ذكر في رسالته التي أيد فيها الشيخ محمد أن اسمه عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن كما أنني بحثت في كتب الأنساب النجدية لعلي أظفر بمعلومة عن أسرة هذا الشيخ فلم أجد شيئا ولعله من آل عبد الرحمن المعروفين في ضرما والذين هم من أهل الدرعية أصلا ويرجعون في نسبهم الى آل ربيعة بن مانع المريدي من بني حنيفة، أو لعله من آل عيسى المعروفين في (أبا الكباش) الذين يرجعون الى ربيعة كذلك واذا ثبت هذا فهو يلتقي مع آل سعود في النسب، وكان مؤيدا لدعوة الشيخ محمد ثم تغير موقفه منها بتأثير ابنه عبد الوهاب، ويبدو أن الشيخ أفلح في كسبه من جديد للدعوة، وتبدو أهمية ابن عيسى عند الشيخ محمد من كثرة مراسلته له ومجاملته له أكثر من مرة، وذكر احسانه وفضله على دعوته وشخصه وأسرته، وقد بلغت الرسائل التي أرسلها الشيخ محمد الى ابن عيسى والتي ورد ذكره فيها سبع رسائل (الشيخ محمد بن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية ١٨٦، ١٩١، ٢٤٠، ٢٧٦، ٢٨٠، ٣٠٤، ٣١٤، ابن غنام ١/ ١٤٥، ١٤٨، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، ١٧٢، ١٧٤، ابن قاسم : الدرر السنية ٢/ ٢٩، ٨/ ٧٣، حمد الجاسر: معجم

(=)

ان شاء اللـــه .)[(١)]

وبغض النظر عن كون هذا الوصف مطابقا للحقيقة فعلا ، أو حسـب ظن الشيخ محمد فى ابن عيسى ، أو أن ذلك على سبيل المجاملة والدعـوة بالتى هى أحسن ، واستعمال كافة الوسائل التى قد تقنع الآخرين بدعوتـه ، بغض النظر عن ذلك كله فان الشيخ كان يرى ضرورة تعليق ابن عيسى علـى رسالته تلك ، وأنها من دون ذلك التعليق لن تكون لها القوة والتأثيـر المطلوبين ، وتشير المصادر أن موقف الشيخ ابن عيسى وتعليقه على رسالـة الشيخ محمد كان له أثر طيب فى كسب بعض الناس فى هاتين البلدتيـن وربط الدرعية كذلك الى جانب الشيخ ودعوتـه.[(٢)]

ومن المؤكد أن مثل هذه المكانة الاجتماعية العالية لابن عيسى كانت متوافرة لعلماء نجد منذ فترة متقدمة عن قيام الدعوة على اختلاف فيما بينهـم فى شمول هذه المكانة لمنطقة بأملها ، أو قصرها على بلدة معينـة.[(٣)]

والمطلع على رسائل الشيخ محمد الشخصية يتبين له بوضوح درجـة هذه المكانة لدى بعض علماء نجد وحرصهم على التمسك بها ، بل ان الشيـخ يؤكد أن من أسباب معارضة بعض معارضيه بعد تأييدهم المبدئى لدعوتـه هو خوفهم من فقدان المكانة الاجتماعية المتأصلة بين الناس.[(٤)]

ان ذكر الشيخ فى هذه الرسائل لعدد كبير من علماء نجـد المعارضين له والمؤيدين والمتوقفين دليل على ادراك من الشيخ لتأصـل

(=) انساب الاسر المتحضرة ٢/ ٥٤٥، ٦٥٦).

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب: المصدر السابق ١٨٧ ، ابن غنام ١/ ١٤٦

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب: المصدر السابق ٢٧٦ ، ٣١٤ ، ابن غنام ١/ ١٥٦ ، ١٧٤ ، د. عبد الله العثيمين ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) كالشيخ عبد الله بن عضيب الذى كانت له مكانة اجتماعية شاملـة لمنطقة القصيم.

(٤) الشيخ محمد بن عبد الوهاب: المصدر السابق ٦٣ ، ابن غنـام ١/ ١١٤ ، ابن قاسم ٨/ ٥٣ .

هذه المكانة، وحرص على استغلالها لصالح دعوته سواء بالتأكيد على هـذه المكانة ورفعها لدى من يؤيد، أو يبدو منه ذلك، أو هز هذه المكانة والتقليل من شأنها لدى من يعارض الشيخ صراحة فى محاربته للبدع والمنكرات، وما من شك أن هذا أسلوب حكيم من الشيخ فى تهذيب درجة هذه المكانة، وعدم الغلو فى اعطائها الا لمن يستحقها بمعرفته لجوانب العقيدة والشريعة.(١)

ويجد الباحث فى المكانة الاجتماعية لهؤلاء العلماء أنها محور تدور حوله كافة مؤثرات الحياة العلمية على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، اذ أن تقرير هذه المكانة لبعض العلماء من كافة فئات المجتمع جعل لها قوة وشمولا، كما أن ضعف بعض العلماء أمام قوة بعض الفئات المتنفذة فى المجتمع حد من قوة وشمول تلك المكانة، ومن أوضح الأمثلة مكانة الشيخ عبد الوهاب بن سليمان التى حاول النيل منها حاكم العيينة، وحال ذلك دون قيام الشيخ ببعض الأدوار الاجتماعية التى قام بها والده سليمان بن على، اذ أن رحيل الشيخ عبد الوهاب اثر خلافه مع حاكم العيينة قد أثر على مكانته الاجتماعية فى بلدة تعد كبرى البلدان النجدية فى حينها.(٢)

---

(١) من الأمثلة على ذلك ذكر الشيخ لعدد من العلماء المعاصرين له سواء بالثناء على بعضهم كما فعل مع ابن عيسى، وعبد الله بن سحيم وحمد التويجرى وعبد الله بن سويلم وغيرهم، أو بذمهم والحط من مكانتهم الاجتماعية بكشفهم امام العامة كسليمان بن سحيم وعبد الله المويس وابن اسماعيل وغيرهم (الشيخ محمد : المصدر السابق ٢٧، ٦٠، ٦٣، ٦٦، ٧٢، ٨٨، ٩٠، ٩١، ١٣٤، ١٣٧، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٣، ١٨٧، ٢٠٥، ٢٢٦، ٢٢٩، وهذا المصدر ملئ بما يقرر هذه الحقيقة).

(٢) ابن بشر ٢٣٨/٢، ومما يندرج حول هذا الموضوع تعليق الشيخ محمد على تباطؤ بعض علماء الوشم فى اتباع الدعوة حتى يأخذوا رأى ابراهيم بن سليمان العنقرى امير شرمداء فى وقته حيث قال فى ذلك مخاطبا الشيخ احمد بن ابراهيم امام مسجد مرات: "وأما قولك : أبقى أشاور ابراهيم فلاودى تصير ثالثا لابن عباد وابن عيد (من علماء شرمداء) ، أما ابن عياد فيقول : أى شئ أفعل

(=)

على أن هذه المكانة من جانب آخر قد تعرضت للاهتزاز لـدى بعض العلماء الذين داروا بعض الفئات في المجتمع فلم تكن لمكانتهم تلك مؤثرات واضحة على الحياة العامة في نجد بل تعرضت للنقد الاجتماعي اللاذع من بعض شعراء تلك الفترة كما مر.

وحسب ماتوافر لدى من أمثلة ونصوص وأحداث تاريخية يمكن رصد مؤثرات الحياة العلمية على أوجه الحياة الاجتماعية في الموضوعات التالية:

١- طرق الموضوعات الفقهية ذات الصلة المباشرة بالمجتمع النجدى:

وتأتى أهمية هذا الموضوع من حقيقة أن مراعاة العرف السائد في المجتمع أساس لأى فتوى أو حكم شرعي، وتجب مراعاته مالم يتعارض مع نص أو اجماع أو قياس.

وكان الفقيه النجدى حريصا على هذه الناحية، ومن هنا جاء نقل المنقور في الفواكه لهذا القول عن أحد العلماء: " فمن أفتى الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف عرفهم وعوائدهم وأزمنتهم وأمكنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم، فقد ضل وأضل، وكانت جنايته على الدين أعظم من جناية من تطبب للناس كلهم على اختلاف بلادهم وعوائدهم وأزمنتهم وطبائعهم بما في كتاب من كتب الطب على أبدانهم بل هذا الطبيب الجاهل أضر على أديان الناس وأبدانهم". (١)

(=) بالعناقر، والا فالحق واضح ونصحتهم وبينت لهم، وابن عيد أنت خابره حاول ابراهيم في الدخول في الدين، وتعذر من الناس أن ابراهيم ممتنع ياسبحان الله اذا كان أهل الوشم وأهل سدير وغيرهم يقطعون أن كل مطوع في قرية لو ينقاد شيخها مامنهم أحد يتوقف كيف يكون قدر الدين عندكم". (المصدر السابق ٢٠٧)

(١) المنقور: الفواكه العديدة ٢/ ٣٣

ويؤكد الشيخ أحمد بن عطوة على مراعاة العرف والأحوال وقرائن الأحوال في أي فتوى حيث قال في جواب له :" فاياك أن تهمل قصد المتكلم ونيته وعرفه ،فتجني عليه وعلى الشريعة ،وتنسب اليهما ماهي بريئة منه فتلزم العاقد مالم يلزمه الله ورسوله (١) ".

وكان الشيخ عبد الله بن ذهلان من أحرص الفقهاء النجديين على عدم طرق موضوعات فقهية غير ذات صبغة نجدية لأن مثل هذا يؤدي الى بلبلة في أوساط العامة في نجد ،فكل بيئة لها ماينا سبها من الأحكام الفرعية في اطار الأصول الشرعية العامة لكل المسلمين وفي هذا يقول : (وأما التوسع في أشياء ليست عند نا ولا حولنا ،فهذا يفضي الى كثرة القيل والقال بما لا يجدي (٢)).

ومن مظاهر مراعاة العادات والأعراف النجدية في الفتوى استعمال العامية في اصدار أي حكم أو فتوى مخاطبة للناس على قدر أفهامهم كجواز استعمال لفظ(إيه) بمعنى نعم لايجاب أي أمر يحتاج الى الموافقة أو عدمها ،وفي هذا يقول الشيخ ابن ذهلان : " اذا قيل له -أي الواقف- : وقفت دارك على زيد قال نعم،صح لانه صريح .... وكذا قوله بعد السؤال إيه لانه عرفنا (٣) ".

ومن ذلك استعمال (التخلات) من التخلية بمعنى الخلع البائن وهو ماأكده الشيخ ابن ذهلان في قوله :" اذا طلبت التخلات على عوض بذلته له ،فقال : خلعت جوازك من رقبتي أو خلعت زواجك صح - ذلك لغة أهل بلدنا - وبانت، فالعبرة في ذلك ومثله بلغة المتكلمين به (٤) ".

---

(١) المصدر السابق ٢ / ٣٣

(٢) المصدر السابق ١ / ٥٥٠

(٣) المصدر السابق ١ / ٤٧٦

(٤) المصدر السابق ٢ / ٤٧

ويبدو أن هذا الموضوع من الموضوعات التى كان يحصل فيهـــا خلاف بين بعض النجديين مما جعل الفقهاء فى تلك الفترة يجمعـــون على خلع وبينونة من استعمل فى حقها هذا اللفظ حتى تقرر عند العامـــة ذلك سواء تم ذلك بين الزوج والزوجة مباشرة أم عبر وكيل بينهما بسبـــب نأى احدهما عن الآخر، وفى هذا يقول الشيخ ابن ذهلان: " اذا قال: وكلتك تخلى زوجتى فوكالته صحيحه، ويملك الخلع لانه العرف، وان قال: خليـــت زوجتى ، فخلع بائن، للعرف، ولو لم يقل بعوض، لأنه العرف عند الناس، يقـال: خلى فلان زوجته أم طلقها "(١).

ولم يغفل فقهاء نجد أن للتخلية اطلاقا آخر عند النجديين وهـــو أنه يكنى بها الطلاق فى حال عدم طلب الزوجة الخلع، أو فى حال الغضـــب والخصومة، وقد نقل المنقور فتوى فى هذا تقول: " وقوله: خليت امرأتى لمـــا نازعتنى، أو خاصمتنى فى كذا، ونحو ذلك، تطلقه بلا تردد ، لاقراره بذلـــك، وذكره الخصومة دليل على عدم اشتراطه النيـــة مع أن العرف عندنـــا أن التخلية خلع بائن"(٢)

ومما يندرج تحت ذلك من موضوعات النكاح التى للنجديين فيهـــا عرف أخذه فقهاؤهم بعين الاعتبار موضوع الصداق حيث نقل المنقور عـــن شيخه قوله: " وظاهر عادتنا وعرفنا أن الصداق المذكور عند العقد أنـــه يكون مؤجلا بلا شرط، ولا يخسر على القول بالفسخ به" ورتبوا على وجود هـذه العادة حكما يقول: " أنه ان منعها الصداق بعد حلوله فلها الفسخ ســواء قبل الدخول أم بعده"(٣)، وهذا الحكم وان كان قد نقله هؤلاء الفقهاء عـــن مجتهدى المذهب فان تطبيقه على تلك العادة دليل على وعي من فقهـــاء نجد بتقاليد وعادات مجتمعهم ، وحرص على طرق الأحكام الفقهية ذات الصبغة المحليـــة.

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٤٢
(٢) المصدر السابق ٢/ ٤٣
(٣) المصدر السابق ٢/ ٦٢

ولما كان من عادة بعض النجديين في مجال الزراعة الاشتراك في بئر واحدة فقد راعى الفقهاء هذه الناحية بطرقها المعروفة في كل منطقة نجدية مثل أن يكون لكل مزارع يوما بعد يوم أو بعد يومين أو ثلاثة أو يكون لكل واحد دلو أو مجموعة من الدلاء حسب الاتفاق، وقد أورد المنقور في هذا الصدد فتوى للشيخ زامل بن سلطان الذى حكم بشرعية وصحة وقبول شهادة أحد الأشخاص على أن لشخص آخر مشربا من أحد الآبار، وأكد المنقور بعد ذلك أنه رأى مثل هذا الحكم عند فقهاء آخرين غير الشيخ زامل، ولأن العادة توافقه فقد حكموا بصحة مثل تلك الطرق.(١)

وقد طرق الفقهاء النجديون قضايا فقهية عديدة ذات صبغة محلية في مجالات مختلفة من الحياة الاجتماعية كالبيوع والوصايا، والمساقاة، والمزارعة والاجارة، والوقف، وأحكام النساء، وغيرها مما لا يتسع المجال هنا لعرضه وقد يرد جانب منه في مواضعه من هذه الرسالة، وهذه القضايا تؤكد حرص هؤلاء الفقهاء على وحدة المجتمع النجدى.

ولئن كانت العادات النجدية واحدة أو متشابهة فان بعضها قد تختلف تسميته أو مظهر تطبيقه من منطقة نجدية الى أخرى الا أن تركز الفقهاء في مناطق علمية مشهورة كما سبق حدا بالمستفتين الى عرض أسئلتهم على هؤلاء الفقهاء في مناطقهم وهو مادفع بهم الى تطبيق مايعلمونه عن هذه العادة أو تلك في بلدانهم على ماورد اليهم من بلدان أخرى واصدار أحكام حسب ماهو معروف عندهم، وهو عامل مهم أسهم بدوره في وحدة التسميات، ومظاهر التطبيق للعادات النجدية الواحدة أو المتشابهة.(٢)

---

(١) المصدر السابق ٢/١٠٤، ١٠٥، ٣٢٤

(٢) من الأمثلة على ذلك حكم ابن ذهلان في وقف من شرمداء ، وفي وقف من العيينة، انظر المصدر السابق ١/٤٠٠، ٤٠١، ٥١٤

٢ - مراعاة أوضاع بعض الفئات الاجتماعية :

وانطلاقا من يسر الدين وسماحته فيما ليس فيه اخلال بأصل من أصوله ، وانسجاما مع بعض الأحداث السياسية والأوضاع الاقتصادية السيئة آنذاك ، فقد كان علماء نجد على اقتناع بجدوى مراعاة أوضاع بعض الفئات العاملة فى المجتمع فى تخفيف بعض الأحكام الشرعية بحق هؤلاء عن سائر الفئات الأخرى فى المجتمع، حرصا على تمسكهم بالحد الأدنى من مظاهر الالتزام ببعض العبادات، وتقديرا لجهودهم الكبيرة فى سد حاجة المجتمع لكثير من المهن والأعمال .

ولما كان الصيام عبادة بدنية فقد تضعف من يمارس مهنا شاقة فى جو قاس كجو نجد فيحدث من جراء ذلك ضرر لمن لا يستطيع ترك مهنته مؤقتا ولا يقوى على الجمع بين العمل الشاق والصيام علاوة على تضرر المجتمع بأسره من ذلك ، مما دفع ببعض فقهاء نجد الى اباحة القطر لبعض الفئات العاملة والقضاء فى أيام أخر ، وليس هذا الحكم الا تطبيقا للقاعدة الفقهية القائلة بجواز الفطر لمن يحتاج اليه لدفع ضرر لحق به أو بغيره ، مع التحرز الكامل فى درجة هذه الحاجة لئلا يستغل ذلك من يستطيع العمل والصيام ولا يضره أحدهما . (٢)

وقد أورد المنقور فى هذا الصدد فتوى لشيخه ابن ذهلان تجيز تطبيق هذا الحكم على بعض الفئات العاملة فى المنطقة حيث قال فى ذلك " وقوله : مالم يضره فى معيشةٍ يحتاجها الى آخره ، الظاهر أن الكالف (٢)

---

(١) محمد العثيمين : مجالس شهر رمضان ط(٢) مطابع شركة المدينة للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ ص ٥٧، ٥٨

(٢) الكالف : هو الذى يسوق دابة النضح من الآبار ويطلق عليه أحيانا الكلاف بتشديد اللام أخذا من الكلفة والمشقة وهذا اللفظ مستعمل فى وسط وجنوبى نجد ، أما شمالها فيطلق على الكالف لفظ العامل (محمد العبودى الأمثال العامية فى نجد ، المطابع الاهلية للاوفست نشر دار اليمامة ، الرياض ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ١/٩٥)

والحشاش(١)، والحطّاب، والعامل(٢)، والرائس(٣)، والدايس(٤)، والذارى، والحصّاد والشمّال(٥)

---

(١) الحشاش: بتشديد الشين الأولى من الحش وهو القطع ويطلق على جامع الحشيش الذى هو العشب البرى اليابس وهو اطلاق فصيح الا أنه لدى النجديين يطلق على العشب البرى الأخضر واليابس (الزبيدى: تاج العروس باب السين فصل الحاء ،أحمد رضا: قاموس رد العامى الى الفصيح ط(٢) دار الرائد العربي بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص ١٣١).

(٢) الرائس: من راس الماء أى نظم ارساله الى الأحواض والسواقى وتسمي المهنة رياسة، واللفظة فصيحة من راس السيل الغثاء جمعه واحتمله، وراس الشئ ريسا ضبطه وغلبه فالرائس ينظم الماء بعد جمعه فى البركة. (الزبيدى: المصدر السابق باب السين فصل الراء، العبودى: المرجع السابق ٣/١٠٦٧).

(٣) الدايس: هو الذى يسوق الدابة التى تقوم بدياسة (أى وطء) القمح والشعير لاستخلاص الحب من سنبله حتى لا تتوقف أو تلقى فضلاتها على الحب، والغالب أن تكون من البقر الا أنه أثر عن بعض النجديين الدياسة على الحمير وان كان العلماء كرهوا ذلك لنجاستها، ومما استدرك الزبيدى على الفيروزابادى قوله: " الدوائس هى البقر العوامل فى الدوس" (المنقور المصدر السابق ١/٢٦ ، الزبيدى: المصدر السابق باب السين فصل الدال، العبودى المرجع السابق ١/٢٧٣، ٤٢٧).

(٤) الذارى هو الذى يقوم بتعريض القمح ونحوه للريح والقائه فى الأرض لتنقيته واستخلاص الحب من التبن (الزبيدى: المصدر السابق باب الواو والياء فصل الذال، العبودى ١/١٧٦، ٤/١٥٨٦)

(٥) الشمال: بتشديد الميم: يبدو أنها لفظة آخرى للحصاد كالكالف والعامل بمعنى واحد قال فى قاموس رد العامى الى الفصيح: " الشمالة عند العامة القبضة من الحصيد يقبضها الحاصد" وقال فى القاموس" كل قبضة يقبض عليها الحاصد" فهى تعنى القبض عامة أو القبض بالشمال لأن المنجل يكون باليمين، كما تطلق على شد اغداق النخلة بقطع من الأكسية لئلا تنفض ثمرها لان الشمل يطلق على العذق وعلى القليل من الرطب، كما تطلق على لفظ الرطب من الشماليل وهو الثمر فعلى هذا يمكن اطلاقها على الحصاد، وعلى العناية بالنخيل بعد حمله، وعلى جنى ثمرها (الفيروزابادى ، والزبيدى باب اللام فصل الشين، أحمد رضا: ٣١٢)

والصانع ونحوهم اذا كان الصيام يضعف أحدهم عن معيشة أو بعضها جاز له التفكير بالاطعام، ولا يقيد الضرر بأن غداه فيه أو عشاه كما قيل، بل الضرر كل مايخل بأمره عن حالته الأولى، وقد سأله رجل جلد، أو ادعى أن عليه دينا، وأنه محترف قصاب، واذا صام ضعف عن ذلك فأفتاه بالاطعام وزاد أيضا: أنه ربما لا يصبر عن النساء، مع أنه يغيب فى الأسفار طويلا ولا يلحقه ضرر (١).

ومامن شك أن هذه الفئات تعتبر أهم الفئات العاملة فى المجتمع النجدى فى تلك الفترة، وتؤدى أدوارا بارزة فيه بل لا تقوم الحياة الاجتماعية الا بمهنهم وأعمالهم سواء فى المجالات الزراعية، أو الصناعية أو سائر المهن الأخرى، فضلا عن أن بعض تلك الأعمال مرتبط بالبعض الآخر بحيث اذا توقف صاحب عمل تعطلت أعمال أخرى يقوم بها غيره، وتشير هذه الفتوى الى حرص الفقيه النجدى على أن تكون فتاويه شاملة لأغلب أقاليم نجد باستعماله الالفاظ التى تنتشر فى هذه الأقاليم.

ولقد كان الجراد والدباء - وهو صغار الجراد - يترك أثرا بالغا فى المزروعات كافة حيث يقضي بمجموعه على الأخضر واليابس مما تشح معه المواد الغذائية الزراعية وكذلك الأعلاف، ولهذا فقد أفتى ابن ذهلان بجواز ترك الجمعة والجماعة لمن اضطر للبقاء فى مزرعته ليذود الدباء عن زرعه مع أنه يمكنه جعل غيره يذود عنه (٢).

---

(١) المنقور: المصدر السابق ٢/٧٣، ولعل فى لفظة التفكير خطأ مطبعي وصحتها التكفير

(٢) المصدر السابق ١/١٢٤، وهذه الفتوى مستوحاة من الحكم الفقهى الذى يعذر فى ترك الجمعة والجماعة لكل مريض وخائف ضياع ماله أو فواته أو مال متحفظ عليه (منصور البهوتى: شرح المنتهى ١/٢١٩ الشيخ محمد بن عبد الوهاب: آداب المشى الى الصلاة مطبوعة ضمن المجلد الثانى من القسم الثانى من الفقه، مطابع الرياض نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ص ٢٨).

ومن أوضح الأمثلة التاريخية في هذا المجال ماحدث في أواخر رمضان عام ١١٠٧هـ/أواخر ابريل ١٦٩٦م حينما غزا الشريف سعد بن زيد[(١)] نجدا وحاصر أشيقر وطلب أن يخرج اليه الشيخ أحمد القصير وابنه محمد وتلميذه الشيخ حسن أبا حسين - ربما لكونهم أبرز علمائها في حينه - فخرجوا اليه فحبسهم، وكانت سنابل القمح قد أينعت وحان حصدها وخاف أهل أشيقر من اتلاف الشريف لها أو أخذها ، ولاشتداد الحر فقد أفتى الشيخ القصير أهل البلدة بالفطر في رمضان تقوية لهم حتى يتمكنوا من حصد الزرع بمدة وجيزة فأخذوا يماطلون الشريف فترة الحصاد حتى أحرزوا ثمرة زروعهم قبل أن يتمكن منهم واستطاعوا بسبب ذلك الصمود أمام الحصار فامتنعوا عن تنفيذ مطلب الشريف الذي تضرر من طول الحصار فرحل ولم يتمكن من تحقيق شئ مما أراد[(٢)].

هذا عرض لأحداث الواقعة كما وردت في بعض مصادر تاريخ نجد ، على أن هناك رواية أخرى للحدث تذكر أن أهل أشيقر قد لبوا مطالب الشريف التي ربما كان منها كمية من القمح ، وبينما لا تذكر الرواية السابقة كيف تم اطلاق سراح الشيخ القصير ومرافقيه ورحيل الشريف تشير هذه الرواية أن ذلك كان بعد تحقيق مطالبه أو شئ منها[(٣)]، ومعلوم أن من أهداف الغزوات الشريفية على نجد الحصول على كميات من القمح والتمور، وفرض نوع من الولاء السياسي لشرافة مكة.

---

(١) هو الشريف سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن الحسن بن أبي نمي ولد بمكة سنة ١٠٥٢هـ/١٦٤٢م وولي شرافتها بعد وفاة والده ١٠٧٧هـ/١٦٦٦م بعد أن تغلب على بعض الاشراف، ثم وقعت بينه وبين اخيه احمد فتن حول الشرافة، وتولى وعزل اربع مرات الى ان استقرت له سنة ١١٠٦هـ/١٦٩٤م ثم تنازل منها لابنه سعيد الذي ثار عليه الأشراف فقاتلهم سعد حتى قتل سنة ١١١٦هـ/١٧٠٤م (احمد زيني دحلان : خلاصة الكلام ٧٩، ٨٠، ٩٠، ١١٨، ١١٩ - ١٢١، ١٢٤، ١٢٥، ١٤١ - ١٤٤، الزركلي : الاعلام ٣/١٣٤، ١٣٥).

(٢) ابن يوسف حوادث عام ١١٠٧هـ، وحددها بيوم ٢١ رمضان من السنة الموافق ٢٥ ابريل عام ١٦٩٦م ويؤكد فيها حبس الشريف للشيخ القصير ومرافقيه ،
وانظر ابن بشر ٢/٢٢٢، البسام : علماء نجد ١/٢١٧، ٢١٨، ويبدو انهم قد نووا تأجيل الحصاد الى مابعد رمضان لولا مداهمة الشريف لهم.

(٣) البسام: تحفة المشتاق ورقة ٨٦.

والمهم هنا رغم اختلاف الروايتين في عرض بعض أحداث تلك الواقعة هو هذه الفتوى التي تدل على وعي فقهي من الشيخ القصير وتنم عن ادراك لأوضاع احدى الفئات العاملة المهمة في نجد في تلك الفترة وهي فئة الحصاد[1] خاصة في ذلك الجو الحار، وهذا الحصار المضروب عليهم من قبل الشريف، وهذه الفتوى في الواقع ماهي الا تطبيق للحكم الفقهي بجواز الفطر لمن احتاج اليه للتقوى به على الجهاد في سبيل الله سواء قصد العدو، أم داهمه ذلك العدو في بلده، وما من شك أن الشيخ القصير على معرفة بالحديث الذي يدل على ذلك، وهو ملم باجتهادات واختيارات بعض المحققين من سلف هذه الأمة[2].

٣- بحث العلماء لبعض العادات الوافدة على المجتمع النجدي:

لم يكن علماء نجد قبل الدعوة بمنأى عن المؤثرات الاجتماعية الهامة التي تحدث في المجتمع النجدي نتيجة احتكاكه بالمجتمعات المجاورة وربما

---

(١) وتجدر الاشارة هنا أن أغلب أهل نجد كانوا يتحولون الى حُصَّاد فترة اشتداد الحب في سنبله.

(٢) روى الامام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة وكان ذلك عام الفتح - ونحن صيام قال: فنزلنا منزلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم فكانت رخصة فمنا من صام ومنا من أفطر ثم نزلنا منزلا آخر فقال: انكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا وكانت عزمة فأفطرنا" قال الشيخ محمد العثيمين: "وفي هذا الحديث ايماء الى أن القوة على القتال سبب مستقل غير السفر لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل علة الأمر بالفطر القوة على قتال العدو دون السفر ولذلك لم يأمرهم بالفطر في المنزل الأول"، ورغم أن ظاهر هذا الحديث ينصب على الفطر لمن قصد العدو فانه يمكن الاستدلال به كذلك لمن دهمه العدو في بلده وهو اختيار شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم. (صحيح مسلم بشرح النووي: ط(١) دار احياء التراث العربي. بيروت ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م ٧/٢٣٦، ابن القيم: زاد المعاد ١/١٦١، محمد العثيمين: المرجع السابق ٥٨)

غير المجاورة أحيانا سواء المؤثرات التي ليس فيها ضرر على المجتمع أم تلك التي يمكن أن يتضرر منها ، ولم يكن علماء نجد بدعا في هذه الناحية فمثلهم كمثل العلماء في أي منطقة حينما يتطرقون لأي عادة أو مظهر اجتماعي جديد .

ورغم أنه يمكن أن يوصف المجتمع النجدي بالانغلاق بشكل عام الا أنه في الحقيقة قد تأثر ببعض المجتمعات عن طريق اكتسابه لبعض عاداتها وتقاليدها ، كما أثر أحيانا ببعض مظاهر الحياة الاجتماعية بتلك المجتمعات ، وكان ذلك يتم عبر الرحيل الفردي أو الأسرى الدائم أو المؤقت وخاصة في المجالات العلمية والتجارية .

وكانت أبرز العادات التي اكتسبها المجتمع النجدي نتيجة احتكاكه بتلك المجتمعات ، وكان لعلماء نجد في تلك الفترة بعض التقريرات والفتاوى حولها هما :

ا - عادة شرب القهوة .

ب - وعادة التدخين .

ا - عادة شرب القهوة :

ذكر المنقور أن عادة شرب القهوة قد بدأت في الانتشار في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، وأن العلماء اختلفوا حولها بين محلل ومحرم شأن أي عادة جديدة لم تألفها الشعوب ، ولم يتبين حقيقتها المفكرون والعلماء (١) .

---

(١) الفواكه العديدة ٢ / ٨٥ ، بينما نقل في ١ / ٤١٠ عن ابن حجر المكي أن هذا المشروب قد بدأ انتشاره قبيل القرن العاشر ، وأنه يتخذ من قشرة حبة البن وليس من لبها ، كما اشتهر بعد ذلك علما أنه لايزال بعض الذين يشربونه يتخذون ذلك من القشرة فقط .

ويذكر بعض مؤرخي هذا القرن أن أبا بكر العيدروس من أوائل من اتخذ القهوة كمشروب تنشيطا له على العبادة حتى انتشرت فى بلاد اليمن ثم الحجاز فالشام ومصر حتى عمت مختلف البلدان (١)، وكثر الجدال حولها وكانت شبهات المحرمين لها اشتباهها بالخمر، والاجتماع عليها مع آلات اللهو ولعب الميسر، والساسة كانوا يذكون ذلك لما كان يدور في اجتماعاتها من نقاش سياسي حتى صدرت الأوامر السلطانية العثمانية بابطالها من الأقطار، فلما ثبت بالتجربة عدم ضررها رجع كثير ممن حرمها عن رأيه الا أنهم اشترطوا أن لا يصاحب تعاطيها للشبهات السابقة، وبقي قسم قليل من العلماء يرى حرمتها وقسم يرى كراهتها (٢)، ثم أن اجماع علماء المسلمين قد انعقد على جواز شربها من غير انكار وهذا ماساعد على انتشارها فى أنحاء العالم الاسلامي (٣).

---

(١) نجم الدين الغزى : الكواكب السائرة ١ / ١١٤ والعيدروس سبقت ترجمته فى الفصل الأول من الباب الأول ، وقد ذكر بعض الباحثين ان الطبيب الرازى (ت ٣١١هـ/ ٩٢٣م) قد ذكر البن فى كتابه الحاوى وذكر هو لفرتيز فى كتابه (اليمن من الباب الخلفى) ٢٥ ، ٢٠٦ ، أن العرب قد عرفوا البن قبل الاسلام وبعده ، وكان فى تلك الفترة يدخل في نطاق التجارة مع اليمن ، ولعل اسمها اللاتيني كافيا أرابيكا يؤكد أن الغرب قد عرفها عن طريق العرب

(٢) بينما كان هناك قسم لم يكتف باباحتها بل رأى أنها تعين على السهر فى العبادات ولذا فشربها قربة لانه يعين على عبادة.
(المنقور : المصدر السابق ١ / ٤١١ ، ٤١٢) .

(٣) من أبرز من قام برصد انتشار هذه العادة وردود العلماء حولها الغزى فى كتابه الكواكب السائرة حيث ضمن أغلب تراجم العلماء فى هذا الكتاب آراءهم وأقوالهم وأشعارهم في شرب القهوة ، ومن أبرز من حرّمها كبير علماء مصر فى وقته الشيخ أحمد بن عبد الحق السنباطى (ت ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م) حيث ذمه ومن تابعه على رأيه أحد المكيين بقوله :

حرموا القهوة ظلما ... زادهم ظلما ومقتا
ان طلبت النص قالوا : ... ابن عبد الحق أفتى

(=)

ويبدو من ذكر الشيخ المنقور لتاريخ انتشار هذه العادة في هذا القرن أن نجدا قد عرفتها تدريجيا فيه كذلك متأثرة في ذلك بمصدر انتشار هذه العادة وهو اليمن ، أو مكة ، أو غيرهما من الأقطار التي كان لبعض النجديين احتكاكا بأهلها .

كما يمكن الاستفادة من عرض المنقور لآراء العلماء أن الفقهاء النجديين قد نحوا منحى أساتذتهم وزملائهم في البلدان المجاورة في اباحة هذا المشروب ، وهذا ماساعد على انتشاره في المنطقة بين حاضرتها وباديتها على حد سواء حيث أصبح لدى الفريقين عنوانا بارزا لكرم الضيافة ، وقد ألف بعض العلماء النجديين حول هذه العادة رسائل صغيرة تؤكد على هذا الجانب ، ومن أبرز من وصل الينا خبر تآليفهم تلك الشيخ عثمان بن قائد حيث وضع رسالة صغيرة في حل القهوة.(١)

(=) وممن يرى اباحتها بل استحبابها الشيخ علي بن محمد الشامي المدني (ت ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م) حيث قال عنها :

والصفا في شربها مع فقيه ... أخلصوا التقوى وشدوا المئزرين
ثم ناجوا ربهم جنح الدجي ... بخشوع ودموع المقلتين

ومن أشار الى استقرار ألامور حولها بالاباحة حتى غدت عادة الشاعر ابراهيم بن المبلط من شعراء القرن العاشر حيث قال :

أرى قهوة البن في عصرنا ... على شربها الناس قد أجمعوا
وصارت لشرابها عادة ... فليست تضر ولا تنفع

ومن ألف فيها الزبيدي صاحب تاج العروس حيث وضع رسالة سماها (تحفة بني الزمن في حكم قهوة اليمن) (الغزي ١/ ١١٤ ، ٢/ ١٣ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٣/ ٢٥ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، المنقور ١/ ٤١٠- ٤١٣ ، ٢/ ٨٥ ، ٨٦ ، الزبيدي : التاج ١٠/ ٣٠٨) .

(١) عثمان بن قائد : هداية الراغب ص ٥٧٧ من مقدمة الشيخ عبد الملك بن ابراهيم آل الشيخ ، عبد الله البسام: علماء نجد ٣/ ٦٨٥ ، محمد القاضي : روضة الناظرين ٢/ ٧٠ .

ب- عادة التدخين (١) :

أورد المنقور نقلا عن أحد العلماء أن العالم الاسلامى قد عرف هذه العادة فى حدود ١٠٠٠هـ/١٥٩١م حيث أدخله الى أرض المغرب يهودى يدعى الطب ثم أدخله الى تركيا رجل نصراني ثم جلب الى مصر والحجاز عن طريق حجاج المغرب والهند وغيرهم، الا أن المنقور نفسه قد نقل عن الشيخ ابن عطوة عرضا لبعض آراء العلماء المحرمين له مما يدل على ظهوره فى العالم الاسلامى قبل ذلك التاريخ، وذكر أحد المؤرخين أن ظهور هذه العادة قد بدأ عام ١٠١٢هـ/١٦٠٣م، ويبدو أن الرأى الأول والثالث كان لتأريخ انتشاره وظهوره بشكل واسع، بينما مانقله المنقور عن ابن عطوة انما هو لبدايات معرفة العالم الاسلامى به (٢).

---

(١) يطلق على الدخان عدة أسماء منها التتن وهى محرفة من توتون التركية بمعنى الدخان عامة ثم قصرت على التبغ لان الدخان أهم سمة فيه، ومنها الطّبّاق وهى لفظة عربية ولعل ذلك لأن أوراقها مطبوقة بعضها على بعض، ومنها التنباك قيل أخذتها التركية والفارسية من الطباق، وقيل أخذتها التركية من الهندية باسم طومباق، وقيل أخذتها التركية من الايطالية بصيغة تنباكو وقيل أنها أخذت من النطق الفرنسى لتبغ، ومن اسمائه طابه ويبدو أنها أصل التبغ وكل هذه التسميات عدا التتن والدخان ترجع فى أصلها الى الطباق (المنقور ٢/٨١، الزبيدى: هدية الاخوان فى شجرة الدخان، رسالة نشرت فى مجلة العرب ج ١، ٢ س ١١ ص ١١٨-١٢٠، وأحمد السعيد سليمان: "تأصيل ماورد فى الجبرتى من الدخيل" مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية العدد ٦/ سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ص ٢٠٥، ٢٠٨، د. كرسي : الدخينة فى نظر طبيب، مطابع الاصفهانى جدة نشر مكتبة المعارف، الطائف ص ١٠٨).

(٢) المنقور ٢/٧٨، ٨٠، عمر الوردى: تتمة المختصر فى أخبار البشر تحقيق احمد البدراوى ط(١) نشر دار المعرفة، بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م ٢/٥١١ من فقرة في آخره ليست من تاليف ابن الوردى المتوفى سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م، وقد ذكر الزبيدى ان انتشارها كان في أواخر القرن العاشر، كما ذكر الشيخ حمد الجاسر أنها انتشرت منذ القرن الحادى عشر (مجلة العرب، العدد السابق ١٦٠، ١٢٠ (١)) وارخ انتشاره بعضهم بحساب الجمل (يوم تاتى السماء) التى تبلغ الفا (د. محمود نسيمى: حقائق عن مضار التبغ والتدخين، مجلة حضارة الاسلام دمشق ع ٧ س ١٦ رمضان ١٣٩٥، ص ٥٢).

وقد ثار جدال فقهي واسع حول هذه العادة كما حصل مع العادة السابقة الا أن قسما كبيرا من علماء المسلمين قد أكد حرمة هذا المشروب الضار وبعضهم قد توقف فى الحرمة مؤكدا على الكراهة ولم يمل الى الاباحة الا عدد محدود من هؤلاء العلماء[١].

ويبدو أن منطقة نجد قد عرفت هذه العادة اما عن طريق الحجاز التى انتشرت فيها عن طريق الاستجلاب والانبات، أوعن طريق منطقة الخليج والعراق والشام التى يذهب النجديون اليها للعمل والامتيار[٢].

أما علماء نجد فقد كان عمدتهم فى القرن العاشر الشيخ أحمد بن عطوة ينظر الى الدخان نظرة تحريم اذ نقل المنقور من خطه عرضا لآراء كبار علماء المذاهب الأربعة فى مختلف البلدان الاسلامية الذين أكدوا على تحريمه وقد بين ابن عطوة أن ثبوت تحريمه لدى هؤلاء العلماء انما لما تقرر لدى أطباء تلك الفترة من ثبوت أضراره، ونقل عن علماء آخرين عدم جواز امامة من يشربه، بل عدم جواز دخوله المسجد لأنه أولى بذلك من آكل البصل أو الثوم اللذين ثبت منع حضور آكلهما للمسجد، كما أكد هؤلاء العلماء على عدم جواز الاتجار به[٣].

---

(١) أورد المنقور عددا من علماء البلدان المجاورة الذين حرّموه والذين أباحوه والذين كرّهوه والذين توقفوا فيه، كما ذكر الزبيدى بعض الذين أباحوه وعرض آراء لمن حرمه، وممن ألف فيه امام الحرم المكى عبد القادر بن محمد الحسينى الطبرى (ت١٠٣٣هـ ١٦٢٤م) في رسالته: " رفع الاشتباك عن تناول التنباك " ذكر فيها أنواعه وأسعارها ويبدو أنه من المبيحين له، وممن حرمه وألف فيه الشيخ ابراهيم بن ابراهيم اللقانى (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) ورسالته فيه عنوانها نصيحة الاخوان باجتناب الدخان (المنقور ١/ ٤١٣، ٢/ ٧٨-٨٧، مجلة العرب العدد السابق ١٢٤، ١٢٨ - ١٣٠).

(٢) المنقور ٢ / ٨١، جاكلين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب ترجمة قدرى قلعجى نشر دار الكاتب العربي بيروت ومكتبة النهضة بغداد ص ٢٣٦، ٢٣٧.

(٣) المنقور ٢ / ٧٨، ٧٩

وقد ذكر ابن ذهلان أن ظاهر كلام الشيخ مرعى بن يوسف اباحة التدخين (١) اما الشيخ منصور البهوتي فيرى كراهته (٢)، ثم قال بعد عرض هذين الرأيين : " والظاهر أن الكراهة لاشك فيها ، والتحريم ففيه شك ، لأن اسكاره من حيثية الدخان ، بتضييق المسام ، لا من شيء فيه ، ومعلوم أن كل من شرب دخانا كائنا ما كان ، أسكره بمعنى أشرقه ، وأذهب عقله بتضييق أنفاسه ومسامه عليه ، لا سكر اللذة والطرب " (٣). وظاهر كلام ابن ذهلان أنه ينظر الى الدخان نظرة كراهة بينما توقف في التحريم على عكس رأى ابن عطوة ، أما المنقور فكان وسطا بين رأى شيخه ورأى ابن عطوة ، حيث قال في نهاية عرضه لآراء بعض العلماء داخل نجد وخارجها : (الذى تحرر لنا فيه أنه الى التحريم أقرب ، والكراهة فلاشك فيها ، والله أعلم) (٤).

ويبدو أن الشيخ عبد الله بن عضيب كان من المؤيدين لتحريمه لما فيه من أضرار جسمية ومالية ، وقد ألف في هذا الموضوع رسالة أكد فيها على هذا الرأى الذى تابع فيه عمد المذاهب الأربعة خارج نجد ، وعمدة علماء نجد ابن عطوة وقد سمى هذه الرسالة (الأفعى اللاذعة) (٥).

---

(١) وذلك في كتابه المسمى : " تحقيق البرهان في شأن الدخان الذى يشربه الناس الآن " (ابن حميد السحب الوابلة ٣٠٥) وترجمته سبقت في الفصل الأول من هذا الباب.

(٢) وذلك في كتابه آداب النساء (المنقور ٢ / ٨٠) وترجمة الشيخ منصور سبقت في الفصل الأول من هذا الباب.

(٣) المنقور ٢ / ٨٠

(٤) المصدر السابق ٢ / ٨٧

(٥) اشار ابن حميد الى هذه الرسالة ولم يذكر اسمها بل اكتفى بذكر موضوعها وهو تحريم الدخان ، اما ابن ضويان فذكر أن اسمها " الافعى اللاذعة " وأنها في تحريم التنباك ، وذكر البسام والقاضي أن اسمها الأفعى فقط(ابن حميد ١٥٤ ، ابن ضويان : رفع النقاب ٧١ ، البسام ٢ / ٥٢٠ ، القاضي ١ / ٢١٥).

وبعد الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف من الذين يرون تحريم التدخين وله في هذا الموضوع قصيدة تصل الى ثلاثين بيتا شدد[١] فيها النكير على المدخنين والمبيحين لهم هذه العادة، مشنعا على مظاهر ممارستها، وقد قال في مطلع هذه القصيدة:

يا مولعا بدخان النار يشربه ... ويدعي الحل فيه هات برهانا
أورد عليه دليلا كي تحلله ... لا سفسطات وتغليطا وبهتانا[٢]

ومن المعتقد أن موقف علماء نجد قبل الدعوة من هاتين العادتين كان من أهم العوامل الرئيسة وراء انتشار العادة الأولى في أوساط النجديين حاضرة وبادية، وقلة الممارسين الثانية عند الحضر عنها لدى البدو وهذا ماساعد الدعوة بعد ذلك على تبني هذا الموقف اباحة ودعما للأولى وتحريما للثانية، ومعاقبة للممارسين لها علانية[٣].

---

(١) أورد الشيخ عبد الله البسام في كتابه: علماء نجد ٢/٥٠٣ هذين البيتين وهما مطلع القصيدة كما نقل عن الشيخ عبد الرحمن الانصاري في كتابه " تحفة الانساب فيما للمدنيين من الأنساب " أن للشيخ عبد الله قصيدة فريدة في ذم الدخان وشربه، ثم كرم الأخ عبد العزيز ابن عبد الرحمن الدهش أحد طلاب المستوى الرابع من قسم الحضارة بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية عام ١٤٠٧هـ، كرم بالسماح لي بتصوير هذه القصيدة مع بعض الرسائل والأوراق المخطوطة وتقع في ٢٩ بيتا وهي باسم عبد الله بن ابراهيم المالكي ويبدو أنه خطأ من الناسخ اذ أن الشيخ عبد الله حنبلي المذهب، والقصيدة في ورقتين من القطع المتوسط.

(٢) وردت بعض كلمات البيتين عند البسام بالصيغ التالية: يشربه وردت تشربه، ويدعي: تدعي، لا سفسطات: لا فلسفات.

(٣) أثر عن أئمة الدولة السعودية بناء على اباحة وتشجيع علماء الدعوة لشرب القهوة أنهم كانوا يرسلون أكياس البن أو قيمتها للمساجد والنواحي والبوادي، كما أثر عنهم معاقبة المدخنين علنا بناء على تحريم العلماء للدخان مع الحرص على عدم التجسس في مكافحة هذا المشروب، حيث تصل عقوبته الى أربعين جلدة أو أكثر أو أقل.

(=)

والواقع أن علماء نجد في تلك الفترة قد نظروا في الكثير من العادات السائدة في المجتمع سواء تلك المتأصلة فيه أو المكتسبة على نحو يتفق مع العرف السائد ولا يتعارض مع أصل من أصول الشرع، ومن الأمثلة على ذلك ما اعتاده أهل نجد في اعطاء امراء بلدانهم مكوسا تحت ضغوط من هؤلاء الأمراء، فلم يطلب علماء نجد من العامة رفض ذلك حتى لا يصطدموا بهؤلاء الأمراء ولكنهم لم يجيزوا دفعها بهذه الطريقة فأفتوا للناس بجواز أن يكون ما أخذه الأمير باسم المكس زكاة وتسقط ولو لم تكن على صفتها، مؤكدين لهم في فتوى ثانية أنه يجوز دفع الزكاة لأمراء البلدان النجدية في هذه الفترة بلا تردد ولو استخدمها هؤلاء الأمراء في متطلبات الضيافة والدفاع أو ماشابه ذلك.(١)

٤- جهود العلماء الاصلاحية في المجتمع:

لم يكن علماء نجد في تلك الفترة سلبيين تجاه بعض قضايا المجتمع التي تتطلب تدخلهم فيها، ولهذا فقد قام بعضهم بواجبهم في اصلاح ذات البين، والحيلولة دون استفحال بعض مظاهر التعدي والظلم سواء بين عامة الناس أو ماقد يأتي من أمراء البلدان النجدية، أم من زعماء المناطق المجاورة الذين يغزون نجدا بين الفترة والأخرى.

(=) او عقوبات تعزيرية اخرى. (ابن بشر ١/١٧٣، ٢٣٠) ابن قاسم الدرر السنية ٤/٤٥٣، ٤٥٤، جان ريموند مذكرات في أصل الوهابيين مترجم الى العربية ومطبوع على الآلة الكاتبة ص ٣، جوهان لودفيج بور كهارت: مواد لتاريخ الوهابيين ترجمة د. عبد الله الصالح العثيمين ط(١) شركة العبيكان. الرياض ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ص ٩٤ حيث وردت قصة المرأة التي وجدت تدخن الغليون في تقرير ريموند وكتاب بوركهارت بصيغة واحدة). وانظر رسالة الماجستير للباحث ٤٤٨ - ٤٥١.

(١) المنقور: المصدر السابق ١/١٥٤، ١٥٩

ورغم أن تلك الاعمال لم تكن بقوة التأثير التي كان لها بعد قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي رفعت من مكانة العلماء في المجتمع، كما سبق، الا أن تلك الجهود كانت - على محدوديتها - عاملا أسهم في تخفيف قسوة بعض الظروف في مختلف مجالات الحياة، وامتدادا طبيعيا لما كان يقوم به الأئمة والعلماء المسلمون عبر مراحل التاريخ الاسلامي في النصح لأئمة المسلمين وعامتهم.

ولقد تمثل قيام هؤلاء العلماء بتلك الاعمال الاصلاحية في بعض الأحداث التاريخية التي كانوا فيها زعماء الاصلاح، ومسكني الفتن، والتي هي من ناحية أخرى تشير الى استثمار جيد من هؤلاء العلماء لمكانتهم في المجتمع في تحقيق قدر لا بأس به من التضامن الاجتماعي بين أفراد المجتمع وفئاته، وفي اشاعة روح الاهتمام باصلاح ذات البين لدى عامة الناس وخاصتهم.

ومن أوضح الأحداث التاريخية التي قام بها بعض علماء نجد في هذا المجال ماحدث عام ١٠٥٦هـ (١) حينما عزا الشريف أحمد بن محمد الحارث (٢)

---

(١) يوافق أولها ١٧/٢/١٦٤٦م

(٢) هو الشريف أحمد بن محمد الحرث أو الحارث بن حسن بن أبي نمي ولاه القائد العثماني في الحجاز حسن باشا شرافة مكة نكاية بالشريف القائم سعد بن زيد، وكان الشريف احمد مقيما في المدينة وغير راغب في منازعة الشريف سعد وأكد ذلك في جواب رسالة بعثها له الشريف سعد، وكان له دور في تهدئة الأوضاع بين الشريف سعد والقائد العثماني حسن باشا - يلقب بشريف نجد - توفي في مكة عام ١٠٨٥هـ/١٦٧٤م (احمد زيني دحلان : خلاصة الكلام ٦١، ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٩٠، ٩٤ وقد أورد اسمه الحارث والحرث، كما نسبه في احدى الصفحات الى الحسين بن أبي نمي، ويبدو أنه خطأ مطبعي، المنقور ٤٦ وقد أورد اسمه أحمد الحارث، ابن ربيعة ٦٢، وذكر اسمه الحارث فقط، ابن بشر

(=)

نجدا ونزل في بلدة ثرمداء (١) رحل اليه الشيخ محمد بن أحمد بن اسماعيـــل ومن المعتقد أنه قام بمهادنته حتى لا يفتك بأهل ثرمداء، وسواء كان رحيلـه من ذات نفسه، أم بطلب من أهالي ثرمداء أم من الشريف أو منهما معـــا، فالمهم أنه أخمد فتنة كادت تشتعل.

ويبدو أن الشريف غادر ثرمداء (٢) نتيجة هذه الوساطة.

وقد قام الشيخ سليمان بن علي باصلاح ذات البين بين عبد اللـــه ابن أحمد بن معمر أمير العيينة وأهل البيـــر (٣)، ففي سنة ١٠٧٢ (٤) غـــزا

(=) ٢/٢٠٨، ٢١٠، وذكر اسمه محمد الحارث، وقد رجح أستـــاذي المشرف أن المقصود به ابنه احمد في تعليقه على الحدث عند ابــن ربيعة على اساس أن محمد الحارث أن لم يكن قد توفي فقد اســن واصبح غير قادر على الغزو، وذكر ابن بشر ٢/٢١٣ كذلك وفاتـــه نقلا عن العصامي سنة ١١٨٥هـ).

(١) ثرمداء : بفتح الثاء والميم قال عنها البكرى : " قرية بالوشم وهـــي خبرة او خيرة واليها تنتهي اودية جمعاء"، وذكر ياقوت عـــن الازهري انها ماء لبني سعيد من تميم وانه ورده ويستقي منـــه بالعقال لقربه، وقال نصر: " هو خير موضع بالوشم"، وتقع ثرمـــداء بين اثيثية من الشمال الغربي، وبين مراة من الجنوب الشرقـــي، ويحفها طريق الحجاز القديم من الناحية الغربية، ولا تزال لبنـــي سعد اذ العناقر من بني سعد، وتعد اقوى بلدان الوشـــم سياسيا قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبرز منهـــا العالم الجليل عبد الله العنقري. (البكرى : معجم ما أستجـــم ١/٣٣٩، ٣٤٠، ياقوت ٢/٧٦، الهمداني : صفة جزيرة العـــرب ٣٠٩، ٣١٠، ابن بليهد : صحيح الاخبار ٢/١٨٤، ٤/١٨٩ ، ١٩٠، مقبل الذكير: الورقات ١٧٠، ١٧١، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠ ، عبد الله بن خميس معجم اليمامة ١/٢٢٧، ٢٣٣، المجاز بيـــن اليمامة والحجاز ٥٣، ٥٤).

(٢) بينما يذكر المنقور ص ٤٦ أن هذه القصة كانت في ثرمداء، ووافقـــه ابن بشر ٢/٢٠٨، فان ابن ربيعة قد ذكر ص ٦٢ أن الحارث حاصر اشيقر وخرج له الشيخ محمد بن اسماعيل، وانظر تاريخ ابن عبـــاد حوادث تلك السنة.

(٣) البير: تخفيف البئر احدى بلدان المحمل ويقع بين ثادق والصفرات على وادى البير المنحدر من الهزوم، واول من ابتدا العمران بـــه ال سيف من العرينات رحلوا اليه من العطار الى ان اخذه منهـــم ال حنيحن من الدواسر فزادوا في عمارته عام ١٠١٥هـ/١٦٠٦م ، واصبح اكثر سكانها من الدواسر من ال حنحين وال عوسجه وجاورهـــم اسر من بني خالد وعنزة وقحطان وغيرهم.
(ابن بشر ٢/١٩٦، ٢٠٩، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠، ابن عيسى ٥٠، ٦٠، ٧٢، ٨٦، ٩٠، ابن بليهد ٥/١١٩، ابـــن خميس ١/١٩٢، ١٩٣).

(٤) يوافق أولهما ٢٧/٨/١٦٦١م

هذا الأمير البير بجنود كثيرة بسبب أخذ أهل البير لقافلة تجارية لأهل العيينة قادمة من الأحساء ردا على أخذ ابن معمر لبعض ابل أهل البير التي يستخدمونها في نضح الماء، ولاكثاره من غزوهم، وكانت هذه الغزوة بكثرة جنودها وعتادها أكبر الغزوات بين الفريقين، وكادت تحصل مقتلة كبيرة بسببها لولا تدخل الشيخ سليمان الذى أصلح بين الفئتين وعاد ابن معمر الى بلده، وسواء كان خروج الشيخ سليمان مع الجيش العييني برغبة من ابن معمر، أو من الشيخ سليمان نفسه فان هذا الخروج كان للحيلولة دون مجاوزة ابن معمر للحد الشرعي في العقاب لو حصل قتال، الا أن الشيخ سليمان استطاع انهاء النزاع قبل ذلك.(١)

ومما يندرج تحت هذا الموضوع ماقام به الشيخ عبد الله بن عضيب من تخفيف آثار خلاف وقع بين أمير عنيزة - ولعله فوزان بن حميدان - وبين بعض عشيرته، اذ يبدو أن الأمير طلب منه تأييده في هذا الخلاف، فماكان من الشيخ عبد الله الا أن غضب على الأمير، وأراد الخروج من عنيزة وقال للأمير: " أجئت بي للفتن" مشيرا الى طلب هذا الأمير وأعيان عنيزة منه القدوم اليها لنشر العلم، وحاول الاصلاح فيما بينهم الا أنه لم يستطع فغضب لذلك وهم بالرحيل عنهم فاسترضاه الأمير وأكابر البلد بقبول وساطته في اصلاح ذات بينهم، واخماد فتنة كادت تستفحل أخطارها.(٢)

---

(١) المنقور ٥١، ابن ربيعة ٦٥، الفاخرى ٧٣، ابن بشر ٢/ ٢٠٩، ابن عيسى ٦٠، البسام: تحفة المشتاق ورقة ٧٠، مقبل الذكير: المرجع السابق ١٠٣، ويذكر بعض هؤلاء المؤرخين عاملا مهما ساعد الشيخ سليمان في مهمته الاصلاحية تلك وهي سقوط جدار على جند ابن معمر فمات عدد كبير منهم، ويتداول أهل المحمل مثلا يدعون به على من يكرهون حيث يقولون: " لعلك جمشة البير" والجمشة تطلق على مايتبقى من قديم البناء الطينى، كما تطلق على القطع اليابسة من الطين ولها أصل فصيح.
(القاموس، والتاج باب الشين فصل الجيم، أحمد رضا: المرجع السابق ١٠٦، ١٠٧، ابن خميس: المرجع السابق ١/ ١٩٣).

(٢) ابن حميد: المصدر السابق ١٥٣، البسام: علماء نجد ٢/ ٥١٨

ان هذه الأحداث ماهي الا أمثلة لبعض جهود علماء نجد قبل الدعوة في اصلاح ذات البين، وتجنيب المجتمع النجدي شرور فتن قد تأتي من أمير محلي، أو زعيم لاحدى القرى المجاورة، أو بين سائر فئات المجتمع ومن المعتقد وجود أحداث أخرى تؤكد هذا الجانب وتوضحه الا أنها قد فقدت في أطار الشح العام الذي يكتنف التاريخ النجدي، كما أن من المعتقد قيام علماء تلك الفترة بالتأكيد على هذا الجانب في تقريراتهم وفتاويهم ووعظياتهم وأحكامهم الفقهية.

٥- مساهمة العلماء في سبل الخير:

وفي نطاق تفاعل علماء نجد مع قضايا المجتمع وحاجاته الأساسية فقد ساهم كثير منهم مساهمة فعّالة في سبل الخير التي كانت عاملا مهما أسهم في تخفيف قسوة الظروف العامة في تلك الفترة.

ولما كانت الأوقاف الشخصية ذات المردود العام، وكذلك الوصايا هي أبرز سبل الخير في المجتمع النجدي، فقد كانت مشاركة العلماء فيها بارزة انسجاما مع الاهتمام العام في ذلك، وتشجيعا من هؤلاء العلماء لهذا الجانب الخيّر في المجتمع.

ولئن كانت مساهمة العلماء في الأوقاف العلمية الخاصة والعامة تنسجم مع اهتمامهم بتشجيع الحركة العلمية في المنطقة، فهذا شئ طبيعي لأنهم رواد هذه الحركة والمستفيدون المباشرون من هذه الأوقاف، الا أن ما قاموا به في مجال الأوقاف العامة يؤكد على تبني هؤلاء العلماء لأعمال الخير في المجتمع وتوسيع مجالاتها، وتوجيهها نحو الهدف الأسمى وهو احتساب الأجر من الله عز وجل، وهذا كفيل بأن يكثر من المشاركين في أعمال الخير، ويجعلهم يطرقون سبلها المتعددة.

وقد تمثلت مساهمات العلماء لتشجيع أعمال الخير في تلك التقريرات والفتاوى الفقهية التي تنظم الأوقاف الشخصية والوصايا سواء كان

ذلك عن طريق اجتهاداتهم الشخصية أم بالاعتماد على المشهور من المذهب الحنبلي وآراء أحد مجتهديه أم بالاستفادة من آراء أئمة المذاهب السنية الأخرى السابقين والمعاصرين ،كما تمثلت هذه المساهمات فى قيام بعض العلماء ببذل شئ من أموالهم المنقولة وغير المنقولة فى سبل الخير العام.

ولما كان ايقاف النخل والقمح من أبرز مجالات الأوقاف العلمية والعامة لما له من آثار واضحة فى دفع غائلة الجوع التى كانت تضيق بخناقها على النجديين كثيرا فى تلك الفترة، لكل هذا فقد حرص الفقهاء النجديون على تنظيم هذا المجال بما يكفل له الاستمرار فى تأدية مهامه الخيّرة فى المجتمع.

ومن مظاهر ذلك الحرص توجيه هؤلاء الفقهاء بالاستفادة من فسائل النخل الموقوف بما يحقق مصلحة الوقف، سواء كان ذلك بغرسها فى مكان آخر ولو لم تثمر الا بعد مدة، أو تباع ويشترى بثمنها نخلة أو بعض نخلة تصرف مصرف الوقف كما قرر ذلك الشيخان سليمان بن على، ومحمد بن اسماعيل، ووافقهما عليه الشيخ عبد الله بن ذهلان، لأن هذه الفسائل مرتبطة بالنخلة الأم الموقوفه، كما أنها فى نوع الاثمار تتبعها فهى بأصولها أشبه، وما من شك أن مثل هذا التنظيم الشرعى قد ساعد على الاكثار من النخل الموقوف، أو توسيع مجالات الأوقاف فى حال بيع هذه الفسائل (١).

ويبدو أنه قد اشتبه على بعض العامة الذين يوقفون قمحا لتؤكل فى مسجد معين فى رمضان أو غيره، اشتبه عليهم استمرار هذا الوقف سواء زرعت الأرض أو لم تزرع، فأفتى الشيخ ابن ذهلان بأنه اذا لم تزرع الأرض، وليس فيها نخل يمكن استبدال القمح بتمره، فلا يخرج وليّ الوقف

---

(١) المنقور: الفواكه ١/٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٩

شيئا الا بنص الواقف ونقل عن الشيخ محمد بن اسماعيل أن ذلك يوافق العادة في المنطقة.(١)

أما مساهمات العلماء العادية في سبل الخير فمن المعتقد أن عددا كبيرا منهم قد قام بشئ من ذلك، ومن الأمثلة في هذا الصدد ما أوقفته أسرة الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف في المجتمعة قبل رحيلها الى المدينة اذ حولت بعض بيتها فيها مسجدا يعرف بمسجد ابراهيم نسبة لوالد الشيخ وجعلت بعضه الآخر بستانا يصرف ريعه في لوازم المسجد كما أوقفت بعض العقار على امام المسجد، وربما مؤذنه كذلك، كما تم حفر بئر ليتوضأ الناس منه، ويسقي البستان المذكور.(٢)

واثر رحيل الشيخ عبد الله بن عضيب من سدير الى القصيم استوطن بلدة المذنب(٣) قبل أن يرحل الى عنيزة، وبعد وصوله المذنب قام ببناء مسجد فيها ومن المعتقد أنه كان يؤم الناس ويعلمهم فيه فترة وجوده في هذه البلدة، كما أنه قام بنفسه بحفر بئر للشرب والوضوء مستعينا ببعض صبيان البلدة لحرصه على اتمام هذا العمل الخيري، وعدم مقدرته العادية على الاتفاق مع عمال كبار، فكان يشارط هؤلاء الصبيان ليجذبوا منه وهو

---

(١) المصدر السابق ١/٤٤٠

(٢) ابن عيسى ٣٤، البسام: المرجع السابق ٢/٥٠١، القاضي: روضة الناظرين ١/٣٣٢.

(٣) المذنب بوزن منبر احدى بلدان القصيم كما يتبعها عدة قرى، وتعتبر حد القصيم الجنوبي وهي قديمة العمران فقد كانت لباهلة ولازال لهم آثار فيها ثم اشترى قسط منها بعض نواصر تميم من البواهل وعمروه وتملكوا بقيتها وقد ورد ذكرها عند بعض الجغرافيين المسلمين باسم المذنب أو المذانب الا أنه ليس كل ماذكر عندهم باسم المذنب يقصد به هذه البلدة فهناك مذنب في منطقة العارض ومذينب واد في المدينة، ومذنب موضع قرب مكة (الهمداني، ٢٩٨، ٣١٢، البكري ٢/٥١٤، ٣/١٠٤٣، ٤/١٢٠٣، ١٢٠٤، ياقوت ٥/٩٠، ابن بليهد ٢/١٠٨، العبودي: بلاد القصيم ٦/٢٢٢٩- ٢٢٤٣، ابن خميس: معجم اليمامة ٢/٣٤٨).

في قاع البئر زنابيل التراب كل زنبيل بتمرة ، فكان يضع التمر عنده في أسفل البئر ، وكلما ملأزنبيلا ترابا وضع عليه تمره لبأخذها الصبيان فيجذبوا التراب بعيدا عن فوهة البئر ، وقد حصل في احدى المرات أن سقطت التمرة من الزنبيل بدون علمه فلما وصل الزنبيل للصبيان بدون تمرة لم يسألوه عن السبب بل كبوه عليه في البئر ، ولا يبعد أن يكونوا قد انفضوا عنه ليقاسي حفر بقية هذه البئر بنفسه حتى اذا نبع الماء وارتفع صادف أن صار أعذب ماء في هذه البلدة ، فأوقفها موردا للأهالي للشرب والوضوء وسائر الاستعمالات الأخرى ، وبقيت منهلا لأهل هذه البلدة الى وقت قريب ولا تزال معروفة حتى الآن باسم (القفيفة)(١) ، وهذه المشقة تشير الى حماسة من الشيخ ابن عضيب لاتمام هذا المشروع الخيري المهم(٢).

ولقد واصل الشيخ ابن عضيب اسهاماته الواضحة في فعل الخير فما ان رحل من المذنب الى عنيزة حتى بنى في احدى محلاتها - مقر سكناه - مسجدا(٣) بمساعدة من أهل هذه المحلة كما اشترى أرضا أخرى لسكناه وجعل بعضها بستانا حفر فيه بئرا أوقفه للناس ، والمعتقد أن يكون قد صرف

---

(١) القفيفة تصغير قفة بضم الاول وفتح الثاني مع تشديده ، وهي وعاء من الخوص له غطاء أو ليس له غطاء وهي لفظة فصيحة وتعرف في بعض البلدان المجاورة بالقفورة وقد اطلق هذا الاسم على ذلك البئر الذي أصبح فيما بعد احدى قرى المذنب وتبعد عن مدينة المذنب حوالي كيلين ، وقد أوقف عليها في أوائل القرن الماضي بعض المحسنين أوقافا استمرارا لسقي الماء منها لعذوبته وقد بقيت منهلا لأهل المذنب حتى عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م ويوجد فيها قصر امارة المذنب القديم (القاموس والتاج باب الفاء فصل القاف أحمد رضا : المرجع السابق ٤٧٦ ، العبودي : المرجع السابق ٢٠٧٩/٥ ، ٢٠٨٠)

(٢) ابن حميد ١٥٣ ، البسام : المرجع السابق ٥١٨/٢ ، القاضي : المرجع السابق ٣١٤/١ .

(٣) وهي محلة الضبط ، وكانت قرية الى أن أصبحت احد أحياء عنيزة في الوقت الحاضر ، وتقع الى الشرق الشمالي من عنيزة القديمة (ابن عيسى ٢٣٣ ، ٢٣٦ من اضافة الشيخ محمد بن مانع على تاريخه ، العبودي : المرجع السابق ١٤٠٣/٤ ، ١٤٠٤) .

شيئا من ريع هذا البستان فى أعمال الخير المختلفة.(١)

ولئن كان ماسبق لايعدو أن يكون أمثلة لمساهمات العلماء فى سبل الخير وتشجيعهم الناس على سلوكها، فانها تشير الى تأصل فعل الخير فى المجتمع، وزاده لدى العلماء حرصهم على تطبيق ما يقرأونه فى كتب السلف الصالح فى هذا المجال ادراكا منهم بضرورة تحقيق القدوة الصالحة فى فعل الخير أمام العامة مهما اكتنفت ذلك من مشاق، وهذا مايفسر لنا حماسة الشيخ ابن عضيب فيما قام به رغم قلة ذات يده، وتعرضه لتلك الصعوبات فى وقفه الأول فى المذنب، والمؤكد أن تلك التوجيهات الفقهية والاسهامات المادية فى مجال الأوقاف من العلماء كانت عاملا رئيسا وراء انتشار ظاهرة التفانى فى فعل الخير لدى خاصة الناس وعامتهم.

٦- الأثر الاجتماعي للرحلات العلمية:

تعتبر الرحلات العلمية أحد سبل الاتصال الاجتماعى بين نجد والمراكز العلمية خارجها سواء كانت تلك الرحلات فردية أم أسرية، مؤقتة أم تلتها اقامة دائمة، اذ أن هذه الرحلات لابد أن ينجم عنها اختلاط بأهل هذه المناطق وتأثر أو تأثير متبادل بين الفريقين، كما أن بروز علماء أكفاء من بعض الأسر النجدية كان عاملا مهما أضفى مكانة اجتماعية لتلك الأسر فى البلدان الواصلة اليها مما أدى الى تعلم الناس فيها عليهم ورحيل طلاب العلم من نجد وغيرها للتزود بالعلم على هؤلاء العلماء.

ومن أبرز الأسر العلمية النجدية التى رحلت واستقرت خارجها أسرة الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف التى سكنت المدينة وعدت من كبار الأسر العلمية فيها، وبرز الشيخ عبد الله كأهم عالم نجدى فى المدينة

---

(١) ابن حميد ١٥٣، البسام: ٢/٥١٨، ٥١٩، القاضي ١/٣١٤

في الفقه عامة والفرائض على وجه الخصوص حيث تتلمذ عليه عدد من المدنيين ورحل اليه عدد من النجديين من أبرزهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب وخلفه في الاهتمام بعلم الفرائض ابنه الشيخ ابراهيم بن عبد الله (١) الذى فاق والده في هذا المجال حتى عرفت هذه الأسرة في المدينة بآل الفرضي (٢).

والمهم أن هذه الأسرة قد أصبحت لها مكانة اجتماعية في المدينة منذ أن استقرت فيها واختلطت بالمجتمع المدني مؤثرة ومتأثرة فيه، وأسند الى بعض أفرادها مهمة الآذان في المسجد النبوي، وتلك علامة واضحة على علو مكانة هذه الأسرة في المدينة، هذا فضلا عن أن الشيخ عبدالله وأبناءه كانوا يمارسون مهنة الزراعة، وهي مهنة محببة للمدنيين والنجديين وقد ساعدت هذه المهنة على تقوية مكانتها بين أهل المدينة بما تنفقه من ريعها في سبل الخير (٣).

---

(١) ولد الشيخ ابراهيم في المدينة ونشأ بها وتتلمذ على والده وعلى علماء المدينة والوافدين اليها حتى أدرك ادراكا جيدا في الفقه الحنبلي أهله أن يكون عمدته في الحجاز وتبحر في الحساب والفرائض واشتهر فيه وقصد بالأسئلة من مختلف البلدان وصنف فيه كتابه الجامع " العذب الفائض لشرح أليفة الفرائض " وكان يجيد الشعر وخطه جميلا، توفي في المدينة في ١٠/٨/١١٨٩هـ الموافق ٦/١٠/١٧٧٥م (ابن حميد ١١، ١٢، البسام ١/١٣٤، ١٣٥ وقد ذكر وفاته في ترجمة والده سنة ١١٩٢هـ بينما ذكر في ترجمته أن وفاته عام ١١٨٩هـ وهو ماذكره ابن حميد ويبدو أن الأول خطأ مطبعي، وانظر القاضي ١/٣٣، ٣٤، ٣١٣).

(٢) ابن حميد ١٢، البسام ١/١٣٥، ٢/٥٠٤، ٥٠٦، القاضي ١/٣١٣، ٣٢٦، كما كانت الاسرة تعرف بالشرقي على عادة الحجازيين في اطلاق هذه التسمية على النجديين على أساس أن نجدا تقع شرق الحجاز.

(٣) ابن حميد ١٢، البسام ١/٢٩، ١٣٤، ١٣٥، ٢/٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٦ القاضي ١/٣١٣، ٣٢٦

ولعل من أوضح مظاهر اندماج هذه الأسر فى المجتمع المدني قيام بعض أفرادها فيما بعد بممارسة بعض المهن التى اشتهرت بها منطقة الحجاز عامة وبرزت بين أبناء المجاورين خاصة ومنها صنعة الكوافي المنقوشة التى توارثها أكثر من شخص فى هذه الأسرة.(١)

ويبدو أن من أسباب تتلمذ عدد من النجديين على علماء هذه الأسر مكانتها الاجتماعية تلك اذ من المعتقد أن ينزل هؤلاء التلاميذ فى غربتهم ضيوفا على هذه الأسرة طيلة تعلمهم، فالصلة الاقليمية احدى الصلات التى يمكن أن تتيح للتلاميذ النجديين رفع الكلفة بينهم وبين أفراد هذه الأسرة(٢)، كما أن من المعتقد أن تستضيف هذه الأسرة بعض النجديين الذين يفدون الى المدينة لزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أى غرض آخر، ولهذا فان وجود مثل هذه الأسرة فى المدينة كان عامل تسهيل لمن يريد قضاء حاجته من النجديين، وربما عامل جذب لمن أراد من النجديين الاستقرار فى المدينة.(٣)

والواقع أن هذه الأسرة كانت حريصة على بقاء صلتها قوية بموطنها الأصلي (نجد) وقد تمثل ذلك فى ذكر الشيخ عبد الله بن ابراهيم أن من أسباب اقامته فى المدينة هو الاستعداد العلمي وجمع الكتب للعودة الى نجد

---

(١) البسام: المرجع السابق ٢/٥٠٤

(٢) د. عبد الله العثيمين: الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٣٥

(٣) من الأمثلة على ذلك تسهيل الشيخ عبد الله بن سيف مهمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب العلمية فى تعريفه بالمحدث محمد حياة السندى كما أنه عرف السندى كذلك بالشيخ محمد ومكانته ومكانة أسرته العلمية فى نجد مما جعله يستفيد فائدة علمية كبيرة من هذا المحدث اذ يبدو أن تأثيره على حياته العلمية أعمق من تأثير ابن سيف وان كانت معرفته بابن سيف أسبق (ابن بشر ١/٢٠، د. العثيمين: المرجع السابق ٣٤).

فيروى عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قوله :" كنت عنده يوما فقال لي : أتريد أن أريك سلاحا أعددته للمجمعة قلت:نعم فأدخلني منزلا فيه كتب كثيرة فقال هذا الذى أعددناه لها " ولكن هذا الشيخ لم يعد الى المجمعة بل بقي في المدينة حتى توفي فيها (١).

وقد برزت أسرة علمية أخرى هي أسرة آل فيروز ليس في منطقة الاحساء فقط بل في مناطق أخرى من الخليج ثم العراق بعد ذلك، ومنذ رحيلها من أشيقر (٢) الى شرق شبه الجزيرة ونجم هذه الأسرة في علو حيث أصبحت لها مكانة اجتماعية مرموقة في تلك المنطقة تمثلت في وجاهة هذه

---

(١) ابن بشر ١/ ٢٠، البسام: المرجع السابق ٢ / ٥٠٣، ويبدو أن هذا الحنين للموطن الأصلي كان يؤدى الى زيارة المجمعة بين الحين والآخر، كما أنه قد أثر على بعض أحفاده الذين حرصوا على أن يعود بعض الأسر للاستقرار في المجمعة فتشير بعض المراجع الى أن اثنين من أبناء الشيخ ابراهيم بن عبد الله الأربعة توليا قضاء المجمعة الى أن توفيا فيها بينما بقي في المدينة اثنان وتوفيا فيها، وهذا يعني أن الأسرة انقسمت الى قسمين قسم في المدينة، وقسم في نجد (القاضي : المرجع السابق ١/ ٣٤).

(٢) أول من رحل من هذه الأسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب المولود في أشيقر سنة ١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م، وليس من المؤكد هل كان رحيل الأسرة من أشيقر الى الكويت ابتداء أو أنها رحلت الى الأحساء ثم انتقلت الى الكويت فقد ذكر البسام أن رحيل الأسرة الى الكويت ابتداء ثم لما توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب كبير الأسرة في الكويت عام ١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م انتقل ابنه عبد الله الى الأحساء وهو الذى يترجح من أقوال محمد بن عبد الله بن فيروز، ومن مراجعة التواريخ الكويتية، الا أن البسام في موضع آخر ذكر أن الرحيل كان من أشيقر الى الاحساء كما ذكر ذلك بعض المؤرخين قبله وبعده(ابن بشر ١/ ١٠٥ حاشية رقم(١) عبد العزيز الرشيد : تاريخ الكويت نشر دار مكتبة الحياة بيروت ٧٦، ٣٠، البسام ٢/ ٦٢٢/ ٣، ٦٧٦، ٨٨٢، ٨٩٤، القاضي ٢ / ٥٥، ١٧٦، د.أحمد أبو حاكمة: تاريخ الكويت ١/ ١١٨، ١١٩، وقد خلط بين محمد بن فيروز الجد ومحمد الحفيد مما جرأه على تخطئة بعض المؤرخين المحليين).

الأسرة وغناها اللذين خوّلاها الانفاق الواسع على التلاميذ الذين كانوا يرحلون بأعداد كبيرة لتلقى العلم على علمائها - كما مر - فضلا عن أن كثرة هؤلاء التلاميذ قد أضفى سمعة اجتماعية لهذه الأسرة فى مناطق عديدة.(١)

وماسبقت الاشارة اليه عن آل سيف فى المدينة وحرص الطلبة النجديين على الاستفادة من علمائها ينطبق تماما على أسرة آل فيروز فى الأحساء فان كثرة من تتلمذ من النجديين على علمائها مرده الى تلك الصلة الاقليمية، وحدب هذه الأسرة على تلاميذها عامة والنجديين منهم على وجه الخصوص،(٢) وقد أثنى الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الشيخ عبد الله بن محمد بن فيروز(٣) حينما التقى به فى الأحساء وسر بما لديه من معرفة جيدة بالعقيدة السلفية، ولايبعد أن يكون قد تتلمذ عليه، وأن ابن فيروز قد استضافه مدة بقائه فى الأحساء للرابطة الاقليمية فضلا عن صلة الرحم بينهما.(٤)

---

(١) ابن حميد ٢٥٨-٢٦٠، البسام : المرجع السابق ٣/٦٧٩، ٨٨٤، القاضى : المرجع السابق ٢/١٧٦، ١٧٧.

(٢) البسام : ٢/٦٢٨، ٣/٨٨٤، ٨٨٥، ٨٩٥.

(٣) ولد الشيخ عبد الله فى ٦/٨/١١٠٥هـ الموافق ٤/٤/١٦٩٤م، وتلقى العلم على والده والشيخ فوزان بن نصر الله الزهرى نسبا العنزى مولدا، وخاله الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن على والشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن مشرف وغيرهم حتى مهر فى الفقه وأصوله والتوحيد، اشتهر بالتقوى والورع والزهد وسلفية المعتقد، تتلمذ عليه عدد من العلماء أبرزهم ابنه محمد وغيره، توفى فى الاحساء فى يوم الأحد ٦/٧/١١٧٥هـ الموافق ٢/٢٠/١٧٦٢م فى الأحساء (ابن حميد ١٦٤ وذكر أن ولادته فى الأحساء، ابن بشر ١/١٠٥، ابن قاسم : الدرر ٩/٢١٦، البسام ٢/٦٢٧، ٦٢٨).

(٤) ابن قاسم: ٩/٢١٦، البسام ٢/٦٢٧، ٣/٦٩٥، والقرابة بين أسرة الشيخ محمد وآل فيروز قرابة نسب ومصاهرة، فالأسرتان من آل وهيب من تميم، والشيخ سليمان بن على جد لعبد الله بن محمد بن فيروز لأمه كما أن الشيخ سليمان قد تزوج عمة الشيخ عبد الله فولدت له الشيخ احمد بن سليمان العم الثانى للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ان من أوضح مظاهرانتشارالسمعة الاجتماعية لهذه الأسرة في منطقة الخليج عامة هو تعيين الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن فيروز أول قاض للكويت فيبداية تكوينها السياسي الحديث، ويبدو أن هذا التعيين كان من بدايات بروز هذه الأسرة في هذه المنطقة اذ تبع وفاة هذا العالم رحيلها الى الأحساء وعلو مكانتها الاجتماعية فيها كاحدى الأسر العلمية البارزة فيها[(١)]، ومن المؤكد أن توطن هذه الاسرةكغيرها من الأسر النجدية في الكويت ثم في الاحساء قد ساهم في تغلغل بعض العادات النجدية في منطقة الخليج عامة، كما أنها في المقابل قد تأثرت بعادات المنطقة .

ولئن كان من الثابت أن رحيل هذه الأسرة الى البصرة وما لقيته من اكرام من واليها العثماني انما كان بسبب معارضتها لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحرص الدولة العثمانية على استغلال ذلك[(٢)]، فانه لولا تلك المكانة الاجتماعية المرموقة لهذه الأسرة في منطقة الخليج لما لقيت تلك الحفاوة من السكان البصريين على اختلاف مراتبهم حتى أصبحت لها شهرة اجتماعية لا تقل عن شهرتها في منطقة الاحساء يؤيد ذلك الزيادة المطردة في عدد التلاميذ الذين تلقوا العلم على علمائها من البصريين والنجديين والاحسائيين وغيرهم سواء كانوا من طلابهم السابقين أم من الذين رحلوا للتتلمذ عليهم ابتداء بعد أن استأنفوا نشر العلم في البصرة[(٣)].

ومن المتوقع أن اقامة الشيخ عثمان بن قائد في مصر حتى وفاته

---

(١) عبد العزيز الرشيد : المرجع السابق ٣٠، ٧٦، البسام ٣/ ٨٨٢

(٢) ابن غنام ٢/ ١٨٩، ابن بشر ١/ ١٣٨، ١٣٩، ابن حميد ٢٥٨، ٢٥٩، البسام ٣/ ٨٨٥، ٨٨٦.

(٣) ابن حميد ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، البسام٣/ ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦

فيهـــــا (١) قد أدت الى اختلاطه بالمجتمع المصرى سواء كانت معه أسرتـــــه في رحلته أم كان بمفرده أم كون أسرة بعد استقراره في مصر، وطبيعي فـــي أى من هذه الحالات أن يحصل تأثر أو تأثير في بعض عادات وتقاليد هـــذا المجتمع.

كما أن مجاورة الشيخ أحمد بن محمد بن خميخ في المدينـــة حتى توفى فيها قد أوجدت له مكانة اجتماعية جيدة في مجتمع المدينـــة، ذلك أنه لم ينتقل من نجد حتى أدرك في الفقه ادراكا جيدا وعد من كبـــار طبقة فقهاء العارض، تلك الطبقة التي تعد من أهم طبقات الفقهاء النجديين قبل الدعوة، ولعل من أهم مظاهر تلك المكانة جلوسه للتدريس في الحـــرم النبوى حيث انتفع بعلمه خلق كثير من أهل المدينة، والمجاورين فيهـــا، والراحلين لطلب العلم اليها (٢)، وليس من المعروف هل رحل الشيخ أحمـــد الى المدينة بمفرده، أو معه أسرته، أم كون أسرة من أهلها.

ان ذكر هذه الأمثلة للوجود العلمي النجدى خارجها لا يعنـــي أن الذين رحلوا لطلب العلم خارج نجد ثم عادوا اليها لم يؤثروا أو يتأثـروا بالمجتمعات التي تعلموا فيها، فمشاركة الشيخ أحمد بن عطوة، والشيـــخ أحمد بن أبي حميدان في ايقاف بعض مالديهما من كتب على طائفـــة الحنابلة بدمشق - كما مر - يعد مظهرا من مظاهر الاندماج في المجتمـــع الدمشقي، اذ أبقى ذكرهما فيه، ومن المعتقد أنه كان لهما أو لغيرهمـــا من النجديين في الشام أو مصر مكانة اجتماعية على اختلاف فيما بينهـــم في درجة هذه المكانة.

---

(١) عثمان بن قائد : هداية الراغب ٥٧٧ من مقدمة الشيخ عبد الملـــك ابن ابراهيم آل الشيخ، ابن حميد ١٧٦، ابن ضويان ٧، البســـام ٦٨٦/٣، القاضي ٧٠/٢

(٢) المنقور: المصدر السابق ٢٨٦/٢، البسام ١٩٠/١

ثم ان هذه الأمثلة وغيرها تؤكد الحقيقة السابقة بأن القول بانغلاق المجتمع النجدى فى تلك الفترة ليس على اطلاقه فهذه الرحلات العلمية ، وتلك الأسر العلمية النجدية البارزة فى بعض المجتمعات المجاورة قد ساعدت على تفاعل هذا المجتمع بهذه المجتمعات تماما كما ساهمت الرحلات التجارية ، وان كان من الثابت أن التأثر ببعض عادات تلك المجتمعات عن طريق العلماء أكثر تهذيبا وتوجيها من ذلك التأثر الذى يأتى عن طريق التجارة أو عامة الناس.

٧- نقد الأدب الفصيح وتصويره لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية :

لقد قرر بعض الكتاب والباحثين فى الأدب أن ليس للنجديين قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أدب غير الأدب العامى شعرا كان أو نثرا (١) ، بينما رأى بعضهم أن الشعر خاصة لا يعرف من أمره شئ فيها (٢) بل بالغ أحد هؤلاء الكتّاب حينما قرر أنها تعيش الأمية بكل أبعادها ، وأن الشعر فيها عامي لا تجد فيه نأمة من فصاحة ، أو اثارة من عروبة ، حتى لقد استطاعت العامية أن تلف نجدا ، وخلص الى القول : أن الحديث عن الشعر فى نجد فى تلك الفترة يعنى الحديث عن الشعر العامي (٣).

---

(١) أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى : تاريخ نجد فى عصور العامية مطبعة التقدم. القاهرة ص ١٠

(٢) د. محمد بن سعد بن حسين الشعر والشعراء فى نجد منذ منتصف القرن الثانى عشر حتى منتصف القرن الرابع عشر وهى المحاضرة الثالثة من محاضرات الموسم الثقافى للكليات والمعاهد العلمية بالرياض - جامعة الامام حاليا - لعام ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م ، المطابع الوطنية الحديثة بالرياض ص ٦٩

(٣) د. عبد الله الحامد : الشعر فى الجزيرة العربية خلال قرنين (١١٥٠هـ - ١٣٥٠م) ط (١) مطابع الاشعاع التجارية الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م ص ٨١ ومن الجدير بالذكر هنا أن الحامد قد انتقد ابن حسين على رأيه السابق ، انظر : صحيفة الجزيرة عدد ٥٤٨١ ، السنة الرابعة والعشرين / الخميس ١٤٠٨/٢/٨هـ ص ٠٩

ولئن كان لهذه الآراء بعض الوجاهة فى أن الحركة العلمية فى نجد فى تلك الفترة لم تكن شاملة، وأن الموروث الأدبى العامى أكثر انتشارا وتداولا بين النجديين الى الوقت الحاضر، رغم ذلك كله فان الجزم بعدم وجود أدب فصيح فيه اجحاف بحق علماء تلك الفترة الذين يستطيع الباحث المنصف أن يجد لهم نصوصا أدبية لا بأس بها شعرا أو نثرا [١]، اذ أن كتابات عدد من المؤرخين النجديين تثبت أن التعليم فى المنطقة فى تقدم مستمر - كما مر - منذ القرن العاشر الى قيام دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب حيث انطلق بعد ذلك [٢]، كما تثبت أن بعض اقطاب التعليم كانوا على درجة من قوة الأسلوب وجزالة اللفظ فضلا عن وجود موهبة الشعر لدى بعضهم [٣].

وبالرجوع الى ماسبق عرضه فى الفصل السابق وخاصة فى مبحث العلاقة بين الطلاب وأساتذتهم يتبين لنا أن بعض النصوص التى وردت يمكن أن تندرج تحت أسلوب كتابة الرسائل أحد أنماطا لكتابة النثرية، ويمكن أن توصف بالفنية لوجود سجع غير متكلف فيها ، فضلا عما تحتويه من معان

---

(١) يجد الباحث فى السحب الوابلة لابن حميد، وعلماء نجد للبسام وروضة الناظرين للقاضى وغيرها من مصادر ومراجع تاريخ نجد، يجد الباحث فى بعض التراجم الواردة فى هذه المراجع، مطالع لعدد من القصائد الفصيحة سواء المنظومة منها أو التى تحمل حلاوة الشعر، فضلا عن عدد من النصوص الأدبية النثرية بحيث تشكل مادة أساسية لمن أراد البحث فى الأدب الفصيح فى نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(٢) من أبرز من قرر ذلك أستاذى المشرف فى بحثه عن التعليم فى نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والمنشور فى مجلة كلية الشريعة بالاحساء، وقد سبقت الاشارة اليه، وكذلك الدكتور عبد الله العثيمين فى كتابه (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) وبحث له عن الحياة العلمية فى نجد منذ القرن العاشر وحتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد سبقت الاشارة اليه فى الفصل السابق

(٣) من ابرز من جمع بين العلم الشرعى والأدب الشيخ راشد بن خنين

(=)

جيدة وألفاظ قوية[1].

أما الشعر فرغم أن بعضه كان على طريقة نظم العلماء لتقريب المسائل العلمية وتسهيلها، الا أن بعض العلماء أثر عنهم بعض الأبيات التى تحمل حلاوة الشعر وجزالته ورغم قلة هذه الأبيات الا أنها تشير الى وجود شعر قوى يرقى الى مستوى الشعر الذى يقوله فحول الشعراء فى أى عصر، ولاغرابة فى ذلك فنجد تعد أحد مواطن الشعر الفصيح[2].

وقد صورت قصيدة الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف مدى تغلغل عادة التدخين لدى بعض النجديين حاضرة وبادية، ورغم أن المدخنين من الحضر فى تلك الفترة لم يكونوا بالنسبة التى عليها البدو الا أن هذه القصيدة التى سبقت الاشارة اليها تصور بعض المظاهر، التى كان المدخنون يشتهرون بها فى تمسكهم بهذه العادة من عدم الصبر عن التدخين، وجرأة بعضهم على التدخين علنا، وبدأهم به الضيف، وقد أكد الشيخ على حرمتها لما تحمله من أضرار كثيرة وأنه ليس شرطا لتحريمها أن يوجد نص لذلك، ومن ضمن ماقال فيها بعد البيتين اللذين سبقاوهما مطلع القصيدة:

(=) وقد تتلمذ عليه فى الأدب عدد من العلماء، وكذلك الشيخ عبدالله ابن أحمد بن مشرف وعدد من العلماء (عثمان بن سند: سبائك العسجد ورقة ١٢، البسام ١/ ١٩٤، ٢/ ٤٧٤، ٥٢٣، ٥٢٤).

(١) ومن الأمثلة تلك المراسلات العلمية الحادة بين الشيخ محمد بن اسماعيل وتلميذه الشيخ أحمد بن بسام (المنقور ١/ ٢١٥-٢١٨)

(٢) ان قول بعض علماء نجد للشعر على طريقة العلماء المعروفة بعدم الشاعرية ليس مرده الى عجز بعض هؤلاء العلماء عن قول الشعر الجزل بل ان ذلك عائد الى تأثرهم بمن سبقهم من العلماء فى النظم على هذه الطريقة التى بها يحققون فائدة عظيمة للعلم فى تقريب وتسهيل مسائله، ولا أدل على ذلك من أن بعضهم كان يقول الشعر القوى الى جانب قيامه باعداد بعض المنظومات فى المسائل العلمية العقدية منها والشرعية.
(ابن حميد ١٣٥، البسام ١/ ١٩٤، ٢/ ٤٧٤، ٥٢٣، ٥٢٤).

النار تأكل جسما للكفور غـــدا ... وأنت تأكلها ظلما وطغيانـــا

الى أن قال :

وكيف طاب لك الدخان تشربـــه ... هل ذاك الا ضلالات وعدوانا

لم تملك الصبر عنه ساعة أبـــدا ... مثل امرئ كان نحو الماء عطشانا (١)

هذا وأكل امرئ في السوق منقصـة ... ينفي العدالة رجحانا ونيرانا

وشارب النار في الأسواق يشربهـا ... ولا يبالي بفعل الخزي اعلانـا (٢)

دخانه قد علا أعلى الجبين لـــه ... وثغره من قذاه صار ملآنـــا

وقد صور نفث المدخن للدخان بالبصاق بجامع القذى والكراهيـــة في كل حين قال :

يرمي بصاقا له في وجه صاحبـه ... مع قبح عرف لذلك الوجه قد شانا

والشاربون له مازال عادتهـم ... ان جاءهم زائر أو كان ضيفانـا

يبدونه أولا بالنار تكرمــة ... لانهم قد غدوا صما وعميانـــا (٣)

يدعون ماشربوا دخانه تتنـــا ... وان تقل نتنا أحكمت اتقانـــا

لاشك من عاش في شئ يموت بـه ... وهكذا البعث فيه كيف ماكانـــا

ان الجز اللوري من جنس ماعملوا ... نارا بنار كفى بالنار خسرانـــا

---

(١) ان هذا التمثيل ينطبق تمام الانطباق على من بلي بهذه العادة بل ربط بدأ بها بعضهم افطاره بعد الصيام وهذا من أبرز مظاهـــر التمسك بهذه العادة.

(٢) في هذين البيتين اشارة الى قدم العلانية في ممارسة هذه العادة وما من شك أنه لأقوال بعض العلماء المبيحة لها منذ بدء انتشارها أثـــر في الجرأة على ذلك.

(٣) وهذا المظهر كذلك عامل من عامل انتشار هذه العادة ،اذ أن دخول التدخين كأحد مظاهر الكرم وخاصة لدى البدوى ساعد على أن تعد هذه العادة ندا لعادة شرب القهوة مما ساعد على انتشارها ،ولايبعد أن يكون للرحالة الغربيين دور في أن يكون تقديم التبغ أحد مظاهـــر الكرم اذ أنهم محتاجون لسلوك مثل هذا السبيل بتقديم حبات مـــن البن وحفنات من التبغ وبعض الأقمشة مقابل العيش بأمان في أوســاط البدو والحصول على المعلومات المهمة التي يريدونها (جاكلين بيريـن ٢٢٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،رسالة الماجستير للباحث ٢٩١).

قواعد الشرع عن هذا مصرحة تكاملت فى الورى نصا وتبيانا
ثم ينعى على بعض العلماء الذين أفتوا بحلها مما كان سببا فى انتشارها

محذرا اياهم بالمسئولية العظمى أمام الله فى اضلال كل من تمسك بهذه العادة :

لا تنسبوا حلها يوما لشرعتنا أوسعتم الشرع تزويرا وبهتانا
قد أصبح الجهل بالتحقيق عندكم مع أوضح العلم والعرفان سيانا
ماحلل النار أكلا غير ذى سفه فى العالمين غدوا فى الدين فتانا
شتان مابين من افتى بحرمتها وبين من قال بالتحليل شتانا
ياويحه لو رأى أى أهل الجحيم بها عليهم من دخان النار ألوانا
ان الدخان عذاب للكفور اذا ماحل فى قبره من أجل ما كانا
لا تطلب النص فى تحريمه أبدا بل اطلب النص فى التحليل تبيانا (١)

وقد كان بعض الناس يحرصون على حجز مكان لهم فى الصف الأول يوم الجمعة بأن يأتوا مبكرين فيضعون شيئا لحجز هذا المكان اما عصا أو نعل أو عباءة أو غير ذلك ثم يعودون الى أعمالهم أو بيوتهم حتى اذا أتى الخطيب أو كادت أن تنتهى الخطبة اخترقوا الصفوف ليصلوا الى المكان المحجوز اعتقادا منهم أنهم حازوا فضيلة التبكير يوم الجمعة أو لمجرد حصولهم على مكان متميز ، وقد نقد الشيخ الأديب عبد الله بن أحمد بن مشرف (٢) هذه الظاهرة مؤكدا أن المقصود بالتبكير والسبق الى هذه

---

(١) فى هذه الأبيات تصوير لحدة الخلاف بين المبيحين والمحرمين لهذه العادة ، فكما كانت أقوال المبيحين عاملا أسهم فى انتشارها لدى بعض الناس فقد كانت أقوال المحرمين عاملا مهما كذلك حد من انتشارها لدى البعض الآخر ، بل أوجدت هذه الأقوال كرها متبادلا بين المدخنين وغير المدخنين منذ فترة متقدمة من انتشارها، وللابيات السابقة انظر مخطوطة القصيدة المرفقة صورة منها فى آخر الرسالة .

(٢) سبقت ترجمته فى الفصل الأول من هذا الباب

الفضيلة انما يتحقق بأن يمكن الانسان من ساعة مبكرة عن الآذان حتى تنتهي الصلاة، ورغم أن ما نظمه الشيخ عبد الله في هذا الموضوع قد يكون الهدف منه تقريب الحكم الشرعي (١) في هذا الأمر، الا أن وجود هذه الظاهرة لدى بعض النجديين (٢)، وأسلوب الشيخ عبد الله في هذا التنظيم يدلان على أنه كان يهدف الى معالجة ونقد هذه الظاهرة علاوة على تقريبه للحكم الشرعي، ومما قاله في ذلك :

هب القول المحق بعقد منّة ... تصاعد مرتقا أعلا قرنه (٣)
فيا قرما نشا من فرع قرم ... لهم في الناس آمال وسنه (٤)
اتيت الجمعة الغرا مريدا ... لنحر البدن أو بعض المنه

---

(١) كره العلماء حجز مكان في المسجد ولكن هل للامام أو لمن أتي بعد الحاجز رفع ما حجز به المكان ؟ فيه خلاف : فقد قال بعض العلماء برفعه والجلوس مكانه لأنه لا حرمة له، والسبق بالابدان فقط، وقال بعض العلماء ليس لاحد رفعه مالم تحضر الصلاة لأن فيه افتئاتا على صاحبه، وربما أفضى الى خصومه، وقد مال كثير من العلماء للرأى الأول حدا من استفحال هذه الظاهرة، بل أكد بعضهم على حرمتها، وأنها بدعة وظلم منهى عنه (المنقور الفواكه ١/ ١٣٤، ١٣٥، ١٣٩، محمد بن عبد الله آل حسين : الزوائد في فقه الامام أحمد بن حنبل ط (٢) مطبعة البيان والفجالة الجديدة، القاهرة ١/ ١٧٩، ١٨٠).

(٢) رغم حرص النجديين على ايقاف أعمالهم ضحى الجمعة، الا أن قسوة الظروف وفجأتها في تلك الفترة ربما فرضت على بعض الناس فعل هذه العادة التي بقي بعض الناس يفعلها كذلك الى وقت قريب وربما الى الآن، وذكر المنقور لها في أكثر من موضع دليل آخر على بروزها كظاهرة في تلك الفترة.

(٣) المنة : بضم الميم وتشديد النون مع فتحها القوة وقد خص به بعضهم قوة القلب، والقرن : الجبل الصغير أو القطعة من الجبل تنفرد عنه (القاموس والتاج باب النون فصل القاف والميم).

(٤) القرم بفتح القاف تطلق على الفحل من الابل والمقصود بها هنا الرجل الكريم الأصل (القاموس والتاج باب الميم فصل القاف)

فسابق الجريد الى المصلى ونعلان وأثواب مصنة (١)
فان كان السباق بذا فعندى عصا ورقدت فى بيت مكنة (٢)
فان السبق بالأبدان معنى حديث المصطفى فيه ظنة (٣)

وما من شك أن الأدب الفصيح فى تلك الفترة قد تفاعل مع مظاهر الحياة الاجتماعية فصور بعضها مؤيدا لها أو معارضا ، ولئن لم يكن ذلك بالصورة التى برز فيها الأدب العامى الا أن من المعتقد وجود تصويرات أخرى لبعض تلك المظاهر فى الأدب الفصيح لكنها ضاعت أوجهلت أو تنوسيت لقلة المتداولين لها بين العلماء ، وعدم كتابتهم لها كما كتبوا الأحكام الشرعية التى تلبى حاجة المجتمع وتصور بعض مظاهره ، على عكس الأدب العامي الذى تداولته فئة كبيرة من المجتمع ورواه خلفها عن سلفها ، وتم جمع قسم كبير منه وكتب منذ فترة متقدمة عن بدء النهضة التعليمية الحديثة (٤).

---

(١) مصنة : ذات صنان وهى الرائحة الكريهة تنبعث من مغابن ومعاطف الجسم فتلتصق بالثوب (المصدران السابقان باب النون فصل الصاد)

(٢) مكنة : تطلق على البيت لانه يقي من البرد والحر ويستر كما تطلق على جوف البيت اومخادعه (المصدران السابقان باب النون فصل الكاف

(٣) يشير فى هذا البيت الى الحديث الذى رواه البخاري ومسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكانما قرب بدنه ، ومن راح فى الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكانما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر (ابن حجر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٥/ ١٩-٢١ ، النووى : صحيح مسلم بشرح النووى ٦/ ١٣٥ ، ١٣٦ ، وعن هذه الابيات: البسام ١/ ١٩٤) .

(٤) جرت محاولات لجمع الادب العامى منذ اوائل القرن الماضي ومن أوائل من قام بذلك الشيخ محمد بن بليهد الذى ضمن كتابه " صحيح الاخبار " عددا من القصص والاشعار العامية ، ثم رغب الشيخ عبدالله السليمان وزير المالية فى عهد الملك عبد العزيز الى خالد الفرج ان يقوم بجمع مايتيسر جمعه من الشعر العامى حتى يطبع ويتداول فجمع الفرج عددا من القصائد وترجم لبعض الشعراء ثم طبع ذلك فى جزئين بعنوان ديوان النبط وكانت اولى طباعاته فى مطبعة الترقي بدمشق عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م ثم فى المطبعة العربية بالقاهرة ثم توالي بعد ذلك جمع وطبع كثير من الدواوين الشعرية والقصص العامية واغلبها تعتمد على ديوان النبط فضلا عن ان بعضها ينقل عن بعض حتى راجت سوق الادب العامى بين العامة وبعض المتعلمين وشكل ماصدر فى هذا السبيل مكتبة بحد ذاته ، وبدا للمطلع على ذلك ان نجدا ليس لها الا موروث عامى فقط سواء قبل الدعوة او بعيد قيامها كذلك (صحيفة الجزيرة عدد ٤٤٧٢ الاربعاء ٤/ ٤/ ١٤٠٦هـ ص ٣١ من تعليق للشيخ حمد الجاسر حول بداية نشر الشعر العامى فى نجد) .

الباب الثالث

الأوضاع الاقتصادية

الفصل الأول

١ - الرعي والثروة الحيوانية.

٢ - الزراعة.

٣ - الحرف اليدوية والمهن.

١ - الرعى والثروة الحيوانيــة :

يعتبر الرعى الأساس الأول للحياة الاقتصادية لأى أمة من الأمـــم اذ هو المرحلة الأولى التى قد يتحول الانسان منها الى الزراعة وقد يبقــى محافظا عليها الفا لكافة مظاهرها وماقد يعترضه فى سبيلها من مشاق وهذا هو السر فى بقاء مهنة الرعى وتنمية الثروة الحيوانية عن طريقها الى الوقــت الحاضر، كما أنه أيضا من أهم الأسباب فى وجوه النظرة السيئة التى تتســم بها بعض صور العلاقة بين البدوى والحضرى عبر التاريخ نظرا لكره كل منهما لأسلوب معيشة الآخر.

ورغم أن هذا العامل الاقتصادى يعد بدويا صرفا الا أنه فى نجد فى تلك الفترة والى وقت قريب مما يشترك فيه البدو والحضر على حد سواء وهــذا ما يجعل منه أساسا اقتصاديا فى الحياة البدوية والحضرية فى نجد .

واضافة الى كون الرعى للناس على قراريط بشكل مهنة من المهــن التى كان يقوم البدوى والحضرى على حد سواء منذ ماقبل الاسلام.(١) فـــان امتلاك الثروة الحيوانية على اختلاف أنواعها وتربيتها ورعيها هو الذى كـان يشكل عاملا اقتصاديا مهما للحياة البدوية والحضرية، ومن هنا فقد ضاهــت هذه الثروة أحيانا مجالات الحياة الاقتصادية الأخرى الزراعية والتجاريــة ثراء وجاها ومكانة اجتماعية مرموقــة.

وتعد الثروة الحيوانية محورا تلتقى حوله كافة مجالات الحيــاة الاقتصادية اذ لا تقوم التجارة فى بعض أساليبها الا عن طريقها ، كمـــا

---

(١) أبرز مثل على ذلك ماكان يقوم به رسول الله صلى الله عليه وسلـــم برعيه غنم قريش وغنم أهله على قراريط (أجر) يدفعونها له واعتــز بذلك مشيرا الى أنها كانت مهنة الأنبياء قبله (ابن هشـــام، ١٧٦/١).

لا تتحرك نواضح (سوانى) الزراعة لنزح المياه الا بقوة وجهد الحيوان وفى المقابل فان الزراعة بشكل خاص هي عماد وجود الحيوان بما تنتجه من أعلاف، ولهذا كان التكامل بين هذه المجالات ضروريا للازدهار الاقتصادى فى نجد فى تلك الفترة.

وقد كانت نجد غنيّة بالثروة الحيوانية بل كانت تعد من أغنى مناطق شبه الجزيرة العربية فيها وأبرز ماكانت نجد غنيّة به منها الابل ذات السنام الواحد التى تعد من أهم الحيوانات الأليفة التى استطاعت أن تتلاءم مع ظروف البيئة الصحراوية القاسية منذ قديم الزمان اذ يشير بعض المؤرخين أن العربى قد ذلل الابل فى الألف الثانية قبل الميلاد تقريبا ثم انتقل بعد ذلك الى البلدان المجاورة لشبه الجزيرة، وقد بلغت نجد درجة فى كثرة ثروتها من الابل حتى أطلق عليها "أى الابل" (١) .

ولقد لعبت الابل دورا كبيرا فى حياة النجديين الاقتصادية فبالاضافة الى كونها أهم وسيلة لتنقلاته حتى أطلق عليها " مودبات الغريب بلاده" فقد استغل الانسان كل تكوينات جسمها ومستخرجاته من ألبان ووبر وغيرها فى كافة نواحى هذه الحياة حتى أصبح مقياس غنى الفرد بما يملكه من الابل، ولعظم نفعها، وعجيب خلقها فقد جاء المثل النجدى " البل عطايا الله" مصورا لهذه الحقيقة

---

(١) محمد مبروك نافع : مرجع سابق ٢٩، ومحمد بيومى مهران، مرجع سابق ١٢٧، ١٢٩، محمد البسام : الدور الفاخر فى أخبار العرب الأوائل والأواخر، تحقيق ونشر سعود العجمى ط(١) ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ص ٩٢، ٩٣-٩٣، ٩٥-٩٧، ١٠١، ١٠٥، وقد ذكر فيها تعداد ابل قبائل من نجد ضمن مفاخرها، د. العثيمين : المرجع السابق ص ٢٠ حيث نقل فيه عن بركهارت أن الرجل الذى يملك أقل من عشر نوق يعتبر فقيرا فى عنزة، كما أن معدل ثروة الأسرة فى قحطان حوالى ستين بعيرا، والبسام وبركهارت وان كان مصدرين متأخرين نسبيا عن فترة هذا الفصل الا أنهما يمكن أن يعطيا فكرة عامة عن مكانة الابل لدى النجدى فى هذه الفترة بحكم تداخل القضايا التاريخية عموما والاجتماعية بشكل خاص.

ومؤكدا لدورها الاقتصادى الكبير.(١)

ولما للابل من دور كبير فى الفتوحات الاسلامية، والغزوات الأخرى فقد صوّر النجديون هذا الدور فى أمثلتهم الشعبية مدحا للابل واشادة بهذا الدور الكبير، ولعل أبرز مثل فى هذا المجال المثل القائل" البل دقاقة الدول " ، ولاشك أنها كما كانت من العوامل التى سهلت الفتوحات الاسلامية الأولى، فانها قد سهلت للعربى معرفة مواطن الأعمار والاستقرار فى البلدان المفتوحة ومن هنا جاء قول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

" لا يصلح العرب الا حيث تصلح ابلهم"(٢)

وقد بلغت أهمية الابل لدى النجدى درجة جعلته يبذل الغالى والرخيص فى سبيل الحصول عليها، وقد صوّر المثل النجدى " البل مايجى بها الا الأحمرين الذهب والدم"(٣) نفاسة الابل حيث أنها لا يحصل عليها

(١) محمد العبودى: الأمثال ١/٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، مثل ٤١٨، ٤٢٠، د. بيومى مهران ١٢٨.

(٢) محمد مبروك نافع: مرجع سابق ٢٩، العبودى المرجع السابق ١/٢٧٨ مثل رقم ٤١٦، وقد تغنى الشعراء العرب وخاصة الجاهليون منهم بابلهم ووصفوها بأعظم الصفات فهذا طرفه بن العبد البكرى (ولد نحو ٨٦ ق.هـ / ت ٦٠ ق.هـ / ٥٦٤م) يقول واصفا ناقته وهى من أروع ماوصفت به الناقة قديما وحديثا

واني لامضى الهم عند احتضاره ∴ بعوجاء مرقال تروح وتغتدى
أمون كألواح الأران نسأتها ∴ على لاحب وكأنه ظهر برجد
جمالية وجناء تردى كأنها ∴ سفنجة تبرى لأزعر أربد

الى أن قال :

واعلم مخروط من الأنف مارن ∴ عتيق متى ترجم به الأرض تزدد
على مثلها اذا قال صاحبى ∴ ألا ليتنى أفديك منها وأفتدى
أحلت عليها بالقطيع فأجذمت ∴ وقد خب آل الأمعز المتوقد
فذالت كما ذالت وليدة مجلس ∴ ترى ربها أذ يال سحل ممدد

للاستزادة : (السيد أحمد الهاشمى : جواهر الأدب ط ١٨ مطبعة السعادة. القاهرة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م نشر المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ٢/ ٦٨ - ٧٧).

(٣) العبودى: المرجع السابق ١/٢٧٩ مثل رقم ٤١٩.

الا من كان غنيا أو استرخص دمه في القتال والغزو ليحصل عليها كغنيمة حرب .

وانطلاقا من أهمية الدور الرئيسي الذى تلعبه الابل في الحياة الاقتصادية النجدية ، فقد أولاها النجدى - البدوى والحضرى - كل عنايته ورعايته ، وقد يذهب كل ما يملك ويدونه في سبيل أن تعيش مكرمة معززة معززة جعلت أحد الباحثين الغربيين ينظر اليها على أنها تعيش حياة استقراطية بالنسبة للابل في البلدان المجاورة ، ونظرة في الأمثال والاشعار الشعبية النجدية سواء كانت بدوية أم حضرية تؤكد هذه الحقيقة ، فلا تكاد تجد قصيدة شعبية الا وفيها اطراء ومدح للابل مما ليس هنا مجال تفصيلة الا أن مخاطبة الابل مخاطبة الحبيب لحبيبه ، ووصف مشاعرها هي الجديرة بالذكر هنا لأنها تصور العلاقة الحميمة بين الابل والنجدى التي جعلته يعزها ويقدرها حق قدرها . هذه المخاطبة وهذه المشاعر التي صوّرها الشاعر جبارة الصفار بقوله :

الى حفت الصفرا قلوص تظاهرت ∴ على أهموم ضربحالي لهيبها
الى ذكرت بين الذراعين مبرك ∴ وطفل غدا في راسي مفلاشعيبها
الى حركت خرس الحنين تهاملت ∴ أعيوني بجارى الدمع مايصيبها
تحن فلولا ثقل عقلي وهيبتي ∴ من الناس كنت العنسى أجيبها
تحن حنين ينجض القلب بعدما ∴ عفت عين خالي البال في نوم طيبها
فقلت لها والعين تزداد عبرة ∴ ونفسي من الوجلا ضعيف صليبها
ياناق ذوقي مثل ماذقت واعلمي ∴ لزوم تفارق كل عين حبيبها
فلا انتى باول عبرة قد ركبتها ∴ بدوابة يزرى المطايا نعيبها
وهاجرة ياناق لاقيت حرها ∴ من القيظ كن النار حامي لهيبها(١)

---

(١) قلوص : أى ناقة شابة قادرة على السير ، أهموم : هموم بزيادة الهمزة على عادة النجديين في الاتيان بالهمزة توصلا الى النطق بالساكن مبرك : موضع الجلوس من الناقة ، مفلا : مكان رعى ، خرس الحنين : كناية عن الناقة وهو لقب من ألقابها ، العنسى : الناقة الصلبة القوية الاحتمال ، أجيبها : مجموعة من أجىء وبها ينجض : تصحيف نجدى من

أما الخيل فانها فى نجد من أجود أنواع الخيول فى العالم وأعرقها نسبا وهى وان كانت ليست بالكثرة التى اشتهرت بها الابل الا أنها أصيلة فيها أصالة العربى نفسه الذى نسبت اليه فيقال : الخيول العربية الأصيلة، واشتهار النجدى بالابل واستعماله لها فى تنقلاته أكثر من الخيل لأنها أكثر تحملا وصبرا على مشاق الطريق ،واشتهار بعض المناطق الأخرى فى الخيل لايمنع أن يكون وصولها اليها عن طريق نجد التى كانت تضم سلالات الخيول فى العالم قديما (١) .مما أدى الى ظهور أنساب لها يحفظها العربى كما يحفظ نسبه وقبيلته ويعتنى بها كما يعتنى بنفسه وأسرته حتى أن النجدى يحتوف ويتعب نفسه ليشترى له فرسا ولا يخدمها الا صاحب البيت نفسه لا زوجته ولا خادمه اطمئنانا منه على تهيئة الوضع الأفضل لها من دون سائر الحيوانات الأخرى التى يمكن أن يكل رعايتها لغيره (٢)، ولهذا كثرت المؤلفات قديما وحديثا عن الخيل عند العرب تتحدث عن أنسابها وتفصل تاريخها ،وتبين أساليب العناية بها والقيام عليها (٣).

(=) النضج : أدرك واستوى ،والمعنى اشتد لوعة القلب ،الوجلاء: تصحيف نجدى من الوجل : ضعيف صليبها ،اى ماكان فيها من قوة العزم، عيرة : العير هو الحمار الا انها غلبت على كل ماعتير عليه وأعد للتنقل ابلا كانت او بغالا أو حميرا ،بدوابة : لعلها من الدأب وهو التعب والسوق الشديد يزوى : من زوى بمعنى عاب ،نعيبها : من النعب وهو سير الابل او ضرب من سيره ،(الفيروز ابادى باب الباء فصل الدال والنون ،باب الجيم فصل النون باب السين فصل الخاء والعين ،وعن الأبيات : عبد الله الحاتم ،خيار ١/٢٢٤).

(١) محمد مبروك نافع: مرجع سابق ٢٩ ،محمد بيومى مهران من ١٢٩ - ١٣٢ وقد حاول ان يحقق فى كون نجد هى مصدر الخيول الاصيلة ولكنه لم يصل الى رأى قاطع.

(٢) حسن الريكى ١٨١.

(٣) أحمد السباعى : مقال عن الخيل فى المجلة العربية ،جمادى الثانية ١٤٠١هـ ص ٢١ ،٢٢ ،حمد الجاسر الخيل عند العرب ،مقالات نشرت فى مجلة الحرس الوطنى س ٢ ع ٦ شوال ١٤٠١هـ ص ٨ ، س ٢ع٧ ١٤٠٢هـ ص ١٢ ،س ٢ ع ٨ ربيع الثانى ١٤٠٢هـ ص ٨.

ولما للخيل من دور رئيسي في الحروب والغزوات لخفتها وسرعتها أكثر من بروزها في حمل الأثقال، والقدرة على السير في مفاوز الرمال، فقد اشتهرت بكثرتها لدى بدو نجد أكثر من حضرهم لاختلاف الحياة الاجتماعية بين الطرفين، ولقلة الغزات لدى الحاضرة، ولهذا كان تعدادها يدخل ضمن مفاخر القبائل البدوية اذ أن امتلاك خيول أصيلة بين النجديين هو رمز القوة، وكثرتها من أبرز العوامل في تحول القوى السياسية بين القبائل والبلدان النجدية.(١) الا أن ذلك لايعني عدم اشتهارها عند الحضر اذ تكثر عند امراء البلدان والوجهاء وتستخدم في الدفاع والغزو.

ولقد كانت الخيول النجدية تصدر الى مناطق مختلفة سواء كانت مجاورة كدول الخليج والحجاز والعراق أو غير مجاورة كالهند اذ كان سوق الخيل في بمباى أهم مركز لبيعها، وكانت الخيول النجدية كذلك من أهم صادرات الشركة الانكليزية " شركة الهند الشرقية " الى الهند وذلك عن طريق ميناء البصرة أو مسقط ومن ثم الى دول أوربا وخاصة بريطانيا في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي(٢)، الا أن انصراف التجار في سوق الخيل في بمباى عن شراء الخيول النجدية بعد أن كانوا من أكبر عملاء نجد فيها قد حد من الاتجار بها بعض الشئ، ولعلهم اكتفوا بما لديهم منها للتناسل ومن ثم قل الطلب على هذه الخيول فوجهوا بذلك ضربة قاضية ضد الفكرة التي كانت سائدة بأنه لا يوجد خيول عربية أصيلة الا في نجد والتي كانت تعد مجالا تجاريا مربحا للنجديين.(٣)

---

(١) عدد الشيخ البسام في كتابه " دور المفاخر" خيول قبائل نجد ضمن مفاخرها من ص ٩٢ - ١٠٥، كما ذكرت الليدى آن بلانت في كتابها رحلة الى بلاد نجد" مشاهداتها عن الخيل في نجد من ص ٢٦٧ - ٢٨٨ وهما ان كتبا ذلك بعد فترة هذه الرسالة الا انهما يعطيان تصورا عن وضع الخيل في نجد قبلها، وانظر مجلة الدارة العدد السابق ص ١٨، ١٩

(٢) *Dr. M. Al- Thenyan History Writing in Negd p. 7, 8*

وانظر د. عبد الامير الامين: المصالح البريطانية في الخليج ترجمة هاشم كاظم لازم مراجعة مكي حبيب المؤمن مطبعة الارشاد بغداد نشر مركز دراسات الخليج العربي، البصرة ١٣٩٧هـ تحت رقم ١٤ ص٢١ وقد ذكر حسن الريكي في اللمع ان خيول نجد كانت تجلب على سوريا لانها مرغوبة عند أهلها لشدة عدوها (ص ١٨٣).

(٣) محمد مبروك : المرجع السابق ص ٢٩

وعلى أى حال فقد نظر النجديون الى الخيول على أنها تعتبر مصدر عز وقوة وجاه، وامكانية لتحول سياسى بدوى أو حضرى، ويمكن اعتبارها كذلك مصدرا رئيسا من مصادر الحياة الاقتصادية عن طريق الكسب منها فى الاغارة والقتال كالكسب من ضرب الأرض فى الزراعة، ومن هنا جاء المثل النجدى " الرزق تحت العجاجتين : عجاجة الخيل وعجاجة المسحاة"(١) مصورا لهذه النظرة الاقتصادية نحو الخيول ولمدى حب النجديين المفرط لها، هذا الحب المستمد من محبة العربى قديما للخيل هذه المحبة التى غذاها الاسلام.(٢)

وهناك من الحيوانات غير الابل والخيل مما كانت تؤدى أدوارا اقتصادية مهمة فى المجتمع النجدى آنذاك فالبقرة " أم اللبن والزبد " كانت تقوم بأعمال ذات فائدة جيدة فى المجال الزراعى حيث يحرث عليها الفلاح أرضه ويدرس زرعه قبل هذا وذاك تقوم بنزح الماء من الآبار وعبر السوانى اضافة اليها تمنحه من الألبان ومشتقاته وخاصة الدهون، هذه الفوائد مع غيرها جعلت الأبقار أثيرة لدى حاضرة نجد وخصوصا المزراعين منهم حيث لا تخلوا مزارعهم من عدد من الأبقار يستفيدون منها من وجوه عدة صور بعضها

---

(١) عجت الريح : اشتدت فأثارت الغبار، المسحاة : هى آلة جرف التربة، فصيحة قال فى القاموس: سحا الطين يسحبه ويسمده ويسحاه سحيا ويجرفه والمسحاة ماسحى به (الفيروزأبادى باب الجيم فصل العين وباب الواو والياء فصل السين وعن المثل: العبودى الامثال ٢/ ٥٨٩ مثل رقم ٩٣٠).

(٢) ذكر الله الخيل فى القرآن خمس مرات مشيرا الى فوائدها الاقتصادية والحربية(آل عمران آية ١٤، الانفال آية ٦٠، النحل آية ٨ الحشر آية ٦، الاسراء آية ٦٤) كما اطلقت احدى صفات الخيل وهى العدو بسرعة على احدى سور القرآن وهى العاديات، اما الاحاديث فقد ذكرت الخيل فى مواطن كثيرة لعل ابرزها قوله صلى الله عليه وسلم فى روايات عدة " الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة الأجر والمغنم، متفق عليه. (فتح البارى ٦٠٣/١ صحيح مسلم بشرح النووى ١٣/ ١٦-١٨).

المثل النجدى عن البقرة " تجر رشاك وتدهن عشاك"[١].

وتنتشر الأغنام ضأنا وماعزا فى منطقة نجد وتلقى تربيتها الاهتمام من أهلها بادية وحاضرة وان كان هذا الاهتمام لا يرقى الى درجة الاهتمام برعى الابل وتربية الخيول اذ كانت صفة الشاوى " راعى الشاة " ينظر اليهما نظرة احتقار بين فئة لا يستهان بها من البدو وقد يصل ذلك الى عدم الزواج من الشاوى ، ولعل ذلك راجع الى الاعتقاد لدى هذه الفئة بان الشاوى رجل بخيل وغير متصف بالشجاعة التى يتصف بها رعاة الابل ومربى الخيول[٢]. هذا الاعتقاد الذى حدا بهذه البدوية أن تسخر من زاج ابنتها باحد الشواوى الذى تم بغير رضاها حيث تقول :

يا جيزة الشاوى عليه بلاوى [٣] .·. اللى ليا شد التوى فى صميله

---

(١) الرشا ككساء الحبل وارشى الدلو جعل له رشاء وهو عند النجديين لا يطلق على الحبل عامة بل يطلق على الحبل الخاص بنزع الماء من البئر (الفيروزابادى باب الواو والياء فصل الراء ،عن المثل :العبودى الأمثال ١/ ٢٧٣ ، ٣٠١ مثل رقم ٤٠٢ ، ٤٠٨) .

(٢) الشاوى بهذا المعنى فصيحة. قال فى القاموس " الشوى والشية كعدة الشاء والشاوى صاحبه (٢ ، ٤ / ٣٥٠) وتجمع على شواوى / ويبدو أن هذه النظرة تجاه الشاوى قديمة فى العرب يؤكدها الحديث الذى رواه عمر بن الخطاب وابو هريرة رضى الله عنهما حينما سأل جبريل رسول الله (ص) عن امارات الساعة قال (صلى الله عليه وسلم) ان تلد الامرأة ربتها وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان " الحديث متفق عليه قال فى دليل الفالحين ١/ ٢٢٣ " وخص مطلق الرعاة لانهم اضعف الناس ، ورعاء الشاء اضعف الرعاء عن الحديث وشرحه (ابن حجر فتح البارى ١/ ١٩٢ - ٢٠٧ ، ١٨ / ١٢٨ ، ١٢٩ ،النووى شرح صحيح مسلم ١/ ١٥٧ - ١٦٦ محمد بن علان الصديقى : دليل الفالحين ط دار الفكر نشر مكتبة الرياض الحديثة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ / ٢١٥ - ٢٢٦) .

(٣) جيزة وجوازة : تصحيف نجدى من زواج ،عليه : على ،اللى : الذى ليا واليا : اذا ،شد : ارتحل ،التوى : تمنطق ،الصميل : قربة الماء أو سقاء اللبن وغالبا تطلق على السقاء ، واللفظة فصيحة قال فى القاموس والتاج باب اللام فصل الصاد : " والصمل والصميل اليابس أو السقاء اليابس" ، وفى الشطر الثانى كناية عن البخل . ابن رداس :

ونظرا لأن الأغنام لا تصبر على الجوع والعطش كصبر الابل فقد كان النجدى يدرك هذه الناحية فلا يرعاها الا قرب موارد المياه ، واذا قلت هذه الموارد أو شح الماء فيها فانه يقدم الاغنام على الابل ولو اضطر أن يسقى الغنم من حليب الابل فى سبيل الحفاظ عليها من الهلاك (١)، وقد صور المثل النجدى : " الغنم أم ليلة " عدم صبر الأغنام على الجوع والعطش بخلاف الابل ، كما صور المثل الآخر " كل شاوى على قليبه " (٢) كثرة تكرار الشاوى بغنمه على موارد المياه واهتمامه بها باعتبارها أحد أركان الثروة الحيوانية التى هى من أسس الحياة الاقتصادية اذ يفيد النجدى بدويا كان أم حضريا من الأغنام ضأنا وماعزا فى مختلف جوانب حياته فمن لحومها يغطى حاجته الأسرية ومستلزماته الاجتماعية ، ومن أصوافها وأشعارها وجلودها بيوتا يستخفها حين يظعن من مكان الى آخر ولا تؤثر على كثرة أثاثه حين الاقامة ، وكذلك يستفيد منها فى صنع أغلب ما يحتاجه من الأثاث كالفرش والأسقية والأغطية وما شابه ذلك ، أما الالبان ومشتقاتها فشرابا ومأكلا وادام ومن مخلفاتها فى أعطانها سمادا عضويا يضفى على الزراعة نماء وازدهارا .

(=) شاعرات من البادية ١٧٤ ، ١٧٥ ، فهد المبارك : من شيم العرب ط (٣) ١٣٠٠هـ / ١٩٨٠م ٢٥٧/٤ - ٢٨٠ حيث اورد هذين البيتين فى قصة كلها ازدراء وتهكم بالشاوى :

موت الفتى دون المعزة والأموال ∴ من فوق قب وارد كالنداوى
فى ساعة يثبت بها عرب الأخوال ∴ ويهرب بها الخايب بناخى الشواوى

(١) فهد المبارك : المرجع السابق ١٧٦/٢ - ١٧٨ .

(٢) عن المثلين : محمد العبودى : الأمثال ٩٠٤/٣ ، ١٠٤٢ مثل رقم ١٤٣٤ ، ١٦٥٦ .

أما الحمير فكانت تؤدى فوائد اقتصادية عديدة تتعلق بالزراعة بنقل مايلزمها من سماد وغيره، واحضار المنتجات الزراعية الى الأسواق، كما تقوم بنقل كل مايحتاجه النجدى فى شئون حياته اضافة الى انتقاله هو عليها من مكان الى آخر، ويبدو أن النجديين أحيانا كانوا يستخدمون الحمير فى الدياسة وخاصة من تقل لديه الأبقار، وقد نقل المنقور عن شيخه ابن ذهلان كراهة ذلك لنجاستها الظاهرة كما أثر عن النجديين كذلك استخدام الحمير فى نزح المياه من الآبار للزراعة، وكان يستخدمها فى الأغراض الزراعية الاغنياء والفقراء على حد سواء، الا أنه فى التنقل والأسفار البعيدة يبدو أنها كانت تستخدم من قبل الفقراء ومتوسطى الدخل فقط[(١)].

---

(١) المنقور : الفواكه ١/٢٦، العبودى : الامثال العامية ١/٤٢٧ - ٤٢٩، ٣/٤٣٣، ٨٩٨، عبد الكريم الجهيمان : الأمثال الشعبية ٢/٣١٢، ٣١٣، ٣١٥، د. عبد الله العثيمين، المرجع السابق ص ١٩.

١- الزراعـــة :

تعد الزراعة أساس تحضر الانسان الأول ومن هنا نشأت الحضارات القديمة الى جوار الأنهار العظيمة فى سائر بقاع الدنيا وخاصة تلك التى تتوافر فيها الشروط اللازمة لنجاح الزراعة.

ورغم أن نجدا لا يوجد بها مثل تلك الأنهار العظيمة فقد كانت أراضيها خصبة صالحة للزراعة بوجود تلك الرياض والواحات التى اشتهرت بالخصوبة فضلا عن توافر المياه فى كثير من أقاليمها سواء عن طريق الوديان الكبيرة، أ والمياه الجوفية القريبة المنال التى بعضها على شكل آبار غير عميقة وبعضها على شكل عيون تنبج بالماء من دون أن يتكلف الانسان عناء حفرها أو نزح الماء منها.(١)

وقد يفهم من الحديث الذى ورد فيه :" لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجا(٢) وأنهارا الحديث(٣) " موافقته للفكرة الجغرافية التاريخية التى تقول : ان منطقة نجد والجزيرة العربية عموما كانت أكثر خصبا

---

(١) د. جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ١/١٥٧، ١١٠

(٢) المروج جمع مرج بسكون الراء وفتحها ومن معانيها الأرض الواسعة ذات النبت الكثير (الزبيدى باب الجيم فصل الميم).

(٣) الحديث رواه مسلم فى صحيحه، وأحمد فى مسنده والحاكم والبيهقى فى مجمع الزائد، وقال :" ان رجاله رجال الصحيح" وأورده الألبانى فى الأحاديث الصحيحة، وما ذكرته أعلاه هو جزء من هذا الحديث الذى روى عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب... الحديث" (صحيح مسلم بشرح النووى ٤/٩٧ كتاب الزكاة) وقد رواه الامام أحمد فى موضعين أحدهما باللفظ السابق مع اضافة " وحتى يكثر الهرج قالوا : وما الهرج يارسول الله قال : القتل القتل" وفى الموضع الآخر بلفظ" لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف الا ضلال الطريق وحتى يكثر الهرج ... الحديث" (المسند ٢/ ٣٧٠، ٣٧١، ٤١٧) وقد (=)

ونما وأوفر مياها من الآن ، وأن كثيرا من أودية جزيرة العرب كانت[1] أنهارا فى فترة من الفترات خاصة تلك الأودية الكبيرة فى نجد ، ويبدو أن ذلك نتيجة أن المناخ كان أكثر مطرا من الآن فيما يسمى عند الجغرافيين " العصر المطير" الذى وان كان قد انتهى فى فترة متقدمة قبل الميلاد الا أن بعض آثاره من خصب ووفرة مياه امتدت فترة طويلة بعد ذلك[2].

وقد أشاد عدد من الجغرافيين المسلمين بخصب التربة ووفرة المياه وكثرة وتنوع الأشجار المثمرة وغير المثمرة فى منطقة نجد فى فترة متقدمة قبل الاسلام وبعده[3]، وفضلا عن ذلك فقد قرر عدد من المستشرقين فى حضارة العرب قبل الاسلام[4] أن نجدا كانت فى القرن الأول قبل الهجرة ، والأول الهجرى/ السادس والسابع الميلاديين لا تقل عن أراضى أوربا

(*) أورده الهيثمى باللفظ الأخير الى " ضلال الطريق" (٣٣١/٧) ، وانظر الألبانى ،الأحاديث الصحيحة ١٠/١ .

(١) أخذا من أن العَوْد لا يكون الا لشئ سبق أن كان أو حصل .

(٢) د . جواد على : المرجع السابق ١٥٨/١ - ١٦٢ ، ١٨٠ ، مجلة العرب ج ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ /س ١١/ ص ١٦٠ ، ٢٩٩ .

(٣) ابراهيم بن اسحاق الحربى : المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة تحقيق حمد الجاسر مطبعة المتنبى . بيروت نشر دار اليمامة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م ص ٥٨٦ ، البكرى : مصدر سابق ٦٢٨/٢ ، ٦٢٩ ، ياقوت الحموى : مصدر سابق ٣٦٧/٤ .

(٤) من هؤلاء المستشرقون الألمانى جوزيف هل فى كتابه" الحضارة العربية " الذى ترجمه ابراهيم العدوى ونشرته مكتبة الانجلو المصرية عام ١٩٦٠م والنمساوى لويس موزيل فى كتابه شمال نجد الذى ألحق به بحثا بعنوان " الجفاف المزعوم فى الجزيرة العربية والحركة الاسلامية " وقد ترجمت مجلة العرب جزءا كبيرا من هذا الكتاب وخصت بحث الجفاف فى الاعداد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ من السنة الحادية عشرة من ص ١٥٢ - ١٦٠ ، ٢٨٢ - ٢٩٩ .

المزروعة اليوم بل ربما كانت تبزها خصبا ووفرة مياه فى كثير من بقاعها وأنها كانت ذات أشجار وغابات كثيفة تنتشر على ضفاف وديانها (١).

ورغم أن نجدا قد عرف فيها عدد من الأشجار والنباتات منذ فترة متقدمة الا أنها اشتهرت بزراعة القمح والنخيل ، وما من شك أن ذلك عائد الى حاجة المنطقة اليهما كمصدرين غذائيين مهمين ، فضلا عن تحملهما المناخ النجدى القارس البرد شتاء ، الشديد الحرارة صيفا ومن هنا يمكن ادخال زراعة هذين النوعين فى حقل الزراعة التاريخية اذ عاصرتا الحقب التاريخية التى مرّت على المنطقة الى الوقت الحاضر ، وكان أهل المنطقة يدلون على أهل المناطق الأخرى بوجود هذين العنصرين المهيمن حيث أثر عنهم قولهم :" لا أطيب طعاما من حنطتنا ولا أشد حلاوة من تمرنا (٢) " ورغم مافى هذا القول من مبالغة الا أنه يصوّر اشتهار نجد بزراعة هذين النوعين .

ففى مجال زراعة القمح تشير قصة ثمامة بن أثال الحنفى (٣)

---

(١) محمد مبروك نافع: عصر ماقبل الاسلام ط (٢) مطبعة السعادة مصر ١٩٥٢م ص ٢٢ ، ويمكن بهذه الحقيقة الرد على الذين عللوا أسباب الفتوحات الاسلامية تعليلا اقتصاديا فيما زعموه من حدوث جفاف حاد فى الجزيرة قبيل الاسلام دفع بعض العرب الى الخروج من جزيرتهم ، وقد رد موزل فى البحث السابق على المستشرق الايطالى " كيتانى" الذى كان من أبرز متزعمى هذا الرأى .

(٢) عبد الله بن خميس : الدرعية ٥٨ .

(٣) هو ثمامة بن أثال بن النعمان بن سلمة بن بنى الدول من بنى حنيفة كان أحد زعماء اليمامة ، جئ به فى أحد السرايا فحبس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان قد أراد قتل النبى - ثم أسلم ومدح الرسول عليه الصلاة والسلام ، وثبت على اسلامه فى فى ردة بنى حنيفة وقال أبياتا يسب فيها مسيلمة ومن اتبعه ويحذر بنى حنيفة من متابعته ، واثر هذا على بعض بنى حنيفة فانضم واياهم الى العلاء الحضرمى لقتال مرتدى البحرين ، واستشهد فى ذلك سنة ١٢هـ/٦٣٣م (ابن هشام ٤/٢٥٤ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ابن

(=)

مع القرشيين[1] أن اليمامة - أحد أقاليم نجد الحالية - قد ازدهرت فيها زراعة هذا المحصول وجاوزت فى ذلك حد الاكتفاء الذاتى الى التصدير حيث عد القمح من أبرز صادرات المنطقة الى المناطق المجاورة وغير المجاورة اذ أن هذه القصة تؤكد أن نجدا كانت تموّن مكة بالحبوب وربما التمور كذلك خاصة وان مكة واد غير ذى زرع وتجبى اليها ثمرات كل شئ ولهذا أطلق على منطقة نجد (ريف مكة) وقد دفع ذلك زعماء قريش الى عقد معاهدات اقتصادية مع امراء اليمامة يضمنون بموجبها حصول مكة على القمح ، وفضلا عن ذلك فقد كان لسوق اليمامة أهمية اقتصادية فى امتياز كثير من قبائل العرب من الانتاج الزراعى للمنطقة علاوة على أهميته السياسية والأدبية مثله فى ذلك مثل أسواق العرب الأخرى[2]، وبصفة عامة فقد كانت نجد عموما واليمامة

(=) جرير ٣/٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ابن الاثير ٢/٢٤٩ ، ٢٥١ ، ابن عبد البر: الاستيعاب ١/٢٠٥ - ٢٠٨ ، ابن حجر: الاصابة ١/٢٠٤ ، الزركلى : الاعلام ٢/٨٦) .

(١) فحوى القصة أن ثمامة لما أسلم أراد العمرة فلبى بها فكان أول من دخل مكة ملبيا فأخذته قريش لجرأته وأرادوا قتله فقال قائل منهم دعوه فانكم تحتاجون الى الطعام من اليمامة ، فقالوا له : صبوت ياثمام ؟ فقال : لا والله ولكن اسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة - وفى رواية شئ مما تنتفعون به حتى تتبعوا محمدا عن آخركم - وفى رواية حتى يأذن فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج الى بلاده فمنع قومه من حمل شئ من الطعام الى مكة فكتب أهلها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فطلب منه التخلية بين القرشيين وميرتهم من اليمامة وقد وردت القصة فى كتب الحديث والسيرة والتراجم بصيغ مختلفة وللتفصيل (ابن هشام ٤/٢٨٨ ، ابن عبد البر ١/٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ابن حجر: فتح البارى ١٦/٢١٠ - ٢١٢ ، الاصابة ١/٢٠٤ ، جواد على ٧/٣٨) .

(٢) ابن حجر : الاصابة ١/٢٠٤ ، جواد على ٧/٣٨ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب قبل الاسلام ٢٢٥ ، ابن خميس : المرجع السابق ٣٢ .

على وجه الخصوص تسد حاجة بعض مناطق شبه الجزيرة وغيرها من الحبوب في فترات الازدهار الزراعي فيها اثر هطول الأمطار وزيادة المياه الجوفية.

أما النخلة فقد كانت وماتزال أثيرة لدى العربي عموما والنجدي خاصة حتى لقد أطلق عليها لقب " ملكة أشجار العرب" حيث يحتفظ التمر بمركز ممتاز بين العناصر الغذائية الزراعية لقلة كلفته وسهولة تناوله، وقد ضرب المثل بكثرة نخل اليمامة وجودته، وذكر الجغرافيون المسلمون اشتهارها بأنواع كثيرة من النخل تعد من أحسن الأنواع، فضلا عن أن نخل بعض البلدان النجدية كان مجالا وصفيا لبعض الشعراء العرب لاشتهارها بكثرة التمر وجودة أنواعه.(١)

ومن هنا فقد عدت اليمامة مركزا مهما بين مراكز النخل الرئيسة في جزيرة العرب، ولا أدل على ذلك من أن عددا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ظنوا أن مهاجره عليه الصلاة والسلام اليمامة أو هجر حينما أخبرهم أنه رأى في منامه - ورؤيا الأنبياء حق - أنه يهاجر الى أرض فيها نخل اذ كانتا مع المدينة أهم المناطق التي يكثر فيها غرس النخيل.(٢)

وكما كانت نجد تصدر الحبوب والتمور الى مكة منذ العصر الجاهلي فانها استمرت على ذلك اذ أن الحصول على هذين المصدرين الغذائيين كان من العوامل التي دفعت أشراف الحجاز قبل الدعوة الى القيام بغزوات كثيفة على نجد، وايجاد موطئ قدم لهم فيها.

---

(١) ياقوت ١٩٦/٥، محمد مبروك نافع ٢٨، محمد بيومي مهران: ١٢٥، ١٢٦

(٢) ابن حجر: فتح الباري ٧٩/١٥، ٨٠

ونظرا لأهمية النخلة في كثير من المجالات الغذائية والاقتصادية عموما في المجتمع النجدي، فقد نظر اليها النجديون نظرة اهتمام وعناية كاملة، وتغنى بها شعراؤهم باعتبارها مصدرا للخير والاثراء بما توفره من ظل ظليل وقوت للأسرة، وساهمة في سبيل الخير. والى هذا أشار الشويعر بقوله :

ترى الخير في راسيات الجذوع ∴ الى دلبحن السنين الحطايم
غنين ظليله يطرب مقيله ∴ وسمعك تمتع بصوت الحمايم (١)
توفر حلالك وتفرح عيالك ∴ ويكثر نوالك بيوم الصرايم (٢)

ونجد أن هذا الشاعر في أبيات أخرى يحث على الدفاع عن النخيل باعتبار أهميتها السابقة، وباعتبارها أهم معالم بلد نجدي فالدفاع عنها يعني الدفاع عن ذلك البلد ، فيقول :

---

(١) دلبحن : دلبح حنى ظهره وطأطأ رأسه، والمعنى اذا أتت سني الشدة، الغنين : كثيف الشجر ومنه روضة غناء، المقيل : نوم القيلولة وفي البيت اشارة الى قيام النجديين بالنوم في القيلولة بين النخيل تخفيفا عن شدة الحر، كما فيه اشارة الى كثرة الحمام غير الأهلي في رؤوس النخل، واصدارها هديلا يطرب السامع. عن البيتين : خالد الفرج : ديوان النبط ٤٦/١، محمد سعيد كمال : الأزهار النادية ٣١/٩، عبد الحاتم: خيار مايلتقط ١٦١/١

(٢) نوالك : اعطياتك وصدقاتك، يوم الصرايم : أوان الجداد أو الجذاد وكلها فصيحة، وفي البيت اشارة الى أن النخل مجال للاثراء وادخال الفرحة والسرور على الأولاد وطرق أبواب الخير بما تتيحه من كثرة الأعطيات والصدقات كما قال تعالى :" وآتوا حقه يوم حصاده " الأنعام آية ١٤١، وقد افتى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعدم جواز اغلاق باب البستان وقت الجداد أو الحصاد، وهذا البيت شبيه ببيت عبيد بن ثعلبة التميمي في النخل :

تضمن حاجات العيال وضيفهم ∴ ومهما تضمن من ديونهم تقضي
(ابن قاسم : الدرر ٣٠٩/٤، ٣١٠، الزبيدي : التاج ٣٠٧/٩)
وعن بيت حميدان : الفرج ٤٦/١، كمال ٣١/٩، الحاتم ١٦١/١

أحربوا واضربوا دون حدب الجريد (١) ∴ واذكروا قول حاتم ولا شئ سواه

ولكون النخلة كذلك أهم معالم البلدان النجدية فقد وضعها حميدان مشبها به باعتبار رداءة بعض أنواعها وجودته، فقد شبه بها صنفا من الناس لا خير فيه ويأخذ من المجتمع أكثر مما يعطى، وصنفا يعطى من جهده وطاقته أكثر مما يأخذ من المجتمع، فيقول فى ذلك:

ومنهم هميلينة كبير حوضها ∴ لا هيب لا تثمر ولا فيها ذرا

ومنهم كنه دقيلة قنعه (٢) ∴ دب الليالى حوضها مايحفرا

ويجيد حميدان تصوير مالدى النجديين من حب وود للنخيل قد ترقى الى مستوى حب وود الأولاد مبينا أن النجدى يبذل كل مايستطيع من جهد وقوة ومال فى سبيل أن تقوم النخلة قواما جيدا، ويخاطب حميدان فى هذه الأبيات نخيله فى القصب كما يخاطب الحبيب حبيبه الذى حيل بينه وبين وصاله، وكما يخاطب الأب ابنه الذى اغترب عنه، مضفيا عليهن صفة العقلانية وفى هذا تصوير بيانى رائع اذ صورهن وهن يرفعن أصواتهن بالبكاء، والدموع تنسكب من عسبهن عندما حيل بينهن وبين من كان يتعهدهن بالسقى من

---

(١) أحربوا : عامية من حاربوا، حدب الجريد : المقصود بها النخل لأن عسبها محدبة، وخوصها محدب كذلك. الفرج ١/ ٤٤، كمال ٩/ ٢٩، الحاتم ١/ ١٦٥.

(٢) الهميلينة : جمعها هماليل وهمالين وهى الضعيفة من كل شئ، والمقصود بها هنا نوع من النخل ضعيف القوام لا يثمر الا نادرا واذا أثمر فلا يمكن أكله، ذرا : ستر وظل، دقيلة : تصغير دقلة، وتطلق على أردأ أنواع النخل أو غير المعروف جنسها كالنبتة، القنعة: أحد الاطلاقات النجدية على الباذنجان (المعربة وفصيحها الأنب)، ولعلهم شبهوها بالباذنجان لكبر ثمرها وقلة مؤنتها، ولعلها المعروفة فى القصيم "بيد جانة" (الفيروز والزبيدى: باب الباء فصل القاف والهاء، العبودى : بلاد القصيم ١/ ١٠٥) وعن البيتين الفرج ١/ ٣٤، كمال ٩/ ١٩ ويروى الحاتم ١/ ١٥١ البيتين بهذه الصيغة :

ومنهم هميلة كبير حوضها ∴ لاهيب لا تثمر ولا فيها ذرا
ومنهم كنه نخيلة قنعة ∴ فى أمسايها واحويضها مايحفرا

صافى الماء ، وكافة أنواع الخدمة ، محاولا تطمينهن بأنه لايزال وسيظل يكن لهن كل مودة وحب ووفاء ، وأن قسوة الليالى والأيام عليه ، وتحامل أهل بلده عليه ، هو الذى جعله يعزف عن البقاء بجانبهن ، ويهرب مختفيا عن أنظارهم حتى لا يسلموه لابن معمر الذى أهدر دمه مبينا أن رزقه ليس فى بلدة القصب بل عند الله سبحانه يجعله له فى أى بلد ، وقد قال فى ذلك : وما أروع ماقال :

ألا يا انخلات لى على جال عيلهم .·. حدايق غلب شوفهن أيروع
أخذت بهن عامين احيال زوافر .·. من القيظ ماخلن فى أضلوع
فلا يا أنخلات الصدر جضن بالبكا . وهلن ياحدب الجريد ادموع
حلفت صافى الماء فلا أشربنه .·. منى ولا يسقى لهن أجذوع
غلاكن عندى قبل هذا ، وانكرن .·. عليكن الليالى والزمان ايضوع
الى قربن من غيظ الأصحاب عفتهن . لوهن على شط الفرات أشروع
وأنا فى السماء وعدى ورزقى ومطلبى . ماهوب فى صبخا مراغت جوع (١)

وانطلاقا من أهمية هذين العنصرين الزراعيين فى الحياة الغذائية البشرية والحيوانية وغيرهما من الأنواع الزراعية الأخرى كأنواع الأعلاف الزراعية المختلفة التى تشكل مادة رئيسة لازدهار الثروة الحيوانية

---

(١) الجيل والجال : هى ناحية القبر والبئر والجبل والبحر جمعها أجوال وجوال وجوالة وجيلان ، والمقصود بها هنا البئر اذ العيلم معناها : البئر الكثير الماء أو الملحة ولأن أغلب مزارعى نجد كانوا يغرسون النخل ابتداء قرب ناحية البئر "اللزا" والبركة : يروع : فزع وخوف ، والمعنى غلب على رؤيتهن الخوف والفزع ، احيال : أى تامة من حال الحول اذا تم ، والفصيح جمعها على أحوال لانها واوية وليست يائية ، زوافر : جمع زفر ، وزفر ، فصيحة : اخراج النفس واجهاد الجسم ، القيظ ، صميم الصيف من طلوع الثريا الى طلوع سهيل حيث يبدأ بعدها الخريف وفيه فى الجوزاء يبدأ نضج ثمرة النخل حيث تشتد الحرارة والمعنى ظللت عامين كاملين أجهد نفسى فيها فى خدمة هذه النخل وخاصة فترة القيظ حيث استفدت كل قوة

(=)

لدى الحاضرة ، كما تكون متنفسا لأبناء البادية فى فترات المحل والقحط فيقطنون قرب البلدان النجدية مستفيدين من ثرواتها الزراعية فى مجال الرعى ، والاعلاف سواء كان ذلك عن طريق الشراء أم مقابل خدمة يؤدونها للفلاح ، انطلاقا من هذه الأهمية فقد كانت الزراعة عموما تشكل أهم مقومات الحياة الاقتصادية لدى حاضرة نجد بشكل مباشر ، ولدى باديتها بأسلوب غير مباشر ، وكان النجديون يحبونها ويولونها كل عنايتهم مهما اختلفت مكانتهم الاجتماعية واتجاهاتهم الفكرية ، فتجد أغلب أمراء البلدان اهتموا بالزراعة وامتهنوها ولا غرو فى ذلك فكما أنها مصدر للثراء ، فقد كانت هى أساس عمارة البلدان النجدية اذ كان أغلبها عبارة عن مورد ماء ، أو مزرعة صغيرة أو مندثرة ، أو يبدأ فى حفر أول بئر فى موقع يرونه مناسبا للسكنى ثم ماتلبث أن تتكاثر الآبار ، ويكثر الساكنون ، ويملك ماحولها شيئا فشيئا من قبل أفراد قبيلة أول زارع لها ، اضافة الى أن بعض العلماء النجديين نظروا الى الزراعة النظرة نفسها اعتقادا منهم أن خير الناس عيشا هم أولئك الذين يملكون زراعة ينفقون منها على أنفسهم ، وفى سبل الخير ، ولا أدل على ذلك من أن بعض علماء نجد كان مصدر رزقهم الوحيد الزراعة التى كانوا يولونها اهتمامهم ويحرصون على ذكر بعض أخبارها فيما يدونونه من تاريخ ، ولم تكن الزراعة مقتصرة على الأمراء والعلماء بل ان عامة أفراد المجتمع النجدى

(=) تحملتها اضلاعى ، جضن : لعله من الجواظ الذى هو الضجر أو قلة الصبر أو الصياح ، الصدر : لعله يقصد بذلك جال البئر الذى هو صدر البستان ، غلاكن : الغلاء ضد الرخص والمقصود به هنا درجة عالية من الحب ، ايضوع : الأصل يضوع وهى هنا على عادة النجديين بزيادة همزة على أوله توصلا للنطق بالساكن ومعنى يضوع : الضوع : التضرر من شدة البكاء والمعنى الزمان يقسو ويفزع ، الغيظ : أول الغضب أو شدته ، والمعنى مادام أن هذه النخلات قريبة من الأصحاب الذين جفونى وكرهونى فقد عافتهن نفسى ، لوهن اشروع : أى بسقين من شط الفرات ، مابمعنى ليس ، الباء زائدة ، صبخا : محرفة من السبخة بالتحريك والتسكين وهى الأرض ذات النز والملح ، مراغت ، مراغت : الصحيح أن تكون مراغة التى هى مجتمع بعر الشاة والابل ، او الارض كثيرة الغبار ، والمقصود بها هنا أرض القصب بلد الشاعر. لما سبق (الفيروزأبادى باب الخاء فصل (=)

الحضرى كانوا يمتهنونها لافرق فى ذلك بين غنيهم وفقيرهم أو سائر الفئات الاجتماعية فى حرية اجتماعية، واحترام للملكية الفردية، وتعاون بين هذه الفئات الاجتماعية فى سبيل ازدهار هذه الزراعة ونموها وازدهارها.(١)

وكان استثمار الأرض الزراعية يتحكم فيه الوضع الاقتصادى، فأحيانا يقوم مالك الأرض بزراعتها، وان كان لديه أرقاء فانهم يساهمون معه فى زراعتها، وأحيانا يستأجر من يقوم بزراعتها، أو يؤجرها الى شخص يتولاها غرسا ومساقاة، أو يتفق مع شخص آخر على رعاية مزرعته وتنميتها بقسم معين من ثمرتها.(٢) الذى غالبا مايقتصر على القمح والتمر والأعلاف وذلك حسب المشهور من مذهب الامام أحمد بن حنبل فى الاجارة، والمساقاة والمغارسة والمزارعة، وقد قرر الفقهاء النجديون عددا من الأقضية فى هذه الموضوعات على ما أشتهر من المذهب الحنلى، وعلى مايفرضه الواقع الاجتماعى الزراعى لمنطقة نجد فى تلك الفترة انطلاقا من مبدأ يجد للناس من الأقضية مايجد لهم من القضايا"، وقد حفلت تقريرات العلماء هذه بالعديد من المسائل الفقهية التى نظمت الحياة الزراعية النجدية بين مالكى

(-) فصل السين، باب الراء فصل الزاى، وعن الأبيات : خالد الخاتم خيار ١/ ١٤٠، عبد المحسن أبابطين : المجموعة البهية ٦٥).

(١) المنقور : الفواكه ١/ ٦١، ٣٩٥، ٢/ ٣٧٣، التاريخ : ١٨، ١٩، ٦٩، ٧٣، ٧٦، ٧٧، ابن ربيعة: ٨٠، ٨٢، ٨٧، ابن حميد ورقة ٦٣، ١٥٣، ابن عيسى ٣١، ٣٢، ٣٥، ٣٦، ٥٢، د. عبدالله العثيمين : الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى نجد منذ القرن العاشر الهجرى حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجلة الدارة شوال ١٣٩٧هـ ع/ ٣ / س ٣/ ص ١٤، ١٥، ١٧

(٢) د. العثيمين : المرجع السابق ١٧

الأرض ، وبين مستأجريها ، وفلاحيها من جهة ، وبينهم وبين جيرانهم من جهة ثانية " وبين عموم المزارعين ومصالح المجتمع من جهة ثالثة تنظيما يقف المطلع على تفاصيله منها موقف الاعجاب والتقدير.(١)

وكانت تجابه المزارعين مشكلات متعددة ، فبالاضافة الى الظروف المناخية التى كانت تقسو عليهم أحيانا كما مر كانت هناك مشكلات من ناحية وفرة المياه وقلتها ، وأسلوب الرى الزراعى الا أن هذه المشكلات ليست عامة لمنطقة نجد ، فتوجد أقاليم منها لا تحس بهذه المشكلات تقريبا لسهولة الرى فيها ووفرة المياه وتفجرها على وجه الأرض بينما تعانى أقاليم أخرى من شح المياه وندرتها ندرة قد تصل الى حد الجفاف الذى يدفعهم الى الرحيل عن بلدانهم ، أما بعض الأقاليم فانها وان كانت لا تعانى من قلة المياه الجوفية فان استخراجها من باطن الأرض يمثل مشكلة رئيسة اذ قد تعدم الحيوان القادر على نزح المياه من الآبار اما لضعفه أو قلته فى بعض الأحيان ، أو عدم وجود يد عاملة تشرف على خط سير هذه الحيوانات فى منطقة نزح المياه ، أو عدم القدرة على توفيرها مع وجودها(٢) وتشير بعض الفتاوى الى أنه يحدث أحيانا خلافات بين مالك الأرض والفلاح حول بعض المشكلات التى تستتبع نفاد المياه من الآبار ، وأن على المالك للحفر حتى

---

(١) المنقور: الفواكه ١٠٩٨/١٥٦ - ١٥٨، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٢٨، ٣٣٤ - ٣٦٩، ٣٧٤ - ٣٧٦، ٣٨٩ - ٣٩٢، ٣٩٥، ٤٠٠ - ٤٠٦،
وقد فصّل فيها عددا من الأحكام فى هذه المسائل التى جلبها من الواقع النجدى .

(٢) الدارة : العدد السابق ص ١٨
DR. M. Then Al- Thenyan p. 1 , 2
د . العثيمين ، المرجع السابق ص ١٨

حتى يجد الماء ليلزم الفلاح السقى منها ولو أدى ذلك الى النفاد الى بحث المالك عن الماء عن طريق بئر أخرى أو حفر الجب وهو مايعرف بلهجة أهـــل نجد " بالجبـو "(١) الا أن للفلاح الفرق بين كلفة النزحين(٢).

كما ذكرت احدى الفتاوى أنه اذا كثرت السيول فأغنت عن العمل لـم ينقص نصيب العامل مما كان مشروطا عليه بينه وبين مالك الأرض، الا ان كـان مشروطا عليه أدوار معلومة فانه يلزمه سقيها من غير حساب سقى المطر لهـا(٣)، وقد نظمت بعض الفتاوى كذلك بعض أساليب الرى بين مصلحة الفلاح والمصلحة العامة كاضطرار الفلاح مد منطقة نزح المياه من الآبار " المنحاة " الى الشارع ومد ساق عبر الشارع بأن ذلك لا بأس به اذا أذن الامام ولم يحصل للمجتمـع ضرر منهـا(٤).

وتتعرض الحياة الزراعية كذلك لعدد من الآفات كغزو الجراد والدبـا " صغار الجراد" وتخريبها للمحاصيل ، كما تتعرض لغزو جيوش الأعداء واللصوص الذين يتحينون فرصة الاثمار، وزهو المحاصيل فيغيرون على غرة ناهبين هـذه الثمار والمحاصيل(٥). اضافة الى تعرض المحاصيل للأمراض والمؤثرات المناخيـة من عواصف وأمطار وبرد وبَـرَد .

---

(١) الجب : بالفتح نقير يجتمع فيه الماء، والجب بالضم : البئر أو الكثرة من الماء البعيدة القعر أو التى لم تطفو، أو مما وجد نابعا لا ممـا حفره الناس والمقصود بها لدى النجديين نبع الماء فى البئـــر المحفورة، والذى لم يدخل ضمن الطي (الفيروزابادى باب الباء فصل الجيم

(٢) المنقور : المصدر السابق ١/٩٠٣

(٣) المصدر السابق ١/٣١١

(٤) المصدر السابق ١/٣٦٠

(٥) المنقور : التاريخ ٦٦، الفاخرى : ٨٤، ابن بشـر: ١/٢١٨، ٢٢٠، ٢٣١، ٢٣٨

٤- الحرف اليدوية والمهـن :

من الحقائق الثابتة أن المجتمع النجدى والعربى عموما قديمـا وحديثا ينظر الى كثير من الحرف والمشتغلين بها نظرة ازدراء ، الا أن هـذه النظرة لا ينفرد بها العربى فأغلب شعوب العالم القديمة كانت تنظـر النظرة نفسها لهذه الحرف (١)، وعجيب أمر أصحاب هذه النظرة فهم مـع حاجتهم الماسة لأرباب الحرب - الطبقة المنتجة - الا أنهم يستنكفون القيام بهذه المهن ويحتقرون الممتهنين لها .

ورغم ثبات هذه الحقيقة الا أنه قد وجد فى المجتمع العربى قبـل الاسلام وبعده أفراد يعدون من وجهاء المجتمع وسادته كانوا يقومـون ببعض المهن التى كانت مستنكفة من قطاع عريض من الناس كالجزارة والخياطة والنجارة والحدادة والحجامة وغيرها (٢) مما يشير بأن هذه الحقيقة رغـم ثباتها لا ينبغى أن تعمم على العرب عامة فتلصق بهم الصفة غير الحضاريـة وخاصة بعد مجىء الاسلام الذى شجع العمل والاحتراف وحث على احتـرام أرباب الحرف فى المجتمـع (٣).

---

(١) جواد على : ٧/٥٠٦، ٥٤٤ .

(٢) ممن امتهن الجزارة من وجهاء قريش، الزبير بن العوام، وعمرو بـن العاص، وعامر بن كريز، والوليد بن المغيرة، ومن الخياطين العوام ابن خويلد - أبو الزبير -، وعثمان بن أبى طلحة - صاحب مفتـاح الكعبة - وقيس بن مخرمة، ومن النجارين : عقبة بن أبى وقاص - أخـو سعد - ومن الحدادين : العاص بن هشام - أخو أبى جهل - ومـن الحجامين : الحكم بن أبى العاص، وحريث بن عمرو (عبد اللـه ابن قتيبة : المعارف، تحقيق د . ثروت عكاشة ط(٢) دار المعارف بمصر ص ٥٧٥، ٥٧٦، جواد على ٤/ ١٢٥، ١٢٦) .

(٣) ليس هنا مجال الحديث عن نظرة الاسلام للحرف والمهن اليدويـة ومن أبرز الامثلة فى هذا الصدد حث النبى صلى الله عليه وسلـم على الاحتطاب واجابته دعوات بعض أرباب الحرف وزيارتهم فـى منازلهم وللتفصيل انظر(ابن حجر : فتح البارى ٧/ ٦٦، ٩/ ١٦٨ - ١٧٠، ١٧٦ على بن محمد الخزاعى : تخريج الدلالات السمعية

(=)

وقد كان المجتمع النجدى قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والى وقت قريب يزخر بالكثير من الحرف التى اشتركت فى القيام بها سائر الفئات الاجتماعية فى المنطقة سواء كان أفرادها متضامنين فيما بينهم فى بعض المهن كالأعمال الزراعية والتجارية أو قاموا بها منفردين كل فيما يتفق مع وضعه فى المجتمع ، وتميل اليه نفسه .

ولئن كانت بعض الفئات تستنكف القيام ببعض الحرف التى تمارسها فئات أخرى فانها تمتهن بعض الأعمال التى يحتاجها المجتمع مما أعطاه تكاملا فى حرفة بين فئاته التى تؤدى هذه الأعمال والمهن فى محيط اجتماعى كفل لكل فئة فيه حريتها فى عملها ، واستفادتها من هذا العمل .

وقد أثر عن حضر نجد بفئتيهم الرئيسيتين امتهان كثير من الأعمال والحرف اليدوية حتى بدا هؤلاء وقد كفوا أنفسهم فى بعض مايحتاجونه من هذه الاعمال والحرف الا أنه فى اطار التبادل التجارى الذى كان سائدا داخل نجد وبينها وبين البلدان الأخرى ، فقد كان الحضر النجديون يستفيدون مما تنتجه المهن البدوية والصلبية فضلا عما يستوردونه من انتاج ومصنوعات المناطق الأخرى ومن أبرز الحرف صناعة المنتجات الخوصية (١) التى تتكون من جمع خوص النخل الأخضر وتشكيله بعد سفه على شكل خصاف (٢)

(=) على ماكان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، تحقيق احسان عباس ط (١) دار الغرب الاسلامى : بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ص ٧٠٣ - ٧٤٢ ، جواد على ٥٤٣/٧ ، عبد العزيز العمرى : الحرف والصناعات فى الحجاز فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ط (١) ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، ص ٥٦ - ٦٠) .

(١) الخوص: ورق النخل الواحدة بهاء فصيحة والخوّاص بائع الخوص، وأخوصت النخلة : اخرجت خوصها . (الفيروزابادى : باب الصاد فصل الخاء)

(٢) السف: نسج الخوص فصيح ، والسفة مايسف من الخوص على شكل الزنبيل أو الجلة ، والخصاف : مايعمل من الخوص كالجلة للتمر . ، الفيروزابادى : باب الفاء فصل الخاء والسين) .

حسب الحاجة فخصاف على شكل سجاجيد للصلاة، وحصر للجلوس والنوم، وسفر مدورة لتناول الطعام عليها، وخصاف على شكل مكاتل أو زنابيل[١] ينقل بها التراب وغيره، وأوعية لجنى التمر والرطب من النخل (مخارف[٢])، وأوعية لحفظ التمر بعد الجذاد لبيعه فى الأسواق بخصفه أحيانا وأحيانا بدونها[٣] وأوعية أخرى حسب الحاجة وأغطية لهذه الأوعية حسب حجمها كما أن من هذه المنتجات أدوات تحريك الهواء[٤].

وتأتى بعد ذلك المصنوعات الجلدية بعد دبغها وتشكيلها عن طريق الخرازة حسب الحاجة كالقرب، والأسقية والعكك، والأحذية المحلية الصيفية والشتوية " الزرابيل[٥] " حيث كانت الى وقت قريب تفى بحاجة

---

(١) المكتل والزنبيل أو الزبيل كلها فصيحة. (الفيروزابادى : باب اللام فصل الزاى والكاف، والزنبيل جمعه زبلان (٣ / ٣٨٨) .

(٢) مخرف كمنبر زنبيل صغير يخترف فيه اطايب الرطب، وخرف الثمار خرفا ومخرفا وخرافا : جناه كاخترفه، وفلان لقط له الثمر : الفيرزابادى باب الفاء فصل الخاء)، ولم اجد للفظة " المطحن " التى تدل على المعنى نفسه فى بعض مناطق نجد أى اصل فيما بين يدى من كتب اللغة ولعل ابتداء استعمالها لوضع الطحين فيها .

(٣) المنقور : الفواكه ١/٣٤٩.

(٤) هى مايرف بنجد وشرق شبه الجزيرة والعراق بالمهاف جمعه مهفّة لانها اذا حركتها اليد تحدث هواء هفافا أى هادئا وهى فصيحة الفيروزابادى باب الفاء فصل الهاء العبودى :الامثال العامة ١/١٠٨، ١٠٩) وانظر عبد الرحمن السويداء : " نجد فى الأمس القريب ط (١) دار العلوم . الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص ١٥٠ - ١٥٢).

(٥) الزرابيل : جمع زربول قال فى التاج (باب النون فصل الزاى) الزربون والزربول هو مايلبس فى الرجل مولده، وهى فى نجد كما فى بعض البلدان أحذية أو خفاف شتوية واشار الشيخ احمد رضا نقلا عن شفاء الغليل انها عامية مبتذلة وان العامة تنطقها أحيانا " زربون" وهذا النطق غير معروف لدى النجديين كما أعلم أو اللبنانيين كما ذكر احمد رضا ويجعل لها فى نجد ساقان من الصوف المنسوج باليد وعــــرى يربط بعضها ببعض، وقال الشاعر:

مرنى بصفع الأعدا اذا اضطربوا .·. من حسد اليوم بالزرابيل

(=)

المنطقة من هذه المصنوعات، وكان لقوة المادة الجلدية في الربط والشد ماجعلهم يستفيدون من الجلود على شكل سيور من القد[1] يستخدمونها في ربط الأمتعة، وشد مايحتاج الى شد من المصنوعات الخشبية كالقتب[2] ونحوها اضافة الى دخولها في تركيب المصنوعات الجلدية السالفة، ولم تشر المصادر الى استنكاف هذه الفئة من مهنة السف والخرازة مما يدل على امتهانها لهاتين الحرفتين وان كان لا يمنع من ذلك مشاركة الفئات الأخرى لها فيهما.

وهذه المهنة تعتمد على مهنة أخرى وهي الدباغة وذلك لتوفير الجلد الصالح للتشكيل المطلوب بأن يدفع الخراز الجلد للدباغ ويستأجره على دباغته مشارطة أو مقاطعة أو باليوم أو الشهر أو السنة أو بالجلد ولأهمية هذه المهنة وكثرة الممتهنين لها وشح المياه فقد سأل ابن عطوة شيخه عن الخراز الذي يمص السيور ويضعها في فمه لتلين من ريقه هل يفطر؟ فأجابه بأنه لا يفطر اذا بصق ريقه.[3]

(=) (الفيروزابادي باب النون فصل الزاي ،عثمان بن قائد : هداية الراغب ص ٥٣ ،أحمد رضا : قاموس رد العامي الى الفصيح ص ٢٢٦ ؛
وببدو أن هذا الاسم غير معروف في مصر فان الدكتور أحمد عزت عبد الكريم حينما حقق كتاب (حوادث دمشق اليومية) ووردت لفظة زرابيل في المتن قال في الحاشية:لعلها سرابيل (ص ٢٠٦ هامش ٣)

(١) السيور : جمع سيرفصيحةوالقد السير من الجلد (الفيروزابادي باب الدال فصل القاف وباب الراء فصل السين)

(٢) القتب : فصيحة. قال في القاموس:" جميع أداة السانية، وماستدار من البطن والأكاف الصغيرة على قدر سنام البعير والجمع أقتاب (المصدر السابق باب الباء فصل القاف)

(٣) المنقور: الفواكه ١/ ١٦٤، ١٦٥، ٣٤٠، السويداء : المرجع السابق ١٤٥ - ١٤٧، ١٥٢ - ١٥٤.

وكان الاشتغال بالطين الذى هو أساس بناء البيوت الحضرية يشكل حرفة أساسية فى المجتمع النجدى الحضرى تلقى التقدير، ومن يزاولها يلقى كل احترام ومودة سواء من كان يعد المواد الاساسية للبناء وهو الملبن(١) الذى يعد لبن الطين على شكل مربعات يضعها فى مربع من الخشب تتشكل فيه حتى اذا يبست رفعت للبناء، وكان يتم بيعها اما بالعدد أو الجزاف، أم من يقوم بعملية البناء نفسها وهو المعلم(٢) الذى يعامل باحترام أكثر من غيره، أو من يقوم بتجهيز المواد الطينية اللازمة لشد البناء وتقديمها للمعلم، وقد أشار حميدان الشويعر أن هذه الحرفة مع الزراعة تشكلان مصدرين اقتصاديين فى المجتمع النجدى الحضرى كفيلتين باثراء من يمتهنهما فى أقصر وقت ممكن، وأن من يزاولهما معا أو أحداهما جدير بالتقدير والاحترام من كافة أفراد المجتمع، وهذا ماكان يقابل به المجتمع من كان يمارسهما، بل ان من يرى وفى يده طين يكرم على أساس أنه يساهم فى تشييد المنازل التى هى عماد الحياة الحضرية، يقول حميدان فى هذا :

الى جاك الولد بيديه طين ∴ وله غرس يدفّن فى جفاره

ترى هذاك ماياخذ زمان ∴ والى هو جامع عنده تجاره

وبالمقارنة فى البيتين التاليين :

---

(١) اللِبْن، واللَّبِن، والمُلَبِّن والتلبين كلها فصيحة قال فى القاموس: اللبن ككتف المضروب من الطين مربعا للبناء ويقال فيه بالكسر وبكسرتين كابل، لغة ولبّن تلبينا اتخذه، والملبن كمنبر: قالب اللبن "(الفيروزابادى: باب النون فصل اللام).

(٢) هو المعروف نجديا بالستاد تحريفا من الاستاذ : الحاذق فى حرفته أو الرئيس على مجموعته على اساس ان المعلم يترأس فريق البنائين، واشار العبودى الى انها فارسية الاصل : (الزبيدى التاج باب الذال فصل الهمزة، العبودى : الامثال ١٤٧٨/٤).

والى جاك الولد زملوق خندق ∴ ومن نوم الصفر غاش صفاره
فحاذر يا أديب تحط عنده ∴ لك بنت تموت بوسط داره (١)

يتبين لنا مدى التقدير الذى يوليه المجتمع لهذه الحرفة ومن يمتهنها وخاصة الشباب مما يستلزم معه تلبية مطالب هؤلاء الشباب العاملين وتهيئة أسباب الاستقرار لهم بأنهم ان خطبوا فهم جديرون أن ينكحوا . اذ أن الموافقة على التزويج أوضح مظاهر التكريم، كما يتبين لنا مدى حب النجديين للعمل وتقديرهم لمن يمارسه مؤديا دوره فى هذا المجتمع.

وتعتبر الجمالة وهي : نقل الأفراد والبضائع بين البلدان والمناطق النجدين وبين نجد وما جاورها من البلدان على ظهور الابل ، مهنة رئيسية من مهن الأغنياء ومتوسطى الحال من هذه الفئة الذين كانوا ينقلون بواسطتها الحطب والأعلاف البرية والزراعية ، كما تعتبر مصدرا اقتصاديا لقسم كبير من النجديين آنذاك ، وكانت تشكل مع التجارة والعمل بالزراعة والمهن والأعمال اليدوية الثالث الاقتصادى للمنطقة فى تلك الفترة ، والمصدر الثرى لجمع المال اذ أن من يمتهن الجمالة ، أو التجارة ، أو العمل بأى مهنة لا يلبث أن يجمع رصيدا من المال ، بل يبدو أن الجمالة هى أضمنها

---

(١) الى جاك : اذا جاءك ، وله غرس : المقصود به النخل حيث يحفر له حفرا يغرس فيها ، زملوق خندق : الزملوق : المقصود به نجديا ساق النبات أو النبات الدقيق ، كما تعنى مجتمعه مع الخندق الولد الذى لا خير فيه لنفسه ، وأهله ، ولم أجد لها اصلا فيما بين يدى من كتب اللغة الا أن تكون محرفة من الدملوق الذى هو نبتة أصغر من العرجون يكون فى الرمل والروض كما ذكر ذلك الفيروزابادى ، أو تكون محرفة من الخندقوق التى هى بقلة يقال لها الذرق وتطلق على الرجل الكل الطويل المضطرب الاحمق (الفيروز ابادى باب القاف فصل الخاء والزاى) وعن الابيات : خالد الفرج ديوان النبط ٤٨/١ ، محمد سعيد كمال : الأزهار النادية ٣٢/٩ .

للاثراء لحاجة المجتمع اليها ، ولأن التجارة معرضة للخسارة ،بينما لا تتعرض الجمالة لتلك المخاطر الاقتصادية وكل ماعلى الجمّال فعله الاعتناء بابله وحسن التعامل مع الزبائن وفاء بمواعيد الرحيل وأمانة فى الاستلام والتسليم لما قد يرسل معه من منطقة الى أخرى . وقد أشار حميدان اليها فى البداية حيث قدمها على التجارة والعمل حيث يقول :

وبالناس من يجمع حلال يدفنه [١] .'. بجمالته وتجارته واكداده .

وكانت الجمّالة تقوم بدور رئيسى فى تجارة القوافل فيما بين نجد والأقطار المجاورة وغيرها ، وكانت العقيلات [٢] أو عقيل هى المثل الواضح على هذا الدور الذى كان يعتمد عليه كافة تجار نجد فى نقل بضائعهم

---

(١) الحلال : المقصود به المال النقدى هنا ،وان كان يطلق نجديا على كل مال نقدى أو عينى منقول او ثابت كالعقاروالحيوان وغيرها وعن البيت خالد الفرج المرجع السابق ٢٧/١ ، محمد سعيد كمال : المرجع السابق ١٣/٩ .

(٢) عقيل بالتصغير او العقيلات هم جماعة من التجار وناقلى التجارة النجديين وكان اول مابدأوا يتاجرون به الماشية من نجد الى الشام ومصر والعراق وكان لهم وخاصة فى العراق - أدوارا رئيسية فى الحياة الاجتماعية والسياسية وخاصة فى جنوبه وكان جانب الكرخ من بغداد يسمى صوب عقيل أى جانب عقيل ، وهو حى لا تزال أطلاله باقية الى الآن وقد شاهدته فى رحلتى العلمية للعراق ، وكانت عقيل تسكنه ، والذى يبدو أنهم سموا عقيلا على أساس أن بنى عقيل الذين هم من بنى عامر بن صعصعة كانوا فى القديم هم الذين يترددون الى هذه الاقطار ، ثم خلفهم عليها بعض الحضر النجديين فسموا باسمهم اجراء لهم مجرى اسم بنى عقيل ، وكانت تطلق على عامة النجديين ويبدو انها انحصرت فى الاخير على تجار وناقلى التجارة من منطقة القصيم ، لاستمرارهم فى هذه المهنة الى وقت قريب - للتفصيل : (فهد المارك ، من شيم العرب ٤٢/٤ ، محمد العبودى : الأمثال العامية ٢٨١/١ ، ٢٨٢ ، ٨٤٤/٢ - ٨٤٦) .

فيها بين نجد وتلك الأقطار، وهذا النوع من التجارة كان يعتبر مظهرا من المظاهر الهامة للحياة الاقتصادية لسكان المنطقة حيث كان رغم ما يتعرض له من بعض المخاطر كقطع الطريق والاضطرابات داخل البلدان النجدية، والبلدان المجاورة لها عامل جذب لكثير من النجديين ممن يعدون من الفئات العليا في المجتمع آنذاك.(١)

وقد أشار النص الفقهي الذي سبق ذكره والذي نقله المنقور عن شيخه ابن ذهلان الى عدد من المهن كالكلافة أو العمالة، والحشاشة والحطابة، ويقوم بعض النجديين بهاتين المهنتين مجتمعتين ويسمى في هذه الحالة قرّاشا والمهنة قراشة، كما أن الرياسة والدباسة والذراية والحصاد والعناية بالنخيل " الشمالة أو الولاية " كلها مهن كانت تسير كثيرا من مجالات الحياة العامة وتتوقف على استمرارها بقاء واستمرار عدد من المهن الأخرى، وهذا ما دفع بالشيخ ابن ذهلان الى تخصيص أصحاب هذه المهن بجواز الفطر اذا لحقهم ضرر من ذلك كما مر.(٢)

---

(١) Dr. M. Thenyan . p. 8 , 9 وعن أقسام الجمالة: السويداء المرجع السابق ١٣٣ - ١٣٥.

(٢) المنقور: الفواكه ٢ / ٧٣ وقد سبق التعريف بهذه المهن عند عرض هذا النص الفقهي في الفصل الثاني من الباب الثاني، أما القراشة ففصيحة قال في القاموس (باب الشين فصل القاف): " قرشه يقرشه بالضم والكسر قطعة وجمعه، ومنه قريش لتجمعهم حول الحرم، والقروش كجرول مايجمع، والتقريش: الاكتساب، والمقرّشة: المحل لاجتماع الناس فيه، وتقرشوا: تجمعوا" ويجمع القراش على قراريش والتصغير قريرش وجمعه قريرشة وغالبا ما يأتي مصغرا مفردا كان أو جمعا تعبيرا عن ضعف هذه المهنة واحتقارا لها لقلة دخلها اذ أن القراريش يعدون من الفقراء في المجتمع، ولفقرهم فهم يحملون مايجمعونه على ظهورهم أو رؤوسهم، وقد وردت اشارتان عن هذه المهنة في بيتين لحميدان الشويعر: (خالد الفرج: مرجع سابق ١/ ١٩، ٦٤).

وتعتبر النجارة احدى الحرف اليدوية التى لها أهمية بالغة لتسيير دفة الحياة الاجتماعية فى سائر حاجات المجتمع الخشبية المتنوعة الأشكال وهى حرفة أصيلة فى المجتمع النجدى تمتد خدماتها لعموم فئات وأفراد المجتمع كالبدو والحضر، التجار والزراع وغيرهم.

كما أن الحدادة احدى الحرف التى كان يجيدها بعض حضر نجد ولا يستغنى عن أعمالها المجتمع بأسره سواء فى وقت السلم أم فى وقت الحرب وهذا ماجعل لهذه الحرفة أهمية كبيرة يلقى ممتهنها تقديرا لابأس به من سائر فئات المجتمع.

وليس هناك مجال العرض التفصيلى لأعمال هاتين الحرفتين فمما توفره النجارة الأبواب والنوافذ والصناديق وسائر أدوات الزراعة وركوب الحيوان والأدوات المنزلية وغيرها ، والحدادة توفر الأوانى المنزلية صناعة وصيانة، وكذلك الأسلحة والسلاسل والمفاتيح الحديدية وغيرها (١).

وتعد الصياغة حرفة من أهم الحرف فى المجتمع النجدى فعن طريقها يتم تشكيل خامات عدد من المعادن النفيسة الى حلي ومقابض للسيوف وغير ذلك.

ورغم أن الذهب والفضة هما أبرز المعادن التى تعتمد عليهما هذه الحرفة الا أن شح الموارد الاقتصادية وغلبة النحاس فى سوق التعامل النقدى وتجارة المعادن كما سيأتى كل ذلك جعل النحاس يتغلب على هذين المعدنين النفيسين فى تلك الفترة سواء بتشكيل الحلى منه وهو لازال خاما أم بتحويل بعض النقود النحاسية الى سائر متطلبات الصياغة (٢).

---

(١) السويداء : مرجع سابق ١٣٥ - ١٤١.

(٢) عن هذه الحرفة وأعمالها أنظر عبد الرحمن السويداء : مرجع سابق ١٤٣ - ١٤٥.

ولما كان تحويل بعض النقود الذهبية والفضية والنحاسية الى سائر تشكيلات الصياغة عملا يقوم به الصاغة فى كل وقت فقد أثر عن الصاغة النجديين فى تلك الفترة تحويل عدد من النقود الى حلى ، فالمشخص والأحمر والمطبق وغيرها من العملات كما سيأتى كانت تدخل فى مجال الحلى عبر مراحل السك التى تمر بها سواء كانت ذهبا أم فضة أم نحاسا عن طريق تصرف الصاغة فيها بتحويلها من النقود الى المجوهرات.(١)

أما الجزارة أو القصابة(٢) فهى مهنة أصيلة فى المجتمع النجدى يتم عن طريقها توفير اللحوم اما بالموازين المستعملة فى تلك الفترة أو قسمتها بغير ميزان ، ويبدو أن القسمة أكثر شيوعا من للوزن أحيانا ، فضلا عن أن هذه الطريقة هى التى كان يفعلها المسلمون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما بعده كذلك ، فقد كانوا ينحرون الجذور ويقسمونها بينهم بغير ميزان ، وربما كانت متأصلة فى مجتمع العرب قبل الاسلام.(٣)

ورغم أهمية هذه المهنة الا أنه نظر لبعض ممتهنيها نظرة ازدراء وحذر لما قد يقوم به بعض هؤلاء من غش وخداع فى توزيع اللحم أو وزنه جودة أو بخسا(٤)

---

(١) سيأتى الحديث عن ذلك فى مبحث العملات المتداولة فى الفصل الثانى من هذا الباب، وقد أورد المنقور فى الفواكه (١/٢٥٣) فتوى نقلها عن الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الشافعى تقول بجواز كسر الأحمر والمطبقة للصياغة اذا أراد بكسره تحويله الى حلى مباح .

(٢) الجزّار والقصاب واللحام كلها ألفاظ فصيحة تعنى الذى يتولى ذبح الحيوان وتوزيعه وبيعه (الفيروزابادى باب الباء فصل القاف، وباب الراء فصل الجيم، الخزاعى : المصدر السابق ٢ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣) .

(٣) المنقور : الفواكه ٢/٣١٥ ، ٣٣٠ ، السويداء ١٥٤ ، ١٥٥

(٤) من الأمثلة على غش بعض القصابين فى تلك الفترة نفخ اللحم بعد الذبح مباشرة وقبل أن تبرد الذبيحة وقد أفتى ابن ذهلان بكراهية ذلك فيما يباع وزنا ، وحرمته فيما يباع جزافا لأنه تدليس (المنقور ٢/٣١٥) .

أو لاستنكاف بعض النجديين من القيام بهذه المهنة ، واحتقار القائمين بها نتيجة لذلك ، ولعل مما يشير الى ذلك عبارة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رده على معارضه سليمان بن سحيم حيث يقول : " ولكن صائر لكم عند خطامة (١) فى معكال : قصاصيب وأشباههم يعتقدون أنكم علماء ، ونداريكم وودنا أن الله يهديكم ويهديهم (٢) ".

وتعد الحياكة والنسيج احدى المهن التى يجيدها بعض البدو والحضر اذ تقوم النساء عند الفريقين بغزل الصوف والشعر والوبر ثم تشكيله الى مختلف الأنواع التى يحتاجها البدوى والحضرى على حد سواء كالبسط والخروج الكبيرة والصغيرة " المزاود " وبيوت الشعر وغير ذلك (٣).

وقد وجدت فى نجد مراكز للنسيج منذ فترة متقدمة قبل الاسلام وبعده ، ومن أشهر هذه المراكز منطقة الوشم عامة وثرمداء بشكل خاص اذ كانت البرد اليمانية وبرد ثرمداء من الأنواع الغالية الثمن ، بل كانت برد ثرمداء تضاهى أحيانا البرد اليمانية فى الجودة ويصور ذلك قول الشاعر :

مابال بردك لم تمسس حواشيه .·. من ثرمداء ولاصنعاء تحبير (٤)

---

(١) خطامة : الكناسة وخم البيت : كنسه ، وتطلق على أراذل الناس مفردها خطام وهى المقصودة هنا (الزبيدى : باب الميم فصل الخاء)

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب : الرسائل ٢٢٦ ، وقد وردت (خمامة) بلفظ(جماعة) ، اما عند ابن غنام فى الروضة ١٣٨/١ وفى نسخة الأسد ص ٣٢٧ فقد وردت خطامة بلفظها الذى أوردته هنا وهو الذى يتفق مع سياق الكلام ، وانظر ابن قاسم : الدرر ٨/ ٦١ ، ومما يندرج تحت ذلك قول الشيخ فى الرسالة ذاتها :" واذا خلوت مع شياطينك وقصاصيبك فلك كلام آخر" (الرسائل : ٢٢٩ ، ابن غنام ١/ ١٤٠ وقد وردت فيه " قصاصيك " ولعلها خطأ مطبعى ، ابن قاسم : ٨/ ٦٣ وقد وردت فيه مع الرسائل " قصاصيبك")

(٣) السويداء ١٤٧ - ١٤٩.

(٤) ياقوت الحموى ٢/ ٧٦ ، جواد على ٧/ ٥٩٧ ، ابن خميس : معجم اليمامة ١/ ٢٢٨.

وقد بقيت شهرة الوشم وثرمدا خاصة فى النسيج الى ماقبل خمسين ومائتى سنة تقريبا ،ثم بدأ العمل فى هذه المهنة يضعف حتى تلاشى قبل خمسين ومائة سنة، فلم تعد هذه المنطقة ولا تلك البلدة تعرف به (١)، ومن ومن المعتقد وجود مراكز أخرى للنسيج فى نجد ولكنها لم تصل الى شهرة ثرمداء .

ومن الحرف التى لها علاقة بالنسيج والحياكة والخياطة وهى من الحرف الرائجة فى أوساط الحضر حيث تقوم المرأة الحضرية فى الغالب بهذه المهنة من بعض أنواع الأقمشة القطنية والصوفية التى يمتارها النجديون من المراكز التجارية المجاورة، فتشكل المرأة هذه الأقمشة الى ثياب أو سراويل أو غيرها عن طريق الخياطة اليدوية (٢).

ورغم أن المصادر لم تسعفنا بمعلومات - ولو قليلة - عن هذه المهنة الا أنه الى وقت قريب وكل بلد نجدى يوجد به خياطة أو أكثر، ويجد المطلع على أسلوب الخياطة النجدية تشابها مع أسلوب خياطة العرب قبل الاسلام وبعده رغم اختلاف شكل اللباس ،بل ان بعض الألفاظ التى استعملها العرب لبعض أجزاء اللباس قد بقيت لدى النجديين الى وقت قريب بمدلولها القديم " فالبنائق والتخاريص (٣) " مثلا كانت الخياطة النجدية تؤكد على وجود هما فى كل ثوب أو سروال حرصا على بقائها فضفاضة لا تتعرض لسرعة

---

(١) مقبل الذكير ورقة ١٧١.

(٢) ويصور المثل النجدى " خياطة أو خياط برد" درجة اتقان الحضر للخياطة وعدم معرفة البدو لها اذ أن هذا المثل يتندر به الحضر على البدو فى هذا السبيل (العبودى : الأمثال العامية ٢ / ٤٨٣ ،عبد الكريم الجهيمان : الأمثال الشعبية فى قلب جزيرة العرب ط(٢) دار الثقافة : بيروت ،نشر دار أشبال العرب الرياض ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٣/ ٩٥).

(٣) البنائق : جمع بنيقة وهى لبنة القميص وكل رقعة تزاد فى الثوب ليتسع، والتخاريص جمع تخرصه أو تخرص أو تخراصة لغة فى الدخاريص (=)

التشقق ، وتخدم مدة أطول .

وعلى أى حال فقد كان جل حاضرة نجد فى ذلك الوقت يمارسون المهن البدوية كرعى وتربية الماشية وخاصة الابل والاغنام نتيجة كونهم يعيشون حياة متداخلة بين البداوة والتحضر ، وكانت هذه المهن لهم كما هى للبدو مصدرا اقتصاديا مهما ، ويشكل موسم الربيع فترة تلاشى الفوارق الحياتية بين أبناء البدو وجل الحضر فكلهم يرتاد الصحراء للرعى وجمع العشب والكلأ ويسكنون الخيام أو بيوت الشعر تماما كما يفعل البدو وقت المحل حينما يقطنون فى البلدان النجدية أو قريبا منها .

(=) وهى أطول من البنيقة تتخذ للغرض ذاته وقد تطلقان فيراد بهما معنى واحد الا أن التفريق أبلغ وهو المشهور عند النجديين (الزبيدى : باب الصاد فصل التاء والدال ، وباب القاف فصل الباء ، جواد على ٧ / ٦١١ وذكر أن الدخريص والتخريص أصلها فارسى تعنى البنيقة) .

الفصل الثاني

التجارة

«١» أساليب التجارة .

«أ» أسلوب التجارة المحلية .

«ب» أسلوب التجارة الاقليمية .

«جـ» أسلوب التبادل التجاري بين البادية والحاضرة .

«د» أسلوب التجارة الخارجية أو تجارة القوافل .

«٢» نظام الأسعار وأمثلة منها في تلك الفترة .

«٣» أمثلة من أساليب البيع والشراء .

«٤» المكاييل والموازين والمقاييس :-

أ - المكاييل .

ب - الموازين .

جـ - المقاييس .

«٥» العملات المتداولة .

توطئـــــة :

تعد التجـارة أحد أبرز مقومات الاقتصاد النجدى فى تلك الفتـــرة فضلا عن كونها عاملا مهما من عوامل التأثير الاجتماعى المتبادل فيما بيـــن النجديين أنفسهم وفيما بينهم وبين سكان المناطق الأخرى بما تتيحه مـــن فرص الاحتكاك الاجتماعى الناجم عن التبادل التجارى ومايصاحبه أو يتلـــوه من اكتساب أهل المناطق بعض العادات النجدية وتأثر النجديين ببعـــض عادات وتقاليد البلدان التى يتبادلون التجارة معها والقيام بنشر هــــذه العادات فى أوساط المجتمع النجدى مثل مايحصل عن طريق الرحلات العلمية كما مر ، ولكون بعض الأفراد والأسر قد يطيب لهم المقام فى البلد التـــى يتاجرون معها ، فان ذلك عامل آخر أسهم فى الوجود الأسرى النجدى فـــى المناطق المجاورة وربما غير المجاورة أحيانا ، وهذا بدوره ساعد كذلك علـــى وجود اختلاط اجتماعى بين التجار النجديين وبعض سكان هذه المناطـــق ، كان مبعثه اعجاب كثير منهم بالاخلاق التى يتمتع بها هؤلاء التجار فضـــلا عن اجادتهم لعدد من أساليب التجارة وتفانيهم فى أعمالها.(١)

١- أساليب التجارة:

وتقوم التجارة النجدية على الأساليب التاليـــة :

ا - أسلوب التجارة المحليـــة:

وكانت تتم بين حاضرة نجد أنفسهم فى كل بلدة على انفراد ، وكان أبرز ما يتم البيع والشراء فيها هى المنتجات الحيوانية والزراعية بين المنتـــج والمستهلك داخل البلد الواحد ، وعادة مايحملها الفلاحون بأنفسهم الـــى الأسواق ويبيعونها بدون وسيط بالمزاد وأحيانا بواسطة تجار الجملــــــة الذين يشترون من المزارعين كمية كبيرة من منتجاتهم ويبيعونها الى عملائهـــم

---

(١) حسن الريكى : لمع الشهاب.تحقيق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ص ١٩١

فى المدن وأحيانا يتم البيع بعد أن يجلب الفلاح منتجاته بواسطة أحد السماسرة (الدلالين) .

ويقوم التاجر المحلى باستيراد بعض السلع من خارج البلدة أوالمنطقة ليبيعها الى المستهلك كما يقوم بشراء المصنوعات المحلية من صناعها ويبيعها الى المستهلكين أو بيعها على حساب الصناع وأخذ دلالة عليها . وقد يذهب المستهلكون الى الصناع مباشرة هذا فى المدن أو كبريات البلدان النجدية .

أما فى القرى فان التجارة المحلية تتم بالنسبة للمنتجات الزراعية بأن يوصلها الفلاح نفسه الى المشترين من أبناء قريته أو يجمعها المستهلكون من الحقول .(١) وكانت الأعلاف تباع بالجزاف بأحواضها ، أو بوزنها عن طريق ميزان خاص(٢) يصنع محليا ويوضع قرب الأحواض ، ويتم فى القرى والمدن بيع الأعشاب البرية " الحشيش" للاعلاف وكذلك الحطب من القرّاريش(٣) الذين

---

(١) الدارة العدد السابق ص ١٩
Dr. M. TH. Al- THenyan p. 4

(٢) يتكون هذا الميزان من خشبة من الأثل ليست متينة ولا دقيقة تتحمل الوزن الكثير ينجرها النجار ويكون فى الوسط منها حديدة تعلق بها المزرعة وتفصل بين أداة الوزن وهى صخرة متوسطة الحجم تزن عشرين كيلا أو تزيد أو تقل وبين مايراد وزنه من علف أو تمر أو قمح ، وتسمى هذه الحديدة القلب ، وتقسم هذه الخشبة فى جهتيها الى وحدات وزن صغيرة تكبر كلما ابتعدت عن القلب التى يعلق بها الميزان .

(٣) سبق تعريف القراش .

يقومون بجمعها من البرارى وجلبها على المدن والقرى ،وكان مما يتم التبايع فيه كذلك على نطاق التجارة المحلية المواشي بأنواعها سواء كان ذلك عن طريق المقايضة أو بدفع أثمانها معجلة أو مؤجلة.(١)

ب -أسلوب التجارة الاقليمية (الحضرية) :

وهذا هو الذى كان قائما بين الأنحاء والأقاليم النجدية داخل منطقة نجد اذ من المعروف أن الأقاليم النجدية يكمل بعضها البعض الآخر تجاريا ، ذلك أن بعض البلدان أكثر انتاجا من البعض الآخر من ناحية زراعية أو ثروة حيوانية أو وفرة فى صناعة محلية أو مستوردة ويعود ذلك لازدهار زراعتها بسبب أسلوب الرى ووفرة العمالة فيها ، وكثرة الحيوانات وسمنها نتيجة لكثرة الأمطار فى أحد الأقاليم فى سنة من السنين وتأخرها عن أحدها الآخر ، كما يعود ذلك لكثرة صناعها المحليين ،واحتكاك تجارها بتجار المناطق المجاورة لنجد سواء ذلك فى شرقى الجزيرة ، أم غربها . مما يؤدى الى كثرة السلع المستوردة فيها.(٢)

ج -أسلوب التبادل التجاري بين البادية والحاضرة :-

وقد فرض هذا الأسلوب حقيقة أن الاقتصادى الحضرى والاقتصاد البدوى يكمل كل منهما الآخر فى عطية اقتصادية متداخلة ، اذ أن الرعى ، والزراعة والتجارة ، والصناعة لايمكن أن تكفي واحدة منها معيشيا لمن

---

(١) المنقور: الفواكه ١/ ١٩٠ وفيها أشار فى فتوى لشيخه ابن ذهلان رحمهما الله الى أسلوب من أساليب شراء الاعشاب البرية والحشيش كما أشار فى صفحات تالية ١/ ١٩٤، ١٩٨ الى أساليب أخرى من البيوع التى اعتادها بعض النجديين كما سيأتى بيان بعضها فى أساليب البيع والشراء فى هذا الفصل .

(٢) العثيمين : المرجع السابق ص ١٩ ، Dr. Al - Thenyan p.6

يمارسها ، وبشكل خاص فقد ظلت الزراعة والرعي جنبا الى جنب يحتاج من يمارس أحدهما الى الآخر حاجة ماسة ، وقد شكلا في نجد في هذه الفترة تكاملا اقتصاديا لأن المستوى الاقتصادى لكليهما معا لا يتجاوز حد الكفاف بل كان اقتصاديا معيشيا فحسب ، وتكامله كان ضروريا لئلا يختل نظام هذه المعيشة لكل من الطرفين (١).

وتعتبر المراكز الحضرية في تلك الفترة أسواقا حيوية لابن البادية تتجلى فيها أسلوب المقايضة التجارى بين البدو والحضر ، يتم فيها تبادل منتجات البدو بسلع أخرى اذ يشترى البدو من هذه المراكز ما كانت تنتجه وما كانت تستورده من خارج نجد ، فهم يشترون القمح والشعير والتمور والذرة وبعض الأعلاف خاصة في سني المحل ، اضافة الى الملح والبن والبهارات وأحيانا الطباق " التنباك " الى غير ذلك من أنواع الطعام والشراب ، كما يشترون كذلك المواد المصنعة كالسرج ، والأشدة (٢) ، والأسلحة ، والقرب والأوانى المنزلية ، والحلى ، والملابس ، وكافة ما تحتاجه الحياة البدوية من وسائل الحياة الحضرية ومأكولاتها ، وكان موسم حصاد القمح وجداد التمر موسما لورود أبناء البادية لمناطق الانتاج في نجد حيث يمتارون منها مايحتاجونه من هذيه المحصولين (٣).

ويجلب البدو معهم حال مجيئهم الى هذه المراكز مايريدون بيعه من ثروتهم الحيوانية ومنتجاتها سواء صنعوها بأنفسهم ، أم تركوا للحضر مهمة تصنيعها وأتوا بها مادة خاما ، ويقبل الحضر على شراء هذه المنتجات التى تعتمد كثير من نواحي حياتهم عليها ، وقد رتبت بعض الفتاوى النجدية

---

(١) د . عمر الفاروق السيد رجب : دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية ص ١١٠ ، *Dr. Al Thenyan p. 6*

(٢) السرج والشداد فصيحتان ، والشداد مأخوذ من الشد الذى هو التقوية والايثاق على أساس أنه يشد على ظهر الجمل ويساعد راكبه على الثبات في مركبه (الفيروزابادى باب الجيم فصل السين وباب الدال فصل الشين).

(٣) حسن الريكي : لمع الشهاب ص ٦٠ ، د . العثيمين : المرجع السابق ص ١٩ ، *Dr. Al Thenyan p. 7*

بعض الأحكام فى حال خلاف الفريقين فى البيع والشراء [١].

ويقوم التجار الحضر أحيانا بالشخوص الى البدو فى مرابعهم وخاصة من كانوا عملاء لهم - ليبيعوا لهم ماقد يحتاجونه من السلع، ويعودون محملين من نتاج البادية مما قد يشترونه، أو يكون مقابلا لتلك السلع، وقد يشخصون للبدو لاستيفاء دين سابق يكون قد حل موعده، أولاخراج بعض مواشيهم فى فصل الربيع لرعيها لدى هؤلاء البدو لقاء أجر معلوم قد يقتطع من هذا الدين فيكون ذلك فرصة للسداد، ويبدو أن هذا الشخوص للبدو كان ظاهرة من ظواهر العلاقات الاقتصادية البدوية الحضرية حيث قد ورد سؤال لأحد العلماء النجديين هل يجوز لمن قصد البدو أن يأخذ بالرخصة ؟ فأجاب بجواز ذلك اذا كان بينه وبينهم مسافة قصر [٢].

وعلى العموم فقد كانت الحياة الحضرية والبدوية تنعكس آثار الواحدة على الأخرى اقتصاديا اذ أن غنى البدو أو فقرهم ينعكس بشكل مباشر أو غير مباشر على الحياة الحضرية، كما أن ازدهار أو انحطاط الاقتصاد الحضرى يؤثر سلبا أو ايجابا على مستوى المعيشة البدوية، وحين تزدهر الحياة البدوية بعد هطول الأمطار وتوفر المراعى التى تجعل الحيوانات تتكاثر ويتوفر انتاجها، فان هذه الحيوانات وهذا الانتاج يتوفران فى المراكز الحضرية، ويمكن الحصول عليها بأسعار رخيصة والعكس يؤدى الى العكس تماما [٣].

---

(١) المنقور: الفواكه ١/ ٢٤٥، المرجع السابق p. 7

(٢) المصدر السابق ١/ ١٢٢، العثيمين : المرجع السابق ص ١٩، *Dr. Al Thenyan p. 7*

(٣) المرجع السابق p. 7

د - **أسلوب التجارة الخارجية أو تجارة القوافل :**

وهى تلك التى كانت قائمة بين نجد كمنطقة وبين سكان المناطق المجاورة وخاصة شرقى الجزيرة العربية وغربها ، وغير المجاورة اذ تعامل النجديون مع العراقيين ، وأهل الشام ومصر يجلبون ما تشتهر به بلادهم ليعودوا بما تحتاجه منطقتهم من منتجات هذه البلدان.(١)

والواقع أن النجديين رغم أنهم كانوا يعيشون حياة العزلة سياسيا واجتماعيا الا أنهم كانوا متفتحين تجاريا على كافة البلدان المجاورة منها وغير المجاورة ، ولاشك أن هذا الانفتاح أكسبهم أساليب تجارية متجددة ، لكنه فى الوقت نفسه قد دفعهم الى التأثر بعض الشئ بعادات وطباع أهل البلدان التى كانوا يتعاملون تجاريا معها . وان كان بعضهم قد بقى محتفظا بعاداته وتقاليده الى حد ما وربما دفعه ذلك الى التأثير اجتماعيا على من تعامل معهم.

وقد دفعت رغبة جل أهل نجد بالتجارة الى أن يصفهم غيرهم بها على أنها من أبرز صفاتهم ، ولعل معرفتهم بأكبر قدر من أساليب التجارة الخارجية وتمتعهم بقدر كبير من الأخلاق الفاضلة التى أعجبت غيرهم بهم اضافة الى جوبهم عددا كبيرا من البلدان المجاورة وغير المجاورة لنجد وممارستهم التجارة الخارجية بينها وبين نجد ، بل بروزهم تجاريا داخل بعض هذه البلدان وتفوقهم على أهلها الأصليين ، كل هذا جعل غالب أنواع التجارة بأيديهم فى تلك الفترة ، فقد كانوا يملكون كل المقومات النفسية للتجار الناجحين اذ كانوا - على ماقيل عنهم فى تلك الفترة - يجهدون أنفسهم وأبدانهم بأعمال التجارة الكثيرة من همة وكد ونصب ، اضافة الى

---

(١) حسن الريكى : المصدر السابق ص ١٨٣ ، العثيمين : المرجع السابق ص ٢٠ .

رغبتهم الشديدة فى الاغتراب من أجلها مدة تزيد على العشرين سنـــة يقضونها فى الاقامة بالبلدان التى يتعاملون تجاريا معها ، ولعل الوضـــع الاقتصادى المتدنى داخل نجد هو الذى دفعهم الى الاغتراب الطويل (١).

وكان أبرز المناطق التى تعامل معها النجديون تجاريا هى منطقـة شرقى الجزيرة العربية ، وجنوبى العراق اذ تشير المصادر النجديـــة ، المحلية ، ومصادر هذه البلدان الى أن هذه المناطق كانت تشكل متنفســا اقتصاديا لأهل نجد مما كان يؤثر أحيانا على تدنى المستوى الاقتصـــادى لهذه البلدان وكانت القوافل النجدية تجوب الطريق مابين هذه المناطـــق وبين نجد محملة بكافة البضائع التى يحتاجها المجتمع النجدى ممـــا ترد على موانئ الخليـــج (٢).

والذى يبدو للباحث من حركة التجارة فى منطقة الخليج فى هـــذه الفترة أن النجديين لم يقتصروا فى تعاملهم على منطقة معينة من مناطـــق الخليج بل شمل تعاملهم التجارى المنطقة من عمان الى البصرة ، وان كان من المعتقد أنه قد تركز نشاطهم التجارى فى أبرز الموانئ فى منطقة الخليـــج وهى مسقط والبصرة والبحرين ثم الكويت بعد ذلك ، ويبدو كذلك أن هـــذه الموانئ كما كانت مراكز تجارية للنجديين فقد كانت لهم كذلك مراكز عمـــل تهيئ لهم فرص الكسب والارتزاق اذا اضطرتهم ظروف الحياة فى نجد الـــى الارتحال عنها والبحث عن عمل خارجهـــا (٣).

---

(١) حسن الريكى : المصدر السابق ص ١٩٤

(٢) ابن بشر ٢/٢١٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، س. لونكريك : أربعة قرون مـــن تاريخ العراق الحديث ترجمة جعفر الخياط ، الطبعة الخامســـة مكتبة التحرير ، بغداد ص ٧٤.

(٣) لقد كان السفر الى منطقة الخليج وجنوب العراق أسلوبا يلجأ اليـه النجديون كلما ضاقت بهم السبل فى منطقتهم وابرز مثل على هـــذا حميدان الشويعر حيث عمل فى بساتين الزبير ، ودباس بن محمـــد

(=)

وكانت البضائع الهندية التي يحتاجها المجتمع النجدى ترد عن طريق هذه الموانئ وأحيانا عن طريق موانئ اليمن وحضرموت، اضافة الى البضائع الانجليزية التي تجلبها شركة الهند الشرقية على الخليج، ومن هذه البضائع : السكر، والبلوج(١) والزنجبيل، والهيل، والقرنفل، والقرفة(٢)، والفلفل والكركم(٣)، والتبغ والفاكهة والحلتيت(٤) والأرز والعباءات الشرقية المفضلة لدى النجديين والمنسوجات القطنية والصوفية وبعض الأوانى الخزفية والنحاس ومصنوعاته، والثوم، والرصاص، واللبان الجاوى، وأنواع البخور، والمعاول والحراب والبنادق وبعض أدوات الزراعة، وغير تلك من البضائع الهندية والانجليزية(٥)، ولعل من المفيد هنا الاشارة الى ماذكرته المصادر من أن العلاقات الاقتصادية الخارجية كانت سببا رئيسا فى اخراج ابن معمر

(=) الدباس الذى عمل فى مسقط(خالد الفرج : ديوان النبط ١٤/١، عبد الله الحاتم. خيار مايلتقط ٢٦٣/١، مجلة الدارة العدد السابق ص ٢١).

(١) البلوج أو الابلوج معرب : نوع من أنواع السكر ولعله المعروف بنجد بسكر النبات (الفيروز ابادى باب الجيم فصل الباء).

(٢) القرفة : نوع من التوابل يستطب بها وتخلط مع الطعام، أما القرف : فهو قشور الرمان وكان النجديون يصبغون به ملابس النساء اذا مالت للبياض (الفيروزأبادى باب الفاء فصل القاف).

(٣) يطلق الكركم على الزعفران والعصفر واللبان. (الفيروز أبادى باب الميم فصل الكاف).

(٤) الحلتيت : صمغ يستخرج من جذور بعض النباتات وهو مر الطعم يستعمل كعلاج لبعض الامراض كالتشنج، (د. عبد الأمير الأمين : المصالح البريطانية حاشية ص ٢١١).

(٥) المنقور: الفواكه ١٩٢/١، ١٩٧، حسن الريكى : المصدر السابق ص ٣٤، ١٨٤، د. عبد الامير الأمين ٢١١، ويمكن رصد حركة تجارة الخليج التى تتعامل معها منطقة نجد من قراءة الفصل السابع بأكمله من ص ١٩٢ - ٢٤٩، ٢٥٣، د. احمد ابو حاكمة: تاريخ الكويت الفصل السابع من ص ٢٦٩ - ٢٩١، د. العثيمين المرجع السابق ص ٢٠، Dr. M. Al - Thenyan p.10, 11 وتعد

(=)

للشيخ محمد بن عبد الوهاب من العيينة .

والملفت للنظر ومن تتبع حركة هذه التجارة أن بادية نجد لم تكن أحيانا تعتمد فى ميرتها على مايجلبه التجار النجديون الحضر من موانئ الخليج بل كان البدو يذهبون بأنفسهم على شكل قوافل من كل قبيلة قافلة يمتارون من منطقة الاحساء منتجاتها ، ومن موانئ الخليج مستورداتها ، وكان غلاء الأسعار وجدب الأرض فى نجد هو العامل الرئيسى فى جلب قبائل البادية ميرتهم بأنفسهم من هذه المناطق اذ أن مايجلبه التجار الحضر منها لا يفى بحاجة المجتمع الحضرى فضلا عن حاجة المجتمعين معا .(١)

ولئن كانت المصادر الخليجية تمدنا باحصاءات شبه دقيقة عن مدى حجم تجارة منطقة الخليج مع الهند وبريطانيا والتى كانت تقوم بها شركة الهند الشرقية فى تلك الفترة(٢) فانها وغيرها من المصادر المحلية تشح علينا بحجم هذه التجارة بين منطقة الخليج ومنطقة نجد ، ويعدم الباحث مايستأنس به فى هذا المجال ، وخاصة ماكانت تصدره نجد الى هذه المنطقة الا من اشارات خفيفة ذكرها بعض المؤرخين تتعلق بهذه الصادرات اذ ذكروا أن الابل والخيول النجدية كانت تأتى فى مقدمة هذه الصادرات وخاصة الى العراق حيث كانت البصرة تصدر هذه الخيول الى الهند ، وكانت

(=) المنتجات الزراعية العراقية من أبرز الواردات النجدية كذلك اذ كان الأرز أو القمح العراقى من ابرز مايجلبه التجار النجديون كذلك وكان تقديمه للضيوف عنوان الثراء والكرم ولهذا اشار اليه راشد الخلاوى فى قوله يمدح منيع بن سالم:

يذبح لهم من كل كبش مقرن .'. وعيش العراقى بالصحون فراش

(عبد الله بن خميس : راشد الخلاوى ص ٣٠٩) .

(١) المنقور : التاريخ ٥٤ ، الفاخرى ٧٦ ، ابن بشر ٢/٢١٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ .

(٢) أورد الدكتور عبد الأمير الامين عددا من الاحصاءات عن حجم هذه التجارة فى القرن ١٢ هـ / ١٨ م من ص ٢٥٠ - ٢٥٤ .

البلدان الكبيرة فى المنطقة مراكز حيوية لتنشيط الاقتصاد النجدى اذ تعتبر حلقة الوصل للخطوط التجارية بين نجد وشرقى الجزيرة والعراق والشام ومصر كما تعتبر مراكز انطلاق للقوافل النجدية التى تحمل هذه الصادرات ، بالاضافة الى كونها محطات استقبال للقوافل القادمة من شرقى شبه الجزيرة محملة بالبضائع والحجاج اذ كانت هذه القوافل تمر بها سنويا (١) ، ويلمح الباحث بالاضافة الى ذلك الحقيقة الاجتماعية التى تؤكد بأن هذه البلدان كانت مراكز الاتصال الاجتماعى بين نجد والمناطق المجاورة وهذا أمر تقرره عودة كثير من الأسر النجدية فى هذه المناطق الى أصول أسرية تعود الى هذه البلدان .

وتأتى منطقة غربى شبه الجزيرة وخاصة المدينتين المقدستين ، وجدة فى المرتبة الثانية فى التعامل التجارى الخارجى الذى كان يمارسه أهل نجد ، هذه المدن التى كانت تعتبر من أقدم المراكز التجارية فى بلاد العرب وكانت جدة بشكل خاص أكبر هذه المراكز فى تلك الفترة ، ومن تتبع أنواع السلع الموجودة فى أسواق جدة آنذاك يمكن أن يلمح الباحث فرص امكانية التجار النجديين جلب مايحتاجه المجتمع النجدى منها ، فالسكر والبن والعطور والبخور ، والقرنفل ، وكافة أنواع البهارات ، والملاعق الخشبية أو ماتعرف " بالمغارف " والمرايا ، والغلايين والخزف الصينى وخاصة فناجين شرب القهوة وآنية الزجاج ، وأنواع الأقمشة ، وآنية النحاس كل هذه سلع كانت موجودة فى أسواق جدة ، ومن المعتقد أن المجتمع النجدى كان يجلب شيئا منها ، أما التبغ فقد ضربت جدة رقما قياسيا فى الاتجار به

---

(١) ك . س توتيشل ، ادوارد ج . جورجى : المملكة العربية السعودية ص ٨٣ ، *Dr, Al - Thenyan p. 10. 11* ,
(العثيمين : المرجع السابق ص ٢٠

اذ كان يوجد فيها آنئذ واحد وثلاثون تاجرا لا يتعاطون الا تجارة التبغ ومن المتوقع كذلك أن التجار النجديين كانوا يجلبون منها شيئا من هذا التبغ وان لم يكن هذا على نطاق واسع حيث لم يشكل شرب التبغ ظاهرة اجتماعية ذات انتشار واسع.(١)

وتعد جدة مرفأ تجاريا لمكة المكرمة، ولهذا كانت معظم البضائع التي ترد جدة ان لم تكن كلها تتوفر فى أسواق مكة، وساعد على كونها مركزا تجاريا قلة المكس الذى كان يؤخذ بجدة بالنسبة لما كان يؤخذ من بعض المرافئ فى بلاد العرب،(٢) وكان التجار النجديون يستوردون منها البن والملابس والزيت، والفضة وبضائع أخرى كثيرة، وكانوا يجلبون اليها الابل والخيول، والأغنام ومنتجاتها من السمن والصوف والتمور والقمح(٣)، وخاصة فى موسم الحج حيث ترتفع أسعارها فى مكة، كما أن موسم الربيع وفترات الحصاد والجذاذ كانت مناسبات جيدة لانخفاض أسعار تلك الصادرات النجدية فى أسواق مكة.

أما المدينة المنورة فكانت أكثر تعاملا تجاريا مع نجد وخاصة مع باديتها اذ كان النجديون يستوردون منها الزيت والملابس والمصنوعات الفضية والذهبية، ويصدرون اليها الابل والخيول الجيدة والمواشى ومنتجاتها كالسمن والألبان والصوف ، والقمح ، والتمور، ورغم اشتهار المدينة فى التمور الا أنها كانت لا تستغنى عن تمور القصيم وقمحها ،فكان تجار هذا الاقليم يصدرونها الى المدينة كلما اعتقدوا أن أسعارهما فى المدينة تناسبهم، وخاصة فى موسم الحج(٤).

---

(١) جاكلين بيرين : مرجع سابق ص ٢٣٦، ٢٣٧

(٢) على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ١٧٣.

(٣) *Dr. Al - Thenyan p. 9, 10*

(٤) المرجع السابق : *p. 9, 10*

وقد ذكر فيها نقلا عن مانجان أن تجار نجد كانوا يحملون الى الحجاز بعض سلع نجد الفاخرة مثل ريش النعام، وانظر على بن حسين السليمان : ص ١٨٠

وكان لأهل القصيم كذلك دور كبير في تطوير غرس النخل في المدينة، واضافة بعض أنواع النخل الجيدة المعروفة في القصيم الى نخيل المدينة، مما أكثر النخل الجيد فيها وزاد من اشتهارها فيها وأعطى تبادل أنواع النخيل بين المدينة والقصيم تكاملا في هذا المجال اذ انتشرت في المنطقتين أنواع من نخيل كليهما، ولعل اطلاع أهل المدينة على جودة بعض نخل القصيم جعلهم يرغبون في استيراد تمورها اليهم مع جلب فسائلها كذلك.(١)

وقد تعامل النجديون تجاريا مع بلاد الشام بشكل واسع اذ كانوا يستوردون منها السكر والصابون السوري والحديد، والرصاص والنحاس ومصنوعاته، والحرير، وكان يتم جلب هذه البضائع وغيرها من مدينة دمشق وحلب،(٢) كما كانوا يستوردون من الشام الفراء، والعباءات الشمالية التي كان يفضلها النجديون، وتلقى منهم تقديرا كالتقدير الذي تلقاه العباءات الشرقية(٣) ان لم تفقها عند عامة الناس ويبدو أن ذلك لكونهما تصد عنهم غوائل البرد أكثر من العباءات الشرقية التي تتمثل جودتها في استعمالها للأبهة فقط.

كما أن كثيرا من التجار النجديين كان يطيب لهم المقام في المراكز التجارية في بلاد الشام وخاصة حلب، ودمشق فيقضون فيهما فترة طويلة يمارسون فيها التجارة الداخلية، ثم يعودون الى نجد(٤)، وقد يستقرون هناك.

وكان أسلوب المتاجرة مع أهل الشام يتم بأسلوبي المقايضة والنقد الا أنه غالبا ما يتم بأسلوب النقد بالعملات المتوفرة آنذاك، واذا جلبوا بعض سلع نجد فانهم يبيعونها في السوق ثم يشترون مايحتاجه المجتمع النجدي من السلع الموجودة في أسواق الشام، وكان أبرز مايصدره أهل نجد الى

---

(١) محمد العبودي : بلاد القصيم ١٠٤،١٠٣/١

(٢) حسن الريكي ص ١٨٣، *Dr. Al- Thenyan p. 10, 12*

(٣) المنقور: الفواكه ١٩٢/١

(٤) حسن الريكي ص ١٨٤

الشام ، وخاصة د مشق ، وحلب الخيول النجد ية الأصيلة المرغوبة لد ى الشاميين والابل التى كان يجلبها بعض باد ية نجد وكذلك التمور التى اشتهرت بهـا مناطق فى نجد ، وخاصة منطقة القصيم التى يحرص تجارها أن يجلبوا معهـم كمية تجارية من تمورها الجيد ة ليبيعوه فى الأسواق الشامية وخاصة د مشـق ، وحلب ، ويبد و أن الشاميين كانوا يرغبون هذه الأنواع من التمور القصيمية (١) .

وقد مارس النجد يون التجارة المتباد لة مع بلاد اليمن ، ويبـد و أن ذلك كان عن طريق وادى الد واسر أقرب الأقاليم النجد ية الى اليمـن ، والذى مازال يمارس التجارة مع اليمن ، وكان البن أبرز المستوردات النجد يـة من اليمن الموطن الأصلى القد يم للبن ، والذى لم يعرفه الأوربيون ، وبلـد ان العالم الأخرى الا عن طريق اليمن (٢) . وكانت الحد يد ة مع المخا وبيت الفقيـه هى المستودع الرئيسى للقهـوة لتصد يره للخارج بحيث غد ت اليمن فى تلـك الفترة السوق العالمية لتجارة البن ، ويتم تصد يره على السفن ، والابل (٣) التـى يبد و أن نجدا كانت تحصل على كفايتها من البن بواسطتها .

وتستورد نجد من حضرموت واليمن كذلك المر والبخور واللبان ، وأنواع

---

(١) حسن الريكى : ص ١٨٣ ، والمرجع السابق م. 10

(٢) حسن الريكى : ص ١٨٣ ، والمرجع السابق م. 9
هانزهولفريتز: مرجع سابق ص ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٠٥ - ٢٠٧
وقد فصّل فيها القول عن البن اليمنى ود وره فى العلاقات بين اليمن والبلدان المجاورة والبعيدة ، وتاريخ معرفة العرب للقهوة .

(٣) جاكلين بيرين : ص ٨١ ، ٨٨ ، ١١٣ ، ١١٤ ، هانزهولفريتـز ص ٢٠٥ ، ٢٠٦

العطور وخاصة الميعة [1] ، وأعواد الند والورس [2] ، هذه الأشياء التى كانت حضرموت المصدر الرئيسى لانتاجها منذ أقدم العصور اذ كانت تسمى منذ القدم " بلاد البخور" كما قد اشتهرت بذلك بلاد اليمن اذ كان اليمنيون يزرعون شجيرات المر والبخور وأعواد الند بين أشجار البن ، وكانت المكلا والمخا والشحر موانئ لتصدير هذه المواد الى العالم الخارجى ، أما نجد فيبدو أنها كانت تحصل على حاجتها منها عبر الربع الخالى [3] .

كما كان يتم عبر الموانئ اليمنية والحضرمية استيراد بعض البضائع الهندية التى سبقت الاشارة الى بعضها والتى كان التجار اليمنيين والحضارم يستوردونها من الهند كما يفعل ذلك تجار الخليج ، وكان التجار النجديون يستوردون من هذه البائع عبر تلك الموانى ، وكان غالب مايحملونه من نجد فى عملية التبادل التجارى هذه التمور ، ولا يبعد أن يحملوا مواد أخرى كالقمح ، أو حيوانات كالابل والخيول [4] .

---

(١) الميعة : قال فى القاموس: الميعة والمايعة عطر طيب الرائحة أو صمغ يسيل من شجر ، أو هى صمغ شجرة السفرجل وذكر لها تعريفات اخرى ، والمقصود انها نوع طيب من العطور (الفيروزابادى باب العين فصل الميم) ولعلها الزباد المعروف فى نجد بطيب رائحته .

(٢) الورس : نبات كالسمسم يزرع باليمن ينفع للكلف طلاء وللبهق شربا واطلق على اصباغ تؤخذ منه تصبغ بها الثياب (الفيروز أبادى : باب السين فصل الواو) ومما يستورد من اليمن كذلك الشب والزاج اليمانيين وهما من المواد شديدة الحموضة التى تستخدم فى الأدوية والدباغة والحبر وسائر الأصباغ وكانت اليمن تصدره منذ فترة متقدمة قبل الاسلام الى الوقت الحاضر (جواد على ٧/ ٥٢٠) .

(٣) حسن الريكى ١٨٣ ، جاكلين بيرين ٧٤ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٣٣٧ ، هانزهولفريتز ٥٢ ، ١٩٠ ، ١٩١ .

(٤) حسن الريكى ١٨٤ ، جاكلين بيرين ٨٠ ، ٨١

ولم يكتف النجديون بالتعامل التجارى مع هذه البلدان بل تجاوزها ليتعاملوا مع بلاد مصر، وكانت منطقة القصيم وحائل أو منطقة شمال غربى نجد هى أقرب مناطق نجد اتصالا بمصر، وكان يتم ذلك عبر صحراء سيناء قبل حفر قناتها (١)، وكانت القبائل البدوية تجوب هذه المنطقة الى مصر لشراء ماتحتاجه من الأسواق المصرية (٢) ولا يبعد أن يطيب لبعضها المقام سواء فى منطقة سيناء أو غيرها من البوادى المصرية، لتشكل هذه القبائل وخاصة فى سيناء حلقة الوصل بين قبائل شبه الجزيرة العربية وبلاد مصر وبلاد الشام مما يجعل هناك امتدادا قبليا لهذه القبائل فى هذه البلدان (٣).

وكانت المنسوجات والمواد الغذائية، والسلاح، والمرجان تأتى فى مقدمة المستوردات النجدية من مصر، وكان يستلزم ذلك أحيانا اقامة خانات فى المراكز التجارية يحل فيها أفراد القبائل التى تمتار من مصر الى أن تنتهى أعمال التجارة والامتيار (٤).

وكانت الابل فى مقدمة الصادرات النجدية الى مصر وخاصة اذا كانت أسعارها مرتفعة فيها أكثر منها فى الشام بل كانت فى فترات الرخاء وكثرة النتاج تدخل فى حركة تصدير واسعة الى افريقية والشام والعراق بأعداد

---

(١) جرت محاولات عديدة لحفر قناة السويس أهمها واخرها تلك التى اشرف عليها المهندس الفرنسي دى ليسبس بأمر الخديوى سعيد باشا ووصلت البحر الأبيض بالأحمر واستغرق حفرها ١٠ سنوات من عام ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م الى ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م (الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٠٠).

(٢) حسن الريكى ١٨٣، جاكلين بيرين ٢١٩، ٢٧٥

(٣) مجلة العربى : جمادى الآخرة ١٤٠٢هـ/ ابريل نيسان ١٩٨٢ ص ١١٠، ١٤٠، صحيفة السياسة عدد يوم الجمعة ١٤ رجب ١٤٠٢هـ ص ١٢

(٤) حسن الريكى ، ص ١٨٣، جاكلين بيرين ٢١٩.

وفيرة ،أما الخيول فكانت الخيول النجدية مرغوبة لدى المصريين ،وتشهر بعض اللمحات التاريخية الحديثة أن بعض حكام مصر كانوا يتعاونون مع بعض الرحالة فى سبيل الحصول على خيول نجد الأصيلة ،ومن المحتمل مع ذلك أن يبعثوا وفودا لشرائها مما جعل مصر فى بعض الفترات تضم أكبر الاصطبلات للخيول العربية فى العالم. (١)

وكانت قوافل تجار الحاضرة تجوب تلك المناطق لتصل الى المراكز التجارية فى مصر تنقل منها البضائع السابقة وغيرها مما يحتاجه المجتمع النجدى آنذاك ، وكانت الرحلات التجارية المتكررة أحيانا تفرض على بعض التجار البقاء فترة من الزمن فى أرض مصر اما لجمع أكبر قدر ممكن من البضائع المصرية أو يطيب لهم المقام فيها ليمارسوا فيها التجارة الداخلية بين أهلها ، أو يكونوا ممثلين تجاريين لأهل نجد مما يجعلهم يقيمون فى المراكز التجارية المصرية فترة طويلة ثم يعودون (٢) ، وقد يستقرون هناك ليوجدوا اتصالا اجتماعيا بين المنطقتين ، ووجود بعض الأسر النجدية فى مصر فى الوقت الحاضر دليل على كبر حجم ذلك الاتجار الذى استمر بشكله السابق الى وقت قريب (٣) .

٢- نظام الأسعار وأمثلة منها فى تلك الفترة:

ولم تكن الأسعار بصفة عامة تخضع لتحديد أو نظام دقيق وأبرز ماكان ينظمها هو أسلوب العرض والطلب فكلما كثرت البضائع وزاد الجلب فى السوق اكتفى أغلب الناس وقل الطلب فهبطت الأسعار ، وكلما قلت البضائع والمحاصيل

---

(١) جاكلين بيرين ٢٧٥ ، تويتشل ٣١ ، ٣٥

(٢) الريكى ١٨٤

(٣) فهد المبارك : من شيم العرب ٤/ ٤٦ - ٤٨

زاد طلب الناس عليها وارتفعت الأسعار ، وكانت أسعار المحاصيل الزراعية والمنتجات الحيوانية المحلية بصفة خاصة يبرز فيها قانون العرض والطلب أكثر من غيرها حسب جودة هذه المحاصيل ووفرة المنتجات أو تعرضها للأمراض الزراعية والحيوانية وهذا مايجعلها تتذبذب وفرة أو قلة من عام لآخر ، وتبعا لظروف القحط والخصب (١) .

ولأن الاسعار هى عماد الحياة الاقتصادية وعنوان الرخاء ، فقد كان ارتفاعها وانخفاضها مثار اهتمام مؤرخى نجد الذين أعطوا احصاءات دقيقة عنها فى أغلب سنوات تلك الفترة وما بعدها مما يستطيع معه الباحث أن يهتدى الى بعض الأسباب التى تكمن وراء هذا الارتفاع أو الانخفاض كهطول الأمطار أو حصول الجفاف أو اغارة بعض البادية على بعض البلدان النجدية أو تلف بعض المحاصيل ، أو قدوم جماعات كبيرة منهم فتشترى ماينزل الى السوق من أطعمة أو محاصيل مما يؤثر على الأسعار بالارتفاع فيما يتعلق بنتاج الحاضرة والانخفاض فيما يتعلق بنتاج البادية ، كما يمكن للباحث أن يتعرف على نوعية الأطعمة المشتهرة فى نجد فى تلك الفترة وعلى فترات الغلاء والرخص ، وتزامنها غالبا مع فترات الحصاد والجذاذ التى يحصل فيها الرخص غالبا بينما يحصل الغلاء فى فترات ماقبلها ، كما توضح الأسعار العملات التى يستعملها النجديون آنذاك كما سيأتى .

ويمكن بتتبع بعض سنى تلك الفترة من خلال أسعارها الكشف عن كافة نواحى الحياة الاقتصادية من معرفة أسباب ارتفاعها وانخفاضها ففى سنة ١٠٩٦ هـ / ١٦٨٤ م مثلا بلغ سعر صاع القمح الحنطة فى بعض مناطق نجد ثلاث محمديات ، بينما بلغ سعر الموزون - ويبدو أن المقصود بذلك التمر - الوزنة أو مايقاربها بمحمدية ، وتعتبر هذه السنة من سنى انخفاض

---

(١) العثيمين : المرجع السابق ١٩ .

الاسعار أو انكسار الزاد (١) بتعبير مؤرخي نجد (٢) .

وفي سنة ١٠٩٩هـ/١٦٨٧م تراوح سعر القمح من ٤ - ٥ آصع بالمحمدية في منطقة سدير، أو الوسق بحرف في منطقة العارض، وبلغ سعر التمر عشرون وزنة بالمحمدية، بل بلغ في منطقة العارض وفي بلدة الدرعية بالذات ألف وزنة بالأحمر أو ثلاثة آصع منه بمحلق وكان لكثرة الأمطار ووفرة العشب والكمأة في الأسواق ومجئ الجراد بكمية كبيرة السبب الرئيسي في رخص الطعام رخصا عظيما مما جعل النجديين يعتبرون هذه السنة من سني الرخاء في تلك الفترة (٣)، وتاريخها يعد معلما من معالم الحياة العامة في نجد آنذاك، وما حصل فيها من رخاء سجل من النجديين على مختلف فئاتهم اذ لم تسجل من المؤرخين فحسب، بل كانت محل تسجيل الشعراء النجديين الذين قال أحدهم (٤) في هذه السنة:

---

(١) الزاد : تطلق على الطعام وهي فصيحة وقد وردت في عدة أحاديث (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي مادة زود)

(٢) المنقور: التاريخ ص ٦١ ، الفاخري ص ٨٠ ، حيث ذكرا بأن مايقارب الوزنة بمحمدية بينما ذكر ابن بشر ٢/٢١٦ أن الوزنة بمحمدية وتسمى هذه السنة في بعض مناطق نجد بشديدة ابن عون لشخص اخذ وقتل قرب الزلفي كما تسمى عند اهل العارض مطبق لتعاملهم بالمطابق وهي دراهم، ولعل ذلك كان اول مرة، وسكت مؤرخو نجد عن تمييز الوزنة بالتمر مع انه لا يمثل غير هذا الا انه من المتعارف عليه في المنطقة آنذاك وان كان يكال كيلا في بعض الاحيان كما سيأتي (د . عبد العزيز الخويطر: ابن بشر ٥٢) .

(٣) المنقور ص ٦٤ حيث ذكر بان سعر القمح ٤ آصع بالمحمدية بينما ذكر الفاخري ص ٨٢ ، وابن بشر ٢/٢١٩ وابن عيسى ص ٧٢ أن سعره ٥ آصع بالمحمدية واتفق الجميع على ان هذه السنة سنة رخاء وخصب

(٤) هو عبد الله بن علي بن سعدون من أهل الدرعية ، وقد اجتهدت في معرفة بعض المعلومات عنه ولم اهتد الى ذلك ولعله من السعدون سكان العارض الذين يتركزون في الرياض ومنفوحة سابقا وفي الدرعية كذلك وهم من بني ثور من سبيع والله أعلم. (المنقور ٦٤ ، الفاخري ٨٢٠ ، ابن بشر ١/٢١٩ ، حمد الجاسر: معجم أنساب الاسر المتحضرة ١/٣٧٧) .

بحمد الله والشكر نعــــج ∴ لسحب تثج وأرض تمــج (١)

ونـمر ثلاثة أصواعــــه ∴ بدفع المحلق فيها نــزج (٢)

وبرفحرف بوسقينــــه ∴ وتاريخه : ذاكساد يشــج (٣)

ومن المعتقد أن هذه السنة تعد من سنوات تسجيل أحداث نجد السياسية والاجتماعية على عادة النجديين بتوقيت أحداثهم السياسية وحالاتهم الاجتماعية بالسنوات بارزة المعالم، أو قربا وبعدا منها .

وفى سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٨م ارتفعت الأسعار فى بعض مناطق نجد ولعل ذلك كان بسبب اغارة قبيلة عنزة على بعض بلدان سدير وماقامت به من اتلاف لبعض المحاصيل الذى حدث فى تلك السنة، وتدل عبارة

---

(١) هذا البيت من رواية ابن بشر ٢/٢١٩ ورواه المنقور بحمد الله وشكر ص ٦٥ ، ورواه الفاخرى ص ٨٢" الحمد لله وبالشكر" ومعنى يعج يرفع صوته وتثج بالماء أى تسيل سيلا كثيرا متتابعا ومنه قوله تعالى :" وانزلنا من المعصرات ماءثجاجا" النبأ آية ١٤ ، وورد فى الحديث (أفضل الحج العج والثج) أى رفع الصوت بالتلبية ونحر الهدي ، تمج : أى يجرى فيها الماء (الفيروزابادى : باب الجيم فصل الثاء والعين والميم) .

(٢) أشار فى هذا البيت الى أن التمر كان يكال كيلا وسيأتى الكلام على ذلك فى المكاييل والموازين ، والمحلق : نقد سيأتى الكلام عنه فى العملات ان شاء الله ، ومعنى نزج : اى نسوق وندفع فيها ثمنا بخسا ومنه قوله تعالى:"وجئنا ببضاعة مزجاة" يوسف آية ٨٨ أى باثمان رديئة كاسدة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لقيمتها (الفيروزابادى باب الجيم فصل الزاى ، ابو السعود الحنفى : تفسير أبى السعود . تحقيق عبد القادر عطا ، مطبعة السعادة/ مصر نشر مكتبة الرياض الحديثة . الرياض جـ ٣ / ١٨٣) .

(٣) الحرف : نقد سيأتى بيانه ، والوسق : مكيل سيأتى بيانه ، ومعنى يشج : ان كان من الشج فهو الكسر اى ان الاسعار هبطت وان كان من الشجى فهو بمعنى الحزن والفرح أى أنه يحزن البائع ويفرح المشترى (الفيروز ابادى باب الجيم فصل الشين وباب الياء فصل الشين)، وعن الأبيات : المنقور ٦٥ ، الفاخرى ٨٢ ، ابن بشر٢/٢١٩ .

المنقور في هذه السنة : " وفعل عنزة بعشيرة (١) من تقطيع النخل وغيره مافعلوا" (٢) ان عنزة ربما تعرضت للقمح وغيره من المحاصيل بالتلف أو النهب مما أثر على ارتفاع الأسعار في منطقة سدير وكانت عنزة قد غزت عشيرة في السنة قبلها ١٠٩٩هـ وحاصرتها عدة أيام ووقع بينها وبين أهلها قتال كثير (٣) وربما دلت عبارة ابن بشر في سنة ١١٠٠هـ " أتى الحواج الثلاثة ونزلوا بعنيزة في ناحية القصيم وغلا الطعام" (٤) أن مجئ هؤلاء الحواج أثر على ارتفاع الأسعار في منطقة القصيم بشرائهم مافي السوق من طعام خاصة اذا وضعنا في الاحتمال أن يكون المقصود أنها قوافل حج وليسوا أفراد ، ورغم

---

(١) عشيرة : قرية من قرى سدير ذات نخيل ومزارع وهي تقع على ظهر جبل تشرف منه على ماحولها ،على ضفاف وادى المياه الذى يسقي مزارعها وكان سكانها من أولاد المنيعي فخذ من بني عمرو من بني تميم - من ال ابى هلال ، وقد اثنى عليهم حميدان الشويعر في قصيدته التى ذم فيها اكثر مما مدح ، ومدحه لهم مع اشتهاره بسب الناس دليل على انهم ذووا نخوة ومكارم اخلاق فقد قال فيهم:

واهل عشيرة منيعات .·. أويا رجال بذيك الظهرة

وهناك اكثر من موضع بهذا الاسم في أماكن أخرى ، ومنها عشيرة جنوب حائل والعشيرة في منطقة تهامة زهران ، وعشيرة في منطقة الزلفي والمدينة. للتفصيل ، (الحربي : المناسك وأماكن طرق الحج ص ٣٠٢ ، ٥٨١ ، الأصفهاني : بلاد العرب ص ١٠ ، ١٢ ، ٣٧٤ ، الهمداني : صفة جزيرة العرب ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، ياقوت ١٢٧/٤ ١٢٨ ، ابن عيسى ٥٨ ، خالد الفرج ديوان النبط ١٩/١ ، عبدالله ابن خميس : معجم اليمامة ١٥٩/٢ ، حمد الجاسر : شمال المملكة ٩١٥/٣ - ٩١٧ ، مقدمة المعجم الجغرافي ٨٢٠/٢).

(٢) التاريخ ، ٦٦

(٣) ابن بشر ٢١٨/٢ ويبدو أن الحدث لدى سائر مؤرخي نجد واحد في فترة متقاربة هي أواخر ١٠٩٩هـ وأوائل ١١٠٠هـ ، انظر ابن ربيعة (ص ٧٥) والفاخرى (ص ٨٢)

(٤) ٢١٩/٢

أن ارتفاع الاسعار ربما اقتصر على هاتين البلدتين الا أنه لابد أن يترك تأثيره على منطقتيهما وعلى نجد بشكل عام .

ويحدث في سنة من السنوات أن تهبط الأسعار هبوطا حادا ، وتنزل الأسواق قوافل من البادية فتشترى حاجتها من محاصيل مما يخفف من حدة هذا الهبوط ويهيئ لابناء الحاضرة شراء مايجلبه البدو معهم من المواشي ونتاجها ، ففي سنة ١١٢٥هـ/١٧١٣م رخص الطعام رخصا ظاهرا حتى وصل سعر التمر الى رقم قياسي في النزول اذ بلغ سعره مائةوزنة بالأحمر ثم ارتفع سعره فجأة وربما في الحال الى الضعف حيث بلغ خمسين وزنة بالأحمر الا أن هذا كان فرصة للحضر ليتزودوا مما مع البدو وحيث عرضت عنزة جلائبها من الابل ونتيجة لذلك وصل سعر الفاطر[١] منها الى خمس محمديات ولم يزد عن أربعين ، كما قد عرضت نتاج ماشيتها بكثرة حيث انخفضت أسعارها فبلغ سعر السمن مثلا عشرة آصع بالأحمر[٢]، كما بلغت أسعار ابل الركاب ثمانين جديدة للمركوب الواحد[٣] .

وقد حدث كذلك في سنة ١١١٥هـ/١٧٠٣م أن قدمت بعض قوافل البادية في آخر القيظ - عند جذاذ ثمر النخل حيث تهبط أسعاره - فرفعوا أسعار الأطعمة بما اشتروه من الأسواق ، ولكن أسعار المواشي وخاصة

---

(١) الفاطر فصيحة وهي الناقة السمينة المسنة ، قال في القاموس: انفطر ناب البعير فطرا وفطورا طلع أي من الكبر (الفيروزابادى باب الراء فصل الفاء) .

(٢) يؤخذ من هذا ان السمن كان يكال كيلا اعتبارا كما سيتضح ذلك في المكيلات ان شاء الله

(٣) الفاخرى ٩٥ ، ابن بشر ٢ / ٢٣١ ، ابن عيسى ٩٠ غير أنه لم يشر الى قدوم عنزة وارتفاع الاسعار ، وعرضها جلائبها التي ذكرها الفاخرى وابن بشر .

الابل - قد هبطت بما عرضوه معهم منها خاصة وأن هذا العام من أعـــوام القحط والمحل الذى ترتفع فيها أسعار الأطعمة وتهبط أسعار المواشى حيث يتضايق البدو من كثرتها لديهم لديهم مع قلة المراعـــى (١).

وكان هطول الأمطار فى موسمها وتتابعها فيما بعد ، وبغزارة السبب الرئيسى فى هبوط الأسعار ، كما أن شح الأمطار أو انعدامها ومايستتبـــع ذلك من غور الآبار السبب الرئيسى فى ارتفاع الأسعار حيث لا تكفى المحاصيل المزروعة بعض الحاضرة فضلا عن الحاضرة والبادية مما ينتج عن ذلك مـــوت كثير من الناس جوعا كما حدث سنة ١١٢٨هـ/ ١٧١٥م (٢) على سبيل المثـــال اذ من الثابت تاريخيا تعرض نجد لمثل ذلك كثيرا فى تلك الفترة ومابعدها .

ويمثل مرور قوافل الحجاج بمنطقة نجد سببا آخر فى ارتفاع الأسعـــار وتنشيط الحركة التجارية بما يتزودون به من الأسواق النجدية كما حصـــل فى سنة ١١٢٧هـ/ ١٧١٥م حينما نزل حجاج الاحساء فى منطقة العـــارض فى طريقهم الى الحجاز واشتروا صاع السمن بمشخص ، ولاشك أنهم بهـــذا قد كسروا سوق السمن فى العارض ، كما اشتروا ذكر الضأن " الطلى " (٣) بأحمرين وليس من المستبعد أن يكونوا قدعرضوا ماكان معهم من بضائع سواء كان ذلـك بما تنتجه بيئة الأحساء أومايرد على موانئ الخليج من التجارة الدوليـــة (٤) ،

---

(١) المنقور ٧٨ ، الفاخرى ٩١ ، ابن بشر ٢ / ٢٢٦ ، ابن عيسى ٨٥

(٢) الفاخرى ٩٦ ، ابن بشر ٢ / ٢٣٢ .

(٣) الطلى : الحمل أو الخروف الصغير فصيحة سمي بذلك لأنه يطلـــى اى تشد رجله بحبل الى وتد حتى لا ينطلق قال فى القامـــوس: الطلاء الحبل الذى يشد به رجل الطلا ، وطليته ربطته وحبسته ، والطلى كغني : أولاد الغنم الجمع طليان كرغفان" (الفيروزابـــادى باب الياء فصل الطاء) ، العبودى ٥/ ١٧٤٩ ، ١٧٥٠ مثل رقـــم ٢٩٠٨) ، قلت هذا فى الفصحى اما فى لهجة نجد فانها تطلـــق على ذكر الضأن صغيرا كان أو كبيرا .

(٤) الفاخرى ٩٦ ، ابن بشر ٢ / ٢٣٢

فقد تزامن هبوط سعر التمر هبوطا حادا مع مرور حجاج الاحساء في العارض ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م اذ بلغ سعره مائة وعشرين وزنة بالأحمر، ويبدو أنهم قد جلبوا معهم من تمور الاحساء ما أثر على سعره في نجد، وأثر من جهة أخرى على سعر القمح - باعتبار التمر مغنيا عن القمح في بعض الأحايين - فوصل الى خمسة وأربعين صاعا بأحمر (١)، ومن جهة ثالثةفان ضعف السيولة النقدية آنذاك كان سببا من الأسباب التي تؤدي الى هبوط الأسعار، ولم يذكر مؤرخو نجد مدى تأثير هذا المرور على أسعار المواد الأخرى سواء كانت من نتاج الحاضرة أو البادية.

وتكثر الأقوات بعد نزول الغيث ونفعه الأرض الخلوية والزراعية حيث تخرج الأرض من ثمرات كل شي ويعمها النماء والخصب وقد حدث في سنة ١١٢٣هـ/ ١٧١١م أن بلغ محصول الغرب (٢) الواحد من القمح في احدى بلدان نجد (٣) أكثر من ألفي صاع مما جعل الأسعار تهبط، ولا شك

---

(١) الفاخري: ٩٧، ابن بشر ٢/ ٢٣٣، وقد ذكر الفاخري مرور حجاج الاحساء على العارض هذه السنة بينما لم يشر الى ذلك ابن بشر وابن عيسى ص ٩٣ واتفق الفاخري وابن بشر على ان سعر القمح خمسة واربعون صاعا بالاحمر بينما ذكر ابن عيسى أن سعره خمسة وعشرون صاعا بالأحمر.

(٢) الغرب: الدلو الكبير التي ينزح بها الماء من البئر على الدابة حمارا أو بعيرا أو بقرة وهي فصيحة قال في القاموس: " الغرب الدلو العظيمة " والجمع غروب (الفيروزابادي: باب الباء فصل الغين)، العبودي ٣/ ٨٩٨ مثل رقم ١٤٢٢، والمقصود ان المساحة التي يسقيها الغرب الواحد انتجت الفي صاع. الفاخري ٩٤ من حاشية المحقق).

(٣) هي ضرمى المعروفة قديما بقرما والمشهورة بكثرة النخيل ومزارع القمح والواقعة غرب الرياض، للتفصيل: (الأصفهاني: ١٢٤، ٢٤٠، ٣٦٢، البكري: ٢/ ٤٩١، ياقوت ٤/ ٣٢٩، ٣٣٠، مقبل الذكير: ورقة ١٠٨، ١٠٩، عبد الله بن خميس: معجم اليمامة ٢/ ٩ - ٩٧).

(٤) الفاخري ٩٤، ابن بشر ٢/ ٢٣٠، وقد اشار الى ان الزرع قد صلح وضاعف انتاجه مما كان سببا في هذا المحصول الوفير والهبوط في الأسعار.

أن التعـــاون الاقتصادى البدوى فى سنى الغيث والاقتصاد الحضرى فى سنى الخصب والازدهار والنماء ومحاولة بعض قبائل البدو الامتيار من خارج منطقة نجد أحياناً (١) هذه الأسباب وغيرها تجعل أسعار الأطعمة تحافظ على مستواها أو تنزل أحياناً ولو امتارت قوافل أخرى من أبناء البادية من منطقة نجد ففى سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٦م بلغ سعر التمر مائة وزنة بالأحمر والقمح أربعة آصع بالمحمدية (٢) رغم قدوم قافلتين (٣) من أبناء البادية للامتيار فى هذه السنة وسنة ١١٤٠هـ/١٧٢٧م ولكن يبدو أنهما لم تكونا بحجم القوافل الكبيرة، والا لأثر امتيارهما هذا على ارتفاع الأسعار وشح المواد الغذائية.

وعموماً فقد كان التمر والبر والذرة هى المقياس عند مؤرخى نجد للأسعار فقد أشاروا الى أنه بعد هذه الفترة بقليل - وفى احدى سنى القحط - بلغ سعر مدّى البر والذرة محمدية، وسعر التمر الوزنة بمحمدية، ويمكن من خلال هذه الاشارة التعرف على أهم المواد الغذائية فى تلك الفترة، كما يمكن من خلال اتفاق البر والذرة فى السعر معرفة أنهما مصدران غذائيان مهمان لدى النجديين (٤) اذ أنهم كما يصنعون من البر

---

(١) ابن ربيعة ٩٠، ٢، ابن بشر ٢/٢٩٩

(٢) الفاخرى ١٠١، ابن بشر ٢/٢٣٨، ابن عيسى ١٠١ وذكر فيها سعر التمر فقط. وذكر ابن ربيعة ص ٩٠ أن سعر التمر فى هذه السنة عشرون وزنة والقمح ستة آصع بالمحمدية.

(٣) ذكر الفاخرى وابن بشر امتيار العوايقة من عبده من السبعة من عنزة فى هذه السنة (١١٣٩هـ) ولم يؤثر ذلك على ارتفاع الاسعار، كذلك ذكر الفاخرى سنة ١١٤٠ امتيار بنى وهب من مسلم من عنزة من حريملاء ولم يشر الى تأثيرهم على رفع الاسعار.

(٤) الفاخرى ١١٥ وأشار فيها الى أن ذلك كان سعر العيش الذى هو البر او القمح ولم يشر الى الذرة بينما اشار الى ذلك ابن بشر ١/٦٦، عبد العزيز الخويطر : ابن بشر ٥٢.

وجبة رئيسة فانهم يصنعون من الذرة كذلك سواء كان بمفردها أو مع البر والدخن كما سيتضح ذلك عند الكلام على الأطعمة ان شاء الله.

٣- أمثلة من أساليب البيع والشراء:

واذا كانت الأسعار فى تلك الفترة تخضع لنظام العرض والطلب فقط، ولم يكن لأى جهة تشريعية أو تنفيذية سلطة عليها كما مر، فان أسلوب البيع والشراء كان يخضع لتقريرات وفتاوى وأحكام علماء وقضاة تلك الفترة، وقد حفلت المؤلفات الفهقية النجدية لهؤلاء العلماء والقضاة بالكثير من هذه التقريرات والفتاوى والأحكام مما ليس هنا مجال تفصيله الا أنه يمكن التعوض بايجاز لبعض البيوع التى كانت مشتهرة فى تلك الفترة مما أشارت اليه هذه المؤلفات، ولعل أبرز هذه القضايا التى يبدو أنه يكثر حولها الاختلاف بين المتبايعين مسألة تولى طرفى العقد فى البيع أو مايسمى بخيار المجلس الذى تعرض له عدد من الفقهاء النجديين بالبحث لكثرة ذلك الاختلاف الذى ينشأ من عدول أحد المتبايعين عن اتمام البيع، وكان اعتماد هؤلاء الفقهاء غالبا على المشهور من مذهب الامام أحمد فى هذه القضية وغيرها هو الذى ينهى اختلاف المتبايعين فيها خاصة وأن هناك عبارة فى المذهب تقول " فان تشاغلا بما يقطعه - أى الخيار - عرفا بطل البيع" (١) والتعرف على ماينهى هذا الخيار فى عرف النجديين كفيل بالبت فى هذه القضية من اتمام البيع أو الغائه.

---

(١) المنقور : الفواكه ١٨٦/١، ١٨٧، ١٨٨، وعن هذه القضية فى المعتمد من كتب الحنابلة لدى النجديين اشار الشيخ منصور البهوتى فى شرحه لمنتهى الارادات حيث قال : (١٦٧/٢) "ويبقى خيار المجلس حيث ثبت الى أن يتفرقا للخبر بما يعده الناس تفرقا عرفا لاطلاق الشارع التفرق وعدم بيانه".

والى جانب أساليب البيع الحاضر المعروف والذى لا يحدث بسببه خلافات كثيرة هناك أساليب بيوع أخرى يحدث بسببها بعض الخلافات التى تستدعى استفتاء العلماء أو الاحتكام الى القضاة، ومن هذه الأساليب أن يدفع شخص الى آخر مبلغا من المال على أن يدفع له مقابل ذلك بعد مدة مقدارا من أحد المحاصيل تكون موصوفة نوعيته بينهما، ومنشأ الخلاف فى هذه المسألة أنه قد يظهر لدافع المال أن هذا المحصول مخلوط بنوع آخر بغير علمه اذ أن تجار المحاصيل الزراعية يجمعون أنواعا مختلفة من المزارعين، وقد أفتى ابن ذهلان فى هذه المسألة بالتحالف بينهما ثم فسخ البيع اذا لم تكن هناك بيّنة لواحد منهما، وذكر أن هذا هو الذى يعمل به المتورع فى مثل هذه المسألة[1]، والذى يظهر أن هناك أساليب بيوع أخرى مشابهة لهذا الأسلوب كان يتعامل بها النجديون، ويجمع بينها مواطن اختلافات تنشأ بسببها بين البائع والمشترى كوجود العيب فى السلعة، وكونها مختلفة الأجزاء[2].

ومن أساليب البيوع النجدية كذلك بيع الأراضى التى يكون فيها صبرة[3] معلومة السنين، وقد ذكر بعض علماء نجد صحة ذلك البيع اذ لا فرق بينه وبين بيع الأرض التى فيها خراج على القول بصحة بيع الخراجية، والمقصود جواز بيعها من المالك لا من المستأجر (المتصبر)، ويشترط فيها التصبير.

---

(١) المنقور : المصدر السابق ١/١٩١

(٢) المنقور ١/١٩١

(٣) الصبرة : نوع من أنواع الاجارة العقارية والزراعية تمتد مدته الى أمد طويل يخول المستأجر من التصرف به كأنه ملكه ماعدا البيع لعين العقار أو البئر وما يحيط بها من أرض زراعية وقت العقد وماحولها له حق التصرف الكامل ولم أجد لذلك أصل فى كتب اللغة ولعله من الصبر بمعنى التحبيس والتجميد، أو من الصبر على أساس ان المؤجر والمستأجر يصبر كل منهما على هذا النوع من الاجارة هذه المدة الطويلة ولو تضررت العين او تضرر المستأجر.
(الفيروزابادى : باب الراء فصل الصاد، العبودى : الامثال ٢/٦٤٢، ٦٤٣ مثل رقم ١٠١٦، وهى فى الفقه احد قسمى اجارة العين البهوتى ٢/٣٦٣).

وأشار ابن ذهلان أن كثيرا من أهل الوشم اعتادوا بيع النخل الذى فيه صبرة حيث يوصى أحدهم فى عقار بمثل هذه، ويقدم الموصى به العقار فى الغلة على المشترى حيث يأخذ حصته، وبعد ذلك يتصرف مستأجر الأم " المتصبر " ببيع مابقى من الغلة، وقد ذكر ابن ذهلان أن هذا البيع على هذه الصيغة صحيح (١).

ويبدو أنهم كانوا يجمعون بين البيع والاجارة فى عقد واحد حيث يحدث أن يبيع بعضهم كامل نخل البستان ويستثنى منها نخلتين أو أكثر ويستأجر المشترى على سقيهما مدة معلومة، وأفاد بعض فقهاء نجد بصحة هذا البيع ويرجع فى كيفية السقى الى العادة والعرف (٢).

وقد وقف علماء نجد موقفا حازما ضد بيع الحيلة وخيار الشرط فيه وهو ماكان يتعامل به بعض أهل نجد وهو أن يدفع شخص الى آخر مبلغا من المال مقابل نخل فى بستان والمال أقل من ثمن مثله ولكن بشرط الخيار للبائع فقط مدة معلومة ليربح من هذا المال الذى لم ينعقد البيع به لوجود الخيار، ويطلب البائع البقاء بهذا البستان والاعتناء بهذا النخل مقابل جزء من ثمرته التى هى ربح للمشترى حسب غلاء السعر ورخصه ومصدر اعتراض علماء نجد على هذا البيع وهذا الشرط فيه أن البائع بشرط

---

(١) المنقور: ١/١٩٤، ولعل المقصود بذلك بيع ثمر النخل أوفسائلها لا النخل الموجود فى الارض المحددة حال التصبير.

(٢) المنقور ١/٢١٣، وللجمع بين البيع والاجارة أكثر من صورة لكنه على الصورة السالفة يعتبر بيعا صحيحا على المشهور من مذهب الامام أحمد ،اما على صورة بعتك هذا البستان على أن تؤجرنى دارك بكذا فهذا شرطا فاسدا يبطل العقد . (منصور البهوتى : شرح المنتهى ٢/١٦٢، ١٦٣) كما أن الاستثناء على هذه الصورة صحيح على المشهور من مذهب الامام أحمد . محمد بن عبد الله آل حسين : الزوائد ١/٣٦٩، وأكد ابن عطوة على معلومية المدة للسقى والقيام بامر النخل والا فالشرط فاسد (المنقور ١/٢١٢).

الخيار لا يستحق قبض الثمن الا بعد انقضاء مدة الخيار، وإن قبضه حرم عليه التصرف فيه، وقد فصل علماء نجد الكلام حول هذا الأسلوب من البيوع مما يدل على انتشاره في بعض مناطق نجد وخاصة منطقة الشمال حيث يطلب البائع من المشترى اعطاءه دراهم معدودة ليبيع عليه بها نخله ويعمرها له بعدد معروف من الأسهم من الثمرة على أنها ربح في الدراهم وللبائع الخيار الى مدة معلومة وينظران الى غلاء السعر ورخصه، ولاشك أنه يساعد على تحريك الاقتصاد باعمار البساتين وتوفير السيولة النقدية ولكنه يجر الى الاختلاف بين المتبايعين، وفيه تحيل بأخذ ماحرم الله أخذه الا ببيع صريح ليس فيه استغلال للبيع في مقابل دفعه المشترى من المال المسمى ثمنا، وقد خلص بعض علماء نجد الى أن ذلك هو عين الربا المنهى عنه.(١)

ومن أساليب البيوع المشهورة عند النجديين - وخاصة البدو - ما يسمى برجل الفرس أو نصف الفرس وهي أن يستثني البائع نصف الفرس أى أنها بعدما تنجب مهرتها الأولى يكون الخيار للبائع أو للمشترى حسب الاتفاق بأخذ المهرة الأولى أو أمها، اما رجل الفرس فيكون للبائع الحق في أن يملك المهرة والثالثة أو الرابعة، وقد وقف علماء نجد قبل الدعوة وبعدها ضد هذا الأسلوب من البيوع على أساس نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن بيع الثنيا الا أن تعلم، ونهى عن بيع المضامين والملاقيح والمجر والتي يبدو ان النجديين كانوا يتعاملون بها قياسا على رجل الفرس أو نصفه.(٢)

---

(١) للتفصيل في هذا الاسلوب وشيوعه في بعض مناطق نجد وآراء العلماء فيه المنقور ١/ ٢١٤ - ٢٢٤). وقد سبقت الاشارة الى بعض هذه الآراء في فقرة "العلاقة بين الطلاب وأساتذتهم" في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٢) المقصود بالثنيا الاستثناء والمضامين مافي اصلاب الفحول، والملاقيح مافي بطون الامهات، وكذلك المجر مافي بطن الناقة كما يطلق على الربا والقمار؛ عن أسلوب رجل الفرس أو نصفه وآراء العلماء

(=)

وكانوا يتعاملون ببيع السلم وهو ماعجل ثمنه وأجل مثمنه وصفته أن يدفع شخص الى آخر مبلغا من المال على أن أن يدفع اليه مقدارا معينا من التمر أو البر بعد مدة سواء وقت جنى الثمار أم قبله أم بعده[1]، كما كانوا يتعاملون ببيع الذمة وهو عكس بيع السلم، ويبدو أنه أكثر انتشارا بينهم من بيع السلم، وقد أدى بيع الذمة دورا اجتماعيا ايجابيا فى تحقيق التعاون، ونظرة ذى العسرة الى الميسرة، هذا من جانب كما أنه من جانب آخر كان مجالا لاستغلال بعض الأغنياء لبعض الفقراء برفع السعر عاليا بدل التأجيل، وقلب الدين بزيادة اذا حل ولم يستطع المستدين الوفاء بأن يجعل الدين السابق رأس مال ثم يضاف اليه الربح للسنة القادمة[2]، وقد وقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبناؤه وتلاميذه ضد هذا الأسلوب التجارى معتمدين فى ذلك على مذهب الامام أحمد وغيره من الأئمة وقد وصف الشيخ التحيل على قلب الدين باحضار عدة دراهم من الدين المقلوب ويتم العقد عليه بما يسمى بعقد التصحيح وصف هذا التحيل بالبطلان حيث قال فيه " وهذه الحيلة الطعونة التى هى مغلظ الربا أو الحيلة التى استباح بها أكثر المطاوعة الآن[3].

(=) فيه. (البهوتى ١/١٤٧، ١٤٩، ابن قاسم : الدرر ٥/١١، ١٢، محمد ال حسين : المرجع السابق ١/٣٦٦، ٣٧٠)، وعن انتشار بعض هذه البيوع فى نجد : (فهد المارك : من شيم العرب ٣/ ٢٣٦، ٢٣٧).

(١) المنقور ١/٢٥٥، وقد ورد نهى صريح عن بيع الثمرة قبل بدء صلاحها، (البهوتى ٢/٢١٠، ٢١٤، ابن قاسم : الدرر ٥/٨٣- ٨٧) ولكن السلم على نوع من الطعام غير مقصود به ثمرة لم تزه بعد يجوز كما فى هذه المسألة على مايبدو، اذ وردت السنة بجواز السلم (الدرر ٥/٨٩).

(٢) ابن قاسم : الدرر ٥/٦١، ٦٢، وكان الامهال على المدين الى ميسرة احيانا، والسماح بالدين والتصدق به أحيانا أخرى مجالى فخر واعتزاز من النجديين فى تلك الفترة: فهذا ابو حمزة العامرى من شعراء القرنين التاسع والعاشر الهجريين يقول :

وحنا ندين جارنا من كيلنا ∴ وندينه دين بغير وفائى

(عبد الله الحاتم : خيار مايلتقط ١/٣٦)

(٣) ابن قاسم ٥/٦٢، وعن موقف علماء الدعوة بعد الشيخ من هذا الأسلوب ٥/٦٢ - ٧٠.

وبالجملة فقد كان النجديون يتعاملون بمختلف أساليب البيوع التى كانت تقرها الشريعة وكانوا - فى فترات الجهالة - يخرجون أحيانا فى بيوعهم عما تقره الشريعة، وقد شهدت تلك الفترة حركة بيع وشراء بمختلف أساليبهما المؤجلة وغير المؤجلة، والموافقة للشريعة وهى الأغلب، ومحاولات الخروج عن ذلك، وقد ساهمت هذه الحركة باحياء الحياة الاقتصادية فى نجد رغم الوضع السياسى والأمنى الذى كانت تعيشه فى تلك الفترة، وكان للعلماء النجديين الدور الأكبر فى توجيه حركة البيع والشراء الى ماتجيزه قواعد الشريعة على المشهور من مذهب الامام أحمد بن حنبل مع خروج عنه أحيانا الى بعض الآراء فى المذاهب الأخرى، ومداراة لأهل نجد أحيانا فى معاملاتهم يدفعهم فى ذلك ماقد يجدونه من رأى فقهى مؤيد لهذه المعاملات (١)، أو خفاء لبعض الاحكام حولها خفاء يجعلهم يوافقون أهل نجد فى بعض هذه المعاملات وهذه كانت من ضمن ما أولاها امام الدعوة محمد ابن عبد الوهاب - وتلاميذه من بعده جل اهتمامهم وعنايتهم حيث يجد الباحثون ملاحظتهم العديدة على بيوت تلك الفترة والفتاوى (٢) التى

---

(١) يجد الباحث فى تلك الفترة الكثير الكثير من خروج علماء نجد فيها الى المذاهب الأخرى وخاصة الى المذهب الشافعى الذى تحول بعض علماء نجد من المذهب الحنبلى اليه. ومما يمكن اعتبره وعيا فقهيا من هؤلاء العلماء رغم ما اشتهر عند عامة الباحثين من أنهم كانوا يلتزمون بمذهب الامام أحمد يؤيدهم فى ذلك تحمس بعضهم لآراء مجتهدى الحنابلة، الأمر الذى جعل خروجهم عن بعض آرائه لا تبدو واضحة عند البعض.

(٢) يمكن الاستشهاد بهذا النص للشيخ محمد بن عبد الوهاب والذى ينتقد فيه تحيل بعض أهل نجد على الربا حيث يقول" وههنا فائدة ينبغى التنبيه عليها وهى أن الحيل على الربا قد نشأتم عليها أنتم ومشايخكم وتسمونها التصحيح، والأمور التى نشأالانسان عليها صعب عليه مفارقتها بالكلية والاستجابة لله والرسول وترك مذهب الآباء، وما عليه المشايخ أمرعظيم لا يوفق له أكثر الخلق فأمر الحيل ومسائله مثل الشرك فكما أنكم لم تفهموا الشرك

(=)

صدرت بشأنها مما ليس هنا مجال تفصيلـــه .(١)

٤- المكاييل والموازين والمقاييس:

ا - المكاييــل :

لقد كانت وحدة الكيل النجدية في تلك الفترة وحتى العصـــر الحاضر هى الصاع وما ينقسم اليه من وحدات أصغر ، ومن المؤكد في تلـــك الفترة أن منطقة نجد قد عرفت عددا من الآصع تختلف مقاديرها من اقليـــم لآخر بالنسبة للصاع النبوى (وحدة الكيل الشرعية) فعلى حين أشار بعـض العلماء أن صاع العارض يزيد خمس صاع وخمس الخمس على الصاع النبـوى(٢) الذى قدره أحد العلماء بكيلين وأربعين غراما(٣) ، فقد أشار علماء تلك الفتـــرة

(=) أول مرة ولا ثانية ولا ثالثة ولم تفهموه كله الى الآن فكذلك الحيـــل لأجل نشأتكم عليها وتسميتها التصحيح تحتاج منكم الى نظـــر وفطنة فأكثروا التدبر لها والمطالعة والتمثيل في اغاثة اللهفـــان وغيرها " (ابن قاسم : الدرر ١٠٢/٥) .

(١) لقد زخرت كتب البيع لدى الفقهاء النجديين في تلك الفتـــرة ومابعدها بالكثير من أساليب البيع والشراء مما يحتاج هو لبحـث خاص مقارنا بملاحظات علماء الدعوة عليها ولعل أبرز من ذكر صـور هذه البيوع : (المنقور : الفواكه الجزء الأول كتاب البيع لفترة ماقبل الدعوة ، وابن قاسم : الدرر الجزء الخامس كتاب البيع لفترة مابعـد الدعوة فللاستزادة والمقارنة يرجع اليهما) .

(٢) ابن بشر ٢١٩/٢ من حاشية المقق ، ابن قاسم : الدرر ٣٠٠/٤

(٣) محمد الصالح العثيمين ، مرجع سابق ص ٢٢٨ ، وقد ذكر فيها مقدار الصاع النبوى بالمثاقيل أربعمائة وثمانين مثقالا ، كما قدرها بالـوزن السالف بالكيلو غرام عند الكلام على زكاة الفطر من رمضان ، وقد ذكـر الفيروزابادى في القاموس باب العين فصل الصـاد أن معيـــار الصاع النبوى الذى تدور عليه الأحكام بين المسلمين أربع حفنـات بكفى الرجل الذى ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما . وانظـــر (البهوتى شرح المنتهى ٣٨٩/١) وعلى هذا فصاع العارض يعادل كيلين وخمسمائة وثلاثين غراما تقريبا .

الى صاع سدير الذى يعادل صاعا وثلاثة أرباع الصاع النبوى (١)، كما أشاروا الى صاع وادى الدواسر الذى يبلغ ضعف صاع العارض (٢) وهو مايبدو أنه المعتمد عند النجديين ومن المعتقد أن نجدا قد عرفت آصاعا أخرى غير تلك، الا أن المشهور منها هذه الآصع وأشهرها صاع العارض حيث الثقل العلمي والقوة السياسية نسبيا كما أن من المعتقد أن آصع المناطق الأخرى كانت تقوم على أساس الصاع العارضي.

ومن المكاييل التقديرية الكبيرة الوسق الذى يقدر بستين صاعا بالصاع النبوى باتفاق العلماء (٣)، وما يقل عن ذلك بالآصع النجدية أو حمل بعير (٤)، وقد أخطأ المنقور حينما ذكر فى تاريخه ونقله عنه بعض مؤرخى نجد أن الوسق ستون صاعا بصاع العارض، والصحيح أن الوسق

---

(١) نقل المنقور فى مجموعه ١٦٢/١ من خط الشيخ اسماعيل بن رميح (ت ٩٧٠هـ / ١٥٦٢م) مانصه : " اختبرنا صاع النبى صلى الله عليه وسلم فوجدناه كل أربعة آصع بصاع سدير الآن سبعة آصع بصاع النبى صلى الله عليه وسلم، فعلى هذا نصاب الثمار مائة وسبعون صاعا ... " ويعادل صاع سدير كيلين وستمائة واثنين وخمسين غراما تقريبا.

(٢) ابن قاسم : المصدر السابق ٣١٠/٤ وعلى هذا فصاع الوادى يبلغ خمسة اكيال وستين غراما وفى هذا نظر.

(٣) ابن حجر، فتح البارى ٦٥/٧، ٦٦

(٤) أصل الوسق : الحمل، ومنه الوسيقة من الابل اذا حملت، كما تطلق على كل من حملت، وأوسق البعير حمّله حمله، ولهذا اشتهر عند اللغويين أن الوسق حمل بعير أخذا من قوله تعالى فى سورة يوسف : " ونزداد كيل بعير " آية : ٦٥، أى وسق بعير زائدا على أوساق أباعرنا (الفيروزابادى : باب القاف فصل الواو، أبو السعود العمادى : التفسير ١٦٥/٣). والى وقت قريب وأهل نجد بادية وحاضرة يتعاملون بيعا وشراء على أساس حمل البعير أو الحمار مكتفين بذلك عن الوزن، ويشبهون فى ذلك أهل القرى والبادية العراقية (جواد على ٦٣٢/٧، ٦٣٣).

ستون صاعا بالصاع النبوى لا الصاع العارضى أو أى صاع نجدى غيره[1] اذ أنها تزيد عن الصاع النبوى على اختلاف فى مقاديرها .

ونتيجة لذلك فقد اشتهر لدى مؤرخى نجد أن وحدة الكيل فى الحجاز أنقص منها فى نجد ، وهذا الأمر لا يزال قائما اذ أن الكيلة فى الحجاز نحيفة طويلة وهى أقل من الصاع النجدى الذى هو قصير عريض،[2] وعلى ذلك فيبدو أن مقدار الكيلة الحجازية قريب من مقدار الصاع النبوى ان لم يكن المقدار نفسه .

---

(١) المنقور : التاريخ ٦٥ ، الفاخرى ٨٢ ، ابن بشر ٢/ ٢١٩ - من حاشية المحقق ، وكان النجديون كذلك يكيلون ويزنون بالمن وهو يزن ٣٣ وزنة فى نجد ، أى مايعادل ٤٫٩ كيلوغرام ، وهو مشتهر فى الاحساء والقطيف أكثر من نجد ويوزن به التمر والحبوب ، كما أنه معروف فى العراق ، وهو فيها يختلف ثقله بحسب نوع الموزون فهو أنواع عديدة فمن الحبوب أثقلها تليه الأنواع الأخرى وأشتهر منها منتصف القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى نوعان ١ : المن البقّالى ويزن ١٠٫٨٨٦ كيلوغرام ٢ : المن العطّارى ويزن ٨٫١٦٥ كيلوغرام ، وقد اشتهر المن فى العراق وشرقى الجزيرة عامة اكثر من نجد ، وعرفه العرب قبل الاسلام كذلك كما عرف حديثا فى عدد من البلدان حيث ينسب اليها كالمن التبريزى والشيرازى وغيرها (عبد الرحمن بن عبد الله السويدى : تاريخ حوادث بغداد ، والبصرة من عام ١١٨٦هـ الى ١١٩٢هـ/ ١٧٧٢م - ١٧٧٨م تحقيق وتعليق د . عماد عبد السلام رؤوف : مطابع دار الحرية للطباعة - بغداد ، نشر وتوزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان . وزارة الثقافة والفنون العراقية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م سلسلة كتب التراث رقم : (٧٣) ص ٩٦ ، ٩٧ ، من حاشية المحقق ، جواد على ٧/ ٦٢ ، ٦٣١ ، د . عبد الفتاح أبو علية : النقود والموازين والمقاييس فى سنجق الحسا فى العهد العثمانى ، مطبعة نهضة مصر نشر دار المريخ ٢١ ، ٢٢ ، لوريمر : دليل الخليج : القسم الجغرافى ٢/ ٨٤٩ ، ٥/ ١٨٣٣).

(٢) الفاخرى : ابن بشر : ١/ ١٨٣ ، د . عبد العزيز الخويطر (ابن بشر) : ٥٣ .

ويصنع الصاع من الخشب كما ينقسم الى وحدات أصغر، أكبرها المدّ ويختلف تقديره من صاع لآخر بل ان الصاع النبوى اختلف فى تقدير امداده ومقدار المد نفسه فبعض العلماء ذكر أن الصاع النبوى يبلغ أربعة أو ثمانية أرطال وكل مد رطلين، أو رطل وثلث. وبعضهم ذكر أن الصاع النبوى يبلغ ثلاثة أمداد، فيكون المد ثلث الصاع، كما ذكر بعضهم أنه يبلغ أربع حفنات بيدى الرجل المعتدل فى الخلقة مجتمعة، والمد حفنتان فعلى هذا يكون المد نصف الصاع النبوى (١)، الا أن كون المد ثلث الصاع النبوى هو الذى تطمئن له النفس لأنه لايجوز أن تنقص صدقة الفطر عن مد بر أو نصف صاع من غيره، وقد وردت هذه المعادلة فى الحد الأدنى لصدقة الفطر كما فى حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال: " أمر النبى صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر صاعا من شعير، قال عبد الله فجعل الناس عدله مدّين من حنطة "، وكما فى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: " كنا نعطيها فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم صاعا من طعام، أو صاعا من تمر أو صاعا من شعير، أو صاعا من زبيب، فلما جاء معاوية وجاءت السمراء قال: أرى مدا من هذا يعدل مدين " وفى رواية قال: " فلما كان معاوية عدل الناس نصف صاع بر بصاع من شعير" خلافا لمن قال بأن الذى عدل عن ذلك عمر ثم عثمان رضى الله عنهما (١)، وعلى أى حال فيمكن

---

(١) الفيروزابادى باب العين فصل الصاد، البهوتى ١/٤١٤/٤١٥، وأشار فيها الى أن الصاع أربعة أمداد، ابن قاسم: الدرر ٤/٣١٩ ٣٢١ وقد أورد فيها آراء العلماء النجديين وغيرهم قديما وحديثا فى مقدار الصاع والمد النبويين، دائرة المعارف الاسلامية ١٤/١٠٥ مادة " الصاع " من اعداد المستشرق / الفرد بل، وأشار فيها الى اختلاف مقدار الصاع والمد باختلاف البلدان والاقاليم

(٢) ابن حجر: فتح البارى ٧/١٤١ - ١٤٥، وقوله: السمراء أى القمح الشامى، وقد أورد فيه آراء متعددة حول هذه المعادلة وهل أساسها اختلاف القيمة بين البر وسائر الطعام أو الكيل كما يميل الى ذلك أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه، وقد ذكر

(=)

الاستدلال بذلك على أن المد أقل من النصف وأقرب اليه من الربع فيكون على هذا ثلث الصاع تقريبا .

أما عموم الآصع النجدية فقد اتفق علماء نجد على أنها كلها تزيد عن الصاع النبوى على اختلاف في مقاديرها كما مر، كما أنه قد تواتر لدى النجديين أن المد ثلث الصاع (١) على اختلاف فى مقاديرها كذلك، وقد أخذت تسميته من مقداره وأسلوب تقديمه اذ أنه يقدر بملء كفى الانسان المعتدل اذا ملأهما ومد يده بهما فالمد هو الممدود (٢) وأخطأ من ظن أن المد هو ربع الصاع (٣)، ويمكن اعتبار الصاع العارضى مقياسا للآصع النجدية، والمد العارضى مقياسا للأمداد النجدية التى لم يرد تقديرها، وعلى هذا فالمد العارضى يعادل ثمانمائة وخمسين غراما تقريبا .

وينقسم المد الى وحدتين كل وحدة تسمى <u>نصيفا</u> من باب التصغير ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تسبوا أصحابى فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه" رواه البخارى ومسلم (٥)

(=) ابن حجر كذلك أن ابن عباس رضى الله عنهما لما كان أميرا على البصرة أمر الناس باخراج زكاة الفطر وبيّن لهم أنها صاع من تمر الى أن قال : أو نصف صاع من بر.

(١) المنقور : الفواكه ١٦٢/١، ابن بشر ٢١٩/١ من حاشية المحقق ابن قاسم : الدرر ٣٠٠/٤، ٣١٩.

(٢) الفاخرى : ١١٥ من حاشية المحقق، العبودى : الأمثال العامية ٥٦٩/٢.

(٣) الفيروزابادى : باب الدال فصل الميم

(٤) عبد الكريم الجهيمان : الأمثال الشعبية ١١٨/٤

(٥) وفى رواية : مابلغ ومعناه : لو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهبا مابلغ ثوابه فى ذلك نفقة أحد أصحابى مدا ولا نصف مد، وقد ورد هذا الحديث برواية أبى هريرة من دون ذكر سببه، وبرواية أبى سعيد الخدرى، قال : كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن (=)

واذا كانت لفظة " النصيف " صيغة تصغير لنصف المد في اللغة العربية (١) فان النجديين ينطقونها " النصيف " مبالغة في التصغير قياسا على الصاع، لأنه اذا كان المد هو نصف الصاع أو ثلثة فان النصيف يعتبر نصيفا بالنسبة له، وعلى هذا فالنصيف هو ربع الصاع على رأى من قال : ان المد هو نصف الصاع النبوى، وسدس الصاع في عموم الآصع النجدية (٢)، وعلى رأى من قال : أن المد ثلث الصاع النبوى .

ويستعمل النجديون للمقادير القليلة الربيع الذى هو نصف النصيف، فيكون مقداره على هذا جزءا من اثني عشر جزءا من الصاع، وقالوا له ربيعا بالتصغير تمييزا له عن ربع الصاع (٣)، ومن ثم فقد وهم من قال أن الربيع هو ربع الصاع (٤) وتصغيره بهذه الصيغة دليل على حقارة كيلته لدى النجديين، وعدم الاستفادة مما تحتويه من الطعام لقلتها، بينما كيلة ربع الصاع يمكن الاستفادة بما تحتويه من طعام (٥).

وكانوا يكيلون بالصاع وما يتفرع منه من مكاييل سائر المحاصيل الزراعية من القمح والذرة والدخن والشعير، أما التمر فقد دلت الوثائق (٦) والأحداث

(=) ابن عوف رضى الله عنهما شئ فسبه خالد فقال رسول الله (ص) لا تسبوا أصحابى .. الحديث، (ابن حجر: فتح البارى ١٤/١٧٠-١٧٢، صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/٩٢، ٩٣).

(١) الفيروزابادى باب الفاء فصل النون

(٢، ٣) العبودى ٢/٥٦٩

(٤) الجهيمان : ٣/١٧١، ١٧٢.

(٥) العبودى : الامثال ٢/٥٧٠

(٦) كما فى وصية صقر بن قطّام التى كتبت سنة ٩٤٠هـ/١٥٣٣م والتى سيأتى الكلام عنها عند الكلام على التكافل الاجتماعى والأعمال الخيرية لدى حاضرة نجد وعن نص الوصية: (مجلة العرب ج/٦/س/٢ ذو الحجة ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م ص ٥٥٧ - ٥٥٩).

الاقتصادية فى كتب التاريخ النجدى فى تلك الفترة - كما مر - أنه كان يكال بالصاع على الطريقة الواردة فى الحديث النبوى الذى رواه ابن عمر رضى الله عنهما قال : " فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير" ،الحديث رواه الجماعة (١) وكانوا ينظرون الى أن تمر نجد يأتى كيله مثل تمر المدينة لكونه يابسا فى الغالب حيث لا تغشى أرضه المياه ، أما التمور التى تنتج بسواد العراق وما شابهها من الأراضى التى تغشاها المياه فانها تكون رطبة لا يتحرز منها الا بالوزن (٢) ،والذى يبدو أنهم كانوا فى بعض فترات هذا العصر لا يرون تقدير الصاع من التمر بالوزن لأن التمر يعتبر مكيلا فلا يحتاج فيه الى التقدير ، الا أنهم فى بعض الفترات الأخرى يرون تقدير الصاع النبوى وكانوا يحتاطون فى ذلك ، فقد جعلوه مرة وزنة ونصف ومرة وزنتين ، كما أنهم فرقوا بين التمر المكنوز (المضغوط بعضه الى بعض) فجعلوا مقدار صاعه وزنتين الا ثلثا وغير المكنوز الذى قدروه بوزنة أو وزنة ونصف أو وزنتين حسب ثقل التمر وخفته (٣) ، ولعل هذا التقدير

---

(١) انظر نص الحديث وشرحه فى فتح البارى ١٣٩/٧ ، ١٤٠ .

(٢) البهوتى : شرح منتهى الارادات ٤١١/١ ، ٤١٤ ، المنقور : الفواكه ٢٦٤/١ ، وقد أورد فيها خلافا فى المكيلات والموزونات التى يجوز والتى لا يجوز بيعها الا كيلا أو وزنا خلص فيه الى أنه فيما يتهيأ وزنه الوزن وفيما يتهيأ كيله الكيل ، كما يبدو أن الشيخ البهوتى يميل الى امكانية وزن التمر الا اذا كان ثقيلا فيحتاط فيه حين مقارنته بالصاع .

(٣) ابن قاسم : الدرر ٣١٦/٤ ، ٣٢١ وقد جرى بين ابن عطوة وزميله أحمد الشويكى (المتوفى ٩٣٩هـ/١٥٣٢م) نقاش حاد حول التمر المعجون ومدى امكانية كيله أو وزنه ، وكان رأى ابن عطوة كيله ورأى الشويكى وزنه وأيده فى ذلك الشيخ عبد الله بن رحمة الناصرى (عبد الله بن محمد البسام : تحفة المشتاق ورقة ٢٣ ، وعبد الله ابن عبد الرحمن البسام : علماء نجد ٢٠٢/١) .

كان تمهيدا لاعتبار التمر موزونا كما فى عصرنا الحاضر.

(١)
كما أنهم كانوا يكيلون السمن بالصاع، ومن المعتقد أنهم يقدرون الصاع ببعض الأوانى التى لا يسيل منها السمن اذ الصاع من الخشب ولا يتأتى كيل السمن به، أو أنهم يقدرونه بالعكك وهذا ما يحصل من أبناء البادية حيث يستطيعون نقله وعرضه فى الأسواق بسهولة.

(٢)
أما اذا كان السمن جامدا أو كان الدهن من النوع الودك فانهم كانوا يزنونه، اذ أنه فى هذه الحالة يمكن وزنه، وقد نقل المنقور عن شيخه ابن ذهلان تقريره أن الدهن اذا كان جامدا لا يعتبر فى التعامل الا موزونا لسهولة الدقة فى ضبط تقديره، ولصعوبة كيله بخلاف السائل (٣) منه الذى يتأتى كيله على ماجرى عليه عرف النجديين آنذاك.

ب - الموازين :

لقد كانت وحدة الوزن المعروفة آنذاك الوزنة وهى ماتساوى أقة وثلث بأوزان الحجاز، ومايتفرع عنها من وحدات وزنية أصغر وكان يتم الوزن بها مالا يتأتى كيله بالصاع، وفى آخر هذه الفترة بدأ التحول تدريجيا من جعل التمر مكيلا الى جعله موزونا، حتى اذا أطلقت الوزنة فى

---

(١) الفاخرى: ٩٥، ابن بشر ٢/ ٢٣١.
(٢) الودك فصيحة : الدسم، (الفيروزابادى باب الكاف فصل الواو)، وهو فى نجد الدهن المستخرج من شحم الحيوان.
(٣) الفواكه : ١/ ٢٥٦ وظاهر كلامه أن الدهن وان كان سائلا يمكن تجمده بعد فترة فانه لا يكال بل ينتظر حتى يجمد فيوزن، وذكر بعض مجتهدى المذهب الحنبلى أن السمن اذا كان جامدا فهو موزون واذا كان مائعا فهو مكيل اعتبارا، (ابن قاسم : الدرر ٥/ ٨٩)، وأورد المنقور عن ابن رميح أن البصل موزون وأن البطيخ والخوخ لا مكيل ولا موزون وكذلك التبن، نقل عن ابن عطوة أنه لا مكيل ولا موزون. (المنقور: الفواكه ١/ ٢٤٣، ٢٥٣).

الطعام انصرفت الى التمر، (١) وان كان يصار الى تقديره بالصاع وخاصة اذ أريد صرفه فى أحد المصارف الشرعية.

وكذلك يتم الوزن بالوزنة وما يتفرع منها ، كافة السلع والمحاصيل مما لا يستطاع الا وزنه، وخاصة الأعلاف التى توزن بميزان خاص يتم وضعه فى الحقول وظل التعامل بالوزن به الى وقت قريب بل حتى الآن فى بعض المناطق الزراعية فى نجد كما مر.

ومن وحدات الوزن الكبيرة التى عرفت فى الأحساء وبعض المناطق النجدية القياسة التى تعادل سبع وزنات، أما أوزان المعادن النفيسة والأشياء القليلة فكانت الحبة والتوله وبعض العملات المتداولة وبعض هذه الوحدات معروفة فى المناطق المجاورة كما عرفها العرب قبل الاسلام. (٢)

ومن الموازين التقديرية الشقل بمعنى المعايرة والوزن وقد عرفه العرب قبل الاسلام عن بعض الأمم الأخرى باسم الشاقل وهو معروف فى العراق وبعض البلدان المجاورة، وفى نجد الى الوقت الحاضر حينما لا تكون وحدات الوزن متوفرة فيطلب ممن لديه معرفة بالأوزان شقل المطلوب تقديره ويعطيه معيارا يتفق فى الغالب مع الأوزان المعروفة. (٣)

وكما عرف عرب ماقبل الاسلام عددا من وحدات الكيل والوزن من مناطق الشام والعراق فيبدو أن النجديين كذلك قد أخذوا بعض المكاييل والموازين

---

(١) د. عبد العزيز الخويطر (عثمان بن بشر) ص ٥٢، وتعادل الوزنة كيلا ونصف تقريبا (الفاخرى ص ٨٠ من حاشية المحقق) ويبدو أن كيلو اللاتينية قد أخذت من لفظة الكيل العربية بمعنى الوزن والقياس عموما.

(٢) جواد على ٦٢٨/٧، د. أبو علية : المرجع السابق : ٢١، ٢٤.

(٣) جواد على ٦٢٨/٧

عن هذه المناطق ومنطقة شرق شبه الجزيرة اذ تتفق كثير من مسميات المكاييل والموازين فيها مع تلك التي في نجد ولاشك أن هذا يعود لكبر حجم التبادل التجارى بين هذه المناطق وبين نجد (١).

جـ - المقاييس :

ولقد كان النجديون يقيسون الأطوال والأبعاد والمسافات والمساحات بالباع أو البوع وهو مقياس مابين أطراف اليدين اذ مدتا من جسم الانسان المعتدل خلقة، أو مايعادل مترين تقريبا (٢)، وكذلك الذراع وهو من طوف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى بساعد الانسان المعتدل خلقة، أو مايعادل نصف متر تقريبا ، وكان المعوّل عليه غالبا في كافة المقاييس في نجد أكثر من غيره سواء أكبر منه كالباع أم أصغر منه كالشبر والفتر اذ غالبا مايقيس به النجديون مايستلزم القياس في جميع أمور حياتهم، وعليه تدور الأحكام الشرعية المتعلقة بالأطوال والأبعاد (٣).

---

(١) جواد علي ٦٢٧/٧ ، رسول الكركوكلي: دوحة الوزراء ترجمة موسى كاظم نورس مطبعة كرم. بيروت نشر دار الكاتب العربي ،بيروت ومكتبة النهضة ،بغداد ص ١٨٣ ،لوريمر: المرجع السابق القسم الجغرافي ٨٤٩/٢ ،٨٥٠ ،١٦٩٧/٥ ،د. أبو علية ٢٠ ،٢١ ،٢٣ ،٢٤.

(٢) الباع والبوع بفتح الباء وضمها كلها فصيحة. (الفيروزابادى: باب العين فصل الباء) ،وانظر الفاخرى ١٢٩ من حاشية المحقق.

(٣) المنقور : الفواكه ١١٠/١ ،ابن قاسم : الدرر ٢١١/٤ ،الذراع كذلك فصيح . (الفيروزابادى باب العين فصل الذال) وقدعوف الذراع في عدد من البلدان المجاورة وتختلف تقديراته من بلد لاخر (لوريمر: المرجع السابق ٨٥٠/٢ ،١٠٠٢/٣ ،١٤٣٢/٤ ، ١٦٩٧/٥ وقد حدد مقدار الذراع النجدى ب ½ ١٩ بوصة أى ٥٠ سم ،وانظر د. أبوعلية ٢٥).

ومن أساليب القياس الصغيرة استعمال الشبر وهو مسافة مابين طرف الابهام الأعلى الى طرف الخنصر الأعلى كذلك اذا مدا ، أما القياسات الأصغر فيستعملون لها الفتر وهو مسافة مابين طرف الابهام الأعلى ، وطرف السبابة الأعلى المسماة المشبرة اذا مدا ، وهو أقصر من الشبر بقليل (١) .

ومن الجدير بالذكر هنا أن الوزنة ووحداتها الصغرى قد استمر التعامل بها فى سائر أنحاء نجد لوزن كافة السلع غير المكالة ، وكذلك جميع أنواع القياس الأخرى حتى ١٣ جمادى الثانية ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م حيث صدر قرار من مجلس الوزراء مبلغ الى وزارة التجارة باحلال الكيلوغرام والوحدات العشرية التابعة له محل الوزنة فى نجد ، والاردب والأقة والأوقية فى الحجاز ، وكذلك احلال المتر وكافة الوحدات العشرية التابعة له محل الباع والذراع والشبر والفتر ، واحلال اللتر والوحدات التابعة محل وحدات الحجم القديمة كالصاع ومشتقاته وتعادل بالصاع فيما يتعلق بالأحكام الشرعية ، وقد تضمن هذا القرار أن تطبيقه يبدأ من غرة محرم سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م ، وقد تولت وزارة التجارة متابعة تنفيذ هذا القرار منذ ذلك التاريخ حيث ابتدئ بتطبيقه فى الرياض ثم عمم تدريجيا على سائر مدن وقرى المملكة ، الا أنه لا يزال بعض الناس فى المدن والقرى النجدية يبيعون ويشترون على أساس الوزنة (٢) وخاصة الأعلاف والتمر والقمح الذى يحول بعد ذلك الى الصاع ، وكذلك وحدات القياس الأخرى ، وان كان هذا قد أصبح على نطاق ضيق حتى أوشك على التلاشى تقريبا .

---

(١) الشبر والفتر فصيحتان :(الفيروزابادى باب الراء فصل الشين والفاء) وانظر العبودى : الامثال : ٤/١٥٤٧، ١٥٤٨ .

(٢) ابن عيسى : ص ٢٥١ ، من اضافات الشيخ حمد الجاسر ، د .عبدالعزيز الخويطر: المرجع السابق ٥٢ ، أمين سعيد : فيصل العظيم الطبعة الثانية ، مطابع نجد التجارية ، نشر وزارة التعليم العالى ص ٣١٤ ، صحيفة الجزيرة عدد ٥٣٨٧ الاثنين ١٤٠٧/١١/٣هـ ، ٢٩ يونية ١٩٨٧م ص ٧

٥- العملات المتداولة :

لئن كان عرب ماقبل الاسلام قد تعاملوا بالمبادلة أو المقايضة (النقد الطبيعى) ووزن الذهب والفضة، وبالعملة[(١)] ، فان النجديين بادية وحاضرة قد تعاملوا بالمقايضة أحيانا وبما توافر لديهم من عملات أو عرفوها عن طريق البلدان المجاورة أحيانا أخرى .

ولقد زخر التاريخ الاقتصادى النجدى فى تلك الفترة بعدد وافر من العملات الكبيرة والصغيرة التى كان النجديون يتعاملون بها فيما بينهم داخليا وفيما بينهم وبين جيرانهم أهل البلدان المجاورة، وكانت جل هذه العملات ان لم تكن كلها ترجع الى سلة العملات العثمانية ، أو الفارسية ، وأحيانا كانت ترجع الى سلسلة العملات الأوربية أو الهندية .

وقد ذكر علماء تلك الفترة تعامل النجديين بالدنانير[(٢)] القبارصة من ضربة السلطان مراد بن سليمان[(٣)] ، ويبدو أنها كانت من أوائل النقود التى

---

(١) جواد على ٤٨٨/٧

(٢) الدينار: معرب من اليونانية اللاتينية أصله دنّار فأبدل من احدى نونيه ياء لئلا يلتبس بالمصادر. وكما تطلق على نقود بعينها فقد تطلق على عموم النقود الذهبية(الفيروزابادى باب الراء فصل الدال ، الموسوعة العربية الميسرة ٨٣٩ مادة دينار، د . السيد يعقوب بكر : نصوص فى فقه اللغة العربية : دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م ٦٩/٢) . وقد أورد فيها عددا من الآراء التى تقول : ان الدينار انتقل الى العربية من اللاتينية عن طريقة الآرامية، وقيل عن طريق التدمرية، ورد على القول بفارسيته وأن كان قد استعمل لاحد العملات الساسانية ولكن نقلا عن اليونانية.

(١) ليس فى سلاطين العثمانيين اسم مراد بن سليمان، ولعله قد اشتبه على علماء نجد بالسلطان مراد الثالث بن سليم بن سليمان الذى

(=)

تعامل بها النجديون فى تلك الفترة ، كما أنها من قطع النقود الكبيرة ، وقد أورد المنقور رأيين عن العلماء فى هذه الدنانير - ١ - الأول عن شيخه بوجود صور عليها ، وحكم الدخول بها المساجد والبيوت بناء على ذلك (١). والثانى : عن تحديد نصاب زكاتها وأنه عشرون قبرصيا ، وثلثا أو ثلثان (٢).

(=) ولد ٩٥٣هـ/١٥٤٦م وتولى السلطة بعد وفاة والده سليم الثانى عام ٩٨٢هـ/١٥٧٤م وتوفى عام ١٠٠٣هـ/١٥٩٥م ثم تولى بعده ابنه محمد الثالث للتفصيل (محمد فريد بك تاريخ الدولة العلية العثمانية . احسان حقى ط (١) دار النفائس /بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م من ص ٢٥٩ - ٢٦٦ ، د . على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ط . المكتب الاسلامى . دمشق ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ص ٨٥ ، ٨٧) . ويبدو أن تسميتها بالقبارصة لأنها كانت تسك فى قبرص التابعة للدولة العثمانية آنئذ ، ولعل هذه الدنانير هى المقصودة بالنقد المرادى الذى كان يقدر باثنتى عشر جديدة والذى أشار اليه الجبرتى فى أحداث ١١٤٧هـ/١٧٣٤م (١/٢٢٠)

(٢) المنقور: الفواكه ٩٩/١ وقد أورد فيها الفتوى بتحريم ذلك استنادا الى الحديث الذى رواه أبو طلحة قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة ، وفى رواية ولا كلب) رواه البخارى ، وذلك جوابا عن سؤال هل يدخل فى ذلك ماعلى الدنانير القبارصة فأجاب صاحب جمع الجوامع بأن ذلك داخل فى الحديث كما نقل المنقور عن شيخه ابن ذهلان قائلا الظاهر ان كان ماعلى الدنانير صورة حيوان دخل فى الحديث وان كان صورة جماد كشجر فلا . وعن الاحاديث الواردة فى هذا المجال وشرحها : (ابن حجر : فتح البارى ٢٢/٦٤ - ١٦٨) .

(٣) المنقور: المصدر السابق ١٦١/١ ، ١٦٢ وقد نقل فيها عن شيخه الذى نقل بدوره عن شيخه أحمد بن ناصر بن مشرف (ت ١٠٤٩هـ ١٦٣٩م) أن نصاب الدنانير عشرون ونصف أو ثلثان على رأى أحد المالكية ، كما نقل عن ابن رميح أن شيخه محمد بن مانع (من علماء القرن العاشر الهجرى) اعتبر نصاب القبارصة عشرين قبرصيا وثلثا وشك فى آخر الكلام هل قال ثلثين بعد العشرين ، قلت : يبدو لى بعد المقارنة مع رأى المالكى الذى اثنى عليه ابن ناصر أن الثلثين اقرب وعلى هذا فالرأى واحد .

وليس من المؤكد معرفة مدى استمرار التعامل بهذه الدنانير الا أن الذى يظهر أن نجدا عرفت عددا من الدنانير سواء كانت تركية أو فارسية اضافة الى ماهو معروف من أن كل قطعة نقد كبيرة تسمى دينارا مما يصعب معه معرفة نوعية هذه القطعة أو تلك وجهة اصدارها ، ويدل على هذا الغموض الاشارة الى الدينار فى قول حميدان الشويعر :

فالغز فى كفه دينار ∴ لياه يضربك اليهما (١)

وقد أشار المنقور فى المسائل التى وقع عليه فيها اشكال أثناء قراءته على الشيخ عبد الله بن ذهلان الى الدنانير المصرية (٢) ، مما يدل على أن نجدا كانت تتعامل بهذا النوع من الدنانير ، لكن تاريخ اصدارها والسلطان الذى صدرت باسمه والمعلومات العامة عن هذه الدنانير ، كل هذه لم أستطع الحصول عليها ، الا أنه يبدو أنها من الدنانير المملوكية ، أو العثمانية المسكوكة فى مصر خاصة وأن مصر والشام تعدان من البلاد المتحضرة فى الدولة الاسلامية ، أو من بلاد الاسلام السلطانية بتعبير ابن ذهلان (٣) اذ كانت الدولة العثمانية ترخص أحيانا بسك بعض العملات بدار السك بالقلعة بالقاهرة (٤) ، كما يبدو أنها كانت متزامنة مع الدنانير القبرصية ، وتقف

---

(١) خالد الفرج : مرجع سابق ١/٧٦ ، محمد سعيد كمال مرجع سابق ٩/٥٧ . وقد سبق تحليل البيت فى الفصل الأول من الباب الأول .

(٢) ٢/٣٧١

(٣) المنقور : المصدر السابق ، ١/٢٦١ ، ٢٦٢ ، وقد بدأ فى القبارصة الزيف فى تلك الفترة وانتبه علماء نجد ومنهم ابن ذهلان لذلك حيث ذكر أن ذلك من الغش والمفاسد مؤكدا أنه يجب التفريق بين القبارصة السليمة والمغشوشة على غرار ماذكر العلماء من التفريق بين الدينار الكامل والناقص .

(٢) الحلاق : مصدر سابق ، ص ٤ حاشية ٤ .

فى صفها فى سوق التعامل التجارى فى ذلك الوقت اذ يحدث أن تزيف تلك بتلك أو تتبادل إحداهما بالأخرى ، ويبدو أن الدنانير المصرية كانت اكثر قبولا من القبارصة حينما تعرضت لبعض أساليب السك المغشوش فضلا عن حداثة المصرية وعدم تعرضها لمراحل سك مختلفة قد تفقد الثقة بها.(١)

وتعامل النجديون نقديا بالأحمر، وهو عملة ذهبية ويعتبر من النقود الكبيرة وان كان أقل من الدينار فيما يبدو، الا أنه قد تأتى فترة يعادل فيها الأحمر بدينار قبرصى حسب ارتفاع سعر الذهب وانخفاضه وحسب وفرة أو ندرة أحد هذين النقدين فى الأسواق ، ويحدث هذا التعادل عادة أثناء تغيير فى السكة ،أو حاجة الصاغة الى الذهب لتشكيله حليّا أو ماشابه ذلك، وقد افتى ابن ذهلان بتحريم توفية الحمران بالقبارصة مما يدل على التفاضل بين الأحمر والقبرصى فى القيمة والجنس، وأن استيفاء واحد منهما عن الآخر يحدث بين الناس فى ذلك الوقت. وقد أشار بعض الباحثين الى أنه بمنزلة الريال الآن(٢)، ولعل من مظاهر قبوله فى الأسواق النجدية ماذكره ابن ذهلان من عدم جواز اخراج جدد مغشوشة زكاة عنه.

---

(١) المنقور ٢٦٢/١ حيث نقل عن شيخه أنه قيل له عن حصول سك القبارصة مغشوشة واذ أكد على حرمة ذلك طبعا فقد أشاروا الى أنه لا يحل لمن قام بذلك أن يقول هذا مصرى ونحوه مما يوحى بمزاحمة الدينار المصرى للقبارصة وأنه أقوى منها فى سوق التعامل خاصة بعد ماطرأ على القبارصة من زيف .

(٢) المنقور: الفواكه ١٥٨/١، ٢٦١، ٣٥٢ ، التاريخ ٦٥ ، الفاخرى ٨٢، ٩٥ ، ابن بشر ٢١٩/٢، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٨ ، ابن بسام تحفة : ورقة ٥٥، ٦٥ د . أبو علية ، مرجع سابق ص ١٨ وذكر فيها أن الأحمر يساوى ½ ليرة عثمانية ذهبية و. ٥ قرش عثمانى و٩ / ١٦ دولار نمساوى و ٢٠٠ محمدية و٧ روبيات هندية.

ويعد الأحمر من العملات العثمانية المعروفة فى مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية الا أنه لقلته أحيانا فضلا عن تعرضه لمراحل سك قد تفقد قيمته فقد كانت الدولة العثمانية تعتبره عملة محلية لا تسمح باستخدامه فى جباياتها من المناطق التابعة لها فى شبه الجزيرة وكان التعامل به متقدما فى نجد ، فقد ورد هذا التعامل به فى فترة متقدمة عن بدء الدعوة واستمر التعامل به الى فترة متأخرة من بدء الدعوة كذلك حيث كانت حكومة الدرعية تفرضه ضمن النكال على بعض البلدان أو القبائل التى لم تدخل فى الطاعة أو التى تعلن العصيان (١).

ومن العملات المتداولة المشهورة فى نجد فى تلك الفترة المحمدية (٢) وهى من العملات العثمانية التى تعامل بعض سكان المناطق المجاورة لنجد الا أنها اشتهرت فى نجد أكثر من غيرها وقد عاملتها الدولة العثمانية كما عاملت الأحمر تماما ، وهى من النقود الصغيرة اذ ذكر أحد الباحثين أنها تقل عن ربع الريال أو ما يسوى خمس الريال تقريبا ، وقد ذكر بعض علماء نجد أنه لا يجوز صرف المحمديات بالقطع " الفلوس " التى من النحاس وتعادل عشر البارة ، مما يدل على التفاضل بين المحمدية والفلس فى القيمة والجنس، وذكر

---

(١) ابن بشر : ١/٦٦ ، وقد ذكر البسام فى تحفته سنة ١١٤٠هـ/ ١٧٢٧م نقلا عن أحد مؤرخى الطائف أن سعر الأحمر وصل الى قرشين مما يدل على انتشاره فى الحجاز وذكر أن سعر صرفه قرشان للأحمر مما يشير الى بدء تدنى قيمته النقدية وارتفاع القرش الذهبى أمامه ، د . أبو علية ١٨.

(٢) سكت فى عهد السلطان محمد الرابع الذى تولى من ١٠٥٨هـ/١٦٤٨ - ١٠٩٩هـ/ ١٦٨٧ م حيث بدأ نشاط أسرة كوبريللى عندما تولى الصدارة العظمى محمد كوبريللى (ابن ربيعة ٩٠ من حاشية المحقق) .

المنقـــــور لهـا نقلا عن أحد العلماء الذين سبقوه يدل على أنها مـــن العملات قديمة السك ،وأن تعامل النجديين بها كان متقدما هو الآخر كمـا ذكر ذلك مؤرخو نجد ، وقد أشار الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى احـدى رسائله لأهل شقراء الى هذه العملة وقيمتها النقدية الضئيلة حينما قـال " يا الله العجب تحاربون ابراهيم بن سليمان (العنقري أمير ثرمدا) فيمـا مضى عند كلمة تكلم بها على جاركم أو حمار مايسوى عشر محمديات" وقد استمـر التعامل بهـذه العملة حتى وقت متأخر عن قيام الدعوة كذلك (١).

ومن العملات التى كان أهل نجد يتداولونها ،وتتمتع لديهـم بسمعة نقدية عالية المشخص وهو أكبر وأثمن من الأحمر (٢) ،اذ أنه من الذهـب الخالص،كما أنه ذو عيار عال اذ يقرب من أربعة وعشرين قيراطا ،وهو مـن النقود الأوربيـة (٣) ،وينسب الي مدينة البندقية التى بدأت تظهـر

(١) المنقور : الفواكه ١/ ٢٥٥ ،ابن ربيعة ٩٠ ،الشيخ محمد بن عبد الوهاب : الرسائل ٢٩٢، ٢٩٣ ،الفاخرى ٨٠، ١١٥ ،ابن بشر ١/ ٦٦، ٢/ ٢١٦، ٢١٩، ٢٣٨ ،أحمد البديرى : حوادث دمشق ص ٣٥ ،د . أبو علية مرجع سابق ص ١٨ ،لوريمر: مرجع سابق : القسم الجغرافى ٢/ ٨٥١ وذكر أنها تعادل ½ القرش العثمانى الذهبى ، $\frac{1}{٤٠}$ من الليرة العثمانية الذهبية و$\frac{1}{٤}$ من دولار ماريا تريزا و$\frac{1}{٣٠}$ - $\frac{1}{٤٠}$ من الروبية الهندية .

(٢) الفاخرى: ص ٩٦ من حاشية المحقق

(٣) لقد بدأت عقدت الخواجة (الاعجاب بالغربيين) متقدمة فـى العالم الاسلامي ولعل الجانب الاقتصادى كان من أهم جوانـب هذا الاعجاب وأولها يدعمه الوضع السيئ فى هذا الجانب بالنسبة للعالم الاسلامى الذى كان يعيش منذ ماقبل القرن العاشـر الهجرى/ السادس عشر الميلادى فى شبه فوضى اقتصادية بشكـل عام وفوضى نقدية بشكل خاص حتى أطلق أحد الباحثين على هـذا العصر " عصر النحاس " اذ كانت العملة النحاسية قاعدة النقد منـذ عصر المماليك فى مصر مما أدى الى تقليل كميات الذهب المتداولـة فى الأسواق على أساس القاعدة النقدية " العملة الرديئة تطـرد

(=)

أهميتها ككيان سياسى فى أوربا منذ القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، فأصبحت بذلك تضرب نقودا ذهبية يطلق عليها البندقيات أو الدوكات ، والدوقات نسبة الى دوقات البندقية الذين تضرب بأسمهائم وتوضع صورهم عليها ، اضافة الى النقود الفضية كذلك . الا أن اشتهارها بدوقات الذهب كان أوضح ، والبندقى أو المشخص نقد عام يطلق على عموم النقود التى بدأ ضربها منذ سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م تقريبا فى وقت بدأت النقود المملوكية الذهبية تفقد سمعتها العالمية بسبب خفض عيارها نتيجة خلطها ببعض المعادن الأقل نفاسة مما دفع ببعض سلاطين المماليك أنفسهم الى التعامل بهذه النقود البندقية ، وأطلق عليها المشخصة لوجود صور شخصية آدمية عليها تتمثل أحيانا بصور بعض القديسين

(=) العملة الجيدة من الأسواق " واستمر هذا فى مصر حتى بعد مجئ العثمانيين حيث كانت قد اندثرت الاهمية النقدية لدور السك المنتشرة فى مصر منذ عصر المماليك ولم يبق منها حين مجئ العثمانيين الاداران فى الاسكندرية والقاهرة ، ويبدو أن الأمر اقتصر اخيرا على دار السكة بالقاهرة "الضرب خانة" التى كانت فى القلعة ، والتى كان العثمانيون يرسلون اليها قوالب السك من استانبول وزامن ذلك وجود غش فى العملات كان سببه قلة مايسك من العملات ، اضافة الى امتصاص الغربيين للمعادن النفيسة من ذهب او فضة مما ادى الى نشاط دور الضرب الاوربية فى البندقية وفلورنسا والنمسا والمجر واسبانيا وبدات تصدر العملات الاوربية بكمية كبيرة للعالم الاسلامي الذى كان يعاني من الوضع النقدى السيء ، ومما زاد الامر سوءا حرص الاوربيين على اغراق اسواق العالم الاسلامي بالنقود اكثر من حرصهم على اغراقها بالبضائع اذ كانوا اذا اشتروا سلعا من المسلمين لم يقايضوهم ببضائع اوربية بل بنقود ذهبية على درجة عالية من النقاوة جعلها تنال تقديرا عاليا من العرب فى شبه الجزيرة ، والهنود وكافة المسلمين حتى لم يعودوا فى فترة من الفترات يقبلوا اى نقد ماعدا النقد المجرى المعروف "بابى طاقة" (الفرانسة) والنقد البندقى والاسباني والفرنسي ، وقد استغل الاوربيين نقطة الضعف هذه فاوجدوا فى العالم الاسلامى فكرة سلامتهم من الغش والكذب فى معاملاتهم ، حتى ذكر الجبرتى : ان جميع معاملة (اى عملة) الكفار سالمة من الغش والنقص ، بخلاف معاملات المسلمين (العثمانية) فان الغالب على جميعها الزيف والخلط والغش والنقص) وهكذا اخذ الاوربيون يحاربون المسلمين على الجبهة الاقتصادية بعد ان عجزوا عن الجبهة الدينية والسياسية ثم اخذوا فى الحرب على هاتين الجبهتين عن طريق الاقتصاد والثقافة يشجعهم على ذلك الوضع السىء الذى يعيشه العالم الاسلامى فى هذين الجانبين ، للتفصيل : (الجبرتى

(=)

وأحيانا بصور دوقات البندقية ، والذى يبدو أن البنادقة كانوا يضربون المشخص منذ تلك الفترة على مراحل كلما أرادوا الغاء مشخص طرحوا فى الأسواق مشخصا آخر لا يختلف عنه الا فى الشكل ، وعهد القسيس أو الدوق الذين توضع صور أحدهما عليه (١).

ومنذ سنة ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م كثر تداول النقود المشخصة فى مصر، وماجاء العثمانيون الى مصر الا وقد انتشر التعامل به فى كل أنحاء مصر، وأصبح وسيطا للتعامل التجارى بين المصريين وغيرهم ، بالاضافة الى كونه أحسن ذهب يجتهد الفرد فى طلبه وكنزه (٢) ويبدو أنه دخل لشبه الجزيرة العربية من المصريين عن طريق الحج والاتجار بين مصر والحجاز ، ووصل الى نجد عن طريق الحجاز، وانتقل المشخص بعد ذلك ليكون وسيلة تعامل تجارية فى كل بلدان الشرق الأدنى (٣) وليكون هو نفسه مجالا للاتجار

(=) المصدر السابق ٣/١٠٣-١٠٦ ، أحداث ذى الحجة عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م ، د. عبد الرحمن فهمى : النقود المتداولة أيام الجبرتى طبع ضمن كتاب : عبد الرحمن الجبرتى " دراسات وبحوث ص ٥٥٣ - ٥٧٩ ، هاملتون جب ، هارولد بوون : المجتمع الاسلامى والغرب ، ترجمة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مراجعة د. أحمد عزت عبد الكريم . طبع ونشر دار المعارف - القاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م ، ٢/١٥٨ ، ١٥٩).

(١) د. عبد الرحمن فهمى : المرجع السابق ، ص ٥٧٧ ، وقد تعامل بها بعض السلاطين العثمانيين كذلك (محمد فريد بك مصدر سابق ٢٩١).

(٢) د. عبد الرحمن فهمى : المرجع السابق : ص ٥٧٧.

(٣) المقصود به منطقة الشرق الأوسط ، وتسمية الشرق الأدنى تسمية أقدم على أساس أن وسط آسيا هو الشرق الأوسط ، وشرق وجنوب شرق آسيا الشرق الأقصى ، وغربها مع شرق افريقيا الشرق الأدنى فهى على هذا تسمية أدق من الشرق الأوسط الحالية التى أطلقها عليه رجال السياسة والحرب الغربيين على أساس أن هذه المنطقة

والاكتناز والصياغـــة .

وقد وردت اشارات متكررة للمشخص فى كتب التاريخ النجدى فى تلــك الفترة مما يدل على كثرة تداوله فى نجد ، وتفضيلهم اياه على سائر النقود لأنه من الذهب الخالص العالى العيار ، ولاشك أن طرح البنادقة كميات كبيرة منـه فى سوق النقد الدولى آنذاك ، ووجود الغش فى كثير من النقود سواء جعـل النجديين لايرضون بغيره بديلا ، عدا ماكان يتمتع به من تفضيل فى مناطـــق شبه الجزيرة الأخرى كالحجاز والأحساء حيث وردت اشارات لدى مؤرخي نجد تدل على أن حكام هذين الاقليمين وشعوبهما كانوا يمارسون التعامل بـــــه مفضلا على غيره. (١)

وقد بلغ من حب النجديين للمشخص على أساس أنه ذهب خالــص عالى العيار أن كانوا يطلقونه على الرجل الطيب الأصل النقى المعدن أو على الحبيب الغالى ، ويحرصون على تسمية أبنائهم به لتصوير مدى مايلقونـــه منهم من حب وتقدير ، ويبدو أن البدو هم الذين يحرصون على ذلك علـــى عادتهم فى تسمية أبنائهم أسماء تعبر عن أشياء محسوسة أو غير محسوســة لها أثر فى حياتهم ، وقد عبرت هذه الشاعرة البدوية التى ترثى ابنهـــا "مشخص" عن هذه الحقيقة أبلغ تعبير حيث قالت من قصيدة لها : (٢)

ماشفت ليه (مشخص) فى صراره .·. عنده من أولاد العطاوى حراوى

ومن النقود الى عرفت بنجد فى تلك الفترة المطابق - جمع مطبقة أو مطبــق وهى دراهم عرفت أول ماعرفت فى منطقة العارض سنة ١٠٩٦هـ/ ١٦٨٤م ممـــا

(=) تجمع شتات بلدان يريد الغرب تطبيق أهدافهم العسكريـــــة والسياسية والاقتصادية والعلمية فيها وعلى أساس أن هذه المنطقة تتمتع بموقع جغرافى وتاريخى واقتصادى فريد وأهم ذلك كله أنهـــا موطن الاسلام حيث يسعى الغرب بكل قوته لقطع هذه الفكرة عــــن أجيال أبناء المنطقة المحدثين - للتفصيل : (الموسوعة العربيـــة الميسرة ص ١٠٧٩، ١٠٨٠، مادة الشرق الأوسط.

(١) عن هذه الاشارات : الفاخرى ص ٩٦ ، ابن بشر ١/ ٨٠، ١٥٢، ٢/ ٢٣٢

(٢) ما استفهامية بمعنى هل ، شفت، من الشوف فصيحة بمعنى الجلـــو

(=)

يبدو معه أنها لم تعرف في غيرها من مناطق نجد الا أن من المتوقع أن تكون قد عرفت في غيرها من المناطق النجدية، لكن معرفة أهل العارض بها أولا واقتران مجيئها لهم باحدى السنين العجاف سنة ١٠٩٦هـ، جعل

(=) أو الرؤية بتمعن، ليّه : مكونة من لي بمعنى الاختصاص، والهاء زائدة، ومن عادة بادية نجد التعبير عن الاختصاص بالجمع بينهما مشخص: فيه تورية بين اسم ابنها مشخص وبين النقد المعروف وذكرت ما يلائم النقد وهو الحفظ في الصرّة، وقد كان مع ابنها نقود، أو قد يكون فيه استعارة تصريحية معنوية حيث استعارت لفظ المشخص لابنها بجامع المحبة في كل، وهذا اذا لم يكن اسم ابنها مشخص والاحتمال كبير بأن اسمه مشخص على عادة النجديين عموما وباديتهم خصوصا، أولاد العطاوي: من المزاحمة من الروقة من عتيبة وأحدهم عطوى أو عطاوى وهم أفخاذ، حراوى : مظنة وخليق (فصيحة) بأن يكون مدته على أحد العطوات الذى خفر ذمة رجل قبيلته الذى آوى ابنها (الفيروزابادى: باب الفاء فصل الشين وباب الصاد حرف الحاء، حمد الجاسر: معجم قبائل المملكة ٢/٥٣٧) وعن البيت وقصته : عبد الله بن رداس شاعرات من البادية (٣٧١، ٣٧٢، ٤٢٦)، ويوكد بيت ابن لعبون القائل:

عن مشخص ماعاضني فيه سايم .·. باربع عشر شاخة وعشرين دهنيم

الجانب الثانى من مفهوم المشخص لدى النجديين خاصة حاضرتهم في اطلاقه على الحبيب الغالي اذ أن ابن لعبون يقصد به حبيبته، والشاخة احد نقود الفضة التي تعامل بها النجديون حيث ذكرها القاضي في قصيدته في القهوة ويبدو أنه فارسي، والدّهنيم نقد فارسي نحاسي ورد ذكره في فواكه المنقور، وذكر أبن لعبون للمشخص وهو قد توفى سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م وكذلك محمد العبد الله القاضي المتوفى ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م يدل على تأخر التعامل به اضافة الى أن الاحداث التاريخية والفتاوى تؤكد تأخر هذا التعامل وقيمة المشخص العالية في نجد وشبه الجزيرة عامة، ومن ناحية أخرى ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في أحد فتاويه تعامل النجديين بالمشخص في وقته، لكل ماتقدم: (المنقور : الفواكه ١/٢٥٥، ابن بشر ١/٨٠، ١٥٢، ابن قاسم : الدرر ٥/٧٣، عبد الله الحاتم : خيار مايلتقط ١/٣٦١، ٢/١٥٥، خالد الفرج

(=)

ابن بشر يوحي بأنها لم تكن معروفة بغير العارض،[1] وقد أشار المنقور في فتوى للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الشافعي الأحسائي[2] الى جواز استيفاء المطبقة بالطويلة اذا لم يكن ذلك بلفظ البيع أو التعويض وجواز كسر المطبقة لصياغة الحلي[3] مما يدل على التماثل والتزامن بين المطبقة

(=) ديوان النبط ١/١٦٣، ٢/٣١، محمد سعيد كمال: الازهار ٥/٢٣، ١٠/٩٨) ، وقد ذكر البسام في تحفته ورقة ٧٤ أنه في سنة ١١٤٠هـ/١٧٢٧م بلغ سعر صرف المشخص أربعة قروش وهو أعلى صرف لقيه نقد في الحجاز آنئذ وذلك نقلا عن أحد مؤرخي الطائف.

(١) ٢/٢١٦ وعلى طريقة النجديين في تسمية السنين بما يحصل فيها من أحداث ملفتة للنظر فقد سمى اهل العارض هذه السنة مطبق أو سنة مطبق نسبة لمعرفتهم بهذه العملة وربما أنهم عرفوها عن طريق شرق شبه الجزيرة اذ تشير الفتوى التالية الى ذلك.

(٢) لم أجد لهذا الشيخ ترجمة فيما بين يدي من كتب التراجم أوالتاريخ الا أن المنقور في الفواكه ذكر عددا من فتاويه التي تارة يذكرها باسم عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين الشافعي الأحسائي وتارة عبد الرحمن بن عبد الله بن ناصر الشافعي الأحسائي أوالمفتي بالأحساء، ويبدو أن الاسم واحد وان هناك، تقديم أو تأخير في الجدين، ناصر وحسين لأنه تارة يذكره باسم عبدالرحمن بن عبد الله بعد الفتوى التي باسم عبد الرحمن بن عبد الله بن ناصر أو ابن حسين، وتارة باسم عبد الرحمن الشافعي الاحسائي فقط وقد ورد له سنة ١١٠٢هـ/١٦٩٠م سؤال من سيف بن محمدبن عزاز المتوفى سنة ١١٢٩ هـ/ ١٧١٦م كما ورد له سؤال من عبد الله ابن ذهلان المتوفى سنة ١٠٩٩هـ/١٦٨٧ م مما يدل على أنه من علماء أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر الهجريين وأن ابن عزاز وابن ذهلان من تلاميذه، للتفصيل: (المنقور: الفواكه ١/٤٢، ٢٢٩، ٣١٥، ٣٤٢، ٣٥٢، ٣٩٥، ٥١٧، ٢/١٥ - ٣١٣ ، عبد الله البسام: علماء نجد ١/٣٣٠، ٢/٦٢٢)

(٣) المنقور: المصدر السابق ١/٣٥٢

والطويلة، والمحتمل أن المطبقة أعلى سعرا من الطويلة، كما يدل على اتخاذ المطبق أحيانا حليا، مما يوحى بأنه كان يسك من الذهب أو الفضة وليس من النحاس، كما يدل على انتشار المطبقة فى مناطق أخرى من نجد بحكم أن العلاقة بين نجد والأحساء ليست مقصورة على منطقة ما من نجد ولم أحصل على مايدل على جهة سك هذه العملة فيما بين يدى من المصادر.

وتعامل النجديون نقديا بالحرف ، ويبدو أنه لم يكن من النقود ذات التداول أو الانتشار الواسع فى نجد اذ لم أطلع على ذكر له فى المصادر النجدية الا فى البيت الذى مر ذكره ضمن أبيات عبد الله بن سعدون عند الكلام على الأسعار فى نجد فى تلك الفترة حيث قال :

وبر فحرب بوسقينه ∴ وتاريخه ذا كساد يشح

قال الفاخرى وابن بشر : " الحرف : نوع من الدراهم الذى يتعاملون بها فى زمانهم"(١) ويفهم من البيت أنه ذو قيمة نقدية عالية من وصول مثمنه من البر الى وسق (ستين صاعا) بحرف واحد ، وأن هذه القيمة قد تعطينا تصورا بأن الحرف من فئة الدنانير الذهبية الا أن جهة ضرب هذا النقد وتاريخه لم استطع العثور على اشارة تلقى الضوء على أحدهما أو كليهما ، واذا وضعنا فى الاعتبار أن أهل نجد قد يعبرون بالدراهم أو الدنانير عن العملات الكبيرة والمتوسطة أمكننا فهم اشارة الفاخرى وابن بشر على أن الحرف نقد متوسط القيمة، والمتوقع أن هذا النقد يرجع اما الى سلسلة النقود الفارسية أو العثمانية وان كنت أميل - غير جازم - الى كونه من النقود العثمانية(٢) وأما تسميته بالحرف فلم أعثر على سبب لذلك أيضا ولعل ذلك

(١) الفاخرى : ٨٢، ابن بشر ٢ / ٢١٩.
(٢) ذكر العصامى تعامل الحجازيين بالحرف مما يعطى بعض الانطباع أنه من النقود العثمانية : (عبد الملك بن حسين العصامى : سمط (=)

لوجود حروف فى اطاره على غرار بعض النقود الفضية أو الذهبية .

أما الجديدة فهى من العملات التى كان يتعامل بها النجديون وأهل البلدان المجاورة وهى عملة عثمانية مادة سكنها غير واضحة الا أن بعض الاشارات التاريخية تعطى تصورا بأنها كانت من الفضة التى تخلط بالنحاس أحيانا وقد تزيد نسبته على نسبة الفضة فى بعض الأحيان ، وهى تقل عن ربع الريال بما يقرب من خمسة ، ويبدو أن الجديدة كانت تطلق على أكثر من نقد ، أو أنها مرت بأكثر من مرحلة سك مما جعل قيمتها تتغير من مرحلة الى أخرى تبعا لنفاسة المضروب ودرجة خلطه بمواد أقل نفاسة كالنحاس مثلا ، فيذكر الجبرتى أن الجديدة تساوى $\frac{1}{12}$ من النقد المرادى وأنها عملة نحاسية ، وأنها يطلق عليها الفلوس أو الأفلس ، كما أنها تعتبر أدنى وحدات العملة العثمانية المضروبة بمصر آنذاك ، وهى المرادى أحيانا والنصف فضة (١) ،

(*) النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى ، طبع المطبعة السلفية ومكتبتها . القاهرة . نشر الشيخ على بن عبد الله آل ثانى ١٣٧٩هـ ١٩٥٩م ٤/ ٥٠٠، ٥٤٥، ٥٤٦) وقد ذكر فيها فى عام ١٠٩٥هـ/ ١٦٨٣م سعر صرف الأحمر فى الحجاز وتذبذب هذا السعر من ثمانية حروف وربع الى سبعة حروف الى ستة ونصف الى أربعة ومن ذلك يفهم أن الحرف أقل قيمة من الأحمر والمشخص والريال ، الا أنه يمكن أن يصنف تحت قائمة النقود متوسطة القيمة .

(١) الفضة أو نصف فضة : نقد تركى كان يتعامل به منذ ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م وكانت خالصة الفضة وتساوى ٤ آقجات" أخشا " ولكن سرعان ما بدأ الغش والتزييف فيها حتى سميت نصف فضة ، ثم قل مافيها من الفضة حتى أصبحت نحاسا بالكامل رغم تسميتها بالفضة ، وكانت الى أوائل القرن ١٣هـ/ ١٩م تضرب باستانبول حتى رخصت الدولة العثمانية بضربها بالقاهرة مع استانبول ، وبدأ يطلق عليها اسم البارة الفارسية والتى تضرب بمصر " المصرية " وانتشرت المصرية فى منطقة الشرق الأدنى وخاصة الشام حتى أصبحت المصارى - جمع مصرية - علما على أى نقد حتى الآن عند الشاميين ، وضعفت قيمتها النقدية حتى

(=)

(١)
أحيانا أخرى ، ويذكر ابن بشر مع بعض الباحثين أن الجديدة تساوى خمس ريال تقريبا وأنها تعادل ست بيزات نحاس (٢) ، وقد أشار المنقور فى مجموعه الى الجديدة فى فتوى للشيخ عبد الله بن ذهلان فى عدم جواز اخراج الجدد المغشوشة عن زكاة الحمران (جمع أحمر) (٣) ، وعلّق ناشر الكتاب

(=) أصبحت $\frac{1}{4}$ من القرش، وكانت فى الشام تخضع لتسعيرات الوالى حيث ارتفعت قيمتها الى $\frac{1}{36}$ من القرش سنة ١١٦١هـ/١٣٤٨م ، والى $\frac{1}{9}$ من الفلس الصحيح و $\frac{1}{26}$ من الفلوس المزيفة سنة ١١٦٣هـ/١٧٤٩م بعد أن كان سكاكوها يلقون التأديب من الوالى وقد ضربت على أسعار الفلوس الصحيحة حتى وصلت المصرية الى $\frac{1}{20}$ وأخيرا الى $\frac{1}{24}$ من الفلس الصحيح مع تذبذب بين السعرين والمهم أن المصرية كانت هى وحدة التعامل الرئيسية بالشام ومصر فى تلك الفترة ولا يبعد أن تكون نجد قد تعاملت بها . للتفصيل (أحمد البديرى الحلاق : المصدر السابق : ص ٤، ٢٥، ٣٥، ١٠٦، ١٠٨، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٩، ١٥١، ١٥٢، ٥٥، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٢، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢١ ، د . عبد الرحمن فهمى ص ٥٧٣)

(١) الجبرتى ١/ ٢٢٠، ٣/ ٦١٩، ٦٢٠ ، والفلوس تواتر لدى عامة الفقهاء أنها تطلق على غير الذهب والفضة كالنحاس والنيكل . (افادة من أستاذى المشرف) .

(٢) الفاخرى : ص ١٢٠ من حاشية المحقق ، ابن بشر ١/ ٢٣١ ، وقد انتشرت البيزة فى كافة أنحاء نجد . عبد الكريم الجهيمان : الأمثال الشعبية ٢/ ٦٤ مثل رقم ١٣٨١، ١٣٨٢ ، ولعل الريال الاسبانى القديم بيزو (*Peso*) والحديث بيزتا (*Peseta*) قد أخذ لفظه من البيزة أو أخذ لفظ البيزة من لفظه ، أو أن اللفظين مختلفان على أساس أن البيزة هى بيسا الهندية التى ينطقها الانجليز باسم بيس (*Pice*) وكان كل أربعين منها يعادل روبية واحدة وابتداء ضربها قديم فى الهند حيث ضربت فى عهد المغول على أنقاض عملة الدام القديمة وهى بشكل عام تعنى الفلوس، الا أن اشتهارها كان فى القرن الثانى عشر والثالث عشر الهجريين / الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين حيث أطلقت على تلك القطع من النحاس التى ضربت فى الدويلات الوطنية التى انقسمت اليها الامبراطورية المغولية فى الهند (دائرة المعارف الاسلامية ٤/ ٤٠٨ مادة بيسا) .

(٣) المنقور : ١/ ١٥٨

على ذلك بأن الجديدة تساوى تسع البارة (١)، ومعنى هذا أنه يميل الى أن الجديدة يطلق عليها الفلس وأنها تعادل الدهنيم أو القطعة (٢) التى ذكرها المنقور فى مجموعه كذلك (٣).

ويظهر أن الجديدة قد مرت بمرحلة سك من الذهب، مما يبدو معه أنها كانت ذات قيمة عالية، ثم طرأ عليها الغش والتزييف حتى كثرت فيها الفضة فأصبحت أقل من قيمة الريال، ومن الممكن القول بأنها كانت من الفضة التى تخلط بكميات متفاوتة من النحاس، والى هذا أشار الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - مفتيا بأنه لايجوز بيع الجديدة بالريال، بعد ما أصبح فيها من الفضة أكثر من فضة الريال لما فى ذلك من التفاضل فى الفضة

---

(١) كانت تساوى $\frac{1}{٨}$ من البارة (المصرية) الا أن أسعد باشا أحد ولاة الشام فى القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى قد أمر بأن يكون سعر الجديدة $\frac{1}{٩}$ من البارة (المصرية) (البديرى الحلاق : ص ١٠٨).

(٢) يبدو أنها سميت بالقطعة لأنها غير كاملة الاستدارة بسبب قطع أجزاء منها (أى مقطعة)، ويبدو أن القطعة تطلق على أكثر من نقد ضئيل القيمة (صحيفة الرياض عدد ٥٣٤٧ سنة ١٩-٢١/٤/١٤٠٣م ٤ فبراير ١٩٨٣م ص ٥١).

(٣) أكد الجبرتى أن الجديدة هى الفلس، بينما ذكر الحلاق : أن القطعة تطلق على الفلس، أما الدهانيم جمع دهنيم فهى النقد الفارسى الذى مر ذكره، وقد نقل المنقور عن الشيخ محمد بن ناصر الشافعى قوله :" أما صرف المحديات - جمع محمدية - بالقطع أو الدهانيم فلا يجوز لأنه عين الربا، وذكر من الحيلة الشرعية الصحيحة فيه أن يهب صاحب المحمديات محمدياته لصاحب القطع ويقبضه اياها، ثم يهبه صاحب الداهنيم أو القطع اياها ويقبضه اياها، فاذا وقع كذلك فهو جائز على مذهب الشافعى" قلت : يفهم من هذا أن الدهانيم تعادل القطع التى تعادل الجدد فى مراحل سكها المتدنية وكلها يطلق عليها أحيانا فلوس، (المنقور ١/ ٢٥٥ ،

(=)

من غير مقابلة بشئ، وهذا صريح الربـــا . (١)

وكان استهداف الجديدة للغش والتزييف أكثر من غيرها مـــن النقود مدعاة لبعض علماء نجد في عدم اعتبارها من النقود السليمـــة، والحاقها بالمغشوش الذى يعامل فى البيع والزكاة، إما معاملة النقديـــن على حسب مافيه من الذهب والفضة وبلوغه النصاب، أو معاملة عروض التجـارة اذا قل مافيه من الذهب أو الفضة أو عدم بالكليـة. (٢)

واعتراض بعض علماء الدعوة على كون الجدد من الفلوس منشأوه مااشتهر فى البلدان المجاورة - كما مر - من اعتبارها أحد النقود المعتبرة فى مجـال البيع والصرافة بغض النظر عن التفاضل الذى ورد النهى عنه، أو التماثـــل الذى وردت اباحته فى الحديث : " لا تبيعوا الذهب بالذهب الا مثـــلا بمثل ولا تبيعوا الورق بالورق الا مثلا بمثل " متفق عليه، ولا شك أن هـــؤلاء العلماء بايضاحهم رأى الشرع فى الأمور النقدية، قد أوجدوا فى المجتمـــع وعيا نقديا بحقيقة العملات المستوردة التى كانوا يتعاملون بها، الا أن قلـــة أو انعدام السيولة النقدية فى تلك الفترة - وحتى بعد الدعوة - جعلـــت الجديدة - بشكل خاص - ترتفع قيمتها فى نجد عن البلدان المجاورة رغـــم انخفاض قيمتها فى تلك البلدان، ورغم توضيح العلماء لحقيقية تعـــرض الجديدة للغش والتزييف.

وعدا تلك النقود فقد كان النجديون يتعاملون بنقود أخرى مثـــل

(=) الجبرتى : ٢/٦١٩، البديرى الحلاق : ٣٥، ٥١، ٦١).

(١) ابن قاسم : الدرر ٥/٧٣ من فتوى للشيخ محمد بن عبد الوهـــاب، وحفيده عبد الرحمن بن حسن - رحمهما اللـــه.

(٢) ابن قاسم : المصدر السابق ٥/٧٧، ٧٨

الطوال - جمع طويله - وهى نوعان : طويلة من فضة، وطويلة من نحاس (١) وتتبع لسلة النقود الفارسيةوقد اشتهرت بالأحساء ويبدو أن نجدا عرفتها عن طريقها ، وقد أشار المنقور فى فتوى للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الشافعى الأحسائى الى الطويلة مقرونة بالمطبقة، مما يتبين معه اشتهار الأحساء بها أكثر من غيرها (٢)، وكون الطويلة أقل سعرا من المطبقة حيث نصت الفتوى على عدم جواز أخذ الطويلة عن المطبقة بلفظ البيع أو التعويض، ولو بلفظ الصلح ،الا اذا كان استيفاء لا معاوضة فيه ، كما يدل ذلك على أن الطويلة والمطبقة من العملات المعروفة فى القرن الحادى عشر الهجرى /

---

(١) د . أبو علية : الدولة السعودية الثانية ٢٧٥ ،وذكر الدكتورأبوعلية أنها ثلاثة أنواع ١- الطويلة الفارسية اللارية من الفضة. -٢- طويلة آل عريعر التى سكها بنو خالد فى حكمهم للمنطقة وهى فضة مخلوطة بنحاس ٣- الطويلة النحاسية وهى أقل قيمة من النوعين الأولين ، وسميت طويلة لأنها عبارة عن قضيب رفيع معكوف على نفسه ،ويتضح من شكلها وقدمها أنها عملة بدائية قديمة الا أنها احتفظت بقيمتها كعملة متميزة فى الأحساء ونجد الى أن الغيت فى عهد الملك عبد العزيز بعد أن مرت بمرحلة أصبحت فيها تعادل قرشا سعوديا أو $\frac{1}{٢}$ من القرش،لمزيد من التفصيلات حول الطويلة انظر د .ابو عليةالنقود والموازين والمقاييس فى سنجق الحسا ص ١٣ - ١٥ ، د .عبدالعزيز القويز : دراسة فى تاريخ العملة النقدية السعودية ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية عدد ٢٤ سنة ٦ ذو القعدة ١٤٠٠هـ / تشرين أول ١٩٨٠م ص ٧٤).

(٢) ومما يدل على اشتهار الأحساء بالتعامل بالطويلة المثل النجدى "مثل الطويلة ماتمشى الا فى الحسا " ولكن ليس معنى هذا اقتصار التعامل بها على الأحساء وحدها بقدر مايعنى اشتهار تعامل الأحسائيين وتقديرهم لقيمتها النقدية أكثر من غيرهم مما يبدو معه أن لها قيمة نقدية لا بأس بها فى الأحساء وقد اعترفت الدولة العثمانية بها فى معاملاتها المالية فى الاحساء : عبد الكريم

(=)

(١)
السابع عشر الميلادى ، وما بعدهما.

ومن النقود ذات القيمة المتدنية البارة التركية وهى التى كانت تعادل $\frac{١}{٤٠}$ من القرش التركى (٢) وأحيانا $\frac{١}{٣٦}$ كما مر ، وليس من المؤكد هل كان النجديون يتعاملون بتلك التى تضرب فى الآستانة أو التى تضرب بمصر المعروفة بالمصرية الا أن من المتوقع أن يكون التعامل بالمصرية بشكل أكثر وقد ورد ذكر تعامل النجديين بالبارة فى قول حميدان :

(=) الجهيمان : الأمثال الشعبية ٣٣٩/٧ مثل رقم ٦٦٥٠ ، د. أبوعلية المرجع السابق ١٥.

Bely Winder Saudi Arabia. in the 19 Century, London Melbourne toronto. 1965. p. 214.

(١) المنقور: الفواكه ٣٥٢/١.

(٢) القرش فى الأصل تعريب للفظة (*Groschen*) الألمانية ، وكانت تطلق على البياستر (*Piastre*) النقد الأسبانى الفضة المضروب فى القرن ١٠هـ/١٦م والذى كان يعادل ثمانية ريالات ونظرا لقوة النواحى المالية والنقدية فى اسبانيا والبرتغال آنذاك فقد كثر تداوله بمنطقة الشرق الأدنى حيث أطلق عليه لفظة قرش أو غرش ، وقد ضرب القرش التركى أول مرة فى عهد السلطان سليمان الثانى (١٠٩٩هـ/١٦٨٧م - ١١٠٢هـ/١٦٩١م) ، وذلك فى دار الضرب باستانبول ، كما ضرب فى دار الضرب بالقاهرة سنة ١١٨٣هـ/١٧٦٩م ، والقرش نوعان : ١- قرش صاغ فضة وقيمته أربعون بارة ، ٢ - قرش بربع هذه القيمة ويبدو أنه من النحاس أو الفضة المخلوطة بالنحاس وقد اشتهر القرش التركى بالقرش الرومى ، وللقرش أجزاء غير البارة أهمها نصف القرش ويسمى عشرون فضة " أى بارة " الا أن تسعير القرش يختلف من بلد الى آخر حسب الظروف الاقتصادية والنقدية لكل بلد ، ومن المتوقع أن تكون نجد قد عرفت هذا القرش وان لم تشر الى ذلك المصادر . (الجبرتى : ٤١٦/١ ، أحمد البديرى ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، وذكر فيها تسعير والى الشام بأن يكون القرش ٣٦ بارة بعد أن كان ٤٠ بارة ، د. عبدالرحمن فهمى ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، الموسوعة العربية الميسرة ١٣٧٥ مادة قرش) .

بارة فى ضحى اليوم عن باكر ∴ عند راعى العقل خير من جوهره [(١)]

ومن المحتمل أن يكون النجديون قد عرفوا بارة الآستانة عن طريق الأحساء بعد استيلاء الأتراك عليها [(٢)]. حيث تشكل فيها البارة وحدة نقدية أصغر من القرش وتجد لها خانة فى السنوات المالية العثمانية.

كما أن المثل النجدى " لوتبى بارة " [(٣)] يبين مدى ضآلة قيمتها نظرا لسعرها المتدنى بالنسبة للقرش التركى الذى يعتبر سعره متدن هو الآخر ونظرا لوزنها الذى كان ست عشرة قمحة [(٤)] أى ١١ر١ غرام، ثم انخفض هذا الوزن الى ربعة فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى ، واذا أضفنا الى ذلك دخول البارة فى قائمة النقود الحسابية التى لا وجود لها فى الواقع النقدى حيث شحت البارة فى أيدى الناس سواء كان ذلك فى مجال التجارة أو الصرافة [(٥)]، وسواء كان ذلك فى مصدر سكها (مصر) أو فى المناطق الأخرى ومنها نجد ، اذا أضفنا ذلك الى ضآلة

---

(١) معنى هذا البيت أن الحصول على النقد حاضرا سواء كان فى مجال البيع والشراء أو غيره مهما قلت قيمته أفضل عند العارف بأمور الحياة من جواهر الذهب مؤجلة لا يعلم متى تأتى أو قد لا تأتى على الإطلاق ،عن البيت : خالد الفرج : ديوان النبط ١/ ٢٩

(٢) د . أبوعلية : الدولة السعودية الثانية ٢٧٦ ، النقود ١١ ، ١٢

(٣) العبودى : الامثال : ٣/ ١١٤٢ ، مثل رقم ١٨٤٧ .

(٤) هذا أسلوب من أساليب الوزن للشئ الخفيف حيث يضعون بضع حبات من القمح فى كفة والشئ المراد وزنه فى كفة ليقوم ذلك مقام المثقال ،ثم استعيض عن ذلك بالتولة التى تساوى $\frac{١}{٤٠}$ من الرطل أو ٢½ مثقال أو روبية هندية واحدة ،وأحيانا كانوا يستعيضون عن ذلك بقطع النقود الفضية أو النحاسية (د . أبوعلية ٢٧٧ ،النقود ٢٤) .

(٥) د . عبد الرحمن فهمى : مرجع سابق : ٥٧٣

قيمتها النقدية أمكننا فهم هذا المثل النجدى الذى يعنى اليأس من الحصول عليها نتيجة لهذا الشح ، واليأس من الطمع فيها رغم ضآلة قيمتها .

واذا علمنا أن البارة هى احدى النقود العثمانية والتى كان العثمانيون قد أخذوا لفظتها من البارة الفارسية ، فان من غير الواضح فى عهد أى من السلاطين تم سك هذه العملة التى كان أهل نجد والبلدان المجاورة يتعاملون بها فى تلك الفترة ، الا أن من المعتقد أن يكون سكها فى عهد سلاطين تلك الفترة حيث أن البارة من أوائل النقود العثمانية التى كان يتم سكها فى كل عهد سلطان تحت اسمها الذى تحول من فضة الى نصف فضة الى بارة أخيرا ، واطلاق الفضة عليها كان حقيقة فى الأصل ثم أصبح اسميا بعد ذلك بعدما اختلطت بالنحاس الى أن تحولت اليه تحولا كاملا ، ويبدو أن ذلك هو الذى غير أسمها الى البارة .

وكما سبق - فى نظام الأسعار فى نجد - فقد أشار ابن سعدون فى أبياته الثلاث الى المحلّق كعملة كان النجديون يتداولونها حيث قال :

(١)
وتمر ثلاثة أصواعه .·. بدفع المحلّق فيها نزج

وقال أحد النجديين على لسان أحد ملابسه :

(٢)
شريتنى برخص الثمن يوم مابه .·. الا محاليق بجيبك شوية

---

(١) المنقور : التاريخ ٦٥ ، الفاخرى ٨٢ ، ابن بشر ٢/٢١٩ .

(٢) الجيب : فصيحة ، شوية ، الشوى : فصيحة بمعنى الأمر الهين والقليل من المال وغيره (الفيروزابادى باب الباء فصل الجيم وباب الياء فصل الشين) وعن البيت وقصته . محمد الثميرى : الفنون الشعبية فى الجزيرة العربية ٢٠١ ، ٢٠٢ .

ولم أطلع على معلومات تبين جهة سك هذه العملة الا أنه من المحتمل أن تكون مملوكية في بداية سكها ثم سك منها عملة عثمانية، فقد أشار العصامي الى المحلّق كعملة انتشرت في الحجاز عن طريق الحجاج، كما أن من المحتمل كذلك أن تكون نجد قد عرفتها عن طريق الحجاز التي أصبح المحلّق فيها من العملات الرئيسية رغم ماكان يأتي به الحجاج في بعض السنوات من محاليق مغشوشة قللت من قيمة المحلّق النقدية لدى الحجازيين حتى بلغ سعره ثلث الدرهم بل لم يعد يقبل في بعض الأحيان، بعد أن كان من العملات الرئيسية التي يتلقاها الحجازيون بالقبول لدرجة أنه في سنوات الشدة يندر وجودها (١) .

ومن نظرة لبيت ابن سعدون السابق حيث ذكر فيه سعر التمر بالنسبة للمحلّق - ثلاثة آصع بمحلق - ونظرا لأن هذه السنة ١٠٩٩هـ/١٦٨٧م

---

(١) العصامي : المصدر السابق ٤/٨٨، ٤٩٦، ٥٠٠ وذكر فيها سعر المحلق $\frac{1}{٣}$ الدرهم و ½ ٣ محلّق بالشريفي الأحمر - ويبدو أنه نقد باسم أحد أشراف الحجاز - وذكر أن سعر المحلق كذلك يصل $\frac{1}{٧٥}$ من القرش التركي، وأحيانا يصل سعر المحلق الواحد الى سبعة حروف ونصف، وانظر ص ٥٠٢ وقد ذكر فيها شدة الطائف التي ندر فيها وجود المحاليق. وقد عرفت مكة المحلّق أول مرة عام ٨٨٣هـ/١٤٧٨م وراج في أسواقها حتى عد نقدا سائدا لكثير من سلعها وتراوح سعره في تلك الفترة بين ١٢ الى ١٦ الى ٢٠ درهما مسعوديا ووصل سعره بالنسبة للدينار الأشرفي المملوكي ½ ٢٥ محلّق للدينار الواحد. (ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ط (١) مطابع جامعة الملك سعود نشر عمادة شئون المكتبات بالجامعة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص ١٩٦).

التى أرخها بقوله :" ذا كساد يشج " أى هبطت الأسعار تعد من سنى الرخاء والخصب ، فانه يمكن القول : أن المحلّق من العملات قليلة القيمة فى نجد ولعل ذلك بعد تطرق الغش والتزييف اليها - خاصة اذا قارنا ذلك السعر بسعر التمر منسوبا الى الأحمر حيث بلغ ألف وزنة بأحمر مما لايدع مجالا للشك بضآلة قيمة المحلّق ، والا لكان عدد الآصع التى يمكن شراءها به أكثر من ذلك (١) ، ويؤكد ضآلة هذه القيمة البيت الشعبى السالف حيث أبرزها بهذه الصورة .

وليس من المستبعد استنادا الى ماسبق أن يكون المحلّق عملة فضية ثم اختلطت الفضة بالنحاس الى أن طغى عليها حتى اعتبرها بعض علماء نجد من العملات النحاسية مثلها مثل الجديدة لغلبة النحاس فيها (٢) ، واذا تمعنا فى قول العصامى :" أنه فى سنة ١٠٧٩ هـ/١٦٦٨م جاء الحجاج بدراهم محلقة فاسدة مطيّرة كاسدة وأخربوا بها معاملة البلاد (٣) ، تبين لنا أن المحلق كان قد مر بأكثر من مرحلة سك غيرت من مادته وقللت من قيمته خاصة اذا علمنا أن العصامى قد ذكر المحلق أكثر من مرة كأحد النقود التى يجلبها الحجاج معهم ، ولم يشر الى تعرضها للغش والتزييف بل كان يذكرها مكتفيا بذكر ثمنها من المواد الغذائية وغيرها (٤) .

---

(١) تاريخ المنقور : والفاخرى ، وابن بشر : الصفحات السابقة .

(٢) ابن قاسم : الدرر ٥/ ٨٠

(٣) المصدر السابق : ٤/ ٥٠٠ .

(٤) انظر الصفحات السابقة فى العصامى . ويشير الجزيرى فى الدرر الفرائد ١/ ٧٦٣، ٧٦٤ ، ٧٦٦ ، فى تسعيره لبعض المواد المحلية فى الحجاز أن هذه العملة من العملات الرئيسة فى الحجاز وتعد من ذوات القيمة المتوسطة المقبولة فى سوق التعامل قبل غلبة النحاس عليها ، واذا علمنا أن ذكر هذه التسعيرات فى السنوات ٨٩٥ هـ ، ٨٩٦ هـ ، ٨٩٨ هـ وأن الجزيرى يذكرها مقارنة بالنقد الأشرفى المملوكى ادركنا أن هذه العملة كانت مملوكية ثم أصبحت عثمانية .

ومن الغريب أن المصادر التاريخية النجدية لم تشر الى المحلّق كعملة تداولها النجديون رغم اشارتها الى عملات متعددة كما مر سواء كانت عالية القيمة أو أقل من المحلق ، فلم أعثر بالاضافة الى البيتين السالفين واشارة علماء نجد التى مرت، لم أعثر على شىء من هذا القبيل الا على المثل الشعبى القائل " محلّق ولا وجه رجل "(١) الذى يمكن أن يعطى تصورا بانتشار المحلّق فى منطقة نجد كاحدى العملات المتداولة.

وليس من الواضح سبب تسميته بالمحلق ، ولعل ذلك راجع الى وجود حلقة به ، أو الى كون سكه كان على شكل حلقة ، وعلى أى حال فسبب تسميته بذلك وتاريخ سكه ، وفى عهد أى السلاطين تم ذلك. كل هذا شحت علينا به المصادر التاريخية وغيرها .

وقد عرف النجديون الزر أو " الزرمحبوب " وهو عملة ذهبية تركية ضربت فى عهد السلطان مصطفى الثانى بن محمد الرابع الذى تولى من (١١٠٦هـ/ ١٦٩٥م - ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م) وكان يطلق عليها "فندق ألتونى " بزنة ٥٣ حبة قمح أى ٣٫٤٤ غرام ، ثم فى عهد السلطان أحمد الثالث بن السلطان محمد الرابع (تولى من ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م - ١١٤٣هـ/ ١٧٢٧م) ضرب نوع من الفندقى (٢) تحت اسم الزر بزنة ٤٠ قمحة أى ٢٫٥ غرام جنبا الى جنب مع الألتون ، وهو يعادل مائتى نصف فضة مع تذبذب فى هذه المعادلة بزيادة أو نقص، وقد أطلق عليه فى تركيا ومصر عدة أسماء الا أنه فى بقية البلدان العربية أطلق عليه الزر محبوب ، أى الذهب المحبوب وقد مرّ عليه عدة مراحل تتعلق بنقص وزنه وعيار ذهبه حتى وصل فى عهد السلطان محمود الثانى بن عبد المجيد الأولى (تولى من سنة ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م - ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م) الى ٢٥ قمحة أى ١٫٦٢ ،

---

(١) العبودى : الأمثال ١٣٣١، ٣٣٢٢ ، مثل رقم ٢٢١٦ .

(٢) اشتق اسم الفندقى أو البندقى من زخرفته بحبيبات فى أطرافه تشبه البندق أو الفندق وليس على أساس أنه ضرب فى البندقية كما وهم البعض ، فهو نقد عثمانى ، (عبد الرحمن فهمى : ٥٧٢)

وظل التعامل به مستمرا في منطقة الشرق الأدنى حتى ضربت المجيدية الكبرى سنة ١٢٨٠هـ/١٨٤٤م، فبدأ يختفي تدريجيا كنقد وبدأت تتخذ منه النساء حليا وقلائد.(١)

وقد ذكرت بعض المصادر النجدية الزر، وأشار بعض الباحثين الى أنه بمنزلة الريال الآن، كما قرر بعض علماء نجد جواز دفع الزرور عن الريالات مما يقتضي التماثل بينهما في القيمة والجنس، كما قد أفتى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجواز دفع الزرور عن المشاخصة بشرط كونه وفاء ظاهرا وباطنا(٢)، ولاشك أن ذلك قبل انقاص وزن الزر ذلك النقص الفاحش، لأن الشيخ توفى قبل أن يتم ذلك أو بعد ماضرب منه قطعة تساوي ضعفه أو أربعة أمثاله تحمل الاسم نفسه، أما كونه بمنزلة الريال فذلك بعد انقاص

---

(١) للتفصيل في الزر محبوب: (الجبرتي: ٢٢/١ أحداث سنة ١١٤٨هـ/١٧٣٦م، ١٠٣/٣، ١٩٥ أحداث ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م، د. عبد الرحمن فهمي: ٥٧٥، ٥٧٦) وفيها ورد اكثر من اسم للزر كطغرالي ألتون: أي الذهب المختوم أوالمنقوش وتصحيفها بمصر "دينار طربي" أو أبو طرة، أو جنزرلي على أساس أن حافته واطاره مشرشرة كالجنزيرة "السلسلة" كما يطلق عليه الأشرفي والفندقلي، وللاستزادة (دائرة المعارف الاسلامية ٣٤٣/١٠، ٣٤٤ مادة زر محبوب، والموسوعة العربية الميسرة ٩٢١ مادة زر، عبد الله الحاتم: خيار مايلتقط ٢٦٦/١).

(٢) الفاخرى: ١٣٤، ابن بشر ٧٧/١، ابن قاسم: الدرر ٣١١/٤، ٧٣/٥، من فتوى للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وابنه عبد الله الأولى بمعادلة الزر بالمشخص، والثانية بمعادلة الزر بالريال.

وزنه ،أو بعد ماضرب منه قطع تساوى نصفه أو ربعه وتحمل الاسم نفسه أيضا وقد ورد ذكر الزر الجنزرلى فى فتوى للشيخ محمد بن عبد الوهاب كذلك بتحريم اخراج ثمانى جنازرة مثلا مغشوشة بالفضة زكاة عن جنازرة تساوى أكثر لقلة الغش، (١) ويبدو أن ورود أكثر من اسم للزر كان تبعا لمرحلة السك التى يمر بها والتى تعطى هذه الأسماء قيمة مختلفة فيما بينها هبوطا أوارتفاعا حسب مرحلة السك التى مرت بها ، وجنس المعدن الذى سكت منه .

ومن المحتمل معرفة نجد بهذه العملة اما عن طريق الحجاز أوالاحساء التى يتوقع كذلك أن يكون النجديون عرفوا عن طريقها الزر الفارسى الذى كان متداولا فى الأحساء فى تلك الفترة وهو من النحاس، فقد كان الأصل فى الزر أنه فارسى يطلق على الذهب ثم أخذ الاتراك هذه التسمية ليطلقوها على النقد السابق ولا يستبعد أنه مر بمراحل سك أصبح نحاسا ، كما لا يستبعد أن الزر التركى الذى كان يوصف بالمحبوب قد فقد هذه الصفة بعد أن خالطته الفضة أو النحاس وأصبح يطلق عليه بعد ذلك الزر فقط، وليس من المعروف هل كان أبو دباس يقصد الزر الفارسى أوالتركى فى قوله

يا أدباس لوجبت لى دحب الأكياس .·. مختلفة مابين زر ونيره (٢)

---

(١) ابن قاسم : ٣١١/٤ ، دائرة المعارف الاسلامية: ١٠/ ٣٤٣، ٣٤٤

(٢) سبقت ترجمة أبى دباس فى الفصل الثانى من الباب الأول ، وجبت: اصل اللفظة فصيح من " جئت بـ " ولكن العامة من باب الحذف والايصال غيروا فى تركيبها حسب حالة نطقها فيقولون جابه يجيبه حيث يحذفون همزة جاء ويصلونها بالجار والمجرور أو بالجار والفاعل ، دحب : بضم الدال وكسرها فصيحة بمعنى الدفع والجمع فهى على هذا الأكياس المدفوعة بدون تأخير أو المجموعة ، كما تأتى بمعنى الكثير اذا ضمت أخذا من الدحبة من الغنم فالمعنى على هذا الأكياس كثيرة النقد ، نيرة : أصلها فصيح من النور ، والمقصود بها نجديا قطعة النقد الذهبية على أساس لونها الأصفر المنور

(=)

ومن النقود الفارسية التي أثر عن النجديين معرفتهم بهـــا التومان[1] الذى عرفته فارس عن طريق المغول وعرف فيها كعملة ذات قيمة نقدية عالية فى سوق التعامل التجارى منذ القرن السابع فقدر التومـان بأربعين فرنكا فرنسيا حوالى عام ١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م، وبالنسبة للجنيـه الانجليزى فقد قدر عام ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م، ١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م بثلاثـة جنيهات وستة شلنات وثمانية بنسات، ثم ضرب تومان ذهبى بعد فترة وكـان وزنه يتراوح بين ٩٢ حبة (١٦ر٦ جرام) فى بداية سكه الى ٧٠ حبـة (٥ر٤ جرام) الى ٥٣ حبة (٤ر٣) جرام ثم قدر التومان بعشرة قرانـات أو عشرة آلاف دينار ايرانى[2]، وقد ضرب من التومان قطع ذهبية تتراوح قيمـة

(=) الفيروزابادى ١/ ٦٥، أحمد رضا : قاموس رد العامى الى الفصيح ص ١٠٩، ١١٠، ومن البيت : عبد الحاتم : خيار ١/ ٢٦٦، عبد المحسن أبابطين ٣٣، محمد سعيد كمال : الأزهار ١/ ١٩٦ ويروى البيت باختلاف بسيط عن المرجعين السابقين وبشكل خـاص تطلق النيرة على الجنيه الانكليزى من ضربة ادوارد وجورج الخامـس وهو مايسمى جنيه أبو خيال لوجود صورة فارس ممتطيا جواده علـى أحد جانبيه، صحيفة الرياض: العدد السابق ص ٥١) .

(١) قيل ان اللفظة تركية الأصل من تمن أو تومن بمعنى كثير جدا وقيـل أن اصلها صينى أو طخارى، واستعملت عند المغول بمعنى عشـرة آلاف ، أو القبيلة ، أو المنطقة التى يجند منها عشرة آلاف مقاتـل ، على أنها كانت تطلق احيانا على الوحدات الادارية الصغرى خاصة أيام حكم المغول لفارس والعراق ، ويعرف بها سكان القرى - أهـل التومان - عن سكان الجبال ، ثم أطلق التومان على عشـرة آلاف دينار مغلى أو ستين ألف درهم ، وفى عهد تيمورلنك كانـت الأموال تقدر بالتومان ثم سك منه عملة نحاسية ، للاستزادة (دائرة المعارف الاسلامية ٦/ ٢٨، ٢٩، ٣٠ مادة تومان) .

(٢) سيأتى الحديث عن القرآن أما الدينار فلم يكن فى فارس مسكوكـا سواء فى عهد المغول أو عهدها الحديث - بل كان وحدة ماليـة صغيرة خيالية تستخدم للعدد فقط وعلى هذا فهو عملة وهمية مثلـه مثل البول الذى لا يستعمله الا التجار المحليون فى حساباتهـم وهو يعادل $\frac{1}{4}$ من القرآن (المرجع السابق ٦/ ٣٠، لوريمر : مرجـع سابق القسم الجغرافى ٥/ ١٨٣٢) .

الواحدة من ½ تومان الى تومان واحد الى تومانين الى خمسة تومانات الى عشرة تومانات ، واستمر التعامل به في ايران حتى جاءت الأسرة الفهلوية في القرن الرابع عشر فحل محله الفهلوى الذى يزن ٢٩ حبة أو ١٫٨٨ جراما من الذهب.(١)

وقد عرف التومان في العراق ومنطقة شرق شبه الجزيرة عامة ومن هنا فيبدو أن منطقة نجد قد عرفته عن طريق هاتين المنطقتين(١) ، وقد ورد ذكر التومان في رسالة بعثها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى أحد الأحسائيين حينما قال في آخر الرسالة : " فان الخلود في النار جزاء الردة الصريحة مابسوى بضيعة(٣) تربح تومانا أو نصف تومان"(٤) ، ورغم أن هذه الاشارة عن التومان تعد الوحيدة - حسب علمي - في المصادر النجدية ، والشيخ أرسل رسالته الى أحسائي فخاطبه بما يعرفه في بلده مما لا يدل بالضرورة على اشتهار هذه العملة في نجد ، رغم ذلك كله فان هذه الاشارة قد تعطي انطباعا عن تداول - ولو محدود - لهذه العملة في نجد ، كما أنها تشير الى معرفة الاحسائيين بها كذلك بل ان من المعتقد أن يكون النجديون قد عرفوها عن منطقة الاحساء في اطار التبادل التجارى والصلات الاجتماعية بين المنطقتين.

واذا أضفنا الى ذلك ثبوت تعامل النجديين بالقران - كما سيأتي - وهو نقد فارسي مرتبط بالتومان - كما مر - أمكننا حينئذ فهم اشارة

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ٦/ ٣٠ ، لوريمر ١٦/١ ، ١٨٣٣/٥.

(٢) لوريمر ١٠٠٤/٣.

(٣) بضيعة تصغير بضاعة

(٤) الشيخ محمد بن عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ٢٢٤ ، ابن غنام ١٧٠/١ ، ابن قاسم ٨١/٨ ، واسم الشخص المرسل اليه : أحمد ابن عبد الكريم.

الشيخ محمد بن عبد الوهاب - ولو أنها الوحيدة حتى الآن - على أنها تأكيد على معرفة النجديين بهذه العملة سواء قبل الدعوة أم بعدها، وأن تداولهم لها ليس مقتصرا على حركة التبادل التجارى بين نجد والعراق وشرق شبه الجزيرة بل يبدو أنها كانت تعد أحد العملات التى كان يستعملها النجديون فى أساليبهم التجارية المحلية كذلك.

ومن العملات واسعة الانتشار فى منطقة الشرق الأدنى عامة الريال[1] الذى أطلق فى العالم الاسلامى على النقود الفضية الأوربية عماد العملات الدولية فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الهجريين / السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، والتى كان أبرزها وأولها الريال الاسبانى " بيزو *Peso* " الذى يقدر بثمانية ريالات من العملات الأوربية التى ضربت بعده، ثم أطلق بعد ذلك لفظ الريال على نوع من العملة الهولندية التى عرفت فى منطقة الشرق العربى باسم الريال " أبو كلب " حيث اعتقد أن صورة الأسد التى رسمت عليه هى صورة كلب، كما سمى الريال الاسبانى فى المنطقة نفسها باسم الريال " أبو مدفع " حيث نقشت على أحد وجهيه صورة مجموعة من الأعمدة أعتقد معها سكان المنطقة أنها مدفع أو مدافع، كما يطلق عليه كذلك المغربى لارتباط هذا النقد بحجاج المغرب الذين يمرون بمصر ويجلبونه معهم من المغرب واسبانيا[1].

---

(١) لفظة ريال مقتبسة من (*Real*) التى تعنى أصلى أو غير مزيف كما تأتى بمعنى ملكى، وانتشر اسم الريال فى العصر الحديث حيث أطلق فى مملكتى العراق والحجاز الشريفتين على أكبر قطعة نقدية فضية والتى قيمتها مساوية لريال ماريا تريزا كما اطلق على عملة زنجبار التى سكت عام ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م، وقد انتشر استعمال لفظة الريال لكثير من العملات فى العصر الحاضر الا أن بعضها ليس له وجود فى الواقع بل يدخل فى مجال الحسابات النقدية المعادلة. (دائرة المعارف الاسلامية ٢٩٩/١٠، مادة ريال الموسوعة العربية الميسرة ٩٠٥ مادة ريال، د. عبد الرحمن فهمى ٥٧٨)

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : ٣٩٣/١، ٣٩٩، ٢٩٩/١٠، الموسوعة العربية الميسرة : ٩٠٥، د. عبد الرحمن فهمى ٥٧٨.

كما عرفت العملة الألمانية والفرنسية الاكو (Ecu) والايطاليـــــــة السكودو (Scudo) باسم الريال ، واذا كان جل هذه العملات الأوربيــة قد عرفتها منطقة الشرق فان ريال مملكة النمسا والمجر فى عهد ماريـــــا تريزا (حكمت من ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م - ١١٨٠هـ/ ١٧٨٠م) الذى ضـــرب أول مرة سنة ١١٦٥هـ/ ١٧٥١م وهو المسمى بالتالير أو أبو طاقة نسبـــة للطاقة (النافذة) المرسومة على صدر النسر المصور على أحد وجهى الريال هذا الريال لقى قبولا فى سوق التعامل النقدى فى منطقة الشرق العربـــى مما جعله يتعرض لمضاربات نقدية خطيرة أضرت بالعملات الأخرى سواء ، وكانت أسواق الشام ومصر تتنافس عليه فيما بينها حيث كان سعره فى الشام أقــــل من مصر الأمر الذى دفع بالتجار الى امتصاصه من سوق الشام الى مصـــــر ليعاد سكه من جديد بعد اضافة ثلاثة أمثال وزن فضته نحاسا ولم تفلـــح جهود الدولة العثمانية عن طريق ولاتها فى الشام ومصر فى تحديد سعـــــر ثابت لهذا الريال بعد أن دخله الغش والتزييف (١) .

---

(١) الجبرتى : ٢/ ٨١، ٣/ ١٠٥، ٥٢٨، ٥٢٩، وذكر فيها هـــــذه العملة بما اشتهرت به فى نجد ومنطقة الشرق العربى عامـــــة وهى " الريال الفرانسة " وليس من المعروف سبب تسميته بالفرانســة مع العلم أنه نمسوى مجرى ، الا أنه يبدو أن سكان هذه المنطقـــة اعتقدوا أنه عملة فرنسية لما لفرنسا فى منطقة الشرق من سمعـــة سياسية قوية خاصة بعد الحملة الفرنسية على مصر ، وذكر الجبرتـــى تذبذب سعر الريال الفرانسة فى هذه الفترة ، أما عملة المجـــر فليس من المعروف لدىّ هل هذه العملة نفسها على أســــاس أن مملكة النمسا والمجر كانتا مملكة واحدة أو أن ذلك كان عملـــة غير فرنسية وأنه ضرب بعد انفصال المجر عن النمسا ، وللاستــزادة (دائرة المعارف الاسلامية ١٠/ ٢٢٩ ، مادة ريال ، الموسوعــــة العربية الميسرة ٩٠٥ مادة ريال أيضا ، د . عبد الرحمن فهمـــى ، ٥٧٨، ٥٧٩) وذكر فيها الفرنك الفرنسى وأنه غير الفرانســـة النمسوى ، وأن الحملة الفرنسية على مصر قد طرحت الفرنك فـــى

(=)

وقد عرفت نجد التعامل بهذا الريال منذ وقت متقدم من انتشار التعامل به في منطقة الشرق الأدنى اذ تشير الى ذلك فتوى للشيخ محمد بن عبد الوهاب عن حكم تعامل أهل نجد بالجدد حين رخصت وصارت الفضة فيها أكثر من العملات الأخرى فأفتى الشيخ بعدم جواز بيع الجدد بالريال اذا كان الذى فى الجدد من الفضة أكثر من فضة الريال والعكس، ومتابعة للأحداث تبين أن التعامل بهذا الريال قد استمر خلال الدولة السعودية الأولى والثانية الى سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م حينما أمر الملك عبد العزيز بسك أول عملة من الريال السعودى الفضى (١).

ونظرا لأن مصدر الغش والتزييف فى الريال كان دار السك بالقاهرة التى كانت تمتص العملات السليمة من هذا النقد من الشام ليعاد سكها مخلوطة فى النحاس - كما مر - فقد كان الهنود والعرب عامة والنجديون خاصة يتعاملون بالريال الفرانسة السليم ،بل كانوا فى القرن الثانى عشر الهجرى وما بعده غير مستعدين لقبول أى فضة فيما عدا هذه العملة، ولعل هذا يفسر لنا التقدير الخاص الذى لقيه هذا الريال اذ لو أنهم تعاملوا

(=) الأسواق المصرية جنبا الى جنب مع الفرانسة المنسوى مما يعطى بعض التعليل لتسمية الشرقيين للريال النمسوى بالفرانسة.

(١) ابن بشر ١/٢٣١، ٢/٥٠ وقد ذكر فيها المحقق مقدار الفرنسة أيام الملك عبد العزيز وأنه يساوى ثلاثين جديدة. وانظر ابن قاسم : الدرر ٥/٧٣، فؤاد حمزة : البلاد العربية السعودية الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ/١٨٦٨م. نشر مكتبة النصر الحديثة الرياض ص ١٧٥ ، د. عبد العزيز القويز: المرجع السابق ص ٦٤-٧٦ وذكر لوريمر (١/٢٣١٢، ٢/٨٥٠، ١٤٣٢/٤) تبذبذا فى سعر صرفه بالنسبة للعملات الأخرى بمقدار روبية واحدة وخمس الى سبع أنات وخمس بيزات كما يساوى شلن واحد وعشرة بنسات وربع واحيانا يصل سعره الى اربع روبيات ،وانظر د. القويز المرجع السابق ، ص ٧٤ - ٧٦ حيث ذكر أن أول سك للريال السعودى الفضة كان عامى ١٣٤٦ هـ،١٣٤٨هـ، ١٩٢٧م، ١٩٢٩م مخالفا بذلك محقق

(=)

بما تعرض للخلط والغش لما لقى كل هذا التقدير (١)، وليس من المستبعد أن يكون هناك مصدر لهذا الريال السليم بالنسبة للنجديين غير الشام وهو الهند الذى كان يزخر بعدد من الشركات الأوربية الدينية والسياسية المتسترة تحت مظلة الاستثمار والتجارة والتى كانت تطرح عملات أوربية سليمة ومنها هذا الريال لتزداد الثقة بجدوى التعامل معها ثم تصل هذه العملات الى الخليج العربى الذى يدفع بكميات منها الى نجد فى نطاق التعامل التجارى بين المنطقتين.

ومن العملات التى عرفها النجديون وتعاملوا بها على جهل منا بسعة هذا التعامل الشاهية أو الشاهي التى ترجع فى أصلها الى سلة النقود الفارسية، ومن البديهى أن النجديين قد عرفوها بواسطة منطقة شرقى الجزيرة العربية.

والشاهية أو الشاهي من العملات قليلة القيمة وواضح من اسمها أنها تنسب الى ملوك فارس حيث كان يطلق على كل ملك منهم " شاه " أى ملك أو شاهانشاه: أى ملك الملوك (٢)، ومن هنا فان معنى الشاهية (٣)

(=) تاريخ ابن بشر، وفؤاد حمزة الذين ذكرا أن أول سك للريال كان عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م، كما ذكر القويز أنه قد حدثت عملية سك عامى ١٣٤٤،١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥،٢٤م، لكنها من فئة القرش ونصف القرش وربعه، وذلك قبل اطلاق الاسم الحالى للمملكة، كما ذكر القويز مراحل سك العملة السعودية بمختلف فئاتها ليس هنا مجال للتفصيل فيها، ولمزيد من التفصيلات تراجع المجلة المذكورة.

(١) الجبرتى : ٥٢٩/٣، د. عبد الرحمن فهمى ٥٧٨، هاملتون جب هارولد بوون: المجتمع الاسلامى والغرب ١٥٩.

(٢) للتفصيل فى لفظة شاهانشاه واشتقاقاتها اللغوية الفارسية راجع دائرة المعارف الاسلامية ١١٧/١٣ - ١٢٠.

(٣) هناك عملة عثمانية تحت اسم شاهي ولاشك أن هذه التسمية أخذت من الفارسية شأنها شأن البارة والزر والملاحظ تشابه بعض العملات الفارسية بالتركية، والشاهي العثمانى نقد من الذهب (=)

أو الشاهي : الملكية أو الملكي فهي في مقابل الريال باللاتينية، ويبدو أن هذه العملة قد سكت في زمن متقدم [1] مما يدل على أنها مرت بمراحل سك تحولت فيها من عملة كبيرة، اذ قدرت قيمتها في أوائل ضربها عندما كانت من الفضة الخالصة وكبيرة الحجم بخمسين دينارا ثم بدأت قيمتها في الانحدار الى أن أصبحت أصغر عملة فضية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين / السابع عشر والثامن عشر الميلاديين تزن ١٨ قمحة

(=) الأصل في تسميته وجود لفظة شاه عليه عندما ضربه السلطان سليم الأول (حكم من ٩١٨هـ/١٥١٢م) الى ٩٢٦هـ/١٥١٩م) وشاع استعماله في بغداد منذ عام ١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م ولذلك كان يسمى بغداديا الى جانب شاهي ، ويبدو أن ضرب السلطان سليم هذا النقد من الذهب وتسميته باسم النقد الفضي الذى ضربه الشاه اسماعيل الصفوى في تلك الفترة كان لاغاظة هذا الشاه، فاذا علمنا الحروب الطاحنة التي جرت بين الزعيمين والتي استغل السلطان سليم انتصاراته في أحدها بارسال أربعين شخصا من أمهر صناع الفرس الى اسطنبول ، ولعل من بينهم من كان يشتغل بسك النقود والتي أراد السلطان سليم أن ينافس الشاه اسماعيل فيها بان يسك عملة شبيهة لها بالاسم وأقوى منها في مادتها حيث كانت الشاهية الفارسية من الفضة بينما كان شاهي السلطان سليم من الذهب ، اذا علمنا ذلك أدركنا أن سك هذه العملة بهذه القوة يعتبر في سلسلة الحروب التي دارت رحاها بين السنة والشيعة بزعامة العثمانيين والصفويين (محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ١٩٠ ، الموسوعة العربية الميسرة ١٠٧١ مادة شاه، وقد اطلق فيها اسم شاهي على النقد العثماني ، وشاهية على النقد الفارسي بينما أطلق فيها اسم شاهي على النقد العثماني ، وشاهية على النقد الفارسي بينما أطلق في دائرة المعارف الاسلامية ١٤٢/١٣ على النقد الفارسي الشاهي المشتهر لدى النجديين بالشاهية، ويبدو أن الاسمين معا يطلقان على كل من هذين النقدين ويفرق بينهما بأن ذلك عثماني وذلك فارسي) .

(١) ضرب هذا النقد في أول عهد الصفويين في القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى (الموسوعة العربية الميسرة ١٠٧١) .

أى ١٧ر١ غراما [1] ، وتساوى ربع عباسى من عملة عباس الأول الصفوى ، أو نصف محمودى ، أو عشر قطع نحاسية فارسية ، وقد بدأت شمس الشاهية بالأفول فى القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى عندما ضرب فتح على شاه القاجارى [2] القران فأصبحت الشاهية تساوى $\frac{1}{20}$ من القران الفضى ، ثم انحدرت قيمة التعامل بالشاهية انحدارا شديدا فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى عندما أصبحت هذه العملة تسك من النحاس الخالص وتساوى خمسة سنتيمات من عملة الشاه ناصر الدين [3] أو بارة عثمانية واحدة ، واستتبع سك الشاهية من النحاس سك العملات التابعة لها سواء كانت من القطع الكبيرة كالقطعة ذات الشاهيتين والأربع شاهيات أو من القطع الصغيرة كالقطعة ذات نصف الشاهية [4] ، ورغم هذا التدنى فى قيمة الشاهية فقد استمر التعامل بها وما يتبعها من عملات كبيرة أو صغيرة حتى قبيل الحرب العالمية الأولى حينما أبطل تداولها بعد طرح العملة

---

(١) هو عباس الأول أو الأكبر الصفوى حكم فارس منذ ٩٩٦هـ/ ١٥٨٧م - ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م ضرب بيد من حديد على غارات الأزبك ، واستولى على عدد من أراضى الأتراك ، واستولى على مضيق هرمز من البرتغاليين بمساعدة الانجليز ، أسس بندر عباس ، شيد أبنية ضخمة من أصفهان وعم الرخاء والتعمير ، واستتب الأمن والنظام فى عهده . (الموسوعة العربية الميسرة ١٧٥) .

(٢) حكم منذ ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م - ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م معظم عهده كان حروب داخليةوخارجية ، وهزم أمام روسيا التى انتزعت رقعة كبيرة من القوقاز وضمتها اليها . (الموسوعة العربية الميسرة ١٢٧٤) .

(٣) حكم فارس منذ ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م - ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م أعاد تنظيم الحكومة وانتزع هراة من الأفغانيين ، ومنح البريطانيين امتيازات كبيرة انتشرت البهائية فى عهده حيث سمح لها بترويج أفكارها واغتاله احد رعاياه . (المرجع السابق : ١٨١٦م) .

(٤) ذكر لوريمر تعامل العراقيين بالشاهى الايرانى الذى يعادل $\frac{1}{10}$ من البنس أو $\frac{1}{20}$ من القران أو ٥٠ دينارا كما ذكر أن الشاهى الواحد يسمى بكشاهى أو دوبولى ، والشاهيين يسميان دوشاهى أو جهار بولى (القسم الجغرافى ٣/ ١٠٠٤ ، ٥/ ١٨٣٢ ، ١٨٣٣) .

الايرانية الجديدة. (١)

وقد ورد ذكر تعامل النجديين بالشاهية الفارسية في بيت حميدان الشويعر التالي :

ورواعي المقرون عبيد الله .'. والله مايسوى شاهية (٢)

واذا كان هذا البيت يلمح الى تداول النجديين الشاهية في مراحل تدني قيمتها النقدية التي وصلت الى حد المساواة بالبارة عند النجديين في عدم الاهتمام بها كنقد معتبر في ميزان التبادل التجاري ، فان من المعتقد أن يكون النجديون قد عرفوا الشاهية منذ أوائل ضربها عبر المراحل التي مرت بها من عملة فضية كبيرة الى أن أصبحت عملة صغيرة ومن النحاس أيضا مما قلل من أهميتها تدريجيا حتى جعلها حميدان مثلا ضربه في ضعف وحقارة صاحبه عبيد الله على طريقة النجديين في ضرب مثل هذا المثل في تفدية حقير بحقير.

---

(١) للتفصيل في الشاهية الفارسية ومراحل سكها . دائرة المعارف الاسلامية ١٣/١٤٢/٢ ، والمرجع السابق ١٠٧١ وقد أورد البديري الحلاق في حوادث دمشق اليومية ص ١٥٣ ذكر تعامل أهل الشام بالشاهية حيث ذكرها كنقد معتبر في تحديد أسعار سنة ١١٦٤هـ/١٧٥٠م ومن غير المؤكد معرفة هل هذه العملة المقصود بها الفارسية أو العثمانية اذ أن من المحتمل أن تكون هي الفارسية فقد تكون الشام قد عرفتها عن طريق العراق كما قد يكون المقصود بها الشاهية العثمانية.

(٢) راعي : فصحية بمعنى صاحب أو مالك ، المقرون : لم أعثر على مفهوم لهذا اللفظ النجدي ولعله من قران الشئ بالشئ ويبدو أنه نوع من اللباس مقرون بعضه ببعضه ، عبيد الله : تصغير لاسم عبدالله وهو أحد الأربعة الذين رافقهم حميدان في سفرة تابلهم فيها لصوص سلبوهم وهربوا فقال حميدان قصيدة منها هذا البيت يصف فيها الحادث ويسخر من نفسه ورفاقه عجزهم عن ملاقاة اللصوص ، والله مايسوى شاهية : هذا من الأمثلة المتوافرة لدى النجديين وغيرهم وأمثلته كثيرة والمعنى أنه لا يساوي حتى هذا النقد الضعيف (=)

ومن العملات الفارسية التى تعامل بها النجديون القرانات جمع قران[١] والتى مر أن الشاه فتح على قد ضربها من الفضة وجعل الواحدة منها تساوى ٢٠ قطعة من الشاهية، ومرت بمراحل سك متتالية الى أن أصبحت تساوى مايعادل خمسة مليمات مصرية[٢].

وقد ورد ذكر تعامل النجديين بالقرانات فى فتوى نجدية بتحريم صرف الريالات بالقرانات لوجود التفاضل بين الريالات والقرانات[٣]، ويبدو أن هذه الفتوى قد صدرت بعد أن تدنت قيمة القران كأى نقد يمر بمراحل سك متدرجة مما يوحى بأن النجديين قد عرفوا القران منذ أن كان عملة فضية كبيرة وحتى أصبح عاجزا عن الوقوف فى صف النقود الكبيرة المعتبرة نتيجة التفاضل بينه وبينها فى القيمة والجنس ضعفا من ناحيته وقوة من ناحيتها.

واذا كان النجديون قد عرفوا البيزة الهندية (Pice) التى هى

(=) ويسوى فصيحة وهى لغة فى يساوى أن يعادل (الفيروزابادى : باب الواو فصل السين) وعن البيت وقصته : (خالد الفرج ديوان النبط ١/٧٢، ٧٣، ٧٤، محمد سعيد كمال ٩/٥٤، ٥٥ محمد الشميرى الفنون الشعبية فى الجزيرة العربية ٢٠٣) وعن مايشبه هذا المثل فى الأمثال النجدية : (محمد العبودى الامثال : ٣/١٢٨٨، ١٢٨٩، ٤/١٢٩٠).

(١) وبعضهم يسميها غرانات جمع غران بتخفيف الراء على طريقة سكان شرقى شبه الجزيرة فى تخفيف القاف بالغين (ابن قاسم : الدرر، ٥/٨٠).

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : ١٣/١٤٢ وذكر لوريمر تعامل العراقيين بالقران الايرانى وانه يعادل $\frac{1}{4}$ ٤ بنس أو $\frac{1}{3}$ روبية والعزدوج ½ ٨ بنس ونصف القران ٢ بنس، والتومان يعادل كذلك عشرة قرانات وذكر أن القران من الفضة وان فئاته تتراوح بين ½ قطعة الى قطعة الى قطعتين وهى أكثرها شيوعا الى خمس قطع، كما اشار الى القران البحرينى وأنه عملة خيالية (١/١٢١٣، ٣/١٠٠٤، ٤/١٤٣٢، ٥/١٨٣٢، ١٨٣٣).

(٣) ابن قاسم : المصدر السابق ٥/٨٠

عملة صغيرة تابعة للروبية (١) وتساوى ١/٢ منها كما مر فان من المعتقد أن يكونوا قد عرفوا الروبية كذلك خاصة وأنها اشتهرت فى منطقة الخليج العربى وشرقى الجزيرة العربية عامة اضافة الى أن ضربها وبالتالى انتشارها كانا قديمين فى شبه القارة الهندية حيث بدأ ضربها فى القرن السادس والسابع الهجريين/ الثالث عشر الميلادى عندما كان يطلق عليها اسم تنكة (٢)، ثم بدأ يطلق عليها اسم الروبية منذ القرن التاسع والعاشر الهجريين /الخامس والسادس عشر الميلاديين بعد أن فقدت التنكة قيمتها النقدية العالية وأصبحت تضرب من النحاس، وزنة الروبية الأصلية ١٧٨ حبة قمح أى ١١ر٥٣ غرام فضة مما أسرع فى ارتفاع قيمتها بين الناس خاصة وأنها كانت تضرب فى عهد سلاطين المغول فى الهند فى أكثر من مائتى دار سك فى جميع أنحاء الهند، اضافة الى أنها كانت فى ارتفاع مستمر فى قيمتها ووزنها بخلاف النقود الأخرى التى مرت والتى كانت تتعرض لانخفاض مستمر فى قيمتها ووزنها، فقد زاد وزن الروبية وقيمتها زيادة على وزنها وقيمتها السابقتين حيث ضرب أحد سلاطين المغول الروبية الثقيلة التى تزن ٢٢٠ قمحة أى ١٤ر٢٥٩ غرام فضة، وبديهى أن هذه الزيادة قد قفزت بالروبية على علو قيمتها السابقة - الى مستوى نقدى عال فى ميزان التبادل التجارى

---

(١) روبية : لفظة سنسكريتية ينطقها الهنود روبيا وروبكه ومعناها العملة الفضية . (دائرة المعارف الاسلامية ١٠/ ٢١٠ ، الموسوعة العربية الميسرة ٨٨٧) .

(٢) تنكة أو تنكجة نقد فضى أول ماضربه المغول منذ القرن السادس والسابع عشر الهجريين/ الثالث عشر الميلادى ويتراوح بين ٢٠ - ٢٥ قمحة أى ١ر٣ - ١ر٩٥ غرام، وأخذ الروس اسم هذه العملة من المغول وحرفوها الى دنجة (*Denga*) فأصبحت عملة روسيا حتى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى/ الثامن عشر الميلادى الا أنها فى هذه الفترة بدأت تضرب من النحاس. وهناك عملة فضية صغيرة كذلك يطلق عليها تنكة ضربت فى تركيا قبل العثمانيين يبلغ وزنها ٥٠ قمحة أى ٣ر٢٥ غرام وليس لها صلة بتنكة الهندية (دائرة المعارف الاسلامية ٥/ ٥٠٨ ، الموسوعة العربية الميسرة ٨٨٧)

مما دفع بشركة الهند الشرقية أن تستمر فى ضرب هذه العملة مستغلة السمعة النقدية العالمية التى تتمتع بها الروبية المغولية. ثم مالبثت هذه الشركة أن نافست بروبيتها العملات المحلية وأبرزها الروبية المغولية حيث أقصت الروبية الانكليزية التى ضربتها هذه الشركة كافة العملات المحلية شيئا فشيئا من سوق التداول النقدى والتجارى بعد أن كانت هذه العملات المغولية هى صاحبة الشأن الرئيسى فى هذا السوق مما اضطر دور السك الكثيرة المنتشرة فى الهند آنذاك الى اغلاق أبوابها نتيجة لهذا الاقصاء للروبية المغولية وما يتبعها من عملات محلية بحيث لم يبق منها الا القليل (١). وأصبحت من العملات الرئيسية فى منطقة الخليج العربى وشرقى الجزيرة العربية عامة، بل تجاوزت فى رواجها هذا المجال لتنتشر الروبية فى شرقى افريقية عامة وكذلك فى منطقة الحجاز نتيجة لجلب الحجاج الهنود والعراقيين وعموم حجاج شرقى الجزيرة معهم كميات من الروبيات (٢)، ومن الطبيعى نتيجة

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ١٠/ ٢١٠، ٢١١، الموسوعة العربية الميسرة ٨٨٧، ويبدو أن النجديين قد استفادوا من الاحسائيين التعامل بالبيزة العثمانية التى تساوى ١/٣ طويلة أو ١/٣٠٠ من الدولار النمساوى أو ٣٤ر من البنس أو ½ ١ فارثنع أو ١١/١٨٤ من القرش العثمانى (د. أبو علية : النقود ص ١٩).

(٢) الحلاق : حوادث دمشق اليومية ١٦١ وذكر فيها جلب الحجاج معهم كميات من الروبيات الا أنه ذكر أنها من الذهب مع أن المشتهر عن الروبية انها من الفضة، ولعلها فى بعض الأحيان كانت تسك من الذهب، (دائرة المعارف الاسلامية ١٠/ ٢١١) ويبدو أن الحلاق كان يشير الى استفادة الشام من هذه الكميات نتيجة مرور هؤلاء الحجاج بدمشق أو أن حجاج الشام هم الذين جلبوها معهم، وذكر الحلاق كذلك أن سعر الواحدة من هذه الروبيات ثلاثة عشر قرشا.

لهذا الرواج أن تصبح الروبية احدى العملات الرئيسية التي تلقى قبولا من النجديين ، وانتشارها في منطقة شرقي الجزيرة ومنطقة الحجاز يجعل منطقة نجد تعرف هذه العملة من هاتين الجهتين كلتيهما أو أحداهما مما زاد من كثرة تداولها وانتشارها في نجد (١) .

وتؤكد الأمثال والأشعار الشعبية النجدية تعامل النجديين ببعض العملات غير تلك التي سلفت غير أن فترة تداولهم لها ليست معروفة الا من متابعة مراحل سكها ، وأبرز هذه العملات البشلك أو البيشلك والتي ينطقها النجديون : البشيلية (٢) ، وهي نقد عثماني أول ضرب لها كان في فترة الاصلاح النقدي الذي وضعه السلطان سليمان خان الثاني بن ابراهيم الأول (٣) وكان ضربه على غرار القروش الأوربية التي كانت متداولة في العالم الاسلامي الى تلك الفترة ، وفي الوقت نفسه ضربت عمله أخرى تحمل اسم القرش وتضاهيه في القيمة النقدية ، وضرب معها أجزاء تابعة لها هي البارات السابقة التي قوم البشلك على أساسها حيث بلغ في فترة من الفترات خمس بارات ، و ليس من المعروف نوع المادة التي سك منها البشلك ، فقيل من الذهب ، وقيل

---

(١) ضرب الأفغان عملة سموها روبية ، كما أن ولايات الهند المحلية كان كل واحدة منها تضرب روبية خاصة بها وفقا لمعيار الروبية الام ، وبعد انفصال الهند وباكستان اصبحت كل دولة منها تضرب لها روبية خاصة بها الا ان الروبية الباكستانية اكبر وأعلى سعرا من الهندية . دائرة المعارف الاسلامية (١٠ / ٢١١ ، الموسوعة العربية ٨٨٢) .

(٢) يتالف لفظ البشلك من بش المخففة من بيش الفارسية بمعنى خمسة ولك بمعنى النسبة ، او هي على طريقة الاتراك في الحاقها بعد العدد لتدل على مايحويه من الوحدات ليصبح معناها ذو الخمسة وقد ربط بعض الباحثين ذلك بكون البيشيلية تعادل خمسة قروش ، واشتهارها في مصر بالخمساوية كما تنطق في مصر والشام والعراق بشلغ وبشلاق ، اما النجديون فيلحقون بها يا النسبة العربية فيقولون بيشلية : (الجبرتي ٣ / ٦١٨ ، د . عبد الرحمن فهمي ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، محمد العبودي : الامثال ٣ / ١٤٣ مثل رقم ١٨٤٨ ، ابن رداس : شاعرات من البادية ٢٣٤ ، الموسوعة العربية ٤٦٧) .

(٣) ولد هذا السلطان في ١٥ محرم ١٠٥٢ هـ / ١٥ ابريل ١٦٤٢ م ، وتولى بعد عزل اخيه محمد الرابع في ٢ محرم سنة ١٠٩٩ هـ / ٨ نوفمبر ١٦٨٧ م تميز عهده بالاصلاح والتسامح الديني مع النصارى الذين كثر دخولهم في طاعة الدولة نتيجة لهذا التسامح . توفي في ٢٦ رمضان ١١٠٢ هـ / ١٦٩١ م . وتولى بعده أخوه احمد خان الثاني (محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ٣٠٤ - ٣٠٧) .

من الفضة، وقيل من النحاس ويبدو أنه مر بهذه المراحل كلها تبعا للانخفاض التدريجي الذى يمر به النقد عادة فى تلك الفترة.(١)

وكان هذا النقد يضرب فى تركيا ومصر، وزاد انتشاره فى أوائل القرن الثانى عشر الهجرى/ الثامن عشر الميلادى، وبعيد منتصف القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى ثم ضربت كمية من البشلك تحت اسم جيرك، المأخوذة من جهاريك التى معناها ربع حيث قوم بربع المجيدية التى تعادل خمسة قروش المعادلة للفرنك الفرنسى حاليا تقريبا، ويروى أنه فى أوائل ضربه كان يعادل خمسة قروش ذهب، وقيل خمسة قروش فضة صاغا(٢) ثم تحول الى أن أصبح يعادل $\frac{1}{٨}$ قرش مصرى وأحيانا خمس بارات كما مر(٣)

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ٣/ ٦٦٣، ٦٦٤، د. عبد الرحمن فهمى ٥٧٣، الموسوعة العربية ٤٦٧، وأكد الدكتور البحراوى أن البشلك أول ماسك كان من الذهب وكان يزيد من ١٧,٥ قيراطا الى ٢٣ قيراطا صافيا وسعر البشلك ٥ دولارات أو ماتعادل خمسة قروش تركية، وأن ذلك قد تم من الذهب مرة أخرى فى عصر محمود الأول (حكم ١٥ ربيع الأول ١١٤٣هـ/ ٢٨ سبتمبر ١٧٣٠م الى يوم الجمعة ٢٧ صفر ١١٦٨هـ/ ١٣ ديسمبر ١٧٥٤م) وكذلك فى عصر السلطان مصطفى الثالث (حكم من ١٦ صفر سنة ١١٧١هـ ٣٠ أكتوبر ١٧٥٧م الى ٨ ذى القعدة ١١٨٧هـ/ ٢١ يناير ١٧٧٤م (د. محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى فى عهد السلطان محمود الثانى - الطبعة الأولى مطابع المختار الاسلامى، نشر وتوزيع دار التراث، القاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) ، ص ٣٧).

(٢) خمسة قروش صاغا كانت تعادل عشرين قرشا رائجا، وأحدها يعادل بيشلية، ويبدو أن الفرق بين الصاغ والرائج أن الصاغ هو السالم من الغش والتزييف، والرائج فيه غش أو كله مغشوش، ولعل الكلمة المصرية الحالية قرش صاغ مأخوذة من الصاغ.

(٣) الجبرتى : ٣/ ٦١٨ أحداث ذى الحجة ١٢٣٥هـ/ اكتوبر ١٨٢٠م، وذكر فيها أن البيشلية تعادل القرش أو خمس أنصاف فضة. (دائرة المعارف الاسلامية ٣/ ٦٦٤، د. عبد الرحمن فهمى ٥٧٣، الموسوعة

(=)

ولم تذكر المصادر التاريخية النجدية شيئا عن تعامل النجديين بالبيشلية سواء كان ذلك عن بدء معرفتهم بها ، أو دخولها في أي مرحلة من مراحل سكها في معاملاتهم النقدية والتجارية ، وكل ماعثرت عليه في هذا الموضوع مثلين شعبيين وبيتا عاميا ، وهي تذكر أن تداول النجديين للبيشلية كان في مرحلة تدني قيمتها النقدية ، ولعل ذلك بعد بدء ضربها من النحاس وهي كما تؤكد هذا الأمر فانها تعطي تصورا بأن معرفة النجديين لها كان متزامنا مع أول ضربها خاصة اذا علمنا سرعة تحرك أهل نجد تجاريا مع البلدان المجاورة ، وقد صوّر المثل النجدي : " لوتبي بيشلية "(١) ضآلة قيمة هذا النقد في المجتمع النجدي تبعا للتغير الدائم باتجاه النقص في جنسه وقيمته النقدية سواء كان ذلك في مصدر سكه أو في البلدان المجاورة.

ونتيجة لسعة حجم التبادل التجاري بين بادية نجد وحاضرتها فان الوعي النقدي بحقيقة أي عملة لم يقتصر على الحاضرة بل أن أبناء البادية يملكون رصيدا لا بأس به من هذا الوعي بحب واعزاز النقد القوي القيمة والجنس ، واحتقار وامتهان النقد متدني القيمة وضئيلها ، وكما سبق في الشخص الذي بلغ من حب أبناء البادية له تسميه أولادهم به واطلاق الحاضرة له على الحبيب والأصيل فان البيشلية على النقيض من ذلك لأن ذكرها في مقابلة أي شخص علامة على احتقاره وبغضه وبالتالي هجائه ،

(=) العربية ٤٦٧ وقد تعامل العراقيون بالبيشلية التي تعادل خمسة متاليك أو ٢½ بنس (لوريمر ٣/ ١٠٠٤ وذكر انها تسك أحيانا من الذهب) .

(١) تبي الحضرية ، وتبىٰ البدوية أصلهما محرفتان من تبغى وتبغى بمعنى تطلب أو تريد (الفيروزابادي باب الياء فصل الباء) وجواب أو محذوف تقديره ما أعطيتك. عن المثل وشرحه : (العبودي ٣/ ١١٤٢ ، ١١٤٣) .

ويؤكد هذه الحقيقة قول أحد البدو في امرأة مدحت عند مجالها فلم يأبه بذلك قائلا :

قلت بنت اللآش مافيها مسرة .·. بايع حقى عليك ببيشلية (١)

كما أن المثل النجدى الآخر: " فرق بين النيرة الصفراء والبيشلية" يبين تداول النجديين للبشلية، ومنزلتها النقدية بينهم مؤكدا مابينه المثل السابق من ضآلة هذا النقد بعدما بدأ يضرب النحاس الخالص، وندرة الذهب الصافى فى ذلك الوقت، يجعل النقد من أى معدن كان له قيمته النسبية فى سوق التبادل النقدى والتجارى ،الا أن هذه القيمة تتدنى بشكل ملحوظ أمام النقد المضروب من الذهب، ومن هنا عبر هذا المثل عن البون الشاسع بين قطعة الذهب والبيشلية النحاسية وان جمعت بينهما الصفرة، وان كان هذا المثل يتجاوز هذا المعنى المحسوس ليفرق بين أى شئ أصيل وبين ضده ولو شابهه سواء كان ذلك فى الانسان أو الحيوان أو سواهما ، وسواء كان ذلك من المحسوسات أو غيرها (٢).

ويرجح العبود فى أمثاله أن صلدى الواردة فى المثل العامى " لو تبى صلدى" محرفة عن زلطة أو زلاطة (٣) التى تعنى احدى قطع النقود العثمانية

---

(١) اللاش : أصل الكلمة فصيح فهى اما أن تكون من اللاشىء أى الذى لا قيمة له ،أو من اللشلشة وهى كثرة التردد واضطراب الاحشاء وهو لشلاش،أى جبان ، ومفهومه لدى عامة نجد يقرب من هذا فهو الرجل الخامل الذكر الذى لا قيمة له ولا خير فيه ، (الفيروزابادى باب الشين فصل اللام) وعن البيت وقصته وشرح بعض كلماته : (عبد الله ابن رداس: شاعرات من البادية ٢٣١ - ٢٣٤، ٤٢٥، ٤٢٥).

(٢) عن المثل : عبد الكريم الجهيمان : الأمثال الشعبية ٥/٥٨ مثل رقم ٤٢٠٢ ، ويطلق على البيشلية أحيانا القطعة كأى نقد ضئيل القيمة (صحيفة الرياض العدد السابق ص ٥١).

(٣) يبدو أن أصل هذه اللفظة عربى أو معرب ، فقد ذكر صاحب القاموس المحيط أن الزلط المشى السريع، والزليطة اللقمة المنزلقة من العصيدة ونحوها مولّدة (باب الطاء فصل الزاى) وذكر صاحب

(=)

التى كانت تسك من الفضة أو النحاس وكانت تساوى ثلاثين بارة ، وقد انتشرت فى مصر وسوريا والعراق وكافة بلدان الشرق الأدنى منذ أوائل القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى مما يبدو معه أنها قديمة السك ، وقد شاعت فى الشرق شيوعا جعل أهل اليمن يطلقون الزلط على الدرهم عامة (١) ويعتقد أنها كانت من النقود ذات القيمة العالية نسبيا ومن المحتمل أنها قد مرت بمراحل سك متفاوته قد تكون بدأت بالذهب ثم بالفضة ثم بالنحاس الى أن أصبحت نحاسا خالصا مما جعل قيمتها النقدية تتدنى ويصبح قبولها

(=) قاموس رد العامى الى الفصيح أن الزلط عند العامة حصيات مابين حجم حبة اللوز أو ما يملأ الكف وقد نعمت جوانبها بجريان الماء عليها فذهبت حروفها ، وذكر صاحب التاج أن الزلط كذلك الحصى الصغار مثل حصى الجمرات، ويشبه بها الفول الذى لم يجرش وأفاد بأنها عامية ، ومنها قولهم زلط اللقمة زلطا اذا ابتلعها من غير مضغ، وقيل فيها أنها عربية الاشتقاق ولم يسمع من العرب أنها مولدة ، ثم رأى أن الزلط للمعنى مأخوذ من الزلق بمعنى الأملس مؤيدا كلامه بالتعاقب بين الطاء والقاف المعروف بفصاحته مثل أحاط به العذاب وحاق ، وحلق رأسه وحلطه ، وقيل ان الزلط بتفخيم الزاى قبطية وأن فصيحها هو الجرول كجعفر الأرض ذات الحجارة أو ما يملأ الكف منها أو اسم سبع، وتجمع على جراول ، واستطرد صاحب هذا القاموس فى ذكر تفريعات أخرى لهذه اللفظة مقارنة بالعامية ويحتمل انه اما أن الاتراك أخذوا هذه اللفظة من العربية وأطلقوها على هذه العملة لنعومتها ، أو أن عامة بلاد الشام ومصر والعراق واليمن أطلقوا عليها هذا الاسم ولها اسم بالتركية تركوه ، وأضفوا عليها ماتعارفوا عليه ، أما عامة أهل نجد فانهم -على مايبدو - لم يرق لهم هذا الاسم " الزلط" وسموها باسم أفصح منه وهو صلدى من الصلد بفتح الصاد وكسرها مع التشديد بمعنى الصلب الأملس كالصلود وكسفرجل ، ومنه قول الله تعالى : " فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا" من الآية ٢٦٤ من سورة البقرة. للاستزادة (الفيروزابادى باب الطاء فصل الزاى والزبيدى ،أحمد رضا : قاموس رد العامى الى الفصيح ٢٣٧ ،٢٣٨) ومتابعة لتحليل هذين اللفظين يتأيد ترجيح العبودى أن الصلدى هو الزلط أو الزلالطة.

(٢) العبودى : المرجع السابق ٣/١١٤٣ ويرى بعض الباحثين أن لهذه (=)

ضعيفا أمام العملات الكبيرة أو المتوسطة، هذا التدنى الذى يبدو أنه كان دافعا للمصريين عامة وعمال دار السك بالقاهرة على وجه الخصوص الى الامتناع عن ضرب الزلاطة وما يشبهها من العملات ضئيلة القيمة فى دار السك المصرية وذلك حينما حضر الى مصر أحمد الكتخدات (١) لولايتها ومعه أوامر -صادرة من الباب العالى العثمانى- بأن يتم ذلك الضرب فى تلك الدار بقوالب سك أحضرها معه من استانبول على عادة الدولة العثمانية فى أسلوب سك العملات المراد ضربها فى مصر (٢)، ومن ذلك يتبين أن الزلاطة كانت تضرب فى استانبول وأن قيمتها النقدية تدنت وهى تضرب فيها اذ لم أعثر على محاولة سك لها فى مصر بعد هذا الامتناع مما يدل على أن انعدامها كان تدريجيا من سوق التبادل النقدى والتعامل التجارى وهى فى آخر مرحلة سك لها قبل امتناع المصريين عن ضربها ولم تشر المصادر التى بين يدى -بسبب ذلك- الى تجديد سكها فى استانبول وكان من المعتقد أن تكون غالية الثمن نتيجة هذه الندرة الا أنها حينما تزامنت مع التدنى فى قيمتها فان هذا جعل رحيل الزلاطة من عالم النقد غير مأسوف عليه، وهذا ما أشار اليه هذا المثل الشعبى مصورا ضآلتها فى المجتمع النجدى وانعدامها من عالمه النقدى والتجارى فى الوقت نفسه.

(=) اللفظة التى ينطقها اليمنيون (ظلط) صلة ببعض أسماء النقود اليمانية قبل الاسلام (جود على ٧/ ٤٩٢٢٩١).

(١) الكتخدات جمع كتخدا وهو الوكيل عن الباشا ويعينه السلطان برتبة صنجق (لواء) ويتغير بتغير الباشوات وقد حرفه الاستعمال والتداول الى كيخيا، ويبدو أن السلطان يكل اليه الباشوية وهو فى مرتبته (محمد أديب غالب من أخبار الحجاز ونجد فى تاريخ الجبرتى، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م باشراف دار اليمامة الرياض ص ٢٦٥، ٢٧٠).

(٢) الجبرتى ١/ ٥٠، ٥٦ حوادث صفر ١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م وحوادث ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م، د. عبد الرحمن فهمى : ٥٧٢

ومن العملات التي لم يرد لها ذكر في كتب التاريخ النجدي المحلية وألمحت لها الأمثال الشعبية المتليك أو المتليكة وهو نقد من المعتقد أن يكون أحد العملات العثمانية، وهو نوعان : متليك نحاسي ومتليك نيكل، وكلا هذين المعدنين ضئيل القيمة، وقد انتشر التعامل به في سوريا والعراق ونجد وربط منطقة الشرق العربي بأكملها الا أن تاريخ بدء سكه وفي عهد من من السلاطين تم ذلك والمراحل التي مر بها. كل هذا غير متوفر في المصادر المعروفة، غير أن من المعلوم كونه يساوي عشر بارات (١)، ويظهر أن انتشار التعامل به في البلدان السابقة لم يكن بالدرجة التي حظيت بها بعض النقود التي مر ذكرها بحيث أنك اذا علمت نقدا منها في نجد مثلا وبحثت عنه في مصادر البلدان المجاورة تجد أخبار التعامل به مبثوثة في ثنايا هذه المصادر بتفصيلات أوسع مما في المصادر النجدية المحلية وهذا مايفسر لنا أن المثل النجدي : " لوتبي متليك" (٢) يكاد يكون هو المصدر الوحيد الذي يشير الى التعامل النجدي بهذا النقد، والى ضآلة قيمته في سوق التبادل التجاري، والنقدي في تلك الفترة.

ورغم أن انتشار هذا النقد كان ضئيلا سواء كان ذلك في نجد أو في البلدان المجاورة فانه على مايظهر - كان منتشرا في العراق أكثر من غيرها، واذا علمنا أن باشوية العراق من الباشوات المهمة في الحكم الاداري للدولة العثمانية لانها تشرف على ولايات الدولة في شرقي شبه الجزيرة، وتقف

---

(١) العبودي : الأمثال العامية ٣/ ١١٤٤ مثل ١٨٥٢.

(٢) العبودي : المرجع السابق ٣/ ١١٤٤ المثل السابق. وذكر لوريمر أنه قد ضرب منه فئة متليك أو متليق واحد ويساوي فلسين أو نصف بنس، وكذلك فئة متليكين تساوي بنسا واحدا، وفئة أربعة متاليك وتساوي قرشا صاغا أو بنسين وخمسة متاليك تساوي بيشلكا واحدا أو بنسين ونصف، وفئة ثمانية متاليك وتساوي قرشين صاغا أو أربعة بنسات (القسم الجغرافي ٣/ ١٠٠٤)

سدا منيعا أمام هجمات الصفويين ،أدركنا الى أى مدى يمكن أن تقوم به من أدوار لتعزيز سيطرة الدولة السياسية والاقتصادية عن طريق طرح العملات العثمانية فى العراق لتنتشر منها الى البلدان المجاورة ،وانتشار الشاهي العثمانى فى العراق حتى سمى بغدادى ، وكذلك المتليك يؤكد هذه الحقيقة التى أشار اليها أيضا المثل النجدى المأخوذ عن العراقيين : " متليك يوصلك البصرة (١) " وهو كما يعنى قصر المسافة المراد قطعها بهذا النقد فانه - فى الوقت نفسه - يصور رخص هذا النقد ويؤكد ما أشار اليه المثل السابق فى هذا المجال .

ومن الجدير بالذكر هنا الاشارة الى وعى النجديين بحقيقة الوضع النقدى المحيط بهم والذى من أبرز ملامحه الغش والتزييف فى مادة كثير من العملات كما مر، هذا رغم ماكانت تعانى منه منطقة نجد من قلة أو انعدام كثير من العملات المعروفة على ماكان يعتورها من هذا الغش والتزييف ، هذه المعاناة التى كانت محصلة طبيعية لما كانت تتعرض له نجد فى تلك الفترة من سوء وتردٍ فى كافة الأحوال الاقتصادية ،وهذه المعاناة النقدية التى أوجدت فى نجد حالة نقدية أشبه ماتكون بالمجاعة النقدية تتزامن غالبا مع المجاعات الغذائية التى كانت تتعرض لها نجد كثيرا فى تلك الفترة أو بعدها ، والتى لم تقف حجر عثرة أمام الوعى بتلك الحقيقة حيث أبرز المثل النجدى : " ضرب تحت المقفزية (٢) " ،واقع هذه العملات المزيفة

---

(١) الجهيمان : الأمثال الشعبية ٧/ ٢٦٢ وذكر لوريمر تعامل العراقيين بالمتليك بفئاته السابقة (٣/ ١٠٠٤) .

(٢) ضرب : أى سكّ ،المقفزية : أحد أنواع النخيل النجدية المنتشرة فى نجد تؤكل بسرا وكانت موجودة فى القصيم الا أنها انقرضت فيه الآن أو كادت أن تنقرض لاستعاضة أهل القصيم عنها بأنواع غيرها وهى تنتشر فى منطقة العارض أكثر من مناطق نجد الأخرى (العبودى بلاد القصيم

فاذا سلمنا بأن لهذا المثل قصة واقعة تقول : (أن أحد الصاغة عمل قالبا لاحدى العملات المعروفة وصار يسك فيه من هذه العملات ويكتب عليه ضرب تحت العقفزية) [١] ،فان هذا المثل يكشف حقيقة العملات المزيفة وأن هذا التزييف من السهولة بحيث أي أى شخص يمكن أن يقوم به مما ينبغى معه الوعى والانتباه، وهذا المثل من قبل ومن بعد يحوى صورة من صور التندر والمرح المروح عن النفس لدى عامة النجديين عندما كانت الأحوال الاقتصادية تضيق بخناقها عليهم.

والذى يظهر للباحث من هذا العدد الوافر من العملات الأجنبية التى تعامل بها النجديون ،وغيرها مما ليس هنا مجال التفصيل فى البحث عنه. الذى يظهر أنه لا الدولة السعودية الأولى ولا الثانية قد حاولت اصدار عملة خاصة بها بل تركت لهذه العملات المجال مفسوحا فى الانتشار والتداول فى كافة مناطق سيادتها غير مفضلة بين عملة وأخرى اذ لم تتبن الدولتان أى عملة معينة بل ان العملة الأقوى مادة هى التى تثبت جدارتها وتنال الثقة من الدولة والمجتمع،وان كان يحدث فى بعض الأحيان أن العملة الرديئة هى التى تنتشر فى أسواق التجارة والنقد لرغبة عامة المجتمع فيها وهم غالبا من محدودى الدخل [٢] ، ولئن كان لهذا الوضع فى منطقة نجد فى عهود الامارات السابقة للدعوة والتكوين السياسى للدولة السعودية أسبابا فى عدم ضرب عملة خاصة بالمنطقة أبرزها التفكك السياسى فان التنظيمات الادارية للدولة بعد قيام الدعوة كان ينبغى أن تشمل ضرب

---

(١) عبد الكريم الجهيمان : المرجع السابق ١٨٩/٤ مثل رقم ٣٣٩٣

(٢) على أساس المبدأ النقدى القائل بأن العملة الرديئة تطرد الجيدة من الأسواق . (د . عبد الرحمن فهمى : ٥٥٥) .

السكة الا أن شيئا من هذا لم يحدث بل ذكرت المصادر النجدية تداول المجتمع والدولة فى عهد الدولة السعودية الأولى للعملات التى سبق الكلام عنها وخصوصا الأحمر والجديدة والمشخص والريال الفرانسة أبرز العملات المتداولة فى أوائل وأواسط عهد هذه الدولة، بالاضافة الى العملات المصرية من سك دولة محمد على باشا فى أواخرها (١)، ولعل السبب الرئيسى فى تأخر الدولة السعودية الأولى فى تحقيق مثل هذا العمل هو انشغالها بنشر الدعوة وتوطيد الكيان السياسى للدولة، وتحدثنا بعض المصادر عن محاولة قامت بها الدولة السعودية الثانية - ويبدو أن ذلك فى عهد الامام فيصل بن تركى - وهى طبع المتليكات بطابع أئمتها وكتابة أسمائهم عليها، الا أن هذه المحاولة لم يتم لها النجاح وبالتالى فلم تستمر وذلك نتيجة للانقسامات السياسية فى الدولة التى أعقبت وفاة الامام فيصل بن تركى (٢).

ولم تنجح محاولة من هذا القبيل الا فى عهد الدولة السعودية الثالثة عندما تبلور المفهوم الحضارى للدولة الحديثة، وانتهى الملك عبد العزيز تقريبا من توحيد أجزاء الدولة فى عهديها السالفين وبالتحديد سنة ١٣٤٣هـ، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٤م، ١٩٢٥م (٣).

---

(١) أشار علماء الدعوة الى تعامل النجديين بقروش محمد على، (ابن قاسم : الدرر ٥/٧٦)، ويبدو أن نجدا قد عرفتها أثناء حملات محمد على على شبه الجزيرة ثم انتشرت بعد ذلك.

(٢) د. أبو علية : الدولة السعودية الثانية ٢٧٦، النقود : ١٩

(٣) د. عبد العزيز القويز، المرجع السابق ٧٤، ومن الجدير بالذكر هنا خروج الكلام عن العملات الحديثة نسبيا عن فترة هذا البحث كالمجيدية والعملات الهاشمية مثلا، ولهذا فلم أتطرق لها.
ولمعرفة ملامح بعض العملات الواردة فى هذا الفصل انظر الصور المرفقة فى آخر هذا البحث.

وبعد : فرغم محاولة الاستقصاء التى قمت بها للعملات المتداولة في نجد منذ القرن العاشر الهجرى الى قيام الدعوة وبعيد ذلك بقليل فانه من المؤكد وجود عملات أخرى أغفلتها المصادر النجدية التاريخية، وغير التاريخية سواء كانت تابعة للمجموعات النقدية السابقة : الأوربية والعثمانية والفارسية ، والهندية ، أم كانت تابعة لسلات نقدية أخرى كالعمانية مثلا اذا كانت سلطنة عمان ومسقط أقوى امارات الجزيرة العربية فى تلك الفترة وامتد سلطانها الى شرقي أفريقيا وأجزاء من ايران الحالية، ومن الطبيعي أن تكون لها عملة خاصة، أو أن يطبع بعض حكامها أسماءهم على العملات المتداولة آنذاك، وأن تتعامل نجد بهذه العملات للصلات الواسعة بين المنطقتين .

الباب الرابع
المظاهر العامة للحياة الاجتماعية

الفصل الأول

الملامح العامة للهجرات النجدية

١ - أسباب الهجرة :

«أ» الأسباب الأمنية .

«ب» الأسباب الاقتصادية .

٢ - أنواع الهجرات النجدية :

«أ» الهجرة الداخلية .

«ب» الهجرة الخارجية .

توطئــــة :

تشكل المظاهر العامة للحياة الاجتماعية عند حضر نجد فى تلــــك الفترة وضعا فريدا اذ أن العزلة التى فرضتها الأوضاع الأمنية والاقتصاديـــة وغيرها أفادت المجتمع النجدى فى بقائه محافظا على كثير من عاداته وتقاليده.

ورغم تلك الرحلات العلمية والتجارية ومايحدث أحيانا من هجـــرة داخلية أو خارجية لبعض الأسر والأفراد بسبب الظروف السابقة فان ذلــك لم يؤثر كثيرا على تلك الحقيقة الاجتماعية اذ قد يطيب المقام لأولئك المهاجرين فى البلدان التى رحلوا اليها، وما قد يصاحب ذلك أحيانا من نقل متبـادل لهذه المظاهر بين نجد وتلك البلدان فهو محدود لا يلغى احتفــــاظ المجتمع النجدى بخصائصه الاجتماعية العامة.

واستنادا الى تلك العزلة، ولوجود عناصر الخير فى المجتمع النجدى الحضرى - كأى مجتمع - فقد كان هذا المجتمع يعج بكثير من العـــادات والتقاليد ومظاهر الحياة الاجتماعية الحسنة التى حفظت له أصالته وتكافلــه على أن هذا المجتمع كذلك لم يخل من بعض المظاهر الاجتماعية السيئـــة التى تعد حوادث القتل من أبرزها، وهى حوادث لم تكن نجد بدعا فيهـــا سواء تلك التى تنجم عن الصراعات السياسية أم الأسرية والفردية اذ أنهـــا موجودة لدى كل الأمم والشعوب (١).

---

(١) د. العثيمين : تاريخ المملكة ١/ ٤٥ والمطلع على مصادر البلـدان الأخرى يرى بروز هذه الظاهرة فيها رغم ماتتمتع به من حكم منظـــم بالمقارنة بعهد الامارات السائد فى نجد قبل الدعوة. وعلى سبيـل المثال انظر(دحلان : خلاصة الكلام ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠) الجبرتى : عجائب الآثار ١/ ٤٥، ٥١، ٥٣، ٧٨، ٨٦، البديـرى : حوادث دمشق ٤٢ - ٤٦ من مقدمة المحقق، ١٨ - ٢٠، ٣١، ٣٢).

ورغم ماتتركه تلك الصراعات من آثار كبيرة على بعض المظاهر الاجتماعية أحيانا ،الا أن ذلك كان عاملا ايجابيا دفع سكان المنطقة الى المساندة لجهود الاصلاح المحدودة فى المجتمع وأصبحوا بالتالى مصدرعون لأى حركة محلية تجعل هدفها لمّ الشمل وتوحيد الكلمة اذ أن النفوس كانت قد ملت حياة الفوضى والسلب والنهب وأصبحت مهيأة - بشكل عام - بل متحفزة للانقياد لحركة من هذا القبيل .

وتشكل منطقة نجد وحدة اجتماعية مميزة تتشابه عاداتها وتقاليدها وتتماثل مظاهرها الاجتماعية ، ورغم وجود بعض الاختلافات فى التفاصيل الدقيقة للمظاهر الاجتماعية بين منطقة نجدية وأخرى بل وأحيانا بين بلد وآخر فان ذلك لا يؤثرعلى تلك الحقيقة الاجتماعية التاريخية ، وكما سبقت الاشارة اليه (١) فقد كان موقف علماء تلك الفترة جيدا فى توحيد الكثير من المفاهيم الاجتماعية أو تماثلها على الأقل ، وكل هذا عائد الى تركز العلماء فى مناطق معينة وعدم انتشارهم فى كل مناطق نجد ،على أن بروز مراكز علمية ثم اختفاءها أو تقلص دورها لتظهر مراكز أخرى قد ساعد على أن تمتزج الكثير من العادات والتقاليد بين المناطق والبلدان النجدية لتؤكد تلك الحقيقة فيما بعد .

وبعد هذا وذاك فقد كان هذا التشابه عاملا دفع الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى أن يعد هذه المنطقة مجال تحركه الأول مما سهل - فيما بعد - توحيد هذه المنطقة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وفق أحكام الشريعة الاسلامية ، وهذا ماجعل مؤثرات دعوته أكثر بروزا فى هذه المنطقة عن غيرها (٢) .

---

(١) فى الفصل الثانى من الباب الثانى .

(٢) أشار الشيخ الى هذا فى قوله لعثمان بن معمر فى أول لقاء بينهما حينما عرض عليه دعوته وطلب منه نصرته : " انى أرجو ان أنت قمت بنصر لا اله الا الله أن يظهرك الله وتملك نجدا وأعرابها " (ابن بشر ١/٢٢ ، د . العثيمين : المرجع السابق ١/٩٣) .

تعد منطقة نجد (قلب شبه جزيرة العرب) مصدرا بشريا للبلاد المجاورة عبر التاريخ اذ منها خرجت الموجات البشرية التى قدمت اليها من مصدرى الامداد البشرى العربى : اليمن والحجاز وعمرت الأرض فى الهلال الخصيب وبلاد الرافدين بل قد انتقل قسم من هذه الموجات الى مصر وافريقيا ومناطق أخرى ، كما خرج منها معظم جيوش الفتح بعد الاسلام.(١)

وتنطبق على تحركات الأسر والأفراد داخل نجد وخارجها كافة أنواع الهجرة التى قررها علماء الاجتماع كالهجرة الداخلية التى تحدث داخل اقليم نجد بين بلد نجدى وآخر ، والهجرة الخارجية التى تتجاوز منطقة نجد الى المناطق المجاورة وغير المجاورة أحيانا ، والهجرة الدائمة التى يتبعها توطن كامل فى المنطقة المهاجر اليها ، والهجرة المؤقتة التى تنتهى بانتهاء الهدف منها علما أو عملا أو تجارة ، والهجرة الاختيارية التى تحدث بمحض اختيار المهاجر وبدون ضغوط أمنية واقتصادية أو غيرها ويندرج تحتها تلك الرحلات العلمية التى سبق ذكرها وبعض الرحلات التجارية ، وهناك الهجرة القهرية التى يضطر اليها كثير من النجديين فى تلك الفترة وما شابهها تحت ضغط تلك الظروف وغيرها من الأمور القسرية التى تلجىء بعض الأفراد والأسر الى ترك بلدانهم وقد يطلق عليها : (الهجرة الاضطرارية) .(٢)

وعلى هذا فيمكن تقسيم الهجرات النجدية الى نوعين رئيسين هما : الهجرة الداخلية ، والخارجية ، اذ أن الأقسام الأخرى تندرج تحت هذا

---

(١) د : عمر فروخ ، تاريخ الجاهلية مطابع دار الكتب نشر دار العلم للملايين . بيروت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م ، ص ٣٦ .

(٢) مجموعة من الأساتذة المتخصصين : معجم العلوم الاجتماعية تصدير ومراجعة : د . ابراهيم مدكور طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة بالتعاون مع مركز تبادل القيم الثقافية بالقاهرة ومنظمة اليونسكو ١٩٧٥م ص ٦٢٩ (مادة هجرة) .

التقسيم الذى يشكل اطارا عاما ، ويعد علامة بارزة لمظاهر الحياة الاجتماعية العامة عند حضر نجد فى تلك الفترة بما نقلته تلك الهجرات لبعض العادات والتقاليد النجدية الى المناطق والبلدان الأخرى .

وقبل الحديث عن هذين النوعين لابد من عرض للأسباب الرئيسة وراء تلك الهجرات وهى تردى الأوضاع الأمنية ، وسوء الأحوال الاقتصادية فى بعض الفترات، فعلى الرغم من أن هناك أسبابا أخرى للهجرة من نجد كالأسباب العلمية والتجارية الا أنها ليست بحجم تلك الهجرات العائدة لهذين السببين ، على أن بعض الهجرات العلمية والتجارية تعود فى أساسها الى السببين السابقين ثم تبرز أسر علمية أو تجارية اثر ذلك .

١- اسباب الهجرة :

١ - الأسباب الأمنية :

من الحقائق الثابتة فى التاريخ النجدى قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تردى الأوضاع الأمنية الى درجة كبيرة وهذا راجع الى تعدد الامارات، وعدم وجود قوة حاكمة تحمل الناس على الحق وتردع المعتدين بل كان حكام كثير من البلدان النجديين ضالعين فى العديد من حوادث القتل الفردية وشبه الفردية ، وكانت مشكلة الأخذ بالثأر - على مستوى الفرد والجماعة - عاملا أدى الى بروز هذه الظاهرة فى تلك الفترة اذ أن سلسلة الأخذ بالثأر قد تمتد أجيالا طويلة ولا يدرك لها طرف مما يؤدى الى تأصل هذه الفكرة فى أفراد الأسر يأخذونها عن آبائهم وأمهاتهم ولا يرضون عنها بديلا لحفظ مكانتهم فى المجتمع.(١)

وعلى الرغم من أن نجدا ليست بدعا فى وجود هذه الظاهرة فان استعراض أحداث تلك الفترة فى المصادر النجدية سواء التاريخية أم غير التاريخية يؤكد بروزها كظاهرة أثرت على كثير من مجالات الحياة الاجتماعية اذ أن الصراعات الأسرية السياسية منها وغير السياسية وما ينجم عنها من

---

(١) تاريخ ابن ربيعة. مقدمة المحقق ص ٣٥، ٣٦، ٤٥- ٤٧ .

حوادث قتل عديدة وجلاء جماعي أو شبه جماعي ، كل هذا بدا وكأنه الشغل الشاغل لكثير من أفراد المجتمع وأسره حتى طغت أخبار هذه الظاهرة على قسم كبير من أخبار مجالات الحياة الأخرى ، وتصور تلك الأخبار بعض النجديين في صراع مستمر يتحين أهل كل قرية فرصة الانقضاض على الأخرى ، وتهتبل كل أسرة الفرص للثأر من الأخرى حول مورد ماء ، أو مجرى واد لسقيا أرض زراعية أو حمى رعوي أو زراعي أو صراع حول الزعامة رغم أن العائلات المتعادية والمتقاتلة قد تلتقي نسبا في جد ليس بالبعيد كثيرا ، ويشبه التاريخ النجدي في هذه الناحية بالذات تاريخ العرب قبل الاسلام.(١)

ونظرا لتأكد هذه الحقيقة وبروز أحداث كثيرة لها فقد قرر فقهاء تلك الفترة أن مابين البلدان النجدية مخوف ورتبوا على ذلك مجموعة من الأحكام الفقهية منها أن الرجل اذا أمسكه لصوص ليأخذوا متاعه ان كان من بلد معين فحلف بالطلاق ثلاثا أنه من المدينة الأخرى كاذبا لأجل الخوف أنه لم تنعقد يمينه ، وكذلك جواز أخذ اللقطة في أنحاء نجد للحفظ لأن تركها يؤدي الى تلفها بأخذ الظلمة وقطاع الطرق لها وخاصة لمن يأمن نفسه عليها ولو مع الامتناع ، وتحريم بيع السلاح في زمن الفتن والفوضى ، كما قرروا عدة فتاوى أخرى تندرج حول هذا الوضع الأمني في تلك الفترة وهي تعطي دليلا على وعي الفقهاء بحقيقة مجتمعهم.(٢)

وتشير الأحداث التاريخية الى الأثر البارز الذي يتركه الوضع الأمني السيئ في نجد على الهجرة الداخلية والخارجية سواء نتجت هذه الهجرة عن ايثار بعض الأسر السلامة وعدم الدخول في صراع فترحل خوفا من ذلك أم نتجت اثر صراع تزيح الأسر القوية فيه الأسر الضعيفة أو المغلوبة وتستولي على ماكان لها من مكانة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية ، الا أنه لكون

---

(١) تاريخ المنقور ص ٢٢ ، ٢٣ ، مقدمة المحقق ، تاريخ ابن ربيعة ٣٦ ، ٤٥ - ٤٧ .

(٢) المنقور: الفواكه ١/١٩٣ ، ٢٩٣ ، ٢/٣٦ ، ٥٤

النزاعات الداخلية هى سمة العلاقات داخل البلدان النجدية وبينها ، فقد كانت الهجرة بسبب ذلك أكثر بروزا فى الأحداث التاريخية.(١)

ومن أبرز الأحداث التاريخية التى تقرر هذه الحقيقة وتؤكد هـا بجانبيها السابقين ، ماحصل بين آل وهيب (الوهبة) من تميم ، وبين بنى وائل من عنزة فى أواخر القرن السابع الهجرى / أواخر الثالث عشر الميلادى فى أشيقر(٢) التى كانت فى الأصل لأفخاذ من تميم حتى قدم عليها أسر من بنى وائل فملكوا بعض الأراضى فيها بطريق الاحياء والشراء وكثر أتباعهم من قبيلتهم ، وتمكنوا فى أشيقر حتى أصبحوا هم والوهبة كفرسى رهان فى التعداد البشرى وكثرة الأملاك والوجاهة وهنا أصبحت المسألة متعلقة بالسيادة على البلد خاصة وأن الوائليين قد أظهروا من صنوف الكرم للعابر والمقيم ماخشى الوهبة أن يكون ذريعة لاستيلائهم على البلدة وطرد أهلها الأصليين ، أو يصبحوا تابعين بعد أن كانوا متبوعين ، أو خشية استفحال الخلاف الذى يحدث عادة بين الأقارب فكيف بمن هم من قبيلتين مختلفتين.(٣)

وكان هذان الحيان قد اتفقا فيما بينهما على قسمة الأعمال الى قسمين وهما القيام على المزارع والخروج للرعى بحيث أن يتم هذان العملان فى آن واحد فى وقت الربيع ، وقد أوجدوا لذلك نظاما يخرج الوهبة على أساسه فى يوم بمواشيهم للرعى والاعتشاب ، ويجلس الوائليون فى البلد

---

(١) *Abdulrahman. H. Said : Saudia Arabia The Transition from Atribal Society to Anation - State . p. 27.*

(٢) رغم أن أشيقر قد عرفت بهذا الاسم قديما الا أنه قد ورد تسميتها بعكل نسبة لقبيلة عكل التى استقرت فيها قديما ، وهذا الاسم يطلق عليها او على قسم منها حتى اشتهر بعد ذلك اسم اشيقر ، على ان الجغرافيين المسلمين قد ذكروها باسم اشيقر ويبد وان الاسمين كليهما يطلقان على هذه البلدة مع غلبة اسم اشيقر ، ومما يرجح انتشار عكل كاسم لاشيقر فى بعض الفترات ان عزوة اهل اشيقر اولاد عكل وورود هذا الاسم فى وصية صبيح على ان المقصود به اشيقر ، وكانت منذ العصر الجاهلي لبنى تميم فجاورهم أبناء عمهم الرباب ثم الوهبة من تميم الذين اختصوا بسكناها وللبلدة تاريخ حافل حيث خرج منها عدد من الاسر المشهورة بالعلم (الاصفهانى : بلاد العرب ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ياقوت ١ / ٢٠٣ ، ٤ / ١٤٣ ، ابن بليهد : ماتقارب سماعه وتباينت امكنته وبقاعه ١٥٨ ، حمد الجاسر : معجم انساب الاسر المتحضرة ٢ / ٦١٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، البسام : علماء نجد ١ / ١٤ ، ١٥ ، ابن خميس معجم اليمامة ١ / ٨٠-٨٥ ، عبد العزيز المبارك : وثائق الاحوال الشخصية مجلة العرب جـ١ س٢ رجب ١٣٨٧هـ ص ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨).

(٣) ابن عيسى : تاريخ بعض الحوادث ٢٨ ، ٢٩ ، ابن بسام : تحفة ورقة ٧٠ أ ، الجاسر : المرجع السابق ٢ / ٧٨٨ ، ٢٨٩

يحفظونها ويسقون النخيل والزروع، وفي اليوم الثاني يحصل العكس، فتمالأ الوهبة على أنه وقت خروج الوائليين يتم اخراج نسائهم وأولادهم وأموالهم المنقولة وتغلق أبواب الأسوار دونهم، ويكون على الأبراج حراسا مسلحين حتى اذا رجع بنو وائل من مرعاهم منعوا من الدخول، وطلب منهم أخذ أموالهم ونسائهم وأولادهم والبحث عن مكان آخر يستوطنون فيه (١).

رجع الوائليون آخر النهار ليجدوا نذر الرحيل أو الحرب أمامهم حيث منعهم الوهبة من دخول البلدة، وقالوا لهم: هذه أموالكم ونساؤكم قد أخرجناهم لكم حيث ليس لنا شيء منها مطمع، والسبب الوحيد الذى ألجأنا لهذا العمل هو الخوف من احن بيننا قد توقع شرور وحروب، ونحن أهل البلد الأصليون فارتحلوا عنه الى أى مكان برضى منكم وتصاف فيما بيننا، ومن له زرع فليوكل وكيلا منا ونحن نقوم بسقيه حتى يحصد، وأما بيوتكم ونخيلكم فكل منكم يختار له وكيلا منا يوكله عليهما، فاذا سكنتم فى أى بلد فمن أراد القدوم الى بلدنا لبيع عقاره أو نخيله فليفعل، ولن يمنعه من ذلك أحد، وأكد الوهبة أن ليس لهم طمع فى أموال الوائليين فى البلد الا أنهم خافوا من حزازات قد تقع بينهم، أو أن يملك الوائليون البلد ويرحلوهم عنها، أو يغلبوهم على أمرهم وتكون لبنى وائل السيادة والمكانة الاجتماعية المرموقة فى هذه البلدة (٢)، وهكذا اتفق الطرفان على ذلك برضى واقتناع ندر أن أن يوجد مثله فى تاريخ العلاقات الاجتماعية بين البلدان والأسر النجدية ورغم أنه يمكن أن يكون لهذا جذورًا من بعض الخلافات الجانبية الا أن ايثار بنى وائل السلامة ورحيلهم فى هجرة شبه جماعية قد ساعد على تكثيف حركة التحضر فى نجد حينما تمكن المهاجرون الوائليون من تأسيس واعادة بناء بعض البلدان النجدية منذ القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى (٣).

---

(١) ابن عيسى ٢٨، ٢٩، البسام ٧٠ب، الجاسر ٢/ ٧٩٠

(٢) ابن عيسى ٢٩، ٣٠، البسام ٧٠ب، الجاسر ٢/ ٧٩٠

(٣) من الأمثلة على ذلك اعادة بناء التويم عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م تقريبا على يد مدلج بن حسين الوائلى أثر رحيل آل وائل من أشيقر وكذلك (=)

وحينما تفرع من هؤلاء المهاجرين أسر عديدة انتشرت في مختلف مناطق نجد على غرار الأسر النجدية الأخرى .

وتترى الأحداث التاريخية مثرية لهذا الجانب ومؤكدة أثر الأوضاع الأمنية على هذه الهجرات وان كانت بعنف أكثر مما دفع كثيرا من الأسر النجدية الى هجر بلدانها في رحلات جماعية وشبه جماعية الى مناطق وبلدان أكثر أمنا داخل نجد وخارجها ، فلئن لم تجر هذه الحادثة الى حروب ومنازعات فقد كان كثير من الأحداث الأخرى يؤدى الى حروب ينتج عنها انتزاع السيادة في البلدان النجدية من الأسر المؤسسة لها أو القديمة فيها فضلا عن حصول تلك الهجرات.

ومن الأمثلة التاريخية في هذا الصدد جلاء آل عبهول (١) من حوطة سدير عام ١١٠٧هـ/ ١٦٩٥م بعد انتزاع امارتها منهم اثر منازعات بينهم وبين ابناء قبيلتهم من تميم ، ورغم أن امارة هذه البلدة لم تخرج عن بني العنبر من تميم فانها قد أدت الى هجرة آل عبهول عن الحوطة ، وفقدهم ما كانوا يتمتعون فيها من زعامة سياسية وسمعة اجتماعية (٢).

(=) حرمة التي عمرها ابراهيم بن حسين الوائلي عام ٧٧٠هـ/ ١٣٦٩م ، وكذلك حريملاء التي عمرها على بن سليمان بن حمد آل أبي رباع من بني وائل عام ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م . (ابن عيسى ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، البسام ، ورقة ٧٠ب ، ٧١ أ) .

(١) ينتمي آل عبهول الى بني العنبر بن عمرو بن تميم بن مر ، وقد حفلت مادة عبهل في لغة العرب بعدة معان : فعبهل الابل أهملها ، والعباهلة لقب يطلق على ملوك اليمن ، وعلى من لا يد لأحد عليهم ونحو ذلك من المعاني التي ربما كان في هذه الأسرة صفة منها ، (الفيروزابادى والزبيدى : باب اللام فصل العين ، الحقيل : كنز الأنساب ١١٠ ، الجاسر : جمهرة أنساب الأسر المتحضرة ٢/ ٥٥٧)

(٢) المنقور : التاريخ ٧٢ ، الفاخرى ٨٧ ، ابن بشر ٢/ ٢٢٢ ، ابن عيسى ، ٧٧ ، ٧٨ ، البسام : تحفة ورقة ٨٦ أ ، واصبحت امارة الحوطة بعد آل عبهول في القعاسا (جمع قعيسا) من بني العنبر من تميم.

ان اشتداد الحروب الأهلية داخل بعض البلدان النجدية ولجوء بعض الأسر الى الرحيل خارج نجد بسبب ذلك دليل واضح على أثر الناحية الأمنية على سير تلك الهجرات، وأن تلك الحروب قد بلغت فى بعض الأحيان درجة جعلت أطراف النزاع لا يرضون بغير الهجرة الخارجية بديلا حتى يكونوا فى منأى عن موطن الخلاف.

ويبدو أن بعض الأسر النجدية - وهى تترك نجداً بسبب ذلك - تتوطن فى المناطق المجاورة لها، وهى فى هذا تجمع بين الهجرة عن نجد وعدم النأى عنها يدفعها الى ذلك ازدهار الناحية الاقتصادية فى هذه المناطق قياسا على الاقتصاد النجدى سواء عن طريق التجارة أم الزراعة أم توفر فرص العمل بشكل عام.

والأحداث التاريخية فى هذا المجال كثيرة الا أن هجرة مانع الحديثى (١) مع أسرته تعد من أبرز هذه الأحداث حيث جلا مانع هذا وأسرته عام ١٠٨٧هـ/١٦٧٦م من منطقة سدير الى الأحساء اثر منازعات بين مانع وأسرته من جهة وبين بعض من أهل سدير من جهة ثانية (٢).

ويبدو أن جذورا من المنازعات بين مانع وأسرته وبعض أهل المنطقة

---

(١) هو مانع بن عثمان بن عبد الرحمن آل حديثة من بنى العنبر بن تميم كان أميرا لبلدة الحصون فى سدير حتى عام ١٠٨٣هـ حيث استولى عليها آل تميم - بتشديد الياء - من بنى خالد بمساعدة أمير جلاجل ابراهيم بن سليمان بن حماد الدوسرى كما كان والده عثمان أميرا على قارة سدير (المنقور ٤٣، ٧٥، ابن ربيعة ٦٨، ٦٩، الفاخرى ٦٧، ٧٦، ٧٧، ابن بشر ٢/ ٢٠٥، ابن عيسى ٥٢، ٦٤، البسام تحفة ٦٣ أ، ٧٤ ب، الجاسر: جمهرة الأنساب ١/ ١٤١، ١٤٢).

(٢) المنقور ٥٤ وقد ذكرها سنة ١٠٨٦هـ، ابن ربيعة ٦٩، ابن عباد وذكرها سنة ١٠٨٦هـ، الفاخرى ٧٧، ابن بشر ٢/ ٢١٣، البسام: تحفة ٧٥ ب.

عمقت هذا الخلاف الأسرى ووسعته مما ألجأ مانعا الى ذلك الرحيل خارج نجد ، ففي سنة ١٠٤٣هـ/١٦٣٣م حدثت حروب فى سدير قتل فيها عدد من آل حديثة (١)، كما أنه فى سنة ١٠٨٣هـ/١٦٧٢م حدثت اغارة من بعض زعماء المنطقة أدت الى تجريد مانع من امارته على احدى بلدانها (٢) ولعل هذا الحدث الأخير كان السبب المباشر وراء هجرة مانع تلك اذ أن حدوث تلك الهجرة بعد ثلاث أو أربع سنين (٣) قد يفهم منه محاولة مانع وأسرته العودة الى الامارة فلما عجزوا عن ذلك آثروا الرحيل عن نجد نهائيا .

وتتداخل الأسباب الاقتصادية مع الأسباب الأمنية فى هذا الحدث مؤكدة أهمية هذه الأسباب في هجرات بعض الأسر النجدية داخل نجد وخارجها فقد تزامنت هجرة مانع تلك مع حصول قحط شديد استمر عدة سنين رغم هطول أمطار جعلت الأرض مخضرة والسبب فى هذا القحط الشديد هو هجوم أسراب كثيرة من الجراد والدباء أكلت الأخضر واليابس ومات كثير من الناس جوعا بسبب ذلك وهذا مادفع أهل نجد أن يطلقوا (جرادان) على أحد مراحل هذا القحط وهى الأشد وطئا على النجديين حيث عد هذا العام من أعوام الشدة باجماع مؤرخى نجد فى تلك الفترة لما بلى الله النجديين فيه من القحط والجراد والدباء والغلاء والجوع ونقص من الأموال

---

(١) المنقور ص ٤٣ وقد ذكرها فى النسخة المخطوطة سنة ١٠٤٤هـ، ابن ربيعة ص ٦٠ وأشار فيها الى الحروب التى حدثت فى قارة سدير وهى المقصودة هنا ، الفاخرى ٦٧ وذكرها سنة ١٠٤٤ ، ابن بشر ، ٢/٢٠٥ وذكر الرأيين فى سنة حدوثها ، ابن عيسى ٥٢ وذكرها سنة ١٠٤٤هـ، البسام: تحفة ٦٣ أ وذكرها سنة ١٠٤٤هـ .

(٢) وهى بلدة الحصون احدى بلدان منطقة سدير قيل عمرت عام ٩٨٣هـ/١٥٧٥م وقيل ١٠١٥هـ/١٦٠٦م (ابن ربيعة ٦٨ من حاشية المحقق ، الفاخرى ٢٦٥ ، ابن بشر ٢/١٩٦ ، ابن عيسى ٥١ ، البسام: تحفة ٥٦ أ) .

(٣) المنقور ٥٣، ٥٤ وذكر أن ذلك فى شوال ١٠٨٤هـ/ يناير ١٦٧٤م ، ابن ربيعة ٦٨ ، ابن عباد وأوردها عام ١٠٨٤هـ، الفاخرى ٧٦ ، ابن عيسى ٦٤، ٦٥ وذكر الرأيين فى سنة حدوث تلك الاغارة، البسام، ٧٤ ب

والأنفس والثمرات، ومن هنا فلا يبعد أن يرحل عدد من الأسر النجدية الى خارج نجد بسبب تلك الضائقة الاقتصادية.(١)

ب - الأسباب الاقتصادية :-

رغم أن أهل نجد قد قاموا بمختلف الأعمال الاقتصادية فى تلك الفترة - كما مر - من الرعى والزراعة والحرف والتجارة، الا أن قطاعا عريضا منهم كان يعتمد فى حياته الاقتصادية والمعيشية على الرعى والزراعة مما جعل هذه الحياة بسيطة فى متطلباتها، ولكنها تتأثر سريعا - سلبا وايجابا بأدنى المؤثرات البشرية والكونية -، فكثرة المطر وقلته أو انعدامه ومجئ العواصف وشدة البرد وكثرة البرد وغزو الجراد ونهب البدو والحضر من القوى المحلية وغير المحلية للمحاصيل الزراعية التى قد تتعرض كذلك للآفات، كل هذه عوامل متعددة ومتنوعة تجعل هذين المصدرين الاقتصاديين عرضة لعدم الثبات فى الانتاج مما ينجم معه شح فى المواد الغذائية الضرورية بندرتها أو انعدامها أحيانا مما يضطر بعضا من أهل نجد - بادية وحاضرة - أن يرحل الى بعض مناطقها الأكثر نماء وخصبا فى هجرة داخلية أو الى المناطق المجاورة وغير المجاورة فى هجرة خارجية.

---

(١) سمى هذا القحط جرادان لكثرة الجراد والدباء، أو لكثرة أكل الناس الجراد وموتهم بسبب ذلك اذ بينما يذكر بعض مؤرخي نجد أن موت الناس فيه بسبب الجوع يذكر بعضهم أن ذلك بسبب أكلهم الجراد ولكنهم يجمعون على اعتبار هذه الفترة من فترات الشدة بسبب هذا الجراد رغم كثرة الأمطار ووفرة الربيع، وكأن أهل نجد أرادوا استغلال كثرة هذا الجراد للاعتماد عليه كغذاء رئيس، والقضاء عليه وحماية الزروع وعشب الصحراء منه، ولكن هذا الجراد أضر أهل نجد من جهتين باهلاك من أكثر من أكله، والقضاء على المزروعات وعشب الصحراء مما جعل هذه الفترة تتضاعف فيها مسببات الشدة وانكسار الحال. عن هذا القحط : المنقور ٥٤، ابن ربيعة ٦٩، ابن عباد أحداث ١٠٨٦ هـ، الفاخرى ٧٧، ابن بشر ٢ / ٢١٣، ابن عيسى ٦٦، البسام: تحفة ٧٥ أ.

ومن هذا المنطلق فان انحباس المطر أوقلته يعد عاملا مهما يشترك في التأثر بأضراره البدو والحضر على حد سواء، ولهذا فقد حفلت أحداث تلك الفترة بهجرات بدوية جماعية أو شبه جماعية داخليا وخارجيا بتأثير هذا العامل الاقتصادي المهم مما يعكس شمول المعاناة التي يعيشها كافة أهل نجد اذا ألمت بهم كارثة ينجم عنها قحط وغلاء وجوع تماما كما يستفيدون من استفادة شاملة من سني الخصب والرخاء سواء أصاب هذا الخصب الأرض الخلوية أم الزراعية أم هما معا.(١)

أما الحضر فقد تمثلت أضرار انحباس المطر أو قلته في غور الآبار وخاصة في بعض مناطق نجد التي تتأثر مياهها الجوفية سريعا بهذا العامل حيث لا يكتفي أهل هذه المناطق بترك مزارعهم والبحث عن أعمال أخرى في بلدانهم بل يرحلون عنها مما يجعل هذه البلدان تقفر من أهلها، فقد رحل بعض أهل هذه المناطق الغائرة الى مناطق الخصب والنماء داخل نجد، كما اضطر قسم آخر الى ترك نجد نهائيا وولى وجهه شطر المناطق الغنية تجاريا أو زراعيا في شرق شبه الجزيرة والعراق والشام وغيرها.

ومن الأحداث التاريخية في هذا الصدد ما حدث عام ١١٢٨هـ / ١٧١٥م حين غارت الآبار وغلت على اثره الأسعار ومات كثير من الناس جوعا وجلا قسم من النجديين بسببه، وقد استمر هذا الحال ثلاث سنين، واذ لم

---

(١) ليس هناك مجال التفصيل في الهجرات البدوية سواء الى البلدان النجدية أم الى المناطق الأخرى مما جعل القبائل النجدية تنقسم الى قسمين بادية وحاضرة، وتتوزع بين نجد والمناطق المجاورة وللتفصيل انظر: الفاخري ٧٣، ٩٨، ابن بشر ٢/ ٢٠٩، ٢٣٥، ابن عيسى ٩٥، ٩٦، البسام: تحفة ٩٨ أ، س. هـ. لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ترجمة جعفر الخياط ط (٥) مكتبة التحرير. بغداد ص ١٠٤، رسالة الماجستير للباحث ٢٣١، ٢٣٢، ٣٠٤.

يحدد بعض مؤرخي نجد المناطق التى حصل فيها هذاالغور فقد ذكر بعضهم منطقتي سدير والعارض مما يبدو معه أن ذلك كان شاملا لعدد من المناطق النجدية.

وضمن أحداث هذا الغور فقد ذكر أحد مؤرخي نجد أنه في سنة ١١٣٠هـ/ ١٧١٧م غارت مياه آبار العيينة مما اضطر قسما كبيرا من أهلها الى الجلاء عنها حيث توجهوا الى منطقة القصيم التى تعد من أهم المناطق النجدية الخصبة والتى تتوافر فيها المياه الجوفية قريبة المنال بغزارة، وما من شك أنه لم تتأثر آبارها بهذا الغور، ولا يبعد أن يكون قسم من أهل سدير قد رحل اليها كذلك.(٢)

ولعل السنة الأكثر غورا للآبار في منطقة سدير وربما في غيرها من مناطق نجد هى سنة ١١٣٦هـ/١٧٢٣م حيث عم القحط والغلاء المنطقة في تلك السنة وشطر من السنة التالية لها بل شملت هذه الضائقة مناطق أخرى من شبه الجزيرة وكذا الشام حيث مات كثير من الناس جوعا من البدو والحضر ونفق قسم كبير من مواشيهم، وقد أعطى مؤرخو نجد معلومات دقيقة في وصف درجة أضرار هذا الغور في سدير خاصة حيث لم يبق في بلدتي العودة(٣) والعطار(٤) الا بئران في كل بلد بينما غارت كل الآبار في بعض

---

(١) ابن عباد أحداث عام ١١٢٨هـ/١١٣٠م، الفاخرى ٩٦، ابن بشر ٢/٢٣٢، البسام: تحفة ٩٤ أ

(٢) ابن عباد: أحداث عام ١١٣٠هـ

(٣) من معاني العود والعودة في اللغة العربية الكبير عمرا، ولهذا فعودة سدير من أقدم بلدانها ان لم تكن أقدمها وتقع أسفل وادى سدير بالقرب من التويم، وقد حفلت بأخبار في كتب التاريخ النجدى قبل الدعوة وبعدها (ابن ربيعة ٨٠، ٨٤، الفاخرى ٨٩، ٩٤، ٩٨، ١٠٨، ١١٠، ١١٤، ابن بشر ١/ ٤٠، ٤٨، ٦٥، ٨٨، ٢/ ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٣٥، ابن عيسى ٨١، ٩٠، ٩٥، ٩٦، مقبل الذكير ١٥١، ابن خميس: معجم اليمامة ٢/ ١٨٨ - ١٩٠).

(٤) العطار: بتشديد الطاء مع فتحها احدى بلدان سدير القديمة (=)

بلدانها ، وكان جلاء الناس كثيرا من منطقة سدير الى داخل نجد وخارجها، وبشكل خاص فقد ضربت العطار رقما قياسيا فى رحيل أهلها عنها حيث لم يبق فيها الا أربعة رجال(١)، ورغم أن عدد السكان محدود فى البلدان النجدية الا أن بقاء هذا العدد الضئيل جدا يصور درجة ضرر هذا الغور، والدور الواضح الذى لعبه هذا الغور فى هجرة عدد كبير من الأسر من منطقة سدير عامة وبلدة العطار خاصة ، ويبدو أن هؤلاء الرجال الأربعة الذين بقوا كانوا بمفردهم اذ أن الأسر بكثرة عدد أفرادها وضعف بعضهم لا تقوى على تحمل الآثار القاسية التى نجمت عن هذا الغور مما يدفعها الى الهجرة الجماعية.

وقد صور أحد الشعراء الأضرار الناجمة عن تلك الضائقة الاقتصادية فى تلك السنين العجاف، وأن الناس فيها - بادية وحاضرة - قد انقسموا الى ثلاثة أقسام :

١- قسم تشرد وترك أمواله وهرب بنفسه عله يجد منطقة يعيش فيها

(=) وتقع أسفل وادى سدير قريبا من العودة والمجمعة وتشكل الأحداث التى مرّت بها مصدرا تاريخيا لها سواء قبل الدعوة أم بعدها : (ابن ربيعة ٦٦ ، ٧٨ ، الفاخرى ٧٤، ٨٦، ٩٨، ١٦١، ابن بشر ١/ ٦٦، ٩٤، ٢/ ٢١٠، ٢٢١، ٢٣٥، ابن عيسى ٦١، ٩٥، ١٥٨، ١٩٩، مقبل الذكير ١٤٩، ابن خميس ٢/ ١٦١) .

(١) ابن ربيعة ٨٨ وقد ذكر القحط العام فى نجد وغيرها وجلاء أكثر أهل نجد عنها ولكنه لم يذكر التفصيلات الأخرى المتعلقة بهذا الحدث، ابن يوسف : أحداث ١١٣٦هـ، ابن عباد أحداث ١١٣٥هـ، ١١٣٦هـ وذكر فيها أن شدة القحط كانت عام ١١٣٦هـ وأنه كثرة أضراره على أهل نجد فقد كثرت التسميات له وان كان أشهرها (سحي) ، الفاخرى ٩٨ ، أحداث عام ١١٣٦هـ من نبذة تاريخية عن نجد بخط الشيخ عثمان بن منصور الحسينى (ت ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م) ، ابن بشر ٢/ ٢٣٥ ، ابن عيسى ٩٥ ، البسام: ٩٨ أ .

متحملا ماقد يرافق هذا التشرد من الجوع والخوف وربما الهلاك، وهذا لم يحدد الوجهة التى هو موليها .

٢- قسم بقي فى منطقته وصبر فيها حتى واجه الهلاك بنفسه ونفقت معه بهائمه وخسر كل مايملك .

٣- قسم جلى عن المنطقة وتركها فى هجرة فردية أو جماعية الى مناطق الخصب والنماء والازدهار الاقتصادى سواء داخل نجد أم خارجها ، وهذا القسم هو الذى يشكل الأغلبية بين سكان نجد بدوا أو حضرا- الذين عمتهم أضرار هذا القحط فى تلك السنة وماقبلها وما بعدها ، ورغم أن تقسيم الشاعر للناس فى هذا القحط قد يقتضى التساوى الا أن بروز ظاهرة الهجرة الداخلية والخارجية مع كل ضائقة اقتصادية يؤكد أكثرية الناس المهاجرين فى ذلك العام، اذ أن هذه الظاهرة تعد أفضل مخرج من تلك الأزمات التى تضيّق بخناقها على النجديين بما تحققه من أمل فى عيش رغيد نسبيا فى البلدان المهاجر اليها .

يقول الشاعر - وهو من منطقة سدير - فى ذلك :

غدا الناس أثلاثا : ثلث شريدة ∴ يلاوى صليب البين عار وجائع

وثلث الى بطن الثرى دفن ميت ∴ وثلث الى الأرياف جال وناجع (١)

---

(١) الفاخرى ٩٩ ، أوراق الشيخ عثمان بن منصور أحداث عام ١١٣٦هـ ، ابن بشر ٢/ ٢٣٥ ، ابن عيسى ٩٦ ، البسام: تحفة ٩٨ أ ، ومعنى يلاوى صليب البين : تشتت أمره وضاع فلم يعرف له خبر أخذا من الواء الدهر: ولاوى الشيء : فارقه ، والألوى من الطريق : البعيد المجهول ، والصليب يطلق على الشديد أو صعب المنال وتطلق البين على البئر البعيدة القعر التى لا تصلها الدلاء ، أو المهجورة فتكون مجمعا للبوم والغربان ومنه (غراب البين) (الفيروز ابادى والزبيدى : باب الباء فصل الصاد ، وباب النون فصل الباء ، وباب الواو والياء فصل اللام) . ولعل المقصود بها هنا الفراق .

ورغم أهمية غور الآبار كسبب واضح فى رحيل سكان بعض مناطق نجد عنها فان القحط عامة ولو لم ينجم عنه غور يشكل سببا رئيسا وراء هجرة قسم كبير من حضر نجد ، ففى سنتى ٨٦٨، ٨٦٩هـ/ ٦٣، ١٤٦٤م حل فى نجد قحط شديد وغلاء فاحش حيث لم يأت فى الأولى أمطار وكانت أمطار الثانية قليلة ، واستمر حتى عام ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥هـ ، وقد مات فى هاتين السنتين عدد كبير من أهل نجد جوعا ، بينما أكل قسم منهم الميتات ، فيما قام قسم كبير منهم بهجرة جماعية بأسرهم الى مناطق الازدهار الاقتصادى فى شرق شبه الجزيرة وجنوب غرب العراق ، وقد تزامن هذا القحط والغلاء مع انتشار أمراض متعددة أهلكت أناسا كثيرين من بادية نجد وحاضرتها مما جعل الهجرة الجماعية الى خارج نجد تشكل المخرج الوحيد من تلك الضائقة الاقتصادية والصحية.(١)

ويشكل مجئ الجراد مع قلة الأمطار عاملا مهما فى شدة القحط والغلاء مما يدفع بقسم كبير من النجديين الى الهجرة خارجها ففى سنة ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م هجمت أسراب كثيرة من الجراد والدباء على زروع نجد وأشجارها ، وأكلت أخضرها ويابسها حيث اشتد القحط والغلاء الذين لم يتحملهما بعض النجديين فقاموا بهجرات الى منطقتى الأحساء والبصرة.(٢)

والواقع أنه لا تكاد تمر سنة الا ويقوم الجراد والدباء بهجوم كاسح على مزارع نجد مسببا قحطا وغلاء شديدين يلجئان بعض النجديين الى الرحيل عن منطقتهم ، ففى سنة ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م هجم الجراد والدباء على مزارع نجد فأكلها وغلت اثر ذلك الأسعار ، وفى سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م غزا الجراد والدباء المناطق الزراعية والرعوية فى نجد فأقحلت الأرض وهلكت الاشجار وغلت الأسعار ، ومن هنا فان هجوم الجراد والدباء لا يمكن النجديين من التمتع بنعمة الأمطار رغم كثرتها فى بعض السنين ، ففى

---

(١) البسام : تحفة ١٧، ١٨، ١٩

(٢) المرجع السابق ٣٧

سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٦م كثرت الأمطار وأخصبت الأرض الا أن هجوم الجـراد والدباء فيها قضى على أى محاولة للاستفادة من هذا الخصب، على أن شدة البَرْد ووقوع البَرَد يعدان حائلين دون تحقيق الفائدة المرجوّة من الارض الرعوية والزراعية، ففى سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م وقع برد كبيروكثيرأتلف زروع عدد من مناطق نجد، وفى سنة ٨٩٤هـ، ٩٥٣هـ/١٤٨٨، ١٥٤٦م وقع بَرَد فى الصيف أهلك محاصيل بعض المناطق النجدية، وفى سنة ٨٩٩، ٩٦٩ هـ / ١٥٦١م تضررت مزارع بعض مناطق نجد من شدة البَرْد (١)، وما من شك أن تلك عوامل أخرى جعلت بعضها من النجديين لا يرضى بغير الهجرة الخارجية بديلا أمام تلك الأزمات الاقتصادية المتعددة.

٦- أنواع الهجرات النجدية :

يمكن القول ان الزراعة فى نجد - كما فى غيرها من المناطق - عامل تكثيف للوجود الحضرى، على أنها فى بعض الأحيان تقوم بدور فاعل فى طرد أهل نجد عنها اذا شحت المياه وتدهورت الزراعة، ومن الطبيعى والحال هذه - أن ييم المضطر الى الهجرة وجهته نحو مناطق الخصب والنماء داخل نجد فى هجرة داخلية، فيما يلجأ بعض الناس الى مناطق الازدهار الاقتصادى الشامل خارج نجد، وقد يكون هدف المهاجر من هجرته داخلية كانت أم خارجية الحصول على قدر ولو محدود من الأمن كان قد فقده فى بلده السابق.

أ - الهجرة الداخلية :

يشكل كبر مساحة نجد، واختلاف أقاليمها وفرة فى المياه وخصوبة فى التربة أسبابا واضحة تدفع بعض النجديين الى البحث عن مخرج لتدهور حالتهم الاقتصادية فى تلك المناطق الغنية - الى حد ما - بالمياه الجوفية

---

(١) المرجع السابق، ١٨، ١٩، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٤٠، ٤٣

والخصوبة المنتظمة، والقريبة من الوديان الكبيرة فى نجد ، وهم فى هذا يلجأون الى المخرج الأسهل والأقرب ولو لم يكن ذلك بالمستوى الاقتصادى الجيد الذى قد يتحقق لهم فى الهجرة الخارجية.

ولعل من المهم هنا أن نشير الى ذلك الحدث التاريخى الذى سبق أن عرضته حينما ترك قسم من أهل العيينة بلدتهم اثر غور آبارها عام ١١٣٠هـ/١٧١٨م فى هجرة داخلية الى منطقة القصيم، ولا يبعد أن تكون هجرتهم هذه تندرج تحت اطار الهجرة الدائمة فمن المتوقع أن يكون هؤلاء قد توطنوا فى القصيم واستقروا فيها.

ولئن كان المجال يضيق هنا عن العرض التفصيلى لأحداث الهجرة الداخلية فى نجد ، والتتبع الدقيق للحركات الاستيطانية للأسر النجدية فى بلدان نجد ، فضلا عن الشح فى المعلومات فى هذا السبيل ، لئن كان المجال يضيق عن ذلك كله، فمن الضرورى الاشارة الى مصدرين من مصادر الامداد البشرى لمنطقة نجد وهما أشيقر وقفار لاعلى أنهما الوحيدتان فى هذا الموضوع بل على أنهما مثلان للبلدان والأقاليم النجدية الأخرى التى انطلقت منها هجرات داخل نجد ،اضافة الى قدمهما فى تلك الهجرات وكثرة الأسر المهاجرة منهما.

<u>أما أشيقر</u> فقد كانت فى الأصل لأفخاذ من تميم الا أنها فى فترة متقدمة من تاريخها ضمت أسرا متعددة من قبائل شتى ، واستطاعت أن تفيد بلدان نجد الأخرى فى تجربتها الحضرية فى الاعمار والعلم منذ نهاية القرن السادس وبداية السابع الهجريين / الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين.

وخلال القرنين العاشر والحادى عشر الهجريين / السادس عشر والسابع عشر الميلاديين عدّت أشيقر أكبر مركز علمى فى نجد وهذا ما أتاح لها كثرة فى العلماء وزيادة فى العلوم، وهو ما أدى بالتالى الى بروز أسر

---

(١) ابن عيسى، ٢٨

علمية فيها جعلت أكثر من نصف علماء نجد فترة ماقبل الدعوة ينتمون الى هذا المركز العلمى سواء كان ولادة وتعليما أم تعليما فقط، ومامن شك أن وضعا كهذا قد أثمر انتقال قسم كبير منهم الى بلدان نجدية أخرى لسد حاجتها من العلماء فى مجال القضاء والامامة والفتيا والتعليم.(١)

ان اثراء أشيقر لمنطقة نجد فى رحيل بعض علمائها بمفردهم أوبأسرهم الى البلدان النجدية الأخرى يعد سمة بارزة فى تاريخ هذه البلدة بل فى تاريخ نجد عامة، وهو علامة واضحة على الدور الاجتماعى العلمى الفاعل الذى لعبته هذه البلدة فى تلك الحقبة من التاريخ النجدى ذلك أن هجرة العالم -بعد ادراكه- الى بلدان أقل مستوى علمى من بلدته التى تلقى العلم فيها لابد أن يترك آثاره العلمية والاجتماعية واضحة فى البلد المهاجر اليها بدءا أو تنشيطا للعلم فيها، وتهذيبا للعادات والتقاليد الاجتماعية فيها وفق أحكام الشرع هذا فضلا عن ازدياد النموالعمرانى والاقتصادى فى تلك البلدة نتيجة لاتجاه الناس اليها للتعليم والفتيا وما الى ذلك.(٢)

من جانب آخر فقد كانت هجرة عدد من الأسر الأخرى من أشيقر

---

(١) عبد الله البسام: علماء نجد ١/١٤، ١٥، د. عبد الله العثيمين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٢٥، نجد منذ القرن العاشر الهجرى حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب: مجلة الدارة ع٣/س٣ص، ٣٤، ٣٥، منصور الرشيد: قضاة نجد أثناء العهد السعودى مجلة الدارة ع٢/ س٤ ص١٨، ١٩، ٢٠

(٢) لعل من الأمثلة فى هذا المجال رحيل الشيخ أحمد بن محمد بن بسام من أشيقر الى القصب فطلهم فالعيينة لتولى القضاء فيها، ورحيل الشيخ سليمان بن على بن مشرف - جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب من أشيقر الى روضة سدير فالعيينة للقضاء كذلك، والملاحظ أن العيينة قد شهدت ازدهارا اقتصاديا وعلميا فى تلك الفترة (ابن عيسى ٢٠٥، ٢٠٦، البسام علماء ١/١٨٧، ٣٠٩، ٣١٠).

عاملا أضفى جانبا من الاتصال الأسرى بين سكان نجد رغم قسوة بعض الأسباب التى دفعت الى هذه الهجرات وهى أسباب تتصف بالدموية أحيانا كما أن هذه الهجرات كانت سببا فى تأسيس أو انعاش الحياة العامة فى بلدان نجدية أخرى.

ولعل من الأمثلة التاريخية فى هذا الصدد حدوث مذبحتين فى أشيقر عام ١٠٨٤هـ، ١٠٨٥هـ/ ١٦٧٣، ١٦٧٤م بين بعض الأسر المتنفذة فيها وقتل فيها عدد من الأشخاص، وقد أعقب هذين الحدثين - فيما يبدو - قيام بعض الأفراد والأسر بهجرات الى المناطق والبلدان النجدية الأخرى.

وقد خرجت من أشيقر موجات هجرية أسرية كبيرة اثر أحداث قتل بين أهلها حصلت فى ربيع الأول ١١٠٩هـ/ سبتمبر ١٦٩٧م، وقد قتل فى هذه الأحداث عدد كبير من وجهاء أشيقر وزعمائها، وهدمت بعض المبانى والحصون، ورغم أن بعض الأسر قد عادت الى البلدة بمجرد سكون الفتنة فان البعض الآخر لم يرجع وتشتت من تبقى منهم أفرادا أو أسرا فى البلدان النجدية الأخرى وطاب لهم المقام فيها حيث استقروا استقرارا نهائيا فيها (٢).

وفى عام ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م حدث مثل ذلك تماما مما دفع ببعض الأسر الى الهجرة من أشيقر، والتفرق فى بلدان نجد الأخرى، ورغم أن بعضهم قد عاد وانتقم من الذين قاموا بتلك الأحداث حيث قتل عددا منهم فان البعض الآخر لم يعد ورضى بالاستقرار فى موطنه الأخير مؤثرا السلامة على تكرار مثل هذه المذابح (٣).

---

(١) ابن يوسف : أحداث ١٠٨٤، ١٠٨٥هـ، ابن عيسى ٦٥، ٦٦، البسام تحفة ٧٤، ٧٥

(٢) ابن يوسف احداث ١١٠٩هـ وقد حدد الشهر، الفاخرى ٨٨ ولم يحدد الشهر وتابعه ابن بشر ٢ / ٢٢٣ وممن حدد الشهر كذلك ابن عيسى ٧٨، البسام: تحفة ٨٦

(٣) المنقور ٧٨، وأشار الى الحدث باقتضاب هو وابن يوسف فى (=)

والمطلع على تاريخ هذه البلدة منذ تأسيسها يستطيع الحصول على معلومات جيدة تثرى هذا الجانب سواء فيما يتعلق فى ابتداء عمارة بعض البلدان النجدية أم اعادة عمران بعضها الآخر من بعض الأسر التى تعود فى أصلها الى أشيقر أم فيما يتعلق بكثرة الأسر المتحضرة التى تتوزع فى مناطق نجد المختلفة ذلك أن هجرة الأسر غير العلمية من هذه البلدة قد فاقت كثرة وتوزعا الأسر العلمية، ونظرة فى كتب أنساب حضر نجد تؤكد هذه الحقيقة وتوضحها (١).

أما قفار (٢) فقد كانت أكبر بلدان منطقة شمر منذ القرن الثامن الهجرى الى منتصف القرن الثالث عشر تقريبا حينما بدأت تتضاءل مكانتها أمام مكانة حائل السياسية والعمرانية فى المنطقة، ولعل من أبرز العوامل التى ساعدت

(=) أحداث هذه السنة، وكذا فعل الفاخرى ٩١ وابن بشر ٢ / ٢٢٦، ابن عيسى ٨٤، ٨٥، البسام: تحفة ٨٨.

(١) مما يمكن أن يندرج تحت هذا الموضوع اعادة عمران آل صقيه من وهبة تميم من أشيقر للقرينة - قريبا من حريملاء - سنة ١١٠١هـ/١٦٨٩م، وكذا عمران آل صقيه للرس فى حدود ٩٥٠هـ/١٥٤٣م ثم بيعه على آل أبى الحصين سكانه حاليا، ثم عمران آل صقيه كذلك لقفار بعد خروجهم من الرس، وكذلك عمارة الشبارمة من وهبة تميم من أشيقر لبلدة سميرا - جنوب حائل - فى حوالى القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى، عن هذه المعلومات وعن توزع بعض أسر أشيقر فى مناطق نجد انظر (ابن ربيعة ٧٧، الفاخرى ٨٤، ابن بشر ٢ / ٢٢٠، ابن عيسى ٧٥، ٢٢٠-٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٧، البسام: تحفة ٨٣، الجاسر: جمهرة أنساب الأسر المتحضرة فى نجد ١/ ٤٨، ١٤٧، ١٥٦، ١٦٤، ٢٢١، ٢٢٤، ٤٣٥، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٩٠ - ٤٩٢، ٢/ ٥٦٣، ٥٦٨، ٥٨٨، ٦٢٥، ٧٠٠، ٧١٦، ٧٥٧، ٩٢٦، ٩٧٩).

(٢) تقع قفار جنوب حائل بحوالى ١٥ كيلا شرقى سلسلة جبال أجا وتنقسم الى قسمين ١- بدائع قفار وهى الكبيرة وسكانها من بنى تميم وخالطهم بعد ذلك غيرهم وهى المقصودة هنا، ٢- نقرة قفار وسكانها من شمر، وقد اصبحت الآن أحدى ضواحى حائل (الجاسر: شمال المملكة، المطابع الأهلية، نشر دار اليمامة ٣/ ١١٠٩).

بلدة قفار على أن تكون لها تلك المكانة الشبيهة بمكانة أشيقر تشابه هاتين البلدين فى الأصل السكانى اذ أن سكان قفار تميميون مثلهم فى ذلك مثل سكان أشيقر، وقد استمدت هاتان البلدتان نمو مكانتهما الاجتماعية الحضرية فى نجد من أهمية قبيلة تميم المشهورة بكثرتها العددية، ونزعتها القديمة الى التحضر والاستيطان، وحب الزعامة، وكثرة الهجرات الداخلية والخارجية التى أثمرت اعمار بعض البلدان النجدية واكثار الأسر العائدة لتميم داخل نجد وخارجها (١).

على أن لاشيقر فضل السبق فى نزوح كثير من الأسر التميمية منها الى داخل نجد وخارجها، ومن هنا فان كثرة المنتمين لتميم فى قفار نفسها منشأوه مجئ بعض الأسر اليها من أشيقر، وسواء كان الوجود التميمى فى قفار سابقا لهجرات بعض التميميين من أشيقر أم كان اثر تلك الهجرات، فقد كان للأسر القادمة من أشيقر الدور الفاعل فى كثرة بنى تميم فى قفار، والانسياح بعد ذلك فى هجرات أسرية لاعمار بلدان فى منطقة الجبل والمناطق المجاورة لها (٢).

ومن الطبيعى أن تتجه الأسر التميمية من قفار لتحقيق هدفها العمرانى نحو المناطق القريبة لها سواء لتأسيس بلدان جديدة أو اعادة عمران ما اندثر من بعضها فى منطقة الجبل نفسها أو المناطق القريبة منها كالقصيم مثلا اذ أن ذلك أسهل لها حتى اذا لم يتح لبعضها تحقيق هذا

---

(١) د. عبد الله العثيمين : المرجع السابق ١٤

(٢) من أبرز الأسر التميمية القادمة من أشيقر الى قفار مرورا بالرس آل صقيه، والشبارمة الذين قدموا من أشيقر وتوطنوا فترة فى الخبراء فى القصيم ثم رحلوا الى قفار وهاجروا منها الى سميراء التى تكاثروا فيها وأصبحت امارتهم فيهم ومنها - فيما بعد - رحلت أسر شبرمية الى القصيم (عبد الله بن صقيه : بنو تميم فى بلاد الجبلية، المطابع الأهلية بالرياض، نشر دار اليمامة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ص٧١، ٨٧).

الهدف الأسهل تحت أى سبب من الأسباب ولت وجهتها نحو المناطق الأخرى من نجد وربما خارج نجد أحيانا .

وبدءا بمنطقة الجبل فقد كانت على وجه الخصوص مسرحا لهجرات عدد كبير من الأسر التميمية ذات الأصل القفارى ، ومن هنا فان جل من فى بلدان هذه المنطقة من بنى تميم ان لم يكن كلهم قد نزحوا من قفار ، وهذا ما أعطى الوجود القبلى التميمى فى الجبل كثافة أكثر من ذى قبل مما جعله يزاحم القبائل والأفخاذ العائدة لطيئ سواء القديمة منها كقبيلة لام أم الحديثة كقبيلة شمر .(١)

وتعد المستجدة(٢) من أقدم بلدان جبل شمر التى نزحت اليها(٣) بعض الأسر التميمية من قفار حيث أسستها احدى الأسر من بنى عمرو بن تميم اثر رحيلها من قفار حتى اذا كبرت وازدهرت رحلت اليها أسر تميمية أخرى من قفار ومن منطقة سدير(٤) ، ويبدو أنها بلغت من القوة والنمو الاقتصادى حدا

---

(١) ابن صقيه : المرجع السابق ٦٢، ٦٣ .

(٢) تقع المستجدة جنوب حائل وتبعد عنها ١٢٥ كيلا ، وهناك مستجدة أخرى من موارد قبيلة حرب تبعد عن حائل ٣٠٠ كيلا جنوبا ، ومستجدة صفيط بلدة تنسب الى وادى صفيط وتبعد عن حائل ٢٧٠ كيلا جنوبا غربا ، والمستجدة هجرة فى منطقة الدوادمى (حمد الجاسر : المرجع السابق ٢ / ٧٨١ ، ٣ / ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، مقدمة المعجم الجغرافى ٢ / ١١٥١ ، ابن صقيه ٥١ - ٥٦) .

(٣) تشير هجرة بعض أسرة آل سعدى من المستجدة الى عنيزة عام ١١٢٠هـ/١٧٠٨م الى تاريخ عمران هذه البلدة اذ من المتوقع أنها لم ترحل الا بعد ازدياد عدد الأسر التميمية فيها ، وبينما يتفق البسام والقاضى على هذا التاريخ يذكر البسام أن رحيل الأسرة من المستجدة الى عنيزة ، ويذكر القاضى ان رحيلها كان من قفار الى عنيزة وأسرة السعدى لازال لها بقايا فى المستجدة والوسيطا (البسام : علماء نجد ٢ / ٤٢٢ ، القاضى : روضة الناظرين ١ / ٢١٩ ، ابن صقيه ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٥) .

(٤) من أبرز من انتقل من تميم سدير الى سميرا فالمستجدة أفراد من أسرة المنقور من بنى سعد من زيد مناة بن تميم الذين انتقلوا بعد

(=)

جعلها تنافس قفار فى بعض الفترات.

على أن بلدة السبعان[(١)] تعد كذلك من البلدان القديمة فى هـــذه المنطقة وقد تم انشاؤها عن طريق أسرة تميمية هى أسرة آل مفيد من بنى عمرو ابن تميم اثر رحيلها من قفار[(٢)]، وقد ازدهرت وكثرت الأسر التميمية فيهـــا حتى اضطر قسما منها الى الرحيل الى منطقة القصيم والى المناطق الأخـرى خارج نجـد[(٣)].

وقد اندفعت موجات هجرة أسرية من تميم قفار فى فترات مختلفـــة فعمرت بلدانا أخرى فى منطقة الجبل ففى مطلع القرن الحادى عشر الهجرى خرج أحد أفراد أسرة آل عمير من بنى عمرو بن تميم من بلدة قفار واتجـــه الى موقع بلدة الروضـــة[(٤)] وبدأ مزاولة الزراعة حتى أصابه قبول فيها فوفد عليـه بقية أسرته وأقاربه وجاوروه فيها بعض الأسر من القصيم حتى نمت البلــدة وازدهرت وعدّت من المراكز التميمية فى منطقة الجبـــل[(٥)].

(=) ذلك الى الوسيطا، وهم يضيفون ياء النسب فيعرفون بالمنقورى تمييزا لهم عن منقور سدير(ابن صقيه ٥٥، ومقابلة شفوية مع أحدهم).

(١) تقع السبعان أسفر واد يحمل الاسم نفسه غرب جبل سلمى على بعـد ٧٥ كيلا جنوب حائل (الجاسر: شمال المملكة ٢/٦٥٢-٦٥٤ ، ابن صقيه ٢٠ - ٣٣).

(٢) ابن صقيه ٢٦ (٣) المرجع السابق ٣١

(٤) تقع الروضة جنوب حائل على مسافة ٧٥ كيلا (الجاسر: المرجـــع السابق ٢/٦٠٩، ابن صقيه ٤١ - ٤٣، عبد الرحمن السويداء ملاحظة حول مبحث الروضة فى كتاب الجاسر السابق نشرها فى مجلة العـرب ج ٧، ٨ سنة ١٤ ص ٥٧٥، ٥٧٦ وذكر فيها انها تبعد عن حائـل ٨٧ بميل نحـو الجنوبى الشرقى عنها) ولعل هذا أقـــرب لأن السويداء من اهل الروضـــة.

(٥) ابن صقيه ٣٤-٣٤ وقد ذكر فيها أن ابتداء تأسيسها فى مطلع القـرن الحادى عشر الا أن السويداء ذكر فى ملاحظته السابقة والتى نقـل بعضها ابن صقيه أن تاريخ انشائها كان فى نهاية القرن الثانى عشر فى عهد الامام عبد العزيز بن محمد حينما استقطع موضعها أحـــد رجاله من شمر وباعها على حمود بن سليمان التميمى من آل عمير مـن بنى عمرو.

وفى القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى هاجرة أسرة الشبارمة التميمية من قفار حيث تمكنت من تأسيس واعمار بلدة سميراء[1]، وذلك اثر رحلة من أشيقر الى القصيم فقفار استغرقت مائة وخمسين سنة قبل أن تحط عصا الترحال فى سميراء التى عرفت فيها هذه الأسرة وتكاثرت بعد نمو البلدة وازدهارها ورحيل عدد من الأسر التميمية من بلدان الجبل وغيرها فضلا عن مساكنة بعض الأسر من القبائل الأخرى التى أصبحت لها مكانة اجتماعية مرموقة فى سميراء لا تقل عن مكانة الشبارمة[2]، واثر تكاثر هذه الأسر التميمية رحل قسم منها الى بلدان أخرى فى منطقة الجبل، ومناطق أخرى خاصة منطقة القصيم[3].

وتتوالى حالات الهجرة التميمية من قفار لاعمار عدد من بلدان الجبل ابتداء أو اعادة عمران، فبلدة موقق[4] الزراعية القديمة أعادت عمرانها أسر من

---

(١) سميراء بفتح السين بلدة قديمة ذكرها الجغرافيون المسلمون وذكر ابن بليهد أنها قسمان للشبارمة والجلاعيد وهى تقع جنوب حائل وتبعد عنها ١٣٠ كيلا تقريبا وهناك سميراء أخرى قرب البجادية بعالية نجد (الحسن الأصفهانى : بلاد العرب ٥١، ٣٣٧، الهمدانى : صفة جزيرة العرب ٢٨٦، ٣٣٧، الحربى : كتاب المناسك ٣٠٢، ٣٠٤، ٣١١-٣١٦، ٥٥١، ٥٥٢، البكرى : معجم مااستعجم ٧٥٧/٣، ياقوت ٢٥٥/٣، ٢٥٦، ابن بليهد : ماتقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه ٩٢، الجاسر: شمال المملكة ٦٩٣/٢-٦٩٥، ابن صقيه ٦٨ - ٧٣).

(٢) هم الجلاعيد من الدهامشة من عنزة وقد تولى بعض أفرادها امارة سميراء مما يدل على قوة مكانة هذه الأسرة فيها، وهى منتشرة فى عدد من بلدان نجد وكذا الاحساء (ابن صقيه ٧١، ٧٢، الجاسر: الجمهرة ١١٥/١).

(٣) الجاسر: المرجع السابق ٤٤٢/١، ابن صقيه ٧١.

(٤) موقق : بفتح الميم وسكون الواو بلدة قديمة كذلك ذكرها الجغرافيون المسلمون على أنها ذات نخل وزرع وتقع فى السفح الغربى لأجا غرب قفار وتبعد عن حائل ٧٥ كيلا غربا، وقد تعرضت لغزوات القادة الأتراك فى نجد عام ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م ويوجد فيها غير بنى تميم أسر من شمر (البكرى ١١١٦/٤، ١٢٧٩، ياقوت ٢٢٦/٥، ابن بشر ٣٠٧/١، الجاسر ١٢٨٨/٣- ١٢٩٠، ابن صقيه ٧٥-٧٧).

تميم رحلت من قفار فى فترة متقدمة (١)، كما أن قصر العشروات (٢) أسسته أسر من بنى عمرو بن تميم فى رحلتها الاستيطانية التى بدأت من قفار منذ القرن العاشر الهجرى تقريبا (٣)، اضافة الى الدور الذى لعبه آل صقيه فى اكثار الوجود التميمى فى منطقة الجبل وحائل على وجه الخصوص حينما رحلوا من أشيقر وعمّروا بلدانا فى القصيم وواصلوا رحلتهم الى قفار ومنها رحل قسم منهم الى حائل وبعض بلدان الجبل، وعاد قسم الى القصيم ورحل قسم آخر خارج نجد (٤).

ولم تقتصر حالات الهجرة التميمية المنطلقة من قفار والهادفة لاعمار بلدان جديدة، لم تقتصر تلك الحالات على منطقة الجبل بل انطلقت بعض الأسر من هذه البلدة الى مناطق أبعد من ذلك داخل نجد ففى القرن السابع الهجرى تقريبا / الثالث عشر الميلادى هاجر من قفار جدان مشهوران ينتمى اليهما فرعان من أكبر الفروع التميمية وهما مزروع بن رفيع بن حميد جد آل مزروع مفيد جد آل مفيد وهما من بنى عمرو بن تميم (٥)، واشترى مزروع موضع روضة سدير وعمّرها وتداولته ذريته من بعده، ومعروف أن منطقة سدير

---

(١) ابن صقيه ٧٥.

(٢) قصر العشروات بضم العين وسكون الشين وضم الواو وتشديد الواو مع فتحها جمع عشر يقال فى سبب تسميته أنه كان فى عهد العثمانيين مركزا تستوفى فيه رسوم البضائع الواردة الى حائل بنسبة العشر، وهو بلدة تقع شرق أجا وتبعد عن حائل ٣٥ كيلا جنوبا (الجاسر: ٣/١٠٩٩، ١١٠٠، ابن صقيه ٧٩ - ٨١).

(٣) ابن صقيه ٧٩، ٨٠.

(٤) المرجع السابق ٨٦، ٨٧، الجاسر : الجمهرة ١/ ٤٩٠-٤٩٢.

(٥) حدد الشيخ حمد الجاسر فترة مزروع التقريبية القرن السابع بينما ذكر الشيخ يوسف المبارك فى نسب آل مبارك أهل الأحساء من بنى مزروع أن ذلك كان فى القرن الثامن وقد نشر ذلك فى مجلة العرب (جـ ٩، ١٠، السنة الثامنة ص ٦٦٧) وقد نقل عنه ذلك الجاسر فى الجمهرة (٢ / ٧٧١-٧٧٢).

من مناطق تميم قبل الاسلام وبعده، فهذه الهجرة ماهى الا عودة للمناطق التميمية السابقة[١]، وقد تكاثرت الأسر العائدة للفرع المزروعى فى منطقة سدير، ورحل قسم منهم الى خارج نجد[٢]، أما مفيد فأغلب المصادر قد أشارت الى مرافقته لمزروع فقط بينما المح أحد مؤرخى نجد الى أن لآل مفيد بقية فى سدير، وليس من المعروف لدىّ هل توطن فى سدير فترة ثم رحل أو رحل عقبه أو بعض منهم الى منطقة الجبل حيث لازال هناك أسر فى هذه المنطقة وفى منطقة القصيم تنتسب اليه[٣].

ولقد كان اثراء بلدة قفار لمنطقة نجد بالأسر التميمية كبيرا وشاملا ففوق ماذكر انتشرت من هذه البلدة عدة أسر تميمية فى بلدان أخرى فى منطقة الجبل ومنطقة القصيم، وسدير، والزلفى، وجنوب نجد، والاحساء والكويت والعراق، ومن هنا يمكن أن تعد قفار المركز الحضرى الثانى بعد أشيقر اذ كان دورهما كبيرا فى اثراء وتكثيف الوجود الحضرى فى نجد وخارجه وفاقتا فى ذلك الدور الذى لعبته بعض البلدان بسبب قوتها السياسية فقط كالعيينة مثلا[٤].

وعلى أى حال فالهجرة الداخلية فى نجد تعد عاملا مهما أضفى وحدة اجتماعية لمنطقة نجد. صلة فى النسب، وتماثلا فى العادات والتقاليد

---

(١) يذكر الشيخ المبارك أن قسما من آل مزروع سكن الروضة وقسما سكن قارة سدير المعروفة بصبحا وسط وادى سدير (مجلة العرب العددان السابقان ٦٦٧، الجاسر: المرجع السابق ٢/ ٧٧٢).

(٢) من أبرز من رحل خارج نجد قاسم بن حمد جد آل مبارك فى الاحساء كما رحل قسم الى حوطة بنى تميم فازداد بذلك الوجود التميمى فى جنوب نجد (مجلة العرب: العددان السابقان ٦٦٧، الجاسر ٢/ ٧٧١، ٧٧٢)

(٣) ابن بشر ٢/ ٢٠٨، ابن عيسى ٥٦-٥٨، البسام: تحفة ٦٧، الجاسر ١/ ٧٢، ٢/ ٣٦١-٧٦٦، ٧٧١، ٧٧٢، ٨١١-٨١٤، ٨٥٤، ٨٥٥، ابن صقيه ٢٠، ٢٦، ٣١، ٧٨، وقد أشار ابن لعبون فى تاريخه المطبوع (ص٢٢) الى أن لمفيد عقبا فى سدير، ولم يشر الى مصيرهم فيها.

(٤) الجاسر ١/ ٧٢-٧٧، ١٨٣، ٢٣٥، ٣٦٠، ٢/ ٧٣٠، ٧٣١، ٨٨٦، وذلك على سبيل المثال لا الحصر.

سواء كانت هذه الهجرة من أشيقر أم من قفار أم من غيرهما ، وسواء قامت بها أسر تميمية أم أسر من قبائل وأفخاذ أخرى ، ولعل كون هذه الهجرة كذلك من نوع الهجرة الدائمة المستقرة فى الغالب مما أعطى تلك الوحدة قوة أكثر من قبل خصوصا وأنها تزامنت مع حركة الاعمار التى مرت بها البلدان النجدية فى تلك الفترة وهى حركة جعلت الأسر المؤسسة لهذه البلدان تستقر وتتكاثر فيها مع عدم نسيان مكان سكنها الأول أو أصولها الأسرية السابقة.

ب - الهجرة الخارجية:

رغم حرص كثير من النجديين على عدم النأى عن منطقة نجد الواسعة والاقتصار فى هجراتهم على البلدان النجدية المعروفة أو اقامة بلدان جديدة فى مواقع يهاجرون اليها حرصا من هؤلاء على عدم الاغتراب عن نجد ، رغم ذلك كله فان قسما لايستهان به من أهل نجد قد لجأ الى الهجرة الخارجية يدفعه الى ذلك الاستقرار النسبى فى الحياة السياسية والأمنية ، وازدهار الحياة الاقتصادية فى بعض البلدان المجاورة وغير المجاورة مقارنة بمنطقة نجد .

وكما كانت منطقة الخليج العربى والعراق مجالا حيويا للتحرك العلمى والتجارى للنجديين ، فقد كانت من جانب آخر أماكن جذب لبعض النجديين الذين قد لا تكون التجارة ولا العلم دافعهم الوحيد للهجرة الخارجية ، اذ أن البحث عن مجالات عمل أخرى غير التجارة ، والحصول على موطن أكثر أمنا من نجد تعد أسبابا مباشرة يتعلل بها بعض النجديين للخروج من نجد ، والبعد عن الاكتواء بنار أوضاعها التى تزداد سوءا بين فترة وأخرى فى مختلف مجالات الحياة.

ولعل من أهم البلدان التى هاجر كثير من النجديين اليها على فترات مختلفة بلدة الزبير جنوب غرب العراق والتى كانت الى وقت قريب مكانا لرحيل النجديين اليه لا للتعلم والتجارة فحسب بل للعمل المتنوع فيها ، والاندماج فى الأسر النجدية المقيمة فيها منذ أمد طويل ، وهذا ماجعل

الزبير فى فترة متقدمة من تاريخها والى الوقت الحاضر تضم أكبر جالية نجدية لا فى منطقة الخليج العربى والعراق فقط بل خارج نجد بشكل عام وهى جالية لم تنس أصولها النجدية نسبا أو بلدانا رغم استقرار بعض الأسر النجدية قديما فيها.(١)

وتشكل أسباب وأحداث ونتائج الهجرة النجدية الى الزبير خاصة مجالا رحبا يمكن بها اثراء وتوسيع جوانب البحث فى هذه الهجرة سواء كان ذلك قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أم بعد قيامها وانتشارها وشمول آثارها الواضحة منطقة نجد بشكل عام حينما جدت أسباب أكثر الحاحا على هذه الهجرة، وبرزت أحداث أكثر تفصيلا لجوانب تلك الهجرة، ومن هنا فان من الضرورى هنا الاكتفاء بعرض أمثلة لاحداث تلك الهجرة خلال فترة هذا البحث.(٢)

فى سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٤م كانت الزبير من أهم البلدان التى هاجر اليها قسم كبير من النجديين بنسائهم وأولادهم اثر قحط عظيم وغلاء فاحش حل بنجد نتيجة قلة الأمطار وقد صاحب ذلك وقوع أمراض مستعصية عند حضر نجد وباديتها أهلكت مجموعات كبيرة منهم مما جعل الهجرة الخارجية

---

(١) يوسف البسام: الزبير قبل خمسين عاما ١٠٢، والواقع أن هجرات الزبيريين المعاكسة الى نجد فى فترات الرخاء تعكس حرصهم على استمرار العلاقة مع أصولهم النجدية كلما لاحت فى الأفق بوادر انفراج للحالة الاقتصادية فى نجد، وخاصة عندما تكون هذه الحالة الاقتصادية الجيدة قد استقرت فترة واخذت فى النمو، ولعل الهجرات الكبيرة العائدة الى نجد فى الآونة الأخيرة تؤكد هذه الحقيقة.

(٢) يمكن اعتبار معاداة بعض حضر نجد للدعوة فى بداية انتشارها عاملا دفع بهم الى الهجرة سواء للزبير أم لغيرها مثل ماحصل من بعض بادية نجد كذلك وسواء كانت هذه الهجرة بمحض اختيارهم أم عن طريق الاجلاء القسرى من أئمة الدعوة بعد أن ثبت عدم ولائهم للدعوة ودولتها وعلى سبيل المثال انظر (الفاخرى ١١٨، ابن بشر (=)

الحل الوحيد للخروج من هذه الأزمات المتنوعة.(١)

وقد ازداد الوجود النجدى فى الزبير بهجرة عدد كبير من النجديين اليها عام ١٠٤٧هـ/١٦٣٧م حينما تكرر ماحدث فى السنة السابقة وعدت تلك السنة من سنى الجوع والشدة اذ مات فيها كثير من الناس جوعا نتيجة شح أو انعدام المواد الغذائية فى أغلب بلدان منطقة نجد، حيث أطلق النجديون على تلك السنة (بلادان) مبالغة فى كون القحط والغلاء والجوع قد عم البلاد النجدية.(٢)

وفى الفترة من ٦٤ الى ١٠٦٦هـ/٥٣ الى ١٦٥٥م مر على منطقة نجد قحط شديد ألجأ قسما من النجديين الى ترك أوطانهم والهجرة الى الزبير ضمن بلدان أخرى، وقد بلغت شدة هذا القحط واستفحال الجوع فيه ان مات عدد من الناس جوعا ومن بقى منهم لم يجد مايسد رمقه الا جيف الحيوانات والجلود بعد حرقها، وليس من المستبعد أن يشمل ذلك جيف الحيوانات الحلال والحرام أكلها من باب الضرورة القصوى.(٣)

(=) ١/٨٥، ٨٨، ابن عيسى ١١٧، البسام : تحفة ١٢١، يوسف البسام: المرجع السابق ٦٣، ٦٤).

(١) البسام : تحفة ١٩.

(٢) المنقور ٤٣، ٤٤ وقد اشار اشارة موجزة لهذا القحط ولم يشر للهجرة، وكذا فعل ابن ربيعة ٦٠، ٦١، وابن يوسف، وابن عباد فى أحداث السنة المذكورة، الفاخرى ٦٨، ٦٩، ابن بشر٢/٢٠٥، ٢٠٦، ابن عيسى ٥٤، البسام : تحفة ٦٤ وذكر فيها تلك الهجرة، ومن الأدلة على شمول هذا القحط والغلاء معظم قدوم قافلة لجساس شيخ آل كثير من بنى لام للامتيار من نجد فلم تجد طعاما يباع فى بعض بلدانها.

(٣) المنقور ٥٠ وذكر أن هذا القحط ابتدأ ٦٥ وانتهى ١٠٦٦ وعرض له بايجار شديد، ولكنه رجح فى النسخة المخطوطة ان بدايته آخر ٦٤ وبداية ١٠٦٥هـ، ابن ربيعه ص٦٣ وذكر أنه عام ١٠٦١هـ، وذكره الفاخرى عام ٦٥ مترددا بين هذا العام وعام ٦١، بينما ذكر ابن بشر ٢/٢٠٩ أنه عام ٦٣، وذكر ابن عيسى أنه عام ٦٥، أما البسام الذى الذى ذكر تفاصيل أضرار هذا القحط وهجرة بعض النجديين فيه فقد حدده من عام ٦٤ الى ١٠٦٦، وهذا القحط هو المسمى (هبران).

ورحلت مجموعة نجدية الى الزبير فى عامى ١٠٨٦،٨٥هـ/ ١٦٧٤، ١٦٧٥ م حيث عانت نجد نهاية قحط شديد أكل الناس فيه كسابقه الجيف، ورغم أنه عام ١٠٨٦هـ هطلت أمطار أعشبت الأرض اثرها الا أن الغلاء بقى على حاله بسبب ندرة الأقوات وامتداد آثار القحط السابق لتلك السنة كذلك مما جعل هجرة النجديين تبدو متساوية مع التى قبلها (١).

وخلال القحط الشديد الذى مر بنجد ومناطق أخرى من شبه الجزيرة والمسمى (سمدان)(٢) هاجر قسم من النجديين الى الزبير وغيرها من البلدان، ومما ضاعف فى نسبة المهاجرين خلاله أنه استمر عدة سنوات من ١١١٤هـ الى ١١١٨هـ/١٧٠٢ الى ١٧٠٦ م، ومر بمراحل كانت أشد وطئا، وكل مرحلة يهاجر فيها مجموعة من النجديين (٣).

وماكاد النجديون يفيقون من آثار ذلك القحط السابق حتى عم

---

(١) المنقور ٥٤، وعلى عادته أشار الى هذا القحط المسمى جرمان بذكر اسمه فقط، وكذا فعل ابن يوسف، ولم يذكر ابن عباد هذا القحط باسمه هذا بل ذكر أنه ضمن القحط المسمى جرادان عام ١٠٨٦هـ، الفاخرى ٧٦، ابن بشر ٢/٢١٢، ٢١٣، ابن عيسى ٦٥، ٦٦، ولم يذكر هؤلاء المؤرخون الهجرة بينما ذكرها البسام فى التحفة وأكد حصولها فى هذين العامين على التوالى : ورقة ٧٥، ٧٦.

(٢) من معانى السمود فى اللغة الذهاب والهلاك. (الزبيدى باب الدال فصل السين).

(٣) المنقور وقد حدد بدايته سنة ١١١٥هـ مؤكدا أن شدته عام ١٦، وذكر ابن ربيعه أنه عام ١٤ وسماه سمدان العوازم مما يشير الى تضرر هذه القبيلة أكثر من غيرها، الفاخرى وذكره عام ١٤هـ وأن شدته عام ١٥، وتابعه ابن بشر ٢/٢٢٦، ٢٢٧، ابن عيسى ٨٣ وسماه القحط والبلاء العظيم وأنه عام ١٤ وذكر له شدتين عام ١٥، ١٦، وأكد البسام فى التحفة ورقة ٨٨ حدوث هجرة كبيرة من النجديين الى الزبير والبصرة والاحساء.

المنطقة قحط آخر عام ١١٢٨هـ/ ١٧١٥، حيث غارت فيه الآبار وشحت اثر المواد الغذائية مما رفع أسعار القليل الموجود منها وهلك قسم من النجديين جوعا، وقسم هاجر الى الزبير ضمن عدد من بلدان شرق شبه الجزيرة وجنوب غرب العراق، وكان استمرار هذا القحط الى سنة ١١٣١هـ/١٧١٨م عاملا آخر كثف من هجرات النجديين الى هذه البلدان وخاصة الزبير.(١)

وتعد السنة التي سبق ذكرها وهي الأكثر غورا في بعض مناطق نجد (١١٣٦هـ/١٧٢٣م) من أهم سني الشدة التي ضرب النجديون فيها رقما قياسيا في الهجرة عن منطقتهم الى خارجها، واذ ورد ذكر الزبير في أول البلدان التي هاجر النجديون اليها في هذه السنة فالمعتقد أن هجرتهم اليها - بشكل خاص - كانت بنسب تفوق نسبة المهاجرين الى غيرها من بلدان شرق شبه الجزيرة وجنوب غرب العراق.(٢)

وليست الأسباب الاقتصادية هي الوحيدة التي دفعت بعض النجديين الى الرحيل خارج نجد كما مر وان كانت أهمها، فالى الزبير على سبيل المثال هاجرت بعض الاسر بسبب ضعف الناحية الأمنية التي نجمت عن بعضها حوادث قتل، ومن الأمثلة في هذا الصدد رحيل آل وطبان الى الزبير بعد أن قتل وطبان ابن ربيعة بن مرخان ابن عمه مرخان بن مقرن بن مرخان سنة ١٠٦٥/١٦٥٤م فهرب الى هذه البلدة خوفا من أن يلحقه ثأر، وأصبح لهذه الأسرة مكانة اجتماعية مرموقة في الزبير أهلتها لتولي الرئاسة فيها في بعض الفترات، كما

---

(١) ابن عباد : أحداث عام ١١٢٨هـ، ١١٣٠هـ، الفاخري ٩٦، ابن بشر ٢/٢٣٢، البسام : تحفة ٩٤.

(٢) الفاخري ٩٩، أوراق تاريخية للشيخ عثمان بن منصور : أحداث عام ١١٣٦هـ، ابن بشر ٢/٢٣٥، ابن عيسى ٩٦، البسام : المرجع السابق ٩٨.

برز منها علماء وشعـــراء.(١)

ان هذا العرض لبعض أحداث الهجرة النجدية الى الزبير ليــــس الا على سبيل المثال فحسب على أساس وجود أكبر جالية نجدية فيهـــا ، ونظرا لضيق المجال عن عرض أمثلة لهجرات النجديين الى البلدان الأخـرى التى وجدت فيها جاليات نجدية بنسب لا بأس بها وان لم تصل الى نسبـة الوجود النجدى فى الزبير، ومن هنا فان الزبير والاحساء والبصرة تعد أماكن ثلاثة كثّف النجديون من هجرتهم اليها بسبب القرب المكانى لها من نجـد ، وبسبب التواصل الاجتماعى القديم بين نجد وهذه البلدان ، اذ أن تلــك الأحداث التى سبق ذكرها وغيرها من الأحداث السابقة والتالية لها قــد ورد فيها ذكر هذه البلدان الثلاثة كمهاجر للنجديين ، اضافة الى الكويـت التى بدأ بعض النجديين كذلك يفضلون الرحيل اليها بعد أن تأسســت وتبوأت مكانة اقتصادية بين بلدان المنطقة ، كما أن لبغداد نصيب مـــن هجرة أعداد من النجديين اليها اما ابتداء أو بعد الاستقرار فى البصـرة على أن منطقة الحجاز والشام ومصر والهند كانت هى الأخرى مراكز هاجـــر اليها بعض النجديين وفضلوا البقاء والاستقرار فيها مما ليس هنا مجـــال التفصيل فيــه.(٢)

---

(١) المنقور ٤٩ واشار بايجاز الى حادث القتل ، ابن ربيعه ٦٤ ، الفاخرى ٧٢ ، ابن بشر ٢ / ٢٠٨ ، ابن عيسى ٣٨-٤٠ ، البسام: ١٠، ١٢، ٦٩ خالد الفرج : دويان النبط ١ / ١٨٢ ، الجاسر: الجمهرة ١ / ٣٠١ ، ٢ / ٩٢٦ - ٩٣١ ، البسام: الزبير ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١١١، ١١٢ ، ٣٠٩.

(٢) ان نظرة عامة فى كتب أنساب النجديين عدا الأحداث التاريخيـــة تعطى تصورا عن وجود عدد من الأسر النجدية فى هذه المناطـق وعلى سبيل المثال أنظر: (ابن عيسى ٣٤، ٣٥، ٥٧، ١٣٣، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ٢١٦، ٢٢٦، ٢٢٧ ، الجاسر: الجمعرة ١ / ١٦، ١٧، ١٩، ٣٥، ٤٢، ٨٨، ٩١، ٩٢، ٩٩، ١٠١، ١١٥، ١٢٥، ١٥٢ ، ١٧٢، ٢٠١، ٢٢١، ٢٣٥، ٢٣٦، ٣٢٤، ٣٤٤، ٣٨٩، ٤١٦ ، ٤٥٨، ٤٦٢، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٩٢).

وعلى أى حال فقد ظلت الزبير البلد الأكثر تفضيلا لدى النجديين فى هجراتهم الخارجية، وان أوضح معطيات تلك الأحداث وغيرها مما حفلت به كتب التاريخ والمرويات الشعبية الى وقت قريب أن الزبير تعد البلد الوحيد الذى لا تخلو سنة من سنوات الشدة التى كانت تمر بها نجد من حالة أو أكثر من حالات الهجرة اليها سواء كانت هذه الهجرة أسرية أم فردية (١).

وبعد: فان أبرز ملامح هجرات النجديين الخارجية كونها تعد عامل وجود أو تكثيف للعنصر النجدى والعربى فى المناطق المهاجر اليها، وعامل تشابه بين العادات النجدية وعادات تلك المناطق، فهى بالتالى تشكل مصدر عون وتسهيل لأى محاولة تجعل هدفها التوحيد ولم الشمل أو التعاون فى أى مجال من مجالات الحياة المختلفة، وتتسم هذه الهجرة بسمات الهجرة المستقرة أحيانا وغير المستقرة أحيانا أخرى، على أنها من جانب آخر كانت عاملا بارزا أدى الى انخفاض ملحوظ فى عدد السكان فى نجد يمكن أن يضاف الى الانخفاض الذى يحصل من كثرة حالات الوفاة فى تلك الفترة، علاوة على أن حالات التعويض عن هذا الخلل السكانى قليلة فيما عدا بعض حالات الهجرة الحضرية من خارج نجد اليها وهى حالات محدودة لا توازى تلك الحالات الكبيرة من الهجرة الخارجية، الا أن وجود بعض حالات التحول من البداوة الى التحضر قد ساهم فى سد بعض جوانب هذا النقص، وهى حالات قد عرفتها منطقة نجد فى فترة متقدمة من تاريخها الى الوقت الحاضر (١).

---

(١) لعل مما ينبغى الاشارة اليه هنا رحلة حميدان الشويعر للعمل فى مزارع الزبير والبصرة (خالد الفرج ١/ ١٤) والواقع أن عددا كبيرا من الاسر النجدية قد وجد لها منتمون فى الزبير أفرادا وأسرا وللتمثيل أنظر: (ابن عيسى، ٣٨، ٣٩، ٤٥، ٥٨، ١٥٦، ١٦٠، ٢٠٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٦، الجاسر ١/ ٢٢، ٢٩، ٦٧، ٨٧، ٩٩، ١٤٣، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٦، ١٦٤، ٢٧٧، ٢٨٧، ٢٩٣، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٢٨، ٤١٠، ٤١٥، ٤٣٥، ٤٩٣).

(٢) لقد عرفت نجد فى تلك الفترة ومابعدها عددا من الأسر التى تحولت الى التحضر سواء كانت تنتمى الى القبائل البدوية النجدية أم الى القبائل البدوية من المناطق المجاورة، على أن أبرز هجرة حضرية من خارج نجد اليها هى هجرة آل عفالق عام ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م من

(=)

. . . .

(=) الاحساء الى نجد التى تكاثروا فيها وأسسوا أو ساهموا بتأسيس بعض البلدان فيها فيما بعد ، حيث تفرعت منهم بعد ذلك عدد من الأسر ، وقد بقى لهم فى الاحساء بقايا لازالوا محتفظين باسمهم السابق ، والواقع أن لآل عفالق وجودا سابقا فى نجد فالشيخ عبد الله بن عفالق كان قاضيا للعيينة ومن كبار علماء نجد وتوفى فى العيينة سنة ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م . (المنقور : النسخة المخطوطة وانفرد بذكر وفاة ابن عفالق عام ١٠١٥هـ ، ابن ربيعة ٥٨ ، ٨٧ ، الفاخرى ٦٥ ، ٩٧ ، وأشار الى أن آل عفالق قد أجلوا من الاحساء ، ابن بشر ٢/ ١٩٦ ، ابن عيسى ٩٣ ، ١٠١ ، البسام: تحفة ٥٦ ، ٩٦ ، ١٠٤ ، البسام: علماء نجد ١/ ١٦٣ ، ٢/ ٥٩٧ ، ٣/ ٨١٨ ، الجاسر: الجمهرة ٢/ ٦٠٢ - ٦٠٤) .

الفصل الثاني

نظرات المجتمع لبعض الفئات الاجتماعية

«أ» نظرة الحضري للبدوي .

«ب» النظرة للمرأة ومكانتها في المجتمع .

- نساء شهيرات .

«ج» وضع الرقيق ونظرة المجتمع لهم .

١ - نظرة الحضرى للبدوى :

لقد تأصل لدى البدوى النجدى والعربى عموما كرهه لأسلوب المعيشة الحضرى ومنشأ ذلك كون البدو أصل للحضر وسابق عليه كما أكدت ذلك الأحداث التاريخية ، وكما قرر ذلك الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى وصيته لمن يلى أمر المسلمين بعد وفاته حينما قال : "وأوصيه بالأعراب خيرا فانهم أصل العرب ومادة الاسلام"(١) ، وكما قرر ذلك مؤسس علم الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون(٢) حينما عقد فصلا فى مقدمته تحت عنوان : " فصل فى أن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه وأن البادية أصل العمران والأمصار مدد لها"(٣) ، وكان هذا الفصل مبنيا على العديد من الأحداث التاريخية التى تثبت أن التحول انما يكون من البداوة الى التحضر كما كان كذلك توضيحا للنظرة العمرية الصائبة نحو البدو والبداوة .

---

(١) وردت هذه الوصية فى صحيح البخارى وكتب التاريخ الاسلامى ، وعنها وعن التعليق عليها : ابن حجر : فتح البارى ١٤/٢١٢/٢ ، وكان عمر رضى الله عنه كثيرا مايردد هذه الفكرة فى حياته مما يدل على تحمسه لها (ابن جرير: تاريخ الأمم والملوك ٥/٣٣) وقد استعرضت تلك النظرة العمرية فى رسالة الماجستير ص ١١٢ ، ١١٣ ، وهى مستمدة من فهمه العميق والشامل لنظرة الاسلام للبدو والبداوة التى فصلت الحديث عنها فى تلك الرسالة كذلك ص ٨٣ - ١١٤ .

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٧٣٢هـ/١٣٣٢م - ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) ليس هنا مجال التعريف بشخصه فقد كثرت الدراسات عنه وعن مؤلفاته ، فقد ضمن الجزء الأخير من كتابه العبر (٧/٣٧٩ -٤٦٢) تعريفا شاملا بشخصه ورحلاته ، كما ألف الدكتور على عبد الواحد وافى كتابا عنه فى سلسلة أعلام العرب رقم (٤) ، وكذلك محمد عبد الله عنان ، وأفرد المستشرق الفرد بيل له ترجمة وافية فى دائرة المعارف الاسلامية (١/١٥٢ - ١٥٧) وكذلك الزركلى (الاعلام ٤/١٠٦ ، ١٠٧) وأقيمت له أسابيع فكرية للتعريف بجوانب متعددة من حياته فى عدد من الجامعات والمراكز العلمية .

(٣) مقدمة ابن خلدون ١٠٣

وانطلاقا من هذه الحقيقة التاريخية الاجتماعية فقد حفل تاريخ العلاقات البدوية الحضرية منذ القدم وحتى العصر الحاضر بعدة حالات تبين كره البدوى لمعيشة الحضرى ، وعدم تأقلمه مع أساليب الحياة الاجتماعية عند الحضر اذا اضطر اليها ، فكلما أرادت مؤثرات الحضارة جذب ابن البادية اليها وقف الحاجز النفسى ضد التحضر سدا منيعا فى وجه تخليه عن بداوته .

وتصور قصة ميسون بنت بحدل الكلبية (١) أصالة هذا الجانب عند البدوى وخاصة المرأة حينما تضطرها الظروف الزواج من حضرى ، فقد تزوجها معاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنهما ولكنها مالبثت أن ملّت الحياة الحضرية الراقية فى كنف خليفة المسلمين ، وقالت اثر ذلك أبياتا منها :

لبيت تخفق الأرواح فيه ∴ أحب الىّ من قصر منيف

ولبس عباءة وتقر عينى ∴ أحب الىّ من لبس الشفوف

وأكل كسيرة فى جنب بيتى ∴ أحب الى من أكل الرغيف

وأصوات الرياح بكل فج ∴ أحب الى من نقر الدفوف

وخرق من بنى عمى نحيف ∴ أحب الى من علج عنيف

خشونة عيشتى فى البدو أشهى ∴ الى نفسى من العيش الطريف

---

(١) هى ميسون بنت بحدل بن أنيف من قبيلة بنى حارثة أشرف بطون كلب كان أبوها نصرانيا - قيل مات على نصرانيته طلقها معاوية اثر سماعه لهذه الأبيات ، وكانت حاملا بيزيد ، وقيل كان رضيعا وحاملا ببنت نشأ يزيد معها فى الصحراء عند أخواله وأضفت ميسون بهذا الزواج لأسرتها شهرة ومكانة كبيرتين حيث عد البحدلية من كبار أتباع بنى أمية ، توفيت سنة ٨٠هـ/ ٧٠٠م (ابن جرير ٦ / ٨٣ ، ٧ / ٦٤ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ٤٥٧ وذكر أن بحدل أخو معاوية لأمه فان كان يقصد ابن أبى سفيان فهذا وهم يناقضه زواج معاوية من ميسون ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥ / ١٠٥ ، ١١٧ ، ١٣١ ، ابن الأثير : الكامل ٣ / ٢٦١ ، ٣١٧ ، ابن كثير ٨ / ١٤٥ ، وقد أثنى على ميسون ووصفها بعض الشأن جمالا ورياسة وعقلا ودينا الزركلى ٨ / ٢٩٨ ، ١٣ / دائرة المعارف الاسلامية ٣ / ٣٦٨ ، ٣٦٩) .

خشونة عيشتي في البدو أشهى .·. الى نفسي من العيش الطريف (١)

ولعل من أبرز القصص المشابهة لقصة ميسون والمؤكدة لتلك الحقيقة المتأصلة لدى البدوى ماورد أن أعرابية قالت لبنات عم لها : السعيدة منكن من يتزوجها ابن عمها فيمهرها بتيسين وكلبين وعيرين ورحيين فينب التيسان وينهق العيران وينبح الكلبان وتدور الرحيان فيعج الوادى ، والشقية منكن من يتزوجها الحضرى فيكسوها الحرير ، ويطعمها الخمير ، ويحملها ليلة الزفاف على عود (تعنى سرجا أو هودجا) (٢) .

ان الاعتقاد المتوارث لدى البدو أنه يجب الاحتفاظ بالعادات والتقاليد الأصيلة فيهم وأن ذلك يتعارض مع التحول الى الحياة الحضرية ، ولهذا فقد كان البدوى منذ القدم والى الوقت الحاضر فخورا بنفسه وأصالته فى الصحراء التى يرى أنها المكان المناسب لحفظ شخصيته وعاداته وتقاليده ، كما يعتقد أنها أعطته الحرية الكاملة فى القول ودوام المناقشة وابداء الآراء ببساطة وصراحة ، وأضفت عليه نوعا من العزة تأبى عليه أن يخضع أو يذل ، وهى عزة جعلته يجمع كل صفات البطولة (٣) ، علاوة على كونه قد أشرب حب الكرم جيلا عن

---

(١) تخفق : تتحرك ، الأرواح : جمع ريح وهو كناية عن بيت الشعر ، الشفوف : جمع شف بكسر الشين وفتحها الثوب الرقيق الذى يحكى ماتحته ، كسيرة : تصغير كسرة وهى الخبز خرق : بضم الأول والثانى وفتحهما ، وسكون الراء فى الحالين ، من معانيه : الرجل الذى لايحسن العمل ولا التصرف فى الأمور ، وكذا الأحمق ، والمرأة خرقاء ، علج : بكسر الأول وسكون الثانى : الرجل من كفّار العجم ، أو الأعجمى عامة والرجل الشديد المعالج للأمور . (الفيروزابادى والزبيدى باب الجيم فصل العين ، وباب الفاء فصل الشين ، وباب القاف فصل الخاء ، عبد الله ابن خميس . الأدب الشعبى فى جزيرة العرب ص ٢٠٨) .

(٢) ابن عبد ربه : طبائع النساء تحقيق محمد ابراهيم سليم . مكتبة القرآن ، القاهرة ص ٨٠ ، ٨١

(٣) يعتبر الراصدون للحياة الاجتماعية عند البدو أن العزة من أهم المظاهر المميزة التى يعتقد البدوى أن الحياة فى الحضر تؤدى (=)

جيل حتى أصبح ظاهرة يحترم ويهان على أساسها ، هذه العادات وغيرها جعلت البدوى ينظر الى الحضرى فى الغالب نظرة احتقار لاعتقاده أنه يفقد الكثير من هذه الصفات العالية.(١)

(٢)
وتصور قصة بداح العنقرى أمير ثرمداء جانبا من النظرة الاجتماعية المتبادلة بين البدو والحضر ويمكن أيضا الاستفادة منها فى نظرة كل منهما للآخر ، وملخص القصة أن من عادة البادية الاقامة (المقطان) وقت الصيف وخاصة فى سنى المحل بجوار البلدان النجدية ، وبينما كان أحد أحياء البدو قاطنا قرب ثرمداء ، وكان الأمير بداح كثيرا مايمر على منازل هذا ممتطيا فرسه بحكم مسئوليته عن البلد وماحوله ، وفى احدى جولاته أثار غضول فتيات القطين حينما مر بهن فتغامزن بينهن قائلات : (خيال الحضر زين

(=) الى فقدانها والى هذه الحقيقة يشير بيت أبى العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ/١٠٥٧م) :

الموقدون بنجد نار بادية ∴ لايحضرون وفقد العز فى الحضر

(١) ليس هنا مجال العرض التفصيلى لنظرة البدو تجاه الحضر فقد فصلت الحديث عنها فى رسالة الماجستير من ص ٢١٥ الى ٢٣٦ ، الا أنه لابد من الماحة عامة عن تلك النظرة حتى يمكن فهم وجهة النظر الحضرية حيال تلك القضية المتداخلة.

(٢) هو بداح بن بشر بن ناصر بن ابراهيم بن خنيفر العنقرى من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم وكان العناقر امراء ثرمداء منذ القرن الحادى عشر الهجرى ، تولى بداح امارة ثرمداء عام ١١١٩هـ/١٧٠٧م وقد حصل فى عهده عدة معارك بين ثرمداء والبلدان القريبة منها ، توفى سنة ١١٣٦هـ/١٧٢٣م ، وتولى بعده ابراهيم بن سليمان العنقرى الذى يعد من أبرز امراء نجد معارضة للشيخ محمد بن عبدالوهاب الا أنه والى الدعوة بعد ذلك ، وقد قام على مجموعة من العناقر ومنهم ابناء بداح فقتلهم لحزازات بينهم ، وينتشر العناقر فى عدد من بلدان نجد كما رحل قسم منهم الى خارجها (ابن عباد : أحداث عام ١١٣٦هـ ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ٢٠٧ ، الفاخرى ٩٩ ، ابن بشر ١/ ٣٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٦ ، ٢/ ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، ٢٤١ ، ابن عيسى ٨٧ ، ٩٤ ، ٩٦) .

زين التصافيح) أى أن مظهره حسن ومخبره بخلاف ذلك فهو رعديد لا يستطيع أن يصمد أمام الغارات فضلا أن يغير هو بنفسه، كما يروى أن العنقرى قد شغفه حب احدى بنات القطين -ولعلها ابنة زعيمه - وكان قد خطبها من أبيها فامتنعت قائلة كلاما يشبه كلام البنات السابق، وحدث ذات مرة أن أغار غزو من احدى القبائل على هذا القطين فأخذ مواشيه، فأبت شيمة العنقرى أن يؤخذ جيرانه فأغار فى اثر الغزو وهاجمهم حتى انتصر عليهم، وعاد بابل وخيل القطين التى سلبت مضافا اليها بعض ابل وخيل الغزو، ولما قام تجاه جيرانه بواجبه أحسن قيام وقف ليقى نظرة على هذا القطين وقال قصيدة يعاتب فيها تلك الفتيات أو الفتاة التى قالت عنه ما قالت ومنها (١):

اللـه الحد ياما عزينا وجينـا ∴ وياما ركبنا حاميات المشاويـح

ويما على أكوارهن اعتلينـا ∴ وياما ركبنا عصير مراويـح

ويما تعاطت بالهنادى يدينـا ∴ وياما تقاسمنا حلال المصاليح

وراك تزهد ياأريش العين فينا تقـول " خيال الحضر زين تصفيح "

ترى الظفر مهو بس للظاعنينـا ∴ مقسم بين الوجيه المفاليح

البدو واللى بالقرى نازلينـا ∴ كل عطاه الله من هبة الريـح (٢)

---

(١) لعل مما يؤيد هذه النظرة كذلك قول الشاعر:
حسن الحاضرة مجلوب بتطرية ∴ وفى البداوة حسن غير مجلوب
فرغم أن الشاعر قد يقصد معنى خاصا للحسن هنا، الا أنه يمكن أن يعد دليلا على أصالة الأخلاق الكريمة عند البدو وأنها غير مصطنعة سواء كانت شجاعة أم كرما أم غير ذلك، وأن الحضر على النقيض من ذلك وان كان هذا ليس قاعدة مطردة.

(٢) الله لحد: قسم فيه معنى التكثير مخفف من والله الأحد، ياما: كثيرا حاميات المشاويح: كناية عن الابل ولعل المقصود هنا هو حفظها لمنابت الشيح على خطأ فى جمع الشيح على مشاويح والصحيح مشايح والتى تطلق على القيعان والرياض فيكون المعنى على هذا: حاميات المراعى، أكوارهن: جمع كور بضم الأول وسكون الثانى رحل البعير كالقتب والشداد، عصير: تصغير عصر، مراويح: وقت الرواح والمقصود اللاتى رواحن عصرا، تعاطت: تبادلت، الهنادى: السيوف

(=)

ولقد اتسمت نظرة الحضرى نحو البدوى كما صورها العنقـــرى في هذه الأبيات برد الفعل تجاه نظرة البدوى المتعالية نوعاما ،فاذا كـان البدوى يعتقد أنه يبز الحضرى كثيرا بشجاعته وفروسيته وجوده ،وأن الحضرى يفقد كثيرا من هذه الصفات،واذا كان لهذا الاعتقاد بعض الصحـــة فان الحضرى ممثلا فى العنقرى قد حدا به رد الفعل أن يبين قولا وعمـلا أن تلك الصفات البطولية متوافرة لدى البدو والحضر على حد سواء ،وأنـه بقدر مايكون فى البدو أبطال فقد يوجد فى الحضر مثلهم كذلك ،وبقدر مايكون لدى الحضر جبناء وضعاف نفوس فقد يوجد فى البدو مثلهم كذلك .

ولقد كان العنقرى واقعيا حينما اعترف ضمنا بأصالة الظفر فى البـدو اذ قدمهم فى الذكر على الحضر مستدرا قناعة محبوبته فى الاعتراف بوجـود شجعان فى أوساط الحضر ،ويبدو من تلقف الحضر لهذه القصة وترداد هـم

(=) المشحونة أو المصنوعة فى الهند ،حلال المصاليح : مال الذيـن يصلحونه بالنماء ،وراك : مالك وهى لفظة نجدية لم أجد لها أصـلا فيما بين يدى من كتب اللغة ولعل أصلها وراءك أى ماوراء فعلـك هذا أو ماوراء العمل الذى حدث وينطقها بعض النجديين أراك ، تزهد فينا : ترغب عنا ،أريش العين : ذو الرموش الطويلة كالريـش وهذا من صفات الجمال الأنثوى ،الظفر : الشجاعة والنجاح فـى الأمور (فصيحة)،بس : بفتح الباء بمعنى حسب وفقط قيل عربيـة وقيل فارسية ،الظاعنين : المرتحلين والمقصود البدو ،الوجيه : جمع وجه والأفصح جمعها على وجوه ،المفاليح : المتصفة بالفلاح ،عطاه : أعطاه ،هبة الريح : الأفعال الطيبة يقولون : فلان هب الريح أو هاب أو هباب ريح أى انسان ندب شجاع كريم ذو نخوة (الفيروزابادى ، والزبيدى باب الحاء فصل الشين ،وباب الراء فصل الظاء ،وفصـل الكاف ،باب السين فصل الباء ،العبودى : الأمثال العاميـة ٣/ ٩٤٥ ،١١٣٦ ،٤/ ١٥٥٥ ،٢١٣٦ ،محمد كمال : مرجع سابـق ١/ ٣٧٥ ،عبد الله بن رداس: شاعرات من البادية ص ٣١٦ ، محمـــد الثميرى : الفنون الشعبية فى الجزيـرة العربية ص ١٣٥ ،١٣٦ ،ابن خميس المرجع السابق ١٨٩ - ١٩٢) ، وللقصة والأبيات بقية وروايات تفصيلية أخرى ولكنها تمس نظرة البدوى للحضرى ولذا فقد عرضتها فى رسالة الماجستير من ص ٢٢٣-٢٢٧ .

لأبياتها أنها تصور شعورا نفسيا قبل هذه القصة وبعدها يتمثل فى اقناع البدو أن يخففوا من حدة تعاليهم على الحضر فى سائر الأخلاق الكريمة التى يعتقدون بفقدانها فى الحضر، ومن ثم فان هذه القصة بتفاصيلها الأخرى، وأبياتها قوية المعانى ستبقى مثلا رائعا يطفئ نار الفخر والاعتزاز لدى البدوى لتقوم العلاقات الاجتماعية بينهما على التعاون والأخوة وحسن الجوار.

ولئن كانت النظرة الواقعية لدى الحضر التى صورتها هذه القصة هى النظرة الغالبة، فقد كان بعض الحضر ينظر نظرة أخرى تجاه البدو، حيث ولد تعالي بعض البدو أحيانا ، واغارات البدو المتكررة على البلدان النجدية فى تلك الفترة ، ولدّ ذلك قناعة لدى بعض الحضر بأن البدوى متغطرس لابد أن يعامل بعنف وقسوة حتى يسير سيرة حسنة، ويكف عن تعديه المتكرر على الحضر ، ولعل من صور هذه النظرة الشاعر العامى حميدان الشويعر الذى ما من شك أن لنظرته القاتمة نحو المجتمع النجدى عامة - حاضرة وبادية - الأثر الواضح فى تحمسه بل تبنيه لهذه النظرة القاسية نحو البدو، فقد قرر أساليب فى معاملة البدو لا يمكن أن تتخذ قاعدة عامة، واذا كان التاريخ النجدى قد شهد حالات من سوء العلاقة بين الطرفين تمثلت أحيانا ببروز الطابع الدموى لهذه العلاقة فى تلك الفترة وحتى قرب الاستقرار الاجتماعى القريب، فان الباحث لا يستطيع تحميل طرف واحد تبعة هذا السوء اذا كان لأسلوب الاثارة من كل من الطرفين ضد أحدهما الآخر، ومنافسة الحضرى للبدوى فى الرعى والاعشاب من الصحراء التى يعتقد البدوى أنها مجاله وحده، فضلا عن مزاحمة البدو للحضر فى البلدان وقرب المزارع زمن الصيف والقحط، كان لذلك كله الأثر الواضح فى ظهور تلك الحالات من العلاقات السيئة.

يقول حميدان الشويعر:

البدوى ان عطيته تصلط عليك .·. قال : ذا خايف ميرباك عطاه

ان ولى ظالم مفسد للكمـــام ∴	وان ظلم زان طبعه وساق الزكـــاة
مثل كلب الى رمي فهو يـــروح ∴	وان رمي له بعظم تبع من رمـــاه
حاكم ياكلونه ومنهم يخـــاف ∴	من رخا ميته ماهنين ثـــــواه
وحاكم داواهم بفعل يشـــاف ∴	كلما خالفوا لحق فيهم منــــاه
كل يوم عليهم صباح شريـــر ∴	غير ذبح اللحى عزل بوش وشـــاه
مثل وصف الحبارى تعرف الطيور ∴	يوم جا حاذق موثب من سمـــاه (١)

ويتبين من هذه الأبيات أن حميدان قد قسا فى نظرته للبدو ممـــا جعله يستعمل أبشع الالفاظ فى حقهم عموما محاولا استعداء حكام البلـدان النجدية ليعاملوا البدو بهذه المعاملة القاسية، ولو أنه فرق بين من يستحق القسوة من البدو ومن لا يستحقها لكان لكلامه وجه من الحقيقة والواقع وسواء كان حميدان قد تبنى هذه النظرة ضمن نظرته القاتمة نحو المجتمـــع أم أن ذلك نتيجة تلك العلاقات الاجتماعية السيئة أحيانا بين الفريقيـــن، فان مجئ تلك النظرة ضمن أبيات كلها نصح وارشاد وحكم جعل قسما مـــن حضر نجد يجعلها قاعدة للتعامل بينه وبين البدو عامة.

---

(١) تصلط: تسلط وتأمر، خايف: خائف، مير: عامية والمعنى لكـــن بالك: اياك، عطاه: أن تعطيه، الكمام: الوحدة وهيمنة الحكـم وشموله، ساق: دفع الى، : اذا، رخاميته: ضعفه ولكونه شبه طائـر الرخمة وهو طائر شبيه بالنسر الا أنه جبان وضعيف، ماهنين: ممتهنين ومستهينين به، ثواه: مقره أو جنابه، داواهم: عاملهم أو أدبهـم لحق فيهم مناه: أوصل فيهم منيته ورغبته، صباح شرير: غارة صباحية شديدة الوطء عليهم، ذبح اللحى: القتل على أساس أن الذبـح أعلى العنق من جهة اللحية بخلاف النحر الذى أسفل العنق مـن جهة الصدر، ولعل المقصود بها الرجال لان اللحية أهم مايميـز الرجل عن المرأة عزل بوش وشاه: أى تقسيم ماشيتهم من ابل وغنـم وغنائم، والبوش فصيحة بمعنى الاخلاط من الناس والنعم الكثيـرة، الحبارى: طائر معروف يصاد بواسطة الصقر، حاذق: منتبه، موثب: منقض (الفيروزابادى والزبيدى باب الشين فصل الباء، العاملى: قاموس رد العامى الى الفصيح ص ٦٨، وعن الأبيات: خالد الفـرج ديوان النبط ١/ ٤٣، محمد كمال: الازهار النادية ٩/ ٢٨).

وفى معرض مدحه لبعض الأمراء النجديين حزما ضد الأعداء وحسن سياسة ورفقا بالرعية والاصدقاء يؤكد حميدان أهمية هذه السياسة لحفظ الأمن فى البلدان النجدية كلما تعرضت لاغارات القوى الحضرية المجاورة وغير المجاورة، وغزواته القبائل البدوية المتكررة مشددا على نظرته السابقة فى استعداء الحكام النجديين ضد البدو، وأن الأمير الجيد هو الذى يؤدب البدو الذين ينهبون البلدان ويخلون الأمن فيها، يقول فى ذلك:

وبالحكام من يحمى الرعية ∴ عن العدوان عن سرق وغارة
يزور الضد بمجموع صباح ∴ بواديها ومن يسكن دياره
الى من البدو داسوا اكمامه ∴ يخليهم جثايا بالمعاره (١)

ويبدو أن تلك النظرة القاتمة نحو البدو - وقد وجد لها مايبررها أحيانا - قد نادى بها من الشعراء غير حميدان فهذا جبر بن سيار يؤكد فى بيت له ضمن قصيدة فى الحكم وبيان صفات بعض فئات المجتمع أن من البدو من لاخير فيهم ويجب الحذر منهم، فيقول:

وكل اعرابى دنوع مكهله (٢) ∴ خبيث ونفسه فى مصافيه بايره

---

(١) غارة: اغارة، الضد: العدو، يخليهم: يتركهم، جثايا وردت عند الحاتم "اجثي" ومكانها فراغ فى الأزهار النادية وعند الفرج جثايا والمعنى جالسين على ركبهم من الذلة، أو جاثين بمعنى ميتين، ورواية الحاتم أفصح بحذف الألف التى عادة مايبدأ بها النجديون بعض الكلمات، ومنه قوله تعالى: "ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا" وقوله: "ونذر الظالمين فيها جثيا" (سورة مريم آية ٦٨، ٧٢)، المعارة: أرض معرة ومعارة قليلة النبات أولا نبت فيها يقولون أمعرت الارض ثم امرعت اذا محلت ثم أخصبت، والمقصود هنا: أرض المعركة (الفيروزابادى والزبيدى باب الراء فصل الميم، وباب الواو والياء حرف جيم، وعن الابيات: الفرج: ١/ ٤٩، الحاتم ١/ ١٦٣، محمد كمال: ٩/ ٢٣، ٣٤).

(٢) دنوع من الدنع وهو الفسل الذى لالب له ولاعقل وفيه لؤم وخسه مأخوذ من دنع البعير وهو مايطرحه الجازر منه فكأن الذى من سفلة الناس وأرذالهم يطرحه الناس من بالهم واهتمامهم، كما يطلق على الطمع (=)

ولقد كان جبر واقعيا فى عدم تعميم تلك النظرة على البدو حيث يفهم ذلك من هذا البيت بقراءة ماقبله، واذا علمنا أن جبرا كان أميرا لاحدى البلدان النجدية - كما مر فى ترجمته[(١)] أمكننا فهم عدم تعميه لتلك النظرة، وأن ذلك مبنى على تعامله مع فئات خيرة من البدو، وفئات على النقيض من ذلك.

وتصور الأمثال العامية جانبا من نظرة الحضرى تجاه البدوى ففيما يتعلق بتلك النظرة القاتمة - التى لها مايبررها أحيانا - نجد أن الأمثال العامية قد غذت هذه النظرة سواء كانت سابقة لنظرة حميدان أو امتدادا لها، ففى معنى قول حميدان السابق: "البدوى ان عطيته تصلط عليك" الى آخر الأبيات ورد فى أمثال العامة قولهم: "الأعراب سود الوجوه، ان لم يظلموا ظلموا"[(٢)] ويضرب هذا المثل فى سوء الظن بالبدو، وخاصة فى تلك الفترة حينما كان حبل الأمن مضطربا، وكان كل من البدو والحضر يتبادلون سوء الظن وأوصاف الذم فى كثير من الأحيان[(٣)].

(=) والخضوع والذلة، مكهلة: لعل المعنى صاحب كهالة أو كاهل وهو الشديد الغضب لأمور يسيرة وهى صفة تنطبق على بعض البدو، ونفسه فى مصافيه بايره: من معانى الباير الدنئ وهى مأخوذة من البوار والبور بمعنى الكساد. (الفيروزابادى والزبيدى باب العين فصل الدال، وباب اللام فصل الكاف، وعن البيت: الحاتم: خيار مايلتقط ١/١٣٥).

(١) سبقت ترجمته فى الفصل الثانى من الباب الأول.

(٢) العبودى: الأمثال العامية ١/١١٢ وأورد أمثلة مشابهة له تطلق على بعض الفئات فى بعض البلدان.

(٣) ولولا أنى محكوم بفترة هذا البحث لعرضت فى المتن لقصيدة بديوى الوقدائى العتيبى (ت ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م) التى تبين أن جانبا من هذه النظرة القاتمة نحو الجوانب السيئة عند البدو موجودة فى أوساط البدو أنفسهم، وفى هذا دليل على أن بعض البدو - وقد تأصل حب الخير فيهم - يمارسون النقد الذاتى للجوانب السيئة عند أبناء جلدتهم، يقول بديوى مخاطبا ابنه عبد العزيز:

عبدالعزيز الليث ياسبع غابة .:. ياشيت ويش اللى مع البدو نشبك

(=)

ولما كانت حياة البدوى غير مستقرة ومدعاة فى غالبها للجفاء فى الطباع والغلظة فى الدين بسبب البعد عن مراكز العلم والاصلاح فقد نظر اليها الحضرى المحب للاستقرار على أنها شقاء وجفاء وأنها هى السبب فى بعد البدوى عن الأسلوب الامثل فى التعامل ، وقد جاءت هذه النظرة فى هذين المثلين : " البداوة جفاء " و " البداوة شقاوة "(١) ويبدو أن الحضرى يرد بهذين المثلين على البدوى الذى يعتبر حياته فى الصحراء قمة سعادته ناعيا على الحضرى حياته المستقرة الوادعة ، ومن هنا فهما يندرجان فى اطار رد الفعل تجاه نقد البدوى لحياة الحضرى الذى رغم أن بعض الظروف قد تجبره على العيش عيشة البدوى فى فصل الربيع فانه لايلبث أن يتضايق منها ليعود الى حياته الحضرية ، والواقع أن هذين المثلين يعودان فى أصلهما الى الحديث النبوى الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم " من بدا جفا " وفى رواية : " من سكن البادية جفا "(٢) وما من شك فى أن مرد

(=) ماأخبلك ياباغى من البدو ثابة . البدو وان شافت معك شى تنهبك
خل البدو لعلهم بالذهابة .. حيث أن مذهبهم مخالف لمذهبك
احذر تطرف ياخذونك نهابة .. وترافقهم يحتون مزهبك
ان جوا على العيشة سواة الذيابة ترفع مخالبهم عن الزاد مخلبك
الديك لو صلى عليه الجنابة .. والكلب مايومن ولو كان صاحبك
ورجالهم عنده من المدح صابه .. لو تسمعن فى بعض الالحان شيبك
وان جيت تذكر فى النبى والصحابه . ماواحد صلى عليهم وجاوبك
ماعندهم حشمة ولالك مهابة .. وان جيت تهرج طارف القوم كذبك
(محمد سعيد كمال : الأزهار النادية ١/٣٥ ، ٣٦) .

(١) عبد الكريم الجهيمان : الأمثال الشعبية ٢/١٤ ، ١٥ .

(٢) ورد هذا الحديث بهذين اللفظين وتكملته بعدهما كل على روايته " من بدا جفا " ، ومن تتبع الصيد غفل ، ومن أتى أبواب السلطان أفتتن ، ومازداد عبد من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا " رواه الامام أحمد فى مسنده بسند حسن (٢/٣٧١ ، ٤٤٠ ، ٤/٢٩٧) ورواه كذلك مع أبى داود والنسائى بلفظ : " من سكن البادية جفا " الحديث الى " افتتن " (المسند ١/٣٥٧ ، سنن ابى داود ٣/٢٧٨ ، النسائى ٧/١٩٥ ، ١٩٦) ، وقد تكلم الشوكانى بتفسيره ٢/٣٩٧ فى سند الحديث ، وأثنى الالبانى على سنده فى الأحاديث الصحيحة ٣/٢٦٧) .

ذلك الذم يعود الى أن سكنى البادية قد يدفع البدوى الى الانزواء فيها والانشغال عن تعلم أبسط قواعد الدين، وما يسببه ذلك من تغلب الجوانب السيئة على السلوك الاجتماعى عند البدوى، ومن هنا فان هذا الحديث لايمكن أن يفهم منه الذم المطلق لحالة البداوة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد مدح البداوة وركز على الجانب الخير فيها فى كثير من أقواله وأفعاله وتقريراته وأوصافه مما ليس هنا مجال التفصيل فيه (١).

وانطلاقا من تلك النظرة فقد كان الحضرى حذرا من سطوة البدوى واغارته عليه فجأة وسيطرته عليه، ورغم حذره هذا فلا يلبث أن يقع تحت سيطرته وينهب ما معه من مال أو متاع، ومن هنا جاء المثل النجدى: "البدو جن الأرض" (٢) مصورا أن البدو لا يتجمعون الا عند الانقضاض على من يريدون نهبه، ولا يستبعد أن بعض البدو كذلك وقد استهواهم هذا المثل فاجبوا به حيث يصورهم شجعانا يستطيعون السيطرة على من حولهم اذا أرادوا، ويحدثون الرعب فى الحضر الذين يخافون البدو خيفتهم من الجن سواء بسواء.

وفى مجال البيع والشراء فان الحضرى كان يسخر من البدوى لجهله ببعض أساليبهما والتى منها عدم اطمئنان البدوى لأى مستند يثبت له حقه كالوثيقة التى تثبت البيع والشراء ومقدار الثمن حتى أنه لا يؤمن الا بما يمسكه من مال نقدى أو عينى مقابل البيع، بعكس الحضرى الذى يمكن أن يكتفى

---

(١) قمت بجمع عدد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الامهات الست وسند الدارمى ومسند احمد وموطأ مالك سواء التى تذم البداوة أو التى تثنى عليها وقمت بالعرض والتعليق على بعضها فى رسالة الماجستير (من ص ٩٧ - ١١٢).

(٢) الجهيمان: المرجع السابق ١٦/٢، والمقصود ظاهر الأرض لا باطنها أو أنهم كالجن.

بورقة يوثق فيها البيع وأجله باقرار وشهود ، ولعل لعامل الاستقرار عند الحضرى وعدمه عند البدوى دور فى بروز هذه الظاهرة التى ربما جعلت البدوى أحيانا يبيع بثمن بخس على أن يستلمه نقدا ، وهذا ماجعل الحضر يتندرون على البدو بهذا المثل " قضب البدوى الريال ، وقضب الحضرى الورقة " (١) (٢) واذا كان هذا ليس حكما عاما فانه يعطى تصورا لأسلوب التقابض بين البدو والحضر.

ويبدو أن صورا عديدة من مسألة تلقى الركبان التى نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) كانت تحدث بين بدو نجد وحضرها فى تلك الفترة ، ولعل من أبرز العلل فى هذا النهى استغلال الحضر للجهل التجارى عند البدو حيث يخرج تجارهم الى البادية أو الى ظاهر البلدان قبل أن يصل البدو اليها فيشترون منهم مايحملون من نتاج البادية بثمن بخس لا يلبث البدو بعد وصولهم القرى والتقائهم ببقية أهلها والتجار فيها أن يتقالوه فيدعون الغبن ، على أن للنهى علة أخرى ، وهى أنه متى ترك البدوى يبيع سلعته بنفسه للناس عند وصوله البلد اشتراها الناس برخص فوسع عليهم بعكس اذا اشتراها تاجر أو تولى بيعها للبدوى فانه لا يبيعها الا بسعر مرتفع فيضيق على الناس فى ذلك.(٤)

---

(١) قضب : فعل أمر قضب وهى تصحيف نجدى لقبض بمعنى أمسك اذ معنى قضب فى اللغة قطع وبتر وهو مخالف لما تدل عليه هذه اللفظة عند عامة النجديين (الفيروزابادى والزبيدى باب الباء فصل القاف ، العبودى : المرجع السابق ٣/ ٩٧٧).

(٢) المرجع السابق ٣/ ٩٧٨

(٣) ورد ذلك فى الحديث الذى رواه ابن عباس رضى الله عنهما قال :"نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتلقى الركبان وأن يبيع حاضر لباد" قيل لابن عباس : ماقوله " حاضر لباد ؟ قال : لا يكون له سمسارا" متفق عليه ، ولحديث جابر مرفوعا :" لا يبع حاضر لباد دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض" رواه مسلم. عن هذه المسألة (البهوتى : شرح المنتهى ٢/ ١٥٦، ١٥٧).

(٤) المصدر السابق ٢/ ١٥٧ .

وفى هذا الاطار فقد كانت ترد أسئلة الى علماء نجد فى تلك الفترة تنظم هذه المسألة وفق الشرع، فقد ورد سؤال للشيخ عبد الله بن ذهلان (١) عما اذا نزل البدو بلدا وظهر عليهم شخص فاشترى منهم شيئا ثم صار فيه غبن، هل للبائع دعوى الغبن والحالة هذه، أم لا لأنهم كالمقيمين بأهاليهم ؟ وقد فصل ابن ذهلان اجابته بأنه ان كانت قافلة فللبائع الخيار (٢)، فان كان المشترى يقبل معهم ولم يكن قصده الشراء أولا، بل جاءهم لحاجة، أو للشراء منهم بعيدا من البلد، فأقبلوا الى البلد قافلة، فاشترى منهم فى طريقه، ففيه ثقل (٣)، هل للبائع دعوى غبن، أم لا دعوى له ؟ والثانى أقرب للفهم (٤)، ومعنى هذا أن القافلة المتجهة للبلد للبيع تنطبق عليها مسألة تلقى الركبان اذا قصد المشترى الشراء منها، أما اذا لم يقصد الشراء ابتداء فلا ينطبق عليها هذا النهى.

ومن ناحية أخرى فقد توهم احدى قوافل البدو وأهل القرى أنه لم يقدم من البادية غيرها فتبيع عليهم مامعها بزيادة، وأفاد الفقهاء أنه اذا بان كذب هذه القافلة ودخل جلب بعدهم وكثرت السلع فان للمشترى الخيار، أما اذا لم توهم هذه القافلة أو تلك أهل القرى أنه لم يقدم غيرها ولو باعت بزيادة دون أن يجرى كلام فى هذا فلا خيار فى ذلك ولو جاء جلب ونزلت الأسعار (٥)، ومن هنا فان الادعاء بالغبن كان يأتى من الحضر والبدو على السواء مما يعطى تصورا أن الأسواق النجدية كانت تشهد اختلافا محتدما أحيانا بين الطرفين تغذيه تلك النظرة السيئة المتبادلة بينهما.

---

(١) سبقت ترجمته فى الفصل الأول من الباب الأول.
(٢) المقصود خيار الغبن وهو أحد صور البيع التى لا يثبت معها.
(٣) قوله: " فيه ثقل" أى الرأى متأرجح بين القولين.
(٤) المنقور: الفواكه ١/٢٤٥.
(٥) المصدر السابق ١/٢٣٩.

وفى اطار تلك النظرة المتبادلة وفى ظل الظروف الاقتصادية السيئة التى تضيق بخناقها على النجديين بادية وحاضرة فقد كان بعض البدو يغيرون على البلدان النجدية حيث يسلبون مايستطيعون سلبه من هذه البلدان ،فعلى سبيل المثال وفى سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م أغار قسم من من قبيلة الظفير على بعض بلدان سدير ونهبوا أغنامها (١) .

ويبدو أن احساس بعض البدو بضرورة الاكثار من الغزو للبلدان القريبة من مرابعهم وماقد يحدث من أهل تلك البلدان من رد فعل انتقامى ازاء تلك الغزوات، يبدو أن ذلك كان يدفع هؤلاء البدو الى اعادة الغزو أكثر من مرة هادفين من وراء ذلك الحصول على غنائم أكثر من التى حصلوا عليها فى الغزوة السابقة ،ففى سنة ٨٩٦هـ/١٤٩٠م أغارت قبيلة سبيع على العيينة واستولت على قسم من أغنامها ثم لما لم تتمكن من الحصول على غنائم أكبر أغارت اثر تلك الغزوة على العيينة نفسها وغنمت بعض الابل ،كما حدث مثل ذلك عام ٩٠٥هـ/١٤٩٩م حيث أغارت فيه سبيع على العيينة مرتين وأخذت ابل أهلها الذين ردوا عليها وقتلوا منها عددا من الرجال وتمكنوا من استعادة بعض مواشيهم المنهوبة (٢) .

---

(١) البسام : تحفة ورقة ٢٥ .

(٢) البسام : تحفة ٢٦ ، ٢٨ ،وقد تكررت اغارات سبيع على العيينة كسنة ٩١١هـ/١٥٠٥م ،وسنة ٩٩٦هـ/١٥٨٧م وسنة ١٠٠٨ هـ/١٥٩٩م كما أن آل نبهان من آل كثير كانوا يكثرون الغارات على العيينة كما حدث سنة ٩٣٧هـ/١٥٣٠م وسنة ٩٥٥هـ/١٥٤٨م بل ان آل نبهان قد قتلوا أمير العيينة محمد بن حمد بن معمر (خرفاش) سنة ١١٤٢هـ/١٧٢٩م ،الا أن الملاحظ أن أهل العيينة كانوا لايتركون الغزو بل يلحقون به ويردون ما أخذ منهم منهم ويثخنون الجراح أحيانا بمن يغزوهم ويستاقون ماشيتهم غنائم ولعل السبب فى ذلك كون العيينة فى تلك الفترة تعد كبرى البلدان النجدية تخاف سلطتها وترتجى بما لها من هيبة فى نجد وهذا مادفع قبيلة سبيع - كبرى قبائل العارض - أن تعقد صلحا مع أهل العيينة سنة ١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م. عن هذه الأحداث وغيرها (المنقور: التاريخ ٦٢ ،ابن ربيعة ٩١ ،الفاخرى ١٠٢ ،ابن بشر ٢/٢٤٠ ،البسام : تحفة ٣٠ ،٣٦ ،٤٠ ،٥٢ ،٥٣ ،٥٤ ،١٠٥) .

وكانت قوة سطوة بعض القبائل البدوية، وضعف بعض الحضر عن الـرد على تلك الاغارات عاملا يدفع الحضر الى الاستنجاد ببعض البدو وأحيانـا ممن تربطهم بهم رابطة نسب أو حلف أو جوار، وفي هذا الصدد فقد أغـار آل كثير(١) على بلدة حرمة فى سدير سنة ٩٠١هـ/١٤٩٥م وأخذوا أغنـام أهلها، وحتى لايتمكن رعاتها من ابلاغ الخبر بالسرعة الممكنة فقد استاقـوا الرعاة معهم كذلك، الا أنه لما وصل الخبر الى أهل حرمة استنجدوا بفريـق من قبيلة عنزة كان فى البلدة لغرض ما، حيث تمكنوا وهذا الفريق من رد الأغنام بل استولت عنزة على بعض ابل آل كثير وقتلت منهم بعض الأفراد(٢).

ونظرا لكون بعض الحضر يرحلون الى الصحراء فى فترة الربيع للرعـى وجمع العشب والحطب، فقد كان بعض البدو فى ظل تلك النظرة لا يسمحـون لهم أن يضربوا أطنابهم بجوارهم الا اذا اشترط الحضر الجوار منهم فحينئذ يلتزم البدو بحمايتهم، الا أن الحضر بقدر مايكونون أقوياء وكثر بقدر مـا يزداد امتناعهم عن تنفيذ مطالب البدو والتى من أهمها الرحيل عن جوارهم وتنشأ من جراء ذلك حروب بدوية حضرية يكون البقاء فيها للأغلب(٣).

ورغم كثرة تلك الحروب والاغارات التى لا يعدو ماذكر كونه أمثلـة

---

(١) ينتمى آل نبهان الى قبيلة طئ وانضموا الى آل كثير من بنى لام مـن طئ (الجاسر: الجمهرة ٢/٧٣٧، ٨٩٧).

(٢) البسام: ٢٧، ويبدو أن عون عنزة لأهل حرمة ضد آل كثير يندرج فى اطار التحرشات التى كانت تقوم بها هذه القبيلة ضد بنى لام وغيرهـا من قبائل نجد كجزء من استعراض قوتها أمام تلك القبائل حتـى تتمكن من تسنم ذرى الزعامة القبلية فى نجد وهو ماحصل لها اثـر أفول نجم بنى لام.

(4) M. Al Thenayan, p. 13.

، جاكلين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب ٢٧٨.

لها فقد كان بعض البدو يستنكفون القيام بغارات على الحضر في بلدانهم أو الدخول معهم في حرب مكشوفة يبدأونها هم، أو القيام بأي عمل من شأنه سلب الحضري، ولعل ذلك يدخل في اطار تلك النظرة المتبادلة بين الفريقين، أو أن ذلك كان نتيجة لمسالمة الحضري، ومحاولة من بعض البدو ايجاد نوع من الثقة المتبادلة بين البدو والحضر، هذه الثقة التي يبدو أن قسما من البدو يحرص على ايجادها لتخفف حدة التوتر في العلاقات الاجتماعية بينهما، وهذا مايمكن فهمه من وجود عدد من علاقات الأخوة والتعاون بين قسم من البدو أبى أن يسئ الى الحضر، وقسم من الحضر رضى أن يبادل هؤلاء هذه النظرة بمثلها، وهي نظرة تتطلبها ضرورة التكامل بين مجالات الحياة عند الفريقين سواء في فترات المحل حينما يضطر قسم من البدو الى الاقامة قرب البلدان النجدية، أم في فترات الربيع حينما يضطر قسم من الحضر الى الاستفادة من خيرات تلك الفترة (١).

ولئن كانت الأمثال العامية التي سبق ذكر بعضها (٢) قد أعطت تصورا واضحا عن جانب من نظرة الحضر تجاه البدو وأضفت جانبا من التندر والتهكم والسخرية من حياة البدو الا أنها لا تعد دلالة أكيدة على بروز هذا الجانب أو ذاك في الحياة البدوية عامة بل انها تندرج ضمن شعور الدفاع عن النفس الذي كان الحضر يشعرون به، وبمرور الزمن عممها الحضر على البدو

---

(١) ابن بليهد : صحيح الأخبار ٢/١٢٢ وقد نقل عن أحد زعماء القبائل قوله : " والله ما أخذت الحضري ولا أرضى بأخذه".

(٢) قمت بجمع عدد من الأمثال الشفوية والمكتوبة التي تصور جانبا من نظرة الحضر تجاه حياة البدو بجوانبها المختلفة الا أن عرضها يتطلب مجالا أوسع من هذا البحث وللاستزادة : "(العبودي ١/٢٥٣، ٢٧٧، ٣٦٥، ٣٧٩، ٤٠٢، ٤٢٠، ٤٨٣، ٥٣٧، ٦٩٤، ٧٩٩، ٣/٩٥٤، ٩٧٠، ٩٧٨، ١١٤١، ١٣٢١، الجهيمان ٢/١٦، ٣/٥٩، ٢٧٥، ٤/٣٠٩، ٣٦٦، ٥/٦٨، ٢٧٠، ٢٧٥).

كما لايمكن النظر اليها على أن سائر الحضر ينظرون من خلالها الى حياة البدو، اذ أن الحضر يعتقدون أن أبناء البادية - كأى مجموعة من الناس - فيهم الحسن والسئ من الطباع، وأنه بقدر ماحفل تاريخ العلاقات الاجتماعية بين الفريقين بالعديد من صور الفرقة والسلب والنهب وقطع الطريق، فقد حفل كذلك بالكثير من صور المودة والاخاء والوفاء والتداخل الأسرى بين هذين الفريقين مما تزخر به قصص وأشعار تلك الفترة، بل ان الحضرى رغم معاناته من تصرفات بعض البدو يعتقد أن البدوى على جانب من البراءة وسرعة التصديق أحيانا نتيجة الجهل وعدم المعرفة (١)، رغم مايشوب هذا الاعتقاد لدى الحضرى فى بعض الأحيان من الحذر والشك.

ب - النظرة للمرأة ومكانتها في المجتمع

ان المطلع على نظرة المجتمع الحضرى النجدى للمرأة ووضعها ومكانتها فيه لايجد اختلافا كثيرا بين ذلك وبين وضع المرأة ومكانتها عند البدو، فكما عانت المرأة البدوية من قضية التحجير (٢) التى تعد أبرز ظاهرة أهينت المرأة من خلالها فقد كانت المرأة الحضرية كذلك تهان عند نسبة

---

(١) العبودى ١/ ٤٢٠

(٢) التحجير أو التحيير أو التحيين كلها ألفاظ لمعنى واحد : وهو قصر البنت فى الزواج على ابن عمها حتى ولو لم يحدد موعدا للزواج بحيث يتركها أمدا طويلا حتى يرى رأيه وقد تأبى البنت الزواج منه ويأبى هو الا الزواج منها فينشأ من جراء ذلك اضرار بالمرأة، ومنازعات، وخصومات قد تصل الى اراقة الدماء وهى من العادات المتأصلة عند البدو منذ عصر الجاهلية، ولما جاء الاسلام أكد على أهمية رأى المرأة فى اختيار زوجها فى عدة أحاديث ليس هنا مجال عرضها الا أن الحديث الذى روته عائشة رضى الله عنها له مساس بقضية التحجير، قالت عائشة: " جاءت فتاة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله ان أبى زوجنى ابن أخيه يرفع بى خسيسته فجعل الأمر اليها قالت : فانى قد أجزت ماصنع أبى ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شئ " وقد بقى التحجير لدى

لابأس بها من المجتمع، وكما لقيت ابنة البادية التكريم والاعزاز من الرجل في مجالات أخرى فقد حظيت امرأة الحضر بنوع من التكريم كذلك عند فئة أخرى من المجتمع .

وتتشابه النظرة للمرأة في بعض جوانبها عند حضر نجد مع النظرة اليها عند عرب ماقبل الاسلام فالازدراء الذى تلقاه النسوة الحضريات عند بعض الناس له أساس من نظرة عرب الجاهلية القاتمة نحو المرأة ، على أن تكريم بعض الجاهلين للمرأة فى بعض الحالات التى تمثل فيها بروز نساء شهيرات فى المجتمع الجاهلى قد قابله بروز نساء شهيرات كذلك عند حضر نجد ، اضافة الى أن هناك فئة لها ثقلها فى المجتمع نظرت الى المرأة من خلال نظرة الاسلام اليها تكريما ومراعاة لدورها الرئيسى فى المجتمع، وتمشيا مع خصائصها التى تختلف بها عن الرجل .

وقد تمثلت النظرة القاسية نحو المرأة عند من ينظرون بها فى ولادة البنت، ومامن شك أن هذه النظرة من بقايا النظرة نحو المرأة عند الجاهليين التى كان من مظاهرها لديهم وأد البنات والتشاؤم بمولد الأنثى فكان المولود له أنثى يعد ذلك بلاء وشرا عليه وعلى أسرته كما قال تعالى فى أدق وصف عن حالتهم: " واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمكسه على هون أم يدسه فى التراب ،ألا ساء مايحكمون"(١) .

(=) بعض البدو الى وقت قريب بل الى الوقت الحاضر رغم افتاء العلماء بتحريمه وتشديد النكير على فاعله (الامام أحمد : المسند ٦/ ١٣٦ د . جواد على : مرجع سابق ٤/ ٦٣٨ ، محمد بن عرفة : حقوق المرأة فى الاسلام ط (١) مطبعة المدنى . القاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ، ص ٥٩ - ٦٢ ، رسالة الماجستير للباحث ٢٤٢ - ٢٤٤) .

(١) سورة النحل آية ٥٨ ، ٥٩ ، وعن نظرة عرب الجاهلية نحو المرأة انظر د . جواد على ٤/ ٦١٦ - ٦٢٧ ، محمد بن عرفة : المرجع السابق ٣١ - ٣٤ ، والواقع أن الفرح بولادة الذكر والحزن عند ولادة الأنثى موجود عند غير العرب كذلك (د : جواد على ٤/ ٦٥٠) .

وسواء كان عدم فرح بعض حضر نجد بولادة البنت عائداً لانتقاص المرأة لديهم أم أنه عائد لكون البنت لا تفيد أسرتها كثيرا كما يفعل الولد الذى يعد لديهم المعين الأقوى فى سائر الأعمال التى تقوم بها الأسرة، سواء كان السبب هذا أم ذاك فان تلك نظرة جاهلية لاتمت الى الاسلام بصلة اذ أن المرأة التى يتح لها المشاركة فى أعباء الأسرة تقوم بأعمال جليلة توائم طبيعتها ولا يستطيع الذكر القيام بها، فضلا عن أنها قد تقوم بأعمال قد لا يقوم بها الا الرجال وقد تبزهم فى هذا المجال.

ومما يؤكد احتقار المرأة لدى تلك الفئة من حضر نجد المثل العامى الذى يقول: " بغيضة وجابت بنت " (١) فهذا يصور ولادة البنت عند هذه الفئة مصدر شؤم، ذلك أن الزوجة المكروهة عند زوجها تزداد كراهية اذا أنجبت بنتا، وكون هذا المثل قد تواتر لدى قسم من حضر نجد سواء بلفظه أم بمفهومه فان ذلك يعنى أن جانبا من نظرة الجاهليين نحو ولادة البنت قد اعتقد به بعض حضر نجد بغض النظر عن أى تبرير يمكن أن تعلل به هذه النظرة (٢).

وفى اطار تلك النظرة المتدنية وتبعا لمظاهر الانحراف عن العقيدة السليمة عند حضر نجد قبل الدعوة كما سبق فانه يمكن الربط بين اعتقاد بعض النساء فى شجرة الطرفية اذا ولد لهن ذكر فرحا به وعدم حصول ذلك الاعتقاد اذا ولدت لهن أنثى فقد ذكرت بعض المصادر التى رصدت بعض جوانب الحياة الدينية قبل الدعوة أن النساء يأتين تلك الشجرة ويعلقن عليها خرقا اعتقادا منهن بأن ذلك وسيلة لحماية مولود هن الذكر من الموت

---

(١) العبودى: المرجع السابق ١/ ٢٧٣

(٢) رغم حرص الاسلام على اماتة تلك النظرة القاتمة نحو المرأة الا أنه بقى جانب منها ظل يعتقد به بعض العرب بعد الاسلام، ويصور هذا البيت المنسوب لجرير وجود جانب من تلك النظرة فى قوله:

اذا ما المرء شبه له بنات .. عصبن برأسه لؤما وعارا

أو الأمراض،(١) وما من شك أن هذا مظهر من مظاهر تأثر المرأة نفسها بتلك النظرة القاسية نحو ولادة الأنثى، وحرصا من المرأة أن تجد لها مكانا فى قلب الرجل اذا شاركته هذا الشعور خوفا على مستقبلها معه.

وقد أكدت رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (وقف الجنف والاثم) التى سبقت الاشارة اليها أن قسما من النجديين كان يتحايل بطريق الوقف أو الهبة أو القسمة لحرمان النساء من حقهن، وبيّن رحمه الله أن ذلك " من أعظم المنكرات وأكبر الكبائر، وأنه تغيير لشرع الله ودينه، والتحيل على ذلك بالتقرب اليه، وذلك مثل أوقافنا هذه اذا أراد أن يحرم من أعطاه الله من امرأة أو امرأة ابن أو نسل بنات أو غير ذلك"(٢).

ورغم الآثار الايجابية لهذا الوقف بصرفه فى أوجه الخير العامة الا أن الشيخ نظر اليه على أنه امتهان لكرامة المرأة وسلب لحقوقها مما اضطره الى بسط الكلام فيه مشددا النكير على فاعله، والمفتى بجوازه مقيما الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وفعل الصحابة على بطلانه، واعتبر ذلك من التحايل على الله بالتقرب اليه، مشيرا الى اختلاف السلف فى الوقف الذى يقصد به وجه الله على غير من يرثه، فقال فى ذلك: " وأما مسألتنا فهى اذا أراد الانسان أن يقسم ماله على هواه وفر من قسمة الله، وتمرد عن دين الله، مثل أن يريد أن امرأته لا ترث من هذا النخل ولا تأكل منه الا حياة عينها، أو يريد أن يزيد بعض أولاده على بعض فرارا من وصية الله بالعدل أو يريد أن يحرم نسل البنات، أو يريد أن يحرّم على ورثته بيع هذا العقار لئلا يفتقروا بعده، ويفتى له بعض المفتين أن هذه البدعة الملعونة صدقة بر تقرب الى الله، ويوقف على هذا الوجه قاصدا وجه الله فهذه مسألتنا"(٣).

---

(١) ابن غنام: روضة الأفكار ١/ ٧، د. الشبل: الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب ص ١٣.

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية ٧٨، ٧٩

(٣) المصدر السابق ٧٨

الى أن قال : " فاذا شرع الله لهم أن يوقفوا أموالهم على أولادهم ويزيدوا من شاءوا ، أو يحرموا النساء والعصبة ونسل البنات فلأى شىء لم يفعل ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأى شئ لم يفعله التابعون ، ولأى شئ لم يفعله الأئمة الأربعة وغيرهم ؟ أتراهم رغبوا عن الأعمال الصالحة ، ولم يحبوا أولادهم ، وآثروا البعيد عليهم ، وعلى العمل الصالح ، ورغب فى ذلك أهل القرن الثانى عشر" (١) .

ولئن كانت المسألة خلافية بين الفقهاء كما مر فانه فى اطار النظرة المتدنية للمرأة عند بعض حضر نجد قبل الدعوة وجد أناس يستغلون الرأى الفقهى الذى لايرى دخول الزوجات والبنات ونسلهن فى أى وقف أو وصية يوصى بها الا بقرينة أو نص صريح من الواقف أو الموصى ، ومن دوافع هؤلاء الرغبة فى أن تعم أفعال الخير قطاعا عريضا من المجتمع مع أن هذا يتعارض مع قول الله عز وجل : " كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت أن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين" (٢) .

---

(١) المصدر السابق ٧٩

(٢) البقرة آية ١٨٠ ، وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدى فى تفسير هذه الآية بعد ذكره اختلاف المفسرين فيها : " الأحسن أن يقال : ان هذه الوصية للوالدين والأقربين مجملة ردها الله تعالى الى العرف الجارى الى أن قال : " وبقى الحكم فيمن لم يرثوا من الوالدين الممنوعين من الارث وغيرهما ممن حجب بشخص أو وصف ، فان الانسان مأمور بالوصية لهؤلاء وهم أحق الناس ببره" وقال سيد قطب : " وحكمة الوصية لغير الورثة تتضح فى الحالات التى توجب صلة القرابة البر ببعض الأقارب على حين لا تورثهم آيات المواريث لان غيرهم يحجبهم ، وهى لون من ألوان التكافل العائلى العام فى خارج حدود الوراثة ، ومن ثم ذكر المعروف ، وذكر التقوى فلا يظلم فيها الورثة ، ولا يهمل فيها غير الورثة" (عبد الرحمن بن سعدى : تيسير الكريم الرحمان فى تفسير كلام المنّان ، مطابع الدجوى ، القاهرة نشر المؤسسة السعدية بالرياض ١/٢١٧ ، ٢١٨ ، سيد قطب : فى ظلال القرآن ١/٧٢ ، ٧٣) .

وقد كانت النظرة الواقعية للمرأة هى الغالبة فى المجتمع الحضرى ، فرغم أن تلك النظرة القاتمة قد وجد لها مؤيدون فان قسما كبيرا من النجديين ينظر الى المرأة من خلال ماتتحلى به من خصال حميدة وماقد يوجد عند بعض النساء من خصال مذمومة ، والمرأة فى هذه النظرة لا يختلف وضعها عن وضع الرجل الا باختلاف الخصائص بينهما ، وقد أكد حميدان الشويعر هذه النظرة الواقعية باختلاف النساء ، وان كان قد قسا فى اختيار الألفاظ تماما كما قسا على المرأة فى أبيات أخرى وعلى فئات أخرى من المجتمع الا أن أبياته التالية تشير الى أن النظرة العامة فى المجتمع نحو المرأة تختلف باختلاف طبيعتها وأخلاقها حيث يقول فيها :

وبالنسوان من هى شبه صفراء . ولدها بالشبه تعرف مهاره
وبالنسوان من هى مثل باقر ... ولدها بيين غيه الثوارة
ولا للبوم يوم شيف صيد .. ولا شيفت بقرة بالمعارة
وبالنسوان من جنس الفواسق .. ولدها جرذى من نسل فارة
وهذا من اله الناس قسمة .. وطبع العبد ماهو بختياره (١)

وتبعا لتلك النظرة الواقعية فقد كان قطاع عريض من المجتمع يكرم المرأة ويضعها فى مكانها اللائق بها أما أو زوجة أو أختا أو بنتا ، ومامن شك أن ذلك منطلق من نظرة الاسلام نحو المرأة ، ولئن كان تكريم

---

(١) النسوان : بكسر النون جمع امرأة من غير لفظها ، صفراء : فرس بيضاء ، مهارة : جمع مهرة وهى ولد الفرس ، باقر : لغة فى البقرة الثوارة : الهيجان أو البلادة أو الحمق والجنون ، شيف : رئى المعارة : أرض المعركة ، الفواسق : جمع فاسق أو فاسقة وهى الفأرة جرذى : نوع من الفئران ويجمع على جرذان ، (الفيروزابادى باب الراء فصل الباء والثاء وباب الواو والياء فصل النون) . وعن الأبيات خالد الفرج ١/ ٥٠ ، ٥١ ، محمد سعيد كمال ٩/ ٣٤ ، ٣٥

الأم والبر بها أمرا لازما ومقررا عند النجديين وغيرهم فانه في تلك الفترة يعد علامة بارزة لاثبات الرجولة والأصالة والوفاء، اذ أن أي تساهل في هذا البر يجعل الانسان يعض أصابع الندم، وتصور قصيدة الكليف(٢) التي تبلغ سبعة وستين بيتا جانبا من مظاهر هذا التكريم والبر، ومناسبة هذه القصيدة تضفي عليها طابعا شعوريا يتسم بالتوجع في قلب الشاعر اذ أنه قالها بعد ما خرجت من بيته لتسكن عند أخيه الذي يصغره سنا، ويبدو أن ذلك بسبب عتاب أو غضب منها عليه مما جعله يبدي تأثره الشديد بهذا العتاب أو الغضب ويتحسر أشد الحسرة على ذلك الخروج ، ومما قال في هذه القصيدة:

الى الله مشكى ليعة ما درى بها .. جماد ولاعند البرايا حكى بها
كنيتها بالقلب والقلب ماصبا .. يوم عليها والمقاسي صليبها
على الولف والفرقا غياويل من غدا .. بفراق من أمه بتالي مشيبها
جفتني وعافتني ونسيت جمايلي .. وزهدت بنفسي يوم قصر نصيبها
ليتني مع الموتى تقدمت مارأت .. عيني افراق اللي عسى الله يثيبها
وياخذ باياديها الى هي على البقا .. مع طول عمر فيه وأنا حبيبها
الى عاد مايشفق على العبد والده .. ويرفا لخملات الضنا عن معيبها
فلا الناس ارحم بالفتى من كريمه .. تراني بدنيا قد شباني دبيبها
فلاهزني أو حل بالحال مثلما .. سيرة اسوات أمي بمن يختشي بها
على غير مزعول زعلها فغاضني .. تيمم هواها داري غيري وهي بها
هي نور عيني ثم روحي ونعشتي .. وهي النفس واسقام حالي غطيبها
وهي الرجا والخير في شوف من عسى .. ربي بعلم اسرار لطفه يجيبها
وياذن بجمع لامها لي على الرجا .. بحسن الرضا معنا عسى اليوم طيبها
من هولها مثلي الى خش مانظر .. بالبيت غير أمه وجايحتضي بها
عن من ربي عنده بلطف الي حكى .. معها وهي بالود ماينصخي بها
عندي ولو تنسام في موسم الغلا .. وتحكم بغالي الروح حيث اشتري بها

---

(١) سبق التعريف به في الفصل الأول من الباب الأول

لو كنت من عقب الغلا شفت قيمتي .. رخصت وقدري صارماينتهي بها
حناها الكبر عنده وصارت لكنها .. كما فخ حبال بالايدى حنى بها
يدخل يحب الراس والعين واليدا .. والى ظهر للسوق ماش بريبها
مع ذا يوادعها بلطف كأنها .. مامونة بسدود من يصطفي بها
ولا هو كثير عاد مني ولول جرى .. هذا وهو من طيب صافي حليبها (١)

وتمضى القصيدة على هذا المنوال فهى جزلة المعانى قوية الألفاظ ثرة بالأساليب العاطفية تجاه الأم ومن هنا فهى تعد من غرر الشعر

---

(١) مشكي : شكوى : الليعة : حرقة القلب ، كنيتها : أخفيتها وسترتها ماصبا : ماجهل وماعمل مايشين ، المقاسي : المعانى من شدة : صليب شديد وقوى ، الولف والألف : القرب والاجتماع والوصل ، الفرقا : الفراق جفتني : الجفاء ضد الصلة ، عافقتني : كرهتني ، عسى الله يثيبها : يجزيها الثواب ، الى عاد : اذا ، يرفا : من الرفو وهو ازالة الفزع والمداراة ، خملات : جمع خمل وخملة وهى هنا المعايب الضنا : الولد ، شباني : علاني وأمسك بى ، دبيبها : جمع دبيب وتطلق على النمل وسائر الحشرات القارصة ، سيرة : طريقة ، اسوات : هى تحريف لسواءة وسواية والمقصود فعل مايكره ، مزعول : من الزعل وهو الغضب ، وغاضني : صحتها بالظا وليس بالضاد من الغيظ وهوالغضب نعشتي : من الانتعاش وهو رفع الرأس أى سبب عزتي ، عطيبها : لعلها من العطب وهو الهلاك والمعنى واسقام حالى سبب هلاكها ، شوف : رؤية ، يجيبها : مركبة من كلمتين : يجئ ، بها ، وحذفت الهمزة ووصلت الياء بالباء ، اللام : القرب أو الاجتماع ، طيبها : أصفاها ، خشي : دخل " فصيحة " ، ينصخى بها : تبذل وتعطى بأريحة تنسام : تطلب للبيع ويعرض فيها ثمن ، تحكم : يطلب فيها سعرا مرتفعا ، حناها الكبر : أى احدودب ظهرها وأضعفها الكبر ، لكنها : تخفيف لكأنها ، كما فخ حبال : تشبه مصيدة الصائد حينما تحنى بالأيدى ، يدخل يحب الرأس الخ : اذا دخل قبل رأسها وعينيها ويديها واذا خرج ودعها بلطف ، ولا هو كثير الخ : أى أن مافعله

(=)

العامي (١) اذ أن توجع قلب الشاعر وتحسره جعله يبدى استعداده لبذل الغالى لارجاعها الى منزله أو الحوز منها برضيجعل قلبه يطمئن ومشاعره المتأججة تهدأ ، ولا توضح لنا القصيدة هل تم شئ من ذلك أم لا ولكنها على أى حال تعطى تصورا واضحا لما تلقاه الأم فى المجتمع النجدى من بر وصلة ، وهيبة نحو المساس بمكانتها العالية كيف لا وقد قرن الله عز وجل رضاه برضا الوالدين ، ومن هذا المنطلق فان الاحسان الى الوالدين مرتبط بعبادة الله عز وجل ، والى هذا المفهوم المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية أشار الشاعر بقوله :

وغضى نظير الطرف عنها كرامة .. وكسرى جناح الذل خوفى حسيبها
حيثه على حث الرضا قال : من بغى .. يرضين يرضي والده وارتضي بها
ولى جنة بالفوز للناس بها .. باقدام والد حي من حضى بها (٢)

(=) مع والدته من بر ليس بكثير عليها فهى تستحق أكثر من ذلك لانها أرضعته الحليب الصافى :
(الفيروز ابادى والزبيدى : باب الباء فصل الدال ، وباب الشين فصل الخاء ، وباب الظاء فصل الغين ، وباب العين فصل اللام ، وباب الواو والياء فصل الراء ، وعن الأبيات : أبابطين ٩٩ ، ١٠٠ ، الحاتم ١ / ٥٣ ، ٥٤ ، وتختلف رواية بعض كلمات القصيدة بينهما كما أن الحاتم اسقط البيت : " على الولف والفرقا " .

(٢) وان جزالة ألفاظها لتقربها من الشعر الفصيح حيث من السهل تحويلها الى الفصحى .

(٣) غضى : خفضى ، نظير الطرف : الطرف يطلق على العين والنظير والناظر النقطة السوداء وسطها ، وغضها كناية عن الحياء ، وكسر جناح الذل أو خفضه كناية عن التواضع ، وخوفى حسيبها خوف محاسبتها ، والشطر الثانى فيه اقتباس لفظى من قول الله عز وجل عن الوالدين : " واخفض لهما جناح الذل من الرحمة الآية ٢٤ الاسراء " حيثه على حث الرضا : على الحث على الارضاء ، وضرورة الشعر الجأته الى حذف أل التعريف وحرف الجر ، وفى الأبيات اشارة الى الآيات والأحاديث الدالة على البر بالوالدين . عن الأبيات : أبابطين : ١٠١ ، الحاتم ١ / ٥٥ .

ثم يدعو الله أن يهدى أمه لتعذره وتصفح عنه وتعود اليه فيقول :

يهدا جناب أمي عن الغيض بعد ما .. نحتني بلام البعد وأنا التوى بها

وابرم دواليب الرضا حيث قصـرت .. حرقات نفسى عن ملاقا ثويبهـا

بجاش غدى للدوب ياعين منتهـى .. فياعين ابكي عين من ينبكي بهـا

ابكي على من شرّف الله قدرهـا .. بالدمع دم ثم هلى سكيبهـا

هلى دموع مهملات على الجفـا .. لو قرحت من طول هيامي صبيبهـا

أمي سراج البيت ياعين بالكـرى .. تلفي نجوم قاصدات مغيبهـا

ربيت وربتني على طول مابقـى .. وعند التناهي صرت فيها حريبهـا

والله قسم ثم والله ماسـدا .. على باكود من فراقي جنيبهـا

لكن ذا أمر من الله كاتبـه .. على العبد وارجى من الهي يجيبها (١)

---

(١) لام البعد : شدته وقسوته ، وأبرم دواليب الرضا : أى أرجع رضاهـا السابق ، الجاش: بهمزة أو بدونها هو رواع القلب ، الدوب ، التعـب هلى : هلت العين : سالت بالدمع ، سكيبها : ماينذرف بسرعـة بسرعة وكثرة ، مهملات: من هملت الدموع بمعنى فاضت وسالـت باستمرار ، الجفا : هى الجفان بحذف النون لضرورة الشعر الا أن صحتها اجفـان وجفون جمع جفن وهو غطاء العين من أعلـى وأسفل ، لو قرحت من طول هيامي صبيبها : أى لو آلمني صبيـب تلك الدموع من طول وشدة محبتي لوالدتي ، وعند أبابطين" هامـى حبيبها" ولعلها خطأ مطبعي اذ مافي " خيار مايلتقط" هو المتناسق مع القصيدة ومناسبتها ، الكرى : النوم أو الليل ، وقد وردت عنـد عند أبابطين الكبرى ، وتلفي : تلقي وقد وردت الأولى عند الحاتـم والثانية عند أبابطين ، سدا : اما أن تكون من التسدية بمعنى التتابـع فالمعنى تكرار القسم أو بمعنى لم يكف القسم اذ جاءت معها ماكمـا عند الحاتم ، أكود : أصعب أو أكلف ، أرجى: الأفصح أن يقول : أرجـو (الفيروزابادى : باب الباء فصل الدال والسين ، وباب الشين فصـل الجيم ، وباب اللام فصل الهاء ، وباب الميم فصل اللام ، وباب الـواو والياء فصل الكاف) وعن الأبيات أبابطين ١٠١ ، الحاتم ١/ ٥٥

ولقد كان لبعض مؤرخي نجد في تلك الفترة اسهامات واضحة في ابراز النظرة الواقعية نحو المرأة ولاغرو في ذلك فأغلب مؤرخي تلك الفترة على درجة من العلم الشرعي ، وعلى الما م كامل بمكانة المرأة في الاسلام، وقد تمثلت تلك الاسهامات في ايضاح حكم الشرع في كثير من المسائل التي لها مساس بالمرأة وذلك في مؤلفاتهم الفقهية مما قد يرد جانب منها في الفصل الثالث من هذا الباب فيما يخص العادات المرتبة بالزواج والطلاق وما اليها ،أما في المؤلفات التاريخية فقد تمثلت في رصد بعض الأخبار المتعلقة بالمرأة والتي يلمح المطلع عليها أن تكريم المرأة قد تزعمه العلماء والمؤرخون في تلك الفترة نظرا لكونهم هم الفئة الواعية في المجتمع والحريصة على توجيه عادات الناس وتقاليدهم وفق أحكام الشرع.

ويعد المنقور من أبرز مؤرخي نجد الذين حرصوا على تضمين نبذهم التاريخية جانبا من أخبار المرأة سواء كانت أما أم زوجة أم أختا أم بنتا وذلك في حالات الولادة والزواج والوفاة فكما ذكر تاريخ وفاة والده في سنة ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م فانه كان قد أورد وفاة والدته واسمها غالية - سنة ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م، كما أنه ذكر ولادة أخته سلمى سنة ١٠٨٣هـ/١٦٧٢م، وذكر زواجه الثاني بامرأة أشار اليها بابنة رويشد سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٨م ، وفي ٢٥/٢/١١٠٦هـ الموافق ٨/١٠/١٥٩٧ أورد خبر ولادة ابنته الأولى التي سماها على اسم والدته - غالية - ،أما ابنته الثانية (هيفاء) فقد ولدت في ١٠ رمضان سنة ١١١٣هـ الموافق ٩/٢/١٧٠٢م ، كما ذكر خبر ولادة ابنته الثالثة (موضي) في ١٩ / رمضان سنة ١١١٦هـ الموافق ١٧ يناير ١٧٠٥م (١).

اما ابن ربيعة فرغم أنه لم يمدنا الا بمعلومات يسيرة عن حياته الاجتماعية حيث ذكر أخبار ولادة بعض ابنائه وأحفاده الذكور فقط، رغم ذلك

---

(١) المنقور: التاريخ ١١،١٢،٥٣،٥٦،٦٦،٧٠،٧٦،٧٩.

فقد أشار الى بعض أخبار الزيجات فأورد سنة ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م زواج الشيخ سليمان بن على بفاطمة بنت أحمد بن بسام، كما ذكر سنة ١٠٨٨هـ/١٦٧٧م خبر زواج شخص اسمه عبد الله بن سويلم على امرأة اشار اليها ببنت فوزان (١) .

ولئن كانت تلك الاخبار النسائية وأمثالها قد تبدو عادية فان رصدها فى مجتمع شديد الحافظة والحساسية فيما يتعلق بالمرأة من قريب أو بعيد بحيث تتحرج فئات منه من ذكر أخبار النساء وأسمائهن، هذا الرصد يعد علامة وعى اجتماعى حرص العلماء والمؤرخون على ابرازها تجنيبا للمجتمع عن الحساسية المفرطة ازاء قضايا المرأة، وتعويدا له على عدم اهمالها، وعلى تكريمها فى اطار التكريم الاسلامى لها .

نساء شهيرات:

وقد أتاحت تلك النظرة المستمدة من نظرة الاسلام نحو المرأة أن يبرز عدد من النساء النجديات فى تلك الفترة فى بعض المجالات الاجتماعية تماما كما برزت نساء فى تاريخ العرب قبل الاسلام وبعده، كما برزت نساء كذلك عند بدو نجد فى تلك الفترة .

ومن أبرز النساء اللاتى أشار اليهن التاريخ النجدى فى هذا المجال زوجة الأمير عبد الله بن محمد بن معمر أمير العيينة (٢)، فقد هجا حميدان الشويعر هذا الأمير أو أنه نسب اليه بعض الوشاة أبياتا مما كان يقوله حميدان

---

(١) ابن ربيعة ص ٢١ من مقدمة المحقق، ٦٥، ٧٠

(٢) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حمد بن محمد بن حسن بن طوق آل معمر من العناقر من بنى سعد من تميم تولى امارة العيينة سنة ١٠٩٦هـ/١٦٨٤م ومكث فيها اثنتين وأربعين سنة وهى مدة طويلة أتاحت له النهوض بامارة العيينة حتى كبرت وازدهرت وخطبت ودها قبائل نجد وبلدانها وتوفى فى أواخر عام ١١٣٨هـ/١٧٢٦م . (المنقور ٦١، ابن ربيعة ٨٣، ٨٩، الفاخرى، ١٠٠، ابن بشر ٢١٦/٢، ٢٣٦، ابن عيسى ٦٩، ٩٨، البسام: تحفة ٧٩، ١٠٣) .

فى الهجاء مما حدا بهذا الأمير أن يهدر دم حميدان الذى كان يعلم مكانة تلك المرأة التى لم تسعفنا المصادر باسمها حيث استجار بها خفية فشفعت له عند زوجها فعفا عنه وكساه وأجازه مما كان منه الا أن مدحه بقصيدة تزيد على الستين بيتا تعد من أروع ماقاله حميدان ومطلعها :

الأموال ترفع من ذراريه خانسه .. والقل يهفى مارفع من مغارسه (١)

وما كان ابن معمر - وهو المشهور بقوة البأس - أن يقبل شفاعة امرأة لمجرد أنها زوجته بل من المؤكد أنها فعلت ذلك بما تملك من ميزات أهلتها لهذه المكانة عند زواجها ، ولتشكيكها فى صدق الواشين بحميدان فقد حملت زوجها الأمير على قبول هذه الشفاعة ومنح الشاعر هدية اثر ذلك (٢) ومن المعتقد بروز أعمال اجتماعية أخرى لهذه السيدة الا أن المصادر النجدية المتنوعة بخلت علينا بذكرها كما لم تشر الى أن حميدانا قد مدحها بقصيدة تبين شيئا من هذا الجانب ، ولعله خاف من ابن معمر أن يعد هذا تشبيبا بزوجته ، وربما كان قد قصدها ضمنا فى مدحه لبعض النساء الذى مرحين قال :

وبالنسوان من هى شبه صفرا .. ولدها بالشبه تعرف مهاره

ومن فضليات النساء وشهيراتهن فى تلك الفترة الجوهرة بنت عبد الله بن محمد بن معمر (الأمير السابق) ، وليس من المعروف هل

---

(١) الذرارى ، والذريات جمع ذرية وهم أولاد الانسان فهو جمع لجمع خانسه : انخنس تأخر وتخلف ، ومنه قول الله عز وجل " من شر الوسواس الخناس" سورة الناس آية (٤) فهو على هذا المتخلف أو الكسلان ، القل بكسر أوله هو الفقر والاملاق ، يهفى : يضع ، مارفع من مغارسه المقصود النخيل حيث يطلق عليه الغرس والمعنى ان الفقير يضيع زراعته بسبب الفقر والدين . (الفيروز ابادى والزبيدى باب السين فصل الخاء ، وباب الواو والياء فصل الذال ، وعن البيت : خالد الفرج ١ / ٥١ ، ابابطين ٦٧ وروى (خانسه) حائلة ، ومثله الحاتم في خيار مايلتقط ١ / ١٤٢ ، الازهار النادية ٩ / ٣٥ .

(٢) البسام : تحفة ٧٩ ، الفرج ١ / ٥١ ، الازهار ٩ / ٣٥ .

كانت المرأة السابقة أما لها أم لا ، الا أن المهم أن المصادر النجدية أشارت الى ثلاثة أدوار رئيسية للجوهرة جعلتها تحتل مكانة في التاريخ النجدي لا تقل مكانة عن المرأة السابقة بل فاقتها في ذلك ، وهذه الأدوار هي :

١- أنها كانت سببا في انقاذ حياة محمد بن سعود الذي قام بنصرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نشر دعوته ، ولعل الله سبحانه وتعالى قد أراد لها أن تقوم بهذا العمل حتى يؤدي ابن سعود عمله العظيم ، في احتضان الدعوة ومؤازرة صاحبها .

ففي سنة ١١٣٨هـ/ ١٧٢٦م أصاب العيينة وباء شديد أفنى كثيرا من رجالها وعلى رأسهم أميرها السابق عبد الله بن معمر ، فطمع زيد بن مرخان (١) في أموالها وأراد نهبها فسار اليها مع بعض بوادي العارض ، الا أنه وهو في الطريق أغراه أمير العيينة الجديد محمد بن حمد بن معمر الملقب (خرفاش) (٢) بأن يرضيه بالأموال بدون قتال ولا نهب من البوادي التي

---

(١) هو زيد بن مرخان بن وطبان بن ربيعة بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المردي الوائلي ، تولى امارة الدرعية بعد وفاة أميرها سعود بن محمد بن مقرن سنة ١١٣٧هـ/ ١٧٢٥م ، ولم يجلس في الامارة الا سنتين حيث قتله خرفاش سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م (الفاخري ٦٠ ، ٧٣ ، ٨٦ ، ١٠٠ ، ابن بشر ٢ / ٨ - ١١ ، ١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨٩ - ١٩١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ابن عيسى : ٣٦ ، ٤٥ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٩٧ ، ٩٩ ، البسام : تحفة ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، محمود الألوسي اخبار بغداد وماجاورها من البلاد ، مخطوط ٢٢٤-٢٢٧) .

(٢) هو محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر ، لقب بخرفاش ، والمخرفش المخلط ، ورجل مخرفش وخرفاش بين الخلاطة أي متسرع ، والخرفاش من التمر هو مالا وزن له ولا مذاق ولعل فيه شي من ذلك - تولى امارة العيينة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م بعد وفاة جده وعمه عبد الرحمن ، غدر بأمير الدرعية في الحادثة السابقة ، كما عزل الشيخ عبد الوهاب ابن سليمان - والد الشيخ محمد - عن قضاء العيينة اثر نزاع بينهما قتل سنة ١١٤٢هـ/ ١٧٢٩م على يد آل نبهان من آل كثير من بني لام وتولى بعده أخوه عثمان (الفيروزابادي والزبيدي باب الشين

(=)

معه ، ففرق زيد من معه من البدو، وسار اليه بأربعين رجلا منهم محمد بن ابن سعود ،فأدخلهم بن معمر في قصره وأوكل رجالا أن يقتلوا زيدا مع بعض رجاله، فلما تم ذلك خاف محمد بن سعود ومن معه وتحصنوا أحد مواضع القصر، وطلب منهم خرفاش النزول فرفضوا خشية أن يلقوا مصير زيد ، ولما ألح عليهم جددوا رفضهم مهما أعطاهم من أمان الا أن يكون تحت أمان الجوهرة هذه، فما كان منها الا أن أعطتهم ذلك فنزلوا سالمين ، ورحلوا الى الدرعية ، وتولى بن سعود امارة الدرعية بعد زيد بعد أن تم توسيع نطاقها بضم بعض المناطق المجاورة لها (١).

ورغم أن المصادر النجدية لم تشر قبل ذلك الحدث أو بعده الى مكانة هذه المرأة في أسرتها ، الا أنه بتتبع الاحداث ومقارنتها بعضها ببعض يتبين أنها عمة للأمير (خرفاش) لانه كان حفيدا للأمير عبد الله بن معمر من ابنه حمد ، ومنذ عهد أبيها الى عهد ابن أخيها استطاعت أن تتبوأ مركزا مرموقا في أسرتها وتتمتع بسمعة اجتماعية خاصة في العيينة.

٢- قبول هذه المرأة الزواج من الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع أنه كان قد تزوج في سن مبكرة من عمره بناء على رغبة والده - ولم تشر المصادر الى طلاقها أو وفاتها -، وتأتي أهمية هذا الدور من أن قبولها

(=) فصل الخاء، ابن ربيعة ٨٩، ٩١، الفاخري، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ابن بشر ١/ ٢١، ٢/ ١٠، ٢٣٦ - ٢٣٨، ٢٤٠، ابن عيسى ٣٨، ٣٩، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، البسام: تحفة ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥).

(١) ابن بشر ٢/ ٢٣٧، البسام ١٠٣، ١٠٤، حمد الجاسر: المرأة في حياة امام الدعوة. بحث قدم لاسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونشر ضمن بحوثه التي طبعتها ونشرتها جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ١/ ١٧٠، ١٧١.

الزواج من الشيخ كان بعد أن تبلورت الدعوة في ذهنه وبدأ تنفيذها وبعد أن أطلت المعارضة النجدية برؤوسها ضد الشيخ ودعوته محاولة قتله، وقبولها هذا الزواج رغم زواجه السابق ورغم وضوح الدور العظيم الذي سيقوم والذي سيكلفها معه جهدا عظيما، قبولها هذا الزواج يعني أنها كانت على استعداد تام للتضحية معه في سبيل دعوته رغم العقبات التي ستلاقيه [(١)]، وأنها كانت ترى في نفسها خير معين له في حركته المباركة [(٢)].

واذا كان من الواضح أن هذا الزواج قد تم بعدما اقتنع ابن أخيها عثمان بن حمد بن معمر [(٣)] بمبادئ الدعوة مما يتوقع أن يكون له تأثير عليها في اتمام هذا الزواج فانه لولا اعجابها بامام الدعوة، وتقديرها للجهد الذي ستقوم به معه لما رضيت اتمام هذا الزواج خاصة وأن عثمان لايملك ارغامها على هذا الزواج لمكانتها الكبيرة في الأسرة ولانها عمته

---

(١) ولعل اخراج ابن أخيها الامير عثمان للشيخ كان من أهم العقبات التي واجهتها مع الشيخ بما يحمل من ضغوط نفسية.

(٢) وقد وهم الشيخ حمد الجاسر حينما قرر في بحثه السابق (١٦٩) أن الشيخ محمد لم يتزوج قبل الجوهرة أي بعد أن بلغ الثامنة والثلاثين من عمره، وبعد أن انتقل الى العيينة ووفاة والده عام ١١٥٣هـ/١٧٤٠م مع أن جل مؤرخي نجد قد ذكروا أنه قد تزوج في سن مبكرة على خلاف بينهم هل كان ذلك قبل حجته الأولى ام بعدها. (ابن غنام ١/٢٥، ٢٦، عبدالرحمن آل الشيخ: مشاهير علماء نجد ١٧، عبد الله البسام: علماء نجد ١/٢٧، عبد الله العثيمين: الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٣٠، حسين خزعل: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٥٦، ٥٩، أحمد آل طامي: الشيخ محمد بن عبدالوهاب ١٥، مجلة العربي عدد ١٤٧ ذو الحجة ١٣٩٠هـ/فبراير ١٩٧١م ص ٢٦ من مقال للشيخ حسن آل الشيخ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢٦).

(٣) هو عثمان بن حمد بن عبد الله بن محمد بن معمر تولى امارة العيينة بعد مقتل أخيه، استقبل الشيخ في عودته الى مسقط رأسه - العيينة - اثر وفاة والده وأعلن قبول دعوته، وقام معه بتطبيق بعض مبادئها

(=)

وليست ابنتــــه . (١)

ولئن لم تشر المصادر بالتفصيل الى الأدوار التى قامت بهـــا هذه المرأة فى سبيل الدعوة بعد زواجها فمن المؤكد أنها قامت بأعمـــال كبيرة فى سبيل نشر هذه الدعوة سواء فى مرحلتها الثانية أم الثالثة فـــى أوساط النساء .

٣- تقوية الصلة بين زوجها الشيخ محمد وبين ابن أخيها الأميـــر عثمان ، فرغم أن هذا الأمير قد قبل مبدئيا الدعوة السلفية ، فان من المؤكـــد أن علاقة الاثنين قد ازدادت توطدا بهذا الزواج الذى يبدو أن الشيـــخ محمد كان حريصا عليه لا لشهرة آل معمر فى المجتمع فحسب فأسرتـــه كذلك لها شهرة عالية فى هذا المجتمع، بل لسمعة الجوهرة الاجتماعيـــة الخاصة بها الذى مر جانب منه ، ويبدو أن الشيخ كان يعتقد أن هـــذه

(=) فى أصول الدين وفروعه حتى جاءه الضغط الخارجى من حاكـــم الاحساء لاخراج الشيخ من العيينة ففعل ، ثم مالبث أن جاء الـــى الدرعية معتذرا من الشيخ طالبا العودة فاعتذر هو والامام محمـد ابن سعود ، ثم وفد الى الدرعية مبايعا مع بعض أهل العيينـــة ، واشترك فى بعض الغزوات فى جيش الدولة السعودية بل عين فى بعض الفترات قائدا عاما لهذا الجيش، قتل سنة ١١٦٣هـ/١٧٥٠م على يد بعض أهل العيينة المؤيدين للدعوة وأمر الشيخ بعـــده فيها مشارى بن ابراهيم بن عبد الله بن معمر (ابن ربيعة ٩١ ، حسن الريكى : لمع الشهاب ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ - ٣٢ ، ٣٧ ، حسيـــن خزعل ٨١-٨٣ ، امين سعيد : سيرة الامام الشيخ محمد بـــن عبد الوهاب ٢٢ - ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ، عبد الله البسام: علماء نجـــد ١/ ٢٣٩ - ٢٤٣ ، د. عبد الله الشبل : الشيخ الامام محمد بـــن عبد الوهاب ٤٤-٤٦ ، د. عبد الله العثيمين ، المرجع السابق ٤٦-٦٠ ، ٦٨ ، تاريخ المملكة العربية السعودية ٧٠ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ٩٥) .

(١) وقد وهم مؤلف كتاب " كيف كان ظهور شيخ الاسلام محمد بـــن (=)

السمة ستؤثر على انتشار دعوته ولو فى العيينة بشكل مبدئى .(١)

ومن هذا المنطلق فان من المؤكد أن هذا الزواج قد وفر جوا مناسبا وهادئا للشيخ محمد للصدع بدعوته فى العيينة هذا مع ماكان يتمتع به الشيخ نفسه من سمعة حسنة سواء فى شخصه أم فى أسرته .(٢)

ولعل من أبرز النساء الشهيرات فى المجتمع النجدى والدة الشيخ نفسه ابنة محمد بن عزاز من آل مشرف(٣) ، وقد شحت علينا المصادر باسمها وأخبارها ، الا أن أسرتها أسرة علم من بلد العلم (أشيقر) ، ومن المعتقد أن لها دورا رئيسا فى توجيه ابنها منذ صغره الى الاهتمام بالأمور الدينية وتربيته التربية الصالحة ، ومن المؤسف أن الشيخ نفسه لم يشر لها لا من قريب ولا من بعيد الا أن من يعرف طبيعة المجتمع النجدى وتحفظه فى ذكر الأعمال التى تقوم بها المرأة يدرك الى أى مدى كانت تؤثر فيه ، ولكن بستر وهدؤ ، ومما لا شك فيه أن الشيخ قد اكتسب من والدته كما أفاد من والده الكثير من الخصال الحميدة فى بيت جعل الاهتمام بالأمور الشرعية هاجسه الأول .(٤)

ورغم أن زوجة الأمير محمد بن سعود موضى بنت أبى وهطان(٥) قد برز

(=) عبد الوهاب " (ص ٥٤ ، ٥٥) حينما ذكر أنها أخت عثمان .

(١) د . العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٤٧٠ ، تاريخ المملكة ٧١ ، حمد الجاسر : المرجع السابق ١ / ١٧١ .

(٢) د . العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٤٧ ، ٧١ .

(٣) سبقت ترجمة أخيها سيف بن محمد بن عزاز فى الفصل الأول من الباب الثانى .

(٤) البسام : علماء ١ / ٢٦ ، ٣٢٩ ، الجاسر : ١ / ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٥) هى موضى بنت أبى وهطان من آل كثير من بنى لام ، وقيل انها من الفضول من بنى لام كذلك ، وقد أطلق عليها بعض الذين كتبوا عن تاريخ نجد من غير أهلها بنت أبى وحطان ، كما أطلق عليها الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ بنت أبى وطبان كما وجدت فى احدى نسخ ابن بشر (١ / ١٤ ، ١٥) أغرب فيها المعلق حينما قال : " لعلها بنت محمد بن سويلم" ابن بشر ١ / ٢٤ ، الجاسر ١ / ١٦٤ ، ١٦٥ ، أمين سعيد ٢٨ وقد سماها موضى بنت وطبان) .

دورها الواضح فى تسهيل اقتناع زوجها بدعوة الشيخ محمد مما قد لا يدخل فى فترة هذا البحث الا أن من المعتقد أن هذا الدور لم يأت وليد ساعته بل كان نتيجة لما كانت تتمتع به هذه المرأة من نفوذ قوى فى امارة الدرعية قبل مجئ الشيخ اليها، فقد أثر عنها أنها كانت صاحبة عقل ودين ومعرفة وامرأة عندها هذه الصفات الكريمة لابد أن يكون لها أثر واضح فى مختلف مجالات الحياة فى هذه الامارة، اذ أن المرأة العاقلة الحكيمة تملك التأثير على زوجها حتى فى أخطر الأمور ومهما كانت قوة شخصية هذا الزوج (١) .

وبعد : فقد كانت المرأة النجدية - رغم نظرة بعض الفئات المجحفة تجاهها - تقف الى جانب الرجل فى محاولة التغلب على ظروف الحياة القاسية فكانت تقوم بكل شئون المنزل وتربية الأطفال، فضلا عن العمل فى الزراعة أو الاعتشاب وجمع الحطب من الصحراء، أو الرعى، والمساعدة فى مجالات الانتاج المختلفة مع اسلامها القيادة العامة للرجل، واعترافها له بحق القوامة وأعبائها كما قررها الاسلام (٢).

جـ : وضع الرقيق ونظرة المجتمع لهم :

لقد كان المجتمع النجدى بادية وحاضرة يحصل على الرقيق من مصادر شتى، حيث تشكل سواحل افريقية الشرقية أكثر هذه المصادر امدادا لنجد - بل ولغيرها - من الرقيق فمن زنجبار تبحر السفن محملة بالرقيق

---

(١) ابن بشر ١/ ٢٤، ابراهيم عبيد : تذكرة أولى النهى والعرفان ط (١) مطابع النور: الرياض ١/ ٣٠، ٣١، الجاسر ١/ ١٦٤، ٦٥.

(٢) د. العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١٣، ١٤، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى نجد. الدارة ع ٣/ س ٣ شوال ١٣٩٧هـ/ سبتمبر ١٩٧٧م ص ٢٣.

الى منطقة الخليج وخاصة الى مسقط التى تعد أكبر مركز لتجارة الرقيق فى منطقة شبه الجزيرة فى القرنين الثانى والثالث عشر الهجريين / الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، حيث كانت بدورها توزع الرقيق على شبه الجزيرة والخليج وفارس والعراق والهند وغيرها، وهناك مراكز جنوب غرب شبه الجزيرة التى تبيع رقيقها فى موانئ البحر الأحمر الجنوبية الغربية كالحديدة وجازان وغيرهما من الموانئ القريبة من مضيق باب المندب الذى يعد عامل وصل بين شبه الجزيرة وافريقية، اضافة الى المراكز الحجازية كجدة ومكة، الا أن نجدا رغم حصولها على كمية من الرقيق من هذه المراكز فان للقواسم وهم من كبار تجار الرقيق فى الخليج - دورا كبيرا فى امداد نجد بأكبر كمية من الرقيق حيث يتم ذلك عبر عدد من المراكز فى منطقة الأحساء وخاصة العقير والقطيف.(١)

على أن هناك مصدرا آخر للرقيق وهو الهند فان السفن التى تفرغ بعض رقيقها الأفارقة فى بومباى تعود محملة ببعض الرقيق من الهند وخاصة النساء لبيعهن فى مناطق أخرى ومنها منطقة الخليج التى يتم منها امداد منطقة نجد كذلك بالرقيق الهنود، ويبدو أن هذا المصدر كان يجلب عن طريقه رقيقا من أجناس أخرى من تلك الجزر الواقعة فى المحيط الهندى كجزر سيلان والمالديف وغيرها، فضلا عن حصول المنطقة على الرقيق من مراكز أخرى كمدن الشام والعراق التى كان يتم جلب الرقيق من المناطق الشمالية عبرها، وكانت نجد تحصل على بعض هؤلاء وخاصة من النساء فى اطار التعامل الشامل بين نجد وهذه المناطق.(٢)

---

(١) جون كيلى : بريطانيا والخليج (١٧٩٥ - ١٨٧٠م) ترجمة محمد أمين عبد الله. مطبعة عيسى الحلبى. القاهرة. نشر وزارة التراث القومى والثقافة بسلطنة عمان ٢/ ٩٨٠٧، ١٧٠.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٢٤، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٧٢، ٧٣، ٧٦، ٧٨، ٧٩.

وكما هو الحال عند بدو نجد في تلك الفترة فقد كان لا يمتلك الرقيق الا الوجهاء، والأغنياء وعلية القوم في الحضر، حيث يشكل هذا العامل علامة واضحة على ثراء المالك، ولعل هذا هو ماحدا بالشيخ أحمد المنقور الى أن يسجل السنة التي اشترى فيها عبده (مبيريك) وهي سنة ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م على اعتبار أن هذا الشراء حدث مهم في حياة المنقور يؤكد أنها ميسرة الرزق مكنته من الحج أربع مرات ثلاث منها متوالية سنة ٩١، ٩٢، ١٠٩٣هـ، ومكنته من التفرغ لطلب العلم، والرحيل في سبيله، فضلا عن التوسع الزراعي حيث كان يملك مزرعتين تعدان كبيرتين بمقاييس تلك الفترة، ومن هنا فان تأريخه لشراء مبيريك يندرج في اطار تسجيله الشامل لحالته الاقتصادية من باب الشكر لله والتحدث بنعمه.(١)

ويبدو من ذكر حالة الشراء تلكاثر ذكره لحجته الثالثة مباشرة أنه اشترى هذا المملوك من أحد أسواق النخاسة في الحجاز سواء من مكة أم من جدة بعد أن أنهى أعمال حجه، ونظرا لتعدد حجاته فقد عرف تلك الحجة بتزامنها مع ذلك الشراء حيث قال: " وفي سنة ثلاثة(٢) وتسعين حجتي الثالثة يوم أشرى(٣) مبيريك"(٤) مما يدل على أنه كان ينظر لهذا الحدث نظرة

---

(١) المنقور: التاريخ ١٨، ١٩، ٥٨.

(٢) كذا في الأصل وصحتها (ثلاث) ص ٥٨ من تعليق الدكتور الخويطر على الحدث.

(٣) قال الدكتور عبدالعزيز الخويطر في تعليقه على هذه الكلمة : أنها عامية الفعل للفصيح "اشترى" والواقع ان شري ومشتقاتها احد الاستعمالات الفصيحة لاشترى، وقد جاء هذا الاستعمال في القران الكريم وان كان اقل من اشترى قال تعالى : " ولبئس ماشروا به انفسهم لو كانوا يعلمون" ، "ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله" ، "فيقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة" ، "وشروه بثمن بخس دراهم معدودة" (السور والايات على التوالي البقرة ١٠٢، ٢٠٧، النساء ٧٤، يوسف ٢٠) رغم ان المقصود به هنا البيع وليس الشراء، الا ان شرى فصيحة، قال في القاموس والتاج (باب الياء والواو فصل الشين) : شراه بشريه شراء وشيراء بالقصر والمد : المد لغة الحجاز، والعصير لغة نجد وهو الاشهر . وقد وردت عند المنقور في احدى نسخه "شراى".

(٤) المنقور : المصدر السابق ٥٨.

خاصة اما من قبيل اعجابه بهذا المملوك أو عكس ذلك ، واذا علمنا أن توسعه الزراعي كان لاحقا لذلك الشراء أمكننا تغليب جانب الاعجاب على عكسه حيث من المتوقع أن يكون لمبيرك دور في ذلك مما يبدو معه أن الشيخ كان يكل تصريف هاتين المزرعتين اليه أحيانا وخاصة اذا دفعته الرغبة في العلم الى الرحيل عن بلده ، ولعل هذا هو السبب في كون أولى رحلاته العلمية الى الرياض قد تلت هذا الشراء مباشرة عام ١٠٩٤هـ/١٦٨٢م ، حيث توالت بعد ذلك تلك الرحلات لتلقى العلم على شيخه عبد الله بن ذهلان . (١)

ونظرا لتعدد الأعمال التي يقوم بها الأرقاء في المجتمع كالعمل في المزارع والبيوت والرعي والاعتشاب وجمع الحطب من الصحراء وغيرها فقد كانت دواعي الاعجاب بهم أكثر ، ونظرة المجتمع في عمومه تتسم بالتكريم والتقدير لهم ، بل ان قسما من هؤلاء الأرقاء قد يبز سيده في حسن الأخلاق والصفات الحميدة ، وهذا ماكان محل اعجاب شديد من بعض فئات المجتمع حيث عبر عن ذلك حميدان الشويعر بقوله :

لقيت بالعبدان عبر جيد (٢) .. كل المراجل في يمنه تذكرا

ولقيت بالأحرار حر باطل .. يسوى نصيف لو يباع ويشترى

---

(١) المصدر السابق ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) العبدان : احدى حالات الجمع لعبد وهي فصيحة ، جيد ، هكذا عند الفرج ، ومحمد سعيد كمال في الأزهار ، وعند الحاتم (لقيت بالعبيد عبد هيلع) ومعنى هيلع في اللغة الضعيف وهو مغاير لما يقصده الشاعر هنا فهو من باب تحريف المعنى أو قد يكون من الهلع الذى من معانيه السرعة في كل أمر وهي هنا صفة مدح على أساس أن بعض الرقيق سريع في أداء الخدمة لسيده ومن يطلبها من سائر الناس ، يسوى نصيف الخ : لعلها مايسوى نصيف ، والنصيف مقدار كيل سبق بيانه ، وعند الحاتم : بنصيف طح لو يباع مايشترى ، وفي هوامش الفرج وكمال : بنصيف طح لو يباع ويشترى : (الفيروز ابادى والزبيدى باب الدال فصل العين ، وباب العين فصل الهاء) .
ومن البيتين : الفرج ٣٤/١ ، محمد سعيد كمال ٢٠/٩ ، الحاتم ١٥١/١

وتتسم النظرة الأخرى للرقيق بالقسوة نظرا لكون بعضهم لا يؤدى الخدمة المطلوبة منه كما ينبغى وربما سبب بعض المشكلات الاجتماعية لسيده ، وهذا ماكان محل نقد لاذع من بعض فئات المجتمع التى نظرت الى فئة الرقيق نظرتها لأى فئة اجتماعية فيها الحسن والسيئ ، وكما عبر حميدان عن تلك النظرة المعجبة ببعض الرقيق فقد عبر كذلك عن تلك النظرة القاسية نحو البعض الآخر حين قال :

وبالعبدان من هودون عمه .. وداشرهم(١) فلا يسوى حماره
يبوق الى شبع وان جاع سرق .. وكيفاته الى شم الكتارة

والواقع أن حميدانا قد جمع النظرتين فى البيتين الآخرين فهو مدح بعض الأرقاء فى الشطر الأول من البيت الأول اذ معنى دون عمه أن يقوم مقام سيده فى خلافته فى أهله وبيته ومزرعته ومتجره وما الى ذلك من اكرام الضيوف ونحوه ، كما ذم بعضهم فى بقية البيتين .

وطبيعى أن تختلف معاملة الأرقاء تبعا لاختلاف نظرة المجتمع لهم ، وتبعا لاختلاف معاملة أسيادهم لهم كذلك قسوة أو سماحة ، وفى هذا الصدد وضمن أحداث تلك الفترة يذكر أن صبيحا مولى عقبة كان يخدم فى مزرعة سيده فى أشيقر ، وكان لعقبة زوجتان احداهما تكرم صبيحا وتعطف عليه والأخرى تحتقره وتهينه ، وتمضى الأيام ويعتق صبيح اما لاخلاصه فى خدمة سيده واما لمقدرته العالية على المكاتبة ، وبعد أن اغتنى وأصبحت لديه

---

(١) الداشر: تطلق على السفيه ، ومن يترك يعمل على هواه دون روية ولا مراقبة ، وتعرف بهذا المعنى فى بعض البلدان المجاورة كالشام ولم أر لها أصلا فيما بين يدى من كتب اللغة الا أن مؤلف قاموس رد العامى الى الفصيح رجح كونها تحريفا لكلمة جشر التى تعنى الماشية التى لا ترجع الى أهلها ، قال فى التاج : " قوم جشر غراب والجشر محركة : حثالة الناس" يبوق : من معانيها الغدر والنكث للعهد كما تروى يبوق بالباء من البوق وهو الغدر والخيانة كذلك ، كيفاته : أى حالات انبساطه وسعادته ، الكتارة : رائحة الشواء (الفيروزابادى والزبيدى باب الراء فصل الشين ، وباب القاف فصل
(=)

مقدرة ورغبة فى وقف جزء من ماله حفظ لكلتا الزوجتين معاملتهما معه فجعل جزءا من وقفه على أولاد سيده عقبة من تلك الزوجة التى تكرمه، وحرم منه أبناء الزوجة الأخرى، فضلا عن أنه جعل ولاية الوقف الخيرى العام المذكور فى وصيته لامام مسجد أشيقر ويساعده - اذا ضعف - المصلح من آل عقبة وان ترك الامام الولاية فليس له أن يأخذ المقرر للوالى وهو ربع سدس حائط ونصف السدس، ومعنى هذا أنها ترجع الى من يتولاه من أبناء عقبة، والمعتقد -اذا صحت تلك الرواية - قصر ذلك على أبناء الزوجة التى تكرمه (١).

والواقع أن صبيحا لم ينس أصله السابق فى أنه مولى فقد أكد ذلك فى وصيته المنشورة، وقد عد بعد العتق من كبار الأثرياء فى أشيقر بمايملكه من عقارات زراعية وغيرها مما ذكره فى وصيته، وهذا يوضح جانبا اجتماعيا مهما يتمثل فى اتاحة المجتمع النجدى الحضرى فى تلك الفترة للرقيق سواء فى حال رقهم أم بعد العتق أن يعيشوا عيشة غنى مما يمكنهم - وخاصة بعد العتق - أن يصبحوا من كبار الأغنياء فى المجتمع ويتبوأوا مركزا مرموقا فيه بما ينفقونه من أموالهم فى سبل الخير (٢)، بالاضافة الى ماهو متعارف فى أوساط المجتمع النجدى كذلك من اتاحة الفرص للرقيق كى يتلقوا العلم ومن ثم يحصلوا على مكانة اجتماعية عن طريقه حيث يلقى حامل العلم الشرعى من النجديين التقدير والاحترام ربما فاق فى ذلك البارزين فى مجالات أخرى.

وتشكل الخدمة فى المنازل أحد أبرز مجالات العمل التى يقوم بها الرقيق عند حضر نجد فى تلك الفترة، وكان الذكور منهم بشكل خاص - يتولون تجهيز القهوة وتقديمها للضيوف سواء بحضور أسيادهم أم لا ، ويصور دباس هذا الجانب فى قصيدته الجوابية على قصيدة والده حيث يثنى على أبيه قائلا :

(=) العبيم، العاملى : قاموس رد العامى الى الفصيح ١٨٥) وعن البيتين الفرج ١/٥٠، كمال ٩/٣٤، الحاتم ١/١٦٤.

(١) البسام: علماء نجد ٣/٧١٦، عبد العزيز المبارك وثائق الأحوال الشخصية من الناحية التاريخية، العرب جـ ١/س ٢ رجب ١٣٨٧هـ، ص ٥٧ (نص الوصية)

(٢) المرجع السابق ٥٦

راعى معاميل بها العبد جلاس .. للبن بشرى بالسنين العسيرة (١)

وما من شك أن دباسا وقد ضمن قصيدته بعضا من مظاهر الفخر بوالده قد عد امتلاك والده للرقيق أحد تلك المظاهر حتى يتسنى له الاستعرار فى اكرام الضيوف مما يبدو معه أن لوالده مكانة اجتماعية جيدة.

وبصفة عامة فقد كان الرقيق يلقون من حضر نجد التقدير والاحترام تماما كما يلقون ذلك من بادية نجد وهذا مامهد الطريق أمامهم نحو العتق حيث يلقى المعتَق كذلك معهوأثره التكريم والمساعدة كذلك، ويتمثل هذا باعطائه ماله من مال عند سيده الذى يستعفف عن أخذ هذا المال رغم أنه حق له على رأى بعض العلماء، بل قد يهبه شيئا من المال يستطيع أن يواجه به متطلبات حياته الجديدة. (٢)

ونظرا لأهمية العتق كمرحلة أخيرة ينتقل فيها الرقيق من العبودية الى الحرية فقد كان حضر نجد كباديتها يولونها أهمية قصوى حيث يشهدون على ذلك بل يكتبون وثيقة على ذلك يكتبها القاضى أو أحد كتاب العدل كتابة موثقة سواء كان الاعتاق لوجه الله تعالى أم كان بعوض، ويتم ذلك اما فى حياة المالك أو يعلق حصول العتق بعد موته وهو مايطلق عليه (التدبير) (٣)

ويختلف الحضر عن البدو فى بعض مظاهر النظرة الى الرقيق، فقد كان بعض البدو يمتنع عن معاشرة رقيقة النساء، ولعل ذلك جهلا منهم بأحكام الاسلام كجزء من جهلهم العام بأصول الدين وفروعه قبل دعوة الشيخ محمد

---

(١) راعي : صاحب، معاميل : يقصد بها أدوات عمل القهوة، ورغم أنها ذات أصل فصيح من العمل الا أنها عامية بحتة فيما يظهر لي، للبن يشرى الخ : أى انه يشترى البن فى سني الشدة والفقر حتى يكرم ضيوفه . عن البيت : ابابطين ٣٤، الحاتم ١/٢٦٧.

(٢) ابن قاسم: الدرر السنية ٥/٣٠٩، ٣١٠.

(٣) سمي تعليق العتق بالموت التدبير لأن الموت دبر الحياة أى بعدها وصفته ان يقول لرقيقه انت عتيق اذا مت، او يوصى بذلك فى وصيته (ابن قاسم : المرجع السابق ٥/٣١٠).

ابن عبد الوهاب [1] ، أو أن ذلك نتيجة ترفعهم عن معاشرة الرقيقات حفظا لأنسابهم وأصالتهم ، أما الحضر فلوجود بضاعة من العلم الشرعي لدى بعضهم وتوافر العلماء الذين يبينون لهم أحكام الرقيق ، فقد كانوا يعاشرون من شاءوا من رقيقاتهم لوجود النصوص الدالة على جواز ذلك من الكتاب والسنة.

ولما كان قسم كبير من رقيق نجد في تلك الفترة يتمكن من تحرير نفسه أو يمن سيده عليه بذلك فانه لا يلبث أن يتزوج ويقيم أسرة له ، وقد يبقى بعضهم على صلة بسيده وبمرور الزمن يتدرج ضمن فئة الخضريين ، وتنقطع صلته بسيده ، الا أن بعضا من هؤلاء قد يلحق نسبه بالأسرة التي أعتقته مما ترتب عليه تكثير الأسر التي لها أرقاء محررون ، كما نجم عنه كذلك رفع الوضع الاجتماعي لهؤلاء الارقاء بعد التحرر حيث عدوا ضمن التركيب الأسرى عند حضر نجد لهم مالهم وعليهم ماعليهم ، ويدين كثير من أبناء هؤلاء الموالي للوضع الأمثل الذي حصل عليه آباؤهم أو حصلوا عليه هم بعد التحرر ، وهذا مايجعل المطلع على وضع الرقيق عند حضر نجد في تلك الفترة يتبين أن هذه الفئة قد لقيت من هؤلاء الحضر كما لقيت من البد وكذلك كل عطف ورعاية وتكريم لم تلقه فئة الرقيق في كثير من المناطق المجاورة وغير المجاورة ، مما أثر على هؤلاء الرقيق والموالي فيما بعد بتشبعهم بكثير من عادات وتقاليد النجديين ، واندمجوا في المجتمع النجدي بحيث يستحيل تمييزهم عن بقية الأسر الحضرية فيه ، ومامن شك أن هذا نتيجة تأقلم الأسر النجدية مع هذا الوضع الذي تقبله هؤلاء وأولئك ، وبنوا علاقاتهم الاجتماعية في اطاره [2] !

---

(١) Burckhardt . J. L. Notes on the Bedouins and Wahabys , London 1831. 1/ 181

(٢) الجاسر: معجم أنساب الأسر المتحضرة ١/ ٨ ،

A. Al- Juhany p. 175.

ويمكن القول أن النظرتين المتشددة والمتسامحة قد غلبتا على حضر نجد فى تلك الفترة بحيث سارتا فى خط متواز سواء فى نظرة المجتمع الى البدو أم نظرته الى المرأة أم نظرته الى الرقيق ، وغير هذه الفئات كذلك ، وهذا يشير الى تكامل هاتين النظرتين ، فاذا جنحت النظرة المتشددة بأصحابها الى القسوة فى آرائهم مالت بها النظرة المتسامحة الى الهدوء وتغليب المنطق السليم ، واذا أفلتت النظرة المتسامحة الزمام فى البت بأى قضية اجتماعية التفتت الى الجوانب الحسنة فى النظرة المتشددة من أخذ الحيطة والحذر والحزم وما الى ذلك ، وهكذا حافظت هاتان النظرتان مجتمعتين على الاندماج الكامل للفئات الاجتماعية عند حضر نجد ، وأسهمتا بقدر جيد فى وحدة المجتمع النجدى بادية وحاضرة بحيث بدا المجتمع - رغم كثرة الصراعات فيه - ذا كيان اجتماعى واحد تلتقى أصوله الأسرية وتتماثل عاداته وتقاليده .

ومن جانب آخر فان تشابه تلك النظرتان للفئات السابقة وغيرها مع نظرات عرب الجزيرة قبل الاسلام وبعده قد أوجد بين الجانبين جذورا من الاتفاق فى وجهات النظر بين هؤلاء وأولئك فى كثير من القضايا الاجتماعية ، بل ان الباحث فى عادات وتقاليد النجديين فى تلك الفترة يستطيع تلمس أوجه الشبه بينهم وبين أولئك الأقدمين فى كثير من مجالات الحياة ، مما يتيح له تطبيق بعض المظاهر الاجتماعية القديمة على أهل نجد .

الفصل الثالث

العادات والتقاليد المتعلقة بالحياة اليومية

١ - أمثلة من العادات الخاصة بالزواج .

٢ - المسكن وبعض الأساليب المتبعة فيه .

٣ - الملبس وأنواع الملبوسات .

٤ - أبرز أنواع الأكل والعادات الخاصة به .

٥ - أبرز المشروبات وأنماط من العادات المتعلقة بالمشرب .

رغم أن حياة الحضرى تختلف عن حياة البدوى لوجود عامل الاستقرار النسبى عند الأول وكون الحياة لديه قد تبدو أكثر تنظيما وبالتالى أكثر تعقيدا لوجود عدد كبير من أنواع الأثاث المتنوع فيها بخلاف البدوى الذى يتميز بقلة الأثاث حيث يعتقد أن كثرته وتنوعه تعيقه عن أهم هدف يسعى اليه وهو الرحيل المستمر والمفاجئ أحيانا ، رغم كل ذلك فان المظاهر العامة للحياة اليومية الحضرية فى تلك الفترة على جانب كبير من البساطة فى اطارها العام وعند الأغلبية العظمى من هؤلاء الحضر اذ أن ماقد يوصف بالتنوع فى الحياة اليومية لا يوجد بشكل واضح الا عند علية القوم من علماء وأمراء وأثرياء ووجهاء ، ومن هنا فان المظاهر العامة للحياة اليومية عند الحضر لا تختلف كثيرا عنها عند البدو.

١ - أمثلة من العادات الخاصة بالزواج :

وكما تأصلت عند بدو نجد ظاهرة التحجير - كما مر - فقد برزت عند قسم كبير من حضر نجد ظاهرة زواج الأقارب ، رغم أنها لم تكن بدرجة قسوة التحجير على المرأة ، وتتميز كذلك بشمولها لجانبى القرابة من جهة الأبوة والأمومة ، وهذا الشمول فرضته طبيعة الحياة الحضرية المستقرة والمنفتحة على الأسر سواء من ناحية النسب أم الصهر ، الا أن الحرص على الزواج من ابنة العم كان واضحا عند حضر نجد ويؤكد ذلك المثل العامى القديم فى أصله " عليك بالجادة ولو طالت وبنت العم ولو بارت "(١) وهذا

(١) العبودى : الأمثال العامية ٢ / ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، والجادة بتشديد الدال فصيحة بمعنى الطريق عامة أو الطويلة الواضحة فيها ، وبارت من البور وهو الكساد اذا بقيت فى بيتها لاتخطب (الفيروزابادى باب الدال فصل الجيم ، وباب الراء فصل الباء) .

التفضيل لابنة العم أحيانا منشأوه قديم عند العرب اعتقادا منهم أن ابنة العم أصبر ومن هنا فقد عدوا النكاح منها أحد المناكح الكريمة.(١)

ان التفضيل المتوارث عند بعض حضر نجد للزواج من ابنة العم لا يترتب عليه اضرار بها كما يحصل عند البدو في هذه القضية بل متى عدل عنها ابن عمها أو لم ترغبه هي مضى كل منهما في سبيله ولا يحصل من جراء ذلك قطيعة بين الأسر الا قليلا.

ومن هذا المنطق فقد عرف حضر نجد مختلف أنواع الزيجات التي كان العرب قبل الاسلام وبعده يتزاوجون على أساسها وهي: ١- الزواج المحصور في الأسر فلا يتعداها، ٢- الزواج الأوسع مجالا وهو الزواج من القبيلة نفسها وخارج نطاق الأسرة، ٣- الزواج الاغترابي وهو الزواج من خارج الأسرة وربما من خارج القبيلة التي ينتمي اليها مريد الزواج، وقد يضطر الى ذلك لوجود عدة أسباب كمنع بعض أفرادها من الزواج من أقاربهم أو عدم وجود بنات صالحات للزواج داخل الأسرة أو ماشابه ذلك، وهذا الزواج قد أقره الاسلام بل أكد عليه في بعض النصوص،(٢) ٤- الزواج الذي يجمع

---

(١) د. جواد علي: مرجع سابق ٤/٦٣٩، ٦٤١.

(٢) يرى بعض الباحثين الاجتماعيين أن تحريم الاسلام لزواج الانسان ببعض قريباته الذي ورد في آية النساء (٢٣): " حرمت عليكم امهاتكم" الآية" يندرج في اطار تفضيل الاسلام للزواج الاغترابي كما أورد بعض العلماء أثرا نسبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه: " اغتربوا لا تضووا" أي تزوجوا غريبات ليقوى نسلكم ولا تتزوجوا في العمومة ومنشأ ذلك اعتقاد بعض العرب أن ولد الرجل من قرابته يجيء ضاويا أي نحيفا، ولم أتبين درجة صحة هذا الحديث - رغم بحثي عنه - كما أوردوا قولا لعمر جاء فيه " يابني السائب انكم قد ضويتم فانكحوا في النزائع" أي تزوجوا في البعيدات نسبا عنكم، وقد أكد النجديون اعتقادهم بهذا الرأي في المثل العامي" ابعد اللحم عن اللحم لا يخيس" أي لا يعفن، ورغم أن هذا المثل شامل لمعان أخرى الا أنه في موضوع الزواج أوضح وللاستزادة (=)

بين الأنواع الثلاثة السابقة بحيث يتم الزواج من الأسرة والقبيلة وخارجها في حالات عدة ، ومامن شك أن هذا الأخير عامل من عوامل التواصل الاجتماعي بين الأسر النجدية المنتمية الى أصول قبلية مختلفة (١).

ورغم أن التكافؤ في النسب في الزواج يعد قضية خلافية فقد أخذ حضر نجد بالمشهور من المذهب الحنبلي الذي يؤكد على هذا الجانب على خلاف بين متقدمي الحنابلة ومتأخريهم هل الكفاءة في النسب شرط لصحة النكاح أوللزومه ، اذ أن المتقدمين يرونه شرطا للزوم والصحة ، والمتأخرون يرونه شرطا للزوم فقط (٢) ، ويبدو أن علماء نجد في تلك الفترة قد عدوا الكفاءة شرطا للصحة ، وقد أكد ذلك ابن ذهلان حينما قال في موضوع النكاح : " فمن لم يعرف له نسب من العرب ، ليس كفؤا لمن هو معروف (٣) ".

واذا علمنا أن نظرة أهل نجد قبلية محضة في موضوع الزواج بشكل خاص أدركنا أهمية تمسكهم بهذا الرأي .

وليس تفضيل بنت العم على اطلاقه فقد كان يقرن في كثير من الحالات بالتحقق من سلوك وطبيعة أمها ، على أن هذا التحقق أمر لابد منه سواء كانت المقصودة بالزواج ابنة عم أم غيرها ، وهذا الأمر أصيل عند العرب كأصالة تفضيل بنت العم تماما فقد أثر عنهم التأكيد على خطورة

(=) (الفيروزابادي والزبيدي باب الواو والياء فصل الضاد ، د . جواد علي ٤/٦٣٩ ، معجم العلوم الاجتماعية مادة أضواء ، وزواج اغترابي ص ٤٧ ، ٤٨ ، ٣٠٦ ، عبد الكريم الجهيمان : الامثال الشعبية ١/٣٠).

(١) د . جواد علي ٤/٦٢٩ ، معجم العلوم الاجتماعية ٣٠٦ .

(٢) منصور البهوتي : شرح منتهى الارادات ٣/٢٦ ، ٢٧ ، ابراهيم بن ضويان : منار السبيل ط (٤) المكتب الاسلامي دمشق ، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ٢/١٥٨-١٦١ ، محمد آل حسين : الزوائد ٢/٦٤٣ .

(٣) المنقور : الفواكه ١/٣٢ .

نزع العرق من جهة الأم كقولهم: " عرق الخال لا ينام" بل أثر عن بعض العلماء القول ان عرق الخال أنزع من عرق العم (١)، وقد أكد النجديون أهمية أثر طباع الأم وأخلاقها في طباع بنتها وسلوكها وأهمية مراعاة هذا الجانب عند التزوج بها ، وذلك في المثل العامي الذي يقول : " الى بغيت تضمها فانشد عن أمها (٢)" ومما يدل على قدم هذا المثل عند النجديين وروده في بيت لحميدان الشويعر يقول فيه :

والمره ضمها لا عرفت أمها .. ثم صن عرضها لا يغر بحياه (٣)

على أن للنجديين رأيا آخر في ضرورة التحقق من طبيعة وأخلاق الرجل سواء كان المقصود به الزوج أم والده أم والد الزوجة ، فمع التشدد في موضوع النسب لابد أن يتصف الرجل أو الأسرة بصفات فاضلة كالكرم ، وفي هذا الصدد فقد حذر حميدان من مصاهرة البخيل الذى لا يطعم نفسه وأهله الا بشق النفس مؤكدا على ضرورة مصاهرة الكريم الذى يرحب بضيوفه ويحرص على دفع عائلة الجوع لمن لجأ اليه بسببها ، ثم هو لا يمل من كثرة الوافدين عليه بل يقابلهم في كل مرة بكثرة الترحيب الذى تبدو سيماه على وجهه ومحياه بالتبسم وادخال السرور على من قدم اليه ، وهذا كله يرينا الى أي مدى كانت نظرة النجديين متشددة في موضوع الزواج من جميع الجهات حرصا على أن تكتسب الأسرة الجديدة صفات محمودة ، وخوفا من حدوث مشكلات أسرية تغذيها تلك الصفات السيئة الموجودة لدى البعض ، يقول حميدان :

لا تناسب بخيل كثير الحلال .. مهنته كل يوم يقيس عشاه

---

(١) د . جواد على ٤ / ٦٤١، ٦٤٢

(٢) العبودى : المرجع السابق ١ / ١٣٨ ، وانشد : أى اسأل .

(٣) خالد الفرج ١ / ٤٣ ، محمد كمال : الأزهار النادية ٩ / ٢٨ : خيار ١ / ١٦٥ ، ويروى بعض كلمات البيت : الى عرفت ، لا يغرب ، ولا والى بمعنى اذا .

ناسب اللى يرحب الى جو جيـــاع .. والتبسم بسنه من أول قـراه[(١)]

وتنتشر فى نجد فى تلك الفترة ظاهرة الزواج المبكر نظرا لبساطـة الزواج ويسر أموره فى اطار البساطة العامة لكافة مجالات الحياة ، فمتـى ما رأى أهل الفتى أو الفتاة فى أنفسهم القدرة على القيام بتكاليف الـــزواج فانه يتم باجراءات سهلة وميسرة سواء فى أوساط الأسر الغنية أم الفقيـرة اذا تحققت هذه الأسر من وصول أبنها أو بنتها حد البلوغ الشرعى ولـو لم يبلغا سن الخامسة عشرة[(٢)] ، ومعلوم أن الحرص على الزواج المبكر تدفـع اليه عدة عوامل فى تلك الفترة كاحصان الشاب ، والحرص على تكثير النسـل لتعويض النقص الحاد فى عدد السكان الحاصل بسبب الوفيات من الأمـراض أو الحروب أو الهجرات الخارجية ، كما أن لسرعة الانجاب فائدة مهمـة ، وهى أن يكون الأولاد فى سن يتمكنون معها - فى فترة قياسية - من مساعدة أهليهم للتغلب على سائر العقبات فى مجالات الحياة العامة ، وحتى يكونـوا عزوة لأهليهم فى مجتمع برزت فيه ظاهرة الصراع بين الأسر والأفراد ، ولعـل مما يذكر فى هذا الصدد كمثال للزواج المبكر ماروى أن الشيخ محمد بـن عبد الوهاب قد تزوج فى سن الثانية عشرة من عمره بعد تحقق والده مـن بلوغه الاحتلام فى هذه السن ، وقد أكد الشيخ عبد الوهاب ذلك فى رسالـة

---

(١) الفرج ١/٢٤٢، ٤٣ ، كمال ٩/٢٧ ، الحاتم ١/١٦٤ ويروى التبسم (بتبسم) ومعنى يقيس عشاه أى يقدر عشاه تقديرا محددا أو ناقصا .

(٢) أشار الفقهاء الى أن البلوغ الشرعى له علامات اذا ظهرت واحدة منها فقد بلغ الفتى أو الفتاة وهى ١- انزال المنى ٢- نبات شعـر العانة ٣- بلوغ خمس عشرة سنة وتزيد الفتاة علامة رابعة وهى الحيـض كما ذكر بعض علماء الاجتماع علامات أخرى كخشونة الصوت ، وزيـادة الطول والوزن ، ولهذا فعلماء الاجتماع يعرفون البلوغ بأنه " ظاهـرة يمر بها النشئ فى سن معينة وتتميز بنضج الوظائف الجنسية ومايصاحبه من تغيرات جسمية وعقلية وانفعالية " ولهذا فليس له سن محـددة تماما فقد يقل عن الخمس عشرة سنة أو يزيد . (محمد العثيميـن : مرجع سابق ٤٣ ، ٤٤ ، معجم العلوم الاجتماعية : مادة بلوغ الحلـم ص ٩٨) .

الى بعض أصحابه قائلا :" وقد تحققت أنه بلغ الاحتلام قبل اكمال اثنتى عشرة سنة على الاتمام" الى أن قال " وزوجته بعد البلوغ فى ذلك العام"(١) وما من أن ما ذكره الشيخ عبد الوهاب عن بلوغ ابنه سن الاحتلام فى هذه السن يعد أمرا غير عادى(٢) الا أنه معقول وممكن الحدوث بل المعتقد أن تلك حالة من حالات عديدة عرفتها هذه المنطقة وغيرها فى كل وقت نظرا لكون البلوغ له عدة علامات قد تظهر احداها فى وقت مبكر.

ومن الأمور المألوفة والمنتشرة تعدد الزوجات فى حدود ما سمح به الشرع، وحسب المقدرة المالية، فعلية القوم قد يصل التعدد لديهم الى أربع زوجات، اضافة الى التسرى مما ملكت اليمين من الاماء، وعامة الناس لا يتجاوز التعدد المثنى أو الثلاث.

ومن عادة النجديين تخفير(٣) البنت المراد تزويجها بحيث أن البنت اذا بلغت الخامسة عشرة من عمرها أو بعد ذلك أو قبله تحبس عن الأنظار حتى يتم تزويجها حيث تنطلق بعده الى الحياة العامة لتمارس دورها فيها، وهى فى هذه الحالة تتمنع عن مقابلة غير أقاربها بل ربما منع بعض النساء من رؤيتها كذلك.

---

(١) ابن غنام: روضة ١/ ٢٥، ٢٦.

(٢) د. عبد الله العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٣٠.

(٣) الخفر محركة فصيحة تعنى الحياء أو شدته واستعمال هذا اللفظ فى نجد له دلالة من معناه الفصيح فهو يعنى حجب البنت أو احتجابها ومنه المثل العامى عن الولد" يطعن ويطحن والبنات مخفرات" (الفيروز ابادى والزبيدى باب الراء فصل الخاء، العبودى المرجع السابق ٥/ ١٤٧٤، ١٧٤٨) ، ولما كان تخفير البنات يسبق زواجها فى الغالب فقد كان عامل اغراء فيها، وصفة مكملة لحسنها اذ جمال المرأة يكمن فى حيائها والى هذا المعنى أشار الهزانى بقوله :

سالبات الملا تلع الرقاب .. خردات بالبيوت مخفرات

(محمد سعيد كمال : الأزهار النادية ١٢/ ١١٥)

أما الصداق فكان على جانب كبير من البساطة سواء كان نقدا قليلا أم شيئا عينيا محدودا، ومن أبرز ماتصدق المرأة به النخل حيث يمهرها عدد من النخل نبعا وثمرا تزيد أو تقل حسب حال المتزوج سواء كان صاحب مزرعة أم لديه بعض النخل في بيته، كما قد يصدقها بعض الفرش أو الألبسة أو الأغطية أو الأحذية (١).

ويبدو أن عادات النجديين تختلف في طريقة دفع المهر فبعضهم يدفعه مرة واحدة سواء كان حالا أم مؤجلا وبعضهم قد يدفعه على مرحلتين مقدم ومؤخر بحيث يدفع المقدم قبل العقد ويؤخر الباقي الى مدة معلومة، وقد أكد الشيخ عبد الله بن ذهلان على جانب من هذه العادات حين قال " وظاهر عادتنا وعرفنا أن الصداق المذكور عند العقد أنه يكون مؤجلا بلا شرط ولا يخسر على القول بالفسخ به (٢)".

وكان بعض الآباء يأخذ من صداق ابنته مقدارا معلوما كحق له وربما شرط لأمها كذلك، وقد أفتى العلماء بجواز ذلك للأب فقط عند الخلاف وبشرط أن لا يجحف بمال البنت واستدلوا على ذلك بقول شعيب لموسى عليهما السلام فيما حكاه الله عنه بقوله :" انى أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج (٣). الآية" وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :" أنت ومالك لأبيك" وقوله :" ان أولادكم من كسبكم فكلوا من أموالهم" وفي رواية :" أطيب ما أكلتم من كسبكم وان أولادكم من كسبكم (٤)"، ورغم وجود

---

(١) ابن قاسم: الدرر السنية ٦/٣٤٣، عبد الرحمن السويداء: مرجع سابق ٢٧٠.
(٢) المنقور: المصدر السابق ٢/٦٢
(٣) القصص آية ٢٧.
(٤) روى الامام أحمد هذه الألفاظ في حديث واحد بثلاث روايات فيها بعض الاختلافات البسيطة في الرواية، (المسند ٢/١٧٩، ٢٠٤، ٢١٤).

هذه العادة عند عدد - ولو محدود - من النجديين وافتاء العلماء بجوازها (١) فان الظاهرة البارزة لأغلب النجديين حرصهم على تزويج بناتهم الأكفاء من الرجال والاستعفاف المطلق عن أن يأخذوا من مهرهن قل أوكثر بل كانوا يعينون على اتمام الزواج بدفع بعض النفقات، واعداد بعض التجهيزات، وعدم التعقيد فى اجراءات الزواج سواء كان للتطلع الى الكسب المادى أم المعنوى من وراء الزواج ، وقد صور بروز هذه الظاهرة الخيرة لدى النجديين المثل الذى يقول : " زوجوهن وأعينوا عليهن " (٢) ومن هنا فقد كان مقت النجديين شديدا لمن يأخذ من مهر ابنته .

ويطلق النجديون على الصداق المهر أو الجهاز على أساس أنه تجهز به العروس الى بيتها بأثاث وكسوة وما الى ذلك ، وهذا هو الذى بموجبه يتم الاتفاق على الزواج ، الا أن للنجديين عادة فى هذا المجال ، وهى أنه اذا اتفق على المهر الذى يعادل تكاليف الجهاز فى الغالب يتم العقد على مبلغ زهيد جدا كرمز لرغبة أهل البنت لهذا الزوج وبالتالى رغبة الطرفين فى اتمام هذا الزواج ، ومن هنا فقد نظر فقهاء نجد فى تلك الفترة الى أن مايتم العقد عليه بعد دفع المهر يعد زيادة لصحة العقد ، وتلحق بالمهر فيما يرتبط به من أحكام كالرجوع على الزوجة بنصفه اذا طلقها قبل الدخول ، وتملكها له بزيادته اذا طلقها بعد الدخول (٣) .

---

(١) ابن قاسم ٦/٣٤٤

(٢) الجهيمان : المرجع السابق ٣/٢٤٣ ، ومامن شك أن هذا ينطلق من فهم جيد لموضوع الزواج كما أكد عليه الاسلام فى تيسير أموره وتسهيل متطلباته فهذا المثل يعبر عن فهم للحديث الذى روته عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة " وفى رواية عنها كذلك : " أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة " رواه الامام أحمد فى مسنده (٦/٨٢ ، ١٤٥) .

(٣) المنقور ٢/٥٨ .

وينظر النجديون الى الجمال الأنثوى البارع بشئ من الحذر لكونه صورة زائلة ، ولما قد يحدث عنه من شدة الادلال ، ومحنة الرغبة لكنهم يفضلون حسن الصورة وجمال الجسم وتناسق أعضائه بشكل واقعى ويؤكدون على هذه الناحية عند الرغبة فى الزواج ، ومن هنا فانهم يحرصون بالدرجة الأولى على أصالة البنت وكرم أخلاقها ، وهم فى هذا ينطلقون من نظرة أصيلة عند العربى منذ القدم الذى تواترت القصص على شدة مراعاته لهذا الجانب عندما يبدى رغبته فى الزواج ، وقد جاء المثل النجدى : " من أخذ عشق خلى عياف"(١) مؤكدا على النهى عن اعتبار الجمال الخلقى أساسا لاختيار الزوجة مع ترك الاهتمام بالأمور الخلقية والدينية ، وموافقا فى مفهومه مع الحديث الوارد بهذا الخصوص والآثار الأخرى التى توضح هذا الجانب وتقرره(٢) ، ورغم تقرر هذه النظرة عند غالب أهل نجد الا أن الزوجة النجدية أثيرة عند زوجها فهى ذات مركز مرموق فى البيت ومكانة سامية فى الأسرة رغم ماقد يبدو أن الوضع خلاف ذلك ومن هنا فقد وجد فى نجد - كما سلف - زوجات فرضن أنفسهن على عالم الرجال من خلال عدد من المزايا التى تحلين بها مما دفع الرجال الى أن يكرموهن ويحظوهن حتى ضرب النجديون مثلا للمرأة الأثيرة عند زوجها بقولهم : " مدللها دلال السيف بحلاقه ، والمفتاح بغلاقه"(٣) وهذا المثل كما يصوّر درجة

---

(١) العبودى : ٤/١٣٨٩ ، الجهيمان ١٥٧/٨ ، اخذ يعنى تزوج ، فى عشق تحريف فى نحوها اذا المفروض نصبها لانها مفعول لأجله ، خلى : سبق تعريف التخلات أو التخلية فى عرف النجديين وأنها تعنى الطلاق أو الخلع البائن وذلك فى الفصل الثانى من الباب الثانى

(٢) ورد النهى عن اعتبار الجمال مقياسا عند الزواج فى الأثر المنسوب للرسول صلى الله عليه وسلم والذى يقول : "اياكم وخضراء الدمن ، فقيل : وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء" ضعفه بشدة الألبانى فى الاحاديث الضعيفة (١/٢٤ ، ٢٥) بل قال : انه متروك وعزا ذلك لسنده واعتمد على عدد من كتب الحديث فى ذلك ، كما ورد النهى كذلك فى الحديث الذى ورد فيه " لاتتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن من أن يرديهن" الحديث رواه ابن ماجه (١/٥٩٧) وضعفه المحقق ، وعن تأصل هذه النظرة عند العرب انظر د . جواد على ٤/٦٣٥ ، ٦٤٠ .

(٣) العبودى ٤/١٣٤٠ ، معنى حلاقة حليته ، وغلاقه ، قفله وحفظه (=)

حب بعض الرجال لزوجاتهم الى درجة التدليل فانه يصور ضعف بعض الرجال أمام نسائهم ، ووقوعهم تحت تأثير اغرائهن سواء كان عن طريق جمالهن أم ما يتصفن به من صفات كريمة.

ويطلق النجديون على المرأة مريدة الزواج أو المراد الزواج منها نعوتا تبين جانبا من طبع بعض النساء اللاتي على وشك الزواج كالرغبة في الزواج من الغني وتفضيله على غيره، وهذه الصفة مما تأصلت لدى النساء في فترات التاريخ المتعاقبة ولدى أغلب المجتمعات، وقد أكد المثل النجدي " المرة جرادة" بروز هذه الصفة عند غالب النساء، وبعض النجديين يزيد على المثل مايوضحه فيقول : " المرة جرادة ماتاقع الا على خضرة" (١) وهذا المثل في الحقيقة لايعدو أن يكون توضيحا وتقريرا لتلك الصفة المتأصلة والتي أكدتها النصوص الفصيحة المتواترة عند العرب، ومن أبرزها قول الشاعر عبدة بن الطبيب (٢):

فان تسألوني بالنساء فانني .. عليم بادواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله .. فليس له في ودهن نصيب

(=) يريدون أن المرأة الأثيرة عند زوجها بمكانة السيف الغالي الثمن ذي الحلية الذي لا يمس، وبمنزلة المفتاح للخزنة التي تحوي أشياء ثمينة فهو في حرز مصون.

(١) العبودي ٤/١٣٤٥، تاقع: تقع، ومعنى المثل أن المرأة كالجرادة لا تقع الا على شئ أخضر ويقصدون أن المرأة التي على وشك الزواج لا ترغب الا في الغني الشاب.

(٢) هو عبدة بن يزيد الملقب بالطبيب أو الطبيب بن عمرو بن علي من بني سعد بن زيد مناة بن تميم أحد الشعراء المخضرمين الفحول شهد بعض فتوح العراق وفارس مع المثنى والنعمان، رثى قيس بن عاصم المنقري التميمي بأرثى بيت قالته العرب وهو:
وما كان قيس هلكه هلك واحد .. ولكنه بنيان قوم تهدما
وكان عمر رضي الله عنه يعجب بشره، وقيل لأحد العارفين به انه لايحسن الهجاء فقال : بل كان يترفع عنه توفي أو استشهد قريبا من سنة ٢٥هـ/٦٤٥م (أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ٢٣/١٨٠-
(=)

يردن ثراء المال حيث علمنــــــــــه .. وشرخ الشباب عندهن عجيب (١)

وتتأكد تلك النظرة فيما يروى على ألسنة العذارى والعوانس الراغبات في الزواج حيث يروى عنهن قولهن : " يا الله مالي " جصيصته ، رابط بقيرته ، دافن اميمته" (٢) وهو دعاء الى الله عز وجل أن ييسر زوجا على درجة من الغنى واليسر تتمثل في توفر كمية كافية من التمر لديه حيث يشكل غذاء رئيسا في تلك الفترة وأن يبلغ هذا التمر قدرا يجعل هذا الزوج يملأ مكان خزن التمر المعروف آنذاك وهو الجصة (٣)، وأن توجد لديه بقرة يربطها في بيته للحصول على اللبن منها في أي وقت، واذا توفر للانسان حينذاك تمرا ولبنا فذلك يعني ارتفاع مستوى المعيشة لديه وهو قمن اذا خطب أن ينكح ، أما الفقرة الثالثة من المثل فتعني أن والدته قد توفيت حتى تنفرد الزوجة بزوجها من غير مشاركة والدته لها في حبه ، ومعلوم مايكون بين والدة الزوج (الحماة) والزوجة من الخصام والنزاع في الغالب في كل فترات التاريخ وعند سائر المجتمعات، واذا توفرت هذه الأمور الثلاثة في رجل فان ذلك سيحقق قدرا كبيرا من السعادة لزوجته .

ولما كان الوضع اللائق بمكانة المرأة في الزواج أن يتم عن طريق الخطبة وهي أن يطلب الرجل المرأة للزواج بأي وسيلة حفظا لكرامتها فقد كانت نظرة النجديين منسجمة مع هذه القاعدة ولهذا فقد نظروا لمن يعرض ابنته للزواج نظرة ازدراء مهما كان الهدف وراء هذا العرض مثل أن يرى في

(=) ٨١٨٣ ،ابن عبد ربه : العقد الفريد ١/ ١١٣، ٦/ ١١٤، ٧/ ٩٦ طبائع النساء ١٦٠ ،ابن حجر: الاصابة ٣/ ١٠٠، ١٠١ ت ٦٣٩٢ الزركلي : الاعلام ٤/ ٣٢٢) .

(١) ابن عبد ربه : العقد ٧/ ٩٦ ، طبائع النساء ١٦٠ ، وشرخ الشباب أوله وريعانه .

(٢) العبودي ٥/ ١٦٢٧، ١٦٢٨ .

(٣) سيأتي تعريف الجصة ضمن الحديث عن المسكن باعتبارها من أهم محتويات البيت النجدي .

شخص كفاءته أو ماشابه ذلك ، وقد أكد النجديون هذه النظرة في المثل الموروث " من عرض بنته للزواج بارت " [1] ورغم أن هذا المثل لا يشكل قاعدة عامة فقد توفق بعض الزيجات بهذا الأسلوب الا أنه يؤكد على أهمية الخطبة في الزواج كما يشير الى وجود بعض الحالات التي تعرض فيها البنت للزواج وهذه النظرة تتطابق تماما مع النظرة المتأصلة لدى العربي منذ القدم في أن يتم الزواج عن طريق الخطبة للمرأة وليس عن طريق الاختطاب للرجل حيث يعتقدون أن الاختطاب لا يكون الا لامرأة فيها بعض العيوب في خَلْقها أو خُلُقها أو طبعها وأنها لو كانت خالية من أي عيب لتسابق اليها الخطّاب [2] ، ورغم أن لهذا الاعتقاد وجه من الصحة في بعض الحالات فانه يتعارض مع نظرة الاسلام في اختيار الزوج الكفء عن طريق الخطبة أو الاختطاب ، ومن هنا فقد قرر الفقهاء أن الخطبة هي السبيل الأمثل للزواج الا أنهم قرروا كذلك أنه لا بأس بسعي الأب لتزويج ابنته لاختيار الكفء لها ، واستدلوا على ذلك بعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان رضي الله عنهم [3] .

ان هذا العرض المجمل لبعض عادات حضر نجد في مسألة الزواج لا يعدو أن يكون اطارا عاما يندرج حوله الكثير من العادات الأخرى في هذا

---

(١) الجهيمان ٨/١٩٧ .

(٢) الفيروزابادي والزبيدي باب الباء فصل الخاء

(٣) ابن ضويان : المرجع السابق ٢/١٤٥ ، وللتفصيل في قصة عرض عمر حفصة على ابي بكر وعثمان وزواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر (علي الهيثمي : مجمع الزوائد ٤/٢٧٧ حيث عرض هذه القصة ومعها قصة أعرابي عرض ابنته على رسول الله صلى الله عليه وسلم للزواج منها ، ابن حجر : الاصابة ٤/٢٩٤ ، ٢٩٥) .

المجال ، حيث توجد تفصيلات لمراحل الزواج تتشابه فيها نجد مع بعض المجتمعات المجاورة وربما غير المجاورة أحيانا ، واذا تحدثت عنها بعض المؤلفات التى تبحث فى العادات النجدية فليس هنا مجال التفصيل فيها[1] .

٢ - المسكن وبعض الأساليب المتبعة فيه :

يعد أسلوب المسكن الحد الفاصل الواضح بين حياة البدو والحضر فى نجد منذ أقدم العصور الى وقت قريب ، حيث تتداخل أساليب الحياة الأخرى فى الغالب بين الطابع البدوى والحضرى ، أما السكن فهو أبرز مايميز كل فريق عن الآخر ، على أن بعض الباحثين يرى أن أسلوب السكن ذاته تغلب عليه الطبيعة البدوية - وان بدا فى الظاهر أن الحضر أهل قرار والبدو أهل نجوع - ففى نجد - بشكل خاص - برزت الطبيعة البدوية على مظاهر السكن غير العادية عند الحضر الذين يمكن أن تنطبق عليهم صفة التحضر من ناحية السكن والاستقرار ، والتعلق بالأرض ، وعدم ارتحالهم عنها كما يفعل البدو ، الا أنهم لم يشكلوا تجمعات سكانية حضرية كتلك التى تكونت فى المناطق المجاورة لنجد من ناحية كبر هذه التجمعات وقيام الدول الكبرى على أساسها ، فبقيت المساكن الحضرية فى نجد أشبه بمساكن البدو فى بساطة البناء وتناثرها حول الواحات وآبار المياه ، وبروز طابع العصبية على تكوين هذه المساكن[2] .

وتتفق المساكن النجدية - على اختلاف أشكالها - مع عناصر وأنماط مساكن حضر العرب الأقدمين ، فمن حيث تكوينها تتخذ من الطين المستخرج

---

(١) عبد الرحمن السويداء : مرجع سابق ٢٦٩ - ٢٧٣

(٢) د . جواد على ٤/٢٧٢ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، د . أبو علية : الاصلاح الاجتماعى فى عهد الملك عبد العزيز : المطابع الأهلية للأوفست الرياض . نشر دارة الملك عبد العزيز ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ص ٢٥٥ .

من بطون الأودية المتوافرة فى المنطقة، والملاحظ فى هذا الصدد أن اتخاذ مادة الطين كوسيلة للبناء لا تنفرد بها نجد أو المناطق المجاورة لها بل عرف ذلك الانسان القديم فى مناطق كثيرة من العالم، مما جعل هذه المادة تعد أقدم الوسائل العمرانية فى العالم، ويبدو أن طرق الاستفادة من الطين كذلك تتفق فيه نجد مع غيرها من المناطق سواء عن طريق استخدام القوالب الخشبية لتشكيله الى " لبن "(١) أم بوضع الطين على شكل عروق طبقات بعضها فوق بعض ترتفع حتى يكتمل الجدار، هذا فضلا عن أسلوب خلط الطين بالأقدام العارية(٢).

وكما عنى العرب الأقدمون بزخرفة الأبواب والنوافذ وبعض الجدر الداخلية لبعض الغرف الخاصة بالضيافة والجلوس فقد اهتم النجديون الحضر بهذا الجانب، والمطلع على بعض ما أبدعته يد النجار النجدى من زخارف وأشكال فنية فى العيادين السابقة الى وقت قريب يتملكه الاعجاب من دقة هذه الأشكال وجمال تلك الزخارف التى تدل على حس فنى لدى النجديين رغم ماتتسم به من طابع البساطة، ورغم قسوة الأحوال العامة فى تلك الفترة، ورغم أن هذه الزخارف ليست فى مستوى ماكان معروفا فى المناطق المجاورة كثرة فى تلك الأشكال ودقة فى تنميقها(٣).

---

(١) سبق تعريف اللبن والطين والتلبين فى الفصل الأول من الباب الثالث

(٢) صحيفة الرياض عدد ٦٧٠٨ السنة (٢٣) بتاريخ ١٤٠٧/٣/١٢هـ ص ١٩، وقد نقلت تفاصيل خبر عن وكالة رويتر ملخصه أن أحد المختصين الامريكيين فى مجال البناء فتح مدرسة فى جنوب غرب الولايات المتحدة لتعليم الطلاب كيف يقيمون منازل عن طريق الاستخدامات الطينية، وكيفية التلبين وأسلوب خلط الطين، وهى طريقة تشبه طريقة النجديين، ويبدو من فحوى الخبر أن هذه المدرسة تدرس كذلك تاريخ البناء فى الطين فى مختلف المناطق.

(٣) د. جواد على ١٤/٥، ١٥، د. ابوعلية ٢٥٥، السويداء ١٤٢، ٣٥٧، ٣٥٩.

ولئن كان بناء البيوت من الخارج لا يخضع لنظام معين أو خطة موسومة فقد كان تشكيل الغرف يتم عن طريق تخطيط لابأس به في مقياس تلك الفترة حيث تأخذ الشكل المستطيل أو المربع في الغالب ويتم التحقق من ذلك عن طريق وحدات القياس التي مرت كالباع والذراع أو مسافة مابين القدمين اذا بلغ الخطو أقصى اتساع له (١).

وتحيط ببعض المساكن النجدية أفنية داخلية وخارجية ، فالفناء الداخلي يطلق عليه (الليوان) (٢) حيث تفتح الغرف أبوابها عليه ، ويعد امتدادا لها من ناحية الفناء الخارجي (الحوش) (٣) ، وتتم الاستفادة من الليوان بالجلوس والقيلولة به صيفا بحثا عن الهواء البارد ، إضافة الى بعض الاستخدامات الأخرى ، ويبدو أن فكرة الليوان وأسلوب بنائه قد استفادها النجديون من أشكال البناء الفارسي الذي ربما كانوا قد تأثروا به عن طريق العراق أو بلدان الخليج (٤).

---

(١) د . أبو عليه ٢٥٣ ، السويداء ١٤١ .

(٢) لم أجد فيما بين يدي من كتب اللغة أو كتب المأثورات العامية معلومات عن لفظة " ليوان" والذي يبدو لي أنها تسهيل للفظة " ايوان " الفارسية الأصل التي تعني الصفة العظيمة ، كما أنها تطلق على البهو الذي تفتح الحجرات عليه وهو مفهوم الليوان عند النجديين ، ويذكر يوسف البسام في كتابه الزبير أنها معروفة هناك بلفظة ايوان ، وفي الكويت معروفة بالليوان ، وهي في هاتين المنطقتين تدل على ماتدل عليه عند النجديين (الفيروزابادي والزبيدي : باب النون فصل الهمزة البسام ٤٦ ، د . غانم سلطان : البيت الكويتي القديم : مقالة منشورة في مجلة العربي الكويتية عدد ٣٥١ السنة ٣١ جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ / فبراير ١٩٨٨ م ص ٩٥ ، ١٩٦ ، وقد ذكر السويداء (ص ٣٥٨) لفظة الايوان والليوان مما يبدو معه أنها معروفة بشمال نجد بهذين اللفظين .

(٣) الحوش فصيحة لفظا ومعنى (الفيروزابادي والزبيدي باب الشين فصل الحاء) .

(٤) الربكي : لمع الشهاب ١٨٧ ، البسام : ٤٦ ، د . غانم سلطان : مجلة العربي ، العدد السابق ١٩٥ ، ١٩٦ ، السويداء ٣٥٨ .

ويتألف البيت النجدى من مجموعة غرف يضمها دور واحد فى الغالب وتتعدد الغرف حسب حجم البيت والمكانة الاجتماعية لرب الأسرة، وقد يضاف الى ذلك غرفة أو غرفتان فى الدور الثانى عند عامة الناس، أما علية القوم فتتميز مساكنهم بارتفاع بنيانها وكثرة غرفها وكبر المساحة فيها وكونهم يضيفون دورا ثانيا تكون الغرف فيه أكثر من غيرهم، ومن هنا فقد أثر عن عامة الناس فى تلك الفترة عدم رغبتهم فى ارتفاع المبانى، وهى رغبة تندرج فى اطار البساطة فى البناء الذى تحكمت فيه عدة عوامل بيئية وبشرية.(١)

ولعل من أبرز محتويات البيت النجدى فى تلك الفترة والى عهد قريب غرفة خزن الطعام من القمح أو التمر حيث يتم خزن التمر بضغطه (فى أماكن خاصة وهي (الجصاص)(٢) لدى بعض النجديين، ولها تسميات أخرى عند البعض الآخر،(٣) على أن بعضهم قد يخزن التمر فى (القعد)(٤) ولاشك

(١) الربكى ١٨٧، د. ابوعليه ٢٥٣، السويداء ٣٥٨

(٢) الجصاص بكسر الجيم جمع جصة وهى مكان مستطيل الشكل يختلف كبرا وصغرا يبنى من الحجارة الرقيقة والجص الذى يستخرج من الأرض ويوضع فيه فتحة صغيرة لادخال التمر واخراجه منه، واستخدام الجص للبناء والطلاء قديم عند العرب: (الفيروزابادى والزبيدى باب الصاد فصل الجيم، احمد رضا: مرجع سابق ٩٧، العبودى الأمثال (١٦٢٨)، وقد ورد ذكر الجصة فى بيت لحميدان الشويعر يقول فيه:

تعيزل وتبيزل فى مالــه .. ماقال الجصة مخـورة

(الفرج ٦٢/١ وقد ورد عنده وعند كمال فى الأزهار ٤٥/٩ فى البيت تعزل وتبيزل ـ لاقال الخ)، الحاتم ١٤٦/١، أبابطين ٧٠).

(٣) كالصوبة، قال فى القاموس والتاج باب الباء فصل الصاد: "الصوبة: الجماعة من الطعام، والكدسة من الحنطة والتمر، والصوبة الجرين أى موضع التمر" وهى اكبر من الجصة وتوجد عادة عند تجار والتمر.

(٤) القعد بضم القاف وفتح العين جمع قعدة ويبدو أنها سميت بذلك لأنها تشبه قعدة الشخص، وهى مبنى أصغر من الجصة ويبنى من مكوناتها على شكل اسطوانى فى وسطه حزام بارز، ويوجد نوع منها فى متحف الكلية).

أن الوضع الاجتماعي لرب الأسرة عامل في توفر الجصة عند بعض النجديين وفقدانها عند البعض الآخر الذي قد يستعيض عنها بالقعدة.

ورغم أنه لم يكن لدى النجديين صرف صحي لمجاري البيوت فقد كانت بعض بيوت الموسرين لا تخلو من بيت للخلاء يشبه بيوت الخلاء لدى عرب الجاهلية اذ قد يكون غرفة في ناحية بعيدة من البيت وتسمى " كنيفا"(١) أو " برجا " وقد يكون سترا من قماش أو سعف أو نحو ذلك، أما عامة الناس فكانوا يغتسلون من مياه الآبار الزراعية، ويقضون حاجتهم في ظواهر البلدان، والمطلع على أسلوب التخلي عند النجديين لا يجد اختلافا بينه وبين أسلوب التخلي عند العرب الأوائل بل يجد في الكثير من حالاته جانبا من هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قضاء الحاجة مما ليس هناك مجال التفصيل فيه.(٢)

ولعل كون بيت الخلاء في مكان منزو من البيت هو ما جعله مكانا لاختباء من يضطره الخوف الى ذلك، وفي هذا الصدد يذكر ابن بشر أنه في سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٦م قتل أمير الدرعية مقرن بن محمد بن مقرن في بيت الخلاء - ولعله الخاص بسكن مقرن - بعد أن حاول الاختفاء فيه، والذي قتله ابن أخيه محمد بن سعود بن مقرن، ومقرن بن عبد الله بن مقرن، والسبب في ذلك خلاف عائلي حول الامارة بين زيد بن مرخان ومقرن ابن محمد انتهى الى الصلح الظاهري حيث طلب مقرن من زيد أن يأتيه لاتمام الصلح واضفاء جو من الثقة بينهما، وكان قد بيت قتل زيد الذي كان

---

(١) الكنيف مفرد جمعه كنف بضم الكاف والنون من معانيه الساتر والعالي من البنيان، وقد اطلق على المرحاض لأن الانسان يستتر به عند قضاء الحاجة، أما البرج فيبدو أنها أطلقت عليه لكونه منعزلا عن عرف المنزل كالبرج يكون منعزلا عن مباني البلدة (الفيروزابادي والزبيدي باب الفاء فصل الكاف)

(٢) ابن القيم: زاد المعاد ٦١/١، د. جواد علي ٣٣/٥.

حذرا فلم يأت الا بكفالة محمد بن سعود ، ومقرن بن عبد الله فتم ذلك وأتى زيد ، وبان من مقرن بن محمد عزمه على قتله ، فأراد الكفيلان ثنيه عن ذلك فحملا عليه فهرب من مجلسهم الى بيت الخلاء فأدركاه فيه وقتلاه وأعادا زيدا الى الامارة.(١)

ومن مظاهر مماثلة أسلوب البناء النجدى للبناء العربى القديم وجود الأسوار والأبراج ، فقد كان يحيط بالمساكن سور له باب أو عدد من الأبواب ، وأحيانا يكون للبلدة سوران يكون بينهما مسافة قد تستغل فى الرعى أو ماشبه ذلك حين تضطر الأحوال الأمنية الأهالى الى عدم الخروج الى الصحراء البعيدة ، وتنظم الأسورا عددا من الحصون ترتفع سامقة فوق المبانى السكنية ليستغلها المدافعون عن البلدة بعدا فى النظر ، وسهولة فى ضرب المهاجمين على البلدة ، وتشكل هذه الحصون أو ما تعرف بالأبراج عند بعض النجديين ، وبالمراقب(٢) عند البعض الآخر ، تشكل علامة واضحة على معرفة جيدة من النجديين بالفن المعمارى الحربى الذى ورثوه عن أسلافهم ، واستفادوه من جيرانهم ، ومن هنا فان وجود بعض الأبراج والمراقب شامخة الى الوقت الحاضر دليل على رسوخ قدم النجديين فى هذا الفن ، ووسيلة

---

(١) ابن ربيعة ٨٩ ، وأشار الى القتل باقتضاب ، ابن بشر ٢ / ٢٣٧ ، البسام تحفة ١٠٣ ، وقد أشار ابن خميس فى كتاب الدرعية ص (٤٠٥) أنه يوجد فى حى الطريف بالدرعية حمام على شكل الحمامات الخارجية بقنواته وأحواضه ومواقده ، كما دلت دراسة قام بها بعض خبراء الآثار فى الدرعية القديمة على وجود حمام مبنى على غرار الحمامات التركية ، ولاشك أن ذلك اثر النهضة الاقتصادية التى عمت المنطقة بعد قيام الدولة السعودية الأولى ، ولكنه قد يشير الى وجود نوع من ذلك ولو كان محدودا عند علية القوم فى البلدان النجدية الكبيرة قبل ذلك. (صحيفة الجزيرة عدد ٣٨٠٠ السنة ٢٠-١/٥/١٤٠٣هـ ص ٦).

(٢) المراقب : جمع مرقب بفتح الميم وسكون الراء وفتح القاف فصيح لفظا ومعنى (الفيروزابادى والزبيدى باب الباء فصل الراء).

جيدة تنير سبيل الباحث فى التاريخ الحربى عند النجديين.

ولعل مما يمكن أن يؤكد هذه الحقيقة التاريخية ويوسع مجال البحث فيها مكونات تلك الأبراج وشكل بنائها، فهى سميكة البناء مكونة من الحجارة والطين وليس من الطين فقط كالمساكن، ويوضع فى أعاليها منافذ يتمكن المدافعون من رؤية المهاجمين وتوجيه الرمى بدقة اليهم، وقد تضم مخزنا للأغذية والأسلحة.(١)

وبشكل عام فقد كان تفاعل النجديين واضحا مع بيئتهم فى الناحية السكنية على وجه الخصوص حيث استطاع النجدى أن يستغل كل امكانات البيئة المتاحة له لتشكيل سكنه، فمن الأودية أخذ الطين، ومن النخيل والأثل أخذ المواد اللازمة للتسقيف وصنع الأبواب، وما اليها، كما أن النجدى استطاع أن يكيف نفسه مع الظروف البيئة المحيطة سواء من ناحية المناخ أم التضاريس، فجاءت أنماط البناء النجدى موائمة للعناصر المناخية التى تميزت بها نجد وهى عناصر الحرارة والرياح والأمطار، فالحرارة الشديدة صيفا حيث يتلظى حرها ويقضى على الأخضر واليابس، والبرودة القارسة شتاء التى تصل الى أقل من الصفر حتى داخل البيوت أحيانا، وهذا العامل جعل النجدى يشكل مسكنه ليوائم حالة الشتاء والصيف، فضم البيت النجدى الليوان والأحواش والأسطح أمكنه تخفف من حر الصيف اللاهب، وضم غرفا داخلية محكمة، وأمكنة لايقاد النار توفيرا لقدر لابأس به من الدفء فى الشتاء، أما الرياح فقد حرص على اتقاء أخطارها بعدم رفع المبانى وتقوية الأسس الخاصة بها، وتسميك الجدران الخارجية وخاصة تلك التى تواجه هبوب الرياح العاتية أحيانا كالمتجهة من الشمال أو الغرب أما المطر فقد حرص على الاستفادة منه واتقاء خطره فى آن واحد حيث يحرص على تلقى مياه الأمطار

---

(١) د. جواد على ١٩/٥، د. أبوعلية ٢٥٥

من الأسطح عن طريق الميازيب (١) للاستفادة منها لسد حاجته من الشرب والطبخ وما اليه، كما يحرص على اتقاء خطره بالقيام بأعمال الصيانة المؤدية لهذا الغرض كاضافة قدر من الطين بين فترة وأخرى على السقوف، وتقوية ما تأثر من المطر كالجدران وما حول الأبواب، أما التضاريس فقد حرص على الابتعاد عن بطون الأودية، والمرتفعات الشديدة سواء كانت جبلية أم رملية وهذا ماجعل المساكن النجدية بعيدة عن أخطار الأودية، وزحف الرمال وأخطار البناء على المرتفعات الجبلية التى تجعل مؤثرات الرياح العاتية قوية فيها مما ينجم عن ذلك سقوط المبانى، وصعوبة الحركة والتنقل بين المساكن، وهكذا نرى أن أشكال البناء جاءت صورة واضحة للتكيف البيئى والتحايل البشرى الذى انتج قدرا لابأس به من التعايش والانسجام بين الانسان والبيئة فى نجد، وهو تعايش وانسجام يعد مثلا واضحا لعلاقة البيئة بمظاهر الحياة الاجتماعية المختلفة.

٣- الملبس وأنواع الملبوسات:

يشكل اللباس مظهرا واضحا من مظاهر الاختلاف بين الناس فى أى مجتمع تبعا للحالة الاقتصادية والمكانة الاجتماعية للفرد، وتلك سنة من سنن الله فى خلقه: "ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم" (٢) وهذا الاختلاف مقبول شرعا وعرفا وعقلا اذا لم يجر الى التمايز الفئوى والتناحر الطبقى.

وكسوة النجديين وأنواع ملبوساتهم تختلف باختلاف وضع الشخص فهناك الملابس الرجالية التى تختلف عن الملابس النسائية وما يتعلق بها من

---

(١) وقد ورد فى المثل العامى: "يوم السيل كل يتلقى من مرزامه" المرزام والمرزاب والمزراب والشعب كلها ألفاظ نجدية تطلق على مخرج المطر من السطح ويكون عادة من الخشب، وبعضها فصيح وبعضها معرّب من الفارسية والشعب أفصحها (الفيروزابادى والزبيدى باب الباء فصل الثاء وفصل الزاى، العبودى ٥/١٧٩٦، ١٧٩٧).

(٢) الأنعام آية ١٦٥.

أنواع الحلى ، كما أن هناك بعض الملابس التى قد تضفى طابعا خاصا على مرتديها كبعض أجزاء اللباس الخاص بالعلماء وأئمة المساجد ومن تظهر عليهم سيما الصلاح والتقوى والورع ، هذا فضلا عن أنواع الأحذية الشتوية والصيفية ، وما يمكن أن يكون من أوجه شبه فى ذلك بين نجد والبلدان المجاورة .

وكان النجديون يحصلون على القماش الخام سواء الشتوى أم الصيفى من بلدان الخليج أو العراق ، كما تشكل الحجاز والشام ومصر وعمان واليمن وتركيا مصادر أخرى لجلب القماش الى نجد اضافة الى استيراد الملابس الخارجية الجاهزة كالعباءات (١).

ويتفق الحضرى النجدى مع البدوى فى ارتداء الملابس الفضفاضة المريحة ، كما قد يتشابهان أحيانا فى شكل الأكمام وكونها واسعة انسجاما مع سعة الثوب حيث عرف " الثوب المرودن " فى تلك الفترة عند البدو والحضر (٢)

والغالب على ملابس الرجال الخارجية كونها من القطن الأبيض (٣)، وأحيانا الأديمى والأسود والعودى " القرنفلى" والسمائى (٤) ، وتتبدل هذه الأقمشة تبعا لحالة الطقس والوضع الاجتماعى ، ومن هنا فان نجداً قد عرفت نوعا من الألبسة غالية الثمن تلبس فى فصل الشتاء وهى المسماة " الجوخ (٥) " والتى

---

(١) الريكى : لمع الشهاب ١٨٧ ، ١٩١ .

(٢) السويداء : مرجع سابق ٣٧٦ ، والمرودن هو الثوب الذى تتكون أكمامه من ردنين ، والنجديون يأتون بصيغة الجمع فيقولون: ردون مع انهما اثنان ، وهى لغة فيها .

(٣) يذكر الريكى أن الغالب على لباس الرجال الكرباس بكسر الكاف وهو الثوب المكون من القطن الأبيض وهى لفظة فارسية الأصل .
(الفيروزابادى والزبيدى باب السين فصل الكاف ، الريكى ١٨٧) .

(٤) الريكى ١٨٣ ، ١٨٧ .

(٥) الجوخ : نسيج من الصوف الانجليزى غالى القيمة لا يلبسه الا الأثرياء فى نجد ومنطقة الخليج والعراق وكان من أهم صادرات شركة الهند الشرقية الى منطقة الخليج فى القرن الثالث عشر الهجرى / (=)

كان لبسها الى وقت قريب مظهرا من مظاهر التمايز بين الفئة الثرية والفقيرة في المجتمع، ويبدو أن بعضا من طلاب العلم قد أشكل عليه حكم لبس الأحمر والمعصفر خشية التشبه باليهود ،فأفتى ابن ذهلان بعدم كراهية ذلك في نجد لانتفاء العلة وهي عدم وجود يهود فيها (١).

ومما يشير الى قدم معرفة نجد بهذا النوع الفاخر من اللباس قول راشد الخلاوي (٢):

فاصل الحرير العال من جوف دودة . . والجوخ صوف لكن اجزاه جات به

وكما عرف العرب قديما الجباب والأقبية فقد عرف حضر نجد هذه الملبوسات سواء كانت بأسمائها القديمة (٣) تلك أم كانت تحت أسماء أخرى كالزبون والصاية (٤) وغيرها مما يجد المطلع على بعض ملبوسات البلدان المجاورة تشابهها

(=) الثامن عشر الميلادي ،وقد حوى الأدب الشعبي في نجد ومنطقة الخليج أمثلة وأبياتا تشيد بهذا النوع من القماش (العبودي : ١٠٣٣/٣ ،الجهيمان ٢٩٤/٧، ٢٩٥ ،د. عبد الأمير الأمين : المصالح البريطانية في الخليج العربي(ص ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩ ، البسام: الزبير ١٣١ ،الحاتم : خيار مايلتقط ٢٧٦/١).

(١) المنقور ٧٧/١ ،والعصفر بكسر العين نبات معروف في نجد يتخذ من بزره صبغا للثياب ولفظه فصيح (الفيروزابادي والزبيدي باب الراء فصل العين)

(٢) ابن خميس: الخلاوي ٢٥٣ ،ويتضمن الشطر الأول الاشارة الى الله عز وجل بأنه فاصل الحرير من جوف دودة القز،اما الشطر الثاني فيشير الى أن الجوخ صوف معروف.

(٣) د. جواد علي ٥٢/٥، ٥٣ ،والجباب جمع جبة ،والأقبية جمع قباء.

(٤) الزبون : معروف في العراق ومنطقة الخليج بهذا الاسم وفي الشام باسم القنباز وفي المعاجم العربية الزبن والزبون ،وهو شبيه بالثوب بجسده وأكمامه ولكنه مفتوح من الامام وقماشه من النوع الثقيل الملون ويلبس فوق الملابس،وتشبهه الصاية ولكن قماشها من النوع الخفيف الأبيض (الفيروزابادي والزبيدي باب النون فصل الزاي ،أحمد رضا قاموس رد العامي الى الفصيح ٢٢٤، ٤٨٣، ٤٨٤ ،السويداء ٣٧٩).

بين أهلها وبين النجديين فى شكل هذه الملبوسات وطريقة لبسها .

ومن الملابس المعروفة فى تلك الفترة اللبدة أو اللبادة ، وهى نسيج من صوف يؤخذ من أغنام المنطقة ويصنع محليا ويبطن بقطن حتى لا يخدش الجلد ، وربما جلب من المناطق المجاورة ، وهى لباس داخلى للنصف الأعلى من الرجل على شكل الصدرية فيما يبدو ، وقد ورد ذكر اللبدة فى قول حميدان :

يوم جا ماعطانى لبيبده .. أتدفا بها يوم ظهرى عرى (١)

ومن أهم أجزاء اللباس التى يحرص البدوى والحضرى فى نجد على ارتدائها العباية (٢) ومن أفخر أنواع العبى التى عرفت فى نجد فى تلك الفترة العبي القيلانية التى يأتى منها ألوان أشهرها الأسود ، وقماشها يجلب الى الأحساء ثم يحاك على شكل عباية محاطة بنوع من الخيوط الصفراء ، وهى ناعمة ولا يلبسها الا الأثرياء فى المجتمع (٣).

ومن أنواع العبى الفاخرة كذلك العبى الشرقية ، وليس من المعروف هل هى القيلانية أو أنها تنافسها فى الجودة ، الا أنه يمكن من معرفة جهة ورودها وهى شرقى شبه الجزيرة والعراق امكانية اعتبارها القيلانية نفسها أو أن النوعين من جهة واحدة ، ويبدو أن ذلك اطلاق عام للعبى الواردة من شرقى شبه الجزيرة المشهورة بجودة حياكتها ، وتدخل القيلانية

---

(١) الفرج ٦٦/١ ، كمال ٤٨/٩ ، الحاتم ١٥٦/١ ويروى أتدفا : أتوقى واللبدة فصيحة (الفيروز أبادى والزبيدى باب الدال فصل اللام) .

(٢) العباية أكثر استعمالا وان كانت العباءة والعباوة لغتين فيها ، وتجمع على عبى وعباءات (المصدران السابقان باب الواو والياء فصل اللام) .

(٣) الريكى ١٨٣ ، ١٨٨ .

ضمنها تمييزا لها عن تلك التى تحاك فى نجد فى تلك الفترة، وقد أورد المنقور فى الفواكه اشارتين الى جودة هذه العبى فى باب الرد فى البيع اذا حصل غبن، حيث أن الناس يفضلون تلك العبى وقد يجهلون صفاتها فيشترونها على أنها شرقية فأفتى ابن ذهلان بأن للمشترى الرد ان بانت أردأ.(١)

على أن العبى الشمالية كذلك لا تقل جودة عن الشرقية خاصة وأنها فى الغالب من النوع الثقيل الذى يتحمل برد نجد القارس، وهذا ماجعلها تلقى تفضيلا كذلك عند النجديين فى تلك الفترة والى الوقت الحاضر، وفى هذا الصدد كذلك أورد المنقور فتوى لشيخه ابن ذهلان مفادها أن المشترى اذا اشترى عباية بظنها شمالية بثمن الشمالية فبانت أردأ فله الرد.(٢)

ويلبس عامة أهل نجد عبيا شقراء تصنع من الصوف، وأحيانا من تلك التى تكون مخططة بأبيض وأسود وتجلب محاكة من الشام والعراق والأحساء وأحيانا تحاك فى نجد، وتعتبر أردأ من النوعين السابقين(٣)، ومن هذه العبى البرقاء(٤) التى كان يلبسها الفقراء والأدنون من الناس، ومن هنا جاء المثل: " أبرق عباة " للشخص المجهول أو المغمور، وكذا المثل " برق العبى تشتبه" يضرب للأشخاص الذين لاخير فيهم يشتبه بعضهم ببعض فى الرداءة(٥)، ويبدو برق العبى كانت معروفة عند العرب قديما ولبسها يعد صفة ذم كذلك، وهذا ماجعل جريراً يقول ضمن هجاء له:

فانكم قطين بنى سليم .. ترى برق العباء لكم ثيابا(٦)

---

(١) المنقور ١/١٩٢، ١٩٧، الريكى ١٨٨.
(٢) المنقور ١/١٩٢.
(٣) الريكى ١٨٨
(٤) من معانى أبرق وبرقاء: كل شئ اجتمع فيه سواد وبياض (الفيروزابادى والزبيدى باب القاف فصل الباء).
(٥) العبودى: ١/٣٦، ٢٥٩
(٦) محمد اسماعيل الصاوى: شرح ديوان جرير ط(١) مطبعة الصاوى نشر المكتبة التجارية الكبرى. القاهرة ١٣٥٣هـ ص ٧٦، والعبودى ١/٢٥٩

ومن هذه العبى " الدويرجية " (١) نسبة الى بلدة دورق (٢) التى اشتهرت منذ فترة متقدمة بحياكة بعض الملابس المنسوبة لها ، ويبدو أن منطقة نجد عرفت هذا النوع من العبى عن طريق الأحساء نظرا لقرب بلدة دوق منها ، أو جنوب العراق الذى يعد أقرب المناطق اليها ، وقد ورد ذكر هذين النوعين من العبى فى قول الشاعر العامى :

تكسيه المحرمة والعبات .. برقا أو عبات دويرجية (٣)

أما أغطية الرأس فقد عرف حضر نجد فى تلك الفترة لبس الكفية (٤) وفوقها عمامة حمراء أو مخططة بلون أحمر ، وقد يلبس كمة أو طاقية (٥) تحتها ، وقد يلبس عقالا أو عصابة (٦) تشبه عصائب قدماء العرب التى قيل أنها هى العمامة وقيل أنها شبيهة بالعقال (٧) ، ومما يؤكد شبهها بالعقال قول حميدان فى ذم بعض الصفات السلوكية عند البعض .

وصف المحابس وزين الملابس .. وكب العصايب وكسع المحارم (٨)

---

(١) على لهجة شرق شبه الجزيرة بقلب القاف جيما أحيانا .

(٢) تقع بلدة دورق فى منطقة خوزستان وهى منطقة عربستان الحالية الحالية (ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢ / ٤٨٣)

(٣) الحاتم ٢ / ١١٦ ، والمحرمة تطلق على الثوب .

(٤) الكفية قيل أنها من الكف بمعنى الجمع أى المكفوف بعضه الى بعض وقيل انها نسبة الى الكوفة فذكر بعضهم أن أصلها عربى ، وبعضهم ذكر انها ليست عربية ، ومن مجموع الأقوال فيها يتبين أنها اسم جامع لكل مايوضع على الرأس عدا العمامة فهى تشمل الشال والغترة والشماغ والحطة والمنديل والحلالية والقزية وغيرها (أحمد رضا : مرجع سابق ٥٠٤ ، ٥٠٥) .

(٥) الطاقية اسم لكل مايوضع تحت الكفية ويدخل بعضهم القلنسوة فى معناها ، والطاقية ليست فصيحة وفصيحتها الكمة لأنها تغطى الرأس كما تغطى الاكمام اليدين (المرجع السابق ٣٦١ ، ٣٦٢) .

(٦) العقال والبريم والعصابة والخزام والسب كلها اسماء لمسمى واحد حسب المناطق العربية (المرجع السابق ٥٠٥ ، ٥٠٦) .

(٧) د . جواد على ٥ / ٤٩ ، ٥٠

(٨) الفرج ١ / ٤٦ ، كمال ٩ / ٣١ ، ويروى الشطر الأول : ونظف الملابس ولبس المحابس ، الحاتم ١ / ١٦١ ، وصف المحابس : أى وضع الخواتم

(=)

فهذا البيت كما يبين بعض الملبوسات فانه يشير الى أساليب اللباس التى يظهر بها بعض المترفين كلبس الخواتم والعناية بمظهر اللباس بشكل ملفت للنظر، واطالة العصائب أو العقل على أحد جانبى الرأس واطالة الثياب خيلاء وكبرا ، وعلى ندرة الفاعلين لذلك فى تلك الفترة فان اشارة حميدان تدل على قيام بعض المترفين بهذا العمل مما يعطى تصورا بتشابه هذه الصفات السلوكية عند المترفين قبل تلك الفترة وبعدها .

وتختص بعض الفئات فى المجتمع بأنواع من اللباس وأساليب فى اللبس تميزها عن الآخرين ، فمن تظهر عليهم سيما الصلاح يلبسون العمامة أو نوعا خاصا منها يضفى عليهم المهابة والاحترام والى هذا أشار الهزانى بقوله :

مايـنومن لوكان يلبس عمامـــة .. لو هو نقى فالعرب به يشكون (١)

ولم يكن لبس العمامة وحده مظهرا خاصا بهذه الفئة فقد يشترك معهم فى ذلك بعض العامة الا أن لبسها بطريقة خاصة مما يميز هذه الفئة عمن يلبس العمامة من غيرها ، فكبر العمامة وتكويرها تعد أبرز الصفات التى يتصف أفراد هذه الفئة بها ، وتعطى تصورا بشرف لابسها وقيمته الاجتماعية والى هذا المظهر أشار الهزانى كذلك مصورا جمال محبوبته حيث أطلق على المتدينين كبار العمايم :

لوشاهدوا حسنه كبار العمايم .. تبدلوا عقب الهدى بالمواثيم (٢)

(=) فى الاصابع ، وكب العصائب : امالة العقال ، وكسع المحارم : اطالة الثياب وامالتها (د . عبد الله الفوزان : حميدان الشويعر (١) ، مطابع نجد . نشر شركة الجريسى للتوزيع ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ص١٤٣) .

(١) الحاتم ١/١٨٣ ، كمال ١٢/٢٦ ، وينومن : يؤمن ، ومعنى البيت لا يؤمن جانبه حتى لو لبس العمامة تدينا أو تظاهرا بأى مظهر تدين فلو كان نقيا فان المجتمع يشك فى صدقه .

(٢) الحاتم ١/٢١٦ ، كمال ١٢/١٣٥ ، وصيغة جمع الاثم هنا غير فصيحة ، وتكثر فى اللهجة النجدية لغة : أكلونى البراغيث كما فى الشطر الأول ومعنى البيت لو شاهد حسن هذا المحبوب وكان على درجة من التدين لتغير هداه الى ضلالة ، وسبحان مقلب القلوب .

ولم يكن تكوير العمامة(١) وحدها علامة على الجاه والمكانة الاجتماعية العالية التي يحظى بها المتدينون في المجتمع فلبس الشال المهدب بطريقة خاصة من أساليب اللباس لدى هذه الفئة، وقد أشار جبر بن سيار الى كبر العمامة ولبس الشال ضمن ألبسة المتدينين في المجتمع في معرض الذم لمن يتظاهرون بالدين وباطنهم خلاف ذلك حين قال :

وكل كبير التاج فسل مطوع .. يأبى الى كشف الغطا عن سرايره
كما الديك براق الجناحين مكحل .. يرى الطوعى شال على الرأس كايره(٢)

وقد عرف النجديون النعال المتخذة من جلود الحيوانات المدبوغة التي سبقت الاشارة الى أنها تصنع في نجد وتختص بلبسها في الغالب الفئة الثرية أما عامة الناس فمن لابس للنعال الشبيهة بالجلدية والمصنوعة من خوص النخيل بعد سفه، ومن مكتف بالعراقيب يلبسها اذا الجأته الضرورة القصوى الى ذلك(٣).

---

(١) تكوير العمامة هو لفها على الرأس وتحويرها عكس ذلك فالأول يدل على الرخاء والنعمة وحسن الحال، والثاني يعني تغير الحال الى أسوأ وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الحور بعد الكور- بفتح الأول والثاني - أي من النقصان بعد الزيادة (الامام احمد : المسند ٨٢/٥، ٨٣، الفيروزابادى والزبيدى باب الراء فصل الحاء والكاف، د . جواد على ٤٩/٥).

(٢) الحاتم ١٣٥/١، والمقصود بالتاج هنا العمامة اذا يطلق على العمائم منذ القدم تيجان العرب، فسل : رذل لا مروءة له، مطوع : ذات تركيب فصيح فهي مأخوذة من اطاعة أوامر الله، أو محرفة من مطواع بمعنى مطيع ومعنى الشطر الثاني : يرفض اذا كشفت اسراره ان يعترف بها، ومعنى البيت الثاني انه كالديك مختلط بياض جناحيه بسواد أو حمرة، وقد كحل عينية ويعتقد أن التدين في وضع الشال على الرأس بطريقة مهيبة (الفيروزابادى والزبيدى باب اللام فصل الفاء، د . جواد على ٤٨/٥، ٤٩، العبودى ١٣٥٧/٤).

(٣) محمد القويعي تراث الأجداد ط (١) مطابع البادية للأوفست ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ص ٩٢، ٩٦، ١٥٧، والعراقيب جمع عرقوب وهو نعل نصفي من الجلد على قدر عرقوب القدم ومن هنا جاءت تسميته.

أما الخفاف فأبرزها الزرابيل التى تصنع من الجلود كذلك والتى كانت معروفة فى بعض المناطق المجاورة منذ فترة متقدمة، وظلت تلبس فيها وفى نجد الى وقت قريب مما يعطى تصورا بتشابه منطقة نجد وهذه المناطق فى لبس مثل هذا النوع من الخفاف.(١)

وتختلف ملابس النساء وأنواع حليهن تبعا لثراء الأسرة والمكانة الاجتماعية للمرأة، فالنساء الثريات يتخذن ملابسهن من الحرير الهندى عالى القيمة المحلى بالذهب حيث تأتى منه الوان عديدة، وكذلك الحرير الايرانى الذى يعتبر أكثر صفاء من غيره اضافة الى الحرير الشامى المطرز بالذهب وكذلك الحرير الرومى" التركى" ، أما عامة النساء فيتخذن ملابس من قماش أسود متوسط القيمة أو قليلها ، وأحيانا من قماش أزرق أو أحمر ويتم خياطة تلك الأنواع سواء الراقية منها أم العكس على شكل مقاطع أو أثواب وقد نقل المنقور عن شيخه ابن ذهلان فتوى حول بلاء الكسوة ومتى وفى أى نوع من الأقمشة يكون للمرأة على الرجل كسوة اذا بليت؟ فأفتى بأن الشقة السمراء - وهى فيما يظهر نوع ردئ من القماش - لا تكفى العام غالبا اذا كانت وحدها وأنها قرب ثلثى العام أو ثلاثة أرباعه.(٢)

ويبدو أن المعتدات عدة وفاة يتخذن ملابس للعدة من هذه الشقة

---

(١) البهوتى : شرح المنتهى ١ / ٦٠ ، عثمان بن قائد : هدية الراغب ٣ ٥ ، الفيروزابادى والزبيدى : باب النون فصل الزاى ، المنقور ١ / ٦٠ ، الحلاق : حوادث دمشق ٢٠٦ ، أحمد رضا ٢٢٦ ، وقد سبق الحديث عن الزرابيل ضمن مبحث الحرف اليدوية فى الفصل الأول من الباب الثالث.

(٢) المنقور ٢ / ٦٧ ، الربكى ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ، السويداء ٣٨٠ ، ٣٨١ والفرق بين المقطع والثوب أن المقطع شبيه بثوب الرجل مقطع الى قطع يوصل بينها بخياطة على قدر الجسم بينما الثوب له اكمام واسعة فضلا عن سعته هو وقد تلبسه المرأة على المقطع وفى الصلاة.

السمراء مما حدا بابن ذهلان كذلك أن يفتي بأن المقصود الشقة السمراء التي ذهب نيلها فهذه يجوز للمعتدة لبسها بخلاف المصبوغ، وفضل أن تكون غير جديدة وان لم يشترط ذلك.(١)

وتخضع أنواع العبى كذلك للمقاييس الاجتماعية السابقة فالنساء الثريات يلبس نوعا من العبى القيلانية تقارب في جودتها القيلانية الرجالية وهي محاطة بخيوط من الذهب وتجلب من منطقة الأحساء، أما عامة النساء فيلبسن عبيا سوداء تقل قيمتها كثيراً عن القيلانية، ورغم شبه خياطتها بخياطة عباية الرجل الا أنها تختلف عن الرجالية بلونها الأسود دائما وبكون أكمامها ضيقة أو مغلقة حتى تخفي المرأة يديها بها.(٢)

أما أنواع الحلي فقد كانت هي الأخرى تختلف وتتباين نفاسة ورداءة بين الفئات الثرية والمتوسطة والفقيرة في المجتمع، وكما سبقت الاشارة الى بعض العملات المتداولة آنذاك فان بعضا من النساء المقتدرات ماليا يتخذن منها حليا وقلائد بالربط بين كل عملة وأخرى سواء كان للتحلي بها في الرقبة أم الأذن أو اليد.

ولما كان الهزاني يعد من أبرز الشعراء الذين تغزلوا بالمرأة فقد جاء وصفه واضحا لعدد من أنواع الحلي ووسائل التجمل عند المرأة في تلك الفترة، ومن أبرز أنواع الحلي التي ذكرها البرابيش وهي حلي تعقصها المرأة على جدائلها بعد تضفيرها، وقد أشار اليها بقوله:

واستأنست روحي للاحباب واشفيت .. باغي مواصل لابسات البرابيش(٣)

ومن أنواع الحلي كذلك المفاتيل وهي على شكل مفتول تلبس في المعصم وتتكون من أنواع من المعادن تختلف نفاسة ورداءة وربما شكلت من

---

(١) المنقور ٢/٧٣.

(٢) الريكي ١٨٤، ١٨٨، السويداء ٢ ٣٨٢.

(٣) كمال ١٢/٥٧، باغي: مريد

من غير المعادن كذلك، اضافة الى الطوق وهي حلى تطوق به المرأة عنقها على شكل قلاده وقد يطلق عليها المورقة، وقد أشار اليها والى المفرك وهو نوع من الحلى ،أو الثوب النسائى المفروك بأصباغ جميلة،أشار الى هذه الثلاثة بقوله

قلت: الرهانة قالت : دوك المفاتيل .. الطوق والمفرك ولياك تطريش (١)

وتعد الخواتم ذات الفصوص المكونة من الأحجار الكريمة، وكذلك المحابس وهي التي بدون فصوص وتشبه خواتم الرجال ،تعد هذه الحلى من أهم ماكانت تتحلى به المرأة قديما وحديثا ،فهي مظهر من مظاهر الجمال عند المرأة، وطريقة لبسها وعددها يعطي جمالا أكثر ،ففي اليد اليمنى تختار المرأة أربعة أصابع منها لتجعل في كل اصبع خاتمين مما يجعل جمال الكف متناسقا والى هذا المظهر أشار الهزاني بقوله :

والذال ذهب الحواجر بيمناه .. أصابعه تزها الخواتم ثماني (٢)

وتحلى المرأة النجدية رجليها من أسافل ساقيها بالخلاخيل جمع خلخال أو ما يطلق عليها الحجول جمع حجل (٣) ،وهي من أنواع الحلى

---

(١) المرجع السابق ١٢/ ٥٨ ،السويداء ١٤٣ ،دوك : خذ أو هاك ، أصلها فصيح من دونك فحذفت النون ،لياك: منحوته من لا وياك تطريش: من الطرش والطراشة : السفر ابتغاء الكسب ويرجح العبودى أنها فصية أهملتها المعاجم. (الأمثال العامية ١/ ٢٤٩، ٢/ ٦٥ ، ٥/ ١٦٦٢).

(٢) كمال ١٢/ ١٢ ،السويداء ١٤٤ ،ولعل معنى ذهب الحواجر تعريف للشئ بأصله اذ الذهب أصله من الحجر أو أن ذلك على أساس أنه يطلق على الذهب الحجر، وفي الشطر الثاني يبين أن الخواتم قد زهت بأصابيع محبوبته وليس العكس، والخاتم والمحبس كلها فصيحة (أحمد رضا ١١١، ١١٢):

(٣) الخلخال والحجل كلها فصيحة (الفيروزابادى والزبيدى باب اللام فصل الحاء والخاء).

الموغلة فى القدم عند المرأة العربية حيث أشار الى ذلك امرؤ القيس بقوله :

كأنى لم أركب جوادا للـــذة .. ولم أتبطن كاعبا ذات خلخـال (١)

وقد ورد ذكر الخلاخيل عند الهزانى حينما عد لبسها من أهـم صفات الجمال عند المرأة فى تلك الفترة فى قولـه : (٢)

تشكى الجفا من لابسات الخلاخيل .. نجل العيون معسلات الأشافى

وقد عد أحد الشعراء العرب عدم احداث جلجلة للخلخال صفـة مدح للمرأة حين قال فى شطر بيت: " براقة الجيد صموت الخلخل" (٣) على أساس أن أهم صفة فى المرأة هى عدم ابداء زينتها ،الا أن الهزانى قد عد رنيـن الخلخال أو الحجل علامة ملفتة للمرأة ،وتذكر بعض ملامح الجمال فيها ،وذلك فى بيته الذى يقول فيـه : (٤)

هو قط جسمك ناحل من فراقــه .. هو جس رنين الحجل فى عرض ساقه

وقد حرصت المرأة النجدية فى تلك الفترة كما هى عادة المرأة فـى كل زمان ومكان على استعمال كافة وسائل التجمل الأخرى غير الحلى مـن التجمل بكافة المساحيق المتوافرة آنذاك كالكحل وما يوضع على الوجه وخضاب الشعر واليدين وما الى ذلك من أمور تجميلية غير مفرطة تتخذها المرأة فـى الغالب من النباتات الموجودة فى المنطقة.

ويعد غسل الرأس بالسدر من أهم ماكانت تتخذه المرأة ابتـداء لتجملها بما يمنحه من نظافة ظاهرة ورائحة شذية ،اذ يعطى فى هذا السبيل مالا تعطيه كثيرا من وسائل النظافة والتطيب ،وهذا ماجعل الهزانى يبـرز هذا المظهر فى محبوبته كأهم صفة جمال واغراء حيث يقول :

---

(١) المرجع السابق باب اللام فصل الخاء ،د. جواد على ٦٢٣/٤

(٢) كمال : ٣٥/١٢ ،الاشافى جمع شفه والفصيح أن يقول : شفاه.

(٣) الفيروزابادى والزبيدى باب اللام فصل الخاء.

(٤) كمال ١٠٤/١٤ ،وقط : أجل .

اللى نطحنى سيد الغاويـــات .. اللى غسل راسه بسدر من اليوم (١)

ومن مظاهر التجمل عند المرأة النجدية آنذاك اتخاذ الرشوش دهانا لشعر رأسها سواء قبل أم بعد تضفيره وهو معجون مكون من زعفــران (٢) وورد وبعضا لمواد الأخرى حيث يضفى على شعر المرأة لونا جذابا ورائحة طيبة والى هذا النوع أشار الهزانى بقوله : (٣)

يامن الى وردن الأظعان مـــاورد .. يامن رشوش قرونه الشقر ماورد

وقد يكتفى بالزعفران للتضمخ به تجملا وتطييبا لشعر الرأس حيث أشار الى ذلك رميزان بقوله : (٤)

والاشد مجدول طويل ضافــي .. والا تذلت بالزعفران عطو رها

وتتجمل المرأة كذلك بصبغ أو نقش الخدود ونمش الأوجان منهـا خاصة بالزعفران كما تخضب كفيها بالحنا الذى تضيف اليه المرأة بعـض المواد المحسنة حيث يضفى على كفيها جمالا تعجز عن اعطائه وسائل التجميل الحديثة. (٥)

---

(١) كمال ٣٩/١٢ ، نطح : أتى من الامام (فصيحة) .

(٢) الزعفران : نبات بصلى قيل اصل لفظه عبرى ويعرف بجادى وقيـل معرب عن الفارسية ، وقد عرفه العرب بهذا الاسم ، والريهقان والشعر والعبير والقرمد وغيرها ، ويعد من النباتات العالمية ، وقد ورد لـه ذكر فى الأدب العربى وله عدة استخدامات طبية وغذائية وتجميلية (أحمد قدامة: قاموس الغذاء والتداوى بالنبات ٢٥٧-٢٥٩) .

(٣) كمال ٣٢/١٢ ، الحاتم ١٨٥/١ وقد ورد الشطر الثانى عنده (بالزين مثل بنية عند سرداح) ومعنى الشطر الأول يامن اذا ورد الاظعان الماء لم يرد ، والشطر الثانى يامن يتكون دهن ظفائره من ماء الورد وانظر الى الجناس اللفظى فى (ماورد) الأولى و(ماورد) الثانية .

(٤) الحاتم ١٢/١ ، وتذلت : أمالت شعرها الى قذالها وهو مؤخـر الرأس ، وهو هنا مشطت رأسها الى مؤخرته وعطرته بالزعفـــران (الفيروزابادى والزبيدى ، وباب اللام فصل القاف) .

(٥) الحاتم ٧٥/١ ، كمال ٣٤/١٢، ٥٤ ، السويداء ٣٨٧، ٣٨٨ .

تلك هى أبرز مظاهر اللباس عند الرجال والنساء وما يتعلق بذلك من أدوات التحلى ووسائل التجمل ، ويجد المطلع عليها وعلى مثيلاتها عند العرب الأقدمين أنها عند النجديين مغرقة فى الأصالة ، وهى أصالة تنسجم مع الوضع الاجتماعى العام الذى يعيشه النجدى فى مختلف مجالات الحياة .

٤ - أبرز أنواع الأكل والعادات الخاصة به :

يختلف أكل الحضر عن أكل البدو حيث يتسم أكل الأولين بالتنوع الى حد ما بينما تبرز فى أكل الآخرين البساطة المتناهية وهذا بشكل عام اذ أن شح الموارد الاقتصادية قد تعكس الوضع أو قد يتساوى الطرفان شحا فى الأكل وندرة فى عناصره ، على أن الأكل - من جانب آخر - يعد مظهرا من مظاهر الاختلاف بين فئات وأفراد المجتمع حسب الحالة الاجتماعية لكل منهم .

ويشكل التمر أهم المواد الغذائية التى عرفتها نجد منذ فجر تاريخها حيث كانت تكتفى منه ذاتيا فى فترات الازدهار الزراعى بل انه يعد فى تلك الفترات مادة من أهم المواد التى تدخل فى حركة التبادل التجارى بين نجد البلدان المجاورة ، وفى المقابل فانه فى فترات الشح الاقتصادى يتم تعويض النقص فى التمور باستيراد كميات منه من البلدان المجاورة سواء من تلك التى داخل الجزيرة العربية أم من خارجها (٢) .

---

(١) الحاتم ١ / ٧٥ ، كمال ١٢ / ٣٤ ، ٥٤ ، السويداء ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

(٢) الريكى ١٩١ ، وأعيد هنا ماسبق أن ذكرته فى حركة الأسعار فى الفصل الثانى من الباب الثالث حينما انخفض سعر التمر حينما مر حجاج الأحساء بالعارض عام ١١٣٣ هـ / ١٧٢٠ م .

ويتم الاعتماد على التمر كغذاء رئيس طيلة موسم جنى التمر حتى اذا جاء وقت صرام النخل تزود الناس منه الى أن يتم زهو التمر فى عام قابل حيث يتم حفظه طيلة هذه الفترة بعدة طرق تحول بينه وبين الفساد .

ومن أبرز طرق حفظ التمر كنزة وهو ضغطه أو كبسه وهى طريقة معروفة عند عرب الجاهلية بالأساليب التى عرفها النجديون الى وقت قريب بل بعضها بقى الى الوقت الحاضر فعدا الجصاص والصوب والقعد كان النجديون يكنزون التمر فى ظروف ومكاتل من الخصوص تسمى خصافا أو قفافا أو فى أكياس وقرب من القماش أو الجلد ، وهى تشبه أوعية التمر المكنوز لدى عرب الجاهلية (١) .

وبالاضافة الى الاعتماد على التمر بمفرده كغذاء رئيس فقد أدخله النجديون - تماما كما فعل أسلافهم العرب الأوائل - فى تركيب بعض المأكولات حيث عد من أهم عناصرها الغذائية ، فقد عرف بنو حنيفة طعاما يشكل التمر أهم عناصره وهو الحيس أو الحويس حتى عرف هذا الطعام بهم فقيل (حيس بنى حنيفة) ويلغ من حبهم له أن اتخذوه الها (٢) ، وهو مكون من تمر وقمح وأقط أو تمر واقط وسمن تعجن الى بعضها ، وهذا الطعام يشبه تماما طعام الحنينى الذى يتكون من الخبز مخلوطا بالتمر بعد نزع نواه

---

(١) المنقور : الفواكه ١/٢٦٠ ، ٢٦١ ، د . جواد على ٦٨/٧ ، ٦٩ ، وقد سبق ذكر الخلاف الذى جرى بين ابن عطوة وزميله الشويكى حول التمر المضغوط وهل يتأتى كيله أو وزنه .

(٢) د . جواد على ٩٨/٤ ، ٣٩/٧ ، وقد ورد أن بنى حنيفة أو بعضا منهم حينما جاعوا أكلوا حيسهم الذى اتخذوه الها فقال أحد الشعراء يهجوهم :

أكلت حنيفة ربها .. زمن التقحم والمجاعة
لم يحذروا من ربها .. سوء العواقب واتباعه

مضافا اليه الزبد وربما شئ من حامض الأترج أو الليمون ، كما يشبه طعام الحويس أو العفيس أو الخلاصة الذى تعرفه كثير من مناطق نجد الى الوقت الحاضر وهو يتكون من التمر مع خلاصة (بقايا) السمن بعد طبخه مع شئ من الدقيق .(١)

أما القمح فقد سبقت الاشارة الى قدم زراعته فى هذه المنطقة ، والى بروزه كسلعة رئيسة عند الحديث عن حركة الأسعار فى تلك الفترة ، وهذا ماجعله مادة غذائية مهمة سواء بمفرده أم بخلطه مع التمر - كما مر - أم بدمجه مع بعض أنواع الحبوب الأخرى .

ولئن كان الخبز المصنوع من القمح على أنواعه قد عرفه العرب فى مراحل تاريخهم الطويل فقد أشار مؤرخو العرب قبل الاسلام الى الرقاق أو المرقق أو المرقوق مما يبدو معه أن الطعام المعروف عند النجديين بالاسم الأخير منه له جذور تاريخية وان لم يكن ذلك بالدقة فى طريقة صنعه واضافة المواد الأخرى اليه .(٢)

وقد أشار المنقور فى مجموعه الفقهى الى القمح المعروف باللقيمى وخلط بعض الباعة له بنوع أردأ منه وهو السويلمى حيث نقل فتوى لشيخه ابن ذهلان أنه لابد من رؤية جميع المبيع فى هذا ولا يكفى ظاهره ،(٣) والنوع الأول عرف بجودته واتخاذ النجديين لطعام الجريش منه فى تلك الفترة وربما قبلها الى الوقت الحاضر ، وقد ذكر صاحب اللمع أن هذا الطعام من أبرز أطعمة النجديين وأنه يطبخ كالرز مع اضافة الدهن الكثير اليه ، وهذا

---

(١) الحنينى مجهول التسمية ، ولعله منسوب لشخص يقال له حنين ، أو من تحنن الطعام اذا تغير طعمه وريحه ، او من الحناء على اساس قرب لون الحنينى من لون الحناء ، اما الحويس فهو من الحوس بمعنى الخلط ، والعفيس من العفس بمعنى الدعك او الدلك ، اما الخلاصة فعلى اساس ان بقايا الزبد (خلاصته) تشكل عنصرا غذائيا مهما فى تكوينها (الفيروزابادى والزبيدى باب السين فصل الحاء ، وفصل العين ، احمد رضا ١٤٢ ، ٣٨٠ ، العبودى ٤٣٤/١ ، ١٠٣٣/٣ ، الجهيمان ٣٠٦/٨ ، القويعى ١١٧) .

(٢) د. جواد على ٥٧٣/٧ ، السويداء ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

(٣) ٢٤٩/١ ، ويبدو ان اللقيمى بهذا الاسم والصفة كان معروفا عند (=)

وصف ينطبق تمام الانطباق على طريقة اعداد هذا الطعام وتقديمه حتى يومنا هذا.(١)

أما خلط القمح بأنواع الحبوب الأخرى واعداد طعام واحد منها فقد برز شكل واضح فى الطعام المعروف بالمثلوث وهو نوع من أنواع العصيد مكون من القمح والذرة والدخن وسمى بالمثلوث على أساس ثلاثية عناصره واليه أشار حميدان الشويعر بقوله :

تعبا المثلوث من الجهمة .. من ليل يرعد تنوره (٢)

ويتخذ النجديون من الذرة طعاما اما بمفردها واما بخلطها مع بعض الحبوب الأخرى حيث تعد الذرة المحصول الزراعى الثالث الذى يلقى طعامه تفضيلا لدى النجديين ولا أدل على ذلك من دخوله فى حركة أسعار الأطعمة فى تلك الفترة كما مر.

ومن أبرز الأطعمة المتخذة من الذرة العصيد (٣) وهو من الأطعمة

(=) العرب منذ فترة متقدمة فقد ذكر الفيروزابادى والزبيدى فى باب الميم فصل اللام أن " الحنطة اللقيمية هى الكبار السروية (أى التى تؤتى من السراة) ،أو نسبة الى لقيم كزبير قرية بالطائف موصوفة بجودة البر والشعير" قلت ربما كان النجديون قد جلبوا هذا القمح من الطائف حتى اذا اعجبوا به زرعوه ،كما لايبعد أن تكون الطائف قد عرفت هذا النوع من نجد باسم قديم ثم اشتهرت به لقيم لان نجدا مشهورة بجودة وكثرة زراعة القمح منذ فترة قديمة كما سبق .

(١) الريكى ١٩٠ ،السويداء ٢٧٨ ،وهو يشبه البرغل المعروف فى بلاد الشام حتى أن البرغل يتخذ منه جريشا ،على أن الجريش معروف عند العرب قديما (الفيروزابادى والزبيدى باب الشين فصل الجيم ،وباب اللام فصل الباء ،أحمد رضا ٤٠) .

(٢) الفرج ٦٢/١ ،كمال ٤٥/٩ ،الحاتم ١٤٦/١ ويروى" من ليل" من فجره ،وتابعه أبابطين ٧٠ ،وتعبا : تهيئ وتجهز (فصيحة) ،والجهمة يقصد بها أواخر الليل (فصيحة) ،والتنور قيل أصله عربى وقيل معرب وهو حفرة ليست بالكبيرة تبنى بالطين ويخبز فيها (الفيروزابادى والزبيدى باب الميم فصل الجيم وباب الواو والياء فصل العين ، د. جواد على ٥٧٤/٧) .

(٣) من فعيل بمعنى مفعول .

التى عرفها العرب فى فترات تاريخهم المختلفة، وفى أغلب بلدانهم، وهم فى هذا يتفقون مع النجديين فى طريقة اعداده، والمواد المضافة اليه، وقد وردت العصيدة ضمن الأطعمة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيبها (١)، ولئن كان النجديون قد عدوها من أهم أطعمتهم الى وقت قريب فقد أشار حميدان اليه على أنها من أبرز أطعمة تلك الفترة حينما قال (٢):

ليتك حاضر عذره وتحليفه .. يوم جاب العصيدة فى الطسيل

ويتخذ النجديون من الذرة والقمح كذلك طعاما شبيها بالعصيد الا أنه يكثر ماؤه حتى يكون شبيها بالحساء الغليظ وهو مايعرف بالدويفة فى بعض بلدان نجد والمويسة (٣) فى بعضها الآخر، وقد وردت كطعام معروف آنذاك فى بيت لحميدان الشويعر يقول فيه:

---

(١) روى الامام أحمد فى مسنده (٦/٢٩٨) عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته فاطمة غدية ببرمة قد صنعت له فيها عصيدة" الحديث وللاستزادة (٤/٣٣، ١٨٨، ٢١١)

(٢) الفرج ١/٥٩، كمال ٩/٤٣، الحاتم ١/١٧٢، أبابطين ٧٧، د. الفوزان ١٩٦، ومعنى البيت ليتك قد حضرت تقدميه الأعذار الواهية المقرونة بالايمان المغلظة لحظة مجيئه بالعصيدة فى الطسيل وهو تصغير طسل بكسر الطاء يطلق على الصحن (فصيحة)، ورغم أن كل الرواة اثبتوها (الطسيل) الا أن بعض الشرّاح ومنهم د. الفوزان قد جعلوها فى الهامش (السطيل) وهو غير الطسيل الذى يقصده حميدان الشعوير (الفيروزابادى والزبيدى باب اللام فصل السين والطاء).

(٣) وهى شبيهة بالحريقة والسخينة عند العرب قبل الاسلام وهى مأخوذه من داف يدوف دوفا ودوفانا بمعنى خلطه أو حركه وبله وفى المغرب تعرف بالحريرة وكذا فى المناطق التى لاتزال متأثرة بالحضارة العربية فى اسبانيا. (الفيروزابادى والزبيدى باب الفاء فصل الدال، د. جواد على ٥/٦٥، ٦٦، السويداء ٢٨٤، وافادة من أستاذى المشرف)

ما دريت أن الدويفة طريفـــة .. لين جيت البير جعله مايسيل (١)

أما الأرز فقد عرفته نجد في تلك الفترة كما أنه معروف لدى العـــرب وعد من أغذيتهم وكان يجلب الى المنطقة من الأحساء التي اشتهرت بزراعته (٢) وقد ذكر صاحب اللمع أن لابن معمر مزرعة في الأحساء تحتوى على النخيـــل والرز (٣)، كما عرفت نجد الرز العراقي، ولأنه محصول خارجي فان نجدا لاتعرفه الا في فترات الرخاء وعند سراة القوم، أما في فترات قلة الموارد فانه يختفــي وتبقى المحاصيل المحلية هي الرائدة في المواد الغذائية، والى الـــرز العراقي أشار الخلاوى بقوله: (٤)

يذبح لهم من كل كبش مقـــرن .. وعيش العراقي بالصحون فراش

---

(١) الفرج ٥٩/١، كمال ٤٣/٩، الحاتم ١٧٢/١، أبابطين ٧٧، د. الفوزان ١٩٦، ومعنى طريفة شئ نادر وصعب المنال وأهل نجد يطلقون على اللحم طريفة لندرته فكأنه شبهه به، وهى فصيحـــة فالطريف النادر عكس التليد المعروف، لين: مخففـــة ومجموعة مـــن الى أن، جيت مخففة مـــن جئـــت البير: بلد سبق التعريف به في الفصل الثاني من الباب الثاني، جعله مايسيل: أى لا أنـــزل الله عليه الغيث، وقيل في مناسبة القصيدة أن أهل البير لم يضيفـــوه حينما مر بهم.

(٢) كان العرب يسمونه الى وقت قريب الرز والأرز والرنز والتمن (ابـــن القيم: زاد المعاد ١٥٧/٣، الفيروزابادى والزبيدى باب الـــزاى فصل الألف والراء، الريكى ٣١، ١٨٣، ١٨٤، العبودى ٣٢٤/١، السويداء ٢٨٤).

(٣) الريكى ٣١، ١٨٣، ١٨٤.

(٤) ابن خميس: راشد الخلاوى ٣٨٥، وقد وردت في هذه الطبعة خطأ مطبعيا (مقرح) بينما في الطبعة الأولى ص ٣٠٩ مقرن وهى الصحيحة ومعنى مقرن أى له قرون وهى أكباش مرغوبة للأكل في نجد.

ويعد الجراد مأكولا مهما لدى النجديين فكما أنه يجتاح الأرض الرعوية والزراعية ويقضي على الأخضر واليابس فان جمعه وادخاله ضمن المأكولات يؤدى الى رخص أنواع الأطعمة الأخرى، وهذا ماجعل المؤرخ النجدى يسجل سني غزو الجراد لا بسبب ماتحدثه من أضرار فقط بل لما ينجم عن صيدها من توفرها في الأسواق النجدية ورخص الأطعمة واللحوم اثر ذلك (١)، وقد أشار حميدان الى الجراد كطعام من أطعمة تلك الفترة بقوله :

ولو كان ماكولى جراد وخلطة .. تصيل وأنالى فى المعزة شان (٢)

واذا كان عرب ماقبل الاسلام يكنون عن الجوع بـ (أبى مالك) (٣) فان النجديين يطلقون عليه لقبا قريبا من ذلك وربما كان أدق حيث يسمونه (أبا موسى) وهم فى يشبهونه بآلة القطع الحادة المعروفة (الموسى) وقد أشار الى ذلك حميدان بقوله :

ولقيت الجوع أبو موسى .. بان له بيت بالحجرة (٤)

هذه أبرز أنواع الأطعمة التى عرفتها نجد فى تلك الفترة والمعتقد أن النجديين قد عرفوا غيرها كذلك كاتخاذهم من الشعير طعاما وغيره من

---

(١) وقد ورد فى السنة مايبين أهمية الجراد كمأكول منها ماروى عن عبد الله ابن أبى أوفى رضى الله عنه أنه قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات وفى رواية ست فكنا نأكل فيها الجراد" متفق عليه ورواه الامام أحمد والنسائى والترمذى والدارمى، ويصور المثل النجدى " كثر الجراد يرخص اللحم" جانبا من ذلك، وانظر السويداء ٣١٦-٣١٨ وقد سبقت الاشارة الى بعض تسجيل مؤرخى نجد لذلك فى الفصل الاول من هذا الباب.

(٢) الحاتم ١٦٦/١، ومعنى البيت لو كان أكلى جراد ومعه أعواد شعير مقصولة مع عزة وشيمة نفس فهذا أحب الى، ويروى الفرج ٢٠/١، وكمال ٨/٩ البيت بهذا اللفظ فى الهامش الا أنه روى فى المتن البيت هكذا : ولو صار شربى ماهماج مخالطه .. حنظل وأنالى بالمعزقشان

(٣) د. جواد على ٦١/٥، كما يكنون عنه وعن الافلاس بـ (أبى عمرة).

(٤) الفرج ١٦/١، كمال ٥/٩، الحاتم ١٦٨/١، أبابطين ٧٢، والحجرة هضبة تقع الى الشمال الشرقى من المملكة وتمتد الى العراق والشام وهي منطقة رعوية الا انه يبدو أن القحط قد عمها حينما مربها حميدان فى عودته من الزبير الى نجد.

المواد الغذائية الأخرى ، ومن هنا فان الأطعمة الشعبية المعروفة الى الآن لها جذور تاريخية ،الا أن عدم ذكر المصادر المعاصرة لفترة هذا البحث لها قد حال دون التفصيل فيها فضلا عن الاكتفاء بما ذكرته كتب المأثورات الشعبية التى تتحدث عنها الى ماقبل النهضة المعاصرة.(١)

ه- أبرز المشروبات وأنماط من العادات المتعلقة بالشرب :

لقد كانت مشروبات النجد بين محدودة حتى القرن العاشر وهى لاتختلف فى محتوياتها عن مشروبات العربى منذ القدم ،فالماء الصالح للشرب يحصلون عليه من بعض الآبار المحدودة التى قد تبز عموم الآبار بكونها أعذب منها ماء نوعا ، كما قد يحصل بعض عليه من بعض العيون والحسي ،الا أن أفضل ماء وأعذبه هو ماء الغيث الذى يحصل عليه النجدى اما عن طريق الميازيب كما مر أوعن طريق بعض الغدران (جمع غدير) التى تتكون هنا وهناك اثر هطول الأمطار ،أوعن طريق الأودية.(٢)

ولا تختلف طريقة شرب الماء عند النجديين كذلك عنها عند عرب ماقبل الاسلام أوعند البدو كذلك فجمع اليدين واغتراف الماء بهما من عين الماء أو مستجمعه ، وكذا الانبطاح على الأرض ثم مد الفم الى الماء ،أو من أفواه القرب والدلاء ،كل هذه طرق تأصلت لدى النجدى منذ القدم اذ لم يعرف الجرار الفخارية أو ماشابهها ، ولكنه قد يشرب الماء فى بعض الأوانى التى تتوافر لديه للاستعمالات المنزلية الأخرى.(٣)

وتبقى المشروبات المأخوذة من الحيوانات هى البارزة ضمن المشروبات

---

(١) السويداء ٢٧٧ - ٢٨٧.

(٢) د. جواد على ٥/٧٦

(٣) المرجع السابق ٥/٧٧

الأخرى حيث يعد وجود الأبقار أو الأغنام أو الماعز - قلت أم كثرت - من أهم الأمور الضرورية لكل بيت للحصول على الحليب أو اللبن فضلا عن المنافع الأخرى ،علاوة على أن بعض الحضر قد تتوافر لديهم ابل كذلك .

ولم يكتف النجديون بالاعتماد على التمر كأحد الأطعمة الرئيسة بل اتخذوا منه مشروبا يسمى المريس حيث ينزع نواه وقمعه (١) ويمرس بالماء حيث يحصلون على شراب حلو ، وقد يمزج معه بعض الأقط ليخفف من حلاوته ويعطيه طعما بين الحموضة والحلاوة ، وهذا المشروب معروف عند العرب الأوائل (٢) .

وقد جدت على حياة النجديين الاجتماعية منذ القرن العاشر بعض المشروبات نتيجة الاتصال بين المجتمع النجدى والمجتمعات المجاورة سواء فى الميدان التجارى أم العلمى أو امتهان الأعمال الأخرى ، وكان من أبرز المشروبات المستجدة القهوة والتدخين سواء للتبغ أو النارجيلة (٣) ، ورغم انتشار الأولى كان بشكل واسع وسريع فان الثانية قد وجد لها بعض الفاعلين وان لم يكونوا بالكثرة التى اشتهر بها غيرهم لكنها على أى حال اشارات تستحق الرصد والتحليل .

وقد سبقت الاشارة الى الموقف الجيد الذى وقفه علماء نجد فى

---

(١) القمع بكسر القاف فصيحة وهو غطاء رأس التمرة من جهة الشمراخ وهو من مادته وليس من مادتها ولذلك ينزع عند الأكل (الفيروز ابادى والزبيدى باب العين فصل القاف) .

(٢) المصدر السابق باب السين حرف الميم ، السويدا ٢٠٠١ ، القويعى ١١٨

(٣) سبق الحديث عن أصل لفظ التبغ أما النارجيل بالهمزة والألف فهى جوز الهند ولفظها معرب وأصله العربى (المقل) وهى نخلة تشبه نخلة التمر الا أنها أدق منها وألين نبعا ، وتحمل الى ثلاثين نارجيلة فى كل قنو أحيانا ، ولها لبن له خاصيات ، وهناك نارجيل البحر ويؤخذ من جوز الهند مادة النارجيلة التى تدخل عناصرها فى (=)

تلك الفترة من هذين المشروبين فى بداية معرفة نجد بهما (١) اباحة للأول وتحريما أو كراهة للثانى مما نجم عنه دخول القهوة كأهم مشروب فى المنطقة، واعتبار شرب الدخان سبة حيث لم يكن المجتمع متقبلا له كل التقبل بدرجة تقبله للقهوة.

أما القهوة فيبدو أنه لشح المنطقة فى المشروبات السابقة، ولموقف العلماء الايجابى تجاهها فم يكتف النجديون بعدّها أهم مشروب بل أصبحت لديهم عنوان الكرم وعلامة الرجولة، وطالما تغنى بها الشعراء بدوا وحضرا (٢).

وكما أن كثرة رماد القدر واسوداده كناية كنى بها العرب الأوائل عن الكرم واشباع الضيوف، فان اسوداد الدلة علامة على الرجولة والكرم عند النجديين اذ يجعلون الدلة قرب النار فى كل وقت تحسبا لمجئ أى ضيف فجأة، ولا يعتد بأى تكريم مهما بلغت طيبة طعامه وكثرته وتنوع أصنافه ما لم يسبق ذلك أو يعقبه تقديم القهوة، اذ يقرن النجدى بين هذا وذاك فى مسألة الكرم (٣).

ولقد كان اهتمام النجدى بدويا كان أم حضريا بالحصول على البن كبيرا فانه يقطع الفيافى والقفار فى سبيل أن يبتاع بنًا له ولضيوفه مهما بلغت حالته المادية، ومهما أعوزه وجود هذه المادة ثم هو بعد ذلك يحافظ

(=) مشروب النارجيلة أو الشيشة أو البربورة كما كان يعرفها حضر نجد فى تلك الفترة (الفيروزابادى والزبيدى باب اللام فصل الميم والنون، الموسوعة العربية الميسرة ٦٦٤، ٦٦٥).

(١) وذلك فى الفصل الثانى من الباب الثانى.

(٢) السويداء ٢٨٩ - ٢٩٦.

(٣) عبد الله بن رداس: شاعرات من البادية ١٢٦، السويداء ٢٨٩.

عليها وعلى أوانيها كأعز مايملك ، ولعل هذا هو ماحدا بدباس أن يعد ذبح الغنم والاكثار من الطعام وشراء البن وتقديمه للضيوف صفات مدح بارزة لوالده في أبياته التي يقول فيها :

مهفى الغنم لأهل الركايب والأفراس . . لاروحوا له لاعليهم قصيرة
راعي معاميل بها العبد جلاس . . للبن يشرى بالسنين العسيرة
هذى بمركاها وهذى بمحماس . . وهذى يصبه للوجيه السفيرة (١)

ويبدو أن معرفة النجديين بالمواد المضافة للبن كالهيل والقرنفل كانت في تلك الفترة كذلك وان كان من المعتقد تأخرها بعض الوقت عن معرفتهم بالبن أصلا ، وقد وردت اشارات للهيل في بعض أشعار تلك الفترة تفيد استخدام النجديين له عدة استخدامات كخلطه مع بعض أنواع الطيب فضلا عن اضافته للقهوة (٢) .

أما التدخين للتبغ فرغم عدم استفحاله في المجتمع فقد ابتلي به بعض الأفراد حيث أصبح لديهم أمرا مكملا لوجود القهوة حيث لابد من شرائه معها أو مع الهيل والى هذا المعنى أشار أحد شعراء تلك الفترة :

---

(١) الحاتم ٢٦٦/١ ، ٢٦٧ ، ويروى " هذى بمركاها " هذى مركيها ، أبا بطين ٣٤ ، ومعنى مهفى : مذهب والمقصود يذبحها ، الركايب : جمع ركاب وهي الابل المعدة للركوب ، ومعنى الشطر الثاني اذا ذهبوا اليه في غير قصر من الوقت ، والبيت الثاني سبق شرحه في فقرة الرقيق في هذا الباب ، والمركاة : حديدة ترفع القهوة عن النار قليلا ، والمحماس : اناء حمص القهوة ، والأولى أن يقول في الثالثة هذى يصبها ولكنه أتى بها على بعض اللهجات النجدية التي تحذف الألف الدالة على التأنيث والاكتفاء بالهاء مع فتح ماقبلها تمييزا عن التذكير الذي يضم ماقبله ، الوجيه : جمع عامي للوجه والفصيح الوجوه ، والسفيرة : المسفرة ومنه قوله تعالى : " وجوه يومئذ مسفرة " سورة عبس آية ٣٨ .

(٢) الحاتم ٩٠/١ ، ٩٢ ، ٢٣٥ ، أما الشاي فيبدو أن معرفة النجديين به متأخرة اذا لم يعرف في الحجاز الا عام ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م ، ويبدو أنه قد عرف مناطق الخليج في هذا التاريخ أو قريبا منه قبلا أو بعدا وهاتان المنطقتان أقرب مناطق التأثير على نجد في العادات ، (د . ابراهيم الفوزان : اقليم الحجاز ٢٥٣ ، السويداء ٢٩٧) .

تمتع بخردات الحبايب وتشترى .. بهيل وتنباك القرا وعصير (١)

ونظرا لكون صناعة التبغ لم تتطور اذ ذاك فقد كان النجديون يحصلون عليه بأكياس أو بالوزن، وهم يمتارونه اما من بلدان الخليج أو من الحجاز التي وجد في احدى بلدانها - وهي جدة - اثنان وثلاثون تاجرا لا يتعاطون الا تجارة التبغ، وقد يحصلون عليه عن طريق الرحالة الغربيين الذين يجوبون المنطقة آنذاك (٢).

وقد عرفت نجد في تلك الفترة الغلايين (٣) المصنوعة التي كان النجديون يجلبونها من جدة التي راجت فيها تجارة الغلايين هي الأخرى تبعا لرواج تجارة التبغ، على أن من لم يستطع الحصول على الغلايين المصنوعة قد يتخذ غليونا من العظم حيث يقطع عظما نحيفا بشكل مناسب ويملأه بالتبغ (٤)، وقد وردت اشارات الى الغلايين في بيت حميدان الشويعر الذي يقول فيه:

ياعيال الندم يارضاع الخدم .. ياغذايا الغلاوين والبربرة (٥)

---

(١) الحاتم ١/٩٢، والخردات: جمع خريد وخريدة وخرود تطلق على المرأة البكر، أو الخفرة الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة (الفيروزابادى والزبيدى باب الدال فصل الخاء).

(٢) جاكلين بيرين ٢٣٦، ٢٧٦، ٢٧٧.

(٣) الغلايين: جمع غليون وهي مايدخن به المدخن التبغ كالقصبة، وذكر الشيخ أحمد رضا في قاموسه (ص ٤٠٢) أنه معرب من قليان الفارسية التي تعنى النارجيلة التي نزع لبها، ويسمى عند بعض الناس السبيل وجمعه سبلان، وذكر انهم ربما سموه بذلك بمعنى الوقف من سبله اذا وقفه لأن الغليون في المضافات السابقة يدوربين الضيوف يتداولونه من فم الى فم فكأنه وقف عام بينهم.

(٤) بيرين ٢٣٧، عبد الله الصقرى: من نوادر الأشعار ط (١) مطابع الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص ١٢٨.

(٥) الفرج ١/٣١، كمال ٩/١٧، الحاتم ١/١٤٩، ومعنى البيت يا أيها الأولاد المتندم عليهم الذين تتولاهم الخادمات والخدم فلم يربوا من قبل آبائهم، والذين لاهم لهم الا شرب التبغ من الغلايين

(=)

وهذا البيت يرينا الى أى مدى كان مقت المجتمع شديدا للمدخنين مما يشير الى محدوديتهم فى المجتمع حيث جمعها حميدان ضمن صفات مذمومة سخر من وجودها لدى بعض الناس، واذ جمعها مع النارجيلة فذلك لتشابههما فى بعض المواد ونفث الدخان منهما .

كما أشار الهزانى الى الغليون بقوله :

عوجوا رقاب ركابكم يامطاليق .. مقدار شرب مولع الكيف غليون (١)

ولئن كان التدخين بالتبغ مما يشترك به البدو والحضر بل ربما بز البدو الحضر فى كثرة المدخنين به فانه يبدو أن النارجيلة أكثر انتشارا عند الحضر ولعل ذلك راجع الى كثرة ترحال ابن البادية وتنقله وغزواته التى يصعب معها حمل النارجيلة بخلاف التبغ الذى قد يصره فى ثوبه ، وقد أشار اليها حميدان فى بيته السابق ،كما أكد ثانية على وجودها فى المجتمع حينما أشار الى اقتران رغبة بعض الناس لها برغبتهم فى القهوة فى قوله :

اليمنى فيها الفنجال .. واليسرى فيها البربورة (٢)

(=) (وهى أفصح جمعا من الغلاوين) ثم هم يشربون النارجيلة، والبربرة اطلاق على النارجيلة على أساس أن صوتها عند الشفط يحدث أثره مايشبه كلمة (بربر) متكررة.

(١) كمال ١٢/١٠٧ ، ومعنى البيت: اميلوا رقاب ابلكم الينا وأقيموا عندنا يامن انطلقتم فى سفركم ولو زمنا يسيرا بمقدار مايشرب المدخن ماملاء غليونه من التبغ ، (ومولع الكيف) أى مشعل التبغ وكنى بالكيف عنه لما يعتقد بعض المدخنين من تكييف نفسه به وهو مما سولت لهم به أنفسهم.

(٢) الفرج ١/٦١ ،كمال ٩/٤٤ وقد وردت عندهما (الفنجال) بدون أل التعريف، الحاتم ١/١٤٦ ، أبابطين ٧٠ ، والفنجال معرب من الفارسية التى تعنى القدح أو الكأس الصغير تشرب به القهوة والشاى أو أنه من فيالجة المعربة بيالة، وربما كان عربيا من الفلج وهو مكيال عرفه العرب فيكون أصله فلجال أو فلجان ،وقد فصل الزبيدى ورضا فى ذلك، وأضاف الشاعرواوا للبربرة لضرورة الشعر وموافقة لقافية الأبيات السابقة(الفيروزابادى والزبيدى باب الجيم فصل الفاء رضا ٤٣٤ - ٤٣٦ ، البسام: الزبير ١٣٧) .

ولايعني كونه قد ضم القهوة بالنارجيلة في بيت واحد في مجال سخريته من ابنه مانع أن المجتمع اذ ذاك لم يتقبل القهوة (١) بل العكس هو الصحيح اذ الثابت محبة المجتمع للقهوة ولكنه قصد من ذلك السخرية من ابنه في انشغاله بشرب القهوة عن العمل، كما قصد كذلك سبه لشربه النارجيلة.

وعلى أي حال فان تلك الاشارات عن شرب الدخان سواء التبغ أم النارجيلة لا تعني استفحالها في المجتمع اذ أنها وردت في معرض التنديد بالشاربين لها الذين لاشك أنهم على محدوديتهم يلقون المقت والسخرية من عامة المجتمع مما يجعلهم يستخفون من الناس حين شربها، وكفى بعزلة المجتمع عقابا ودليلا على عدم بروزها كظاهرة متفشية كما عرفتها بعض المجتمعات المجاورة.

---

(١) د. عبد الله العثيمين: بحث في مجلة الدارة ع ٣/س٣ ص ٢٢، ٢٣ وقد سبقت الاشارة اليه.

الفصل الرابع

التكافل الاجتماعي والأعمال الخيرية

عرض موجز لبعض ملامح التكافل الاجتماعي في الإسلام .

أبرز مظاهر التكافل الاجتماعي عند حضرموت قبل الدعوة .

«١» الزكاة الواجبة .

«٢» صدقات التطوع .

«٣» الأوقاف الشخصية .

«٤» الوصايا وأنواعها .

«٥» طرق الخير والإحسان الأخرى .

عرض موجز لبعض ملامح التكافل الاجتماعي في الاسلام:

لقد كان التكافل الاجتماعي في الاسلام من أبرز ماميزه عن سائر الأديان والنظم لانه يقرر هذا المبدأ في كافة صوره وأشكاله تقريرا جعل الاسلام دين التكافل الاجتماعي بحق ، ولاغرو في ذلك فهو يجعل الأمة مسئولة عن حماية ضعفائها ، ورعاية مصالحهم" ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان . . الآية(١)) ثم ان عليها أن تحافظ على أموالهم صيانة لها عن الضياع، وتنمية لها عن طريق الربح الحلال " وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم، ولا تأكلوها اسرافا أو بدارا أن يكبروا، ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف. . الآية(١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال" الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وأحسبه قال:" وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر" متفق عليه، وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا" وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما " رواه البخاري(٢).

والاسلام يجعل الأمة مسئولة عن فقرائها ومعوزيها فترزقهم بمافيه الكفاية سواء كان ذلك عن طريق الزكاة الشرعية أو صدقة التطوع أو الوصايا والأوقاف وغيرها من سبل التكافل انطلاقا من الحديث القائل:" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالسهر والحمى". متفق عليه(٣)

(١) الآيتان على التوالي من سورة النساء ٧٥، ٦

(٢) سيد قطب : العدالة الاجتماعية في الاسلام ط(٧) ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م ص ٧٢.

(٣) المرجع السابق ٧٢، ٧٣ وقد توسع سيد قطب في موضوع التكافل الاجتماعي كأحد صور العدالة الاجتماعية في الاسلام بمالا مجال للتفصيل فيه هنا وذلك من ص ٧٢-٧٦.

أبرز مظاهر التكافل الاجتماعي عند حضر نجد قبل الدعوة:

وقد تجسدت في المجتمع الحضرى النجدى في تلك الفترة بعضا من تلك المظاهر وغيرها مما أكدت النصوص الشرعية أهميتها، وبرزت في المجتمع المسلم في فتراته التاريخية المختلفة، ولا أدل على ذلك من توافر الكثير من أعمال الخيرية التي ظاهرها الاحتساب، والتي أوجدت في المجتمع تكافلا اجتماعية وأريحية واستعدادا جماعيا لتبنى كل ماشأنه القضاء أو التخفيف من أسباب العوز والفقر والفاقة لدى بعض الأسر حيث كانت هذه الأعمال تتضمن رعاية لليتامى والأرامل والمساكين، والمنقطعين للعبادة في شهر رمضان المبارك على وجه الخصوص، وتوفير الطعام اذا أصاب الناس مسغبة، ولم تقتصر على الحضر أو من كانت سبل الانفاق الخيرية في محيطهم بل كانت تشمل البدو والحضر وكل قادم الى أى بلد نجدى توافرت فيه سبل الخير تلك، كما أنها لم تقصر مصارفها على الأحياء فحسب بل امتدت منافعها لتشمل الموتى الفقراء الذين لم يخلفوا أكفانا حيث كانت تتضمن توفير الأقمشة اللازمة لتأمين ذلك عملا بالقول المأثور" حرمة المسلم ميتا كحرمته حيا" (١)، فضلا عن أن جانبا من أعمال الخير تلك لم تصرف منافعها في منطقة نجد بل امتدت لتصل الى أماكن أخرى.

وقد أتت مظاهر التكافل الاجتماعي تلك وغيرها - كما سيرد تفصيلها - منسجمة - مع القواعد الشرعية للتكافل الاجتماعي في الاسلام المتمثلة في الجوانب التالية:

---

(١) يبدو أن هذا القول مأخوذ بمعناه عن الحديث الذى روته عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كسر عظم الميت ككسره حيا " رواه أبو داود وابن ماجه، وروته أم سلمه رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم بلفظ: " كسر عظم الميت ككسر عظم الحى فى الاثم" رواه ابن ماجه وقال في الزوائد: فى اسناده عبد الله بن زياد مجهول، ولعله عبد الله بن زياد بن سمعان المدنى أحد المتروكين، ولم أعثر فيما بين يدى من كتب الأحاديث على حديث بلفظ: حرمة المسلم، على اننى قد اتصلت بأحد المختصين فأفادنى

١- الزكاة الواجبة :

لقد سبقت الاشارة فى محث العملات المتداولة الى أن علماء نجد فى تلك الفترة قد حددوا نصاب بعض العملات المتوافرة آنذاك وكذلك نصاب الحبوب والثمار وعروض التجارة وهى أبرز أنواع الزكاة التى يبدو أنها كانت تخرج بشكل واضح لبلوغها حد النصاب أكثر من غيرها ، ولما كانت الزكاة هى قوام التكافل الاجتماعى فى الاسلام فمن المؤكد أن زكاة النقدين والحبوب والثمار وعروض التجارة كانت تصرف فى بعض مصارفها الشرعية مما أوجد نوعا من التكافل عند الحضر فى تلك الفترة.

ورغم أن نجدا قبل الدعوة لم تقم فيها حكومة منظمة تأخذ الزكاة من الأغنياء وتردها الى الفقراء كما هى الحال بعد قيام الدولة السعودية ، ورغم أن بعض أمراء البلدان آنذاك كانوا يفرضون نوعا من المكوس على الأهالى فقد أوجد فقهاء تلك الفترة مخرجا للناس بجواز دفع المكوس بنية الزكاة ويسقطها ذلك ولو لم يكن على صفتها -كما مر بيانه- ،كما أكدت احدى الفتاوى صراحة على جواز دفع الزكاة بنيتها ولفظها الى أمراء البلدان بلا تردد مما يبدو معه أن بعض هؤلاء الأمراء كانوا يصرفونها فى مصارفها الشرعية التى تأتى الجوانب التكافلية فى مقدمتها[1].

وأشارت احدى الفتاوى الى أن من مصارف الزكاة رزق الفقهاء والقضاة والأئمة والمؤذنين ومصالح البلد سواء كان هذا الصرف عن طريق المزكى نفسه أم عن طريق أمير البلد ، وتلك الفتاوى شاملة للنواحى التكافلية والانفاق على العمال والموظفين ومتطلبات الضيافة والدفاع عن البلد ، وهذا توجيه من هذه الفتوى بأن يصرف على هذه المجالات حسب الأهمية والحاجة[2].

(=) بالحديث الذى مر بلفظه والله أعلم (ابوداود السنن ٥٤٣/٣، ٥٤٤ حديث ٣٢٠٧ ،ابن ماجه : السنن ٥١٦/١ ،حديث ١٦١٦، ١٦١٧).

(١) المنقور : الفواكه ١٥٤/١، ١٥٩.

(٢) المصدر السابق ١٦٢/١.

وما من شك أن تشدد الفقهاء فى تطبيق الأحكام الفقهية المتعلقة بجودة المخرج للزكاة قد جعل المستفيد من هذه الزكاة يحصل على نوعية جيدة من احتياجاته الضرورية، وفى هذا الصدد أكد ابن ذهلان فى احدى فتاويه أنه اذا أصاب القمح بلل فعطن فى القوع (١) المخزون فيه فان زكاته تلزم من غيره من القمح الجيد لاستقرار الزكاة بوضعه فى قوعه قبل عيبه، بخلاف مالو عاب قبل وضعه ولو بعد حصاده، أو أتاه مرض فضمر حبه فيجزئه الاخراج منه لشمول العيب القمح كله، وكونه بعد استقرار الزكاة فيه (٢).

ويبدو أن النجديين كانت تواجههم بعض الاشكالات وهم يقومون بدفع الزكاة ثم يدخرون ماتبقى، ومنها مايتعلق بدفع زكاة الثمار بعد دفع الأولى اذا ادخرها للنفقة فأفتى ابن عطوة أنه سأل شيخه عن ذلك فأجابه: بأن الزكاة لا تجب ثانية بخلاف النقدين، وقرر ذلك بعدها ابن ذهلان مفيدا بأنه لو أعدها للتجارة لا تجب الا بعد البيع فيزكى على الثمن اذا حال عليه الحول، وهذه الفتوى ترينا الى أى مدى كان المجتمع -عن طريق علمائه- حريصا على الاهتمام بأمور الزكاة ومسائلها الدقيقة والجليلة كعامل مهم لتحقيق التكافل الاجتماعى (٣).

ومما يندرج فى اطار الزكاة الواجبة زكاة الفطر التى حفلت الفتاوى النجدية فى تلك الفترة ببعض المسائل الفقهية حولها والتى تشير الى أن النجديين كانوا حريصين على الاهتمام بشأنها عن طريق طرح بعض الاستفسارات حولها على العلماء حينذاك لا على سبيل المعرفة التفصيلية بأحكامها فحسب بل على أساس أنها مظهر من المظاهر الموسمية للانفاق على الفئات المحتاجة فى المجتمع، هذا المظهر الذى يحرص افراد المجتمع على القيام به لأن أحكامه الشرعية تؤكد على ذلك، بحيث كان تكافل فئات

---

(١) القوع : هو المسطح الذى يلقى فيه التمر أو البر جمعه أقواع وأقوع ويطلق على البيدر والجرين وكل هذه الالفاظ فصيحة. (الفيروزابادى والزبيدى باب العين فصل القاف).

(٢) المنقور: المصدر السابق ١/١٥٤

(٣) المصدر السابق ١/١٥٨

المجتمع واضحا فى أواخر الشهر الكريم أكثر من أى وقت آخر.(١)

٢- صدقات التطوع :

تشكل صدقات التطوع عاملا آخر يؤدى الى تقوية التكافل الاجتماعى فهى بمثابة المكملة للزكاة الواجبة فى هذا الجانب بل تؤدى الى سد حاجات أوسع مما تقوم به الزكاة(٢) التى حصرت مجالات صرفها فى الثمانية الذين ورد التأكيد عليهم بذلك فى قول الله عز وجل :" انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم فى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم"(٣).

ولئن كان من المعتقد أن تكون الصدقات الطوعية عند النجديين فى تلك الفترة شاملة لكافة مجالات الخير وفى كل أشهر السنة، فقد كان موسم جنى التمر فرصة سانحة ينتظرها أهل الخير بفارغ الصبر لتجود نفوسهم مما أفاء الله عليهم من تمور تماما كما كان الفقراء والمحتاجون ينتظرونها ليحصلوا على قدر من حاجتهم من التمر طيلة موسم الجنى، الا أن انتظار الفئتين ليوم جداد النخل أو صرامها عظيم اذ يعد هذا يوما مشهودا فى كل البلدان النجدية، ولا يمنع من الأكل فيه أحد فضلا عن كثرة الأعطيات فيه ومن هنا جاء المثل النجدى " يوم الصرام كل كرام"(٤) مصورا درجة السخاء فى هذا اليوم حيث يتساوى فى العطاء فيه كل المزارعين على اختلاف بينهم فى درجة هذا العطاء.

---

(١) المصدر السابق ١٦٢/١، ١٦٣

(٢) د. عبد العزيز الخياط: المجتمع المتكافل فى الاسلام ط(٣) نشر دار السلام القاهرة، حلب، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ص ١٧٣.

(٣) سورة التوبة آية ٦٠

(٤) العبودى: الأمثال ١٧٩٧/٥، والصرام والجداد والجذاذ كلها فصيحة لمعنى واحد (الفيروزابادى والزبيدى باب الدال فصل الجيم، باب الذال فصل الجيم، وباب الميم فصل الصاد).

وقد صور حميدان الشعوير - في معرض ثنائه على النخلة الـــذى مر ذكر جانب منه - أهمية غرس النخل لطرق كافة سبل الخير فهى التى تتمثل فيها هذه السبل واضحة اذا ضيقت الأزمات الاقتصادية بخناقها على النجديين سواء كان المردود من هذه السبل عائدا الى أقارب الشخص أم الى الفقــراء والمساكين فى مجتمعه مما يتيح للانسان اللحاق بركب أهل الخير فى كثـــرة الأعطيات فى موسمي الحصول على التمر منها : الجني ،الصرام، فضلا عـــن الاستفادة منها وافادة المجتمع بعناصرها الأخرى :

ترى الخير فى راسيات الجذوع .. الى دلبحن السنين الحطايم
توفر حلالك وتفرح عيالـــك .. ويكثر نوالك بيوم الصرايــم (١)

ويبدو من بعض الاشارات الفقهية أن أفرادا من المزارعين كانـــوا كانوا يغلقون أبواب حوائط مزارعهم يوم الجداد وينطلقون وهم يتخافتـــون أن لا يد خلنها اليوم عليهم مسكين ، ورغم ماقد يلتمس لهم من أعذار تتمثـــل فى قسوة الظروف الاقتصادية المتمثلة أحيانا بقلة ، أوضعف المحصول مـــن التمر أمام كثرة الفقراء والمحتاجين فى المجتمع، رغم ذلك كله فقد كانـــت هذه المسألة من ضمن المسائل التى عدها الشيخ محمد بن عبدالوهـــاب من المظاهر السلبية فى المجتمع مفتيا بعدم الجواز لذلك فى قوله :" وأمـــا اغلاق الباب أيام الجداد فلا أتجسر على الجزم بتحريمه ، ولكن أظنـــه

---

(١) الفرج : مرجع سابق ٤٦/١ ، كمال : مرجع سابق ٣١/٩ ، الحاتـــم مرجع سابق ١٦١/١ وقد سبق عرض هذين البيتين وتأصيـــل كلماتهن فى الفصل الأول من الباب الثالث، وقد صور الشاعـــر محمد بن لعبون (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م - ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م) أهميـــة موسم الصرام لطرق سبل الخير حينما قال :

ياسنين لى مضت مثل الحلــوم .. كنهن فى دار ابن عوام عـام
هل غريم الشوق يشبع منك يــوم .. شبعة المسكين بايام الصرام

ورغم تأخر زمن الشاعر عن فترة اعداد هذا البحث الا انه يمكـــن الاستئناس ببيتيه هذين فى بحث هذا الجانب الخير عند النجديين.

لايجوز فى هذا المعنى ومن الكتاب والسنة وكلام أهل العلم، من ذلك ماذكرها الله فى سورة (ن) عن أصحاب الجنة : (اذ أقسموا ليصرفها مصبحين)[١] وهم لم يغلقوا الباب بل تحيلوا بالصرام فى وقت لا يأتى فيه المساكين"[٢].

كما يعد موسم حصاد الحبوب عامة والقمح خاصة مناسبة أخرى يجود فيها أهل الخير من المزراعين على المحتاجين سواء باعطائهم كميات من الحبوب بعد تصفيتها أم باتاحة الفرصة لهم لتعقب الحصاد والتقاط ماقد يسقط منهم من سنابل صغيرة حيث يتولون تصفيتها بطرقهم الخاصة، ويعرف هذا الأسلوب ب(اللقاط) ، ويبدو أن تلك الفئة التى تغلق أبواب حوائط مزارعها وقت الصرام تفعل الأسلوب نفسه وقت الحصاد نظرا لكون الحبوب والتمور عماد العناصر الغذائية آنذاك مما يدفع بالفقراء والمحتاجين الى التواجد بكثرة عند المزارع فى الموسمين، وتلك قضية أخرى تطرق اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب حينما قال بعدم جواز ذلك، وقاسها على مسألة الصرام بالاستشهاد بآية (ن) الا أنه زاد الحديث حولها مستشهدا بآية :" وآتوا حقه يوم حصاده)[٣] مبينا شمولها للزكاة الواجبة وصدقة التطوع من خلال أقوال عدد من الصحابة والتابعين فى تفسير هذه الآية، بل انه نقل عن أحد التابعين أن المقصود بها هو اتاحة الفرصة للمحتاجين للقاط حينما قال فى تفسيرها : (ماسقط من السنبل)[٤]، وتشير افاضة الشيخ محمد فى الحديث عن تلك الظاهرة أكثر من ظاهرة اغلاق الباب

---

(١) آية ١٧

(٢) الفتاوى ٣٩، ٤٠

(٣) سورة الأنعام ١٤١.

(٤) الفتاوى ١٠٥، ١٠٦، ابن قاسم : الدرر ٤/ ٣٠٩، ولعل من الأدلة التى استدل بها الشيخ كذلك على عدم اخفاء الحصاد والجداد ماروا‌ه البيهقى بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل (ابن كثير : التفسير ٤/ ٤٠٨).

وقت الصرام أن الفاعلين لذلك في الحصاد أكثر منهم في الصرام على أنه من المعتقد أن هؤلاء وأولئك كانوا محدودين في المجتمع النجدي ، اذ المشهور أن ظاهرة الانفاق في أوجه الخير في الموسمين هي الأكثر بروزا عند المزراعين الى درجة ان احدى الفتاوى أكدت أنه على الخارص للزكاة أن يدع ثلث النخيل أو ربعها فلا يدخلها في حساب الزكاة حتى يأكل منها المزارعون ويتصدقون ويهدون ، وتقاس الحبوب على ذلك فيما يبدو.(١)

ان بروز الصدقات الطوعية في هذين الموسمين لا يعني الاقتصار عليها فيهما فمن المعتقد أن تكون فترات المسغبة الكثيرة في نجد حينذاك أوقاتا يتنافس فيها أهل الخير باطعام الطعام وتقديم كافة الأعمال الخيرية ، كما أن الأزمنة الفاضلة كشهر رمضان وعشر ذي الحجة وغيرها مواسم يحرص النجديون على بذل الصدقات فيها هذا فضلا عن تخصيص قدر من الصدقات للفقراء في الأمكنة الفاضلة كمكة والمدينة ، وكل هذا خارج نطاق الوصايا التي يوصي بها المتوفون أو يوقفونها كما سيأتي .

٣ـ الأوقاف الشخصية :

يعد الوقف أبرز مظهر من مظاهر التكافل الاجتماعي في الاسلام نظرا لشموله لعدد من مجالات الخير واستمراره سواء في أصله أم في منافعه وقد نظر اليه المسلمون عبر تاريخهم على هذا الأساس، ولورود التأكيد على أهميته في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به ،أو ولد صالح يدعو له) وقد فسر العلماء الصدقة الجارية بالوقف ، كما فصل الفقهاء في أحكام الوقف تفصيلا لم يدع مسألة فيها حكم شرعي الا بينوها لعنايتهم به ، واهتمامهم ببيان أحكامه التفصيلية.(٢)

---

(١) ابن قاسم: ٣٠٨/٤

(٢) البهوتي : مصدر سابق ٤٨٩/٢ ، د. الخياط : المرجع السابق ١٨٣- ١٨٥ ، والحديث رواه الجماعة الا البخاري ومما يؤكد عظم أهمية الوقف عند المسلمين ماروى عن جابر قوله : " لم يكن أحد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذو مقدرة الا وقف ".

وانطلاقا من هذه الأهمية القصوى التي أولاها المسلمون عامة وخاصة للوقف فقد تعددت مساهمات النجديين الخيرية في تلك الفترة عن طريق الوقف حتى عد أوسع مجالات الخير لديهم حيث أشارت الوثائق الشخصية منذ القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي الى طرق العديد من الأعمال الخيرية سواء كانت هذه الوثائق منفردة وتداولها الناس جيلا بعد جيل أم وجدت مدمجة في أحكام الوقف ضمن الكتب الفقهية النجدية.

ولعل من أبرز وثائق الأوقاف الشخصية ان لم تكن ابرزها هي وصية صبيح (١) عتيق عقبة التي أكد فيها أنه أوقف وقفا مؤبدا آباره التي في عكل (٢) وريعها لمنافع المسلمين ومحتاجيهم، كما أشارت أنه اذا تعطلت منافع أحد الآبار أو كلها جعلت على بئر غيرها مما ينتفع به المسلمون،

وقد خص منافع هذا الوقف أهل عكل، والفرعة (٣)، ومن ضمن هذه الأعمال الخيرية تخصيص ستين صاعا تصرف أثمانها بدل أكفان لموتى هذه البلدان الذين لايجدون مايكفنهم، وقد جعلت الوصية مصرف هذا الوجه أولها بعد أن يأخذ ولي الوقف حصته، وبعد أن يخرج منه دلو وحبل للبئر التي تغذى هذه المزارع (٤)، لأن هذا الوقف هو أولى وجوه صرف الوقف بالاسراع به عملا بالقول المأثور السابق، ولأن غسل الميت وتكفينه وتجهيزه

---

(١) سبقت الاشارة الى بعض الجوانب المتعلقة بهذه الوصية من دون التفصيل في أوقافها، وذلك في الفصل الأول من الباب الثاني والفصل الثاني من الباب الرابع.

(٢) سبق أن أعطيت تعريفا عن أشيقر وأن اسم عكل كان يطلق عليها احيانا، وذلك في الفصل الأول من الباب الرابع.

(٣) الفرعة : بفتح الفاء وسكون الراء احدى بلدان الوشم تقع على وادي اشيقر لاصقة به عن الجنوب وسكانها من النواصر من بني تميم وهناك أكثر من بلد بهذا الاسم. (ابن بليهد : ماتقارب سماعه ٩٦، ١٣٥، ٢٦٤، ابن خميس : اليمامة ٢/ ٢٤٧ - ٢٥٠).

(٤) وهي بئر العصامية.

من أعظم القربات عند اللـــه.(١)

ونظرا لأهمية اطعام الطعام، كأحد مصارف الوقف فقد أولتـــــه الوصية اهتمامها حينما أكد صبيح على أن يخرج الولى من الريع طعامـــا يعد لشهر رمضان وخاصة لليالى الخميس والجمعة والاثنين، بعد أن يـــوزع منه ثلاثين صاعا على الأرامل اللاتى يحتجن الى الطعام ويستحين فـــلا يسألن الناس الحافـا.(٢)

وقد فصل الواقف كيفية هذا الاطعام بأن يجعل سماطا(٣) عاما يأكـــل منه كل من حضر ورغب فى الأكل سواء كان غنيا أم فقيرا، بدويا كان أم حضريـا ولم يشر الواقف الى مكان تقديم هذا الطعام هل هو فى المسجد أو قربــه، أو فى بيت الواقف أو مكان معهود، وان فى شمول هذا المصرف البـــدو والحضر دلالة على أن البدو يتمتعون بأوجه صرف الوقف الذى يوقفه حضـــر نجد عادة على أساس أن المسلمين سواسية، ولأن البدو عابروا سبيل لايمرون بالقرى الا لماما فيحتاجون الى تكريم من أهلها، وان هذا المصرف ليندرج فى اطار العلاقات الطيبة بين البدو والحضر، ولايبعد أن يكون هذا قـــد أوجد لدى بعض البدو معرفة - ولو محدودة - ببعض أحكام الوقف وسبـــل صرفــه.(٤)

وكان الواقف متحمسا لتعدد أوجه الصرف فى هذا الوقف حينمـــا أعطى الولى مرونة فى التصرف بهذا الطعام فى غير شهر رمضان، وخاصـــة اذا أصاب الناس مسغبة عامة أو خاصة، فيطعم منه فى أى وقت متى رأى فـــى

---

(١) عبد العزيز المبارك: وثائق الأحوال الشخصية من الناحية التاريخية (مجلة العرب جـ ١/٢ س ص ٥٧، ٥٨).

(٢) المرجع السابق ص ٥٨.

(٣) السماط بكسر السين جمعه أسمطة وسماطات يطلق على الصف، وعلـى مايمد الطعام عليه وهو فصيح (الفيروزابادى والزبيدى باب الطـاء فصل السين).

(٤) نص الوقف فى المرجع السابق ص ٥٨

ذلك حاجة للمسلمين، واذا أعدنا للأذهان الضوائق الاقتصادية العديدة (١) التى كان يمر بها المجتمع النجدى حضريا وبدويا آنذاك أمكننا الادراك أن مصرف هذا الوجه مهما الى أبعد الحدود تحسبا لأى ضائقة يمر بها هذا المجتمع.

وانسجاما مع ظاهرة السماح بأكل التمر وقت الجداد والتصدق منه كذلك، فقد جعل الواقف ذلك من أوجه صرف وقفه حيث أوصى الولى بأنه لاحرج عليه هو أو من يحضر أن يأكلوا عند الجداد (٢)، واذا كان الواقف لم يشر الى اعلان ذلك للناس فى هذا اليوم، فان مجرد السماح بالأكل كاف عن الاعلان اذ أن موسم الجداد معروف، ومثل هذا الأمر فى الوقف لايحتاج الى اعلان مسبق فى مجتمع يعد الهمس فيه ضجيجا، ويتداول أهله الخبر بسرعة صغر أم كبر.

وقد ختم الواقف وقفه بالأسلوب الشرعى المعتاد فى ختام الأوقاف بالتحذير الشديد لمن يتعرض لهذا الوقف بظلم أو نقص أو تغيير أو تحريف سواء فعل ذلك بنفسه أم أعان عليه بقول أو عمل أو مشورة حيث دعى عليه الله عز وجل أن يذيقه صنوفا من العذاب يوم القيامة، وكل هذا حرصا من الواقف على استمرارية العمل بوقفه سواء فى أصله أم فى منافعه، وصولا الى شمول هذا الوقف وتلك المنافع الى الفئات والمصالح التى ورد ذكرها فيه، فضلا عن أن اكثار الشهود على هذا الوقف وتسجيلهم شهاداتهم، وكتابتهم أسماءهم بأنفسهم عامل مهم لزيادة توثيق هذا الوقف ومعرفة عدد كبير من الناس له (٣).

ونظرا لأسبقية وقف صبيح وشموله لعدد من مجالات الخير فقد كان

---

(١) المرجع السابق ص ٥٨.
(٢) المرجع السابق ص ٥٨.
(٣) المرجع السابق ص ٥٨، ٥٩

عدد من أهل الخير يعتمدون ماذكره من أوجه صرف أساسا لأوقافهم، فقد اتفق وقف صقر بن قطام بن صقر الذى جعله قربة لله تعالى على أهل اشيقر مع وقف صبيح فى مسألة الاطعام حيث أكد صقر فى هذا أن على الولى أن يجعل " فى المسجد سماطا فى شهر رمضان على حكم اطعام وقف صبيح" (١) الا أن الواقف لم يحدد ليالى معينة كما فى وقف صبيح بل ترك للولى حرية فى هذا السبيل فيطعم فى أى ليلة من رمضان يرى أن الناس أحوج فيها للطعام من غيرها سواء كانت تلك الليالى الفاضلة أم غيرها من ليالى الأسبوع ويبدو أن الواقف كان حريصا على شمول الاطعام كل أيام رمضان من غير تفضيل عشره الأواخر على غيرها فى الاطعام وعدمه اذ يبدو أن الأملاك الموتوفة من الكثرة بحيث كانت تدر ريعا كثيرا ، كما أن الواقف قد أطلق المجال للولى أن يطعم الناس فى غير شهر رمضان ان أصاب الناس مسغبة، أو رأى فى الاطعام فى غير شهر رمضان صلاحا ، واذ لم يحدد الواقف مجالات هذا الصلاح فقد ترك للولى فهمه على أوجه الصلاح العامة ، وان تأكيد الواقف على أن يتم ذلك بما يفضل لدى الولى دليل على ثقته بأن الريع سيغطى هذا الاطعام سواء فى رمضان أم فى غيره. (٢)

ومن بنود الاتفاق بين الوقفين أنه لاحرج على من حضر هذا السماط فى الأكل منه سواء كان غنيا أم فقيرا حضريا أم بدويا ، أم ناظر الوقف نفسه وان تقديم هذا السماط فى المسجد أو قربه ليضفى عليه صفة الشمولية سواء لمن ذكروا فى الوقف أم لم يذكروا حيث يمكن أن يستفيد من هذا الطعام كل مؤد للصلاة فى المسجد وكل مار فيه حال تقديم الطعام. (٣)

ولم يغفل الواقف هنا - تماما كما ورد ذلك فى وقف صبيح - التأكيد على الولىّ أن يخرج كل عام أربعين صاعا من تمر (٤) تنفق على الأرامل فى

---

(١) المرجع السابق جـ ٦/س ٢ ص ٥٥٧

(٢) المرجع السابق ص ٥٥٧، ٥٥٨

(٣) المرجع السابق ص ٥٥٨

(٤) هنا اشارة الى أن التمر كان يكال كيلا فى تلك الفترة . انظر تعليق الأستاذ المبارك على الوقف فى المرجع السابق ص ٥٥٤ ، ومبحث المكاييل فى الفصل الثانى من الباب الثالث.

بيوتهن لأنهن يشتهين الطعام عن حاجة ماسة ولكنهن يستحين أن يسئلن الناس ذلك، الا أن وقف صقر لم يقتصر عليهن في هذا المصرف بل أدخل معهن المرضى من الرجال الذين لايطيقون وصولا الى الطعام في المسجد أو قربه، ومن المعتقد أن هذا الوجه قد شمل كذلك كل من لم يطق الوصول الى الطعام في مكانه سواء كان لكبر سن أم مرض أم أى عائق يحول بينهم وبين ذلك(١)، ولئن كان هذا البند قد زاد عما في وقف صبيح عشرة آصع، فلربما كانت هذه قد خصصت للرجال العاجزين، وأن نصيب الأرامل هنا متفق مع نصيبهن في وقف صبيح، على أن صبيحا لم يحدد في وقفه نوع الطعام المقدر بثلاثين صاعا هل هو من القمح أم من التمر وان كان المكيل من الطعام اذا لم يحدد ينصرف الى الحبوب عامة والقمح خاصة(٢)، ومن هنا فان آصع وقف صبيح ربما كانت من القمح الذى تفوق قيمته قيمة التمر، ولهذا فلا تعد زيادة وقف صقر عليه ميزة يمتاز بها.

ونظرا لكون الأمطار الغزيرة من الأمور التى تحدث اضرارا بالمزارع سواء كان في الزروع والنخيل نفسها أم في الأسوار المحيطة بها وكذلك في المنازل، لكل هذا وغيره من الأضرار فقد نص الواقف بتخصيص جزء من الوقف يصرف فيما يسببه السيل من غرم، اضافة الى الصرف على مايسببه الجراد من اضرار في المزروعات سواء كان هذا بمكافحة الجراد، أم اصلاح ما أفسده من الزروع التى يتسنى اصلاحها، أو أخذ الحيطة منه قبل انتشاره واذا أعدنا الى الأذهان ماسبق أن بيناه(٣) من اضرار الجراد الذى يغزو الأرض المخضرة فيجعلها قاحلة أدركنا الى أى مدى تكمن أهمية هذا المصرف، على أن الواقف قد أطلق الحرية للولى أن يصرف من هذا الوجه على أى كارثة تحل سواء كانت بسبب المطر أم الجراد أم الريح العاصف

---

(١) نص الوقف في المرجع السابق ص ٥٥٨

(٢) د. عبد العزيز الخويطر: عثمان بن بشر ص ٥٢

(٣) وذلك في الفصل الأول من الباب الرابع.

أم غيرها اذ أن قوله :" أو طارقة تعم البلد"(١) يجعل الوقف يساهم بشكل(٢) شامل فى أى نازلة تصيب البلد سواء كانت اقتصادية أم غير ذلك، وما من شك أن الواقف هنا حريص على استمرار الانتفاع من وقفه كل وقت يريع فيه بحيث أنه اذا تعطلت منافع الوقف فى وجه من الوجوه أمكن استحداث أوجه أخرى تحت تلك الكلمة العامة التى تشمل الانفاق على الأعمال الخيرية سواء مايتعلق منها بذات الانسان أم ممتلكاته، ولعل أبرز مايؤكد حرصه على هذا الجانب تأكيده على الولى أن " يصلح الأوقاف من غلاتها بما يزيد فى نمائها من خدمة وغيرها"(٣).

وقد جعل الواقف من أهل المعروف والخير فى أشيقر قواما على الولى يراقبون أعماله فى هذا الوقف يحق لهم عزله، وتولية أمين غيره ان عدمت الأمانة فيه، أو عجز عن العمل فى الولاية لمرض أو كبر أو نحو ذلك، وقد اتبع الواقف في وقفه هذا المشهور من المذهب الحنبلى حيث وقف على نفسه ثمانى نخلات(٤)، وبعد موته على بنات أخيه محمد بن قطام، وخصلة بنت فياض ـ ولم يوضح درجة صلتها به ـ ويبدو أن صقرا لم يكن له أولاد اذ لم يجعل شيئا من هذا الوقف لهم، وقد ختمه بمثل ماختم صبيح وقفه من وجوب الاستمرار فيه وانجازه ولزومه وثباته وعدم بيعه وهبته وارثه والتحذير الشديد لمن يتعرض له بأى شئ يعطل منافعه، وكانت أولى كتاباته فى ٥ شعبان سنة ٩٤٠هـ/ ٢٠ فبراير ١٥٣٣م(٥).

---

(١) نص الوقف فى المرجع السابق ٥٥٧.

(٢) ص ٥٥٧

(٣) ص ٥٥٧

(٤) أورد البهوتى فى شرح المنتهى (٢/ ٤٩٤) خلافا فى وقف الانسان على نفسه، كما أورد المنقور فى الفواكه (١/ ٤٢٠) رأيا لأحد العلماء انه باطل، وعرض اختلاف المذاهب فيه، وكونه عند الحنابلة فيه روايتان متكافئتان.

(٥) نص الوقف فى المرجع السابق ص ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠

وقد اقتصر رميثة بن قضيب في وقفه على أن يجعل جزءا من مزارعه في أشيقر طعاما للآكلين في ليالي شهر رمضان في مسجد أشيقر على حكم وقف صبيح ، واذا وضعنا في الحسبان تتابع سني الجوع التي كانت تمر بها المنطقة كما مر تبين لنا الأهمية القصوى التي تقوم بها الأوقاف التي تقتصر على الاطعام وخاصة في ليالي الشهر الكريم في الحد أو التخفيف من الأزمات الغذائية.(١)

وقد وثق الواقف وقفه عند قاضي أشيقر في وقته محمد بن أحمد بن منيف القاضي(٢) الذي كان أحد نساخ وقف صبيح ويحتفظ بنسخة منه لديه يعتمد عليها في كل وقف يكتب عن طريقه ، وكان حرص الواقف على حضور الولي مظهرا من مظاهر التوثيق ، كما أنه حرص على شموله الأحكام الشرعية في الوقف والتحذير لمن يتعرض له بشئ يعطل منافعه جيلا بعد جيل ، وكانت أولى كتاباته في ١٩ رمضان ٩٨٦هـ/١٩ نوفمبر ١٥٧٨م.(٣)

ان تأكيد الأوقاف السابقة على أهمية الاطعام كأحد مصارفها لابد أن يكون قد ترك أثرا واضحا في التخفيف من قسوة الحالة الغذائية التي قد تمر بها أشيقر اذ أن تضافر هذه الأوقاف الثلاثة في توفير الطعام للصائمين والمحتاجين قد جعله متوافرا - الى حد ما - لسد حاجة تلك الفئات، ولو قصرت النفقة أو الريع لوقف منها عن تمضية مصرف الطعام عنده في فترة من الفترات سد الوقفان الآخران أو أحدهما هذا التقصير.

---

(١) المرجع السابق ص ٥٦٠

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد بن منيف بن بسام بن منيف بن عساكر من آل محمد بن علوى من بني وهيب من تميم ولي قضاء أشيقر، طلبه أحد اشراف مكة لقضاء عالية نجد فرفض فسأل عنه علماء أشيقر فأكدوا أهليته للقضاء فألزمه على ذلك، ولقب من هذا التعيين بالقاضي ونسبت اليه أسرة القاضي المعروفة، بعد من علماء أواخر القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي. (البسام: علماء نجد ، ٧٩١/٣، ٧٩٢).

(٣) نص الوقف ص ٥٦٠، ٥٦١.

ومن استعراض تلك الأوقاف يتبين أن وقف صبيح كان هو الأساس الذى عوّل عليه كتاب الوقفين التاليين وربما غيرهما كذلك مع اختلافات جزئية تحكمها الظروف الحياتية التى تمر بها منطقة نجد بين فترة وأخرى ، وهذا بلاشك عائد لدقة الألفاظ الوقفية فى وقف صبيح ، وشموله وتداول عدد من القضاة وكتّاب العدل الذين كتبوا الوقفين التاليين له ، ويعد اطعام الطعام فى كل وقت وخاصة فى شهر رمضان مصرفا مشتركا تتفق فيه هذه الأوقاف الثلاثة .

والواقع أن تفطير الصوّام واطعام الطعام فى هذا الشهر الكريم يشكل ظاهرة بارزة لدى النجديين عموما اذ تشير بعض الفتاوى أن كثيرا من مزارعى المنطقة كانوا يخصصون كل عام عددا من آصع القمح تصرف فى شهر رمضان على الصوّام فى مسجد معين فى البلدان النجدية ، على أن بعضهم كان يقرن بين الوقف على امام مسجد معين ومؤذنه والصوّام الذين يؤدون الصلاة فى ذلك المسجد بنسب قد تتفق أو تختلف حسب حالة كل منهم فضلا عن أن بعض أهل الخير يوقفون عددا من الآصع على فقراء الجيران توزع عليهم فى شهر رمضان سواء كان ذلك فى حياة الواقف أم يوصى بذلك بعد موته ، ويجعل هؤلاء الجيران الفقراء فى المقام الثانى فى هذا المصرف بعد المحتاج من الذرية مباشرة. (١)

ومن مظاهر شمول الوقف لديهم إيقاف الذكور من الأنعام والفحول من من النخيل لتلقيح أناث من ليس عنده ذكر ، فضلا عن ايقافهم الرَّحى للعامة حتى يطحنوا بها حبوبهم وما يحتاجون الى ذلك من أى شئ ، أما الوقف على بناء المساجد وشراء أراض لها فكانت مصارف يتسابق اليها النجديون (٢) وقد سبقت الاشارة الى أن أسرة الشيخ عبدالله بن سيف قد حولت أرض بيتها

---

(١) المنقور : الفواكه ١/٤٤٠ ، ٤٤٣ ، ٤٥٠

(٢) المصدر السابق ١/٤٤٦ ، ٥٢٠

لبناء مسجد وأوقفت عليه وعلى منافعه وإمامه ومؤذنه بعض الأوقاف (١)، كما أن كثرة الفتاوى فى هذا السبيل تشير الى تفضيله كمصرف خير عند النجديين انطلاقا من التأكيد على أهمية بناء المساجد فى عدد من الآيات والأحاديث (٢).

ولقد كان بعض النجديين يوقف آنية ينتفع بها المسلمون فى الشرب والأكل عن طريق الاعارة، وكذلك الدلاء - جمع دلو - لتضخ المياه لعامة الناس من الآبار التى تحفر ليكون ماؤها وقفا على المسلمين، ومما يتعلق بذلك بناؤهم للبرك والمساقي - جمع مِسْقَاة - لتتجمع فيها المياه لشرب الناس واستعمالاتهم الأخرى وسقى ماشيتهم سواء كان للحضر أم للبدو والمارين بها، ويوقفون بعض النخل لصيانة تلك البرك والمساقى، وكذا القرب لتبريد الماء للشرب فى الصيف (٣).

ولم يقصر النجديون مجالات أوقافهم داخل بلدانهم أو منطقة نجد فقط بل عدوا تلك الأعمال الخيرية حتى وصلت الى مناطق أخرى وخاصة الأمكنة الفاضلة كالحرمين الشريفين تماما كما كانوا يفعلون فى صدقات التطوع، وفى هذا السبيل تشير فتوى لابن ذهلان أن بعض النجديين كانوا يوقفون نخلا على الحرم المكي وأكد ابن ذهلان فى هذا أن العرف ارسال ثمرها تصرف عليه حيث يؤجر على توصيله الى مكة بسهم منه، أو يباع ثم يقسم ثمنه يرسل بعضه ويدفع منه قيمة ايصاله، كما أشارت فتوى أخرى الى بروز

---

(١) راجع الفصل الثانى من الباب الثانى.

(٢) المصدر السابق ١/٤١٩، ٤١٧، ٤٤٥، ٥٠٣، ٥٣٥، ومن الآيات المؤكدة على عمارة المساجد قول الله تعالى: " انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة " الآية ١٨ من سورة التوبة، ومن الأحاديث مارواه عثمان بن عفان رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من بنى لله مسجدا بنى الله له مثله فى الجنة" متفق عليه.

(٣) المصدر السابق ١/٤٧٣، ٤٧٦، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٤٧، ٥٥٤، ٥٥٧.

ظاهرة نقل الوقف الى بلدان أخرى ، فافتى ابن ذهلان نفسه بجواز نقل آنية وقف على نفع المسلمين الى بلد آخر ان لم يعين الموصى أو الواقف بلدا معينا .(١)

ورغم أن الأقاف العلمية الخاصة والعامة التى سبق الحديث عنها تعد أوقافا فى مجال خاص الا أن مردودها لابد أن ينعكس على مجالات الحياة العامةوخاصة تلك الأوقاف العينية من التمر أو القمح اذ أن نيل المحتاجين شيئا منها أمر متوقع فى اطار التشجيع الواضح من العلماء وطلبة العلم على انتشار المجالات الخيرية فى المجتمع.(٢)

كما أن الأوقاف ذات الطبيعة الأسرية الخاصة أو ماتسمى بالوقف الأهلي أو الذري(٣) لها مفعول جيد فى تركيز فكرة الخير فى المجتمع عبر أسره ، اذ أنها نوع من أنواع التكافل العائلى الذى يندرج تحت مفهوم صلة القرابة بالبر ببعض الأقارب المحتاجين من غير الورثة وتكمن أهمية هذه الأوقاف فى أن المحتاجين من ذرية الواقف أو قرابته يستغنون بذلك عن الأوقاف العامة بحيث توجه مصارفها الى فقراء المجتمع ممن لم توجد لهم أوقاف أهلية أو ذرية ،على أن كثيرا من الواقفين ـ كما مر ـ كانوا يجمعون فى أوقافهم العامة والخاصة ، فاذا لم يوجد محتاجون بين ذوى القربى أو اكتفوا بعد ذلك وجهت تلك الأوقاف مصارفها الى عموم المحتاجين وضرورات المجتمع العامة ، وبهذا يشيع مبدأ التكافل الاجتماعى بين الناس بتعدد مصارفه وألوانه .

٤ـ الوصايا وأنواعها :

تختلف الوصايا عن الأوقاف فى كون الأولى يعلق تنفيذها بعد الموت

---

(١) المصدر السابق ١/٥٥٦، ٢/٧

(٢) راجع الفصل الثانى من الباب الثانى .

(٣) سمى بالوقف الأهلى نسبة الى أهل الواقف والذرى الى ذريته (معجم العلوم الاجتماعية ٦٤٦ ، الموسوعة العربية ٩٥٥ ، مادة وقف

بينما يمكن للانسان أن يوقف من ماله فى حياته ،بل انه اذا علق تنفيذ الوقف بما بعد موته فان ذلك يحوله من وقف الى وصية وتجرى عليه أحكامها فلا يصح الا فى الثلث[(١)]، وتعد الوصايا أحد مظاهر التكافل الاجتماعى سواء كانت وصايا خاصة أم عامة ،وهى تسد ثغرات كبيرة فى حالات الأزمات والضوائق الاقتصادية اذ تشمل فى مصارفها كثيرا من المجالات التى يحتاجها المجتمع.

وقد طرق النجديون فى تلك الفترة مختلف أنواع الوصايا التى تندرج تحت هذين القسمين ،وتتداخل مصارفها أحيانا بينهما كذلك اذ قد يوصى أحدهم بفعل خيرأو قربة تستفيد من منافعها ذريته وأقاربه والمحتاجون فى المجتمع على حد سواء أو بنسب متفاوته ،وفى كلتا الحالتين فالوصية تساهم بقدر جيد فى تحقيق التواصل الاجتماعى بين أسرة الموصي والأسر التي تنال شيئا من تلك الوصايا ،وتضفي اثر ذلك جوا من المحبة والوئام بين أسر المجتمع.

ومن أبرز أنواع الوصايا الوصية بأضحية أو أضاحى قد تشمل الثلث كله أو جزءا منه ،وفى هذا الصدد فقد كان بعض النجديين يوصى بثمر نخلة أو نخل معين أن تصرف فى أضحية كل عام ،وفى اطار الأحكام الفقهية المنظمة للوصايا فقد أفاد ابن ذهلان أنه متى تحصل على الثمر اشترى به وقت الأضحية ،فان لم يتحصل عليه رصدت الأضحية الى عام قابل[(٢)].

ورغم أن الأضحية المطلقة فى الوصية لايلزم فيها الا قدر المجزئ الا أن عادة كثير من الأوصياء اخراجها من الأنعام مرتفعة القيمة ابراء للذمة

---

(١) وقد رأى البعض أن فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصية فى الثلث" والثلث كثير" أفضلية ماأقل من الثلث كالربع والخمس وللتفصيل : (البهوتى ٢/ ٥٤٠، ابن ضويان ٢/ ٣٦، ٣٧)

(٢) المنقور، المصدر السابق ٢/ ٦

وحرصا على الانفاق من طيب الكسب تحسبا لزيادة الأجر من الله عز وجل للميت والحي ، وقد أفتى الشيخ سليمان بن علي بأن ذلك لا يجوز في حالة كون أحد الورثة قاصرا مما يؤثر على نصيبه من التركة.(١)

ويبدو أن عادة بعض النجديين في اطلاق الوصية أنها تنصرف الى الأضحية لكونها أهم أنواع الوصايا التي يحرص عليها النجديون ، فقد أشار الى ذلك سؤال ورد الى ابن ذهلان يقول فيه السائل : أوصى مريض بثلث ماله (هكذا ولم يعين) وأتى وقت الأضحية وهو حي مريض فضحى ثم مات ، هل تحسب من الثلث ؟ أم من رأس المال ، فأفتى ابن ذهلان بأنها تحسب من رأس المال ، اذ لا حق له في شئ من ماله حال مرضه وخاصة اذا عاين معه الموت باتفاق الفقهاء(٢) .

ونظرا لكون أشيقر البلدة العلمية الأولى في نجد في تلك الفترة فقد كانت صيغ كتابات الأوقاف والوصايا الصادرة منها هي التي يعتمدها كثير من النجديين حينما يوقفون أو يوصون لاشتمال تلك الكتابات على ألفاظ دقيقة تلبي رغبة الواقف أو الموصي ، وفي هذا الصدد - وفي مسألة الوصية بالأضحية خاصة - فقد تواتر لدى أهل أشيقر عبارة يؤكدون على الوصي الالتزام بها وهي قولهم في مواصفات هذه الأضحية : " تشترئ ضحوة العيد ، من يد البياع في يد المشتري ضحوة العيد خشية التلف "(٣) ولقد تأصلت فكرة تلك العبارة لدى النجديين حتى أنهم يحرصون على تأخير شراء الوصية حتى يوم العيد أو أحد أيام التشريق حتى لو لم ينص الموصي على ذلك خشية من أن يؤدي شرائها قبل ذلك الى تعرضها للهلاك ، وهذا عامل مهم في انجاز الوصية ابراء للذمة على العكس من الأضحية غير الموصى بها

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٦

(٢) وهو مايطلق عليه المرض المخوف . المصدر السابق ٢/ ١٢ ، ١٥ ، ابن ضويان ٢/ ٣٥

(٣) افادة من فضيلة الشيخ عبد الله السعد وكيل الجامعة لشئون المعاهد والبياع لغة في البائع أي كثير البيع (الفيروزابادي والزبيدي باب العين فصل الباء) .

فقد تشترى قبل العيد بفترةقد تقصر وقد تطول .

ولئن كان أكثر الموصين يوصون بأضاحى فان من يمت ولم يوص بشىء أو أوصى بغير أضحية يحرص بعض ورثته على تخصيص أضحية له كل عام أو اشراكه فى أضحية البيت وأهله حيث تعد الأضحية عن الميت سواء أوصى أو لم يوصى من أهم المظاهر البارزة فى المجتمع النجدى يدفعهم فى ذلك الشعور بعجز الميت عن العمل الصالح وانقطاعه عنه وحاجته الشديدة للثواب خاصة وأن هناك عبارة فى المذهب الحنبلى تقول : "والتضحية عن ميت أفضل منها عن حى" (١) رغم أن هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأضاحى أنها عن الأحياء الا أن أوصى الميت بأضحية عنه أو تبرع له بها أو أشرك مع الأحياء فيها ، ويبدو أن الاعتقاد بأهمية تخصيص الميت بأضحية حتى لو لم يوص قد واكبته بعض الأمور المخالفة للشرع كأضحية الحفرة التى يبدو أنها تأصلت لدى بعض النجديين ، وهى تخصيص الميت بأضحية أول عيد أضحى بعد موته لا يشرك معه فيها غيره ، وهذه من البدع التى نشأت بسبب التأكيد على موضوع الأضحية عن الأموات أوصوا أم لم يوصوا (٢) .

ويتم توزيع لحم الأضحية سواء كانت وصية أم غيرها حسب التوزيع الشرعى لذلك : ثلث يأكله أهل البيت، وثلث يتصدق به ، وثلث يهديه الا أن بعض الموصين يخص بعض أقاربه فى الاستفادة من لحم الأضحية كله أو بعضه ، والواقع أن التوزيع الشرعى هو الغالب مما كان له الأثر فى الاستفادة من الأضحية بحالتيها فى تحقيق قدر لا بأس به من التكافل الاجتماعى ، والتواصل الأسرى (٣) .

ومن مظاهر الوصايا الأخرى الوصية بحجة تؤدى عنه بعد وفاته قد تكون فريضة أو تطوعا ، كما قد يوصى أحدهم بقدر معلوم من المال يحج به

---

(١) البهوتى ٢ / ٨٧

(٢) الشيخ محمد العثيمين : خطبتى عيد الفطر وعيد الأضحى . مطابع السليم . الرياض ص ١٢ ، ١٣ .

(٣) المنقور : المصدر السابق ٢ / ٦

عنه ولا يحدد هل هي واحدة أو أكثر، وقد افتى ابن ذهلان أنها تكون واحدة اذا كانت القرينة تدل على ذلك بحيث تقدر تكلفة الحجة الواحدة حال اقراره الوصية، ولو رخصت الأشياء بعد ذلك، وأكد على أن يوكل القيام بها الأصلح علما وورعا وأن على الولي التقيد بذلك خاصة اذا أكد الموصى على ذلك[1].

ويبدو أن بعض الموصين يخول الولي التصرف الكامل في الثلث بما يراه صالحا للصرف منه على أي وجه من أوجه البر والاحسان، اذ أكد العلماء على أنه اذا خول الموصى فلابد أن يبحث الولي عن الأفضل في تلك الأوجه حرصا على ابراء الذمة وزيادة الثواب للميت، الا أن بعض الموصين يقيد ولّي الوصية على الصرف منه على وجه بر معلوم بينهما[2].

وكما كان النجديون يوقفون أوقافا تستفيد من منافعها مكة والمدينة فقد كانوا يفعلون الشئ نفسه في الوصايا اذ يوصون بمال يقسم في هاتين المدينتين تحسبا لمضاعفة الأجر فيهما، وقد أشار ابن ذهلان في احدى فتاويه أن هذا المال يقسم على أهل هاتين المدينتين، والمجتاز بهما من حاج وغيره، ويخرج من ذلك الوكيل الذي يقبض الصدقات لأشخاص آخرين، ويبدو أن بعض النجديين يوصي للحرمين بشكل خاص سواء كانت أموالا أم أشياء أخرى منقولة كقرب ودلاء، وأطعمة وغيرها مما يمكن أن يحقق الراحة لقاصديهما[3].

٥- طرق الخير والاحسان الأخرى :

ولم يقصر النجديون أنفسهم على تلك المجالات التكافلية رغم أهميتها وشمولها المجتمع بأسره فقد طرقوا مجالات خيرية أخرى لا تندرج تحت تلك المصارف ولكنها تلتقي معها في اضفاء روح المحبة والتواصل بين

---

(١) المصدر السابق ٢/٦/٢٣٠.
(٢) المصدر السابق ١/٤٤٢، ٢/٤١٢.
(٣) المصدر السابق ٢/٧

أفراد المجتمـــع.

ولعل من أبرز تلك المجالات نَظِرة ذى العسرة الى الميسرة، اذ يقـوم بعض الموسرين فى المجتمع الذين يضطر الناس الى الاستدانة منهـــم بامهال المعسر منهم، وربما أسقط الدين أو جزءا منه فى حال التحقق مــن العجز الكامل عن السداد ،وقد أشار الى هؤلاء حميدان الشويعر بقوله:

وبالتجار من يذكر بخيـــر .. وصبار على كود الخســـارة
ومهّال على المعسر ليسره .. وجيرانه وضيفه والخطـــاره
ترى هذا يدعى له بخيـــر .. وينجيه الولي من حر نـــاره
لعله عند تفريق الحسانـى .. كتابه فى يمينه عن يســـاره (١)

ولقد كان الامهال على المعسر واسقاط الدين عنه أحيانا والصبـــر على زلات الجيران مجالات يفتخر بها الفاعلون لها ، وهذا عامل مهم فــى معرفة الناس عنهم هذه الصفات الكريمة فيقصد ونهم لقضاء حوائجهم مؤمليـــن أن لا يطالبوهم بسداد الديون عاجلا أو اسقاط جزء منها عنهم، ومن هنـــا

---

(١) الفرج ١/ ٥٠، كمال ٩/ ٣٤، الحاتم ١/ ١٦٤ وقد وردت بعـــض الأبيات لديه على النحو التالى :

وبالتجار من يظهر حقوقـه .. بتزكات وقروض وخطـــاره
وبحسان على رحمه ولحمـه .. وصبّار على كود الخســـاره
وامهال عن المعسر ليسره .. ولحيمه طيب وبه خيـــاره

ومعنى الأبيات التى فى المتن: كود الخسارة : صعوبتها ، مهـــال أى ينظر ولا يضايق ، ليسره : حتى يأتيه اليسر مقتبس من قول اللـــه تعالى :" وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ". البقرة آية ٢٨٠ ، الخطارة : لعلها من الخاطر الذى هو الهاجس، ومالقيته الا خطرة : أى أحيانا ، وهى تطلق على الضيوف ولعل أصلها أن الضيف الخاطر يأتى دون سابق خبر كما يخطر فى الذهن ،عند تفريق الحسانى :أى يوم القيامه ، وتفريق الحسانى : أى يجزل لهم الله عز وجل الحسنات عن يساره : أى بسبب غناه ويساره الذى بذله فى سبيل الخير.

فقد كان فخر أبى حمزة العامرى فى هذا البيت واضحا حينما قال : (١)

وحنا ندين جارنا من كيلنـــا .. وندينه دين بغير وفـــاء
ونصبر ولو طق القصير خيارنـــا .. من خوفة تشمت بنا الأعداء (٢)

وفى المقابل فقد كان مقت المجتمع شديدا للتاجر الذى يسلـــك سبلا معوجة للتجارة ولا ترى آثار نعمة الله عليه والى هذا النوع أشار حميدان بقوله :

وبالتجار حرّاز بخيـــل .. يرابى باغى كثر التجارة
وهو مستجهد يجمع لغيـــره.. حرمان ولا هو بختيـاره
فنى عمره وهوماذيـــق زاده.. وماله حازمه جود صراره
يجيه الوارث من بعيــــد.. وهويقدم على اللهفى اوزاره (٣)

وما من شك أن تلك الجوانب الخيرية وخاصة امهال المعسر كانـــت جوانب مشرقة أمام تلك الجوانب السلبية فى المداينات النجدية من مضايقـات المدينين وقلب الدين عليهم حتى يقل كاهلهم عن السداد ، وهو فـــى الوقت نفسه يرينا الى أن هذه الجوانب السيئة ليست منتشرة فى المجتمـــع

---

(١) هو الشاعر الفارسى أبو حمزة العامرى لم تسعفنا المصادر بمعلومـات عنه الا أنه من بنى عامر من سبيع ومن شعراء القرن التاسع والعاشـــر الهجريين (الحاتم ١/٣٣ ، وقد أورد له قصيدتين ، فهد الربيعـان : العرينات مطابع البادية ، الرياض ١٣٩٨هـ ص ٩٨) .

(٢) الحاتم ١/٣٦ ، الربيعان ٩٩ ، طق : ضرب والمقصود هنا قتل ، القصير الجار وهى فصيحة مأخوذة من مقاصري أى قصره ـ منزله ـ بحذاء قصري ، خيارنا اهل الخير فينا والمقصود الوجهاء ، من خوفه الخ : أى نصبر على ذلك خوفا من شماتة الأعداء . (الفيروزابادى والزبيدى باب الراء فصـل القاف) .

(٣) الفرج ١/٤٩ ، كمال ٩/٣٤ ، الحاتم ١/١٦٣ ، ومعنى حراز : ممسـك حرمان : محروم ، ماذيق زاده : لم يطعم أحدا فى بيته ، حازمه مـــن الحزم أى الربط ، جود صراره : امسك وأوكى صرته ، ومعنى يجيــه الوارث الخ : أى يأخذ ماله بعد موته وارث قد لايكون ابنا لـــه أو قريبا جدا ، فقد يعصبه شخص ليس بالقوي القرابة منه ، فيستفيـد من ماله بينما هو يقدم على الله فى أوزاره التى منها جمع المال وعدم الانفاق منه فى سبل الخيـر .

وأنه بقدر وجودها فيه فانه لم يعدم أناسا حرصوا على طرق سبل الخير عن طريق الدين ذاته، ولعل التأكيد على أن تلك الجوانب السيئة مظهر من مظاهر الربا كاف في بيان درجة مقت المجتمع لتلك الجوانب وذلك عن طريق التقريرات الفقهية التي مر بعضها في إشارة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١) وإشارة حميدان في البيت من القصيدة السابقة كذلك.

ان تلك الأعمال الخيرية التكافلية وغيرها مما حفل بها المجتمع النجدي قد ساهمت الى حد كبير في التخفيف من قسوة الظروف الحياتية العامة في تلك الفترة مما جعل هذه الأعمال مهما كانت ضآلة مردود بعضها على المجتمع أحيانا تسهم الى حد كبير في توفير قدر لابأس به من مستلزمات الحياة العامة، وفي تعميم وتأصيل ظاهرة حب الخير والتكافل بين أفراد المجتمع وأسره، وما من شك أن هذا كان عاملا ساعد دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب والدولة السعودية في استثارة نوازع الخير في المجتمع باعتبار ذلك أحد الأهداف الرئيسية التي تسعى الى تحقيقها حيث انطلقت بتلك الجوانب الخيّرة الى مجالات أرحب مما كانت عليه وسخرتها لأهداف الدعوة العقدية وغيرها.

---

(١) لقد مر جانب من نقد الشيخ لقضية قلب الدين حيث أكد على أنه احد مظاهر الربا وذلك في الفصل الثاني من الباب الثالث .


الخاتمة

لن استعرض في هذه الخاتمة كل النتائج التي توصلت اليها بعد إعداد هذا البحث اذ أن كثيرا منها مثبوت في ثنايا فقرات ومباحث كل باب وفصل على حدة، وأنا على يقين بأن تلك النتائج وغيرها من تلك التي مرت في هذه الرسالة لا تتسم كلها بطابع الجدة فبعضها معروف للنجديين سواء كانوا باحثين أم غير باحثين، وقد عرضت لي - كما قد تكون عرضت لغيري - أثناء الاطلاع على المصادر والمراجع المكتوبة أو السماع للروايات الشفوية لأي جانب من جوانب الحياة الاجتماعية عند حضر نجد في تلك الفترة، الا أن جمع مثل هذه المعلومات من مصادرها الأولية المحلية وغير المحلية وعرضها بقالب جديد قد يضفي مزيدا من النتائج التي تبين بعض الجوانب التفصيلية للحياة الاجتماعية، ولا يمكنني بأي حال من الأحوال اعتبار ماتوصلت اليه من نتائج قضايا مسلمة وتعبر تعبيرا صادقا عن مجتمع حضر نجد في تلك الفترة بجوانب حياته الدينية والعلمية والاقتصادية وغيرها اذ لا تعدو أن تكون محاولة لرصد الملامح العامة لجوانب تلك الحياة، وعمل كهذا شأنه شأن أي عمل بشري يعتوره النقص ومعرض للخطأ والخلل، الا أن لي من ملاحظات أستاذي المشرف السابقة واللاحقة وأساتذتي الكرام المناقشين ومن يطلع على هذه الرسالة من بعدهم ماعساه أن يسد بعض جوانب هذا النقص ويصحح بعض مظاهر الخطأ والخلل، كما أن أي نقد لأي جانب ديني أو علمي أو مظهر اقتصادي أو اجتماعي لايمكن الا أن يعد صفحة من صفحات التاريخ ولا يعبر عن أي اتجاه من الباحث ضد أي فئة في المجتمع بقدر ماهي محاولة للتقويم والاصلاح على قدر المستطاع وما عدا ذلك فلايجوز أن يتخذ ذريعة للنقد غير البنّاء المصلح فـ (تلك أمة قد خلت لها ماكسبت ولكم ماكسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون).

وانطلاقا من تلك الحقيقة التاريخية المهمة فان من الواجب أن لا تؤثر على مسيرة حياتنا الاجتماعية تلك الأحداث السلبية التي تندرج في اطار العلاقات بين بعض الفئات الاجتماعية عند النجديين وخاصة بين البدو

والحضر فى ظل فقدان الوضع الأمنى الجيد والسلطة الرادعة .

وبداية من المدخل فان وجود ذلك التقسيم الرئيس بين الفريقين البارزين يذكرنا بذلك التقسيم بين العرب سواء فى جاهليتهم أم بعد اسلامهم بين بدو وحضر، وهو التقسيم الذى يذركنا كذلك بالعديد من صور العلاقات التى كانت تتم بين هؤلاء العرب فى فترات تاريخيهم سواء فى الجانب السلبى أم الايجابى من تلك العلاقات .

ومن ناحية أخرى فان وجود تلك الفئات الاجتماعية الأخرى التى عرفتها منطقة نجد فى تلك الفترة والى وقت قريب لم ينجم عنه مايعكر صفو العلاقات العامة بين هذه الفئات كحدوث فتن عرقية أو فئوية من تلك التى كانت تحدث بين الفئات الاجتماعية فى كثير من البلدان المجاورة وغير المجاورة، بل ان تلك الفئات النجدية قد قامت بأعمالها الحرفية والمهنية فى المجتمع دون أى مضايقة من الفئات الأخرى بل شكلت تلك الأعمال التى يحتاجها المجتمع ويستنكف القيام بها بعض فئاته أمانا لتلك الفئات، وبوأتها مكانة جيدة فى هذا المجتمع أتاحت لأفرادها وأسرها المساهمة فى الأنشطة العامة فى نجد من علمية واقتصادية ، وبرزت لهؤلاء الأفراد وهذه الأسر أعمال اجتماعية زادت من قوة تلك المكانة كالمشاركة الواضحة فى أفعال الخير التى لاشك فى قوة أثرها لزيادة مكانة الفرد والأسرة فى المجتمع.

ومن أبرز نتائج هذا البحث أن وجود تلك الانحرافات فى أصول الدين عند حضر نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم تنزل الى ذلك المستوى الذى كانت عليه بعض المجتمعات الاسلامية المجاورة وغير المجاورة بل لم تصل الى ماكان عليه بدو نجد كذلك ابان تلك الفترة، الا أن هذه الانحرافات قد كانت صدى لتلك التى عرفتها البلدان المجاورة، وهى فى الوقت ذاته جعلت نجداً بحاجة ماسة الى هذه الدعوة المباركة وهيأتها من جهة أخرى لأن تكون أرضا صالحة لقيامها اذ لو لم توجد تلك

الانحرافات والبدع لما كان لدعوة الشيخ ذلك الدور الفاعل العظيم الذى قامت به فحيث تنتشر البدع والخرافات تنجح محاولات الاصلاح لازالتها أو تهذيبها والعودة بها الى العقيدة الصافية، واذ ران على الناس التعود على البدع والألف لها قيّض الله للامة من يجدد لها أمر دينها .

على أنه من جانب آخر لم تكن تلك البدع والخرافات شاملة لكل بلدان نجد اذ الواضح من تقريرات الشيخ محمد نفسه، ورصد المؤرخين المحليين -كما مر- وجود تلك البدع فى مناطق محدودة من نجد، الا أن ذلك لا يعنى عدم وجود بدع أخرى سواء كانت أخطر أم أقل خطورة من تلك البدع فى تلك المناطق التى لم ترد الاشارة اليها فى تلك التقريرات وذلك الرصد ، ولكنها ضاعت فى اطار الشح الشامل لأحداث نجد فى تلك الفترة واقتصار تسجيل تلك الأحداث -على ندرتها- على مناطق معينة، ومن هذا المنطلق فان نجدا -لا مناطق معينة منها فحسب- كانت بحاجة ماسة لهذه الدعوة، ولعل هذا هو مادفع الشيخ لأن يعتبر منطقة نجد بشمولها مجال تحركه الاصلاحى الأول كما سبق بيانه رغم أن نقده كان لتلك البدع فى تلك المناطق المعينة، وهو -رحمه الله- دقيق فى هذا الجانب اذ لم يطرق الا لماكان يعرفه فى بيئته وماحولها .

ان وجود تلك الانحرافات فى فروع الدين كذلك قد أثبتت حاجة المنطقة لهذه الدعوة والدولة السعودية التى تبنتها ونظمت المجتمع على أساس من مبادئها اذ أن المجتمع الحضرى النجدى كما عانى من الانحرافات العقدية فقد عانى من تلك الأعمال المخالفة للشرع، ورغم محدوديتها كذلك فقد كان نقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب شديدا للواضح منها مما يدل على أنها قد تغلغلت فى نفوس كثير من الناس، ومما يرينا الى أى مدى كان الشيخ حريصا على أن تكون العادات والتقاليد موافقة للشرع تماما كما كان حريصا على تصحيح العقيدة، وهى فى الوقت ذاته تعطى تصورا عن مواقف بعض علماء نجد قبل الدعوة فى مداراة أهل نجد فى عاداتهم تلك .

ورغم تلك الانحرافات فى أصول الدين وفروعه فقد كان المجتمع الحضرى النجدى فى عمومه يعيش على فطرة الاسلام يقيم أركانه الخمسة كما أثبتت ذلك التقريرات التى أوردها الشيخ محمد بن عبد الوهاب حينما عقد مقارنة - أكثر من مرة - بين البدو والحضر فى درجة تمسكهم بالدين وكما أكد ذلك فى عدد من الأدلة التى سبق عرضها ، وهذا ماشكل أرضية جيدة لتلك الدعوة استطاعت الانطلاق بها الى الاصلاح الشامل للمجتمع، ولا يعنى ذكر تلك الجوانب الحسنة فى الحياة الدينية عند حضر نجد قبل الدعوة وجود تناقض فى عرض الجوانب السيئة والحسنة فى هذه الحياة اذ لا يجب أن يفهم من وجود تلك الانحرافات الدينية بجانبيها خلو المجتمع النجدى من الأسس العامة للدين ، كما يجب التأكد بأن تلك الجوانب الحسنة ليست كافية للحكم على أن هذا المجتمع يطبق تعاليم الدين بشكل أقرب الى التفصيل ومن هنا فانه يمكن القول ان هذه الجوانب الثلاثة للحياة الدينية عند حضر نجد قبل الدعوة قد أثبتت حاجة هؤلاء الحضر لهذه الدعوة وأهّلتهم فى الوقت نفسه لقبولها والقيام بنشرها .

ان وجود ذلك الكم من العلماء وبروز تلك الأسر العلمية يثبت بما لايدع مجالا للشك ازدهار الحياة العلمية فى نجد فى تلك الفترة ولو لم يكن ذلك بالشكل الذى أصبحت عليه هذه الحياة بعد قيام الدعوة والدولة السعودية الا أن طرق التجديين للسبل المتنوعة فى التعلم كان دليلا على الحرص الواضح على الاستفادة القصوى من أى فرصة تسنح لتلقى العلم فيها ومجاراة من سبقوهم فى هذا المضمار من أهل البلدان المجاورة ، ومن الاستعراض السابق لتلك السبل ، والرحلات العلمية يتبين لنا أنها قد أدت دورا كبيرا فى ازدهار الحياة العلمية رغم أنها كانت تتم بنسب متفاوتة بين بلد وآخر، وحسب المقدرة الشخصية بحيث أن الذى يستطيع الترحال فى سبيل العلم كان يقوم برحلات علمية سواء الى المراكز العلمية داخل نجد أم خارجها ، فى شبه الجزيرة أم فى البلدان والمناطق الأخرى المجاورة لها

ومن لم تسعفه أحواله القيام بتلك الرحلات كان يقصر همه على التعليم المحلي مكتفيا به جامعا بينه وبين القيام بأعباء الحياة الأخرى التي لا تسمح له بالخروج من بلدته، على أن قسما من طلبة العلم النجديين كان ينتظر بلهفة وشوق مرور بعض العلماء من البلدان الاسلامية الأخرى على نجد في طريقهم الى الحجاز أو غيرها ليحقق من الاستفادة العلمية على أيديهم مالم تتحقق له بالرحلات العلمية، ومالم يحققها له التعليم المحلي، وهذا العرض السابق قد بيّن أن قسما لا يستهان به من النجديين كان حدبه التعلم، بحيث لا تمر فترة الا وقد تم فيها رحلة علمية أو أكثر، اضافة الى خروج بعضهم الى ظاهر البلدان النجدية عسى أن يمر ببلدتهم عالم أو أكثر من أولئك الذين لهم سمعة بارزة في هذا السبيل، ويبدو هنا أن قسما من هؤلاء كان يجمع بين التعليم المحلي، والاستفادة من مرور علماء البلدان الأخرى على نجد.

وتصور العلاقة بين الطلاب وأساتذتهم جانبا مهما أدى الى نمو الحركة العلمية الى جانب تصويرها للعلاقات الاجتماعية بين هؤلاء الطلاب وأساتذتهم، تلك العلاقات التي حفظت للشيخ كرامته وتقديره وللطالب احترامه ولم تحل دون وجود تلك المناقشات العلمية المستفيضة اذ وعى الطلاب والأساتذة حقيقة أن التقدير والتكريم والاحترام شئ وضرورة النقاش العلمي شئ آخر وقد كيّف كل منهما علاقته بالآخر على هذا الاطار، مما أعطى الحياة العلمية مرونة وجانب المناظرات العلمية فيها نموا وازدهارا.

ومن جانب آخر فان طرق المؤلف النجدي لعدد من مجالات التأليف على اختلاف فيما بينها في درجة التأليف - هذا الطرق أضفى عاملا آخرا مهد لنمو الحركة العلمية وتوسع التأليف فرغم أن التأليف اقتصر على الفقه والتاريخ والتوحيد وعلوم الآلة، الا أن ذلك كان ارهاصا لسعة التأليف في هذه المجالات وغيرها مما حصل بعد قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب اذ يلمح المطلع على هذا الجانب زيادة العلماء وتوسع مجالات التأليف

كلما قرب الزمن من قيام هذه الدعوة، على أن من المعتقد وجود بعض التأليف في مجالات أخرى -ولو على نطاق محدود - حيث أثر عن بعض النجديين معرفتهم واهتمامهم ببعض العلوم الأخرى كالتفسير والحديث مثلا .

وتعد طريقة التأليف أسلوبا اتبعه المؤلف النجدي وينبئ عن استفادة هذا المؤلف من طريقة من سبقوه في هذا المجال كما ينم عن حرصه على توخي الأمانة العلمية التي تستمد توجيهاتها من خوف الله عز وجل ومراقبته في عدم نسبة مالم يقله أو يفعله الى نفسه بل عزو المعلومات التي يستفيد منها الى أصحابها انطلاقا من ذلك الخوف وحرصا على الخروج من تبعتها أمام الأجيال القادمة، ومامن شك أن تلك قمة الأمانة العلمية .

ولقد كان وجود بعض الخطاطين والنّساخ وكتّاب العدل في تلك الفترة عاملا ساعد على وجود حركة نشر وتوزيع لا بأس بها في مقاييس تلك الفترة التي يعد نشر الكتب وتوزيعها عن طريق النّساخ الأسلوب الوحيد في هذا السبيل تماما كما أدى النّساخ والخطاطون الدور ذاته في تاريخ التربية والتعليم في الاسلام في الفترات التاريخية المختلفة، كما أن وجود العديد من كتّاب العدل قد ساعد في تنظيم عقود المبايعات والأنكحة وسائع أنواع العقود مما أكد الأثر الواضح لحركة التعليم في نجد في تنظيم أمور الناس الاجتماعية .

ورغم أن المكتبات في تلك الفترة لا تعدو أن تكون مكتبات خاصة وتشبه الخزانات المحدودة للكتب الا أنها قد أدت دورا لابأس به في تنشيط الحياة العلمية، وأعطت تصورا عن مدى حرص المتعلم النجدي على اقتناء الكتاب والاستفادة منه وافادة الناس عن طريقه وهذا ماجعل بعض هذه المكتبات مكتبات ذات صفة عامة توسعت الاستفادة منها فضلا عن دخول بعض هذه المكتبات في بعض سبل الأوقاف الخيرية العامة والخاصة .

وعموما فقد كان رجال التعليم في نجد في تلك الفترة حريصين على طرق مجالات الأوقاف العلمية سواء في مجال المكتبات أم غيرها كإيقاف القرآن

الكريم ، وتخصيص أماكن للدراسة ، والحرص على استمرار الناحية العلمية في عقبهم بما يوقفونه من أوقاف علمية على طلبة العلم في ذريتهم ، كما أن من المظاهر الجيدة حرص بعض أمراء البلدان النجدية على طرق هذه المجالات احتسابا منهم للأجر من الله عز وجل ، واقتناعا منهم بأن ذلك يدخل في اطار الاهتمامات التي يجب أن تضعها امارة البلد في الحسبان .

ويمكن القول أن المجتمع النجدي قد أعطى مكانة جيدة لعلماء تلك الفترة رغم أن تلك المكانة لا ترقى الى مكانتهم بعد قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدولة السعودية التي جعلت إكرام العلماء والأخذ بمشورتهم من أهم أسس السياسة الداخلية لها ، الا أن مما ينبغي الاشارة اليه هنا أن تلك المكانة السابقة كانت عاملا استفاد منه الشيخ محمد في بداية دعوته حيث استطاع اقناع عدد من كبار علماء نجد في وقته بدعوته حتى اذا اقتنع بها عدد لابأس به من الناس مضت الدعوة في سبيلها رغم تغير مواقف بعض هؤلاء العلماء فيما بعد .

ولعل من أبرز عوامل تأصل تلك المكانة حرص الفقيه النجدي على طرق الموضوعات الفقهية ذات الصلة المباشرة بالمجتمع النجدي اعتمادا على أن مراعاة العرف السائد أساس لأي فتوى أو حكم شرعي ، وتجب مراعاته مالم يتعارض مع نص أو اجماع أو قياس ، وكان الفقيه النجدي ينطلق من هذا الأساس وأن طرق موضوعات فقهية غير ذات صبغة نجدية قد يؤدي الى بلبلة في أوساط العامة ، فكل بيئة لها ما يناسبها من الأحكام الفرعية في اطار القواعد العامة للشرع التي يستمد منها المسلمون كافة أحكامهم .

وتدلنا بعض الفتاوى التي سبق عرضها على إدراك جيد من علماء نجد في تلك الفترة بحقيقة مجتمعهم اذ كانوا يحرصون على مراعاة أوضاع بعض الفئات العاملة في المجتمع انطلاقا من يسر الدين وسماحته ولكنهم كانوا في الوقت ذاته حريصين على أن لا يستغل أي جانب من هذه الفتوى في

التحلل من مبادئ الدين والتنصل من أحكامه.

كما أن بعض الأحداث تؤكد لنا أن هؤلاء العلماء كانوا على اطلاع جيد على تلك المؤثرات الخارجية على المجتمع سواء تلك المؤثرات التى ليس على المجتمع فيها ضرر أم تلك التى يمكن أن تؤثر على قيمه وعاداته الأصيلة ومن هنا كان موقف علماء تلك الفترة جيدا فى بيان حكم الشرع فى بعض المشروبات المستجدة كالقهوة والدخان حيث أفتوا بحل المشروب، وتحريم أو كراهية الثانى مما كان له الأثر الواضح فى انتشار الأول حتى عد أحد مظاهر الكرم فى المنطقة وقلة انتشار الثانية وتمهيد السبيل للدعوة والدولة السعودية فى وقوفها أمام هذا المشروب الضار.

ومن استعراض بعض الأحداث التاريخية يتبين لنا الجهود الجيدة التى قام بها بعض علماء نجد فى الاصلاح الاجتماعى، وهى جهود -على محدوديتها وتفرقها - قد أدت أدوارا جيدة فى اصلاح ذات البين، والحيلولة دون استفحال بعض مظاهر التعدى والظلم سواء بين عامة الناس أما قد يأتى من أمراء البلدان النجدية، وزعماء القوى المجاورة الذين يغزون نجدا بين الفترة والأخرى، وما من شك أن هذا ينسجم مع الدور الفاعل الذى يقوم به العلماء المسلمون فى مختلف المناطق وسائر الفترات.

وفى اطار تفاعل العلماء مع قضايا مجتمعهم فقد كان لبعضهم مساهمات واضحة فى سبل الخير سواء كانت أوقافا أم وصايا أم غيرها، وهذا ليس بغريب على العلماء الذين تأتى مساهمتهم تلك انسجاما مع الاهتمام العام بهذه السبل، وتشجيعا منهم لهذا الجانب الخيّر فى المجتمع، ومن هنا فقد كان حرص بعض العلماء شديدا على بذل الخير والتفانى فى ذلك والمعاناة فيه اعتقادا منهم بأنه لابد من تحقيق القدوة فى أنفسهم أمام عامة الناس الذين ينظرون الى أن العالم اذا قرن علمه ببذل الخير للناس كان ذلك أدعى لقبول كلامه فيما بينهم.

وقد أثمرت تلك الرحلات العلمية خارج نجد عن وجود أسرى في بعض المناطق وزادته مكانة اجتماعية في هذه المناطق كثرة المتعلمين على هذه الأسر مما أدى الى معرفة عدد من العلماء وطلاب العلم في مختلف البلدان بتلك المكانة، وهذا بدوره أعطى سمعة خارجية لهذه الأسر، على أن أولئك الذين رحلوا ولم يستقروا في تلك البلدان المجاورة قد كانت لهم مكانة بين علماء تلك البلدان سواء كان في مرحلة تلقيهم العلم أم بعد بلوغهم مرحلة الادراك.

ولقد كان تصوير الأدب الفصيح - وهو مظهر من مظاهر الحياة العلمية - مع قضايا المجتمع دقيقا الى حد ما، اذ رغم قلة النصوص في هذا السبيل فقد صوّرت بعض مظاهر الحياة الاجتماعية سواء كانت مؤيدة لها أم معارضة، ولئن لم يكن ذلك التصوير بدرجة تصوير الأدب العامي فقد كانت عرضه لبعض المظاهر وأسلوب نقدها أكثر تركيزا وتوجيها نحو الوجهة الشرعية، ولاغرو في ذلك فرواد الشعر الفصيح في تلك الفترة هم من فئة الفقهاء.

ان كل ماسبق يرينا الى أي مدى كانت الحياة العلمية ذات أثر واضح في توجيه مظاهر الحياة الاجتماعية الوجهة السليمة، ويؤكد لنا أن هؤلاء العلماء لم يكونوا بمعزل عن قضايا مجتمعهم، وهذا أمر يندرج في اطار كون الحياة العلمية أحد الأركان المهمة للحياة الاجتماعية، وكون فئة الفقهاء والعلماء أبرز الفئات الاجتماعية تأثيرا في المجتمع اذ يحرص الناس على التقرب منهم والاستفادة من آرائهم وتوجيهاتهم، مما أثمر تغلغلا لنفوذ هؤلاء الفقهاء والعلماء في المجتمع فاق في كثير من الفترات نفوذ ذوى الحكم والسلطان.

ويعد النشاط الاقتصادى جانبا اجتماعيا مهما نظرا لكون قطاع عريض من المجتمع يقوم به، ونظرا لمؤثراته الاجتماعية البارزة الناجمة سواء كان في مجال الرعي والثروة الحيوانية أم كان ذلك عن طريق الزراعة أم الحرف

اليدوية والمهن والأعمال عامة ، أم فى مجال التجارة وأساليبها المتعددة ووسائطها الكثيرة من مكاييل وموازين ومقاييس وعملات.

وبما أن الثروة الحيوانية يشترك فى امتلاكها الحضر والبدو على حد سواء فقد كانت صفة الراعى من المهن التى كان الحضر يقومون بها اذ تعد أحد أساليب التشابه فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية بين هذين الفريقين ، ويجد المطلع على الجوانب التفصيلية لهذه المهنة تشابها بين نظرة العرب الأوائل نحوها ونظرة عامة النجديين خاصة النظرة تجاه رعاء الشاء كما وردت الاشارة الى ذلك.

ويختص الحضر من دون البدو فى القيام بأمور الزراعة ، وقد أثبتت الدراسة قدم هذه الناحية فى نجد من خلال عرض بعض الأحاديث والدراسات التخصصية فى هذا السبيل التى أكدت أن نجدا أحد المراكز المهمة فى شبه الجزيرة العربية سواء فيما يتعلق بزراعة الحبوب أم كثرة النخيل وغيرها ، ولا أدل على أهمية الزراعة عند حضر نجد من أن الأمراء وعلية القوم عموما كانوا يحرصون على القيام بها وامتلاك مزرعة أو أكثر ، فضلا عن أن الزراعة هى أساس تكوين البلدان النجدية تماما كما كانت أساس تحضر الانسان الأول فى فجر التاريخ ، ويجد المطلع على الفتاوى النجدية فى تلك الفترة أن كثيرا من المسائل المتعلقة بالزراعة قد أخذت نصيبها من الوافر من البحث والتحقيق عند علماء نجد ، نظرا لامتهان قسم كبير من المجتمع لكثير من الأعمال الزراعية الرئيسية والفرعية.

ان نظرة المجتمع النجدى لبعض الحرف اليدوية امتداد لنظرة العرب المتأصلة فى هذا المجال ، وهى نظرة ليس العرب بدعا فيها فقد عرفتها مختلف شعوب العالم القديمة ، ورغم ذلك فقد عرف المجتمع النجدى كثيرا من المهن اليدوية والحرف التى سدت حاجته فى كثير منها ، ويجد المطلع على تاريخ تلك الفترة تقدير أفراد المجتمع للفئات العاملة فى الوقت الذى تستنكف بعض فئاته من امتهان بعض الحرف ، ويبدو أن هذه الفئات تفرق بين المهن

والحرف اليدوية فى درجة هذا الاستنكاف.

وقد أثبت تاريخ تلك الفترة وماقبلها قدم بعض المهن فى منطقة نجد منذ العصر الجاهلى كالنسيج مثلا الذى عرفت به منطقة الوشم فى فترة متقدمة، ومن المعتقد قدم بعض المهن المتعلقة بالنسيج كالخياطة التى لا يجد الباحث اختلافافى أساليبها عند النجديين فى تلك الفترة عن أساليبها لدى العرب الأوائل، على أنه يبدو كذلك أن كثيرا من الأعمال والمهن كانت أصيلة فى هذا المجتمع منذ العصر الجاهلى.

وتعد أساليب التجارة المختلفة دليلا واضحا على أصالة الجانب التجارى عند الحضر رغم أنه لم يكن فى مستوى الجانب الزراعى والحرفى فى كثرة القائمين به، الا أنه من جانب آخر كانت أساليب التجارة عاملا من عوامل الاتصال الاجتماعى سواء كان ذلك عبر التجارة المحلية أم التجارة الاقليمية داخل نجد، أم التجارة بين البدو والحضر أم التجارة الخارجية بين نجد والبلدان المجاورة وربما غير المجاورة أحيانا، وتؤكد لنا الأحداث فى هذا السبيل الدور الاقتصادى الجيد الذى لعبه التجار النجديون عبر تلك الأساليب حتى نالوا ثقة المتعاملين معهم سواء فى داخل نجد أم خارجها، اذ تشير المصادر الى ولع بعض النجديين بهذا الجانب، وتفانيهم فى العمل به وحرصهم على أن يتم التعامل التجارى بتوجيه من أخلاقهم وعاداتهم الكريمة.

وتؤكد الأمثلة التى تم عرضها فى مجال الأسعار أن نظام العرض والطلب هو السائد فى هذا الجانب الذى كان مثار اهتمام مؤرخى نجد حيث أعطوا احصاءات دقيقة عن أسعار بعض السلع الغذائية وغير الغذائية وتصور هذه الاحصاءات الأساليب المباشرة وغير المباشرة وراء ارتفاع أو انخفاض الأسعار مما ورد تفصيله.

كما أن أساليب البيع والشراء التى تم عرضها تبين أنها كانت تخضع

تخضع لتقريرات وفتاوى وأحكام فقهاء وقضاة نجد فى تلك الفترة حيث كانت تلك التقريرات والفتاوى والأحكام عوامل رئيسة أضفت جانبا من التنظيم على هذه البيوع وأكدت دور العلماء البارز فى الحياة الاجتماعية ، ولا أدل على ذلك من وقوف هؤلاء الفقهاء والقضاة ضد بعض البيوع التى رأوا فيها خروجا عن أحكام البيوع الشرعية ، كما أنهم من جانب آخر كانوا يجيزون كثيرا من هذه البيوع التى لم يروا فيها محذورا شرعيا ، الا أنهم قد عجزوا - فيما يبدو - عن منع الناس من القيام ببعض أنواع البيع التى تأصلت لدى بعض أفراد المجتمع كبعض المداينات التى وجد لها بعض المظاهر الجائرة كقلب الدين والتحيل على الربا عن طريقه .

وقد تبين لنا أن منطقة نجد فى تلك الفترة عرفت عددا من الآصع حسب أقاليمها المختلفة ، وأن هذه الآصع تختلف مقاديرها الى الصاع النبوى على أن نجدا من جانب آخر قد عرفت عددا من المكاييل التقديرية الكبيرة كالوسق ، وكذلك المكاييل الصغيرة التى تقدر كمياتها الى الصاع ، وقد كانوا يستخدمون تلك المكاييل الكبيرة والصغيرة فى كيل كثير من المواد الغذائية وغير الغذائية ، ويرى المطلع على أنواع الكيل النجدية عدم وجود اختلاف فى مسميات هذه الأنواع وأساليب الكيل فيها عن أنواع الكيل التى عرفها العرب الأوائل ، وان اختلفت تقديرات الكيل فيها .

أما وسائل الوزن فقد أثبتت الدراسة اشتراك نجد وبعض البلدان المجاورة فى اتخاذ الوزنة ومايتفرع عنها من وحدات وزنية أصغر لوزن مالا يتأتى كيلمبالصاع أو غيره ، كما عرفت نجد - وشابهت فى ذلك كذلك بعض البلدان المجاورة - القياسة ، كما يجد المتعمق فى دراسة وسائل الوزن أن نجدا كذلك عرفت بعض الأوزان التقديرية التى عرفها عرب ماقبل الاسلام ، كالشَّقْل ، وهذا يبين لنا أن وسائل الوزن النجدية فى تلك الفترة كانت خليطا متشابها مع أوزان العرب الأقدمين وبعض البلدان المجاورة .

ومايمكن أن يقال فى المكاييل والموازين ينطبق على المقاييس التى

كانت فى نجد هى نفسها التى عرفها عرب الجاهلية واستمر القياس بهـــا بعد الاسلام كذلك كالباع والذراع والشبر والفتر، والمعتقد أن البلدان المجاورة كانت تقيس بهذه المقاييس مما يشير الى وجود تشابه فى هذا المجال بيـن النجديين ومن سبقوهم أو عاصروهم.

ومن ذلك العدد من العملات التى تم عرضها يتبين لنا أن نجـدا قد عرفت عددا كبيرا من العملات عالية القيمة وعكسها من تلك التى تنتمـى الى سلات عملات مختلفة، ويجد المطلع على هذه العملات أن التعامـل النقدى فيها هو السائد فى البلدان المجاورة كذلك بل غير المجاورة أحيانا مما يؤكد وجود شبه وحدة نقدية بين كثير من مناطق العالم فى تلك الفترة وان كان ذلك مقتصرا على بعض العملات التى كانت مقبولة فى التعامل التجـارى وسوق النقد الدولى آنذاك، وهذا يشير فى الوقت ذاته الى أن نجدا قـد غدت احدى المناطق التى لا تجد فيها هوية نقدية لبلد من البلدان بـل ظلت العملات الرديئة والجيدة تتنافس فيها سواء فى مجال التعامـل النقدى أم اتخاذها من قبل النساء للتجمل والتحلي بها.

وتؤكد الأحداث التى سبق ذكرها بروز الناحية الأمنية كسبب مباشـر لهجرة كثير من الأسر والأفراد خارج نجد، اذ أن تردى الأحوال الأمنيـة فى تلك الفترة جعل الحياة الاجتماعية فيها لا تطاق لدى بعض هذه الأسـر والأفراد ، حيث تصور تلك الأحداث بعض النجديين فى صراع مستمر ويهتبل كل فرد وتتحين كل أسرة الفرصة للثأر من الأخرى حول العديد من مجالات الحياة الاجتماعية التى يحصل نزاع حولها، ويرى المطلع على هـذه الأحداث فلا يجدها تختلف كثيرا عن تاريخ العرب قبل الاسلام فى هـذا السبيـل.

وتتداخل الأسباب الاقتصادية مع الأمنية فى جعل الحياة العامـة فى نجد شديدة على بعض أهلها ، اذ أن تأثر الحياة الاقتصادية ـ فـى

أغلب مجالاتها - بأدنى المؤثرات الكونية والبشرية أوجد شحًا فى الكثير من المواد الغذائية مما دفع بقسم من النجديين الى الاندفاع خارج بلدانهم فى هجرة داخلية أو خارجية، وتؤكد كثرة الأحداث فى هذا الصدد وجود مثل تلك الحالات عند البدو والحضر على حد سواء اذ أن التأثر بانحباس المطر أو قلته يشترك في الاكتواء بناره الفريقان معا، فبالاضافة الى تأثر ظاهر الأرض بهذا الضرر وهو ما يتضرر منه البدوى كثيرا، فان باطن الأرض هو الآخر لا يقل تأثرا عن ظاهرها من جراء عدم هطول الأمطار، وتشير بعض الأحداث الى أن غور الآبار كان عاملا وحيدا دفع بعض النجديين الى هجر بلدانهم.

ولقد كان قسم من النجديين حريصيين على أن يتم حل هاتين المشكلتين بالهجرة الداخلية، وهو ماينسجم مع كبر مساحة نجد، واختلاف أقاليمها وفرة فى المياه وخصوبة فى التربة، وقد عدت الهجرة الداخلية أحد العوامل الرئيسية في وجود وحدة اجتماعية لمنطقة نجد صلة فى النسب وتماثلا فى العادات والتقاليد، اذ يجد المطلع على أحداث تلك الهجرة أن القائمين بها لم ينسوا أصولهم الأسرية السابقة أو مكان سكنهم الأول رغم الاستقرار فى البلدان التى هاجروا اليها داخل نجد.

ويبدو أن قسما من النجديين قد رغب النأي عن منطقة نجد الى خارجها، وهذا القسم لم يقتنع بجدوى الهجرة الداخلية كحل للخروج من الأزمات العامة فى نجد فولى وجهه شطر المناطق الغنية - نوعا ما - سواء كانت مجاورة أم غير مجاورة مما أثمر وجود جاليات نجدية فى هذه المناطق التى تعد الزبير أهمها حيث ضمت أكبر جالية نجدية، وظلت البلد الأكثر تفضيلا لدى النجديين فى هجرتهم الخارجية، كما أن بعض مناطق الخليج العربى كانت هى الأخرى مناطق مفضلة عند النجدى للعمل والتجارة والتعلم.

ويمكن القول من عرض تلك الرحلات العلمية والتجارية وهجرات بعض الأسر العامة للعمل خارج نجد، يمكن القول أن موقع نجد المتوسط

فى شبه جزيرة العرب قد أتاح لها التعامل الشامل مع سائر المناطق العربية وهذا ما أثمر وجودا اجتماعيا نجديا فى أغلب هذه المناطق فضلا عن غيرها من المناطق الأخرى غير العربية، وأدى بالتالى الى اكتساب بعض النجديين لبعض عادات هذه المناطق من جانب، وتأثير بعض العادات النجدية فى سكان هذه المناطق من جانب آخر، وان تكثيف التعامل الشامل مع منطقة الخليج منذ فترة متقدمة ليؤكد قدم وأصالة التوجه الاقليمى لهذه المنطقة نحو التعاون فى شكله الحالى، وصولا الى الوحدة الشاملة المستقبلية، وهى ما يجب أن يكون لها وجهة اسلامية صافية المعتقد حتى تصبح امتدادا طبيعيا لتلك الوحدة الشاملة الفاعلة فى فجر الاسلام، وحتى تأخذ شيئا من التأثير العالمى الذى قامت به تلك الوحدة.

وتعد نظرة الحضرى للبدوى فى تلك الفترة امتدادا لتلك النظرة المتأصلة بين الفريقين نحو الآخر، وهى نظرة كانت ناجمة عن كره كل منهما لأسلوب معيشة الآخر، الا أن هذه النظرة لم يكن لها التأثير القوى على درجة تعامل الفريقين فيما بينهما فى العديد من صور التعامل الاجتماعى الجيد حيث حفلت الكثير من القصص والأخبار بالعديد من حالات الأخاء والوفاء والتداخل الأسرى وحسن الجوار بينهما.

ومن جانب آخر فان النظرة للمرأة لا تختلف عنها عند البدو كذلك كما أن فيها تشابها مع نظرة العرب الأوائل تجاهها حيث كانت تهين المرأة فى بعض جوانب تلك النظرة كما أن المرأة تلقى التكريم الجيد فى بعض جوانبها الأخرى، وهذا عامل أدى الى بروز بعض النساء الشهيرات فى المجتمع النجدى آنذاك، وتشير بعض الأحداث الى الدور الذى قام به العلماء فى التأكيد على أن تكون النظرة للمرأة تنطلق من منطلق الاحترام لها والاعتراف بالأعمال التى كانت تقوم بها من القيام بشئون المنزل ورعاية الأولاد وغيرها.

ويجد الباحث فى وضع الرقيق عند حضر نجد عدم اختلاف معاملة

الأرقاء كذلك بين البدو والحضر في بعض الجوانب، الا أن أساليب الخدمة عند الحضر تختلف عنها عند البدو تبعا لاختلاف أساليب الحياة عند الفئتين وقد تبين أن امتلاك الرقيق يعد علامة واضحة على غنى مالكهم، وهذا مايؤكد أن الامتلاك للرقيق لا يتوفر الا عند الوجهاء من الأمراء والعلماء وعلية القوم، وتشبه النظرة للرقيق النظرة للمرأة حيث لقى الرقيق تكريما لدى بعض النجديين كما لم يلق تكريما واضحا لدى البعض الآخر، الا أن مما ينبغى التأكيد عليه أن حالات التكريم هى الأوسع انتشارا فى المجتمع، وأن عدم التكريم كان محدودا عند بعض الأفراد.

وتشكل المظاهر الخاصة للحياة الاجتماعية المتعلقة بسير الحياة اليومية امتدادا لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية عند عرب ماقبل وبعد الاسلام، وتنطلق بعض جوانبها من تنظيم الاسلام لها، ففى مجال الزواج تتم عاداته ضمن المشهور من المذهب الحنبلى فى الصداق وسائر الأمور التى من شأنها اتمام هذا الزواج ويجد المطلع على مظاهره البساطة واليسر والحرص على أن يتم فى اطار ذلك انسجاما مع البساطة فى مجالات الحياة العامة.

وتتشابه مساكن النجديين وأسلوب السكن لديهم كذلك مع هذا الجانب عند حضر العرب الأقدمين، حيث تشكل حدا فاصلا بين البداوة والتحضر، وتعطى تصورا لدرجة تكييف النجدى لخامات البيئة فى تكوين مسكنه، ومراعاة العناصر المناخية والموقع حين اختيار المسكن وبنائه.

ان أنواع اللباس ومظاهر اللبس عند حضر نجد قد تنوعت رغم بساطة الحياة العامة حيث كانت نجد تستورد الملابس الراقية للخاصة من الناس ولايجد الباحث اختلافا كثيرا بين ملابس البدو والحضر، كما يجد تشابهها فى ملابس النجديين عامة وملابس العرب الأقدمين وأهل البلدان المجاورة رغم اختلاف بعض مسميات هذه الألبسة، وتبعا للتوزيع الاجتماعى فقد كثرت

فى نجد فى تلك الفترة الملابس المغرقة فى البساطة وتدنى القيمة.

وتتفق ملابس النساء مع ملابس الرجال فى كونها تخضع للحالة الاجتماعية كما تشبهها فى بعض أشكال اللباس الخارجية، الا أن الباحث يجد أنواعا من الحلى التى كانت المرأة تحرص على التحلى بها، وكذلك أنواعا من وسائل التجميل الأخرى التى كانت منسجمة مع بساطة الحياة العامة، وتؤكد حرص المرأة النجدية على التأنق لزوجها رغم كثرة الأعمال التى كانت تقوم بها.

وقد استفاد النجديون فى مآكلهم من المنتجات المحلية التى كانت هى الرائدة فى أنواع الأكل حيث شكل التمر والحبوب التى تزخر بها المنطقة أهم العناصر الغذائية الا أن هذا لم يمنع فى بعض الفترات الأخرى من استيراد بعض الأغذية من البلدان المجاورة، وكما اتفقت نجد فى العديد من المظاهر الاجتماعية مع العرب الأوائل فان المطلع على المأكولات والعادات الخاصة بالأكل يجد تشابها فى بعض المظاهر المتعلقة بها مع هؤلاء العرب كذلك وأهل البلدان المجاورة.

وقد تبين أنه رغم تشابه النجديين مع العرب الأوائل فى بعض المشروبات والعادات الخاصة بالمشرب فقد جدت على حياة النجديين تلك المشروبات التى سبق بيان موقف علماء نجد منها وهى القهوة والدخان حيث عد هذين المشروبين أبرز المؤثرات من البلدان المجاورة فى مجال الشرب، وقد واكب هذين المشروبين ظهور بعض العادات الحسنة والسيئة المتعلقة بكل واحد منهما.

ويجد المتعمق فى الحياة الاجتماعية عند حضر نجد الكثير من المثل العليا وصور التكافل الاجتماعى التى تندرج فى اطار تنظيم الاسلام للمجالات التكافلية عن طريق الزكاة الواجبة وصدقات التطوع والأوقاف الشخصية والوصايا وسائر طرق الاحسان والخير مما أكد أصالة الجانب الخيّر الموجود

لدى بعض الناس الآن ، ورسوخ جانب الاحتساب فيه ، والحرص على أن تتنـــوع منافعه وتشمل سائر فئات المجتمع.

هذه بصورة عامة أبرز الأفكار والنتائج التى ضمها هذا البحث علـــى أن هناك بعض الأفكار والنتائج التى كانت مبثوثة فى كل فقرة تفصيلية ممـــا يضيق المجال فى هذه الخاتمة عن عرضها ولا أريد أن تكون تكرارا لهـــا ، وكما سبق أن قلت فان بعض هذه النتائج قد جاءت تأكيدا لاجتهـــادات باحثين آخرين ، وكلى رجاء أن أكون قد قدمت صورة شبه واضحة عن أبـــرز معالم الحياة الاجتماعية عند حضر نجد منذ القرن العاشر الهجرى الـــى قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كما أنى أرجو التماس العذر لـــى فى بعض الأخطاء أو النواقص التى قد توجد فى هذا البحث نظرا لشـــح المصادر فى هذا السبيل ، وعدم وضوح الصورة فى المتوفر منهـــا ، ومـــا توفيقي الا بالله ، والحمد لله رب العالميـــــــن .

الفهارس

أ - المصادر والمراجع :-

ب - محتويات الرسالة .

١ - المصادر والمراجـــع :

أولا : المخطوطـــات:

١ - ابن بسـام : عبد الله بن محمد بن عبد العزيز (١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م - ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م).
تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق ،نقلـه عن الأصل نور الدين شريبة سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.

٢ - الحسينـي : عثمان بن منصور (ت ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م).
نبذة تاريخية عن نجد بخطـه.

٣ - ابن حميـد : محمد بن عبد الله (١٢٣٢هـ/ ١٨١٦هـ - ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م
السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، نسخة مصورة عـن مخطوطة خدا بخش بتنه.

٤ - ابن سنـد : عثمان النجدي البصري (١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م - ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م).
سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعـد

٥ - الذكيـر : مقبل بن عبد العزيز (١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م - ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م).
مسودة تاريخ لم يقرر مؤلفه عنوانا له حيث وضع أكثر مـن عنوان ولم يترجح لديه أحدها وهي موجودة في مكتبـة الدراسات العليا جامعة بغداد برقم ٥٦٩، ٥٧٠.

٦ - ابن ضويان : ابراهيم بن صالح (ت ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م) .
رفع النقاب عن تراجم الأصحاب.

٧ - المنقور : احمد بن محمد (١٠٦٧هـ/١٦٥٦م - ١١٢٥هـ/ ١٧٢٣م) ، وقد ذكرت في ترجمته نقلا عن أستاذي المشرف في تحقيقه لابن ربيعة أنه اطلع على مايثبت وجوده عام ١١٢٨هـ .
النسخة الخطية من تاريخه ، وقد رجعت اليها رغم اعتمادي على النسخة المحققة المشورة لوجود بعض الاختلافات بينهما في بعض الأحداث .

٨ - ابن عباد : محمد (ت ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م) .
تاريخه المسمى تاريخ ابن عباد .

٩ - ابن يوسف : محمد ،
تاريخه المسمى تاريخ ابن يوسف .

ثانيا : **المطبوعـــات:**

١٠ـ أبا بطيـــن : عبد المحسن بن عثمان.
المجموعة البهية من الأشعار النبطية، ط (٣) نشـر مكتبة الرياض الحديثة ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م.

١١ـ ابن الأثيـر : أبو الحسن على بن محمد (٥٥٥هـ/١١٦٠م - ١١٦٠م - ٦٣٠هـ/١٢٣٣م).
الكامل فى التاريخ، ط(٢) دار الكتاب العربـى بيروت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

١٢ـ أرنولـــد : سير توماس.
الدعوة الى الاسلام ترجمة د. حسن ابراهيم حسـن وزميليه، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصريـة، القاهرة ١٩٧٠م.

١٣ـ أســـد : محمد (ليوبولد فايس سابقا).
الطريق الى مكة، ترجمه عفيف البعلبكى تحت اسـم الطريق الى الاسلام ط (٢) دار العلم للملاييـن بيروت ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

١٤ـ الأصبهانـــى : ابو الفرج على بن الحسين القرشى.
الأغانى، تحقيق ابراهيم الابيارى، طبعة دار الشعب ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٥ـ الأصبهانـــى : ابو نعيم أحمد بن عبدالله (٣٣٦هـ/٩٤٨م - ٤٣٠هـ/١٠٣٨م).
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الطبعةالثالثة دار الكاتب العربى، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١٦- الأصفهاني : الحسن بن عبد الله (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) .
بلاد العرب ، تحقيق حمد الجاسر ، د . صالح العلي ، ط (١) نشر دار اليمامة ، الرياض ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م على خلاف بينهما في نسبة الكتاب فبينما يقول الجاسر : انه للأصفهاني يقول العلي : انه للأصمعي ، والله أعلم .

١٧- الألباني : محمد ناصر الدين .
سلسلة الأحاديث الصحيحة ط (٢) المكتب الاسلامي بيروت ، دمشق ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

١٨- " : الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، الطبعة الأولى المكتب الاسلامي ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

١٩- الأمين : عبد الأمير محمد .
المصالح البريطانية في الخليج العربي (١٧٤٧م/١١٦٠هـ - ١٧٨٨م/١١٩٢هـ) . ترجمة هاشم لازم ، مراجعة مكي المؤمن مطبعة الارشاد بغداد ، نشر مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ، توزيع الدار الوطنية . بغداد ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

٢٠- ابن باز : عبد العزيز بن عبد الله .
التحقيق والايضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة ط (٢٠) المطابع الأهلية . الرياض

٢١- البحراوي : د . محمد عبد اللطيف .
حركة الاصلاح العثماني في عهد السلطان محمود الثاني ، الطبعة الأولى مطابع المختار الاسلامي نشر دار التراث القاهرة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) .

٢٢ - البســـام : عبد الله بن عبد الرحمن ،
علماء نجد خلال ستة قرون ، ط(١) مؤسسة الخدمات الطباعية ، بيروت ، نشر مكتبة النهضة الحديثــة ، مكة المكرمة ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

٢٣ - البســـام : محمد (ت ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م)
الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر ، تحقيـــق سعود العجمي ، ط(١) ١٤٠١هـ/ ١٩٨١

٢٤ - البســـام : يوسف بن حمـــد .
الزبير قبل خمسين عاما المطبعة العصرية . الكويت ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م .

٢٥ - ابن بشـــر : عثمان بن عبد الله (١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م - ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م) .
عنوان المجد في تاريخ نجد ، تحقيق وتعليـــق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ط(٣) طبع ونشر وزارة المعارف السعودية ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

٢٦ - بكـــر : د . السيد يعقوب .
نصوص في فقه اللغة العربية دار النهضة العربيـــة بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م .

٢٧ - بلانـــت : الليدي آن .
رحلة الى بلاد نجد ، ترجمة محمد أنعم غالب ، ط(١) نشر دار اليمامة . الرياض ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م .

٢٨ - ابن بليهـــد : محمـــد بن عبد الله (١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م - ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م) .

صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من آلآثار، راجعة وضبطه وصنع فهارسه محمد محي الذين عبدالحميد ط (٢) ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٢٩ - ابن بليهد : ماتقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه. تحقيق د. محمد ابن سعد بن حسين. مطابع الاشعاع.

٣٠ - البهوتي : منصور بن يونس (١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م - ١٠٥١هـ/ ١٦٤١م).
شرح منتهى الارادات، نشر مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

٣١ - بوركهارت : جوهان لودفيج (١١٩٩هـ/ ١٧٨٤م - ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م)
مواد لتاريخ، ترجمة د. عبد الله الصالح العثيمين الطبعة الأولى شركة العبيكان للطباعة. الرياض ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣٢ - بيرين : جاكلين (ولد سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١).
اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدرى قلعجى، دار الكاتب العربى. بيروت، مكتبة النهضة. بغداد.

٣٣ - الترمذى : محمد بن عيسى (٢٠٩هـ/ ٨٢٤م - ٢٧٩هـ/٨٩٢م)
الجامع الصحيح، المعروف بسنن الترمذى، نشر دار الفكر، بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٣٤ - توتيشل : ك، س، ادوار جورجى.
المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية ترجمة شكيب الأموى، دار احياء الكتب العربية. القاهرة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

٣٥- الثميري : محمد بن أحمد .
الفنون الشعبية في الجزيرة العربية ، المطبعة العمومية بدمشق ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .

٣٦- الجاسر : حمد بن محمد .
مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، ط(١) نشر دار اليمامة ، الرياض ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م .

٣٧- " : مقدمة المعجم الجغرافي للبلاد السعودية ، ط(١) مطبعة نهضة مصر ، نشر دار اليمامة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧ .

٣٨- " : شمال المملكة ، ط(١) المطبعة العربية الحديثة القاهرة ، نشر دار اليمامة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م .

٣٩- " : المرأة في حياة امام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بحث قدم لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي عقدته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

٤٠- الجبرتي : عبد الرحمن بن حسن (١١٦٧هـ/ ١٧٥٤م - ١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م) .
عجائب الآثار في التراجم والأخبار . مطبعة سميا ، نشر دار الفارس . بيروت .

٤١- الجبرتي : عبد الرحمن .
دراسات وبحوث عنه طبع باشراف د . أحمد عزت عبد الكريم الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦م .

٤٢- جب : هاملتون ، هارولد بوون .
المجتمع الاسلامي والغرب ، ترجمة د . محمد عبد الرحيم مصطفى طباعة ونشر دار المعارف القاهرة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .

٤٣ - الجزيـــري : عبد القادر بن محمد (٨٨٠هـ/١٤٧٥م - ٩٧٧هـ/١٥٧٠م).
الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، الطبعة الأولى مطبعة نهضر مصر، نشر دار اليمامة. الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٤٤ - الجميـــل : مكـــي.
البداوة والبدو في البلاد العربية، مطابع الشركة الثلاثية عمان. الأردن ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

٤٥ - جمعـــة : محمد كمـــال.
انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية مطابع نجد التجارية نشر دارة الملك عبد العزيز ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٤٦ - ابن جنيـدل : سعد بن عبد اللـــه.
عالية نجد، مطبعة نهضة مصر، نشر دار اليمامة ضمن المعجم الجغرافي للمملكة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٤٧ - الجهيمـــان : عبد الكريـــم.
الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب، ط(٢) دار الثقافة. بيروت، نشر دار أشبال العرب. الرياض، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٤٨ - ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي (٥٠٨هـ/١١١٤م - ٥٩٧هـ/١٢٠١م).
سيرة عمر بن عبد العزيز، مطبعة الامام. القاهرة

٤٩ - الحاتـــم : عبد الله بن خالـــد.
خيار ما يلتقط من الشعر النبط، ط(٣) نشر دار ذات السلاسل. الكويت ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٥٠- أبو حاكمــة : أحمد مصطفــى .
تاريخ الكويت، مطبعة حكومة الكويت، نشر لجنة تاريخ الكويت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٥١- الحامــد : عبد الله بن علــى .
الشعر فى الجزيرة العربية خلال قرين (١١٥٠هـ/ ١٣٥٠هـ). الطبعة الأولى، مطابع الاشعاع التجارية الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

٥٢- الحربــى : ابراهيم بن اسحاق (١٩٨هـ/ ١٨١٥م - ٢٨٥هـ/ ١٨٩٨م).
المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، مطبعة المتنبى. بيروت. نشر دار اليمامة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٥٣- ابن حــزم : محمد بن على (٣٨٤هـ/ ٩٩٤م - ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)
جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف. القاهرة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

٥٤- حســون : د. علــي .
تاريخ الدولة العثمانية. المكتب الاسلامى دمشق ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٥٥- ابن حسيــن : محمد بن سعــد .
الشيخ محمــد بن بليهد وآثاره الأدبية، ط(١) مطابع اليمامة. الرياض ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٥٦- آل حسيــن : محمد بن عبد الله (١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م - ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م).
الزوائد فى فقه الامام أحمد بن حنبل، ط(٢) مطبعة البيان، ومطبعة الفجالة الجديد. القاهرة.

٥٧ - الحقيل : حمد بن ابراهيم.
كنز الأنساب ومجمع الآداب، ط(٥) ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م

٥٨ - الحلاق : أحمد البديري.
حوادث دمشق اليومية (١١٥٤هـ/١٧٤١م - ١١٧٥هـ/١٧٦٢م) تنقيح الشيخ محمد سعيد القاسمي. تحقيق د. أحمد عزت عبد الكريم، ط(١) مطبعة لجنة البيان العربي. القاهرة، نشر الجمعية المصرية المصرية للدراسات التاريخية ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

٥٩ - حمزة : فؤاد بن أمين (١٣١٧هـ/١٨٩٩م - ١٣٧١هـ/١٩٥١م)
قلب جزيرة العرب. المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م.

٦٠ - " : البلاد العربية السعودية، الطبعة الثانية، نشر مكتبة النصر، الرياض ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٦١ - ابن حنبل : الامام أحمد بن محمد الشيباني الوائلي (١٦٤هـ/ ٧٨٠م - ٢٤١هـ/ ٨٥٥م).
المسند، ط(٢) دار الفكر، والمكتب الاسلامي بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٦٢ - الحنبلي : ابو الحسين محمد بن أبي يعلى (٤٥١هـ/١٠٥٩م - ٥٢٦هـ/١١٣١م).
طبقات الحنابلة نشر دار المعرفة. بيروت.

٦٣ - الخزاعي : علي بن محمد بن مسعود (٧١٠هـ/١٣١٠م - ٧٨٩هـ/١٩٨٧م).
تخريج الدلالات السمعية على ماكان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية. تحقيق د. احسان عباس، الطبعة الأولى

دار الغرب الاسلامى ،بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

٦٤ - ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م - ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)٠
العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة الأعلمى بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م٠

٦٥ - ابن خميس: عبد الله بن محمد٠
راشد الخلاوى ، نشر دار اليمامة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م

٦٦ - " : الأدب الشعبى فى جزيرة العرب ، ط(٢) مطابع الفرزدق ،الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م٠

٦٧ - " : الدرعية . العاصمة الأولى ، ط(١) مطابع الفرزدق ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م٠

٦٨ - الخويطر : د . عبد العزيز العبد الله٠
عثمان بن بشر: منهجه ومصادره ، ط(٢) مطابع اليمامة ،الرياض ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م٠

٦٩ - الخياط : د . عبد العزيز .
المجتمع المتكافل فى الاسلام ،الطبعة الثالثة ، نشر دار السلام، القاهرة، حلب، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م٠

٧٠ - أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى (٢٠٢هـ/ ٨١٧م - ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)٠
السنن ،تعليق عزت الدعاس وعادل السيد ، ط(١) نشر وتوزيع دار الحديث. حمص سورية.

٧١ - دحلان : أحمد زينى (١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م - ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م)
خلاصة الكلام فى بيان أمراء البيت الحرام، تصوير عن الطبعة الأولى . المطبعة الخيرية ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م٠

٧٢ - الربيعــــان : فهد المحمــد .
العرينات، مطابع البادية الرياض ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٧٣ - ابن رجــب : عبد الرحمن بن أحمد (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م - ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م)
الذيل على طبقات الحنابلة. دار المعرفة ،بيروت.

٧٤ - السيد رجب : عمر الفاروق .
دراسات فى جغرافية المملكة العربية السعودية
ط(٢) شركة الخدمات الصحافية والطباعية. بيروت
نشر دار الشروق . جدة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٧٥ - ابن رداس : عبد الله بن محمــد .
شاعرات من البادية، دار اليمامة. الرياض.

٧٦ - الرشيــد : عبد العزيز بن أحمد (١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م - ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م)
تاريخ الكويت نشر دار مكتبة الحياة. بيروت.

٧٧ - الرويشـد : عبد الله بن سعــد .
الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى التاريخ طباعة
دار احياء الكتب العربية، نشر مكتبة عيسى الحلبى
١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٧٨ - الريكــى : حسن بن جمال بن أحمــد .
لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق
الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ . المطابع الأهلية
للأوفست " الرياض، نشر دارة الملك عبدالعزيز.

٧٩ - ريمونــد : جــان
مذكرات فى أصل الوهابيين ، تقرير مقدم الى ديــه

شامباني وزير الخارجية الفرنسي في عهد نابليون كتب سنة ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م، وهو مستخرج من محفوظات تلك الوزارة، ومترجم الى العربية ومطبوع على الآلة الكاتبة.

٨٠ـ السباعي : د. مصطفى بن حسني (١٣٣٤هـ/١٩١٥م - ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).
أحكام الصيام وفلسفته" الطبعة الثانية". دار القرآن الكريم والمكتب الاسلامي. دمشق بيروت ١٣٩٢هـ.

٨١ـ السامرائي : يونس ابراهيم.
تاريخ مساجد بغداد الحديثة. مطبعة الأمة الأمة، بغداد نشر وزارة الأوقاف العراقية ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

٨٢ـ ابن سحمان : سليمان بن مصلح (١٢٦٦هـ/١٨٤٩م ـ ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م).
الأسنة الحداد في الرد على علوي الحداد، الطبعة الثانية، مطابع الرياض ١٣٧٦هـ.

٨٣ـ السديري : محمد الأحمد.
أبطال من الصحراء، مطابع دار الكتب. بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٨٤ـ السعدي : عبد الرحمن بن ناصر (١٣٠٧هـ/١٨٨٩م ـ ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م).
تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنّان، تحقيق محمد زهري النجار، مطابع الدجوى ـ القاهرة، نشر المؤسسة السعيدية. الرياض.

٨٥ - أبو السعود : بن محمد العمادى (٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م - ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م) .
ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الحكيم، تحقيق عبد القادر عطا ، مطبعة السعادة. القاهرة، نشر مكتبة الرياض الحديثة. الرياض.

٨٦ - سعيد : أمين .
سيرة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، طبع سنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٨٧ - " : فيصل العظيم ، الطبعة الثانية ، مطابع نجد التجارية نشر وزارة التعليم العالى فى المملكة

٨٨ - السليمان : على بن حسين .
العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك الشركة المتحدة للنشر والتوزيع. القاهرة ، توزيع دار حراء. القاهرة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٨٩ - السليمان : خالد بن أحمد .
معجم مدينة الرياض ، الطبعة الأولى مطابع الفرزدق الرياض، نشر الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٩٠ - السهسوانى : محمد بشير .
صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان ، الطبعة الرابعة مطابع القصيم، نشر دار الافتاء السعودية ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.

٩١ - السويدى : عبد الرحمن بن عبد الله (١١٣٤هـ/ ١٧٢١م - ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م.

تاريخ حوادث بغداد والبصرة من عام ١١٨٦هـ / ١٧٧٢م الى ١١٩٢هـ/١٧٧٨م تحقيق وتعليق د . عماد عبد السلام رؤوف ، مطابع دار الحرية بغداد نشر وزارة الثقافة والفنون العراقية .

٩٢- السويداء : عبد الرحمن بن زيد .
نجد في الأمس القريب ، الطبعة الأولى . دار العلوم الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

٩٣- السيار : عائشة .
دولة اليعاربة ، الطبعة الأولى نشر دار القدس ، بيروت ١٩٧٥م .

٩٤- شاكر : محمود .
قفقاسيا ، ط. مؤسسة الرسالة ، نشر الشركة المتحدة للتوزيع . بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .

٩٥- الشبل : د . عبد الله بن يوسف
محمد بن عبد الوهاب . حياته ودعوته ، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، نشر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب . ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

٩٦- " : أهم المصادر النجدية لتاريخ الدولة السعودية . دراسة تحليلية . رسالة دكتوراه من جامعة الاسكندرية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م لم تنشر بعد .

٩٧- " : تاريخ ابن ربيعة ، دراسة وتحقيق . مطابع الشرق الأوسط . الرياض ، نشر النادي الأدبي في الرياض ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

٩٨ - شلبي : د. أحمد.
تاريخ التربية الاسلامية، الطبعة الخامسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م

٩٩ - الشوكاني : محمد بن علي (١١٧٣هـ/١٧٦٠م - ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م).
فتح القدير، ط(٢) مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

١٠٠ - آل الشيخ : عبد الرحمن بن عبد اللطيف.
مشاهير علماء نجد وغيرهم، ط(١) دار اليمامة الرياض ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

١٠١ - صبري : أيوب.
مرآة جزيرة العرب. ترجمة وتعليق د. أحمد فؤاد متولي، والصفصافي أمد المرسي، الطبعة الأولى دار الرياض للنشر والتوزيع. الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

١٠٢ - الصعيدي : عبد المتعال.
المجددون في الاسلام، طبع دار الحمامي نشر مكتبة الآداب، القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

١٠٣ - الصاوي : محمد اسماعيل.
شرح ديوان جرير، ط(١) المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

١٠٤ - الصقري : عبد الله بن سعود.
من نوادر الأشعار، ط(١) مطابع الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٠٥ - ابن صقيه : عبد الله بن علي.
بنو تميم في بلاد الجبلين، المطابع الأهلية للأوفست ودار اليمامة الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٠٦ - ابن ضويان : ابراهيم بن صالح .
منار السبيل فى شرح الدليل ، الطبعة الرابعة
المكتب الاسلامى ، دمشق . بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م

١٠٧ - آل أبوطامى : أحمد بن حجر .
الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الطبعة الثانية ، مطبعة
الحكومة . مكة ١٣٩٥هـ .

١٠٨ - الطعيس : صالح بن ناصر .
مدينة حريملاء ، مطابع المجد . الرياض ١٣٩٩هـ /
١٩٧٩م .

١٠٩ - ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله (٣٦٣هـ/ ٩٧٣م - ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)
الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، ط (١) مطبعة

١١٠ - ابن عبد ربه : احمد بن محمد الأندلسى (٢٤٦هـ/ ٨٦٠م - ٣٢٨هـ/
٩٤٠م) .
العقد الفريد ، دار الفكر . بيروت ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م .

١١١ - " : طبائع النساء تحقيق محمد ابراهيم سليم ، مكتبة
القرآن . القاهرة .

١١٢ - آل عبد المحسن : ابراهيم بن عبيد
تذكرة أولى النهى والعرفان ، ط (١) مطابع مؤسسة
النور . الرياض

١١٣ - ابن عبد الوهاب : الشيخ محمد (١١١٥هـ/ ١٧٠٣م - ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م)
مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، مطابع
الرياض ، نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
فى أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب
١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

١١٤ - ابن عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،

١١٥ - " : العقيدة والآداب الاسلامية ، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

١١٦ - " : كشف الشبهات . طبع ونشر جامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية .

١١٧ - " : مجموعة رسائل فى التوحيد . طبع ونشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

١١٨ - " : الفتاوى ، طبع ونشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

١١٩ - العبودى : محمد بن ناصر .
الأمثال العامية فى نجد ، المطابع الأهلية للأوفست ، الرياض . نشر دار اليمامة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

١٢٠ - " : بلاد القصيم ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة نشر دار اليمامة ١٤٠٠هـ / ١٩٨١م .

١٢١ - العثيمين : د . عبد الله الصالح
الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مطبعة نهضة نهضة مصر . القاهرة ، نشر دار العلوم . الرياض

١٢٢ - " : تاريخ المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

١٢٣ - العثيمين : محمد الصالح .
مجالس شهر رمضان الطبعة الثانية ، مطابع المدينة ١٣٩٩هـ

١٢٤ - " : خطبتى عيد الفطر وعيد الأضحى . مطابع السليم التجارية . الرياض .

١٢٥ - ابن عرفـــه : محمد بن عبد الله .
حقوق المرأة فى الاسلام مطبعة المدنى ، القاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

١٢٦ - العرينـــى : عبد الرحمن بن على .
الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد وأثـــر الدعوة السلفية فيها منذ القرن العاشـــر الهجرى وحتى سقوط الردعية ، رسالة ماجستيـر لم تنشـــر .

١٢٧ - العسقلانـــى : أحمد بن على بن حجر (٧٧٣هـ/ ١٣٧١م - ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) .
الاصابة فى تمييز الصحابة ، ط (١) مطبعـــة السعادة مصر ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م .

١٢٨ - " : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مراجعة وتعليق طه عبد الرؤوف سعد وزميليه ، شركة الطباعـــة الفنية ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية . القاهـــرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

١٢٩ - العصامـــى : عبد الملك بن حسين (١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م - ١١١١هـ/ ١٦٩٩م) .
سمط النجوم العوالى فى أبناء الأوائل والتوالـــى المطبعة السلفية . القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م

١٣٠ - عطـــار : أحمد عبد الغفـــور .
محمد بن عبد الوهاب ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين . بيروت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

١٣١ - ابن عقيـــل : أبو عبد الرحمن الظاهـــرى .
أنساب الأسر الحاكمة فى الأحساء ، الطبعـــة الأولى مطبعة نهضر مصر نشر دار اليمامـــة الرياض ١٤٠٣هـ/ ١١٨٣م .

١٣٢- ابن عقيـــل : أبو عبد الرحمن الظاهري.
ديوان الشعر العامي، الطبعة الأولى مطبعة المتوسط بيروت نشر دار العلوم. الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

١٣٣- ،، : تاريخ نجد في عصور العامية. مطبعة التقدم. القاهـرة.

١٣٤- أبو العـــلا : د. محمـود.
جغرافية شبه جزيرة العرب، الطبعة الثالثة مؤسسة سجل العرب. القاهرة ١٩٧٥م.

١٣٥- علـــي : د. جواد
المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، الطبعة الأولى دار العلم للملايين، نشر مكتبة النهضة بغداد ١٩٦٨م

١٣٦- أبو عليـــة : د. عبد الفتاح حسن
الدولة السعودية الثانية، مؤسسة الأنوار للنشر والتوزيع الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٣٧- ،، : دراسة حول المخطوط التركي (حجازسياحتنامه سي) دار المريخ ، الرياض.

١٣٨- ،، : النقود والموازين والمقاييس في سنجق الحسا في العهد العثماني مطبعة نهضة مصر، نشر دار المريخ.

١٣٩- ،، : الاصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز المطابع الأهلية للأوفست، نشر دارة الملك عبد العزيز ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

١٤٠- العمـــري : صالح السليمان.
علماء آل سليم وعلماء القصيم، الطبعة الأولى مطابع الاشعاع. الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٤١ - العمــــري : عبد العزيز بن ابراهيم
الحرف والصناعات فى الحجاز فى عصر الرســول صلى الله عليه وسلم، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

١٤٢ - ابن عيســــى : ابراهيم بن صالح (١٢٧٠هـ/١٨٥٣م - ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م).
تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجـــــد ، نشر دار اليمامــة.

١٤٣ - غــــازى : د. محمد جميــل
مجدد القرن الثانى عشر الهجرى الشيـــــخ محمد بن عبد الوهاب، نشر مكتبة المدنــــى ومطبعتها ، القاهرة، جــدة.

١٤٤ - الـغـــزى : نجم الدين محمد بن محمد (٩٧٧هـ/١٥٧٠م- ١٠٦١هـ/١٦٥١م)
الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، تحقيق الدكتور جبرائيل جبور، الطبعة الثانية(نشــر دار الآفاق الجديدة ١٩٧٩م.

١٤٥ - ابن غنـــــام : حسين بن أبى بكر(ت ١٢٢٥هـ/١٨١٠م)
روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام، ط(١) شركة مكتبـــــة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، نشر المكتبة الأهلية بالرياض ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

١٤٦ - الفاخـــــرى : محمد بن عمـــر(١١٨٦هـ/١٩٧٢م - ١٢٧٧هـ ١٨٦٠م).
الأخبار النجدية، دراسة وتحقيق الدكتــــور

عبد الله الشبل ، مطابع جامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية ، نشر لجنة البحوث والترجمة والنشر بالجامعة . الكتاب رقم (١٠) .

١٤٧ - الفاسي المكي : محمد بن أحمد الحسيني (٧٧٥هـ/ ١٣٦٣م - ٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م) .
العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة السنة المحمدية . القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م .

١٤٨ - أبو الفداء : عماد الدين اسماعيل بن علي (٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م - ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) .
المختصر في أخبار البشر ، دار المعرفة . بيروت .

١٤٩ - الفرج : خالد بن محمد (١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م - ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م) .
ديوان النبط ، المطبعة العربية . القاهرة ، نشر المكتبة الأهلية . الرياض .

١٥٠ - فروخ : د . عمر .
تاريخ الجاهلية ، مطابع دار الكتب . بيروت نشر دار العلم للملايين . بيروت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م .

١٥١ - فريد بك : محمد .
تاريخ الدولة العلية العثمانية تحقيق د . احسان حقي ، الطبعة الأولى دار النفائس بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

١٥٢ - الفوزان : د . ابراهيم بن فوزان
اقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة ، مطابع الفرزدق . الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

١٥٣ - الفـــوزان : د . عبد الله بن ناصـــر .
حميدان الشويعر ، الطبعة الأولى مطابـــع
نجد نشر شركة الجريسى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م

١٥٤ - ابن قائـــد : عثمان بن أحمد النجدى (ت ١٠٩٧هـ/ ١٦٨٥م)
هداية الراغب لشرح عمدة الطالب ، تحقيـــق
الشيخ حسنين مخلوف ، مطبعة المدنى المؤسسة
السعودية ، القاهرة .

١٥٥ - " : نجاة الخلف فى اعتقاد السلف نشر محمد جميـل
الشطى ١٣٥٠هـ .

١٥٦ - ابـن قاسـم : عبد الرحمن بن محمد العاصمى النجـــدى
(١٣١٩هـ/ ١٩٠١م - ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) .
الدرر السنية فى الأجوبة النجدية ، ط (٢) ،
مطبوعات دار الافتاء السعودية ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م .

١٥٧ - القاضـــى : محمد بن عثمـان
روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث
السنين ، مطبعة الحلبى القاهرة ١٤٠٠هـ/
١٩٨٠م .

١٥٨ - ابن قتيبـــة : عبد الله بن مسلم (٢١٣هـ/ ٨٢٨م - ٢٧٦هـ /
٨٨٩)
المعارف تحقيق د . ثروت عكاشة الطبعـــة
الثانية ، دار المعارف . القاهرة .

١٥٩ - قطـــب : سيد (١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م - ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)
فى ظلال القرآن ، ط (٥) دار احياء التـــراث
العربى بيروت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م .

١٦٠ - " : العدالة الاجتماعية فى الاسلام الطبعة السابعـة
١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م .

١٦١- القويعي : محمد بن عبد العزيز.
تراث الأجداد الطبعة الأولى، مطابع البادية
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

١٦٢- ابن قيم الجوزية : محمد بن أبي بكر (٦٩١هـ/١٢٩٢- ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م).
زاد المعاد في هدى خير العباد، مراجعة وتقديم طه عبد الرؤوف طه، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. القاهرة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

١٦٣- ابن كثير : أبو الفداء اسماعيل بن عمر (٧٠١هـ/١٣٠٢م ٧٧٤هـ/١٣٧٣م).

١٦٤- " : البداية والنهاية، ط (٣) مكتبة المعارف، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٦٥- " : التفسير، ط (١) دار الفكر، نشر مكتبة الرياض الحديثة الرياض. ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٦٦- الكركوكلي : رسول بن حاوي (ت ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م).
دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء نقله عن التركية موسى كاظم نورس، مطبعة كرم بيروت، نشر دار الكاتب العربي. بيروت، ومكتبة النهضة بغداد.

١٦٧- كرس : دانيال .هـ
الدخينة في نظر طبيب، مطابع الاصفهاني، جدة نشر مكتبة المعارف. الطائف.

١٦٨- كمال : محمد سعيد.
الأزهار النادية من أشعار البادية، صدر منها حتى الآن سبعة عشر جزءًا صغيرا، ط (١) مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، نشر مكتبة المعارف، الطائف.

١٦٩- كيلـــــي : جون .ب .
بريطانيا والخليج (١٧٩٥م - ١٨٧٠م) ترجمة محمد أمين عبد الله، مطبعة عيسى الحلبي القاهرة نشر وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان .

١٧٠- ابن لعبـــون : حمد بن محمد (ت ١٢٥٥هـ/١٨٢٩م)
تاريخ ابن لعبون، ط(١) مطبعة أم القرى مكة المكرمة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

١٧١- لوبـــون : غوستـــاف .
حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ط(٣) دار احياء الكتب العربية ،القاهرة، نشر داراحياء التراث العربي ، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٧٢- لوريمـــر : جون غورد ون .
دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ترجمة مكتب الترجمة بديوان أمير قطر. الدوحة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

١٧٣- لونكريـــك : ستيفن هيمسلي (ولد سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م)
أربعمائة سنة في تاريخ العراق الحديث، ترجمه جعفر الخياط تحت اسم أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ط(٥) نشر مكتبة التحرير بغداد .

١٧٤- ابن ماجـــه : محمد بن يزيد (٢٠٧هـ/ ٨٢٢م - ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)
السنن ، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبدالباقي دار احياء التراث العربي ،بيروت ١٣٩٥هـ/١٩٧٨م

١٧٥- المـــارك : فهـــد (ت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) .
من شيم العرب ط(٣) ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٧٦ - المُحِبّي : محمد أمين بن فضل الله (١٠٦١هـ/١٦٥١م - ١١١١هـ/١٦٩٩م).
خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر
نشر دار صادر . بيروت .

١٧٧ - مرسي عباس : السيد أحمد.
فهارس عنوان المجد لابن بشر، ط(١) مطبعة المدينة، الرياض، نشر دارة الملك عبد العزيز الرياض ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

١٧٨ - مرزوق : محمد عبد العزيز.
الناصر محمد بن قلاوون . سلسلة أعلام العرب (٢٨) نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

١٧٩ - المغيري : عبد الرحمن بن محمد (١٢٨٥هـ/١٣٦٤هـ - ١٣٦٤هـ/١٩٤٤م)
الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب، تحقيق د. ابراهيم الزيد ، الطبعة الأولى دار الحارثي للطباعة والنشر، الطائف ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

١٨٠ - مسلم بن الحجاج: القشيري (٢٠٤هـ/٨٢٠م - ٢٦١هـ/٨٧٥م)
صحيح مسلم بشرح النووي، ط(٢) دار الفكر بيروت ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

١٨١ - ابن منقذ : اسامة بن مرشد (٤٨٨هـ/١٠٩٥م - ٥٨٤هـ/١١٨٨م).
المنازل والديار ، الطبعة الأولى : المكتب الاسلامي ، دمشق بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

١٨٢ - المنقور : أحمد بن محمد
تاريخ المنقور، تحقيق ونشر الدكتور عبد العزيز الخويطر ط(١) مطابع الجزيرة، الرياض ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

١٨٣- المنقـــــور : الفواكه العديدة فى المسائل المفيدة، ط(٢) نشــــر
دار الآفاق الجديدة . بيروت.

١٨٤- " : جامع المناسك الثلاثة الحنبلية، تحقيق محمد زهيـــر
الشاويش، ط(٣) المكتب الاسلامى . بيروت، دمشـــق
١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

١٨٥- مهــــران : د . محمد بيومـــى
دراسات فى تاريخ العرب القديم، المطابع الأهليـــة
للأوفست، الرياض، نشر جامعة الامام محمد بن سعـــود
الاسلامية. المكتبة التاريخية (١) ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

١٨٦- مؤلف مجهـــول :
كيف كان ظهور شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهـــاب،
تحقيق د . عبد الله الصالح العثيمين، مطابـــع
دار الهلال ،الرياض. نشر دارة الملك عبد العزيـــز
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٨٧- مورتيـــل : ريتشــارد .
الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة فى العصر المملوكـــى
الطبعة الأولى طباعة ونشر جامعة الملك سعود. ١٤٠٥هـ /
١٩٨٥م

١٨٨- نافـــع : محمد مبـروك .
تاريخ العرب، عصر ما قبل الاسلام، ط(٢) مطبعـــة
السعادة ،مصـر ١٩٥٢م.

١٨٩- ابن نغيســة : سعد بن محمـد .
اضمامة من التراث، نشر دار الوطن. الرياض ١٤٠١هـ /
١٩٨١م.

١٩٠- ابن الــوردى : عمر بن مظفر (٦٩١هـ/١٢٩٢م - ٧٤٩هـ/١٣٤٩م) تتمـــة
المختصر فى أخبار البشر، اشراف أحمد رفعت البديـــرى =

ط (١) دار المعرفة. بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.

١٩١ - الهمداني : الحسن بن أحمد (٢٨٠هـ/٨٩٣م - ٣٣٤هـ/٩٤٥م).
صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، نشر دار اليمامة
الرياض ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

١٩٢ - هولفريتز : هانز.
اليمن من الباب الخلفي، تعريب خيرى حماد، نشر
المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر. بيروت

١٩٣ - الهيثمي : على بن أبى بكر (٧٣٥هـ/١٣٣٥ - ٨٠٧هـ/١٤٠٥هـ)
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد الطبعة الثالثة نشر دار الكاتب
العربى. بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

ثالثا : المعاجم ودوائر المعارف :

١ - البكري : عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع تحقيق مصطفى السقا - الطبعة الأولى ، لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م.

٢ - الجاسر : حمد بن محمد
جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ، الطبعة الأولى مطبعة نهضة مصر ، القاهرة. نشر دار اليمامة ، الرياض

٣ - الحموي : ياقوت بن عبد الله (٥٧٤هـ/ ١١٧٨م - ٦٢٦هـ - ١٢٢٩م).
معجم البلدان نشر دار صادر بيروت.

٤ - ابن خميس : عبد الله بن محمد .
معجم اليمامة الطبعة الأولى مطبعة الفرزدق ، الرياض ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٥ - الزبيدي : محمد مرتضى الحسيني الواسطي (١١٤٥هـ - ١٢٠٥هـ/ ١٧٣٢م - ١٨٩٠م).

٦ - الزركلي : خير الدين بن محمود (١٣١٠هـ/ ١٨٨٣م - ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م)
الأعلام. قاموس تراجم - الطبعة الثالثة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٧ - العاملي : أحمد بن رضا .
قاموس رد العامي الى الفصيح ط (٢) دار الرائد العربي بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٨ - الفيروزابادي : محمد بن يعقوب (٧٢٩هـ - ٨١٧هـ/ ١٣٢٩هـ - ١٤١٥م)
القاموس المحيط نشر دار العلم للجميع. بيروت

٩ - قدامـــــة : أحمـــد .

قاموس الغذاء والتداوى بالنبات، الطبعة الأولى دار النفائس، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٠- كحالـــــة : عمـر رضـــا .

معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، الطبعة الثانيـــة دار العلم للملايين . بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

١١- مجموعة مستشرقين :

دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة محمد ثابت الفنـــدى وزملائه، نسخة مصورة عن طبعة عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م .

انتشارات جهان طهـــران .

١٢- مجموعة باحثين عرب : باشراف محمد شفيق غربـــال .

الموسوعة العربية الميســرة، صورة طبق الأصل عن طبعـــة دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر. القاهـــرة ١٩٦٥م .

١٣- مدكـــــــور : د.ابراهيم ونخبة من أساتذة علم الاجتمـــاع .

معجم العلوم الاجتماعية، ط (الهيئة المصرية العامـــة للكتاب) نشر اليونسكو ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

رابعـــا : الدوريـــات:

١ - مجلة الحرس الوطني السعودي . الرياض .

٢ - مجلة الدارة . الرياض .

٣ - مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية . الكويت .

٤ - مجلة الدعـوة . الرياض .

٥ - مجلة العـرب - الريـاض .

٦ - مجلـة العربـى . الكويت .

٧ - المجلة العربية . الرياض .

٨ - مجلة كلية الآداب . جامعة الملك سعـود (الرياض سابقا) .

٩ - مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعـود الاسلاميـة . الريـاض .

١٠- مجلة مركز البحوث . جامعة الامام محمد بن سعود الاسلاميـة .

١١- مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بالاحساء ، جامعة الامام محمد بـن سعود الاسلامية .

١٢- مجلة حضارة الاسلام . دمشـق .

١٣- محاضرات الموسم الثقافى للكليات والمعاهد العلمية سابقا . جامعة الامـام محمد بن سعود الاسلامية حاليا لعام ١٣٨٦هـ .

١٤- صحيفة الجزيرة السعوديـة . الرياض .

١٥- صحيفة الرياض السعوديـة . الرياض .

١٦- صحيفة السياسة الكويتيـة . الكويت .

خامسا : الكتب الصادرة باللغة الانجليزيـــة :

1-Burckhardt, John, Lewis,

Notes on the Bedouins, and Whabys, London 1831.

2- Winder, R.B.,

Saudi Arabia, in the Ninteenth Century, New York, 1965.

3- Al-Thenayan, Mohammed,

History writting in Nagad (A.H. 1000-11501 Ad. 1591-1737)

A Thesis submitted to the University of Exeter, for the Degree of Doctor, of Philosophy, 1976.

4- Ah Juhany, Uwaidan. M.,

The History of Najd prior the Wahhabis.

Doctor of Philosophy.University of Washington. 1983.

5-Rents. George .S navely . Muhammad Ibn Abdol Wahhb (1703/04 - 1792) and the Beginnings of Unitarian Empire in Arabia.

Doctor of Philosophy in History University of California.

6- Said Abdul Rahmman . h.

Saudi Arabia : the Transition from A Tribal Society to Nation - State.

Doctor of Philosophy.

University of Missouri- Columbia.

ب - محتويات الرسالـــــة :

تابع محتويات الرسالة

تابع: محتويات الرسالة

تابع : محتويات الرسالة

تابع : محتويات الرسالـــة :


الملاحق

وصية صبيـــح : مجلة العرب الجزء الأول السنة الثانية رجب ١٣٨٧ تشريـــــن أول ١٩٦٧م - من ص ٥٧-٥٩

هذا ما وقف وحبس وأبد الفقير الى الله سبحانه وتعالى الحاج صبيـــح عتيق عقبة، حيطانه فى عكل ولهن من الماء ثلاث وقعات ونصف على بئر الغطغطـــاء بحدودهن وحقوقهن وأرضهن ونخلهن مائهن ونمائهن وكل حق لهن داخـــل فيهن أو خارج عنهن . يحدهن من الغرب سور القرية ومن الشمال البئر وطريـــق المسلمين ومن الشرق حويط ابن شقير ومن الجنوب الجفرة والقطيعة والأحيمـــرى - وقفا حبسا مؤبدا محرما بجميع محارم الله تعالى التى حرم بها الزنا والربا وشـرب الخمر وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وقتل النفس بغير حق - وقفا قائما على أصولـه جاريا على رسومه قائما على سبيله ماضيا لأهله جائزا لهم.

لا يزيده مرور الأيام والأزمنة الا تأكيدا ولا يكسبه تقلب الأوقات الا تمهيدا وتأييـدا ولا يحله تطاول أمده ولا تقادم عهد وكلما تطاول عليه الزمان أبده، وكلما أتى عليـه عصر جدده وأكده. لا يزال ذلك كذلك مادامت الدنيا وأهلها، حتى يرث اللـــه الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. وليجدد حكمه. وينقله الخلف عن السلـف، ولا يتعرض لا بطاله التلف، وتنقبض عنه الأطماع الكاذبة وتقصر عن تناوله الأيـــدى الظالمة - لا يزال هذا الأمر جاريا فى هذا الوقف المذكور على شرائطه المذكـورة والأحكام الموصوفة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. وولى الوقف المذكور امام الجامع وله سدس حائط ونصف سدس حائط، فان كان الامام فيه ضعـف فيساعده المصلح من آل عقبة وأن ترك الامام الولاية فليس له شئ - ويبدأ للولـــى بعمارة الوقف وكلما يزيد فى نمائه ثم ما حصل فيخرج منه دلو وحبلها على (بئـــر العصامية) فان تعطلت بئر العصامية جعلت على بئر غيرها مما ينتفع به المسلمـون وفيه أيضا (ستون صاعا) تكون أكفانا لمن يموت ولم يخلف ما يكفنه من أهل عكل وأهـل الفرعة وأهل شقراء وما فضل بعد ذلك أطعمه الولى فى شهر رمضان ويكون سماطـا

فى ليالى الجمعة والخميس والاثنين ويفرق منه الولى ثلاثين صاعا على الأرامل اللاتى يشتهين ويستحين - ولا حرج على من حضره فى الأكل منه سواء أكان غنيا أو فقيرا أو بدويا أو حضريا - وان أصاب الناس مجاعة فى غير شهر رمضان المعظم - أطعمه الولى فى ذلك الوقت اذا رأى الاصلاح فى ذلك - ولا حرج على الولى ومن حضر فيما يأكلون عند الجداد ، ولا يحل لأحد من خلق الله تعالى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتعرض هذا الوقف بظلم أو نقصان أو تغيير أو تحريف، فمن فعل ذلك أو أعان عليه بقول أو عمل أو مشورة فالله حسيبه وطليبه ومعاقبه ومجازيه ومسائله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم. يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت - الآية - يوم الطامة يوم الحسرة يوم الندامة يوم يعض الظالم على يديه، يوم الواقعة ، يوم الآزفة يوم الرجفة ، يوم الحاقة، يوم يكشف من ساق ويدعون الخ. يوم العرض يوم النشور يوم لا يجزى والد عن ولده شيئا الآية. يوم يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا يوم تطوى السماء كطى السجل للكتب، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار. يوم يقوم الروح والملائكة صفا الآية - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره. وعلى المعترض لهذا الوقف لعنة الله والملائكة والناس أجمعين - ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ولا فرضا ولا نفلا وعجل الله فضيحته فى الدنيا وضاعف له العذاب فى الآخرة ، وجعله من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا. الآية - فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه - الآية.

كملت وثيقة الأصل بالتمام من غير تحريف وتاريخها سنة (٧٤٧) هجرية وهذه النسخة مكتوبة من وثيقة كتبها على بن شفيع بيده رحمه الله سبحانه وتعالى من وثيقة الأصل وكانت الأولى قد فنيت من طول الوقت - فسبحان من لا يفنى ولا يموت وتاريخ الوثيقة التى كتبها على بن شفيع رحمه الله تعالى كانت بيوم النصف من شهر

رمضان المعظم سنة (٨٩٠) من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام.

ثم قال على بن شفيع رحمه الله : (حضر عبد الله بن بسام على هذه النسخة المباركة وكتب بيده، وحضر أحمد بن سليمان بنى منيف بن بسام وكتب بيده، وحضر عبد الله بن شفيع على ذلك وكتب بيده، وحضر حسن بن عبد الله بن منيف ابن بسام وكتب بيده، وحضر على بن حمد بن ربس وكتب بيده، وحضر عبد الله ابن غملاس بن حجى وكتب بيده، وحضر حمد بن محمد بن منيف بن بسام وكتب بيده، وحضر حسن بن الكلبى بن منيف بن بسام وكتب بيده - وصلى الله وسلم على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم وكتب هذه الوثيقة الثانية بعد ما فنيت الأولى وخشى من فناء الثانية أو ذهابها - كتبها حرفا بحرف بما احتوته معانيها وبما اندرجت عليه مبانيها محمد بن أحمد بن محمد بن منيف بن بسام القاضى الحنبلى منصوب الشرع الشريف بتاريخ (١٩ رمضان سنة ٩٨٦هـ) من الهجرة النبوية على مهاجرها الصلاة والسلام.

مجلة العرب ـ الجزء السادس ـ السنة الثانية ذو الحجة ١٣٨٧ هـ آذار ١٩٦٨ م

ص ٥٥٧ - ٥٦١

٢ - وصية صقر بن قطام :

قد وقف وسبل وحبس ونجز صقر بن قطام بن صقر ـ رحمه الله ـ في حال صحة عقله وبدنه وطوعه ورضاه وجواز أمره جميع أملاكه في قرية أشيقر، فمنها ملكه المعروف بحيطان أم أشكال. وأيضا أرضه في العقلة المعروفة بأرض (آل أبي علي) وأيضا في العقلة المعروفة بأرض ابن ربيعة. وأيضا أرضه في البر فيها بئر خارج القرية يومئذ تعرف (بالحميدية).

وأيضا ملكه المعروف بالبديعة. وقف صقر المذكور جميع هذه الأملاك المذكورة وأخرجها من يده، ومن ملكه قربة لله تعالى على أهل (قرية أشيقر) وجعل الولي الناظر عليها زوجته يومئذ (مرهجة) بنت عبد الرحمن ابن محمد بن ريس. ولو تأبت منه تخرج غلاتها على نظرها فيهم. ولها غلة البديعة أجرة لها على النظر في ذلك، ودفع الاملاك اليها. فان أبت الولاية لم يكن لها شيء. وان ماتت قبل صقر، فولاية الاوقاف عائدة الى صقر، وقد اشترط صقر لنفسه الولاية والعزل واستثنى النفقة على نفسه والأكل مدة حياته من غلة الأوقاف المذكورة. فان ماتت مرهجة ومات صقر ـ والبقاء لله تعالى فالولي الناظر على جميع ذلك هو سليمان بن عبد الله بن موينع يصلح الأوقاف من غلاتها بما يزيد في نمائها من خدمة وغيرها ويخرج ماينوبها من اجار في بناء حيطانها أو غرم سيل أو جراد أو غير ذلك أو طارقة تعم البلد. فما فضل بعد ذلك فله عشره أجار له على النظر في ذلك فما فضل بعد ذلك اطعمه في المسجد سماطا في شهر رمضان المعظم على حكم اطعام وقف صبيح غير انه لا حد عليه في ليالي معينة. وان أصاب الناس مجاعة في غير شهر رمضان المعظم أطعمه الوالي في ذلك الوقت، ان رأى فيه صلاحا ولا حرج على من حضره في الأكل منه سواء كان غنيا أو فقيرا حضريا أو بدويا أو ناظره وينفق منه كل عام أربعين صاعا تمرا يختص بها الارامل في بيوتهن اللاتي يشتهين ويستحين. والزمن من الرجال الذي لا يطيق وصولا الى الطعام. ثم وليه الناظر عليه بعد سليمان من رضيه واتفق على امانته أهل الصلاح والمعروف. ويخير من

أهل البلد وله عشيرة غلة الأوقاف المذكورة على نظره عليها . فان عدمت الأمانة والعياذ بالله فى ولى . فلمن ذكرنا من أهل المعروف عزله وتوليه أمين غيره . وأيضا وقف صقر المذكور وسبل وحبس على نفسه ثمان نخلات التى على ساق التينة شهعد ءعلى بنات أخيه محمد بن قطام وعلى خصلة بنت فياض بينهن بالتساوى فمن مات منهن فحقه راجع على الباقى . ثم بعد هن تابعات الأوقاف المذكورة . مالعقبهن شئ فصار جميع الأوقاف المذكورة على الترتيب المذكور أرضها ونخلها وتوابعها ولوازمها وما يعرف بها وما ينسب اليها وقفا مؤيدا منجزا شرعيا ثابتا لا زبا على مذهب الامام أحمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنه لا تباع ولا توهب ولا تورث ولا شئ منها بل محرمة بجميع محارم الله التى حرم الله بها الميتة والدم ولحم الخنزير والزنا والربا وشرب الخمر وقتل النفس بغير حق .

قائما على أصوله جاريا على رسومه ، ماضيا لأهله جائزا لهم . لا يزيد مرور الأيام والأزمنة الا تأكيدا ولا يكسبه تقلب الأوقات الا تمهيدا . ولا يحله تطاول أمد ولا تقادم عهد . وكلما تطاول عليه زمان أكده ، وكلما أتى عليه عصر جدده ، وأكده ، لا يزال ذلك كذلك الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . وليجدد فى كل عصر ذكره ليقرع الأسماع ماذكر فيه من حكمه وينقله الخلف عن السلف لتنقبض عنه الاطماع الكاذبة ، وتقصر عن تناوله الايدى الظالمة . لا يزال هذا الأمر جاريا فى ذلك الوقف على شرائطه المذكورة وأحكامه الموصوفة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . ومن تعرض هذا الموقف بتغيير أو تبديل أو تحريف أو اعان عليه بقول أو فعل أو مشورة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ولا فرضا ولا نفلا والله تعالى حسيبه وطليبه ومجازيه ومعاقبه ومسائله - يوم لا ينفع مال ولا بنون - الآية - يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت، الآية - يوم الرجفة يوم الآزفة يوم الحسرة يوم الندامة يوم الأخذ بالطامة يوم يفر المرء من أخيه الخ . . . ويم لا يجزى والد عن ولده . الآية - يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم الآية - وجعله الله من الأخسرين أعمالا . الآية - فمن بدله بعد ما سمعه الآية .

كان ذلك خامس شعبان عام ٩٤٠ تسعمائة وأربعين من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام. شهد على ذلك محمد بن علي بن حواش وكتب بيده. شهد على ذلك سليمان بن علي بن حمد وكتب بيده. شهد على ذلك أحمد ابن عثمان بن حمد بن ريس وكتب بيده. وشهد على ذلك محمد بن حسين بن منصور وكتب بيده. شهد على ذلك محمد بن حمد بن منيف وكتب بيده، وشهد على ذلك أحمد بن سليمان بن مشرف وكتب بيده. شهد على ذلك الاقرار من صقر بالاوقاف المذكورة واخراجها من يده الى يد (مرهجة) المذكورة مشرف بن رميح وكتب بيده شهد على ذلك رميح بن مشرف بن رميح وكتب بيده: وشهد شارخ بن مشرف بن رميح وكتب عنه باذنه.

ثبت عندى اقرار صقر بجميع ما هو فى هذا الكتاب فحكمت عليه بصحته بعد أن سألنى ذلك والاعتماد به من له الدعوى شهود مشرف بن رميح وأبنائه المذكورين أعلاه وغيرهم كتبه طلحة بن حسن بن علي بن عبد الله بن بسام بيده فى شهر شوال عام ٩٤٢ هـ ثم نقل هذه الوثيقة من أصلها بعد ما اختل يسير من أولها فقير عفو الله سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن مشرف بتاريخ رابع شهر الله المحرم سنة ١٠٧٥ الف وخمس وسبعين هجرية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام. وذلك بعد ما عرفت ان ذلك خط الشيخ طلحة حقيقة. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. ونقل هذه الوثيقة الثالثة من خط الشيخ سليمان بن علي رحمه الله تعالى الفقير الى الله تعالى عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عدوان غرة رجب سنة ١١٧٥ هـ. ونقل هذه الوثيقة الرابعة محمد بن عبد اللطيف خامس جماد أول عام ١٢٤٥ هـ حامدا الله مصليا على نبيه ومسلما. ونقل هذه الوثيقة من خط محمد بن عبد اللطيف - بعد ما خشي عليها التلف والذهاب راجي عفو ربه عبد اللطيف عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن موسى بتاريخ شهر صفر سنة (١٢٩٩ هـ) (الف ومائتين وتسع وتسعين. وصلى الله وسلم على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم".

٢ - وصية رميثة بن قضيب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . محمد وآله وصحبه .

هذا ما وقف وحبس وابد (رميثة بن قضيب أولاد جبر) وقف وحبس حائط روق الكائن في (عقدة دينار) في (أشقير) وشهرته تغني عن تحديده شرعا . ووقف ثلاثة أرباع حويط حمد المعروف الذي قبلي أرض الفاضل في (عقدة دينار) شرقي سوق حيطان البدي . كل ذلك وقفه رميثة بن قضيب رحمه الله تعالى : أرضه ونخله وأثله بحدوده وحقوقه ومائة ونمائه وكافة منافعه الداخلة فيه والخارجة عنه مما يعرف بذلك وينسب اليه شرعا . وقفا صحيحا شرعيا مرضيا نافذا لوجه لله تعالى . ثوابه لرميثه . وحكمه في الأكل من غلته حكم وقف صبيح رحمه الله في مسجد اشيقر - يحمل سماطا - للآكلين في ليالي شهر رمضان المعظم . فصار وقفا مبرورا مؤبدا محرما بجميع محارم الله ومحارم الصدقات الموقوفات المؤبدات ، وبما حرم الله به للفواحش ما ظهر منها وما بطن . وليحذر المتعرض لهذيه الوقفين المذكورين - الموت ، وغصته ومنكر ونكير ومسالتهما ، والحشر والموقوف ، والحساب الشديد والعذاب الأليم . وعلى التعرض بما ينقص هذا الموقف أو شيئا منه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، واذاقه الخزي ، وبلاه بالفقر وضيق الصدر ، ونوائب الدهر . وجعله من الأخسرين اعمالا (الآية) ، واجر الموقف فيما قصده من ذلك على الله الذي يجزي المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين . وهذا مكتوب بحضرة الولي يومئذ : محمد بن عبد الرحمن بن علي ابن حمد بن عساكر امن بسام وكتب محمد بن حمد بن محمد بن منيف بن بسام القاضي بيده واثبت ، وامضاه حكما ، وصححه والزمه شرعا ، وشاعت وذاعت صحة هذا الوقف وأكله جيلا بعد جيل ، في مسجد اشيقر بتاريخ (التاسع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ٩٨٦هـ) من الهجرة النبوية على مهاجرها السلام وأفضل الصلاة .

كتب هذه الوثيقة ووثيقة صبيح أحمد بن سليمان بن مشرف من خط محمد ابن حمد بن محمد بن منيف بن بسام حرفا بحرف، من غير زيادة ولا نقصان في آخر شهر شعبان سنة ١٠٦٥ هـ من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام، والحمد لله رب العالمين .

ونقل هذه الوثيقة ووثيقة صبيح رحمه الله تعالى من خط الشيخ أحمد بن سليمان بن مشرف رحمه الله تعالى الفقير الى ربه غفر الله ذنوبه محمد بن عبد اللطيف حامدا الله ومصليا على نبيه، ونقل هذه الوثيقة ووثيقة صبيح من خط محمد بن عبد اللطيف مخافة التلف والذهاب العبد الضعيف عبد الرحمن بن عبد اللطيف ابن موسى . (وصلى الله وسلم على محمد وآله) .

قد أحدث الناس فيهم بدعة … أعني به التتن لشنيع المنكرا

وأعرضوا عن نعمة أطيب حلية … أطيب من منه خير الورى

مثل بني إسرائيل لما أشكوا … المن والسلوى بلحم بصل

عوضهم لما شكوا ربهم … والسعد لما غيروا غيرا

ومن قصيدة الشيخ عبد الله بن إبراهيم المالكي رحمه الله في ذم الدخان (1)

يا مولعاً بدخان النار يشربه … ويدعي الحل بيّن فيه برهانا

أو رد عليه دليلاً كي تحلله … لا سفسطات وتغليط وبهتانا

النار يا كل جسما للكفور غدا … وأنت يا آكلها ظلما وطغيانا

أخطأت أخطأت لا أخطأت … واهاً له فيما ادعيت تديناً وعرفانا

يا ليت شعري بما استحللت نار لظى … إلا ولوعاً بها وتقريبا ودخانا

وكيف يا شارب الدخان تشربه … هل ذاك إلا ضلالات وعدوانا

لم يملك الصبر عنه ساعة أبدا … مثل امرئ كان نحو الماء عطشانا

هذا وإلا امرئ في السوق منكسه … يبغي العدالة رجحانا وميزانا

وشارب النار في الأسواق يشربها … ولا يبالي بفعل الخزي إعلانا

دخانه قد علا أعلى الجبين له … وثغره من قذاه صار ملآنا

يرمي بصاقاً له في وجه صاحبه … مع قبح عرق الذكي الوجه قد شانا

والنار يرجو له ما زال عادتهم … إن جاءهم زائر اكرمان ضيفانا

يبهونه أولاً بالنار تكرمة … لأنهم قد غدوا صماً وعميانا

(1) سبقت الإشارة في الفصل الثاني من الباب الثاني إلى أن هذه القصيدة قد نسبها أكثر مؤرخي للشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف شيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب.

شيئاً احكمه

يدعون ما شربين دخانه شيئا … وان تنل شيئا بحكمه ايقانا

من كان في هذه اعمى فهو غدا … اعمى واغوى حزين القلب قد رانا

لاشك من عاش في شرب يموت به … وهكذا البعث فيه كيف ما كانا

ان الجزاء للورى من جنس ما عملوا … نار بنار كفى بالنار خسرانا

قواعد الشرع عن هذا مصرحة … تأملت في الورى نصا وتبيانا

لا تشبهوا اهلها يوما لشرعتنا … او سعتم الشرع تزويرا وبهتانا

قد اصبح الجهل بالتحقيق عندكم … مع اوضح العلم والعرفان سيانا

ما حلل النار الا كل ذي سفه … في العالمين عدوا في الدين فتانا

شتان ما بين من افتى بحرمتها … وبين من قال بالتحليل شتانا

يا ويح لو رأى اهل الجحيم بها … عليهم من دخان النار الوانا

ان الدخان عذاب للكفور اذا … ما حل في قبره من اجل ما كانا

لا تطلب النص في تحريمه ابدا … بل اطلب النص في التحليل تبيانا

فتب الى الله من شرب لها ابدا … فالله يغفر لمن قد تاب مما كانا

واقبل نصيحة من لولاك فائدة … تغنى بها في الورى امنا وايمانا

وخالف النفس والشيطان واعصهما … وان هما محضاك النصح ازمانا

وكن لنصحهما ما عشت متهما … فكم اضلا عقولا بل واذهانا

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كلام ذكره [illegible] على عالم [illegible]

فصل في ختم الكتاب بذكر فصل يسير قدره عظيم اجرها

من قارئها من المتقين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم [illegible]

لهذا الكتاب وتما على جملة هذا التأليف فصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن

رؤية المؤمنين ربهم فقال هل تضارون في رؤية الشمس صحوا في

الظهيرة ليس دونها سحاب قالوا لا قال فهل تضارون في رؤية القمر

في ليلة البدر صحوا ليس دونه سحاب قالوا لا قال فإنكم ترونه

كذلكم متفق عليه وسئل كيف نراه ونحن ملء الأرض وهو واحد فقال

[illegible] الشمس والقمر [illegible] ترونها

[illegible] لا تضارون في رؤيتها ولعمر الله

[illegible] يريكم وتنظرون [illegible] صح عنه أنه سئل [illegible]

[illegible] فيما هو قد قضي وفرغ منه أم أمر مستأنف فقال

بل أمر قد قضي وفرغ منه فسئل حينئذ فيم العمل فأجاب

بقوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فييسر

لعمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل

الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واتقى إلى [illegible] ذكره مسلم

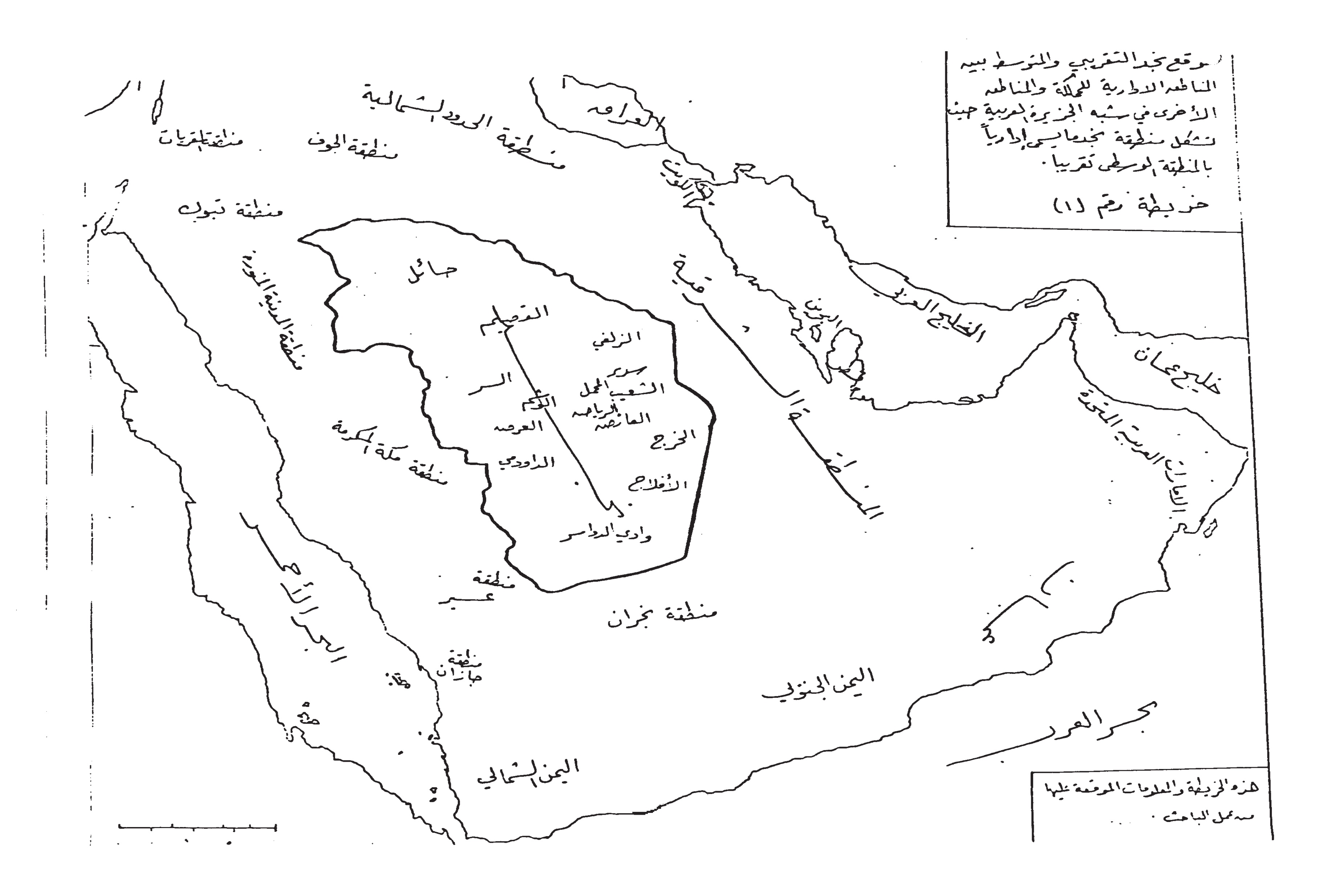
أمثلة على طريقة الخط عند خطاطي ونساخ بجر،

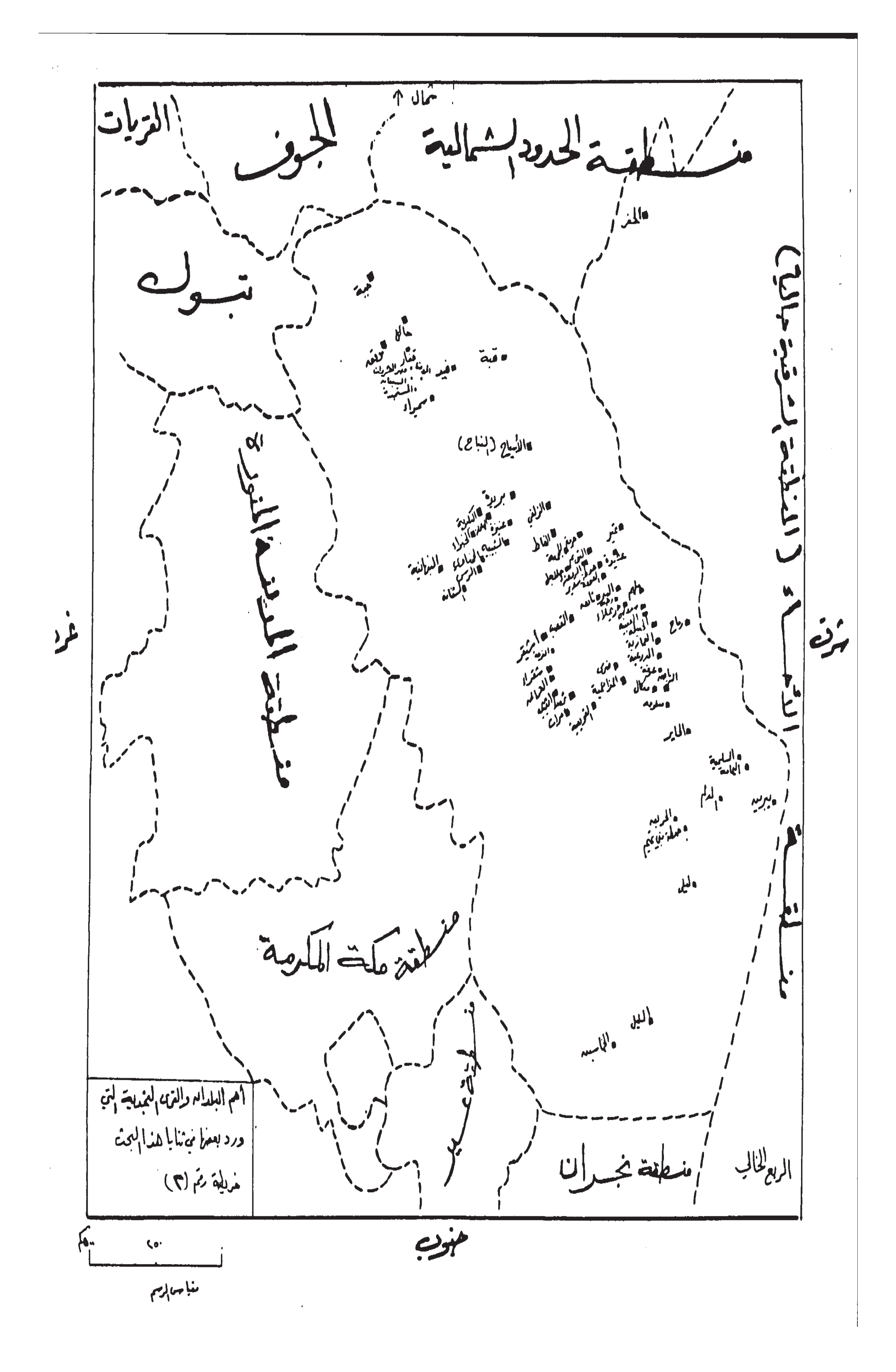
وصح عنه انه سئل ما يكلم الناس فيضمنا ثم هو اهل العلم الله فقال نعم
ذكره مسلم وصح عنه انه سئل اين كان ربنا قبل ان يخلق السموات والارض
فلم ينكر على السائل قوله اين كان في عما ما فوقه هوا وما تحته هوا ذكره
احمد وصح عنه انه سئل عن مبدا هذا خلقه هذا العالم فاجاب بان
قال كان الله ولم يكن غيره شي وكان عرشه على الما وكتب في الذكر
كل شي ذكره البخاري وصح عنه انه سئل اين يكون الناس يوم تبدل
الارض قال على الصراط وفي لفظ اخر هم في الظلمة دون الجسر فسئل
من اول الناس اجازة فقال فقرا المهاجرين ذكره مسلم وكان في بين
الجوابين فان الظلمة اول الصراط فهناك مبدا التبديل وتمامه
وهم على الصراط وسئل عن قوله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا
فقال ذلك العرض ذكره مسلم وسئل عن اول الطعام ياكله اهل الجنة فقال
زيادة كبد الحوت فسئل ما غذاؤهم على اثره فقال ينحر لهم ثور الجنة
الذي كان ياكل من اطرافها فسئل ما شرابهم عليه فقال من عين
فيها تسمى سلسبيلا ذكره مسلم وسئل هل رأيت ربك فقال نور
انى اراه ذكره مسلم فذكر الجواب ونبه على المانع من الرؤية وهو
النور الذي هو حجاب الرب تعالى الذي لو كشفه لم يقم له شي وسئل

يا رسول الله

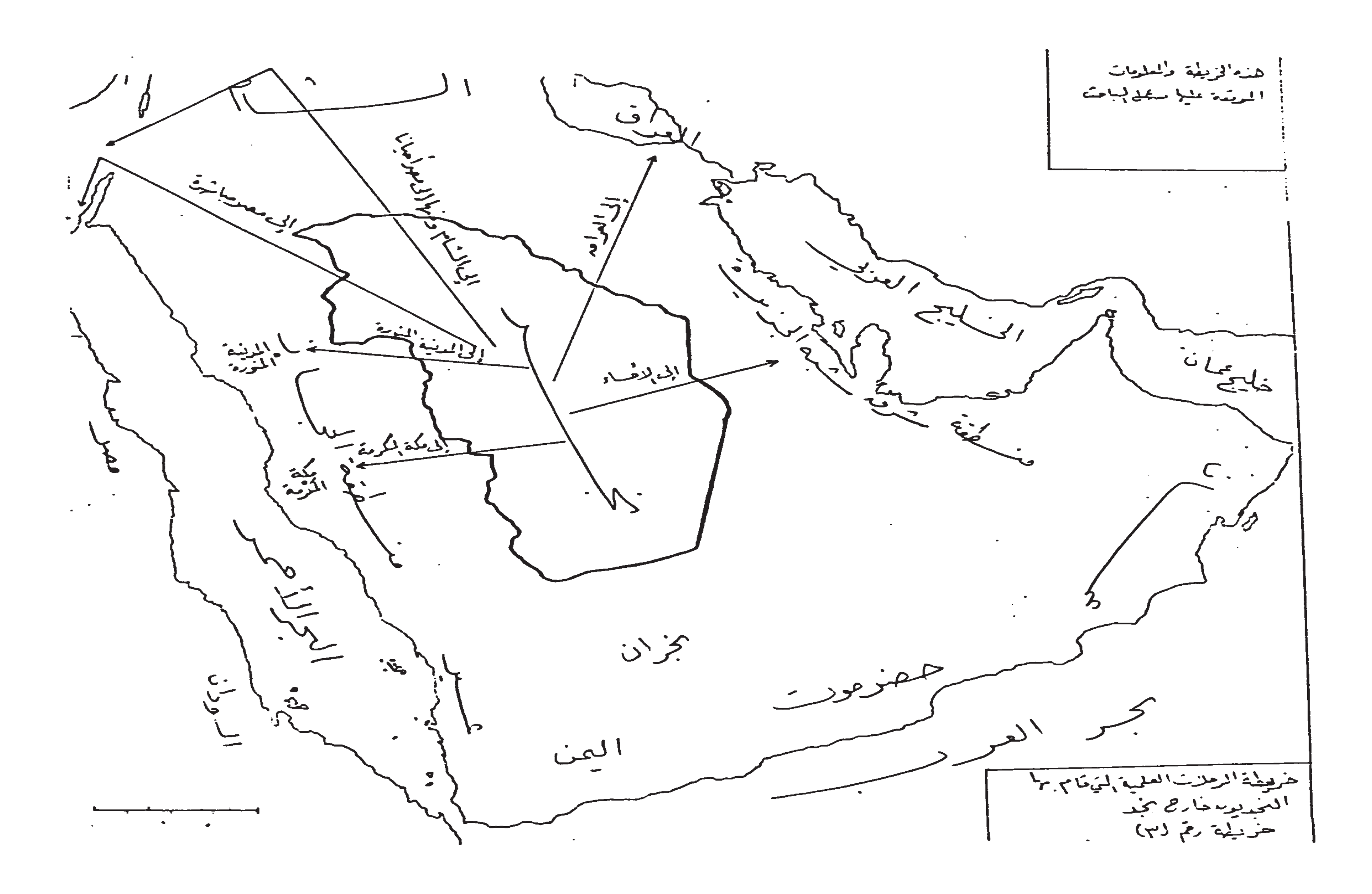
فهوى احدهما صدري ففلقه فيما ارى بلا دم ولا وجع فقال اخرج الغل
والحسد فاخرج شيئا كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها فقال ادخل
الرافة والرحمة فاذا مثل الذي اخرج شبه الفضة ثم هز ابهام رجلي
اليمنى فقال اغد واسلم فرجعت بها رقة على الصغير ورحمة على الكبير
ذكره احمد وسئل اي الناس خير قال القرن الذي انا فيه ثم الثاني ثم
الثالث ذكره مسلم وسئل عن احب الناس اليه فقال عائشة قيل ومن الرجال
قال ابوها قيل ثم من قال عمر ذكراه في الصحيح وسأله علي والعباس
اي اهلك احب اليك قال فاطمة بنت محمد قالا ما جئناك نسألك عن
عن اهلك قال احب اهلي من انعم الله عليه وانعمت عليه اسامة بن زيد
قالا ثم من قال علي بن ابي طالب فقال العباس يا رسول الله جعلت عمك
اخرهم قال ان عليا سبقك بالهجرة ذكره الترمذي وحسنه
وفي الترمذي ايضا انه سئل اي اهل بيتك احب
اليك قال الحسن والحسين وسئل اي الاعمال
احب الى الله قال الحب في الله والبغض في
الله ذكره احمد وسئل عن المرأة كثيرة
الصلاة والصيام والصدقة
غير انها تؤذي جيرانها

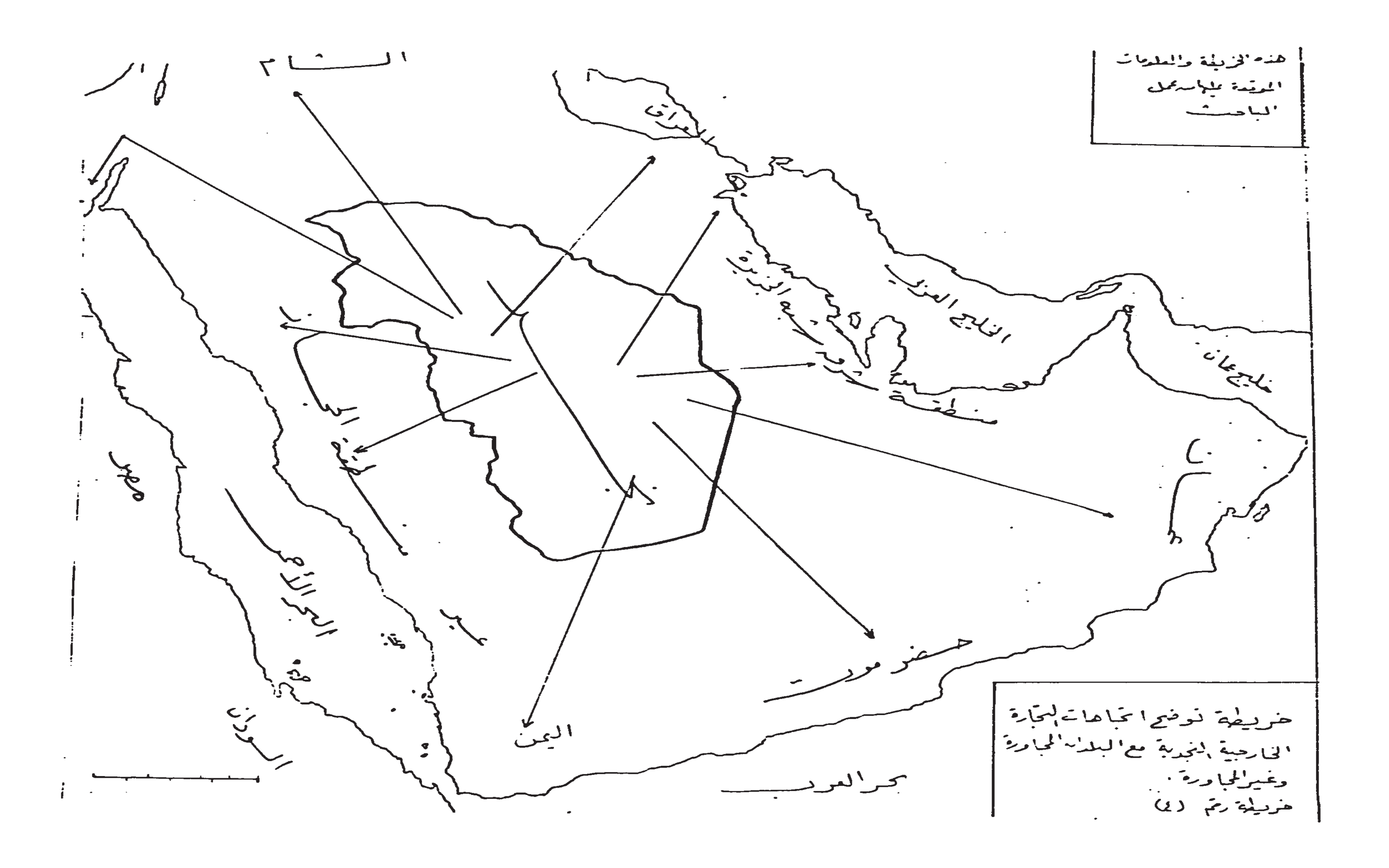
الخرائط والصور


موقع نجد التقريبي والمتوسط بين المناطق الإدارية للمملكة والمناطق الأخرى في شبه الجزيرة العربية حيث تشكل منطقة نجد ما يسمى إدارياً بالمنطقة الوسطى تقريباً.
خريطة رقم (١)
العراق
منطقة الحدود الشمالية
منطقة القريات
منطقة الجوف
الكويت
منطقة تبوك
منطقة المدينة المنورة
حائل
القصيم
الزلفي
سدير
الشعيب والمحمل
الرياض
العارضة
السر
الوشم
العرض
الخرج
الدوادمي
الأفلاج
وادي الدواسر
منطقة مكة المكرمة
المنطقة الشرقية
البحرين
الخليج العربي
خليج عمان
الإمارات العربية المتحدة
عمان
منطقة عسير
منطقة نجران
منطقة جازان
البحر الأحمر
اليمن الجنوبي
اليمن الشمالي
بحر العرب
هذه الخريطة والمعلومات الموقعة عليها من عمل الباحث.

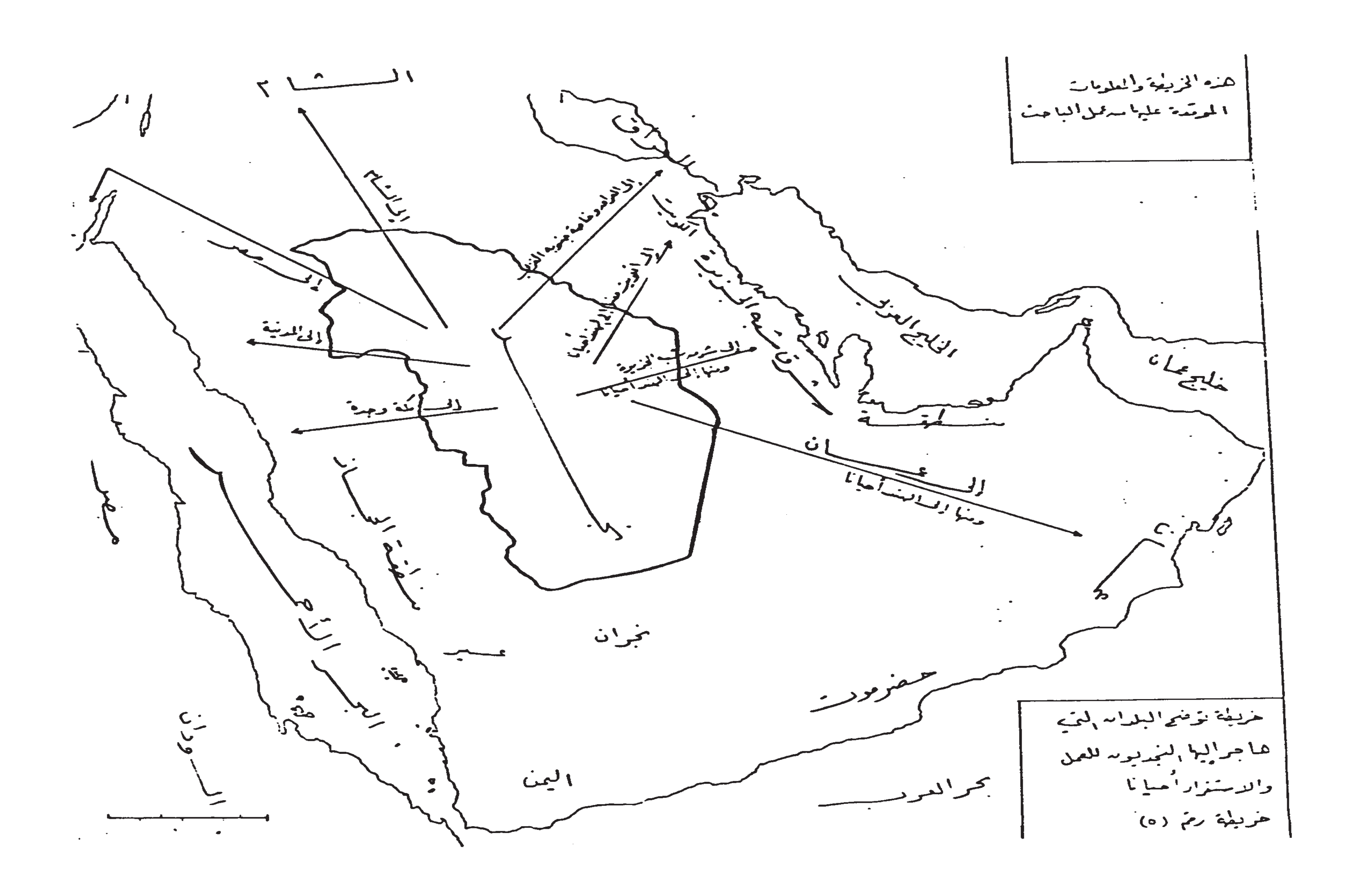


شمال
القريات
الجوف
منطقة الحدود الشمالية
تبوك
منطقة المدينة المنورة
الأسياح (النباج)
منطقة مكة المكرمة
منطقة عسير
منطقة نجران
الربع الخالي
منطقة الأحساء (المنطقة الشرقية حاليا)
شرق
غرب
جنوب
أهم البلدان والقرى النجدية التي
ورد بعضها في ثنايا هذا البحث
خريطة رقم (٣)
٥٠
١٠٠كم
مقياس الرسم


هذه الخريطة والمعلومات
الموضحة عليها من عمل الباحث
العراق
الخليج العربي
خليج عمان
إلى العراق
إلى الأحساء
إلى الشام ومنها إلى مصر أحيانا
إلى مصر مباشرة
إلى المدينة المنورة
المدينة المنورة
إلى مكة المكرمة
مكة المكرمة
نجد
نجران
حضرموت
اليمن
بحر العرب
البحر الأحمر
السودان
مصر
خريطة الرحلات العلمية التي قام بها
النجديون خارج نجد
خريطة رقم (٣)



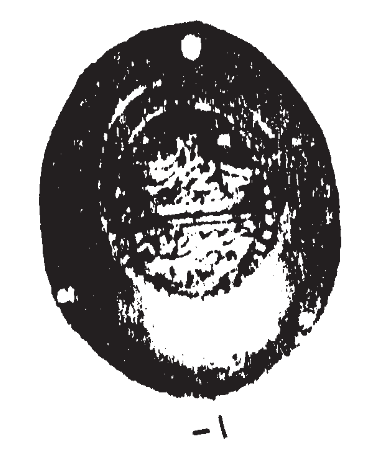
خريطة توضح اتجاهات التجارة
الخارجية النجدية مع البلدان المجاورة
وغير المجاورة.
خريطة رقم (٤)



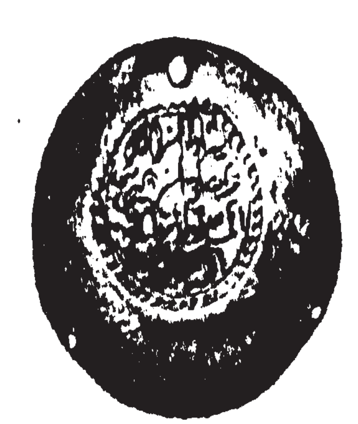
خريطة توضح البلدان التي هاجر إليها النجديون للعمل والاستقرار أحيانا

خريطة رقم (٥)

١-



١-



٢-

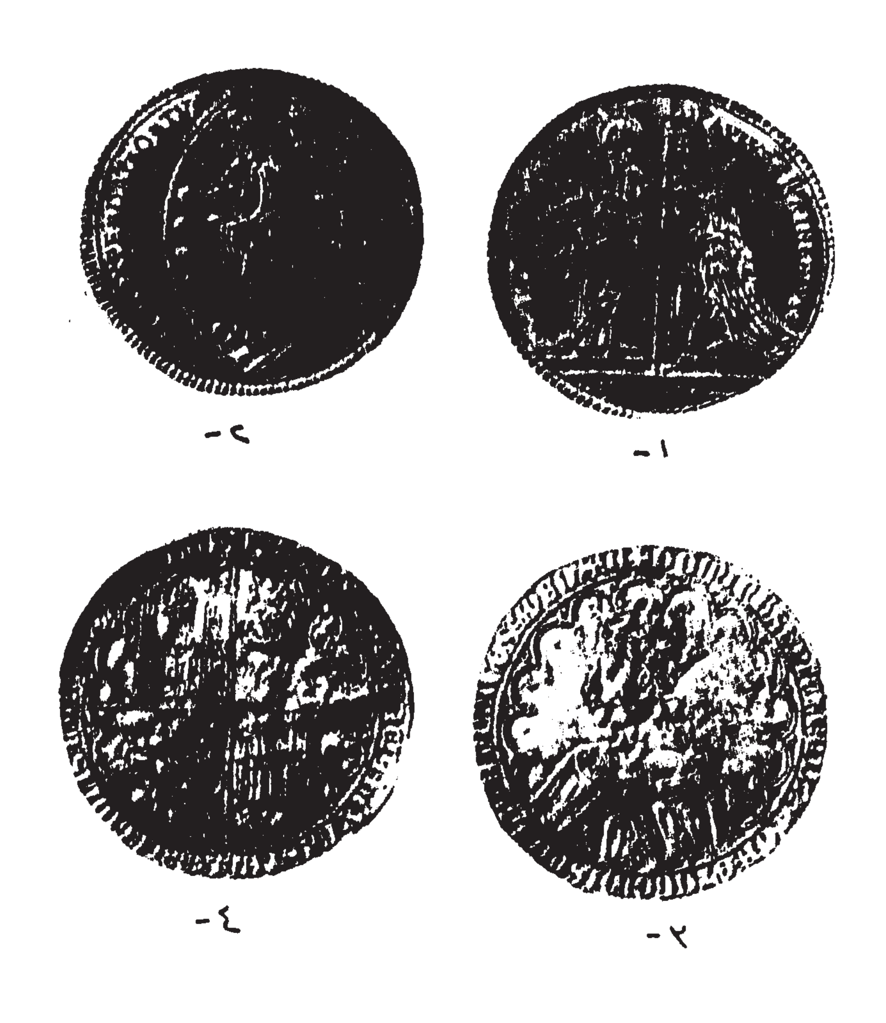
١-٢ . زر محبوب ذهب باسم السلطان مصطفى الثالث ضرب مصر سنة ١١٧١هـ .
المصدر : د عبد الرحمن فهمي .





اسم السلطان ، سلطان احمد شاه قاجار .
مكتوبا على « القران » وهي من العملات
الفضية التي تداولتها نجد . اما الى
اسفل فتبدو عملة « الشاهية » النحاسية وهي
اقل قيمة من « القران » .

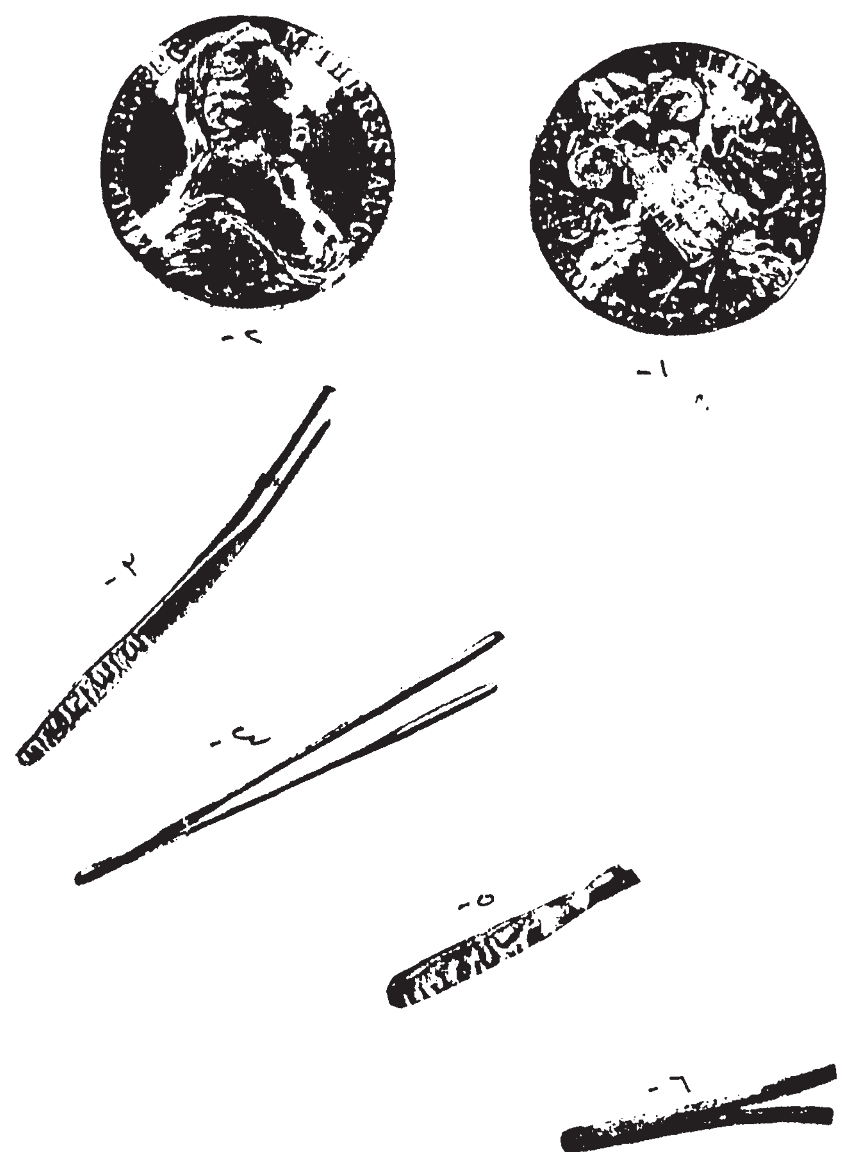
المصدر : العملة في الكويت ليوسف الشهاب مقال منشور في مجلة العربي
الكويتية عدد ٢١٨ محرم ١٣٩٧هـ / يناير ١٩٧٧م ص١١٥ .



١،٣ - البندقي أو الدوكات أو المشاخصة .

٢،٤ - أبوكلب (العملة الأسبانية) .

المصدر: عبد الرحمن الجبرتي: دراسات وبحوث (النقود المتداولة ايام الجبرتي) للدكتور عبد الرحمن فهمي .



Courtesy of the American Numismatic Society

COMMON COINS IN 19TH-CENTURY ARABIA: THE MARIA THERESA THALER AND THE HASA-MINTED *TAWILAH*

١، ٢ - : دولار ماريا تريزا المسمى محليا الفرانسه .

٢، ٤، ٥، ٦ : أنواع من الطويلة . المصدر: Winder

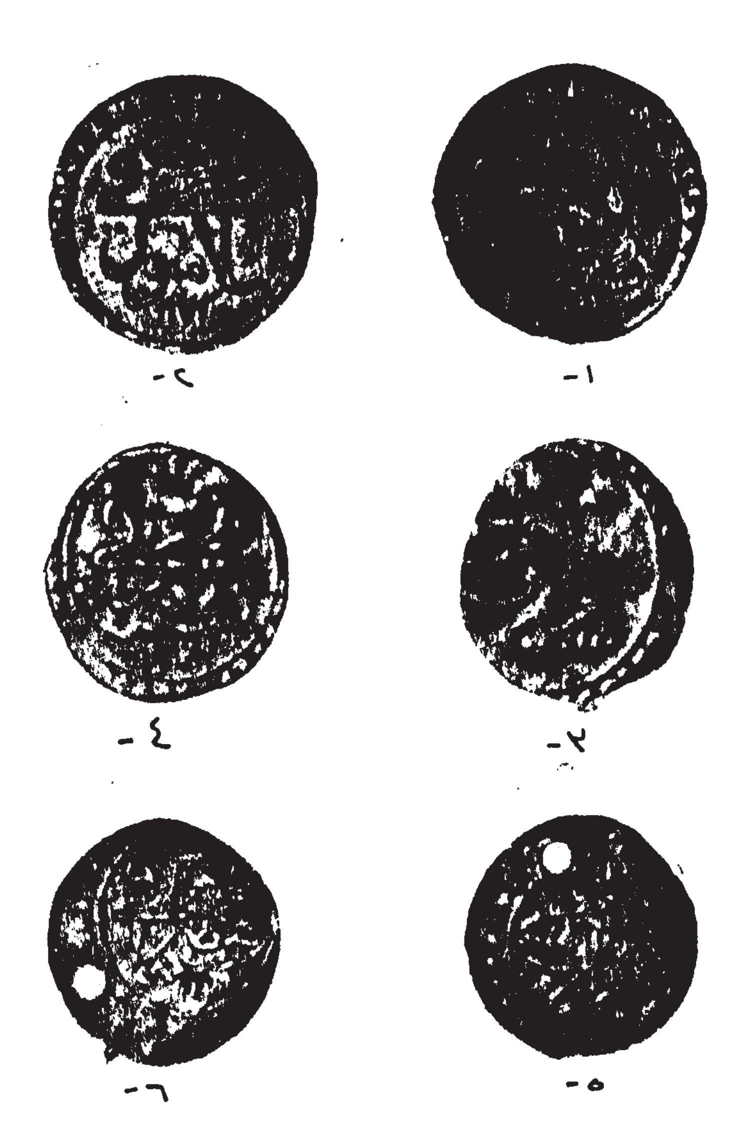


١، ٢ - ريال او دولار ماريا تريزا . صورة لاحدى مراحل سكه .

٥، ٦ - الخزانة عملة نابليونية .

٧، ٨ - خزانة لوي فيليب .

المصدر : د عبدالرحمن فهمي .



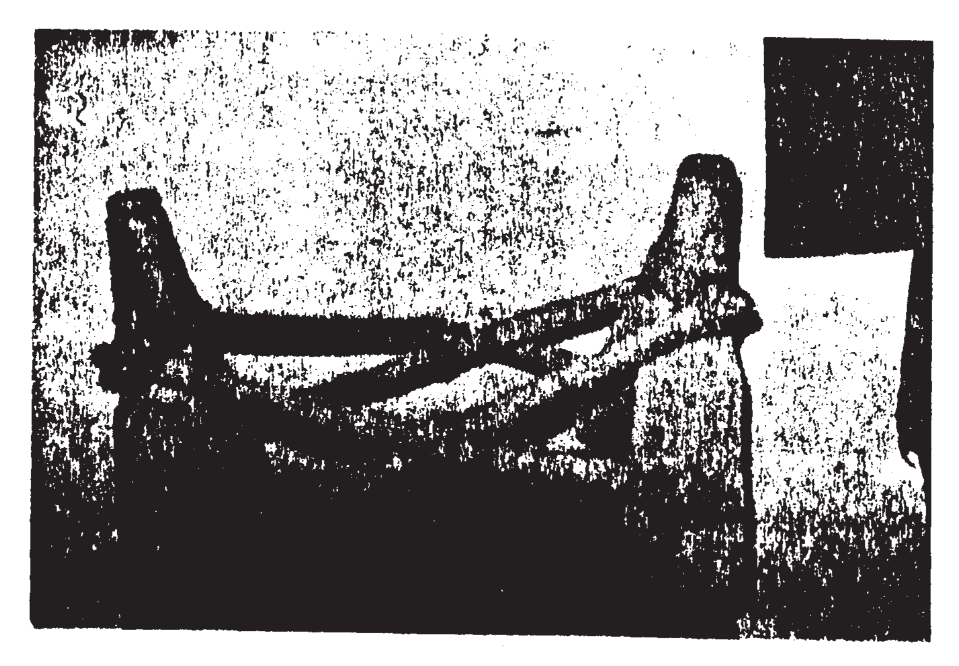
١،٢ - بشلك فضة ضرب اسلامبول عام ١١٧١هـ .

٣،٤ - بارة (نصف فضة) ضرب مصر سنة ١١٧١هـ.

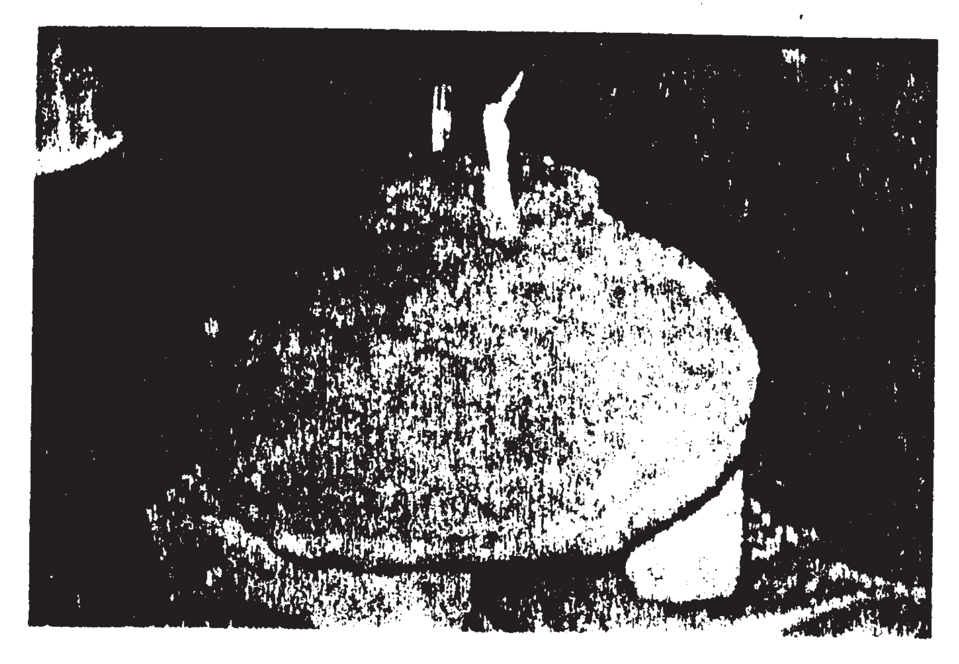
٥،٦ - أقشا فضة ضرب مصر ١١٧١هـ.

المصدر: عبد الرحمن فهمي .

٦ـ

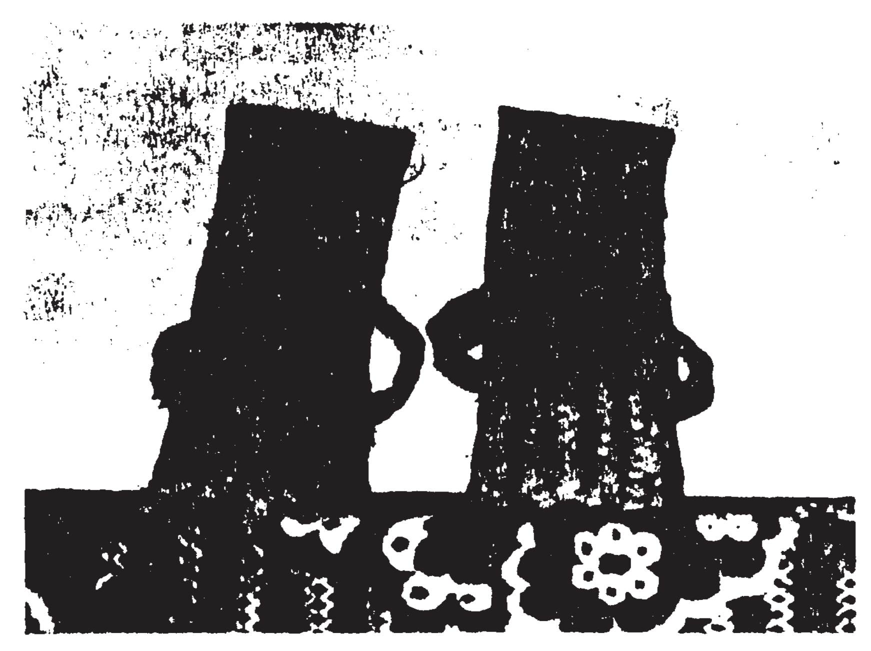


نوع من الأشدة يسمى المسامة لنقل الأحمال



الرحى وبعض الأواني المنزلية

١ المصدر: السويداء



١- نعال من الخوص .

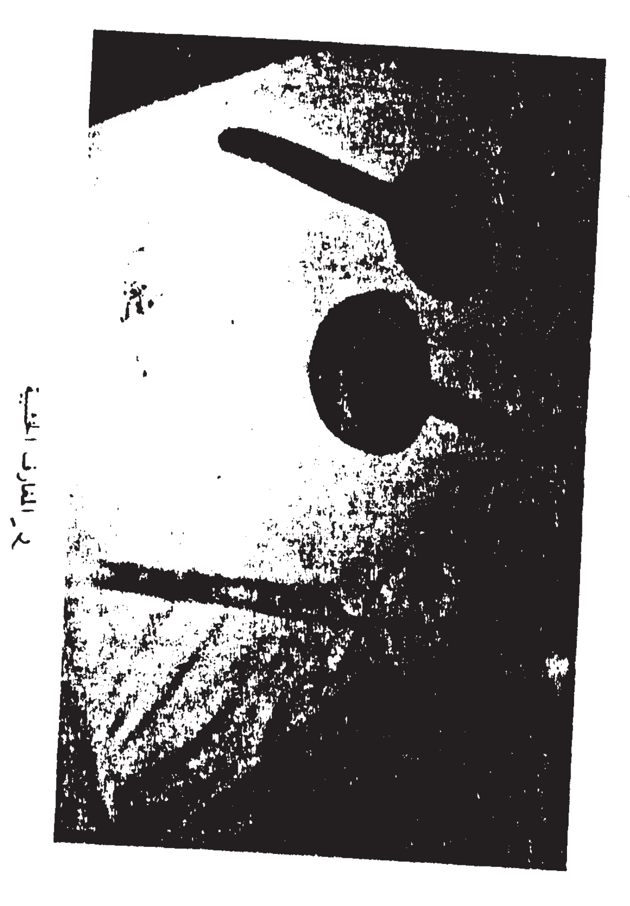


٢- الهرقوب وهو أحد أنواع النعال .

المصدر : القويعي : مرجع سابق ص ٢٩، ١٥٧ .



١ - الميزان الكبير لوزن الحبوب والأعلاف وغيرها



٣- المغارف الخشبية



٢ - بعض أنواع الحلي النسائية

١، ٣- المصدر: السويداء: مرجع سابق ٥٠٠، ٥٠٢.

٢- سعد الجنيدل لقاء معه في صحيفة الجزيرة عدد ٤٠٧٥ الجمعة ١٤ صفر ١٤٠٤هـ ٢٠ يناير ١٩٨٢م.